THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

Top

Front

الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزير هالسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامة المقرى
رحمه
الله

(تنبيه) قد جرينا في جعل عدد الصحائف في هذا الجزء الرابع تابعا لعدد صحائف ما قبله على حسب ما اقتضاه الحال من التقسيم كما تقدمت الاشارة اليه



893.7M32
034
v. 4

(فهرسة الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)

صحيفة أول الجزء	
	(الباب الخامس) في ايراد جملة من نثره الذي عبق اريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذي تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل به من أزجاله وموشحاته ومناسبات رائقة في فنون الادب ومصطلحاته
مسئله	(فمن ذلك قوله في غرض التحميد الخ)
٤١١	(ومن نثره قوله في استدعاء امداد وحض على الجهاد)
٤١١	(ومن ذلك قوله في صداق أمره السلطان بانشائه الخ)
٤١٢	(ومن ذلك قوله كتبت الى بعض السادة الفضلاء وقد بلغني مرضه ايام كان الانزعاج عن الاندلس الى الايالة المرينية)
٤١٢	(ومن نثره ماذكره في الاحاطة في ترجمة أبي عبد الله الشديد)
٤١٣	(ومما كتب به الى علي بن بدر الدين الطوسي)
٤١٤	(ومن نثره ما اثبته في الاحاطة في ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ)
	(في آخر سطر من هذه الصحيفة أبي عنان وصوابه أبو عنان)
٤٢٦	(ومن نثره ماذكره في الاحاطة في ترجمة يحيى بن ابراهيم البرغواطي)
٤٢٧	(ومن بديع نثره ما كتبه لسلطان تلمسان)
٤٣٢	(ومما كتب به الى شيخه أبي عبد الله بن مرزوق)
٤٣٣	(ومما خاطب به صاحب الاشغال بالمغرب ابن أبي القاسم يهنيه بتقلد المنصب)
٤٣٤	(ما خاطب به بعض الفضلاء)
٤٣٤	(ما خاطب به السلطان أبا عبد الله بن نصر عند وصول ولده من الاندلس)
٤٣٤	(ما خاطب به محمد بن نوار وقد أعرس ببنت مزوار)
٤٣٥	(ما خاطب به عميد مراكش عامر بن محمد الهنتاني)
٤٣٥	(ما قاله في وصف مدينة سبتة من مقامة له في وصف بلاد الاندلس والعدوة)
٤٣٦	(ما قاله في نفاضة الجراب حين أجرى ذكر مدينة مكناسة الزيتون)
٤٣٧	(ما وصفها به في مقامة البلدان)
٤٣٨	(ذكر طرف مما يتعلق بالسلطان أبي الحسن المريني الكثير الآثار بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس)
٤٤١	(ما قاله لسان الدين في بعض كتبه في وصف بعض من عرف به)
٤٤١	(ما قاله في آخرين)

صحيفة
٤٤٤ (ماقاله فى كتابه التاج المحلى فى ترجمة ابن اب الامى المرينى وكذلك ماقاله فيه فى الاحاطة)
٤٤٦ (ماقاله فى التاج فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى)
٤٤٧ (ماقاله فى الاكليل فى ترجمة ابن العطار المزنى)
٤٤٧ (ماقاله فيه فى ترجمة ابن خاتمة الانصارى المزنى)
٤٤٧ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى عبد الله الحيرى المالقى)
٤٥٠ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى بكر محمد بن مقاتل المالقى)
٤٥٠ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى عبد الله بن الشديد المالقى)
٤٥٢ (ماقاله فيه فى ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمرانى)
٤٥٢ (ماقاله فيه فى ترجمة محمد بن محمد المرادى العشاب)
٤٥٢ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى عبد الله محمد المليكشى)
٤٥٣ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى عبد الله العبدرى النونسى)
٤٥٤ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى القاسم العزفى السبتى)
٤٥٤ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى عبد الله بن المكودى الفاسى)
٤٥٥ (ماقاله فى ترجمة أبى عبد الله بن بيش العبدرى الغرناطى)
٤٥٦ (ماقاله فى الاكليل فى ترجمة ابن هانئ اللخمى السبتى)
٤٦٢ (ماقاله فى التاج فى ترجمة أبى محمد عبد الله الازدى)
٤٦٢ (ماقاله فى الاكليل فى ترجمة أبى الحسن بن خطاب السكاك)
٤٦٣ (ماقاله فى التاج وفى الاحاطة فى ترجمة أبى الحسن بن الصباغ العقيلى الغرناطى)
٤٦٤ (ماقاله فى ترجمة شيخه ابن الجياب)
٤٦٤ (ماقاله فى الاكليل فى حق ابن غفرون الكلبى)
٤٦٥ (ماقاله فيه فى حق ابن الجد الفهرى)
٤٦٥ (ماقاله فيه فى حق أبى عثمان الغسانى)
٤٦٥ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى الحجاج الطرطوشى)
٤٦٥ (ماقاله فى ترجمة أبى عبد الله بن المناهل العذرى)
٤٦٦ (ماقاله فى التاج فى ترجمة أبى عبد الله بن باق)
٤٦٧ (ماقاله فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله بن فضيلة المعافرى)
٤٦٨ (ماقاله فيه فى ترجمة أبى العباس الملياني)
٤٦٨ (ماقاله فى الروضة فى ترجمة ضخام الغصون من شجرة السر المصون)
٤٦٩ (فصول فى المعرفة)
٤٧٠ (ماقاله فى بعض تراجم الروضة)

صحيفة
٤٧٠ (ما كتبه على لسان سلطانه للامير بلبغا الخاصكي)
٤٧١ (ما قاله في قضية امتناع بعض الموثقين من أكل طعامه)
٤٧٤ (ما قاله في خطبة كتاب في المحبة)
٤٨٤ (ما قاله في آخر هذا الكتاب)
٤٨٥ (ما قاله في آخر بعض تراجم هذا الكتاب)
٤٩٠ (ما قاله قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير)
٤٩٠ (ما قاله في عدّ ما عدد من فرق الاعتزال) (وقوله في عدّ صوابه في بدء)
٤٩٢ (ما قاله فيما قبل هذا الكلام بكلام) (وقوله بكلام الصواب حذفه)
٤٩٢ (ما قاله في بعض تراجم الروضة)
٤٩٣ (ما قاله في الوعظ في الفصل الثاني من الروضة)
٤٩٧ في سطر ٢٨ منها ياطرد المخالفة وصوابه ياطردا المخالفة
٤٩٨ (ومن مواعظه ما أورده في الروضة اثر ما سبق)
٤٩٩ (ما خاطب به من المواعظ بعض من استدعى منه الموعظة)
٥٠٣ (ما قاله في فصل ذم الكسل)
٥٠٤ (ما كتب به على لسان سلطانه الى شيخ الموحدين بتونس ابن تفراجين)
٥٠٧ (من نثره رحمه الله تعالى قوله الخ)
٥٠٧ (ومن نثره ما انشأه عن سلطانه الغني بالله تعالى حين وصله ابنه الذي كان بفاس يخاطب سلطان فاس)
٥٠٩ (ما كتبه على لسان الامير سعد ابن سلطانه الغني بالله تعالى اليه)
٥١٠ (ما خاطب به السلطان على لسان ولده)
٥١١ (ما انشأه في تولية الامير يوسف مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده)
٥١٣ (ما كتبه في شأن تقليد الامير سعد أخي المذكور)
٥١٤ (ما كتب به من سلا من النظم والنثر الى سلطانه الغني بالله تعالى وقد بلغه ما كان من صنع الله سبحانه له وعودته الى سلطانه)
٥١٦ (ما كتبه من النظم والنثر عن السلطان أبي الحجاج يوسف بن نصر الى سيد العالمين صلى الله عليه وسلم)
٥١٩ (ما كتبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان محدومه السلطان الغني بالله)
٥٣٠ (بعض نثره أثناء رسالة في العزاء وما جرت اليه المناسبة في هذا المعنى من نثر غيره)
٥٣١ (ما خاطب به سلطان المغرب أبا زيان لما تم له الامر)
٥٣٣ (ما خاطب به السلطان المذكور)

صحيفه
٥٣٤ (ماخاطب به شيخ الدولة يحيى بن رحو)
٥٣٤ (ماخاطب به شيخه ابن مرزوق التلمسانى شافعا)
٥٣٥ (ماكتبه اليه أيضا فى الشفاعة)
٥٣٥ (ماخاطب به الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من بجر المرية واستقر ببلد بسكرة)
فى السطر الاول من صحيفة ٥٣٧ النقش وصوابه النقس بالمهملة
٥٣٩ (ماخاطب به اخا المذكور أبا زكريا بن خلدون لما ولى الكتابة عن السلطان أبى حمو سلطان تلمسان)
٥٤١ (ماخاطب به صاحبه أبا القاسم بن رضوان)
٥٤١ (ماخاطب به شيخ العرب مبارك بن ابراهيم)
٥٤٢ (ماخاطب به شيخه ابن مرزوق)
٥٤٤ (ماانشأه على لسان السلطان)
٥٤٥ (ماخاطب به تربة السلطان الكبير أبى الحسن المرينى)
٥٤٦ (ماخاطب به الوزير المتغلب على الملك بالمغرب)
٥٤٧ (ماكتب به اليه أيضا على أثر الفتح)
٥٤٨ (ماخاطب به المذكور أيضا)
٥٤٨ (ماخاطب به الرئيس عامر الهنتاتى معزيا له عن أخيه عبد العزيز)
٥٥٠ (ماخاطب به أيضا)
٥٥٠ (ماخاطبه به شيخ الدولة وقد استقل من مرض)
٥٥١ (ماخاطب به أبا عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه وقد استقر خطيب السلطان بتونس
٥٥٤ (ماخاطبه به أيضا)
٥٥٦ (ماأجاب به عن كتاب بعث به اليه الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان)
٥٥٨ (ماصدر عنه فى السياسة)
٥٥٩ (مايخص السلطان من ذلك)
٥٥٩ (مايخص الوزير)
٥٦٠ (مايخص الجند)
٥٦١ (مايخص العمال)
٥٦١ (مايخص الولد)
٥٦٢ (مايخص الخدم)
٥٦٢ (مايخص الحرم)
٥٦٣ (نصائح للسلطان)

صحيفه
٥٦٦ (ما قاله فى تحليته لبعض أهل زمانه)
٥٦٧ (ما خاطب به السلطان على لسان جدته)
٥٦٨ (من شعره فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٥٦٩ (ما انشده للسلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الاعظم سنة ٧٦٣)
٥٧٢ (ما خاطب به السلطان أبا عنان على أثر انصرافه من بابه)
٥٧٥ (قصيدة نظمها لما احتفل السلطان لاعذار ولده)
٥٧٧ (مقطوعات له فى أغراض شتى)
٥٨٤ (قصيدة سينية)
٥٨٥ (ذكر جملة من قصيدته اللامية المسماة بالمنح الغريب فى الفتح القريب)
٥٨٦ (ذكر جملة من نظمه فى أغراض متنوعة)
٥٩٢ (بعض مناقب العارف بالله تعالى سيدى الحاج أحمد بن عاشر)
٥٩٤ (رجع الى نظم لسان الدين بن الخطيب)
٦٠٤ (وصف احتفال السلطان أبى حمو لليلة المولد الشريف)
٦٠٦ (ملخص عبارة ابن خلدون فى الكلام على الموشح وذكر أول من اخترع هذا الفن بجزيرة الاندلس وفى الكلام على فن الزجل)
٦١٢ (ما قاله الفتح بن خاقان صاحب القلائد والمطمح فى ترجمة أبى بكر بن الصائغ المعروف أيضا بابن باجه وذكر بعض أخباره)
٦١٨ (ترجمة الاحاطة للفتح المذكور)
٦٢٢ (ما قاله صاحب المطمح فى ترجمة أبى بكر الزبيدى)
٦٢٤ (ما قاله فى حق عز الدولة أبى مروان بن المعتصم بن صمادح)
٦٢٥ (ما قاله فى ابنه الثانى رفيع الدولة أبى يحيى بن المعتصم)
٦٢٦ (ما قاله فى ترجمة الوزير أبى الوليد بن حزم)
٦٢٦ (ما قاله فى ترجمة أبى بكر الغسانى)
٦٢٧ (ما قاله فى أبى عامر بن عقال)
٦٢٨ (ما قاله فى ترجمة الفقيه أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنى)
٦٢٨ (ما قاله فى ترجمة ابن عبد ربه صاحب العقد)
٦٣٠ (ما قاله فى ترجمة أبى القاسم المنينى)
٦٣١ (ما قاله فى أبى الحسن البرقى)
٦٣٢ (ما قاله فى أبى الحسن على بن جودى)
٦٣٤ (ذكر موشحة ابن سهل)
٦٣٥ (ما عارض به بعض متأخرى المغاربة موشحة ابن سهل)
٦٣٦ (ما قيل فى مباراة هذه الموشحات)

صحيفه	
٦٣٧	(من موشحات لسان الدين بن الخطيب التى انفرد باختراعها الاندلسيون وغيرها)
٦٤١	(ايراد جملة من مقطوعات السلطان المنصور أبى العباس الشريف الحسنى)
٦٤٥	(ما كتبه بعض الاذكياء الى لسان الدين معارضا به موشحه)
٦٤٧	(ذكر بعض موشحات لسان الدين وغيره)
٦٥٣	(الباب السادس) فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون)
٦٥٣	(تواليفه التى ذكرها فى آخر الاحاطة)
٦٥٤	(ذكر ما تأخر تاريخه من تآليفه عن الاحاطة أو اشير اليه فيها مجملا)
٦٥٩	(ترجمة ابن الحاج النميرى المعروف أيضا بابن الحاج الغرناطى)
٦٧٥	(ترجمة العارف بالله تعالى سيدى أبى مدين المدفون بتلمسان)
٦٧٩	(الباب السابع) فى ذكر بعض تلامذته الخ
٦٧٩	(ابن زمرك)
٧٤٩	(ترجمة العارف بالله تعالى سيدى أبى العباس السبتى)
٧٥٥	(الرجوع الى ما يتعلق بابن زمرك)
٧٥٦	(ابن المهنا)
٧٥٦	(أبو بكر بن جزى الكلبى)
٧٥٧	(أبو عبد الله الشريشى)
٧٥٧	(أبو محمد بن عطية)
٧٦٠	(ابن فركون)
٧٦٠	(الباب الثامن) فى ذكر أولاده
٧٦٠	(ولده محمد)
٧٦٠	(ولده عبد الله)
٧٦٧	(ولده على)
٧٦٨	(ترجمة شمس الدين بن جابر)
٧٧٠	(المقصورة الفريدة المعدودة من محاسنه)
٧٧٩	(قصيدته التى فى التورية بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر بعض ما عورضت به من القصائد)
٧٨٥	(ذكر خطبة للقاضى عياض ضمنها سور القرآن)
٧٨٩	(خطبة وقصيدة للكفعمى من هذا النمط)
٧٩٢	(رسالة للمذكور يخرج من اثنائها قصيدة)
٧٩٣	(الرجوع الى نظم ابن جابر)

صحيفة

٨٠٠ (ايراد جملة من قصيدة له فى فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت)

٨٠٦ (ذكر شئ من نظم رفيقه وشارح بديعيته أبى جعفر)

٨٠٩ (ذكر بعض نصائح على بن لسان الدين)

٨١٧ (ذكر وصية لسان الدين لاولاده)

٨٢٥ (ذكر وصية للفقيه الكاتب أبى عبد الله بن الجيان المرسى)

٨٣٠ (مختصر ترجمة ابن الجيان المذكور)

٨٣٣ (ايراد شئ من نثره)

٨٣٨ (تخميسه فى مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك فى المعنى من مخمسات وغيرها)

(تمت فهرسة الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب)

من كتب الفقير الى رحمة ربه الغفور عبده يحيى الدباغي مولداً المتوطن يومئذٍ في بيروت سنة ١٨٧٤ مسيحية

الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامه المقرى
رحمه
الله

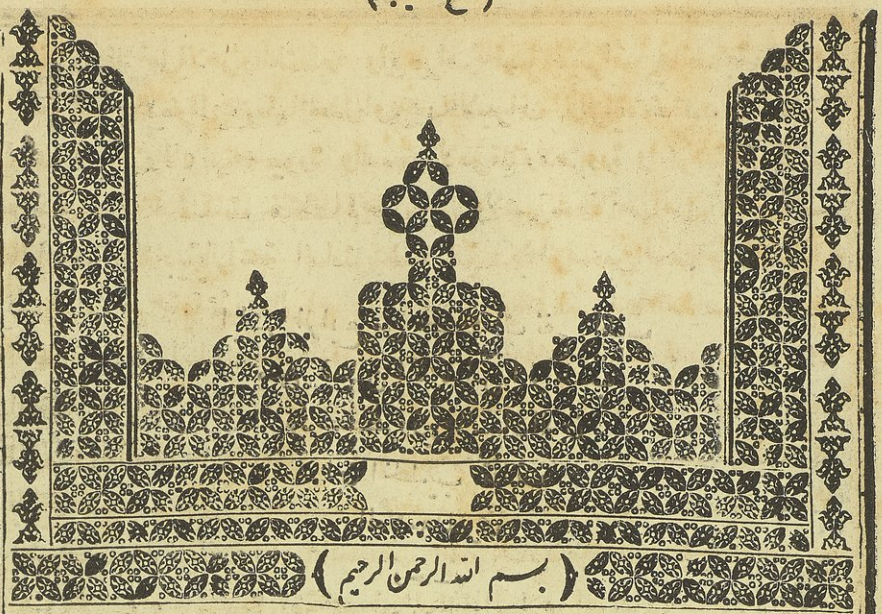

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الخامس)

فى ايراد جملة من نثره الذى عبق أريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذى تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل به من أزجاله وموشحاته ومناسبات رائقة فى فنون الادب ومصطلحاته اعلم سلك الله تعالى بى وبك أوضح محجه وجعلنا ممن انتحى صوب الصواب ونهجه ان هذا الباب هو المقصود بتأليف هذا الكتاب وغيره كالتبع له وها أنا اذكر ما حضرنى الآن من بنات أفكار لسان الدين التى هى بالمحاسن متقنعة وللبدائع متعلة فأقول * أما نثره فهو البحر الزخار بل الدر الذى به الافتخار وناهيك أن كتبه الآن فى المغرب قبلة ارباب الانشاء التى اليها يصلون وسوق دورهم النفيسة التى يزينون بها صدور طروسهم ويحلون وخصوصا كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فانه وان تعددت مجلداته على فن الانشاء والكتابة مقصور وقد اشتمل على السلطانيات وغيرها ومخاطباته لاهل المشرق والمغرب على لسان ملوك الاندلس الذين علم بلاغتهم منصور وقد تركت نسختى منه فى المغرب ولو حضرتنى لكفتنى عن هذه الفوائد التى أتعبت خاطرى فى جمعها من مقيداتى التى صحبتها معى وهى قليلة (وقد) مر فى هذا الكتاب جملة من نثره ونظمه والذى نجلبه هنا زيادة على ما سبق (وقال) رحمه الله تعالى فى الاحاطة عند ترجمة نثره ما صورته وأما النثر فبحر زاخر ومدى طوله مستأخر وانك لم يفخر عليك كفاخر وقد مر منه فى تضاعيف هذا الديوان كثير ونحن نجلب منه ما يشير اليه مشير انتهى * فمن ذلك قوله فى غرض التحميد مما افتتح به الكتاب فى التاريخ المتضمن دولة بنى نصر الحمد لله الذى جعل الازمنة كالافلاك ودول الاملاك كالنجم الاحلاك تطلعها من المشارق نيره وتلعب بها مستقيمة أو متحيره ثم تذهب بها غائرة متغيره السائق بجل وطبع الوجود مرتجل والحى من الموت وجل والدهر لا معتذر ولا نجل يفتاتى الدست عظيم الزحام والموكب شديد الالتحام والوزعة نشير والابواب يقرعها البشير

والسرور

والسرور قد شمل الاهل والعشير والاطراف تلثمها الاشراف والطاعة يشهرها الاعتراف والاموال يحوطها العدل او يبيحها الاسراف والرايات تعقد والاعطيات تنقد اذ رأيت الابواب مهجورة والدسوت لامؤمله ولامزورة والحركات قد سكنت وأيدى الادالة قد تمكنت فكانما لم يسمر سامر ولانهى ناه ولا أمر آمر ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح (ومن نثره) قوله فى استدعاء امداد وحض على الجهاد أيها الناس رحمكم الله تعالى اخوانكم المسلمون بالاندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم وزحفت أحزاب الطواغيت اليهم ومد الصليب ذراعيه عليهم وأيديكم بعزة الله تعالى أقوى وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى وهو دينكم فانصروه وجواركم الغريب فلا تخفروه وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه الجهاد الجهاد فقد تعين الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين الله الله فى الاسلام الله الله فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام الله الله فى المساجد المعمورة بذكر الله الله الله فى وطن الجهاد فى سبيل الله قد استغاث بكم الدين فأغيثوه قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه أعينوا اخوانكم بما أمكن من الاعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد جددوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد صلوا رحم الكلمة واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة كتاب الله بين أيديكم والسنة الآيات تناديكم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم والله سبحانه يقول فيه يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ومما صح عنه قوله من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت بادروا عليل الاسلام قبل أن يموت احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسأل كم عن عباده جاهدوا فى الله بالالسن والاقوال حق جهاده

ماذا يكون جوابكم لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم فى أمتى * وتركتموهم للعدو المعتدى
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحياء من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد اللهم ثبت لنا الحمية فى البلاد اللهم ادفع عن الحريم والضعف والاولاد اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين اللهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى (ومن ذلك) قوله فى صداق أمره السلطان بانشائه لكبير الشرفاء بفاس فى فصل منه تضمن ذكر أوليتهم واستيطانهم لتلك المدينة ما صورته فضرب بفاس عمرها الله تعالى حلته وأورث منها بالبقعة الزكية الرفيعة سراته وجلته فتبوؤا من ذلك الغور المعشب الروض الارج النور هالة سعد وافق برق ورعد ودست وعيد ووعد ينتاقلون رتب الشرف الصريح كابرا عن كابر ويروى

مسلسل المجد عن بيتهم الرفيع الجد كل حريص على عوالى المعالى مثابر
فالكف عن صلة والاذن عن حسن * والعين عن قرة والقلب عن جابر
حيث الانوف الشم والوجوه الغر والعزة القعساء والنسب الحر والفواطم فى صدف
الصون من لدن الكون كأنهن الدر آل رسول الله ونعم الآل والموارد الصادقة اذا
كذب الآل ومن اذا لم يصل عليهم فى الصلاة حبطت منها الاعمال طيبة الراكب ونشدة
الطالب وسراة لؤى بن غالب وملتقى نور الله تعالى ما بين فاطمة الزهراء وعلى بن أبى
طالب انتهى وهو طويل لم يحضرنى منه الآن سوى ماذكرته *(ومن ذلك) قوله رحمه
الله تعالى كتبت الى بعض السادة الفضلاء وقد بلغنى مرضه أيام كان الانزعاج عن الاندلس
الى الاباالة المرينية وردت على من فتى التى اليها فى معركة الدهر أتحيز وبفصل فضلها فى
الاقدار المشتركة أتميز سحاة سرت وساءت وبلغت من القصدين ماشاءت أطلع بها
صنيعة ودّه من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم
نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل
ونوى مدّت لغير ضرورة يرضاها الخليل فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد الى رأس ماله
أو عابد نوزع فى تقبيل أعماله أو آمل ضويق فى فذلكة آماله لكنى رجحت دليل المفهوم
على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الحظ يهر والحمد لله
ويروق واللفظ الحسن نومض فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب ورد
من الصحة المغتصب وآلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على
سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فقليدا حتياطى لا يقنعه
الا الشرح فيه يسكن الظمأ البرح وعذرا عن التكليف فهو محل الاستقصاء
والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق فى مثلها أورى والشفيق بسوء الظن
مغرى والسلام (ومن نثر لسان الدين) ماذكره فى الاحاطة فى ترجمة أبى عبد الله
الشديد وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن ابراهيم الانصارى الجيانى الاصل ثم المالقى اذ قال
ماصورته جملة جمال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله بليل دوح السبع المثانى
وماشطة عروس أبى الفرج بن الجوزى وآية صقعه ونسيج وحده فى حسن الصوت
وطيب النغمة اقتحم لذلك دسوت الملوك وجرّ اذيال الشهرة عذب الفكاهة ظريف
المجالسة قادرا على المحاكاة متسورا حمى الوقار ملبيا داعى الانبساط قلد شهادة
الديوان بمالقة فكان مغار جبل الامانه شامخ مارن النزاهة لوحا للالقاب وعززت
ولايته ببعض الالقاب النبيهة وهو الآن الناظر فى أمور الحسبة ببلده ولذلك خاطبته برقعة
أداعبه بها وأشير الى اضداده بمانصه

يا أيها المحتسب الجزل * ومن لديه الجد والهزل
بهنيك والشكر لمولى الورى * ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب المنتمى الى النزاهة المنتسب أهنيك ببلوغ تمنيك وأحذرك من
طمع نفس بالغرور تمنيك فكانى بك وقد طافت بركابك الباعه ولزم أمرك السمع

والطاعة وارتفعت فى مصانعتك الطماعة وأخذت أهل الريب بغتة كما تقوم الساعة ونهضت تقعد وتقيم وسطورتك الريح العقيم وبين يديك القسطاس المستقيم ولا بد من شرك ينصب وجماعة على ذى جاه تعصب ودالة يمت بها الجناب الاخصب فان غضضت طرفك أمنت على الولاية صرفك وان ملأت ظرفك رحلت عنها حرفك وان كففت فيها كفك حفك العزفيمن حفك فكن لقالى المجبنة قاليا ولحوت السلة ساليا وأبد لدقيق الحوارى زهد حوارى وازهد فيما بأيدى الناس من العوارى وسر فى اجتناب الحلواء على السبيل السواء وارفض فى الشواء دواعى الاهواء وكن على الهراس وصاحب ثريد الراس شديد المراس وثب على طبيخ الاعراس ليثامر هوب الافتراس وأدب أطفال الفسوق فى السوق سيما من كان قبل البلوغ والبسوق وصمم على استخراج الحقوق والناس أصناف فنهم خسيس يطمع منك فى أكله ومستعد عليك بوكزة أوركله وحاسد فى مطية تركب وعطية تسكب فاخفض للحاسد جناحك وسدد الى حربه رماحك وأشبع الخسيس منهم مرقة فانه حنق ودس له فيها عظما لعله يختنق واحفر لشرهم حفرة عميقة فانه العدو حقيقة حتى اذا حصل وعلمت ان وقت الانتصار قد اتصل فأرقع وأوجع ولا ترجع وأولياءه من الشياطين فأجمع والحق أقوى وان تعفو أقرب للتقوى سددك الله تعالى الى غرض التوفيق وأعلقك من الحق بالسبب الوثيق وجعل قدومك مقرونا برخص اللحم والزيت والدقيق انتهى (ومما كتب به) لسان الدين الى على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن رح بن عبد الله بن عبد الحق من مدينة سلا مانصه

ياجملة الفضل والوفاء * ما بعمالیك من خفاء
عندى بالود فيك عقد * صحفه الدهر با كتفاء
ما كنت أقضى حلاك حقا * لو جئت مدحا بكل فاء
فأول وجه القبول عذرى * وحسبك الشك فى صفاء

سيدى الذى هو فصل جنسه ومزية يومه على أمسه فان افتخر الدين من أبيك بيدره افتخر منك بشمسه ورحلت على المنشا والقرارة ومحل الصبوة والفرارة فلم تتعلق نفسى بذخيرة ولا عهد جيرة خيرة كتعلقها بتلك الذات التى لطفت لطافة الراح واشتملت بالمجد الصراح شفقة ان تصيبها معرة والله تعالى يقيها ويحفظها ويبقيها اذ الفضائل فى الازمان الرذلة غوائل والضد عن ضده منحرف بالطبع ومائل فلما تعرفت خلاص سيدى من ذلك الوطن والقاءه وراء الفرضة بالعطن لم تبق لى تعلة ولا أحرضتنى له علة ولا أوتى جمعى من قلة فكتبت أهنئ نفسى الثانية بعد هنائه نفسى الاولى وأعترف للزمان باليد الطولى فالحمد لله الذى جمع الشمل بعد شتاته وأحيا الانس بعد مماته سبحانه لا مبدل لكلماته واياه اسأل أن يجعل العصمة حظ سيدى ونصيبه فلا يستطيع حادث أن يصيبه وأنا أخرج له عن بث كين ونصح أنا به قمين بعد أن أسبر غوره وأخبر طوره وأرصد دوره فان كان له فى التشريق أمل وفى ركب الجاز ناقة وجمل والرأى فيه قد نجحت منه

نية وعمل فقد غنى عن عرف البقرات بأزكى الثمرات وأطفأ هذه الجمرات برمى
الجمرات وتانس بوصل السرى ووصال السرات وأنابه ان رضيني أرضى مرافق ولواء
عزى به خافق وان كان على السكون بناؤه وانصرف الى الاقامة اعتناؤه فأمر له
مابعده والله يحفظ من الغير سعده والحق ان تحذف الابهة وتختصر ويحفظ اللسان
ويغض البصر ويخرط فى الغمار ويخلى عن المضمار ويجعل من المحظور مداخلة من
لاخلاق له ممن لايقبل الله تعالى قوله ولاعمله فلايكتم سرا ولايتوقى من الرجولة
زرا ويرفض زمام السلامة وترك العلامة على النجاة علامة وأما حالى فكما علمتم
ملازم كن ومهبط تجربة وسن أزجى الايام وأروم بعد التفرق الالتئام خالى البد
ملىء القلب والخلد بفضل الواحد الصمد عامل على الرحلة الحجازية التى أختارها لكم
ولنفسى وأصل فى التماس الاعانة عليها يومى بأمسى أوجب ماقررته لكم ماأنتم أعلم
به من ودّ قررته الايام والشهور والخلوص المشهور وماأطلت فى شىء عندقدومى على
هذا الباب الكريم اطالتى فيما يختص بكم من موالاته وبذل مجهود القول والعمل فى
مرضاته وأما ذكركم فى هذه الاوضاع فهو مما يقرّ عين المجادة والوظيفة التى ينافس فيها
أولوا السيادة والله يصل بقاءكم وييسر لقاءكم والسلام انتهى * (ومن نثر لسان الدين)
ماأثبته فى الاحاطة فى ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذى تكرر نقلنا منه فى هذا
التأليف (ولنذكر الترجمة بجملتها فنقول) قال رحمه الله تعالى فى الاحاطة مانصه
عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن
ابن خلدون الحضرمى من ذرية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوار الاندلس وينسب
سلفهم الى وائل بن حجر وحاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة انتقل
سلفه من مدينة اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها أو قبل ذلك فاستقر
بتونس منهم ثانى المحمدين محمد بن الحسن وتناسلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة
وتصرف جدّ المترجم به فى القيادة وأما المترجم به فهو رجل فاضل حسن الخلق جمّ
الفضائل باهر الخصل رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد وقور المجلس خاصى
الزىّ عالى الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوىّ الجاش طامح العنن الرياسة
خاطب للحظ متقدم فى فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح
التصوّر بارع الخط مغرى بالتجلة جواد حسن العشرة مبذول المشاركة مقيم لرسم
التعين عاكف على رعى خلال الاصالة مفتخر من مفاخر النجوم المغربية قرأ القرآن ببلده
على المكتب بن برال والعربية على المقرى الزواوى وغيره وتأدب بأبيه وأخذ عن
المحدث أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى وحضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد
السلام وروى عن الحافظ أبى عبد الله السطى والرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى
ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الابلى وانتفع به انصرف من افريقية منشئه بعد أن
تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة واقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة
وخمسين وسبعمائة وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوق العلم والادب أبى عنان

فارس بن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني وشفوفه بثقوب الفهم وجودة الادراك فأغروا به السلطان اغراء عضده ما جبل عليه عهد اذ من اغفال التحفظ مما يريب لديه فأصابته شدة تخلصه منها أجله كانت مغربة في جفاء ذلك الملك وهناة جواره واحدى العواذل لأولى الهوى في القول بفضله وعدم الخشوع واهمال التوسل وابادة المكسوب في سبيل النفقة والارضاخ على زمن المحنة وجار المنزل الخشن الى ان أفضى الامر الى السعيد ولده فأعتبه قيم الملك لحينه وأعاده الى رسمه ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان له به الاتصال قبل تسوغ المحنة بما أكد حظوته فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامه ولما ألقت الدولة مقادها بعده الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الامر وله اليه وسيلة وفي حليه شركة وعنده حق رابه تقصيره عما ارتمى اليه أمله فساء ما بينهما بما آل الى انفصاله عن الباب المريني وورد على الاندلس في أول ربيع الاول عام أربعة وستين وسبعمائة واهتزله السلطان واركب خاصته لتلقيه وأكرم وفادته وخلع عليه وأجلسه بمجلسه ولم يدخر عنه برا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة وفكاهة (وخاطبني لما حل بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن (فأجبته) عنها بقولي

حللت حلول الغيث في البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المهدا والكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطة * تنسى اغتباطي بالشبيبة والأهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف نماء ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته أو يقدح ذبالة في ظلمته أو يقوم حواريه في ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى في النعيم ومراح وقصف صراح ورقي وجراح وانتحاب وافتراح وصدور ما بها الا انشراح ومسرات تردفها أفراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما في نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا أكف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان راقني زمنه وأعياني ثمنه وأجدت سحائب دمعي دمنه فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي وملكني أزمة آرابي وغبطني بمائي وترابي ومألف أترابي وقد أغصني بلذيذ شرابي ووقع على سطوره المعتبرة اضرابي وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية ومنتهى الطية وملتقى السعود غير البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطية فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى مهريك ومولى مكارمه نشيدة أمثالك ومظان مثالك وسيصدق الخبر ما هنالك ويسع فضل مجدك في التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام

* ولما استقر بالحضرة جرت بيني وبينه مكاتبات أقطعها الظرف جانبه وأوضح الادب مذاهبه فمن ذلك ما خاطبته به وقد تسرى جارية رومية اسمها هند صيحة الابتناء بها

أوصيك بالشيخ أبي بكره * لا تأمنن في حالة مكره

واجتنب الشك اذا جئته * جنبك الرحمن ما تكره

سيدي لا زالت تتصف بالوالج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض الهمالج أخبرني كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال وأحكم بمرود المراودة الاكتحال وارتفع بالسقيا الامحال وصح الانتحال وحصحص الحق وذهب المحال وقد طوعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر فلله من عشية تمتعت من الربيع بفرش موشية وأبدلت منها أي آساد وحشية وقد أقبل ظبي الكناس من الدعاس ومطوق الحمام من الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظرية واذيلت عن الفرع الاثيث الابرية وصقلت الخدود فكانها الامرية وسلط الدلك على الجلود واغريت النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء يزلق عنها اللمس ولا تنالها البنان الخمس والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم والمسوالذيلي من ثنية التنعيم والقلب يرمي من الكف الرقيم بالمقعد المقيم وينظر الى بخوم الوشوم فيقول انى سقيم وقد تفتح ورد الخفر وحكم لزنجي الظفيرة بالظفر واتصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق ببياله دخان العود الرطيب وأقبلت الغادة يهديها اليمن وتزفها السعادة فهي تمشي على استحيا وقد ذاع طيب الريا وراق حسن المحيا حتى اذا نزع الخف وقبلت الاكف وصخب المزمار وتجاوب الدف وذاع الارج وارتفع الحرج وتجوز اللواء والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الارض وربت وعوصيت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت فقالت متى نلتقي * فهش اشتياقا اليها الخميث

وكاد يمزق سربا له * فقلت اليك يساق الحديث

فلما انسدل جنح الظلام وانتصفت من غريم العشاء الاخيرة فريضة السلام وخاطت خيوط المنام عيون الانام تأتى دنو الجلسة ومسارقة الخلسة ثم عضة النهد وقبلة الفم والخد وارسال اليد من النجد الى الوهد وكانت الامالة القليلة قبل المد ثم الافاضة فيما يغبط ويرغب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم اعمال المسير الى السرير

وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا * ورضت فذلت صعبة أي اذلال

وهذا بعد منازعة للاطواق يسيرة يراها الغيد من حسن السيرة ثم شرع في حل التكة ونزع الشكة وتهيئة الارض العزاز عمل السكة ثم كان الوحى والاستجمال وحمى الوطيس والمجال وعلا الجزأ الخفيف وتضافرت الخصور الهيف وتشاطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الاخذ الوبيل وامتاز الانوك من النبيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيالها من نعم متداركة ونفوس في سبيل القحمة متهالكة ونفس يقطع حروف الحلق وسبحان الذي يزيد في الخلق وعظمت الممانعة وكثرت باليد

المصانعة وطال التراوغ والتزاور وشكى التحاور وهنالك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخسر أو تربح الاموال فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا ونونة تصير تنينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قرنه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الازارقة من الخوارج فى الاعتراض ثم شق الصف وقد خضب الكف بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته ويومئ بمقت الله ولعنته

طعنت ابن عبد الله طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع اضاءها

وهنالك هدأ القتال وسكن الخبال . ووقع المتوقع فاستراح البال وتشوف الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال وكثر السؤال عن المبال بمبال وجعل الجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه

انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه نعبا

ومن سنان عاد عنانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده فى جيبه فانجحرت الحمية وماتت الغريزة الحية وهنالك يزيغ البصر ويخذل المنتصر ويسلم الاسر ويغلب الحصر ويجف اللعاب ويظهر العباب ويحتفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والأرق وينشأ فى محل الامن الفرق ويدرك فرعون الغرق ويقوى اللجاج ويعظم الخرق فلا تزيد الحال الاشدة ولا تعرف تلك الجائحة المؤمنة الاردة

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكرة ليزيل المعرة ويستنصر الخيال ويعمل بالمد الاحتمال

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

ومعتذر بمرض أصابه جزعه أو صابه ووجع طرقه جلب ارقه وخطيب ارتج عليه أحيانا فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا اللهم انا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت اقفالها ولم تتسم بالنجيع اغفالها ومن معرات الاقذار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل ثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحيى من البكر بالغداة وتعلم منه كلال الاداة وهو مجال فضحت فيه رجال وفراش شكيت فيه اوجال وأعملت رويه وارتجال فمن قائل

أرفعه طورا على اصبعى * ورأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى على * عود لكى يطرح فى مزبله

وقائل

عدمت من ايرى قوى حسه * ياحسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله * كحائط خر على أسه

وقائل

أيحسدنى ابليس دامين أصبحا * برجلى ورأسى دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده * رخاوة ايرا لا يطيق قياما

اذا نهضت للنيك أرباب معشر * توسد احدى خصيتيه وناما

وقائل

أقول لايرى وهو يرقب فتكة * به خبث من ايرو عالتك داهيه
اذا لم يكن للاير بخت تعذرت * عليه وجوه النيك من كل ناحيه

وقائل

تعقف فوق الخصيتين كانه * رشاء الى جنب الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وقائل

تكرش ايرى بعدما كان أملسا * وكان غنيا من قواه فافلسا
وصار جوابى للمها ان مررن بى * مضى الوصل الا منبة تبعث الاسى

وقائل

بنفسى من حيته فاستخف بى * ولم يخطر الهجران يوما على بالى
وقابلنى بالغور والنجد بعدما * حططت به رحلى وجردت سربالى
وما أربحى من موسر فوق تكة * عرضت له شيأ من الخشف البالى

هموم لاتزال تبكى وعلل الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى فان كنت أعزك الله سبحانه من النمط الاول ولم تقل * وهل عند رسم دارس من معول * فقد جنيت الثمر واستطبت السمر فاستدع الابواق من أقصى المدينة واخرج على قومك فى ثياب الزينة واستبشر بالوفود وعرف المسمع عارفة الجود وتبجح بصلابة العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف بنان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض النمد وانتظر الامد واكذب التوسم واستعمل التبسم واستكثم النسوة وأفض فيهن الرشوة وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قميصه بدم كذب واستنجد الرحمن واستعن على أمرك بالكتمان

لاتظهرن لعاذل أو عاذر * حالك فى الضراء والسراء
فلرجة المتفجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وانتشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طما ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى واملك بعد هما عنان نفسك حتى تمكنك الفرصة وترفع اليك القصة ولاتسرع الى عمل لاتنى منه بتمام وخذ عن امام ولله در الحرث بن هشام

الله يعلم ماتركت قتالهم * حتى رموا مهرى باشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقتل ولم يضرر عدوى مشهدى
فصررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

واللبانات تلين وتجمح والمآرب تدنو وتنزح وتحرن ثم تسمح وكم من شجاع خام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأضل الفريق والله عز وجل يجعلها خلة موصولة وشملا اكافه بالخير مشمولة وبنية أركانها لركائب اليمن مأمولة حتى تكثر خدم سيدى وجواريه

وأسرته وسراريه وتضفو عليه نعم باريه ما طورد قنيص واقتحم عيص وأدرك مرام عويص وأعطى زاهد وحرم حريص والسلام * (تواليفه) شرح البردة شرحا بديعا دل به على انفساح ذرعه وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيرا من كتب ابن رشد وعلق للسلطان أيام نظره فى العقليات تقييدا مفيدا فى المنطق ولخص محصل الامام فخر الدين الرازى وبه داعبته اول لقيه فقلت له لى عليك مطالبة فانك لخصت محصلى وألف كتابا فى الحساب وشرع فى هذه الايام فى شرح الرجز الصادر عنى فى أصول الفقه بشئ لا غاية فوقه فى الكمال * (وأما نثره وسلطانياته السجعية) فخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع يفرغ عنها يراعه الجرىء شبيهة البدآت بالخواتم فى نداوة الحروف وقرب العهد بجرية المداد ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع * (وأما نظمه) فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر ونقده باعتبار أساليبه فاشتمال عليه جوه وهان عليه صعبه فأتى منه بكل غريبة (خاطب) السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة أولها

اسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين وقفة ساعة * لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروبى
يا ناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء الملام لدى غير شريب
ما هاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أهفو الى الاطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ريب
عبثت بها أيدى البلى وتردت * فى عطفها للدهر آى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها الى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم انسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة محاسنها بما * لبست من الايام كل قشيب
يا سائق الاظعان تعتسف الفلا * وتواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من اين ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
أو تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب
فى كل شعب منية من دونها * هجر الامانى أو لقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن الى التى * فيها لبانة أعين وقلوب

فتؤم من اكناف يثرب مأمنا * يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر غريب لم يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته

ياسيد الرسل الكرام ضراعة * تقضى منى نفسى وتذهب حوبى
عاقت ذنوبى عن جنابك والمنى * فيها تعللنى بكل كذوب
لا كالالى صرفوا العزائم للتقى * فاستأثروا منها بخير نصيب
لم يخلصوا لله حتى فرقوا * فى الله بين مضاجع وجنوب
هب لى شفاعتك التى أرجو بها * صفحا جميلا عن قبيح ذنوبى
ان النجاة وان أتيحت لامرئ * فبفضل جاهك ليس بالتسبيب
انى دعوتك واثقا باجابتى * ياخير مدعو وخير مجيب
قصرت فى مدحى فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغى المطيل وقد حوى * فى مدحك القرآن كل مطيب
ياهل تبلغنى الليالى زورة * تدنى الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتى باخلاصى بها * وأحط أوزارى واصر ذنوبى
فى فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا * ماشئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادى بذكرك ردّدوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرّد الركب الجلى بطيبة * حنو المغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة فى بنى يعقوب
الطاعنون الخيل وهى عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات هوا تنا * من كل خوّار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضهم * فى منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها

سائل به طامى العباب وقد سرى * تزجى بريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه * وسطا الهدى بفريقها المغلوب
يا ابن الالى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروك بتاجها المعصوب
جمعوا بحفظ الدين آى مناقب * كرموا بها فى مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك والعلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرقوب

تحيي المعالى غاديا أو رائحا * وجديد سعدك ضامن المطلوب

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الزرافة

قدحت يد الاشواق من زندى * وهفت بقلبى زفرة الوجد
ونبذت سلوانى على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه مؤلم الصد
لاعهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام اضاع من عهدى
يلحى العذول فما اعنفه * واقول ضل فأبتغى رشدى
واعارض النفحات أسألها * برد الجوى فتزيد فى الوقد
تهدى الغرام الى مسالكها * لتعللى بضعيف ماتهدى
يا سائق الوجناء معتسفا * طى الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب فتى الصبا نبأ * يغنى عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكنى نجد وعن نجد
مالى تلام على الهوى خلقى * وهى التى تأبى سوى الحمد
لابيت الا الرشد مذوضحت * بالمستعين معالم الرشد
نعم الخليفة فى هدى وتقى * وبناء عز شامخ الطود
نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلا بمواهب الوجد

ومنها

لله منى اذ تأوبنى * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواتر اقضبا * وجموع أقيال أولى أيد
أوريت زند العزم فى طلبى * وقضيت حق المجد من قصدى
ووردت عن ظمأ مناهله * فرويت من عز ومن رفد
هى جنة المأوى لمن كلفت * آماله بمطالب المجد
لولم أعل بورد كوثرها * ماقلت هذى جنة الخلد
من مبلغ قومى ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
انى أنفت على رجائهم * وملكت عز جميعهم وحدى

ومنها

ورقيمة الاعطاف حالية * موشية بوشائع البرد
وحشية الانساب ماأنست * فى موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ماجهد
طالت رؤس الشامخات به * ولربما قصرت عن الوهد
قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القن والقد
بسعودك اللاءى ضمن لنا * طول الحياة بعيشة رغد

جاءتك فى وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك أنضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
كالطيف يستقرى مضاجعه * أو كالحسام يسل من غمد
يثنون بالحسنى التى سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * نخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل فى شرف * عن رتبة المنصور والمهدى
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم ماتسدى
وبقيت للدنيا وساكنها * فى عزة أبدا وفى سعد

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب

ياسيد الفضلاء دعوة مشفق * نادى لشكوى البث خير سميع
مالى وللاقصاء بعد تعلة * بالقرب كنت لها أجل شفيع
وأرى الليالى رنقت لى صافيا * منها فأصبح فى الاجاج شروعى
ولقد خلصت اليك بالقرب التى * ليس الزمان لشملها بصدوع
ووثقت منك بأى وعد صادق * انى المصون وأنت غير مضيع
وسما بنفسى للخليفة طاعة * دون الانام هوالك قبل نزوع
حتى انتحانى الكاشحون بسعيهم * فصددتهم عنى وكنت منيعى
رغمت أنوفهم بنجح وسائلى * وتقطعت أنفاسهم بصنيعى
وبغوا بما نقموا على خلائقى * حسدا فراموني بكل شنيع
لاتطمعنهم ببذل فى التى * قد صنتها عنهم بفضل قنوعى
أنى أضام وفى يدى القلم الذى * ماكان طبعه لهم بمطيع
ولى الخصائص ليس تأبى رتبة * حسبى بعلمى ذاك من تفريعى
قسما بمجدك وهو خير أالية * أعتدها لفؤادى المصدوع
انى لتصطحب الهموم بمضجعى * فتحول مابينى وبين هجوعى
عطفا على بوحدتى عن معشر * نفث الاباء صدورهم فى روعى
أغدو اذا باكرتهم متجلدا * وأروح أعثر فى فضول دموعى
حيران أوجس عند نفسى خيفة * فتسر فى الاوهام كل مروع
أطوى على الزفرات قلبا أدته * حمل الهموم تجول بين ضلوعى
ولقد أقول لصرف دهر رابنى * بحوادث جاءت على تنويع
مهلا عليك فليس خطبك ضائرى * فلقد لبست له أجن دروع
انى ظفرت بعصمة من أوحد * بذا الجميع بفضله المجموع

وقال يخاطب بعض الوزراء فى حال وحشة

هنيأ بصوم لاعداه قبول * وبشرى بعيد أنت فيه منيل
وهنيتها من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولامس ربعا فى حماك محول
فصبرك مابين الليالى مواسم * لها غرروضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عسالك وان ضن الزمان منوّلى * فرسم الامانى من سوالك محيل
أجرنى وليس الدهر لى بمسالم * اذالم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا وينيل
ووالله مارمت الترحل عن قلى * ولاسخط للعيش فهو جزيل
ولارغبة فى هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنى حبائب * دعاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز عليهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارت بأنبائى البقاع كأننى * تخطفت أوغالك ركابى غول
ذكرتك يامغنى الاحبة والهوى * فطارت بقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق ربالك كانما * يمثل لى نوى بها وطلول
أأحبابنا والعهد بينى وبينكم * كريم وماعهد الكريم يحول
اذا انا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
الام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
أجاذب فضل العمر يوما وليلة * وساء صباح بينها وأصيل
ويذهب فيما بين يأس ومطمع * زمان بنيل المكرمات بخيل
تعللنى منه أمانى خوادع * ويؤيسنى ليان منه مطول
أما لليال لاترد خطوبها * فنى كبدى من وقعهن فلول
يروّعنى من صرفها كل حادث * تكاد له صم الجبال تزول
أدارى على رغم العدا لارية * بصانع واش خوفها وعذول
وأغدو بأشجانى عليلا كانما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى ساوتى وتزيل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لايضام نزيل
لاعلم أن الخير والشر ينتهى * مداه وأن الله سوف يديل
وانى عزيز بابن ماساى مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

وقال يمدح

هل غير بابك للغريب مؤمّل * أوعن جنابك للامانى معدل
هى همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ المدنيا ومنتجع المنى * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنى بها زهر النجوم وتحفل

حيث الخيام البيض ترفع للعلا * والمكرمات طرا فها المتهدل
حيث الحمى للعز دون مجاله * ظل أفاءته الوشيج الذبل
حيث الكرام ينوب عن نار القرى * عرف الكباء بحيهم والمندل
حيث الجياد أملهن بنو الوغى * مما أطالوا فى المغار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر فوق جبينها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الاولى * عز الجوار لديهم والمنزل

وأنشد السلطان أبا عبد الله بن الحجاج لاول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام أربعة وستين وسبعمائة هذه القصيدة

حى المعاهد كانت قبل تحيينى * بواكف الدمع يرويها ويظمينى
ان الالى نزحت دارى ودارهم * تحملوا القلب فى آثارهم دونى
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجينى
أمثل الربع من شوق وألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصينى
وينهب الوجد منى كل لؤلؤة * مازال جفنى عليها غير مأمون
سقت جفونى مغانى الربع بعدهم * فالدمع وقف على اطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل * لو أن قلبى الى السلوان يدعونى
أحبابنا هل لعهد الوصل مدكر * منكم وهل نسمة منكم تحيينى
مالى وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداوينى
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم انى ما مر ذكركم * الا انثنيت كأن الراح تثنينى
أصبو الى البرق من أنحاء أرضكم * شوقا ولولاكم ما كان يصبينى
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدى * حتى لاحسبه قربا يناجينى
أسلى هوالك فؤادى عن سوالفه * سوالف يوما بحال عنك يسلينى
ترى الليالى أنستك اذكارى يا * من لم يكن ذكره الايام تنسينى

ومنها

أبعد مر الثلاثين التى ذهبت * أولى الشباب باحسانى وتحسينى
أضعت فيها نفيسا ما وردت به * الا سراب غرور لا يرويني
واحسرتى من أمانى كلها خدع * تريش غيى ومر الدهر يبريني

ومنها فى وصف المشور المبنى لهذا العهد

يا مصنعا شيدت منه السعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف مفتتنا * فيما يروقك من شكل وتكوين
بعد الايوان كسرى ان مشورك الـ * ـسامى لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك اذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه بسببه

من مبلغ عنى الصحب الالى جهلوا * ودى وضاع حماهم اذ أضاعونى
انى اويت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحيينى
وانى ظاعن لم ألق بعدهم * دهرا أشاكى ولا خطبا يشاكينى
لا كالتى أخفرت عهدى ليالى اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامى التى ظفرت * يداى منها بحظ غير مغبون
ارتاد منها مليا لايما طلنى * وعدا وأرجو كريما لا يعنينى

ومنها

وهاك منها قوافى طيها حكم * مثل الازاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثنى عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كل شاردة * لولا سعودك ما كانت قواتينى
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزن بطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذللت لى شواردها * فرضت منها بتصبير وتزيين
بقيت دهرك فى أمن وفى دعة * ودام ملكك فى نصر وتمكين

وهو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة والحظوة قد استعمل فى السفارة الى ملك قشتالة فراقه وعرف حقه * مولده بتونس بلده فى شهر رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين فى حق ابن خلدون * قلت هذا كلام لسان الدين فى حق المذكور فى مبادى أمره وأواسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير الذى نقلنا منه فى مواضع وسماه ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ورأيته بفاس وعليه خطه فى ثمان مجلدات كبار جدا وقد عرف فى آخره بنفسه وأطال وذكر انه لما كان بالاندلس وحظى عند السلطان أبى عبد الله شم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرحال ولم يرض من الاقامة بحال ولعب بكرته صوالجة الاقدار حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار وتولى بها قضاء القضاة وحصلت له أمور رحمه الله تعالى (وكان) أعنى الولى بن خلدون كثير الثناء على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى (ولقد رأيت بخط العالم الشهير) الشيخ ابراهيم الباعونى الشامى فيما يتعلق بابن خلدون ما نصه محل الحاجة منه تقلبت به الاحوال حتى قدم الى الديار المصرية وولى بها قضاء قضاة المالكية فى الدولة الشريفة الظاهرية وصحبته رحمه الله تعالى فى سنة ٨٠٣ عند قدومه الى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق فى فتنة تمرلنك عليه من الله تعالى ما يستحقه وأكرمه تمرلنك غاية الاكرام وأعاده الى الديار المصرية وكنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للموقة الحاصلة بينى وبينه وكان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب ويورد من نظمه ونثره ما يشنف به الاسماع وينعقد على استحسانه الاجماع وتتقاصر عن ادراكه الاطماع فرحمة الله تعالى عليهما وأزكى تحياته تهدى اليهما ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان وله من النظم والنثر ما يزرى بعقود الجمان مع الهمة العلية والتبحر فى

العلوم النقلية والعقلية وكانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ٨٠٧ سقى الله تعالى عهده ووطأ في الفردوس مهده قاله وكتبه الفقير الى الله تعالى ابراهيم بن أحمد الباعوني الشافعي غفر الله تعالى له زلله وأصلح خلله انتهى (ومن نثر لسان الدين) ماذكره في الاحاطة في ترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطي من بني الترجمان ولنذكر الترجمة بجملتها الاشتمال بها على ماذكر وغيره في حق المذكور وبعد قوله انه من بني الترجمان ماصورته عزف عنهم وانقطع الى لقاء الصالحين وصحبة الفقراء المتجردين وكان نسيج وحده في طلاقة اللسان حافظا لكل غريبة من غرائب الصوفية يتكلم في مشكلاتهم حفظ منازل السائرين للهروي وتائية ابن الفارض مليح الملبس مترفع عن الكدية حسن الحديث صاحب شهرة ومع ذلك فغضوض منه محمول عليه لما جبل عليه من رفض الاصطلاح واطراح التغافل مولع بالنقد والمخالفة في كل مايطرق سمعه مرشحا ذلك بالجدل المبرم ذاهبا أقصى مذاهب القحة كثير الفلتات نالته بسبب هذه البلية محن ووسم بالرهق في دينه مع صحة العقد وهو الآن عامر الرباط المنسوب الى اللجام على رسم الشياخة عديم التابع مهجور الفناء قيد الكثير من الاجزاء منها في نسبة الذنب الى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ ومنها فيما اشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقادات جاب فيه كثيرا من الحكايات رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقري مايدل على استحسانه ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين الجد والقحة والجهالة والمجانة قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شئ اضجره منقولا من خطه بعد رد كثير منه للاعراب مانصه الله نور السموات من غير نار ولا غيرها والسلطان ظل له وسراجه في الارض ولكل منهما فراش مما يليق به ويتهافت عليه فهو تعالى محرق فراشه بذاته مغرقهم بصفاته وسراجه وظله هو السلطان محرق فراشه بناره مغرقهم بزيته ونواله ففراش الله تعالى ينقسم الى حافين ومسبحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين وفراش السلطان ينقسمون الى أقسام لايشذ أحدهم عنها وهم وزغة ابن وزغة وكلب ابن كلب وكلب مطلقا وعار ابن عار وملعون ابن ملعون وقط فأما الوزغة فهو المغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النصح وبذل الجهد والكلب ابن الكلب هو الكيس المتحرز في تهافته من احراق واغراق يعطى بعض الحق ويأخذ بعضه وأما الكلب مطلقا فهو المواجه وهو المشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة وأما العار ابن العار فهو المتعاطي في تهافته مافوق الطوق ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة اذا مر بهم جلف أو متعاظم يقولون هذا العار ابن العار بحسب نفسه رئيسا وذلك لقرب المناسبة فهو موضوع لبعض الرياسة كما ان الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة وأما الملعون ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لربه المنعم عليه في كبريائه وسلطانه وأما القط فهو الفقير مثلي المستغني عنه لكونه لاتختص به رتبة فتارة في حجر الملك وتارة في السنداس وتارة في أعلى الرتب وتارة محسن وتارة مسيء تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة اذ هو من الطوافين متطير بقتله واهانته تياه في بعض الاحايين بعزة يجدها

من حرمة أبقاها له الشارع وكل ذلك لا يخفى وأما الفراش المحرق فهو عند الدول نوعان تارة يكون ظاهرا وحسنه مسح المصباح وتصفية زيته واصلاح فتيله وسترد خانه ومسايسة مايكون من المطلوب منه ووجود هذا شديدا لملازمة ظاهرا وأما المحرق الباطن فهو المشار اليه فى دولته بالصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويتركل ماهو بسبيله فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذى هو مصباحهم فاذا أراد الله تعالى اهلاك المروءة واطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة وكان الامر كما رأيتم والكل فراش متهافت وكل يعمل على شاكلته * قال الوزير لسان الدين وطلب منى الكتب عليه بمثل ذلك فكتبت بعض أوراقه اثارة لضجره واستدعاء لفكاهة انزعاجه مانصه وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبى زكريا البرغواطى على برسام محموم واختلاط مذموم وانتساب زنج فى روم وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها ويتجنب عقيلة لم يملكها اذ المذكور لم يتلق شيأ من علم الاصول ولا نظر من الاعراب فى فصل من الفصول انما هى لمحة وخلاف وتهاون بالمعارف واستخفاف غير أنه يحفظ فى طريق القوم كل نادرة وفيه رجولية ظاهرة وعنده طلاقة لسان وكفاية قلما تتأتى لانسان فالى الله نضرع أن يعرفنا مقادير الاشياء ويجعلنا بمعزل عن الاغبياء وقد قلت مرتجلا من أول نظرة واجتزاء بقليل من كثرة

كل جار لغاية مرجوه * فهو عندى لم يعد حق الفتوه
وأراك اقتحمت ليلا بهيما * موجلا منك ناقة فى كتوه
لا اتباعا ولا اختراعا أتتنا * اذ نظرنا عروسك المجلوه
كل ما قلته فقد قاله النا * س مقالا آياته متلوه
لم تزد غير أن أبحت حمى الاعـ * ـراب فى كل لفظة مقروه
نسأل الله فكرة تلزم العقـ * ـل الى حشمة تحوط المروه
وعزيز على أن كنت يحيى * ثم لم تأخذ الكتاب بقوه انتهى

*(ومن بديع نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه لسلطان تلمسان اثر قصيدة سينية حازت قصب السبق ولنثبت الكل هنا فنقول قال الامام الحافظ عبد الله التنيسى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى عند ماجرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبى حمو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى ماصورته وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا مايوجه اليه بالامداح ومن أحسن ماوجه له قصيدة سينية فائقة وذلك عند ما أحس بتغير سلطانه عليه فجعلها مقدمة بين يدى نجواه لتمهد له مثواه وتحصل له المستقر اذا الجأه الامر الى المفر فلم تساعده الايام كما هو شأنها فى أكثر الاعلام وهى هذه

اطلعن فى سدف الفروع شموسا * ضحك الظلام لها وكان عبوسا
وعطفن قضبا للقدود نواعما * بوئن أدواح النعيم غروسا
وعدلن عن جهر السلام مخافة الـ * ـواشى فجئن بلفظه مهموسا

وسفرن من دهش الوداع وقومهن الى الترحل قد أناخوا العيسا
وخلسن من خلل الجمال اشارة * فتركن كل جمالها مخلوسا
لم انسها من وحشة والحي قد * زجر الحمول وآثر التغليسا
لا الملتقى من بعدها كثب ولا * عوج الركائب تسأم التجنيسا
فوقفت وقفة هائم برحاؤه * وقفت عليه وحبست تحبيسا
ودعوت عيني عاتبا وعيونها * بعصا النوى قد بجست تبجيسا
نافست باعيني درّ دموعهم * فعرضت درّ الدموع نفيسا
ما للحمى بعد الاحبة موحشا * واكم تراءى آهلا مأنوسا
ولسربه حول الخميلة نافرا * عمن يحس به وكان أنيسا
ولظله المورود غمر قليبه * لا يقتضي وردا ولا تعريسا
حييته فأجابني رجع الصدى * لا فرق بينهما اذا ما قيسا
ما ان يزيد على الاعادة صوته * حرفا فيشفي بالمزيد نسيسا
نضب المعين وقلص الظل الذي * ظللنا عكوفا عنده وجلوسا
تتواعد الرجعى ونغتنم اللقا * وندير من شكوى الغرام كؤوسا
فاذا سألت فلا تسائل مخبرا * واذا سمعت فلا تحس حسيسا
عهدي به والدهر يخف بالمنى * وقد اقتضت نعماه أن لا بوسا
والعيش غض الريع والدنيا قد اجـ * ـتليت بغناه علي عروسا
أترى يعيد الدهر عهد الصبا * درست مغاني الانس فيه دروسا
أوطان أوطار تعوّد أنقها * من رونق البشر البهي عبوسا
هيهات لا تغني لعل ولا عسى * في مثلها الا لآية عيسى
والدهر في دست القضاء مدرّس * فاذا قضى يستأنف التدريسا
تفنن في جمل الورى أبحاثه * لاسيما في باب نعم وبيسا
وبحيلة الانسان ليس بناصل * من صبغها حتى يرى مرموسا
يغتر مهما ساعدت آماله * فاذا اعراه الخطب كان يؤوسا
فلو ان نفسا مكنت من رشدها * يوما وقدسها الهدى تقديسا
لم تستفز رسوخها النعمى ولا * هلعت اذا كشرت اليها البوسا
قل للزمان اليك عني متذمم * بضمان عز لم يكن ليخيسا
فاذا استحر جلاده فأنا الذي * استغشيت من سرد اليقين لبوسا
واذا طغى فرعونه فانا الذي * من ضره وأذاه عذت بموسى
أنا ذا أبو مثواه من يحمي الحمى * ليثا ويعلم بالزئير الخيسا
بحمى أبي حمو حططت ركائبي * لما اختبرت الليث والعريسا
أسد الهياج اذا خطا قدماسطا * فتخلف الاسد الهزبر فريسا
بدر الهدى يأبى الضلال ضياؤه * أبدا فيجلو الظلمة الحندسا

جبل الوقار رساوأشرف واعتلى * وسما فطأطأت الجبال رؤسا
غيث النوال اذا الغمام حلوبة * مثلت بأيدى الحالبين بسوسا
تلقاه يوم الانس روضا ناعما * وتراه بأسا فى الهياج بئيسا
كم غمرة جلى وكم خطب كفى * ان أوطأ الجرد العناق وطيسا
كم حكمة أبدى وكم قصد هدى * للسالكين ابان منه دريسا
أعلى بنى زيان والقد الذى * لبس الكمال فزين الملبوسا
جمع الندى والباس والشيم العلا * والسؤدد المتواتر القدموسا
والحلم ليس يباين الخلق الرضى * والعلم ليس يعارض الناموسا
والسعد يغشى حكمه عن نصبة * تستخبر الترييع والتسديسا
كم راض صعب الاراض معاصيا * كم خاض بحر الايخاض ضروسا
بلغ التى لا فوقها متمهلا * وعلا السها واستسفل البرجيسا
يا خير من خفقت عليه سحابة * للنصر تمطره أجش بجيسا
وأجل من حملته صهوة سابح * ان كز ضعضع كزه الكردوسا
قسما بمن رفع السماء بغير ما * عمد ورفع فوقها ادريسا
ودحا البسيطة فوق لج مزبد * ما ان يزال على القرار حبيسا
حتى يهيب بأهله الوعد الذى * حشر الرئيس اليه والمرؤسا
ما أنت الا ذخر هرك دمت فى * الحصون الحريز ممتعا محروسا
لوساومته الارض فيك بما حوت * لرآك مستاما بها مبخوسا
حلف البرور بها الية صادق * ويمين من عقد اليمين غموسا
من قاس ذاتك بالذوات فانه * جهل الوزان وأخطأ التقييسا
لا تستوى الاعيان فضل مزية * وطبيعة فطر الاله وسوسا
لعناية التخصيص سر غامض * من قبل ذرء الخلق خص نفوسا
من أنكر الفضل الذى أوتيته * بجد العيان وأنكر المحسوسا
من دان بالاخلاص فيك فعقده * لا يقبل التمويه والتلبيسا
والمنتمى العلوى عيصك لم تكن * لترى دخيلا فى بنيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذى * تحمى الملائك روحه المغروسا
أما سياستك التى أحكمتها * ورميت بالتقصير اسطاليسا
فلو أن كسرى الفرس أبصر بعضها * ما كان يطمع أن يعد بسوسا
لو سار عدلك فى السنين لما اشتكت * بخسا ولم يك بعضهن كبيسا
ولو الجوارى الخنس انتسبت الى * اقدام عزمك ما خنسن خنوسا
قدت الصعاب فكل صعب سامح * لك بالقياد وكان قبل شموسا
تلقى الليوث وللقتام غمامة * قدح الصفيح وميضها المقبوسا
وكأنها تحت الدروع اراقم * ينظرن من خلل المغافر شوسا

مالابن مامة فى القديم وحاتم * ضرب الزمان بجودهم ناقوسا
من جاء منهم مثل جودك كلما * حسبوا المكارم كسوة أوكيسا
أنت الذى فتك السفين وأهله * اذ أوسعت سبل الخلاص طموسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالـ * ـصدقات تبلس كرة ابليسا
وأعنت أندلسا بكل سبيكة * موسومة لاتعرف التدنيسا
وشحنته بالبر فى سبل الرضا * والبر قارب قاعها القاموسا
ان لم تجر بها الخميس فطالما * جهزت فيها للنوال خميسا
وملأت أيديها وقد كادت على * حكم القضاء تشافه التفليسا
صدقت للآمال صنعة جابر * وكفيتها التشميع والتشميسا
والحل والتقطير والتصعيد والـ * ـتخمير والتصويل والتكليسا
فسبكت من آمالها مالا ومن * أوراقها ورقا وكن طروسا
بهتوا فلما استخبروا لم ينكروا * وزنا ولا لونا ولا ملموسا
وتدير من قلب السطور سبائكا * منها ومن طبع الحروف فلوسا
ونحوت نحو الفضل تعضد منه بالـ * ـمسموع ما ألفيت منه مقيسا
وجبرت بعد الكسر قومك جاهدا * تغنى العديم وتطلق المحبوسا
ونشرت راية عرهم من بعدما * دال الزمان فسامها تنكيسا
أحكمت حيلة برئهم بلطافة * قد أعجزت فى الطب جالينوسا
وفللت من حد الزمان وانه * أوحى وأمضى من غرار الموسى
وشحذت حدا كان قبل مثلما * ونعشت جدا كان قبل تعيسا
لم ترج الا الله جل جلاله * فى شدة تكفى وجرح يوسى
قدمت صبحا فاستضأت بنوره * ووجدت عند الشدة التنفيسا
ما أنت الا والج متيقن * بالنجح تعمر ممرعا ويبيسا
ومناجز جعل الاريكة صهوة * عربية والمتكا القربوسا
ما ان تبايع أو تشارى واثقا * بالربح الا المالك القدوسا
والعزم يفترع النجوم بناؤه * مهما أقام على التقى تأسيسا
ومقام صبرك واتكالك مذكر * بحديثه الشبلى أو طاوسا
ومن ارتضاه الله وفق سعيه * فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا
ما ازددت بالتمحيص الا جدة * ونضوت من خلع الزمان لبيسا
ولطالما طرق الخسوف أهلة * ولطالما اعترض الكسوف شموسا
ثم انجلت نسماتها عن مشرق * للسعد ليس بحاذر تتعيسا
خذها اليك على النوى سينية * ترضى الطباق وتشكر التجنيسا
ان طوولت بالدر من حول الطلا * يوما تشكت حظها الموكوسا
لولاك ما اصغت لخطبة خاطب * ولعنست فى بيتها تعنيسا

قصدت

قصدت سليمان الزمان وقاربت * فى الخطو تحسب نفسها بلقيسا
لى فيك ودلم أكن من بعدما * أعطيت صفقة عهده لاخيسا
كم لى بصحة عقده من شاهد * لايحذر التجريح والتدليسا
يقفو الشهادة باليمين وانه * لمؤتمن من ان يعد قسيسا
لا يستقر قرار أفكارى الى * ان أستقر لدى علاك جليسا
وأرى تجاهك مستقيم السير للـ * ـقصد الذى اعملته معكوسا
هى دين ايامى فان سمحت به * لم يبق من شئ عليه يؤوسا
لازال صنع الله محبوبا الى * مثواك يهدى البشر والتأنيسا
متتابعا كتتابع الايام لا * يذر التعاقب جمعة وخميسا
فلو انصفتك اية الملك الذى * رضت الزمان لها وكان شريسا
قرنت بذكرك والدعاء لك الذى * تختاره التسبيح والتقديسا
القلب أنت لها رئيس حياتها * لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنيسى رحمه الله تعالى بعد سرد هذه القصيدة ما معناه ان لسان الدين بن الخطيب حذا فى هذه القصيدة السينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها

أقشيب ربعهم ارالـ * ـدريسا تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها انتهى ووصل لسان الدين هذه القصيدة بنثر بديع نصه هذه القصيدة أبقى الله تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع والثناء المسموع والملك المنصور الجموع نفثة من باح بسر هواه ولبى دعوة الشوق العابث بلبه وقد ظفر بمن يهدى خبر جواه الى محل هواه ويختلس بعث تحيته الى مثير أريحيته وهى بالنسبة الى ما يعتقد من ذلك الكمال الشاذ عن الآمال عنوان من كاب وذواق من أو قارذات أقتاب والا فمن يقوم بحق تلك المثابة لسانه أو يكافئ احسانها احسانه أو يستقل بوصفها يراعه أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه ولا مكابرة بعد الاعتراف والبحر لا ينفد بالاغتراف لاسيما وذاتكم اليوم والله تعالى يبقيها ومن المكاره يقيها وفى معارج القرب من حضرة القدس يرقيها باقوة اختارها واعتبرها ثم ابتلاها بالتمحيص فى سبيل التخصيص واختبرها وسبيكة خلصها وسخرها فخلصها التسخيره من الشوب وأبرزها من لباب الذوب وقصرت عن هذه الاثمان وسر بصدق دعواه البهرمان ليفاضل بين الجهام والصيب ويميز الله الخبيث من الطيب فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعدة وعرفكم بنفسه فى حال الشدة ثم فسح لكم بعد ذلك فى المدة لتعرفوه اذا دال الرخاء وهبت بعد تلك الزعازع الريح الرخاء وملأكم من التجارب وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ونقلكم بين امرار الزمان واحلائه ولم يسلبكم الاحقيا عند أوليائه وأعادكم المعاد المطهر وألبسكم من اثواب اختصاصه المعلم المشهر فأنتم اليوم بعين العناية بالافصاح والكناية قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجناية فان كان الملك اليوم علما يدرس وقوانين فى قوة الحفظ تغرس وبضاعة برصد التجارب

تحرس فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة وأصمى شعوبه المنسوبة الى ما حزتم من اشتات الكمال المربية على الآمال فالبيت علوى المنتسب والملك بين الموروث والمكتسب والجود يعترف به الوجود والدين يشهد به الركوع والسجود والباس تعرفه التهائم والنجود والخلق يحمده الروض المجود والشعر يغترف من عذب نمير ويصدق من قال بدئ بأمير وختم بأمير وان مملوككم قوم من بابكم على العذب البرود فعاقه الدهر عن الورود واستقبل أفقه ليحقق الرصد ولكنه اخطأ القصد ومن أخطأ الغرض اعاد ورجا من الزمان الاسعاد فربما خبئ نصيب أو كان مع الخواطئ سهم مصيب وكان يؤمل صحبة ركاب الحجاز فانتقلت الحقيقة منه الى المجاز وقطعت القواطع التى لم ينلها الحساب ومنعت الموانع التى خلص منها الى الفتنة الانتساب ومن طلب الايام أن تجرى على اقتراحه وجب العمل على اطراحه فانما هى البحر الزاخر الذى لا يدرك منه الآخر والرياح متغايرة والسفينة الحائرة فتارة يتعذر من المرسى الصرف وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتد الطرف هذا ان سالمها عطبها وأعنى من الوقود حطبها ولقد علم الله جل جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب ممن يجبر كسر القلوب فانه مما انعقد على كماله الاجماع وصح فى عوالى معاليه السماع وارتفعت فى وجود مثاله الاطماع أخلاقا هذبها الكرم الوضاح وسجية كلف بها الكمال الفضاح وحرصا على الذكر الجميل ومابتنا فمن رفيه الامن سمت همه وكرمت ذمه وألفت الخلد رمه اذ الوجود سراب ومافوق التراب تراب ولا يبقى الا عمل راق أو ذكر بالجميل يسطر فى أوراق حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظهر مكتوب موضوع اشاربه من كانت له طاعة فوقت بعقترحه استطاعة

يمضى الزمان وكل فان ذاهب * الا الجميل الذكر فهو الباقى
لم يبق من ايوان كسرى بعدذا * لنا الخلد الا الذكر فى الاوراق
هل كان للسفاح والمنصور والـ * ـمهدى من ذكر على الاطلاق
او للرشيد وللامين وصنوه * لولا شباة براعة الورّاق
رجع التراب الى التراب بما اقتضت * فى كل خلق حكمة الخلاق
الا الثناء الخالد العطر الشذى * يهدى حديث مكارم الاخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ان يمكنها من حسن المثاب فتحظى بحلول ساحته ثم بلثم راحته ثم بالاصغاء ولا مزيد للابتغاء الى أن ترتفع الوساطة وتغنى عن التركيب البساطة وينسى الاثر بالعين ويحسن الدهر قضاء الدين ونسأل الذى أغرى بها القريحة ولم يجعل الباعث الا المحبة الصريحة أن يبقى تلك المثابة زينا للزمان وذخرا مكنوفا باليمن والامان مظللا برحمة الرحمن بفضله وكرمه انتهى * ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى الى الشيخ الرئيس الخطيب شيخه أبى عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى حين كانت أزمة أمر المغرب بيده أيام السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحم الله تعالى الجميع (ماصورته) سيدى بل مالكى بل شافعى ومنتشلى من الهفوة ورافعى وعاصمى عند تجويد حروف الصنائع ونافعى الذى بجاهه أجزلت المنازل قراى

وفضلت أولاى والمنة لله تعالى أخراى وأصبحت وقول أبى الحسن هجيراى

علقت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسأل الايام ما اسمى مادرت * وأين مكانى ما عرفن مكانى

وصلت مكاتبة حرسها الله تعالى حدانى حدو نداك وسحائب لولا الخصال المبرة قلت بذاك وكان الوطن لاغتباطه بجوارى اومار آه من انتياب زوارى أوغرالى تبهت يقطع الطريق وأطلع يده على التفريق واشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق فلم يسع الا المقام أياما تعود فى البر وقياما واختيار الضروب الانس واعتياما ورأيت بلدة معارفها أعلام وهواؤها برد وسلام ومحاسنها تعمل فيها ألسنة واقلام فحيا الله تعالى سيدى فلكم من فضل أفاد وأنس احياه وقد باد وحفظ منه على الايام الذخر والعتاد كما ملكه زمام الكمال فاقتاد وأنا أتطارح عليه فى صلات تفقده وموالاة يده بأن يسهمنى فى فرض مخاطبته مهما خاطب معتبرا بهذه الجهات ويصحبنى من مناصحته بكؤس مسرة يعمل فيها هالك وهات فالعز بعزه معقود والسعد بوجوده موجود ومنهل السرور بسروره مورود والله عز وجل يبقيه بقاء الدهر ويجعل حبه وظيفة السر وحمده وظيفة الجهر ويحفظ على الايام من زمنه زمن الزهر ويصل لنا تحت ايالته العام بالعام والشهر بالشهر آمين آمين انتهى *(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) صاحب الاشغال بالمغرب أبا عبد الله بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنيه بتقلد المنصب من رسالة قوله

تعود الاماني بعد انصراف * ويعتدل الشيء بعد انحراف

فان كان دهرك يوما جنى * فقد جاء ذا خجل واعتراف

طلع البشير ابقاك الله تعالى بقبول الخلافة المرينية والامامة السنية خصها الله تعالى ببلوغ الامنية على تلك الذات التى طابت أرومتها وزكت وتأوهت العلياء لتذكر عهدها وبكت وكاد السرور يتقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت فلولا العذر الذى تاكدت ضرورته والمانع الذى ربما تقررت لديكم صورته لكنت أول مشافه بالهناء ومصارف لهذا الاعتناء الوثيق البناء بنقود الحمد لله والثناء وهى طويلة *(ومما خاطب به رحمه الله تعالى قاضى الجماعة وقد نالته مشقة جرها غلط الخدام السوء واشتراك الاسماء أعتبه عندها السلطان وخلع عليه وأشاد بقدره بما نصه

تعرفت أمراساءنى ثم سرنى * وفى صحة الايام لابد من مرض

تعمدك المحبوب بالذات بعدما * جرى ضده والله يكفيه بالعرض

فى مثلها سيدى يحمد الاختصار وتقصر الانصار وتصرف الابصار اذ لم يتعين ظالم ولم يتبين يقظ ولا حالم وانما هى هدية أجر وحقيقة وصل أعقبت مجاز هجر وجرح جبار وأمر ليس به اعتبار ووقيعة لم يكن فيها الا غبار وعثرة القدم لا تنكر والله سبحانه يحمد فى كل حال ويشكر واذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب وحسن الولاية لم يعبه عائب والرعى دائب والجانى تائب فما هو الا الدهر الحسود لمن يسود خمش يبدثم

سترها ورمى عن قوس ما أصلحها والحمد لله ولا أوترها انما باء بشينه وجنى من مزيد العناية محنة عينه ولا اعتراض على قدر اعقب بحظ معتذر وورد نغص بكدر ثم انس باكرام صدر وحسبنا أن نحمد الدفاع من الله تعالى والذب ولا نقول مع الكظم الا ما يرضى الرب واذا سابق أولياء سيدى فى مضمار وحماية ذمار واستباق الى بر وابتدار بجهد اقتدار فأنا ولا فخر متناول القصبة وصاحب الدين من بين العصبة لما بلوت من بر أوجبه الحسب والفضل الموروث والمكتسب ونصح وضح منه المذهب وتنفيق راق منه الرداء المذهب هذا مجمل وبيانه الى وقت الحاجة مؤخر ونبذة شره لتجميلها يراع مسخر والله سبحانه يعلم ما أنطوى عليه لسيدى من ايجاب الحق والسير من اجلاله على أوضح الطرق والسلام انتهى *(وقال رحمه الله تعالى خاطب بعض الفضلاء يقولى مما يظهر من الجملة غرضه

تعرفت قرب الدار ممن أحبه * فكنت أجد السير لولا ضروره
لا تلومن آى المحامد سورة * وأبصر من شخص المحاسن صوره

كنت أبقاك الله تعالى لاغتباطى بولائك وسرورى بلقائك أود أن أطوى اليك هذه المرحلة وأجدد العهد بلقياك المؤملة فمنع مانع وماندرى فى الآتى ما الله صانع وعلى كل حال فشانى قد وضح منه سبيل مسلوك وعلمه مالك ومملوك واعتقادى أكثر مما تسعه العبارة والالفاظ المستعارة وموصلها ينوب عنى فى شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة المتصفة بالعفاف والطهارة والسلام *(وقال سامحه الله تعالى) يخاطب السلطان أبا عبد الله بن نصر جبره الله تعالى عند وصول ولده من الاندلس

الدهر أضيق فسحة من أن يرى * بالحزن والكمد المضاعف يقطع
واذا قطعت زمانه فى كربة * ضيعت فى الاوهام ما لا يرجع
فاقنع بما أعطاك ربك واغتنم * منه السرور وخل ما لا ينفع

مولاى الذى له المنن والخلق الجميل والخلق الحسن والمجد الذى وضح منه السنن كتبه عبدك مهنئا بنعم الله تعالى التى أفاضها عليك وجلبها اليك من اجتماع شملك بنجلك وقضاء دينك من قرة عينك الى ما تقدم من افلاتك وسلامة ذاتك وتمزق أعدائك وانفرادك بأوداتك والزمن ساعة فى القصر لابل كلمح البصر وكأنى بالبساط قد طوى والتراب على الكل قد سوى فلا تبقى غبطة ولا حسرة ولا كربة ولا عسرة واذا نظرت ما كنت فيه تجدك لا تنال منه الا أكلة وفراشا وكاوريا شا مع توقع الوقائع وارتقاب الفجائع ودعاء المظلوم وصداع الجائع فقد حصل ما كان عليه التعب وأمن الرهب ووضح الامر المذهب والقدرة باقية والادعية واقية وما تدرى ما تحكم به الاقدار ويتمحص عنه الليل والنهار وأنت اليوم على زمانك بالخيار فان اعتبرت الحال واجتنبت المحال لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس من غير شك ولا لبس وكان من أملى التوجه الى رؤيتكم ولكن عارضتنى موانع ولا ندرى فى الآتى ما الله تعالى صانع فاستنبت هذه فى تقبيل قدمه والهناء بمقدمه والسلام *(وقال رحمه الله تعالى قلت أخاطب

محمد بن نوار وقد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانية وهو معروف بالوسامة وحسن الصورة

ان كنت فى العرس ذا قصور * فلا حضور ولا دخاله
يثوب نظمى مناب تيس * والنثر عن قفة النخاله

هنا كم الله سبحانه دعاء وخبرا وألبسكم من السرور حبرا وعوذكم بالخمس حتى من عين الشمس فلعمرى لقد حصلت النسبة ورضيت هذه المعيشة الحسبة ومن يكن المزوار ذواقه كيف لا يشق البدر أطواقه وينشر القبول عليه رواقه وأنتم أيضا اركان جمال وبقية رأس مال وعين فى الانطباع وشمال بمنزلكم اليوم بدر وهلال واعقد التوفيق بفضل الله تعالى استقلال فأنا أهنيكم بتسنى أمانيكم والسلام *(وقال رحمه الله تعالى) مخاطبا عميدا مراكش المتميز بالرأى والسياسة والهمة وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على الهنتاتى

تقول لى الاظعان والشوق فى الحشا * له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل التوحيد أصبحت فارعا * نخيم قرار العين فى دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها * هو الحج يقضى نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد * ثغورا لامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه * ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال فى الدهر منكما * بخير مزور وأوبأ غبط زائر

لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال واسعاف الآمال ومساعدة الايام والليال اذا الشمل جميع والزمان كله ربيع والدهر مطيع سميع الازيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ويواصل أمنه بين النوم والاجفان وان أرى الافق الذى طلعت منه الهداية وكانت اليه العودة ومنه البداية فلملم الواقع وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع وأصبحت ديار الاندلس وهى البلاقع وحسنت من استدعائك اياى المواقع وقوى العزم وان لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسى السفر بسببك فألفيته خفيفا والتمست الاذن حتى لانرى فى قبلة السداد تحريفا واستقبلتك بصدر مشروح وزند للعزم مقدوح والله سبحانه يحقق السول ويسهل بمثوى الاماثل المثول ويهيئ من قبل هنتانة القبول بفضله انتهى *(ولسان الدين بن الخطيب مقامة عظيمة بديعة) وصف بها بلاد الاندلس والعدوة وأتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب وقد تركتها مع كتبى بالمغرب ولم يحضرنى منها الا ان الاقوله فى وصف مدينة سبتة ماصورته قلت فمدينة سبتة قال تلك عروس المجلى وثنية الصباح الاجلى تبرجت تبرج العقيلة ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة واذا قامت بيض أسوارها وكان جبل بنيونش شمامة أزهارها والمنارة منارة أنوارها كيف لا ترغب النفوس فى جوارها وتهيم الخواطر بين انجادها وأغوارها الى المينا الفلكية والمراقى الفلكية الذكية الزكية غير المنزورة ولا المبكية ذات الوقود الجزل المعد للازل والقصور المقصورة

على الجد والهزل والوجوه الزهر السحن المضنون بها عن المحن دار الناشبة والحامية المضرمة للحرب المناشبة والاسطول المرهوب المحذور الالهوب والسلاح المكتوب المحسوب والاثر المعروف المنسوب كرسي الامراء والاشراف والوسيطة لخامس أقاليم البسيطة فلاحظ لها في الانحراف بصرة علوم اللسان وصنعاء الحال الحسان وثمرة امتثال قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الامينة على الاختزان القويمة المكيال والميزان محشر أنواع الحيتان ومحط قوافل العصير والحرير والكتان وكفاها السكنى ببنيونش في فصول الازمان ووجود المساكن النبيهة بأرخص الاثمان والمدفن المرحوم غير المزحوم وخزانة كتب العلوم والآثار المنبئة عن أصالة الحلوم الا أنها فاغرة افواه الجنوب للغيث المصبوب عرضة للرياح ذات الهبوب عديمة الحرث فقيرة من الحبوب ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب وناهيك بحسنة تعد من الذنوب فأحوال أهلها رقيقة وتكلفهم ظاهر مهما ظهرت وليمة أو عقيقة واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة وأنساب نفقاتهم في تقدير الارزاق عريقة فهم يصون البلالة مص المحاجم ويجعلون الخبز في الولائم بعدد الجماجم وفتنتهم بيلدهم فتنة الواجم بالبشير الهاجم وراعي الجديب بالمطر الساجم فلا يفضلون على مدينتهم مدينة الشك عندي في مكة والمدينة انتهى * وقد سلك في هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع والتقفية ووفاها من المدح وضده أكمل توفية وعكس هذه الطريقة في نفاضة الجراب فوصف فيها الاماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع مع كونه أقطع من السيف اذا بان عنه القراب (فمن ذلك قوله حين أجرى ذكر مدينة مكناسة الزيتون وأطلت مدينة مكناسة في مظهر النجد رافلة في حلل الدوح مبتسمة عن شنب المياه العذبة سافرة عن أجمل المراد قد أحكم وضعها الذي أخرج المرعى قيد النص وفذلكة الحسن فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تخلفه حسنا ووضعا من بلد دارت به المدارس المغلة والتفت بسوره الزياتين المفيدة وراق بخارجه للسلطان المستخلص الذي يسمو اليه الطرف ورحب ساحة والتفاف شجرة ونباهة بنية واشراف ربوة ومثلث بازائها الزاوية القدمى المعدة للوراد ذات البركة النامية والمئذنة السامية والمرافق المتيسرة يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق الخاص بالسابلة والجوابة في الارض يبتغون من فضل الله تعالى تقابلها غربا الزاوية الحديثة المريبة برونق الشبيبة ومزية الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال الى أن قال وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت بها الملوك الجلة الهمم وأخذها التنجيد فجاءت فائقة الحسن ماشئت من أبواب نحاسية وبرك فياضة تقذف فيها صافي الماء أعناق اسدية وفيها خزائن الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الخزائن ومداومة البر لجوار ترابها سليما من الفساد معافى من العفن اذ تقام ساحات منازلها غالبا على اطباق الآلاف من الاقوات تتناقلها المواريث ويصحبها التعمير وتنجافى عنها الارض ومحاسن هذه البلدة المباركة جمة قال ابن عبدون من أهلها ولله دره

ان تفتخر فاس بما فى طيها * وبأنها فى زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها * والاطيبان هواؤها والماء

ويسامتها شرقا جبل زرهون المنبجس العيون الظاهر البركة المتزاحم العمران الكثير الزياتين والاشجار قد جلله سكرا ورزقا حسنا فهو عنصر الخير ومادة المجبى وفى المدينة دور نبيهة وبنى أصيله والله سبحانه ولى من اشتملت عليه بقدرته وفيها أقول

بالحسن من مكناسة الزيتون * قد صح عذر الناظر المفتون
فضل الهواء وصحة الماء الذى * يجرى بها وسلامة المخزون
سحت عليها كل عين ثرة * للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين أباطح * وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفاها شاهدا مهما ادعت * قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه * فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربرى وافد * فى لوحه والتين والزيتون
حيث من بلد خصيب أرضه * مثوى أمان أو مناخ أمون
وضعت اليك من الاله عناية * تكسوك ثوبى أمنة وسكون انتهى

وقد وصفها فى مقامة البلدان على منوال السجع فقال مكناسة مدينة أصيلة وشعب للمحاسن وفضيلة فضلها الله تعالى ورعاها وأخرج منها ماءها ومرعاها فجانبها مريع وخيرها سريع ووضعها له فى قنة الفضائل تفريع اعتدل فيها الزمان وانسدل الامان وفاقت الفواكه فواكهها ولاسيما الرمان وحفظ أقواتها الاختزان واطفت فيها الاوانى والكيزان ودنا من الحضرة جوارها فكثر قصادها من الوزراء وزوارها وبها المدارس والفقهاء ولقصبتها الابهة والمقاصير والابهاء انتهى ويعنى بالحضرة مدينة فاس المحروسة لانها اذذاك كرسى الخلافة ومكناسة مقر الوزارة وأهل المغرب يعبرون عن المدينة التى فيها كرسى الخلافة بالحضرة قلت دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة وقد أبلى الدهر محاسنها التى كانت فى زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة واستولى عليها الخراب وتكدرمنها بالفتن الشراب وعاث فى ظاهرها الاعراب وفى باطنها عساكر الفتنة العائقة عن كثير من الآراب حتى صار أهلها حزبين ولبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها والبين والله تعالى يجبر حالها ويعقب بالخصب امحالها ويرحم الله تعالى ابن جابر اذ قال

لاتنكرن الحسن من مكناسة * فالحسن لم يبرح بها معروفا
وان محت أيدى الزمان رسومها * فلربما أبقت هنالك حروفا

على أن ضواحيها كانت فى زمان لسان الدين مأوى للمحاربين والمصوص ومثوى للاعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص ولذلك يقول لسان الدين رحمه الله تعالى

مكناسة حشرت بها زمر العدا * فغدى يريد فيه الف مريد
من واصل للجوع لارياضة * أولابس للصوف غير مريد

فاذا سلكت طريقها متوقفا * فانو السلوك بها على التجريد

وما أشار اليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القدمى والجديدة أشار به الى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المرينى الكثير الآثار بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس وكان بنى الزاوية القدمى فى زمان أبيه السلطان أبى سعيد والجديدة حين تولى الخلافة وله فى هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدة آثار كثيرة جميلة من القناطر والسقايات وغيرها ومن أجل ما آثره بها المدرسة الجديدة وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء اليها من فاس ليراها فقعد على كرسى من كراسى الوضوء حول صهريجها وجىء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن * ليس لما قرت به العين ثمن

وهذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بنى مرين وأبعدهم صيتا وكان قد ملك رحمه الله تعالى المغرب بأسره وبعض الاندلس وامتد ملكه الى طرابلس الغرب ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين قاتل أعراب افريقية فغدره بنو عبد الواد الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان وانتهزوا الفرصة فيه وهربوا الى الاعراب عند المصافة فاختل مصافه وهزم أقبح هزيمة ورجع الى تونس مغلوبا وركب البحر فى اساطيله وكانت نحو الستمائة من السفن فقضى الله تعالى أن غرقت جميعا ونجا على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربعمائة عالم منهم السطى شارح الحوفى وابن الصباغ الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة قال الاستاذ أبو عبد الله ابن غازى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أعيان الاصحاب أنه بلغه ان الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمنصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه

يا قلب كيف وقعت فى أشراكهم * ولقد عهدتك تحذر الاشراكا
أرضا بذل فى هوى وصبابة * هذا لعمر الله قد اشقاكا

ومات رحمه الله تعالى غريقا فى أسطول السلطان أبى الحسن المرينى على ساحل تدلس هو والفقيه السطى والاستاذ الزواوى وغيرهم واحد فى نكبة السلطان أبى الحسن المعروفة ومن نظم ابن الصباغ المذكور فى العلاقات المعتبرة فى المجاز وفى المرجحات له قوله رحمه الله تعالى

يا سائلا حصر العلاقات التى * وضع المجاز بها يسوغ ويجمل
خذها مرتبة وكل مقابل * حكم المقابل فيه حقا يحمل
عن ذكر ملزوم يعوض لازم * وكذا بعلته يعاض معلل
وعن المعمم يستعاض مخصص * وكذا عن جزء ينوب المكمل
وعن المحل ينوب ما قد حله * والحذف للتخفيف مما يسهل
وعن المضاف اليه ناب مضافه * والضد عن أضداده مستعمل
والشبه فى صفة تبين وصورة * ومن المقيد مطلق قد يبدل

والشئ يسمى باسم ما قد كانه * وكذا يسمى بالبديل المبدل
وضع المجاور فى مكانة جاره * وبهذه حكم التعاكس يكمل
واجعل مكان الشئ آلته وجئ * بمنكر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبه انتهت * ولجلها حكم التداخل يشمل
وبكثرة وبلاغة ولزومه * لحقيقة رجحانه يتحصل

انتهى كلام شيخ شيوخنا الامام أبى عبد الله محمد بن غازى رحمه الله تعالى * وقد حكى ابن غازى المذكور عن شيخه القورى عن شيخه ابن جابر أن ابن الصباغ المذكور اعترض على القاضى ابن عبد السلام التونسى قال لما لقى ابن الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسئلة لم ينفصل عن واحدة منها بل أقر بالخطا فيها اذ ليس ينبغى انصاف بالكمال الا لربى الكبير المتعال انتهى (وذكر الشيخ أبو عبد الله الابى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم عند تكلمه على أحاديث العين ما معناه ان رجلا كان بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء ونجا السلطان بنفسه وجرت عليه محن واستولى ولده السلطان أبو عنان فارس على ملكه وكان خلفه بتلمسان ولم يزل فى اضطراب حتى ذهب الى سجلماسة ومنها خاص الى جبل هنتانة قرب مراكش فذهب الى حربه ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه وأناخ على الجبل بكلكله ولم تحفر أهل هنتانة جواره لديهم ولا كبيراهم عامر بن محمد وأخوه وصبروا على الحصار وخراب الديار وحرق الاماكن حتى مات هنالك رحمه الله تعالى ونقل بعد الى شالة سلا مدفن اسلافه ومن أراد الوقوف على اخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذى ألفه فيه وسماه المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن وللمذهب لسان الدين بن الخطيب الى عامر بن محمد بجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور وقد ألم بذكر ذلك فى نفاضة الجراب اذ قال وشاهدت بجبل هنتانة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله تعالى حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطة وأصمت الدعوة ورفع المنازعة وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفترشا بالحصباء مقصودا بالابتهال والدعاء فلم أبرح يوم زيارة محل وفاته أن قلت

ياحسنها من أربع وديار * أضحت لباغى الامن دار قرار
وجبال عز لا تذل أنوفها * الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة * آثارها تنبى عن الاخبار
ما كنت أحسب ان أنهار الندى * تجرى بها فى جملة الانهار
ما كنت أحسب ان أنوار الحجا * تلتاح فى قنن وفى أحجار
حجبت جوانبها البرود وان تكن * شبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها * فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدها على الجحد العدا * رضيت بعيث النار لا بالعار

عمرت بجلة عامر وأعزها * عبد العزيز بمرهف بتار
فرسارهان أحرز اقصب الندى * والبأس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما * محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة * بالاصل فى ورق وفى اثمار
أزرت وجوه الصيد من هتانة * فى جوها بطالع الاقمار
لله أى قبيلة تركت لها * الشعراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المسلمين وملكه * قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عند ماذهب الردى * والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الابطال بين تقاعد وفرار
كفرت صنائعه فيمم دارها * مستظهرا منها بعز جوار
وأقام بين ظهورها لايتقى * وقع الردى وقدار تمى بشرار
فكأنها الانصار لما أن سمت * فيما تقدم غربة المختار
لما غدا لحظا وهم أجفانه * نابت شفارهم عن الاشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم * فأجاب ممتثلا لامر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما * خلصت اليه يواقد الاقدار
قد كان يأمل أن يكافئ بعض ما * أولوه لولا قاطع الاعمار
ما كان يقنعه لو امتد المدى * الا القيام بحقها من دار
فيعيد ذا الماء الذائب فضة * ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى أوطانها * من ملكه بجلائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم * أثر العناية ساطع الانوار
ويسوغ الامل القصى كرامها * من غير مائتيا ولا استعصار
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى * عن درهم فيهم ولا دينار
أو أن يتوج أو يقلد هامها * ونحورها بأهلة ودرارى
حتى على المولى ابنه ايثارما * بذلوه من نصر ومن ايثار
فلذاك ذخر الجزاء ومثله * من لايضيع صنائع الاحرار
وهو الذى يقضى الديون وبره * يرضيه فى علن وفى اسرار
حتى تحج محله رفعوا بها * علم الوفاء لاعين النظار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا * للطائفين اليه أى بدار
تغنى قلوب القوم عن هدى به * ودموعهم تكفى لرمى جمار
حييت من دار تكفل سعيها * المحمود بالزلفى وعقبى الدار
وضفت عليك من الاله عناية * ماكر ليل فيك اثر نهار انتهى

ويعنى بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن ومن العجائب ان الرئيس عامر بن محمد الذى جرى فى هذه الابيات ذكره كان يؤمل بابوته للسلطان أبى الحسن

ونصرته له وعدم اخفار ذمته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزا مستطيلا ورياسة زائدة على ما كان فيه فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن اذ نازله بجنوده وحاصره بمعتقله حتى استولى عليه وقتله حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي نزيل مصر في تاريخه الكبير الذي سماه بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر فمن شاء فليراجعه ثمة وكان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاني المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخي السلطان عبد العزيز المذكور فكان من قتله ماذكر والله غالب على أمره ولنرجع الى ما كنا فيه من نثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ورضي عنه فنقول ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في كتابه اعلام عمال الاعلام ماصورته وفي غرضي اذا من الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية ومعاودة الازمان الهنية والنصبة النقية ان نصنف في التاريخ كتابا مبنيا على التطويل مستوعبا للكثير والقليل نسميه بضاعة المهولين في أساطين الاولين يكون هذا الكتاب بالنسبة اليه الحصاة من الرمال والقطرة من الغيث المنسال باعانة ذي القدرة والجلال انتهى ومن كلامه رحمه الله تعالى فما استبعد المرام من قصد الكرام ومافقد الاينساس من أمل الناس انتهى وقد سلك لسان الدين رحمه الله تعالى في كثير من كتبه كالكتيبة الكامنة والتاج المحلى والاكليل الزاهر وغيرها تحلية الاعلام من حملة السيوف والاقلام بالكلام المسجع الآخذ بحظه من الاتقان على طريقة صاحب القلائد والمطمح أبي نصر الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ الاندلس غير مدافع وعلى نهج مباريه ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وهو كتاب ينبغي أن يراجع وقد رأيت ان آتي بشيء من كلام لسان الدين فيما ذكرونا بعد تحليته بالتعريف بحال من حلاه من الاعلام بحسب مامن به ويسره لي الملك العلام سبحانه وتعالى فنقول قال لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض كتبه في وصف بعض من عرف به مانصه أي نفس صافية من الكدر وصدر طيب الورد والصدر ودوحة عهد تندى أوراقها ومشكاة فضل يستطلع اشراقها تمسك برضاع الكاس يرى ذلك من حسن عهده وقسم لحظاته بين آس الرياض وورده فلما حوم حمامه للوقوع وكاد يقوض رحله عن الربوع وشعر بجمائل المنية تعلقه وسرعان خيل الاجل تزهقه أقلع عن فنه وأمر بسفك دنه ولجأ الى الله تعالى باوبته وضرع الى الله تعالى في قبول توبته وغفران حوبته فكان ذلك عنوان الرضا وعلامة عفو الله تعالى عما مضى دخلت عليه في مرضه وأشرت باستعمال الدواء المسمى بلحية التيس عند الاطباء فاستعمله فوجد بعض خفة * وقال في آخر كثيف الحاشية معدود في جنس السائمة والماشية تليت على العمال به سورة الغاشية تولى الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وقامت قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهي احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد من المصانعة والرشوة يتجنب

الناس ويقول عند المخاطبة لامساس وعلى مسافة نهجه وتجهم وجهه فكان خالطا اساءته باحسانه مشتغلا بشانه غاضا من عنان لسانه عهدى به فى الاعمال يقدر فيها ويدبر ويرجح ويعبر ويحبط ويتبر وهو مع ذلك يكبر ويحسن من الازمة ويقبح وهو يسبح ولما شرع فى البحث والتنقير والمحاسبة على القطمير والنقير أتاه قاطع الاجل فحن ركابه فاقضى العجل وصدرت عنه أبيات خضم فيها وقضم وحصل تحت القدر المشترك مع من نظم * وقال فى آخر كركدن حلبة الآداب وسنور عبد الله بيع بقيراط لما شاب هام بوادى الشعر مع من هام واستطر منها الجهام فجاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجا ومقاصد لا تبين قصدا ولا نهجا وله بيت معمور بقضاة أكابر فرسان أقلام ومحابر وعمال قادوا الدهر بأزمة أزمتهم وفرعوا الزهر بهمتهم وتكاثرت عليه رحمه الله تعالى الاحن وتعاورته المحن وتصرف آخر عمره فى بعض الاعمال المخزنية فتعالى ينزر القوت الى الاجل الموقوت * وقال فى آخر معدود فى وقته من أدبائه ومحسوب فى أعيان بلده وحسبائه كان رحمه الله تعالى من أهل العدالة والخير سائرا على منهج الاستقامة أحسن السير وله أدب لا يقصر عن السداد وان لم يكن بطلا فمن يكثر السواد قد أثبت له ما عثرت عليه مما ينسب الناس اليه * وقال فى آخر معتبر غير قانع ومنجع كل شهم وخانع نشأ ببلده مالقة أبرع من أورد البراعة فى نفس وهز غصنها فى روضة طرس الا ما كان من سخافة عقله وقعوده تحت المثل أخير نقله لا يرتبط الى ربته ولا ينتمى الى عصبه ولا يتلبس بسمت ولا يستقيم من أمت أخبرنى من عنى بخبره وذكر عبره من صباه الى كبره أنه رشح فى بعض الدول وعرض لاكتساب الخيل والخول وخلعت عليه كسوة فاخرة وشارة بزهر الرياض ساخرة فانقاد طوع حرمانه ونبذ صفقة زمانه وحمله فرط النهم على ان ابتاع فى حجره طعاما كثير الدسم وأقبل وأذياله منه تقطر كما اختلفت بالبين الاشطر فطرد ونبذ وطرح بعد ما جبذ لقيته بمالقة وقد قلب له زمانه عينيه وسقط فى يديه فأتانى بامداحه وتعاورنى باجاجه واقراحه * وقال فى آخر أديب نار فكره تتوقد وأريب لا يعترض كلامه ولا ينقد أما الهزل فهو طريقته المثلى ركض فى ميدانها وجلى وطلع فى أفقها وتجلى فأصبح علم أعلامها وعابر أحلامها ان أخذ بها فى وصف الكاس وذكر الورد والآس وألم بالربيع وفصله والحبيب ووصله والروض وطيبه والغمام وتقطيبه شق الجيوب طربا وعل النفوس شربا وضربا وان ابتغى لاعتلال العشية فى فرش الربيع الموشية ثم تعداها الى وصف الصبوح واجهز على الزق المجروح وأشار الى نغمات الورق برفان فى الحلل الزرق وقد اشتعلت فى عنبر الليل نار البرق وطلعت بنود الصباح فى شرفات الشرق سلب الحليم وقاره وذكر الخليع كاسه وعقاره وحرك الاشواق بعد سكونها وأخرجها من ركونها بلسان يتزاحم على موارد الخيال ويتدفق من حافاته الادب السيال وبيان يقيم أود المعانى ويشيد مصانع اللفظ محكمة المبانى ويكسو حلل الاحسان جسوم المثالث والمثانى الى نادرة تمثلها يشار ومحاضرة يجنى بها الشهد ويشار وقد أثبت من شعره المعرب

وان كان لا يتعاطاه الا قليلا ولا يجاور الا تعليلا أبياتا لا تخلو عن مسحة جمال على صفحاتها وهبة طيب ينم في نفحاتها * وقال أيضا في آخر ظريف السجية كثير الاريحية ارتحل من لورقة فتحها الله تعالى واتخذ المرية دارا وألف بها استقرارا الى ان دعاه بها داعيه وقام فيها ناعيه * وقال في وصف آخر شيخ أخلاقه لينة ونفسه كما قيل في نفس المؤمن هينة ينظم الشعر عذبا مساقه محكما اتساقه على فاقة وحال مالها من افاقة أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منها مترعها واستعذب من مثله مشرعها * وقال في آخر من أئمة أهل الزمام خليق يرعى الميثاق والذمام ذو خط كما تفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان ببلده رحمه الله تعالى بدار أشرافه محاسبا ودرة في لجة الاغفال راسبا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته حسن الحلل وله شعر لا بأس به ولا خفاء بفضل مذهبه * وقال في آخر خير من استبق الى داعي الفلاح استباقا وانتمى الى القوم الذين هم في الآخرة أطول أعناقا وان كانوا في الدنيا أضيق أرزاقا مردد أذكار ومسبح أسحار وعامر مئذنة ومنار كان ببلده مؤذنا بجامعها ومؤقتا بأم صوامعها ومعتبرا فيمن كان بها من السدنة ومن مثله قوله فكانما قرب بدنة وله لسان مخيف وشعر سخيف توشح بحليته وجعله وسيلة كديته * وقال في آخر عظيم الهيئة حسن اللقاء أغرب في حسن المداراة من العنقاء استمر عمره للحكم وصبر على حجج الصم والبكم وأفرط في هشته وهزته وتنزل عن نخوة القضاء وعزته وله سلف في القضاء عالي المراقب مزاحم للنجم الثاقب وقد أثبت من شعره ما تيسر اثباته ونجح بروض هذا المجموع نباته * وقال في آخر قاض توارث كل جلالة عن كلالة وجمع في العلم الحسب بين الموروث والمكتسب أشرق بجيد منعم في العشيرة مخول وألقت عليه مقاليدها من منقول ومتأول الى نزاهة لا تعزها البيضاء ولا الصفراء وحلم لا تستهويه السعاية ولا يستفزه الاغراء ووقار يستخف الجبال الراسية ونظر يكشف الظلم القاسية تولى قضاء الحضرة فانفذ الاحكام وأمضاها وشام سيوف الجزالة وانتضاها ولبس أثواب النزاهة والانقباض فما نضاها وسلك الطريق التي اختارها السلف وارتضاها فاجتمعت الاهوال المفترقة عليه وصرف الثناء أعنة الالسن اليه ثم كر الى بلده واستقر خطيبا بقرارة أهله وولده * وقال في آخر منتم الى معرفة متصف من الذكاء بأحسن صفة أقرا ببلده علم اللسان وما حاد عن الاحسان وعانى الشعر فنظم قوافيه وما تكلف فيه وعلى غزارة مادته ووضوح جادته فشعره قليل البشاشة ذاهب الحشاشة وذو الاكثار كمثل العثار وله سلف يخوض في الحقائق وينتحل بعض الكلام الرائق * وقال في آخر منتم لدين وعفة والى نفس بالعرض الادنى مستخفة ممن نزع الى سلوك ورياضة ويفيض في طريق القوم بعض افاضة * وقال في آخر ممن يتشوف الى المعارف والمقالات ويرتاح الى الحقائق والمحالات ويشتمل على نفس رقيقة ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ويعاني من الشعر ما يشهد بنبله ويستطرف من مثله * وقال في آخر مشمر في الطلب عن ساق مثابر على اللحاق

بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد فى احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرست فى المذاكرة أخلاقه اذا بهرجت اعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه ورحل الى المغرب فاستجدى بالشعر سلطانه ثم راجع أوطانه * وقال فى آخر منتم الى زهد باذل فى التماس الخير الجهد نظمه لا يخلو من حلاوة ومعانيه فى طريقه عليها بعض طلاوة * وقال فى آخر كاتب سجلات لا يساجل فى صحة فصولها وتوقيع فروعها على أصولها وكلما طلب بالنظم القريحة واعمل الفكرة الصريحة مع اقلاله وعدم استعماله أجابت ولبت وتنسمت رياحها وهبت * وقال رحمه الله تعالى وسامحه فى بعض العدول الصوفية الاخيار الذين وحدوا الله وفنوا عن سائر الاغيار خير عدل وممن له وقار وفضل متسم بخير معرض عن غير مشتمل بصفات مرضية يلم بالنظم فى الطريقة الصوفية * (ولسان الدين رحمه الله تعالى) ركض فى هذا الميدان لا يجارى فيه وثبوت فضل لا يستند الى دليل جاحده ونافيه وقال رحمه الله تعالى فى كتابه التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى فى ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الامى المرينى ما صورته لج معرفة لا يغيض وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض نشأ ببلده مشمرا عن ساعد اجتهاده وسائرا فى فنن العلم ووهاده حتى أينع روضه وفهق حوضه ثم أخذ فى راحة ذاته وشام بارق لذاته ثم سار فى البطالة سير الجموح وواصل الغبوق بالصبوح حتى قضى وطره وسئم بطره وركب الفلك وخاض اللجج الحلك واستقر بمصر على النعمة العريضة على شك فى قضاء حجة الفريضة وهو اليوم بمدرستها الصالحية نبيه المكانة معدود فى أهل العلم والديانة انتهى وقال فى الاحاطة فى حق المذكور ما نصه من خط شيخنا أبى البركات فى الكتاب المؤتمن على انباء أبناء الزمن كان سهلا سلس القياد لذيذ العشرة دمث الاخلاق سيالا الى الدعة نفورا عن النصب يركن الى فضل نباهة وذكاء يحاسب بهما عند التحصيل الدراسة والتدؤب على الطلب من رجل يجرى من الالحان على مضمار لطيف ولم يكن له صوت رخيم يساوق انطباعه فى التلحين فجبر ذلك بالاوتار وحاول من ذلك بيده مع أصحابه ما لاذ به الظرفاء منهم واستعمل بدار الاشراف بالمرية فاحكم تلك الطريقة فى أقرب زمان وجاء زمامه يروق من ذلك العمل من شأنه ثم نهضت به همته الى أرفع من ذلك فسار الى غرناطة فقرأ بها العربية وغيرها وانخرط فى سلك نبهاء الطلبة لادنى مدة ثم رحل الى بلاد المشرق فى حدود العشرين وسبعمائة فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هواتها علة كان يشكوها وأخذ فى اقراء العربية بها وعرف بها الى أن صار يدعى بأبى عبد الله النحوى قال شيخنا المذكور ورأى فى صغره فارة أنثى فقال هذه قرينة فلقب بذلك وصار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه ومعرفته ثم قال لسان الدين فى حق المذكور ما ملخصه انه قرأ بالحضرة على الخطيب أبى على القبطاجى وطبقته وأخذ بالقاهرة عن الاستاذ أبى حيان وانتفع بجاهه نقل الينا الحاج الحافظ أبو جعفر بن غصن من شعره حسبما قيده عنه بمصر

بعد المزار ولوعة الاشواق * حكما بفيض مدامع الاماق

وخفوق نجدى النسيم اذا سرى * أذكى لهيب فؤادى الخفاق
أمعلى انّ التواصل فى غد * من ذا الذى لغد فديتك باق
انّ الليالى سبق ان أقبلت * واذا تولت لم تئل بلحاق
عج بالمطىّ على الحمى سقى الحمى * صوب الغمام الواكف الرقراق
فيه لذى القلب السليم وداده * قلب سليم ماله من راق
قلب غداة فراقهم فارقته * لا كان فى الايام يوم فراق
ياساريا والليل ساج عاكف * يفرى الفلا بنجائب ونياق
عرّج على مثوى النبىّ محمد * خير البرية ذى المقام الراقى
ورسول رب العالمين ومن له * حفظ العهود وصحة الميثاق
الطاهر الآيات قام دليلها * والطاهر الاخلاق والأعراق
بدر الهدى وهو الذى آياته * وجبينه كالشمس فى الاشراق
الشافع المقبول من عمّ الورى * بالجود والارفاد والارفاق
الصادق المأمون أكرم مرسل * سارت رسالته الى الآفاق
أعلى الكرام ندى وأبسطهم يدا * قبضت عنان المجد باستحقاق
وأشدّ خلق الله اقداما اذا * حمى الوطيس وشمرت عن ساق
أمضاهم والخيل تعثر فى الونى * وتجول سجحا فى الدم المهراق
من صير الاديان دينا واحدا * من بعد اشراك مضى ونفاق
وأحلنا من حرمة الاسلام فى * ظل ظليل وارف الاوراق
لوانّ للبدر المنير كماله * ماناله كسف ونكس محاق
لوانّ للبحرين جود يمينه * أمن السفين غوائل الايساق
لوأنّ للآساد شدّة بأسه * لثنت عن الانجاد والاعراق
لوان للآباء رحمة قلبه * ذابت نفوسهم من الاشفاق
ذو العلم والحلم الخفىّ المجلى * والجاه والشرف القديم الباقى
آياته شهب وغرّ بنانه * سحب النوال تدر بالارزاق
ماجت فتوح الارض وهو غياثها * وربت ربا الايمان وهو الساقى
ذو رأفة بالمؤمنين ورحمة * وهدى وتأديب بحسن سياق
وخصال مجد أفردت بالحصل فى * مرمى الفخار وغاية السباق
ذو المعجزات الغرّ والآى التى * كم آية فقدت وهنّ بواقى
ثنت المعارض حائرا لما حكت * فلق الصباح وكان ذا افلاق
يقظ الفؤاد سرى وقد هجع الورى * لمقام صدق فوق ظهر براق
وسما وأملاك السماء تحفه * حتى تجاوزهن سبع طباق

ومنها

ياذا الذى اتصل الرجاء بحبله * وانبت من هذا الورى بطلاق

حبى اليك وسيلتى وذخيرتى * انى من الاعمال ذو املاق
واليك أعملت الرواحل ضمرا * تختال بين الوخد والاعناق
نجبا اذا انشدت حلى تلك العلا * تطوى الفلا ممتدة الاعناق
يحدو بهن من النحيب مردد * وتقودهن أزمة الاشواق
غرض اليه فوقتنا أسهما * وهى القسى برين كالافواق
فأنختها بفنائك الرحب الذى * وسع الورى بالنائل الدفاق
وقرى مؤملك الشفاعة فى غد * وكفى بها هبة من الرزاق
وعليك ياخير الانام تحية * تحيى النفوس بنشرها الفتاق
تتأرج الارجاء من نفحاتها * أرج الندى بمدحك المصداق

ومنها

قسما بطيب تراب طيبة انه * مسك الانوف واثمد الاحداق
وبشأن مسجدها الذى برحابه * لمعامل الرحمن أى تفاق
لأجودفيه بأدمع اسلاكها * منظومة بتراتب وتراق
أغدو بتقبيل على حصبائه * وعلى كرائم جدره بعناق

ومنها

وعليك ذا النورين تسليم له * نور يلوح بصفحة المهراق
كفؤ النبى وكفؤ أعلى جنة * حيزت له بشهادة وصداق
وكفاه ما فى الفتح جاء ومصحف * فى الفتح يحمده وفى الاطباق
وعلى أبى السبطين من سبق الالى * سبقوا الى الاسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى * شرفا على التخصيص والاطلاق
مبدى القضايا من وراء حجابها * ومفتح الاكمام عن اغلاق
يغزو العداة بغلظة فيهدهم * بصوارم تفرى الفقار رقاق
رايا ته لا شئ من عقبانها * بمطار يوم وغى ولا بمطاق
وعلى كرام ستة عشرت بهم * عند النظام لآلئ النساق
ما بين أروع ماجد نير انه * جنح الظلام تشب للطراق
وأخى حروب صدقه رشق القنا * عما قدود مثلهن رقاق
ماعزدت شجوا مطوقة وما * شقت كمام الروض عن اطواق
وعلى القرابة والصحابة كلهم * والتابعين لهم ليوم تلاق

وذكره فى الاحاطة غير هذه (وقال لسان الدين) فى التاج فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ماصورته ناظم أبيات وموضح غرروشيات وصاحب توقيعات وقيعات واشارات ذوات شارات وكان شاعرا مكثارا وجوادا لايخاف عثارا دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه بعد انتثار سلكه وخروج الحضرة عن ملكه واستقراره بوادى آش مرتع البال متعللا بالآمال وقد بلغه دخول طبرنش فى طاعته فأنشده

من ساعته

خذها اليك طبرنشا * شفع بها وادى الاشا
والام تاتى بنتها * والله يفعل مايشا

ومن نوادره العذبة ماكتبه اليه يطلب منه الحسبة

انلنى أياخير البرية خطة * ترفعنى قدرا وتكسبنى عزا
فأعتز فى أهلى كما اعتز بيدق * على سفرة الشطرنج اما انثنى فرزا

فوقع له بما ثبت فى ترجمته انتهى وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله بن العطار المزنى ماصورته ممن نبع ونجب وحق له البز بذانه ووجب تحلى بوقار وشعشع للادب كاس عقار الا أنه اخترم فى اقتبال واصيب للاجل بنبال انتهى وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن يحيى بن خاتمة الانصارى المزنى ماصورته ممن ثكلته البراعة وفقدته البراعة تأدب باخيه وتهذب وأراه فى النظم المذهب وكساه من التفهم والتعليم الرداء المذهب فاقتفى واقتدى وراح فى الحلبة واغتدى حتى نبل وشدا ولو أمهله الدهر لبلغ المدى وأما خطه فقيد الابصار وطرفة من طرف الامصار واغتبط يانع الشبيبة مخضر الكتيبة مات عام خمسين وسبعمائة وأورد له فى الاحاطة قوله

ومض البرق فثار القلق * ومضى النوم وحل الارق
مذ تذكرت لايام خلت * ضمنا فيها الحمى والابرق
وعشيات تقضت باللوا * فى محيا الدهر منها رونق
اذ شبابى والتصابى جمعا * ورياض الانس غض مورق
شت يوم البين شملى ليتما * خلق البين لقلب يعشق
آه من يوم قضى لى فرقة * شاب منى يوم حلت مفرق

وقوله

الرفع نعتكم لاخانكم أمل * والخفض شيمة مثلى والهوى دول
هل منكم لى عطف بعد بعدكم * اذ ليس لى منكم ياسادتى بدل انتهى

قلت البيت الثانى غاية فى معناه وأما الاول فسافل وان أسس على الرفع مبناه والله أعلم

*(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن داود الجيرى المالقى ماصورته علم من أعلام هذا الفن ومشعشع راح هذا الدن مجموع أدوات وفارس براعة ودوات ظريف المنزع أنيق المرأى والمسمع اختص بالرياسة فأدار فلك امارتها واتسم باسم كتابتها ووزارتها ناهضا بالاعباء صاعدا فى درج التقريب والاجتباء مصانعا دهره فى راح وراحة آويا الى فضل وسماحة ونصب ساحة كلما فرغ من شان خدمته وانصرف عن رب نعمته عقد ثربا وأطفأ من الاهتمام بغير الايام حربا وعكف على صوت يستعيده وظرف يبديه ويعيده فلما تقلبت بالرياسة الحال وقوضت منها الرحال استقر بالمغرب غريبا يقلب طرفا مستريبا ويلحظ الدنيا تبعة عليه وتثريبا وان كان لم يعدم من امرائه حظوة وتقريبا ومابرح يبوح بشجنه

ويرتاح الى عهود وطنه ومما أعرب به عن براعة أدبه قوله

يانازحين ولم أفارق منهم * شوقا تأجج فى الضلوع ضرامه
غيبتم عن ناظرى وشخصكم * حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شملى فشتت شمله * والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فيها وجد مبالغا * وجرت بحكم جوره أحكامه
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى * حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يانسيم نجدية النفحات وجدية اللفحات تؤدى عنى الى الاحبة نفحها سلاما وتورد عليهم لفحها بردا وسلاما ولا تقل كيف تحملنى نارا وترسل على الاحبة منى اعصارا كلا اذا أهديتهم تحية انسانى وآنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسى وارتاحوا الى هبوبك واهتزوا فى كف مسرى جنوبك وتملوا بك تعليلا وأوسعوا آثار مهبك تقبيلا أرسلوها عليهم بليلا وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلا ألم ترونى كيف جئتكم بما حلنى عليلا

كذا لتركته ملقى بأرض * له فيها التعلل بالرياح
اذا هبت اليه صبا اليها * وان جاءته من كل النواحى
تساعده الحمائم حين يبكى * فما ينفك موصول النواح
يخاطبهن مهما طرن شرقا * أما فيكن واهبة الجناح

ولولا تعلله بالاماني وتحدث نفسه بزمان التداني لكان قد قضى نحبه ولم أبلغكم الا نعيه أو ندبه لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول ويتطارح باقتراحاته على الزمن المجهول ويحدث نفسه وقد قنعت من بروق الآمال بالخلب ووثقت بمواعيد الدهر القلب فيناجيها بوحى ضميره وايماء تصويره كيف أجدك يوم الالتقاء بالاحباب والتخلص من ربقة الاغتراب أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب كانى بك وقد استفزك وله السرور فصرفك عن مشاهدة الحضور وعاقك غشاوة الاستعبار للاستبشار عن اجتلاء محيا ذلك النهار

يوم يداوى زمانا من أزمانى * أزال تنغيص أحيانى فأحيانى
جعلت لله نذرا صومه أبدا * أفى به وأوفى شرط ايمانى
اذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعت * أشطان دهر قد التفت بأشطانى
أعده خير أعياد الزمان اذا * أوطأنى السعد فيه ترب أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى الى التذكار وانقيادى الى معللات توهمات الافكار كان البعد باستغراقها قد طويت شقته وذهبت عنى مشقته وكانى بالتخيل بين تلك الخمائل أتنسم صباها وأتنسم رباها وأجتنى أزهارها وأجتلى أنوارها وأجول فى خمائلها وأتنعم ببكرها وأصائلها وأطرف بعمائلها وأتنشق أزهار كمائمها وأصيخ بأذن الشوق الى سجع حمائمها وقد داخلنى الافراح ونالت منى نشوة الارتياح ودنا السرور لتوهم ذهاب الاتراح فلما أفقت من غمرات سكرى ووثبت من هفوات فكرى وجدت مرارة ما شابه

لى فى استغراق دهرى وكانى من حينئذ عالجت وقفة الفراق وابتدأت منازعة الاشواق وكانما أغمضنى النوم وسمح لى بتلك الفكرة الحلم

ذكر الديار فهاجه تذكاره * وسرت به من حينه أفكاره
فاحتل منها حيث كان حلوله * بالوهم منها واستقر قراره
ما أقرب الآمال من غفواته * لو أنها قضيت بها أوطاره

فاذا جئتها أيها القادم والاصيل قد خلع عليها بردا مورسا والربيع قد مد على القيعان منها سندسا فاتخذها فديتك معرسا واجرر ذيولك فيها متبخترا وبث فيها من طيب نفحاتك عنبرا وافتق عليها من نوافج أنفاسك مسكا أذفرا واعطف معاطف بانها وأرقص قضب ريحانها وصافح صفحات نهرها ونافح نفحات زهرها هذه كلها أمارات وعن أسرار مقاصدى عبارات هنالك تنتعش بها صبابات تعالج صبابات تتعلل باقبالك وتعكف على لثم أذيالك وتبدو لك فى صفة الفانى المتهالك لاطفها بلطافة اعتلالك وترفق بها ترفق أمثالك فاذا مالت بهم الى هواك الاشواق ولووا اليك الارؤس والاعناق وسألوك عن اضطرابى فى الآفاق وتقلبى بين الاشآم والاعراق فقل لهم عرض له فى اسفاره ما يعرض للبدر فى سراره من سرار السرار ولحاق المحاق وقد تركته وهو يسامر الفرقدين ويساير النيرين وينشد اذا راعه البين

وقد نكون وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

لم يفارق وعثاء الاسفار ولا ألقى من يده عصا التسيار يتهاداه الغور والنجد ويتداوله الارقال والوخد وقد لفحته الرمضاء وسئمه الانضاء فالجهات تلفظه والآكام تبهظه يحمل همومه الرواسم وتحياته البواسم

لا يستقر بأرض حين يبلغها * ولا له غير حد والعيس ايناس

ثم اذا استوفوا سؤالك عن حالى وتقلبى بين حلى وترحالى وبلغت القلوب منهم الحناجر وملأت الدموع المحاجر وابتلت ذيولك بمائها لا بل تضرجت بدمائها فحبهم عنى تحية منفصل وداع مرتحل ثم اعطف عليك ركابك ومهد لهم جنابك وقل لهم اذا سألنى عن المنازل بعد سكانها والربوع بعد ظعن أظعانها بماذا أجيبه وبماذا يسكن وجيبه فسيقولون لك هى البلاقع المقفرات والمعارف التى أصبحت نكرات

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

قل لهم كيف الروض وآسه وعما تتأرج أنفاسه عهدى به والحمام يردد به أسجاعه والذباب يغنى به هزجا فيحك بذراعه ذراعه وغصونه تعتنق وأحشاء جداوله تصطفق وأشجاره تتنسم وآصاله تتوسم كما كانت بقية نضرته وكما عهدتها أنيقة خضرته وكيف التفاته عن أزرق نهره وتأنقه فى تكليل اكليله ببانع زهره وهل رق نسيم أصائله وصفت موارد جداوله وكيف انفساح ساحاته والتفاف دوحاته وهل تمتد كما كانت مع العشى فينانة سرحاته عهدى بها المديدة الظلال المزعفرة السربال لم تحدق الآن به عيون نرجسه ويمد بساط سندسه وأين منه مجالس لذاتى ومعاهد غدواتى وروحاتى

اذ أبارى فى المجون لمن أبارى وأسابق الى اللذات كل من أجارى فسيقولون لك ذوت أفنانه وانقصفت أغصانه وتكدرت غدرانه وتغير روحه وريحانه وأقفرت معالمه وأخرست حمائمه واستحالت حلل خمائله وتغيرت وجوه بكره وأصائله فان صلصل حنين رعد فعن قلبى لفراقه خفق وان تلألأ برق فعن حر حشاى انتلق وان سحت السحب فساعدة لجفنى وان طال بكاؤها فمنى حياها الله تعالى منازل لم تزل بمنظوم الشمل أواهل وحين انتثرت أزهارها أسفا ولم تثن الريح من أغصانها معطفا أعاد الله تعالى الشمل فيها الى محكم نظامه وجعل الدهر الذى فرقه يتأنق فى احكامه وهو سبحانه يجبر الصدع ويجمل الجمع انه بالاجابة جدير وعلى مايشاء قدير ايه بنى كيف حال من استودعتهم امانتك وألزمتهم صونك وصيانتك وألبستهم نسبك ومهدت لهم حسبك الله فى حفظهم فهو اللائق بفعالك والمناسب لشرف خلالك ارع لهم الاغتراب لديك والانقطاع اليك فهم أمانة الله تعالى فى يديك وهو سبحانه يحفظك بحفظهم ويوالى بلحظك أسباب لحظهم وان ذهبت الى معرفة الاحوال فنعم الله تعالى ممتدة الظلال وخيراته وارفة السربال لولا الشوق الملازم والوجد الذى سكن الحيازم انتهى *

(وقال فى الاكليل) فى ترجمة أبى بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقى مانصه نابغة مالقية وخلف وبقية ومغربى الوطن أخلاقه مشرقية أزمع الرحيل الى المشرق مع اخضرار العود وسواد المفرق فلما توسطت السفينة اللجيج وقارعت الثبج هال عليها البحر فسقاها كاس الحمام وأولدها قبل التمام وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها وانضم على نوره سوادها من جملة الطلبة والادباء وأبناء السراة الحسباء أصبح كل منهم مطيعا لداعى الردى وسميعا وأحيوا فرادى وماتوا جميعا فأجروا الدموع حزنا وأرسلوا العبرات عليهم مزنا وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدها وأهال هضبة سفينتهم وهدها غار على نفوسهم النفيسة فاستردها والفقيه أبو بكر مع اكتساره وانقياد نظامه ونشاره لم أظفر من أدبه الا بالقليل التافه بعد وداعه وانصرافه فمن ذلك قوله وقد أبصر فتى عاثرا

وبهفهف هافى المعاطف أحور * فضحت أشعة نوره الاقمارا
زلت له قدم فأصبح عاثرا * بين الانام لعا لذاك عثارا
لو كنت أعلم مايكون فرشت فى * ذاك المكان الخد والاشفارا

وقال

ايا لبنى الرفاء تنضى ظباؤهم * جفون ظباهم فالفؤاد كليم
لقد قطع الاحشاء منهم مهفهف * له الثغر خد واللجين أديم
يسدد اذ يرمى قسى حواجب * وأسهمها من مقلتيه تسوم
وتسقمنى عيناه وهى سقيمة * ومن عجب سقم جناه سقيم
ويذبل جسمى فى هواه صبابة * وفى وصله للعاشقين نعيم

كان غرقه فى أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى

عبد الله محمد بن محمد الشديد المالقي ما نصه شاعر مجيد حوك الكلام ولا يقصر فيه عن درجة الاعلام رحل الى الحجاز لاول أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه وعميت أنباؤه وعلى هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل ومرعاها غير وبيل تدل على نفس ونفس واضاءة قبس وهي

لنا في كل مكرمة مقام * ومن فوق النجوم لنا مقام

ومنها

رويناً من مياه المجد لما * وردناها وقد كثر الزحام
فنحن هم وقل لي من سوانا * لنا التقديم قدما والكلام
لنا الايدي الطوال بكل صوب * يهز به لدى الروع الحسام
ونحن اللابسون لكل درع * يصيب السمر منهن انثلام
بأندلس لنا أيام حرب * مواقفهن في الدنيا عظام
نوى منها قلوب الروم خرف * يخوف منه في المهد الغلام
حمينا جانب الدين احتسابا * فها هو لا يهان ولا يضام
ونحت الراية الحمراء منا * كتائب لا تطاق ولا ترام
بنو نصر وما أدراك ما هم * أسود الحرب والقوم الكرام
لهم في حربهم فتكات عمرو * فلا عمار عندهم انصرام
يقول عداتهم مهما ألموا * أتونا ما من الموت اعتصام
اذا شرعوا الاسنة يوم حرب * تحقق أن ذلك هو الحمام
كأن رماحهم فيها نجوم * اذا ما أشبه الليل القتام
أناس تخلف الايام منا * بحيا منهم فلهم دوام
رأينا من أبي الحجاج شخصا * على تلك الصفاق له قيام
موقي العرض محمود السجايا * كريم الكف مقدام همام
يجول بذهنه في كل شئ * فيدركه وان عز المرام
قويم الرأي في ثوب الليالي * اذا ما الرأي فارقه القوام
له في كل معضلة مضاء * مضاء الكف ساعدها الحسام
رؤوف قادر يغضي ويعفو * وان عظم اجتناء واجترام
تطوف ببيت سؤدده القوافي * كما قد طاف بالبيت الانام
وتسجد في مقام علاه شكرا * ونعم الركن ذلك والمقام
أفارسها اذا ما الحرب أخنت * على أبطالها ودنا الحمام
وممطرها اذا ما السحب كفت * وكف أخي الندى أبدا غمام
لك الذكر الجميل بكل قطر * لك الشرف الاصيل المستدام
لقد جبنا البلاد فحيث سرنا * رأينا أن ملكك لا يرام
فضلت ملوكها شرفا وغربا * وبت لملكها يقظا ونموا

فأنت لكل معلوة مدار * وأنت لكل مكرمة امام
جعلت بلاد أندلس اذا ما * ذكرت تغار مصر والشآم
مكان أنت فيه مكان عز * وأوطان حللت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرا * لها من حسن لقبالك ابتسام
فنزه طرف مجدلك فى حلاها * فللمجد الاصيل بها اهتمام انتهى

(وقال فى الاكليل فى ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمرانى من أهل فاس ما صورته كريم الانتماء متظلل بأغصان الشجرة الشماء من رجل سليم الضمير ذى باطن أصفى من الماء النمير له فى الشعر طبع يشهد بعربية أصوله ومضاء نصوله * وذكر فى الاحاطة أن الشريف المذكور توفى فى حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة (وقال فى الاكليل فى ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم المرادى العشاب وهو قرطبى الاصل تونسى المولد والمنشا مانصه جواد لا يتعاطى طلقه وصبح فضل لا يماثل فلقه كانت لابيه رحمه الله تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحل ومفاوضة فى العقد والحل ولم يزل تسمو به قدم النجابة من العمل الى الجباية ونشأ ابنه هذا مقضى الديون مفدى بالانفس والعيون والدهر ذو ألوان ومارق حرب عوان والايام كرات تتلقف وأحوال لا تتوقف فألوى بهم الدهر وأنحى واغام جوهم بعقب ما أصحى فشملهم الاعتقال وتعاورتهم النوب الثقال واستقرت بالمشرق ركابه وحطت به أقتابه فحج واعتمر واستوطن تلك المعاهد وعمر وعكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف وقرأ المعروف وقيد وأسند وتكرر الى دور الحديث وتردد وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل ولما استقر به قراره واشتمل على حفنه غراره بادرت الى مؤانسته وثابرت على مجالسته فاجتليت للسر شخصا وطالعت ديوان الوفاء مستقصى وشعره ليس بحائد عن الاحسان ولا غفل عن النكت الحسان انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن عمر بن على بن ابراهيم المليكشى ما صورته كاتب الخلافة ومشعشع الادب الذى يزرى بالسلافة كان بطل مجال ورب روية وارتجال قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه وضاق ببعض الحوادث عطنه فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ولبث مدة اقامته تحت جراية واسعة ومبرة يانعة ثم آثر قطره فولى وجهه شطره واستقبله دهره بالانابة وقلده خطة الكتابة فاستقامت حاله وحطت رحاله وله شعر أنيق وتصوف وتحقيق ورحلة الى الحجاز سعيها فى الخير وثيق ونسبها فى الصالحات عريق ومن شعره قوله

رضا نلت ما ترضين من كل ما يهوى * فلا توقفينى موقف الذل والشكوى
وصفحا عن الجانى المسىء لنفسه * كفاه الذى يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية * أرق من النجوى وأحلى من السلوى
فتى أتشكى لوعة البين ساعة * ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى
فتى ساعدينى عرصة الدار وانظرى * الى عاشق ما يستفيق من البلوى

وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فحنّ مسراها علىّ ولا ألوى
فيا ريح حتى أنت ممن يغاربى * ويا نجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
خلقت ولى قلب جليد على النوى * ولكن على فقد الاحبة لا يقوى

(وحدث) بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره أنه لقى بباب الملعب من أبوابها ظبية من ظبيات الانس وقينة من قينات هذا الجنس تخطب وصالها واتقى بفؤاده نصالها حتى همت بالانقياد وانعطفت انعطاف الغصن الميادّ فأبقى على نفسه وأمسك وأنف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال

لم أنس وقفتنا بباب الملعب * بين الرجا واليأس من متجنب
وعدت فكنت مراقبا لحديثها * باذل وقفة خائف مترقب
وتدللت فذللت بعد تعزز * يأتى الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها * ماشئت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنبا * فتكاد تحسبها مهاة الربرب
ورنت بلحظ فاتن لك فاتر * أنضى وأمضى من حسام المضرب
وأرتك بابل سحرها بجفونها * فسبت وحق لمثلها أن تسبى
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها * لمعان نور ضياء برق خلب
بمنظم فى عقد سمطى جوهر * عن شبه نور الاقحوان الاشنب
وتمايلت كالغصن أخضله الندى * ريان من ماء الشبيبة مخصب
تثنيه أرواح الصبابة والصبا * فتراه بين مشرّق ومغرّب
أبت الروادف أن تميل بميله * فرست وجال كأنه فى لولب
متتوجا بهلال وجه لاح فى * خلل السحاب لحاجب ومحجب
يا من رأى فيها محبا مغرما * لم ينقلب الا بقلب قلب
مازال مذولى يحاول حيلة * تدنيه من نيل المنى والمطلب
فأجال نار الفكر حتى أوقدت * فى القلب نار تشوق وتلهب
فتلاقت الارواح قبل جسومها * وكذا البسيط يكون قبل مركب

وقال

أرى لك يا قلبى بقلبى محبة * بعثت بها سرّى اليك رسولا
فقابله بالبشر وأقبل عشية * فقد هب مسك للنسيم عليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلل الندى * فأحسن ما يأتى النسيم بليلا

توفى عام أربعين وسبعمائة بتونس رحمه الله تعالى انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن على بن عمر العبدرى التونسى الشاطبى الاصل ما نصه غذى نعمة هامية وفريع رتبة سامية صرفت الى سلفه الوجوه ولم يبق من افريقية الا من يخافه ويرجوه وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف ثم قلب الدهر له ظهر المجن واشتد به الخمار عند فراغ الدن ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة وشدة كبيرة

فامتزج بسكانه وقطانه ونال من اللذات به مالم ينله فى أوطانه واكتسب الشمائل العذاب وكان كاتب الجهم بعث الى الرصافة ليرق فذاب ثم حوم على وطنه تحويم الطائر وألم بهذه البلاد المام الخيال الزائر فاغتنمت صفقة وده لحين وروده وخطبت موالاته على انقباضه وشروده فحصلت منه على درة تقتنى وحديقة طيبة الجنى أنشدنى فى أصحاب له بمصر قاموا ببره

لكل أناس مذهب وسجية * ومذهب أولاد النظام المكارم
اذا كنت فيهم ثاويا كنت سيدا * وان غبت عنهم لم تنلك المظالم
أولئك صحبى لاعدمت حياتهم * ولاعدموا السعد الذى هو دائم
أغنى بذكراهم وطيب حديثهم * كما غردت فوق الغصون الحمائم

وقال

أحبتنا بمصر لو رأيتم * بكائى عند أطراف النهار
لكنتم تشفقون لفرط وجدى * وما ألقاه من بعد الديار انتهى

(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى القاسم محمد بن أبى زكريا يحيى بن أبى طالب عبد الله بن محمد ابن أحمد العزفى السبتى ماصورته فرع تأود من الرياسة فدوحة وتردد بين غدوة فى المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله والدهر يسير أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ماشطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذى كان يتنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة وله أدب كالروض باكرته الغمائم والزهر تفتحت عنه الكمائم رفع منه راية خافقة وأقام له سوقا نافقة وعلى تدفق أنهاره وكثرة نظمه واشتهاره فلم أظفر منه الا باليسير التافه بعد انصرافه انتهى *(وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد ابن المكودى الفاسى مانصه شاعر لا يتقاصى ميدانه ومرعى بيان ورف عضاهه وأينع سعدانه يدعو الكلام فيهطع لداعيه ويسعى فى اجتلاب المعانى فتنجح مساعيه غير أنه أفرط فى الانهماك وهوى الى السمك من أوج السماك قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار صفر اليمين واليسار من اليسار ملئ هوى أنحى على طريقه وتلاده وأخرجه من بلاده ولما جذبه البين وحل هذه البلدة بحال تقبحها العين والسيف بهزته لابحسن بزته دعوناه الى مجلس أعارم البدر هالته وخلع عليه الاصيل غلالته وروض تفتح كمامه وهمى عليه غمامه وكاس أنس تدور فتتلقى نجومها البدور فلما ذهبت المؤانسة بخجله وتذكرهواه ويوم نواه حتى خفنا حلول أجله جذبنا للمؤانسة زمامه واستسقينا منه غمامه فأمتع وأحسب ونظر ونسب وتكلم فى المسائل وحاضر بطرف الابيات وعيون الرسائل حتى نشر الصباح رايته وأطلع النهار آيته فما نسبه الى نفسه وأنشدناه قوله

غرامى فيك جل عن القياس * وقد أسقيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفانى * عليك اقاربى طرا وناسى
ولا أدرى لنفسى من كمال * سوى أنى لعهدك غير ناسى

وقال

بعثت بخمر فيه ماء وانما * بعثت بما فيه رائحة الخمر
فقل عليه الشكر اذ قل منكرنا * فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر انتهى

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدرى الغرناطى ماصورته معلم مدرب مسهل مقرب له فى صنعة العربية باع مديد وفى هدفها سهم سديد ومشاركة فى الادب لا يفارقها تسديد خاصى المنازع مختصرها مرتب الاحوال مقررها تميز أول وقته بالتجارة فى الكتب فسلطت منه على أرضة آكلة وسهم أصاب من رميتها الشاكلة اترب بسببها وأثرى وأغنى جهة وأفقر أخرى وانتقل لهذا العهد الاخير الى سكنى مسقط راسه ومنبت غراسه وجرت عليه جراية من احباسها ووقع عليه قبول من ناسها وبها تلاحق به الحمام فكان من ترابها البداية واليها التمام وله شعر لم يقصر فيه عن المدى وأدب توشح بالاجادة وارتدى أنشدنى بسبتة تاسع جمادى الاولى عام اثنين وخمسين وسبعمائة يجيب عن بيتى ابن العفيف التلمسانى

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

فقال

قطعتنى طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكانى
لا غرو اذ كان لى مضافا * أنى على الكسر فيه بانى

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاما

أنا ملك الغرا التى سيب جودها * يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أتتنى منها تحفة مثل عدها * اذا انتضيت كانت كرهفة السمر
هى الصفر لكن تعلم البيض أنها * محكمة فيها على النفع والضر
مهذبة الاوصال ممشوقة كما * تصوغ سهام الرمى من خالص التبر
فقبلتها عشرا ومثلت أننى * ظفرت بلثم فى أنا ملك العشر

وقال فى ترتيب حروف الصحاح

أساجعة بالواديين تبوئى * ثمارا جنتها طاليات خواضب
دعى ذكر روض زانه سقى شربه * صباح ضحى طى ظباء عصائب
غرام فؤادى قاذف كل ليلة * متى ماتأى وهنا هواه يراقب

مولده فى حدود ثمانين وستمائة وتوفى بغرناطة فى رجب عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة انتهى
قلت رأيت بخط الجلال السيوطى على هامش جوابه عن بيتى ابن العفيف التلمسانى

ماصورته قلت فى هذا البيت تصريح بأن المضاف الى الياء مبنى على الكسر وهو رأى مرجوح عند النحاة ذهب اليه الجرجانى والصحيح أنه معرب على ان ذلك لا يحتاج الى جواب كما يظهر بالتأمل قاله عبد الرحمن السيوطى انتهى ويعنى بذلك أن الساكنين انما يكسر أحدهما لالتحامهما والله سبحانه أعلم (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن هانئ اللخمى السبتى وأصله من اشبيلية ماصورته علم تشير اليه الاكف ويعمل الى لقائه الحافر والخف رفع للعربية بيلده رايه لا تتأخر ومرج منها لجة تزخر فانفسح بمجال درسه وأثمرت أدواح غرسه فركض ماشاء وبرح ودون وشرح الى شمائل يملك الظرف زمامها ودعابة راشت الحلاوة سهامها ولما أخذ المسلمون فى منازلة الجبل وحصاره وأصابوا الكفر منه بحجارة حصاره ورموا بالثكل فيه نازح أمصاره كان ممن انتدب وتطوع وسمع النداء فاهطع فلازمه الى أن نفد لاهله القوت وبلغ من فسحة الاجل الموقوت فأقام الصلاة بمحرابه وحياه وقد غير محياه طول اغترابه وبادره الطاغية قبل أن يستقر نصل الاسلام فى قرابه أو يعلق أصل الدين فى ترابه وانتدب الى الحصار به وتبرع ودعاه أجله فلبى واسرع ولما هدر عليه الفنيق ورجع الى قبلة المنجنيق أصيب بحجر دوم عليه كالجارح المحلق وانقض اليه انقضاض البارق المتألق فاقتنصه واختطفه وعمد الى زهره فاقتطفه فمضى الى الله تعالى طوع نيته وصحيفته غرابة المنازع حتى فى أمنيته انتهى وقد جود ترجمته فى الاحاطة وقال انه ألف كتبا منها شرح تسهيل الفوائد لابن مالك مبدع تنافس الناس فيه وكتاب الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة وكتاب انشاد الضوال وارشاد السؤال فى لحن العامة وهو مفيد وكتاب قوت المقيم ودون ترسيل أبى المطرف بن عميرة وضمه فى سفرين وله جزء فى الفرائض وحدثنى شيخنا الشريف القاضى أبو القاسم قال خاطبت ابن هانئ بقصيدة من نظمى أولها هات الحديث عن الركب الذى شخصا فأجابنى بقصيدة على رويها أولها

لولا مشيب بفودى للفؤاد عصى * انضيت فى مهمه التشبيب لى قلصا
واستوقفت عبراتى وهى جارية * وكفاء توهم ربعا للحبيب قصا
مسائلا عن لياليه التى انتهزت * أيدى الامانى بها ماشئته فرصا
وكنت جاريت فيه من جرى طلقا * من الاجادة لم يجمح ولا نكصا
أصاب شاكلة المرمى حين رمى * من الشوارد مالولاه ماقتنصا
ومن أعد مكان النبل نبل بجا * لم يرض الا بابكار النهى قنصا
ثم انثنى ثانيا عطف النسيب الى * مدح به قد غلا ماكان قد رخصا
فظلت أرفل فيها البسة شرفت * ذاتا ومنتسبا أعززبها قمصا
يقول فيها وقد خولت منحتها * وجرع الكأس المغرى بها غصصا
هذى عقائل وافت منك ذا شرف * لولا أياديه بيع الحمد مرتخصا
فقلت هلا عكست القول منك له * ولم يكن قابلا فى مدحه الرخصا
وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف * يردى ويرضى بها الحساد والخلصا

قوله ابن هانئ الخ هو غير ابن هانئ الشاعر المشهور وقد اتفقا اسما وبلدا وقد تقدم ذلك فى محله ويعلم من التاريخ اه من هامش

لها حلى حسنيات على حلل * حسنية تستبى من حل أو نضصا
خواتها وقداعتزت ملابسها * بالبخت ينقاد للانسان ماعوصا
خذها أباقاسم منى نتيجة ذى * ودّ اذا شئت ودّ الورى خلصا
جاءت تجاوب عما قد بعثت به * ان كنت تأخذ من درّ النصور حصا

وهى طويلة ومما ينسب اليه

ماللنوى مدّت لغير ضرورة * ولقبل ماعهدى بها مقصوره
ان الخليل وان دعته ضرورة * لم يرض ذا فكيف دون ضروره

وقال مضمنا الثانى

لاتلمنى عاذلى حين ترى * وجه من أهوى فلومى مستحيل
لورأى وجه حبيبى عاذلى * لتفارقنا على وجه جميل

وأجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله

ياأوحد الادباء أويا أوحد الشعراء أويا أوحد الشرفاء
من ذا تراه أحق منك اذا التوت * طرق الحجاج بأن يجيب ندائى
أدب أرق من الهواء وان تشأ * فمن الهوا والماء والصهباء
وألذ من ظلم الحبيب وظلمه * بالقاء مفتوحا وضم الظاء
ماالسحر الا ما تصوغ بنانه * ولسانه من حلية الانشاء

وهى طويلة يقول فيها بعد جملة أبيات

لله نفثة سحر ما قد شدت لى * من نفثت سحرك فى مشاد ثناء
عارضت صفوانا بها فأريت ما * يستعظم الراوى لها والرائى
لوراء لؤلؤك المنظم لم يفز * من نظم لؤلؤه بغير رعناء
بوأتنى منها أجل مبوّا * فلا خصى مستوطأ الجوزاء
وسما بها اسمى سائرا فأنا بما * أسديت ذو الاسماء فى الاسماء
وأشدت ذكرى فى البلاد فلى بها * طول الثناء وان اطلت نوائى
ولقومى الفخر المشيد بنيته * ياحسن تشييد وحسن بناء
فليهنهم انهم بيضاء ما * ان مثلها لمن يد بيضاء
حليت أبياتا له نجمية * بحلى على مضرية غرّاء
فليشمخوا أنفا بما أوليتهم * ياحرز الآلاء بالآلاء

ووصلها بنثر نصه هذا بنى وصل الله سبحانه لى ولك علوّ المقدار وأجرى وفق أو فوق ارادتك وارادتى لك جاريات الاقدار ماسنح به الذهن الكليل واللسان الفليل فى مراجعة قصيدتك الغراء الجالبة السرّاء الآخذة بمجامع القلوب الموفية بجوامع المطلوب الحسنة المهيع والاسلوب المتحلية بالحلى السنية العريقة المنتسب فى العلا الحسنية الجالبة لصيد القلوب ران عليها الكسل وخانها المسعدان السؤل والامل فتى حامت المعانى حولها ولو أقامت حولها شكت ويلها وعولها وحرمت

من فريضة الفضيلة عولها وعهدى بها والزمان زمان وأحكامها الماضية أمانى مقضية وأمان تتوارد الافها ويجمع اجماعها وخلافها ويساعدها من الالفاظ كل سهل ممتنع مفترق مجتمع مستأنس غريب بعيد الغور قريب فاضح الحلى واضح العلا وضاح الغرة والجبين رافع عمود الصبح المبين أيد من الفصاحة بايادٍ فلم يحفل بصاحبى طىٍّ وايادٍ وكسى نصاعة البلاغة فلم يعبأ بهمام وابن المراغة شفاء المحزون وعلم سر المخزون ما بين منثوره والموزون والآن لا ملهج ولا مبهج ولا مرشد ولا منهج عكست القضايا فلم تنتج فتبلد القلب الذكى ولم يرشح القلم الزكى وعم الاخفام وغم الاجمام وتمكن الاكداء والاجبال وكورت الشمس وسيرت الجبال وعلت سامة وغلبت ندامة وارتفعت ملامة وقامت لنوعى الادب قيامة حتى اذا ورد ذلك المهرق وفرع غصنه المورق تغنى به الحمام الاورق وأحاط بعداد عداته الغصص والشرق وأمن من الغصب والسرق وأقبل الامن وذهب لاقباله الفرق نفخ فى صور أهل المنظوم والمنثور وبعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وتراءت للادب صور وعمرت للبلاغة كور وهمت للبراعة درر ونظمت للبراعة درر وعندما تبين انك واحد حلبة البيان والسابق فى ذلك الميدان يوم الرهان فكان لك القدم وأقر لك مع التأخر السابق الاقدم فوحق فصاحة ألفاظ أجدتها حين أوردتها وأسلتها حين أرسلتها وأزنتها حين وزنتها وبراعة معان سلكتها حين ملكتها وأرويتها حين رويتها أو رويتها وأصلتها حين فصلتها أو وصلتها ونظام جعلته بجيد البيان قلبا ولمعصمه قلبا وهصرت حدائقه غلبا وارتكبت روية صعبا وثارا أتبعته له خديما وصيرته لمدير كاسه نديما ولحفظه ذمامه المدامى أو مدامه الذمامى مديما لقد فتنتنى حين أتتنى وسبتنى حين صبتنى فذهبت خفتها بوقارى ولم يرعها بعد شيب عذارى بل دعت للتصابى نفثات مرحبا وحللت لغتنتها الحبا ولم أحفل بشيب وألفيت مارد نصابى نصيب وان كنا فرسى رهان وسابق حلبة ميدان غير أن الجلدة بيضاء والمرجو الاغضاء بل الارضاء بنى كيف رأيت للبيان هذا الطوع والخروج فيه من نوع الى نوع أين صفوان بن ادريس ومحل دعواه بين رحلة وتعريس كم بين ثغاء بقر الفلاة وبين ليث الغريس كما أنى أعلم قطعا وأقطع علما وأحكم مضاء وأمضى حكما أنه لو نظر الى قصيدتك الرائقة وفريدتك الحالية الفائقة المعارضة بها قصيدته المنتسخة بها فريدته لذهب عرضا وطولا ثم اعتقد لك اليد الطولى وأقر فارتفع النزاع وذهبت له تلك العلامات والاطماع ونسى كلمته اللؤلؤية ورجع عن دعواه الادبية واستغفر ربه من تلك الالهية بنى وهذا من ذلك من الجرى فى تلك المسالك والتبسط فى تلك المآخذ والمتارك أينزع غيرى هذا المنزع أم المرء بنفسه وابنه مولع حيا الله الادب وبنيه وأعاد علينا من أيامه وسنيه ما أعلى منازعه وأكبى منازعه وأجل مآخذه وأجهل تاركه وأعلم آخذه وأرق طباعه وأحق أشياعه وأتباعه وأبعد طريقه وأسعد فريقه وأقوم نهجه وأوثق نسجه وأسمح ألفاظه وأفصح عكاظه وأصدق معانيه وألفاظه وأحد نظامه ونثاره وأغنى شعاره ودثاره

فعائبه مطرود ومحاسنه مصفود وجاهله محصود وعالمه محسود غير أن الاحسان فيه قليل والطريق الاصابة فيه علم ودليل من ظفر بهما وصل وعلى الغاية القصوى منه حصل ومن نكب عن الطريق لم يعد من ذلك الفريق فليهنك أيها الابن الذكي البر الزكي الحبيب الحفي الصفي الوفي أنك حامل رايته وواصل غايته ليس اولوه وأخروه لذلك بمنكرين ولا تجد أكثرهم شاكرين ولولا أن يطول الكتاب وينحرف الشعراء والكتاب لفاضت ينابيع هذا الفضل فيضا وخرجت الى نوع آخر من البلاغة أيضا قرت عيون أوداتك وماثت غيظا حاسدو رأعدائك ورقيت درج الآمال ووقيت عين الكمال وحفظ منصبك العالي بفضل ربك الكبير المتعالي والسلام الاتم الاعم الاكمل الاعم يخصك به من طال في مدحه ارتقالك واغذاذك ورادروض حمدك وابلك وطلك ورذاذك وغدت مصالح سعيه في سعي مصالحك وسينفعك بحول الله وقوته وفضله ومنته معاذك ووسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك ابن هانئ ورحمة الله تعالى وبركاته * وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ورثاه شيخنا أبو القاسم الحسني بقصيدة أثبتت في اسمه منها

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤدد * تضمنهن الترب صوب الغمائم

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين فقال

قد كان ما قال البريد * فاصبر فحزنك لا يفيد
أودى ابن هانئ الرضى * فاعتادني للشكل عيد
بحر العلوم وصدرها * وعميدها اذ لا عميد
قد كان زينا للوجو * د ففيه قد فجع الوجود
العلم والتحقيق والتـ * ـوفيق والحسب التليد
تندى خلائقه فقل * فيها هي الروض المجود
مغض عن الاخوان لا * جهم اللقاء ولا كنود
أودى شهيدا باذلا * مجهوده نعم الشهيد
لم أنسه حين المعا * رف باسمه فينا تشيد
وله صبوب في طلا * ب العلم يتلوه صعود
لله وقت كان ينـ * ـظمنا كما نظم الفريد
أيام نغدو وأونرو * ح وسعينا السعي الحميد
واذا المشيخة جشم * هضبات حلم لا تميد
ومرادنا جم النبا * ت وعيشنا خضر برود
لهفي على الاخوان والاتراب كلهم فقيد
لو جئت أوطاني لانـ * ـكرني التهائم والنجود
ولراع نفسي شيب من * غادرته وهو الوليد
ولطفت ما بين اللحو * د وقد تكاثرت اللحود

سرعان ماعاث الحما * م ونحن ايقاظ هجود
كم رمت اعمال المسيـ * ـر فقيدت عزمى قيود
والآن أخلفت الوعو * د وأخلقت تلك البرود
ماللفتى ما يبتغى * فالله يفعل مايريد
أعلى القديم الملك يا * ويلاه يعترض العبيد
يابين قد طال المدى * أبرق وأرعد يايزيد
ولكل شئ غاية * ولربما لان الحديد
ايه أبا عبد الالـ * ـه ودوننا مرمى بعيد
أين الرسائل منك تأ * تينا كما نسق العقود
أين الرسوم الصالحا * ت تصرمت أين العهود
أنعم مساء لا تخطيك البشائر والسعود
واقدم على دار الرضا * حيث الاقامة والخلود
والق الاحبة حيث دا * ر الملك والقصر المشيد
حتى الشهادة لم تفتـ * ـك فنجمك النجم السعيد
لاتبعدن وعد الوآن البدء فى الدنيا يعود
فلئن بليت فان ذكـ * ـرك فى الدنى غض جديد
تالله لاتنساك أنـ * ـدية العلا ما اخضر عود
واذا تسومح فى الحقو * ق فحقك الحق الاكيد
جادت صداك غمامة * يرمى بها ذاك الصعيد
وتعهدتك من المهيـ * ـمن رحمة ابدا وجود انتهى

وقوله أول هذه الرسالة عارضت صفوان بها الى آخره يعنى بذلك همزية صفوان بن ادريس المشهورة بين أدباء المغرب ولنذكرها افادة للغرض وهى

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعى وغيم سماء
فالدمع يقضى عندها حق الهوى * والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت * تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبى وانما * ذخر الصديق لآكد الاشياء
ياصاحبى ولا أقل اذا انا * ناديت من أن تصغيا لندائى
عوجا فجارى الغيث فى سقى الحمى * حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن فى سقى المنازل سنة * نمضى بها حكما على الظرفاء
يامنزلا نشطت اليه عبرتى * حتى تبسم زهره لبكائى
ماكنت قبل مزار ربعك عالما * أن المدامع أصدق الانواء
ياليت شعرى والزمان تنقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء

ونتال فيها من تألفنا ولو * مافيه سخنة أعين الرقباء
في حيث اتلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وبدت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة الميساء
والورد في شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر في خضر الربا * زهر النجوم تلوح بالخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعة طيبه ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت * للعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص في حلى أوراقه * كالخود في موشية خضراء
وافتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم فانقضى * فكأنه قد كان في الاغفاء
لم يبق منه غير ذكرى أومنى * وكلاهما سبب لطول عناء
أورقعة من صاحب هي تحفة * ان الرقاع لتحفة النبهاء
كبطاقة الوقشي اذ حيابها * ان الكتاب تحية الخلطاء
ما كنت أدرى قبل فض ختامها * أن البطائق اكؤس الصهباء
حتى ثنيت معاطفي طربا بها * وجررت أذيالي من الخيلاء
فجعلت ذاك الطرس كاس مدامة * وجعلت مهديه من الندماء
وعجبت من خل يعاطي خله * كأسا وراء البحر والبيداء
ورأيت رونق خطها في حسنها * كالوشي نمق معصم الحسناء
فوحقها من تسع آيات لقد * جاءت بتأييدي على أعدائي
فكأنني موسى بها وكأنها * تفسير ما في سورة الاسراء
لو جاد فكر ابن الحسين بمثلها * صحت نبوته لدى الشعراء
سوداء اذ أبصرتها لكنها * كم تحتها لك من يد بيضاء
ولقد رأيت وقد تأوبني الكرى * في حيث شابت لمة الظلماء
أن السماء أتى الي رسولها * بهدية ضاءت بها أرجائي
بالفرقدين وبالثريا أدرجا * في الطي من كافورة بيضاء
فكفى بذاك الطرس من كافوره * وبنظم شعرك من نجوم سماء
قسما بها وبنظمها وبنثرها * لقد انتحت لي ملء عين رجائي
وعلمت أنك أنت في ابداعها * لفظا وخطا معجز النبلاء
لما تعاطت بابل من سحرها * لما ادعاه الوشي من صنعاء
ولقد رميت لها القياد وانها * لقضية أعيت على البلغاء
وطلبت من فكري الجواب فعقني * وكبا بكف الذهن زند ذكائي
فلذا تركت عروضها وروبها * وهجرت فيها سنة الادباء

وبعثتها ألفيـــــة همزية * خدعا لفكر جامع ايائى
علمت بقدرك فى المعارف فانبرت * من خجلة تمشى على استحياء

انتهت القصيدة ومن خط ناظمها صفوان نقلتها (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى ترجمة ابى محمد عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الازدى فى التاج ماصورته طويل القوادم والخوافى كاف على كبر سنه بعقائل القوافى شاب فى الادب وشب ونشق ريح البيان لماهب فحاول رقيقه وجزله وأجاد جده وأحكم هزله فان مدح صدح وان وصف أنصف وان عصف قصف وان أنشأ ودون وتقلب فى أفانين البلاغة وتلون أفسد ماشاء الله وكون فهو شيخ الطريقة الادبية وقتاها وخطيب حفلها كلما أتاها لايتوقف عليه من اغراضها غرض ولايضيع لديه منها مفترض ولم تزل بروقه تتألق ومعانيه بأذيال الاحسان تتعلق حتى برز فى ابطال الكلام وفرسانه وذعرت القلوب بسطوة لسانه وألقت اليه الصناعة زمامها ووقفت عليه أحكامها وعبر البحر منجعا بشعره ومنفقا فى سوق الكساد من سعره فأبرق وأرعد وحذر وأوعد وبلغ جهد امكانه فى التعريف بمكانه فما حرك ولاهز وذل فى طلب الرفد وقد عز ومابرح أن رجع الى وطنه الذى اعتاده رجوع الحديث الى قتاده وقد أثبت من نزعاته وبعض مخترعاته مايدل على سعة باعه ونهضة ذراعه فمن النسيب قوله

مالمتعب دواء يذهب الالما * عنه سوى لمم فيه ارتشاف لمى
ولايرد عليه نوم مقلته * الا الدنو الى من شفه سقما
ياحاكما والهوى فينا يؤيده * هواك فى بما ترضاه قد حكما

ثم سردها وقال فى المديح

اليك جدبى التسيار تأميلا * فلى على فضلك المأمول تعويلا
الحمد لله حمدا لاكفاء له * بسعد أيامك المأمول قد نيلا
ياراغبا من حجاه دفع معضلة * فصبره بصروف الدهر قد عيلا
ألم بحضرة ملك كل مفتخر * بالملك يوليه بالتعظيم ترسيلا
فرع من الدوحة النصرية اجتمعت * فيه الفضائل تتميما وتكميلا
لديه مما لدى الصديق تسمية * ومبسم وكفاه ذلك تفضيلا

وهى طويلة انتهى * (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى الحسن على بن ابراهيم ابن على بن خطاب السكالى من أهل غرناطة ماصورته متسور على بيوت القريض فى الطويل من الكلام والعريض ممن اطاعته براعة الخط وسلمت لاقلامه رماح الخط عانى كتابة الشروط لاول أمره ثم ألظت به محنته على توفر خصاله ونبل خلاله وهو الآن من كتاب ديوان الحساب يتعين من الامور المخزنية ببعض الالقاب انتهى * (وقال فى التاج فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى ماصورته اللسن العارف الناقد لجواهر المعانى كما يفعل بالسكة الصيارف والاديب المجيد الذى تحلى به للعصر النحر والجيد ان أجال جياد براعته فضح فرسان المهارق

وأخجل بين بياض طرسه وسواد نقسه الطرر تحت المفارق وان جلا أبكار أفكاره وأثار طير البيان من أوكاره سلب الرحيق المقدم فضل اسكاره الى نفس لا يفارقها ظرف وهمة لا يرتد اليها طرف وابانة لا يفل لها غرب ولا حرف وله أدب غض زهره على مجتنيه منفض كتبت اليه أستنجز وعده في الاتحاف برائقه والامتاع بزهر حدائقه قولى

عندى لموعدك افتقار محرج * وعهودك افتقرت الى أنجازها
والله يعلم فيك صدق مودتى * وحقيقة الاشياء غير مجازها

فاجابنى بقوله

يامهدى الدر الثمين منظما * كلما حلال السحر فى ايجازها
أدركت حلبات الاوائل وانيا * ورددت أولاها على أعجازها
أحرزت فى المضمار خصل سباقها * ولانت أسبقهم الى احرازها
حليت بالسمطين منى عاطلا * وبعثت من فكرى فتاة مفازها
فلا نحجزن مواعدى مستعطفا * فاسمح وبالاغضاء منك فجازها انتهى

(وقال فى الاحاطة) فى حق المذكور انه من أهل الفضل والمروءة والرجولة والجزالة فذ فى الكفاية ظاهر السداجة والسلامة مصعب لاضداده شديد العصبية لاولى وداده يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ومشاركة فى فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة ممتعة ناب عن بعض القضاة وكتب الشروط وارتسم فى ديوان الجند وكتب عن شيخ الغزاة أبى زكريا يحيى بن عمر على عهده ثم انصرف الى العدوة سابع عشر جمادى الاولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فارتسم فى الكتابة السلطانية منوها به مستعملا فى خدم مجدية بان غناه فيها وظهرت كفايته انتهى * وقد وصفه بصاحبنا ثم قال ومن شعر المذكور قوله

ليت شعرى والهوى أمل * وأمانى الصب لا تقف
هل لذاك الوصل مرتجع * اولهذا الهجر منصرف

وقال

وظبى سبى بالطرف والعطف والجيد * وما حاز من غنج ولين ومن غيد
أشرت اليه بالدنو مداعبا * فقال ايدنو الظبى من غابة الاسد

وقال فى مبدا قصيدة مطولة

حديث المغانى بعدهن شجون * وأوجه أيام التباعد جون
سقى الله أيام الفراق فكم شجت * وغادرت الجذلان رهو حزين
وحيا ديار اق ربا غرناطة * وانى بذاك القرب منك ضنين
لارخصت فيها من شبابى ماغلا * وعزمى على مال العفاف أمين
خليلى لا أمر بأربعها قفا * فعندى الى تلك الربوع حنين
الم تريانى كلما ذر شارق * تضاعف عندى عبرة وأنين
اذا لم يساعدنى اخ منكما فلا * حدت لحزن بعد ذاك امون

أليس عجيبا فى البرية من له * الى عهد اخوان الزمان ركون
فلا تثقن من ذى وفاء بعهده * فقد أجن السلسال وهو معين
لقلبى عذر فى فراق ضلوعه * وللدمع فى ترك الشؤن شؤن
ومن ترك الحزم المعين فانه * لعان بأيدى الحادثات رهين
رعى الله أيامى الوثيق ذمامها * فان مكانى فى الوفاء مكين
ولم أر مثل الدهر أما عدوه * فخب وأما خله فخؤون
ولولا أبو عمرو وجود بنانه * لما كان فى هذا الزمان معين

وقال

زار الخيال ويالها من لذة * لكن لذات الخيال منام
مازات ألثم مبسما منظومه * درا ومورده الشهى مدام
واضم غصن البان من أعطافه * وأشم مسكا فاض عنه ختام

مولده عام ستة وسبعمائة وتوفى بفاس وقد تخلفه السلطان كاتب ولده عند توجهه لافريقية فى العشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى (وقد وهم لسان الدين) فى شهر وفاة المذكور وانما الصواب انه توفى يوم الاحد ثامن شوال فاعلم ذلك والله سبحانه اعلم (رجع) وقال فى التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى وفى الاكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج الجواهر وغيرهما مما ثبت فى حلى رؤساء الكتاب وحاملى ألوية الآداب فى ترجمة شيخه ابن الجياب مانصه صدر الصدور والجلة وعلم أعلام هذه الملة وشيخ الكتابة وبانيها وهاصر أفنان البدائع وجانيها اعتمدته الرياسة فناءها على حبل ذراعه واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه فتقفيا للعناية ظلا ظليلا وتعاقبت الدول فلم تر به بديلا من ندب على علاوه متواضع وحبر لمدى المعارف راضع لا تمر مذاكرة فى فن الا وله فيه التبريز ولا تعرض جواهر الكلام على محكات الافهام الا وكلامه الابريز حتى أصبح الدهر راويا لاحسانه وناطقا بلسانه وغرب ذكره وشرق وأشأم وأعرق وتجاوز البحر الاخضر والخليج الازرق الى نفس هذبت الآداب شمائلها وجادت الرياضة خمائلها ومراقبة لربه واستشاق لروح الله من مهبه ودين لا يجم عوده ولا تخلف وعوده وكل ماظهر علينا معشر بنيه من شارة تجلى بها العين أو اشارة كاسبك اللجين فهى اليه منسوبة وفى حسناته محسوبة فانما هى أنفس راضها بآدابه وأعلقها بأهدابه وهذب طباعها كالشمس تلقى على النجوم شعاعها والصور الجميلة تترك فى الاجسام الصقيلة انطباعها وماعسى أن أقول فى امام الائمة ونور الدياجى المدلهمة والمثل السائر فى بعد الصيت وعلو الهمة وقد أثبت من عيون قصائده وأدبه الذى علق الاحسان فى مصايده كل وثيق المعنى كريم المجنى جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى انتهى * والمذكور له ترجمة فى هذا الكتاب فى باب مشيخة لسان الدين فلتراجع (وقال فى الاكليل) فى حق عمر بن على بن غفرون الكلبى من أهل منتقرير ماصورته شيخ خدم

قام له الدهر فيها على قدم وصاحب تعريض ودهاء عريض وفاز من الدول النصرية بأيادٍ بيض أصله من حصن منتقرير خدم به الدولة النصرية عند انتزاء أهله وكان ممن استنزلهم من حزنه الى سهله وحكم الامر الغالبي فى يافعه وكهله فكسب حظوة ارضته ووسيلة أرهفته وأمضته حتى عظم جاهه وماله وبسقت آماله ثم دالت الدول وتنكرت أياصه الاول وتغلب من يجانسه وشقى بمن كان ينافسه فخف عوده والتاث سعوده وهلك والخول يظله والدهر يقوته من صبابة حرث كان يستغله وله شعر لم يقنه النظر ولا وضحت منه الغرر توفى فى ذى الحجة عام أربعة وأربعين وسبعمائة انتهى *(وقال فى الاكليل) فى حق قاسم بن محمد بن الجد الفهرى المرى ما صورته هو من أئمة أهل الزمام خليق برعى الذمام ذو حظ كما تفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان ببلده حاسبا ودرا فى لجة الاغفال راسبا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل قال يمدح السلطان

أرى أوجه الايام قد أشرقت بشرا * فقل لى رعاك الله ما هذه البشرى
وما بال أنفاس الخزامى تعطرت * فأرجت الارجاء من نفحها عطرا
ونقبت الشمس المنيرة وجهها * قصورا عن الوجه الذى أخجل البدرا

وهى طويلة توفى المذكور عام خمسين وسبعمائة بالطاعون *(وقال فى الاكليل) فى حق أبى عثمان سعيد الغسانى ما صورته هو ممن يتشوق الى المعرفة والمقالات ويتسق الى الحقائق والمحالات ويشتمل على نفس رقيقه ويسير من تعليم القرآن على خير طريقه ويعانى من الشعر ما يشهد بنبله ويستظرف من مثله انتهى *(وقال فى الاكليل) فى ترجمة أبى الحجاج يوسف بن على الطرطوشى ما صورته روض أدب لا تعرف الذواء أزهاره ومجموع فضل لا تخفى آثاره كان فى فنون الادب مطلق الاعنة وفى معاركه ماضى الظبا والاسنة فان هزل والى تلك الطريقة اعتزل أبرم من الغزل ما غزل وبزل من دنان راحه ما بزل وان صرف الى المغرب غرب لسانه وأعاره لمحة من احسانه أطاعه عاصيه واستجمعت لديه أقاصيه وردعلى الحضرة الاندلسية والدنيا شابة وريح القبول هابة فاجتلى محاسن أوطانها وكتب عن سلطانها ثم كر الى أوطانه وعطف وأسرع اللحاق كالبارق اذا خطف وتوفى عن سن عالية وبرود من العمر غالية انتهى (وقال فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أحمد بن المتأهل العذرى من أهل وادى آش ما صورته رجل غليظ الحاشية معدود فى جنس السائمة والماشية تليت على العمال به سورة الغاشية ولى الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وأيقنوا بتيام قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهى احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد عن المصانعة والرشوة يتجنب الناس ويفول عند المخالطة لهم لامساس عهدى به فى الاعمال يحبط ويتبر وهو يهلل ويكبر ويحسن ويقبح وهو يسبح وقال يخاطب بعض أمراء الدولة

عمادى ملاذى موئلى ومؤملى * ألا انعم بما ترضاه للمتأهل

وحقق بنيل القصد منك رجاءه * على نحو ما يرضيك ياذا التفضل
فأنت الذى فى العلم يعرف قدره * بخير زمان فيه لازلت تعتلى
فهنيت يامعنى الكمال برتبة * تقر لكم بالسبق فى كل محفل

توفى عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى وتذكرت بقوله ويحسن ويقبح وهو يسبح قول الآخر

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح انتهى

(رجع وقال لسان الدين) فى ترجمة أبى عبد الله بن باق من التاج ماصورته مدير أكؤس البيان المعتق ولعوب بأطراف الكلام المشقق انتحل لاول أمره الهزل من أصنافه فأبرز درر معانيه من أصدافه وجنى ثمرة الابداع لحين قطافه ثم تجاوزه الى المغرب وتخطاه فأدار كاسه المترع وعاطاه فأصبح لفنيه جامعا وفى فلكيه شهابا لامعا وله ذكاء يطير شرره وادراك تتبلج غرره وذهن يكشف الغوامض ويسبق البارق الوامض وعلى ذلاقة لسانه وانفساح أمد احسانه فشديد الصبابة بشعره مغل لسعره انتهى والمذكور هو محمد بن ابراهيم بن على بن باق الاموى مرسى الاصل غرناطى النشأة مالقى الاستيطان (وقال فى عائد الصلة كان رحمه الله تعالى كاتبا أديبا ذكيا لوذعيا يجيد الخط ويرسل النادرة ويقدم على العمل ويشارك فى الفريضة ربد السباق فى الادب الهزلى المستعمل بالاندلس غبر زمانا من عمره محاربا للفاقة يعالج بالادب الكدية ثم استقام له الميسم وأمكنه البحث من امتطاء غاربه فأنشبت الحظوة فيه أظافيرها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدبر تجر فاثرى ونمى ماله وعظمت حاله عهد عند ماشارف الرحيل بجملة تناهز الالف من العين لتصرف فى وجوه من البر فتوهم أنها كانت زكاة أمسك بها انتهى * وقال أيضا أخبرنى الكاتب أبو عبد الله بن سلمة انه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله فى رويه

أحرز الخصل من بنى سلمه * كاتب تخدم الظبا قلمه
يحمل الطرس من أنامله * اثر الحسن كلما رقمه
وعد البيان فكرته * مرسلا حيث يمحت ديمه
خصنى متحفا بخمس اذا * بسم الروض فقن مبتسمه
قلت اهدى زهر الربا خضلا * فاذا كل زهرة كلمه
أقسم الحسن لايفارقها * فأبر انتقاؤها قسمه
خط أسطارها ونقطها * فأتت كالعقود منتظمه
كاسيا من حلاه لى حللا * رسمها من بديع مارسمه
طالبا عند عاطش نهلا * ولديه الغيوث منسجمه
يبتغى الشعر من أخى بله * اخرس العى والقصور فمه
أيها الفاضل الذى حفظت * ألسن المدح والثنا شيمه

لا تكلف أخاك مقترحا * نشر عار لديه قد كتمه
وابق فى عزة وفى دعة * ضاق العيش وارداشمه
ماثنى الغصن عطفه طربا * وشدا الطير فوقه نغمه

ورأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبى الحسن على بن لسان الدين ما صورته نعم ما خاطب به شيخنا وبركة أهل الاندلس وصدر صدورهم اباعبد الله بن سلمة ومن لفظه سمعتها بالقاهرة وانها لمن النظم العالى المتسق نسق الدر فى العقود رحمه الله تعالى قاله ابن المؤلف انتهى * وقرأ ابن باق المذكور على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير والخطيب أبى عثمان بن عيسى وتوفى بمالقة فى اليوم الثامن والعشرين لمحرم فاتح عام اثنين وخمسين وسبعمائة وأوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبى عبد الله الطنجالى وأبى عثمان ابن عيسى أن يدفن به وأن يكتب على قبره هذه الابيات

ترحم على قبر ابن باق وحيه * فمن حق ميت الحى تسليم حيه
وقل أمتن الرحمن روعة خائف * لتفريطه فى الواجبات ونحيه
قد اختار هذا القبر فى الارض راجيا * من الله تخفيفا بقدر وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره * ويشمل بالمعروف أهل نديه
وانى بفضل الله أوثق واثق * وحسبى وان اذنبت حب نبيه انتهى

(رجع وقال لسان الدين) فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن سالم بن فضيلة المعافرى المرى المدعو بالتنوء من الاكليل مانصه شيخ أخلاقه لينه ونفسه كما قيل هينه ينظم الشعر سهلا مساقه محكما اتساقه على فاقة مالها من افاقة أنشد المقام السلطانى بظاهر بلده قوله

سرت ريح نجد من ربا أرض بابل * فهاجت الى مسرى سراها بلابلى
وذكرنى عرف النسيم الذى سرى * معاهد أحباب سراة أفاضل
فأصبحت مشغوفا بذكر منازل * ألفت فواشوقى لتلك المنازل
فيا ريح هبى بالبطاح وبالربا * ومرى على أغصان زهر الخمائل
وسيرى بجسمى للتى الروح عندها * فروحى لديها من أجل الوسائل
وقولى لها عنى معنالك بالنوى * له شوق معمود وعبرة ثاكل
فيا بأبى هيفاء كالغصن تنثنى * تقد بقد كاد ينقد مائل

وهى طويلة ومن شعر المذكور قوله من قصيدة

بهرت كشمس فى غلالة عسجد * وكبدر تم فى قضيب زبرجد
ثم انثنت كالغصن هزته الصبا * طربا فتزرى بالغصون الميد
حوراء بارعة الجمال غريرة * تزهى فتزرى بالقضيب الاملد
ان أدبرت لم تبق عقل مدبر * أو أقبلت قتلت ولكن لاتدى

قال القاضى أبو البركات بن الحاج وابتلى المذكور باختصار كتب الناس فمن ذلك مختصره المسمى بالدرر الموسومة فى اشتقاق الحروف المرسومة وكتاب حكايات يسمى

دوحة الجنان وراحة الجنان وغير ذلك * قال أبو البركات وسألته عن مولده فقال لي اليوم ستون سنة وقال ذلك ليلة الخميس السابع والعشرين لذي قعدة عام أربعين وسبعمائة وتوفي آخر رمضان من عام تسعة وأربعين رحمه الله تعالى انتهى (رجع قال لسان الدين في الاكليل في ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبي العباس أحمد بن علي الملياني المراكشي ما نصه الصارم الفاتك والكاتب البائك أي اضطراب في وقار وتجهم تحته أنس العقار اتخذه ملك المغرب صاحب علامته وتوجه تاج كرامته وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بشار عمه ويطوقهم دمه بزعمه ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه اذ سعوا فيه حتى اعتقل ثم جد في أمره حتى قتل فترصد كتابا الى مراكش يتضمن أمرا جزما ويشمل من أمور الملك عزما جعل فيه الامر بضرب رقابهم وسبي أسبابهم ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأنى حتى علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فزا الى تلمسان وهي بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب من فراره وسوء اغتراره ورجت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنيعة على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام وأقام بتلمسان الى أن حل مخنق حصرها وأزيل همبان الضيقة عن خصرها فلحق بالاندلس ولم يعدم برا ورعيا مستمرا حتى أتاه حمامه وانصرمت أيامه انتهى والمذكور ترجمه في الاحاطة بقوله صاحب العلامة بالمغرب الكاتب الشهير البعيد الشأو في اقتضاء الترة المثل المضروب في الهمة وقوة الصريمة ونفاذ العزيمة حاله كان نبيه البيت شهير الاصالة رفيع المكانة على سجية غريبة من الوقار والانقباض والصمت آخذ بحظ من الطب حسن الخط مليح الكتابة قارضا للشعر تذهب نفسه فيه كل مذهب وصمته فتك فتكة شهيرة أساءت الظن بجملة الاقلام على ممر الدهر وانتقل الى الاندلس بعد مشقة شعره من شعره الذي يدل على بأوه وانفساح خطاه في النفاسة وبعد شأوه قوله

العز ما ضربت عليه قبابي * والفضل ما اشتملت عليه ثيابي
والزهر ما أهداه غض براعتي * والمسك ما أبداه نفس كتابي
فالمجد يمنع أن يزاحم موردي * والعزم يأبى أن يضام جنابي
فاذا بلوت صنيعة جازيتها * بجميل شكري أو جزيل ثوابي
واذا عقدت مودة اجريتها * مجرى طعامي من دمي وشرابي
واذا طلبت من الفراقد والسها * ثارا فأوشك أن انال طلابي

وفاته توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ودفن بجبانة باب البيرة تجاوز الله تعالى عنه انتهى (رجع الى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى) فمن ذلك قوله في الروضة في ترجمة ضخام الغصون من شجرة السر المصون ما صورته وهي التي أفادت الظل الظليل وزانت المرأى الجميل وتكفلت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل وتعددت الى غصون المحبوبات وأقسام موضوعاتها المكتوبات وغصن

المحبين وأصنافهم المرتبين وغصن علامات المحبه وشواهد النفوس الصبه وغصن الاخبار المنقوله عن ذوى النفوس المصقوله وعند تعيين هذه الاغصان المقسومه كمل شكل الشجرة المرسومه والسرحة الموصوفة الموسومه ففاءت الظلال وكرمت الخلال فحيي من تفرد وتوحد واستظل من استهدى واسترشد ووقف الهائم فخطب وأنشد

يا سرحة الحى يا مطول * شرح الذى بيننا يطول
عندى مقال فهل مقام * تصغين فيه لما أقول
ولى ديون عليك حلت * لو أنه ينفع الحلول
ماض من العيش كان فيه * منزلنا ظلك الظليل
زال وماذا عليه ماذا * يا سرح لو لم يكن يزول
حيا عن المذنب المعنى * منبتك القطر والقبول انتهى

وقال رحمه الله تعالى فصول فى المعرفة تغازل بها عيون الاشارة اذا قصرت عن تمام المعنى السن العبارة ولله در القائل

واذا العقول تقاصرت عن مدرك * لم تتكل الا على أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسية والنفوس الجنسية والعقول القدسية والبروز الى فضاء الازل اذ افنى من لم يكن وبقى من لم يزل مع عمران المراتب ورؤية الجائز فى الواجب

ومن عجب انى أحن اليهم * وأسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق وأفول وشروق وسل عروق وردمسروق حتى يذهب الكيف والاين ويتعين العين فيجمع العدد ويجمل وينجى السوى ومع ذلك لا يهمل

للعدا منك نصيب * ولك السهم المصيب
انما يومك يوما * ن خصيب وعصيب

المعرفة مقام سامى المنعرج عاطر الارج ينقل من السعة الى الحرج ومن الشدة الى الفرج

طريقك لا تخفى به ان تتبعت * خطاك ولا يخفى مبيتك فيه
متاعك منشور على كل خيمة * ورؤياك أمن من ترفع تيه

المعرفة عين ان لم تبصر أجزاءها أحسن الله عزاءها وحقيقة ان لم يجعل الفراق ازاءها كانت الغيرة جزاءها فهى دائرة مركزها يجمع ومحيطها فى التفريق يطمع ليستقل الملك أجمع ويرى من يرى ويسمع من يسمع

بعد المحيط من المحدد واحد * والكل فى حق الوجود سواء
والحق يعرف ذاته من ذاته * صح الهوى فتلاشت الاهواء

المعرفة صعود ونزول ووقوف ووصول فلا الوصول عن البداية يقطع ولا البداية عن النهاية تمنع

من له الامر أجمع * كل ما شاء يصنع
حصل القصد واستقر فلم يبق مطمع

العارف في البداية يشكر الراكع والساجد ثم يعذر الواجد والمتواجد ثم يرجم المنكر الجاحد فاذا انتهى ورد العدد الى الواحد قال لسان حاله

من رأى لي نشيدة * أو على عينها أثر
فله الحكم قل له * ذهب العين والاثر

الى أن قال قال الرئيس العارف هش بش بسام فيجل الصغير من تواضعه مثل ما يجل الكبير ويبسط من الخامل مثل ما يبسط من النبيه ثم عال فقال وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق وبكل شئ فانه يرى فيه الحق انى لاجد ريح يوسف

لمعت نارهم وقد عسعس الليل * وضج الحادي وحار الدليل
فتأملتها وقلت لصحبي * هذه النار نار ليلى فميلوا

العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن هيبة الموت وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباخل وصفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق وقالوا من عرف الله تعالى صفاله العيش وطابت له الحياة وهابه كل شئ وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله رب العالمين * الشبلي ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى من عرف الله سبحانه انقطع بل خرس وانقمع لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك انتهى * وقال رحمه الله تعالى في بعض تراجم الروضة الفرع الصاعد الى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم الى منتهى الوجود الدائم ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف وافنان ذوات ألوان قنوان وغير قنوان وطلع نضيد وجنى سعيد فالقشر الحدود والرسوم وخواص العارف الذي هو المعروف بها والموسوم والفنون التي يقوم عليها والعلوم والجرم ظاهر الخلق المقسوم وعلاجه كما تعالج الجسوم وباطنه المجاهدات التي عليها يقوم وقلبه الرياضة ولغصون المقامات فيها المقام المعلوم ومادتها السلوك الذي بتدريج غذائه تبلغ الافنان والورقات ماتروم والزهرات اللوائح والطوالع والبوادة التي لها الهجوم والواردات التي تدوم أو لا تدوم ثم الجنى وهو الولاية التي كان الغارس عليها يحوم انتهى ثم فصل الكل رحمه الله تعالى فليراجعه من أراده (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه على لسان سلطانه للامير بلبغا الخاصكي وهو الى الامير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين المقلد بتدبيره السديد قلادة الدين المثنى على رسوم يسره لمقامه لسان الحرم الامين الآوي من مرضاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الى ربوة ذات قرار ومعين المستعين من الله تعالى على ما تحمله وأمله بالقوي المعين سيف الدعوة ركن الدولة قوام الملة مؤمل الامة تاج الخواص أسد الجيوش كافي الكفاة

زين الامراء علم الكبراء عين الاعيان حسنة الزمان الاجل المرفع الاسنى الكبير
الاشهر الاسمى الحافل الفاضل الكامل المعظم الموقر الامير الاوحد بلبغا الخاصكى
وصل الله له سعادة تشرق غرتها وصنائع تسح فلا تشح درتها وأبقى تلك المثابة قلادة الله
تعالى وهو درتها سلام كريم طيب عميم يخص امارتكم التى جعل الله تعالى الفضل على
سعادتها أمارة واليسر لها اشارة فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت ادارة وتمتثل
الرسوم كلما أشارت اشارة أما بعد حمد الله تعالى الذى هو يعلم فى كل مكان من قاص
ودان واليه توجه الوجوه وان اختلفت السير وتباعدت البلدان ومنه يلتمس الاحسان
وبذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسوله العظيم الشان ونبيه الصادق البيان الواضح البرهان والرضا عن
آله وأصحابه وأحزابه أخلاص الخليل ورهبان الليل وأسود الميدان والدعاء لامارتكم
السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان والتوفيق الوثيق البنيان فانا كتبناه اليكم كتب الله
تعالى لكم حظا من فضله وافرا وصنيعا عن محيا السرور سافرا وفى جو الاعلام بالنعم
الجسام مسافرا من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاندلس دافع الله سبحانه
عن حوزتها كيد العداة وأتحف نصلها بيواكر النصر المهداة ولا زائد الا الشوق
الى التعارف بتلك الابواب الشريفة التى أنتم عنوان كتابها المرقوم وبيت قصيدها
المنظوم والتماس بركتها الشائقة الرسوم وتقرير المثول فى سبيل زيارتها بالارواح عند
تعذره بالجسوم والى هذا فانا كانت بين سلفنا تقبل الله تعالى جهادهم وقدس نفوسهم
وامن معادهم وبين تلك الابواب كما عرفتم من عدلها وافضالها مراسلة ينم عرف
الخلوص من خلالها وتسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها وتلتمح من أسطار طروسها
محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد اشتقنا
الى أن نجتدها بحسن منابكم ونواصلها بمواصلة جنابكم ونغتنم فى عودها الحميد
مكانكم ونؤمل لها زمانكم فخاطبنا الابواب الشريفة فى هذا الغرض مخاطبة نخلة من
التقصير وجلة من الناقد البصير ونؤمل الوصول فى خفارة يدكم التى لها الايادى البيض
والموارد التى لا تغيض ومثلكم من لا تخيب المقاصد فى شمائله ولا تضحى المآمل فى ظل
خمائله فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الآفاق وصحب الرفاق واستلزم الاصفاق
وهذه البلاد مباركة ما أسلف أحد فيها مشاركة الا وجدها فى نفسه ودينه وماله وعياله
والله سبحانه أكرم من وفى لامرئ بمكاله والله عز وجل يجمع القلوب على طاعته وينفع
بوسيلة النبى صلى الله عليه وسلم الذى نعول على شفاعته ويبقى تلك الابواب ملجأ للاسلام
والمسلمين وظلا لله تعالى على العالمين واقامة لشعائر الحرم الامين ويتولى اعانة امارتكم
على وظائف الدين ويجعلكم ممن أنعم الله تعالى عليه من المجاهدين والسلام الكريم
يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) قوله
فى قضية امتناع بعض الموثقين من أكل طعامه بمدينة سلا وقد صدر به كتابه المسمى بمثلى
الطريقة فى ذم الوثيقة وهذا نصه أما بعد حمد الله الذى قرر الحكم وأحكمه وبين

الحلال من الحرام بما أوضحه من الاحكام وعلمه ونوع جنس المعاش وقسمه ومازكى نوع منه ووسمه فأثبته متفاوتا فى درجات التفضيل ورسمه والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله الذى فضله على الانبياء وقربه وطهره من دنس الشبهات شيمه فما استعمله فى غير طاعته ولا استخدمه ولا أعمل فى سوى البر والهدى بنانه ولا قدمه والرضا عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه واستطروا ديمه وتواصوا من أجله بالبر وتواصوا بالمرحمه فهذا كتاب سميته مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة دعا الى جمعه قلة الانصاف من المداهن والمعاصر والمباهت فى درك النور الباصر ورضى مظنة النيل منهم بالباع القاصر والمناضلة عن الحمى الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر ولوضعه حكاية ولنفثته شكاية اذ معرفة الاشياء بعللها مما يتشوق اليه ويحرص عليه وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله تعالى مستخلصا بشفاعة الخلافة ذات الانافة مستدعى برسالة الايالة ذات الجلالة فانسحب والمنة لله الستر وانفسح الفتر وشفع من النعم الوتر واقتدى المرؤس بالرئيس وتنافس الاعلام فى التأنيس واتصل الاحتفاء والاستدعاء وانتخب الموعى والوعاء وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء والطيب والدعاء تعرفت فيمن جمعته الاخونة والمداعى المتعينة برجل من نبهاء موثقيها غرنى بمخيلة البشاشة التى يستفز بها الغريب ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب فأنست بمكانه واستظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه وشانى فى الاغتباط بمن عرفت شانى فلست للمقة بشأنى واسترسالى حتى لمن أسالى طوع عنانى

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * ضميرى ويتلوه يدى ولسانى

ولم يك الا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل وان رغم الدهر الذى رمى فأقصد معتمدا بفتوحات الله تعالى وان ارتج الباب بزعمه وأوصد مصحبا بمدد عنايته وان كمن وأرصد لايرز فاضل الاعرج على منواى وأتى من البر فوق هراى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وتعرفت عن صاحبى الفاسى أنه قدم علينا من سخر عملية فلالها الدسر المنهوبة وتحللها المسبعة المرهوبة واغتذى الاطعمة التى مرقتها الدموع ومطبختها الحمى المروع واستقر بالمدينة بعد أن لان وضرع وجدل وصرع نافق البقلة كاسد الورع ونزل بمثوى خمول ومحط مجهول وكنف ممقوت وجوار لايخل بغيبة ولايسمح بقوت فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقى به الوارد ويقتاد الشارد وقد أغرب بقراءة الاحتفاء والاحتفال واجنب الاغفاء والاغفال وجهزت السرايا الى التماس نعم الله تعالى فحلت الانفال فلما عرض عليه الدعوة تعجرف ونفر ولما مسح عطفه بالاستزال نزا وطفر حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر وآب يحمل عذرا باردا واحتجاجا شاردا فاقطعته جانب شماسه وخليت بينه وبين وسواسه ومن الغد قصدنى فاعتذر وأكثر الهذر ولم ينبت الله انبات الحسن شيأ مما بذر وكان جوابى اياه مانصه

أبيتم دعوتى اما لشأو * وتأبى لومه مثلى الطريقه
وبالمختار للناس اقتداء * وقد حضر الوليمة والعقيقه

وغير غريبة ان رق حر * على من حاله مثلى رقيقه
واما زاجر الورع اقتضاها * ويأبى ذاك كان الوثيقه
وغشيان المنازل لاختيار * يطالب بالجليلة والدقيقه
شكرت مخيلة كانت مجازا * لكم وحصلت بعد على الحقيقه

وداع خبرها فقلبت عنها الجنوب وكلف بها الطالب والمطلوب وهش الى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحول حول حمى الادراك ويروم درجة الاختصاص ببعض الفنون والاشتراك وله فى الادب مساس وجلباب الباس بمانصه

رسولك لم يبن لى عن طريقه * تقرب من حديقتك الانيقه
فلا بأولدى ولا اباء * ولكن ساء فى الغرض الطريقه
وهب انى أسأت فكم صديق * تدلل واعتدى فخف اصديقه
فلا عجب فديت لرفق حر * يسكن عند خجلته رفيقه
وانى فيك معتقد ولكن * أرى الايام حاقدة حنيقه
على ذى الود فيمن ود حتى * يفارقه وان أضحى رفيقه

فراجعته بمانصه لما أسلفته من جزاء مصاعه وكلت له بصاعه

من استغضبت من هذى الخليقه * بغضبة بانكار خليقه
ولم يغضب فنيس أو حمار * مجازا لا لعمرى بل حقيقه
بعثت بمرسل لك مع عتيق * فلم تطع الرسول ولا عتيقه
وطوقت السفير الذنب لما * عجلت به ولم تبلعه ريقه
امام جماعة وفريع تقوى * ومبلغ حجة وحفيظ سيقه
فبؤت بها على الايام داء * عضالا لا تفيق عليه فيقه
وقد عارضت عذرك باعتراف * فزدت مذمة تسم الطريقه
وهل بعد اعتراف من نزاع * وهل بعد افتصال من وثيقه
ومن جهل الحقوق أطاع نفسا * بحمر الجهل راسبة غريقه
ومنجى نيقة أمر بعيد * اذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ وأقصر ورأى الامر يطول فاختصر الا انه نمى لى عنه قوله ان ذكان الوثيقة ان نافى الورع فبغير بلده واذهلته لذة لدده عما هو بصدده فارتهنت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل وينكره الا رعن الجاهل وتشد به المنازل والمناهل والمعالم والمجاهل مستندا الى الحكم الشرعى والسنن المرعى والمشاهدة والحس وشهادة الجن والانس ولو ترك القطا ليلا لنام والله يجعله موقظا من السنات وازعا عن كثير من الهنات وينفع فيه بالنية فانما الاعمال بالنيات وها انا أبتدئ وعلى الله الاعانة وبحوله وقوته الافصاح والابانة قلت ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب * الباب الاول فى جواز الاجارة فيها عند العلماء * الباب الثانى فى الشركة المستعملة بين أربابها * الباب الثالث فى محلها من الورع ان سوغها الفقه * الباب الرابع فى منزلتها من

الصنائع والمهن * الباب الخامس فى احوال منتحليها من حيث العلم غالبا * الباب السادس فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه * الباب السابع فى رد بعض ما يحتج به فيها انتهت الخطبة المقتطعة من تأليف لسان الدين رحمه الله تعالى وهذا التأليف فى نحو كراسة وقال فى آخره ما صورته فان قيل ترك الاجر وقبول العوض فى هذا الامر يدعو الى تعطيله فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة وغناءها قلت الانصاف فيها اليوم أن لو كان متوليها يرتزق من بيت المال وأموال المصالح والاوقاف التى تسع ذلك وحال الجماهير فى فقدانها والاضطرار اليها ورفع أمورهم بها الى السلطان ورغبتهم فى نصب من يتولى ذلك حالهم فى فقدان أئمة الصلاة فى المساجد الراتبة فى جريانه من بيت المال بعلة التزامهم وارتباطهم فقط حسبما نقل الاجماع فيه القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى ومنع الارتزاق من غيره اجماعا وقد كان بالمدن المعتبرة من بلاد الاندلس جبرها الله تعالى ناس من أولى التعفف والتعين كبنى الجد باشبيلية وبنى الخليل وغيرهم بغيرها يتعيشون من فضول أملاكهم ووجائب رباعهم ويقعدون بدورهم عاكفين على بر منتابين لرواية وفتيا يقصدهم الناس فى الشهادة فيجاملونهم ويبركون على صفقاتهم ويهدونهم الى سبيل الحق فيها من غير أجر ولا كلفة الا الحفظ على المناصب وما يجريه السلطان من الحرمة والتفقد فى الضرورة وما يهديهم الناس من الاطراء والتجلة والله سبحانه من الاجر والمثوبة وبلغنى اليوم ان حالها بمدينة سجلماسة ينظر الى هذا الحال من طرف خفى ولم يفسد بها كل الفساد وكذلك لم نزل نتعرف أن الامر فى شأنها بمدينة تونس أقرب وبعض الشر أهون من بعض ولو بقيت بحالها الوجب تقرير فضلها وتقريظ منتحلها فالصدق أنجى والحق عند الله أحجى والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقضيه ويجعلنا ممن ختم له بالحسنى ويقربنا الى ما هو أقرب من رحمته وأدنى وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه انتهى وكتب على ظهر الورقة الاولى من هذا التأليف شيخ شيوخنا الامام الكبير المؤلف الشهير سيدى أحمد الونشريسى رحمه الله تعالى ما صورته الحمد لله جامع هذا الكلام المقيد هذا بأول ورقة منه قد كد نفسه فى شئ لا يعنى الافاضل ولا يعود عليه فى القيامة ولا فى الدنيا بطائل وأفنى طائفة من نفيس عمره فى التماس مساوى طائفة بهم تستباح الفروج وتملك مشيدات الدور والبروج وجعلهم أضحوكة لذوى الفتك والمجانة وانتزع عنهم جلباب الصدق والديانة سامحه الله تعالى وغفر له قال ذلك وخطه بيمنى يديه عبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الونشريسى غفر الله سبحانه له انتهى ما ألفيته وقد كان لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ما يعرض ويصرح بهجو بعض أهل سلا أو كلهم حتى قال

أهل سلا صحت بهم صائحة * غادية فى دورهم رائحة
يكفيهم من عورأنهم * ريحانهم ليست له رائحة

والله المرجو للعفو عن الزلات *(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) خطبة كتاب فى

المحبة الذى ما ألف فى فنه أجمع منه ولنوردها فان فيها دلالة على فضله وعظم قدر الكتاب وهى اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة وعلل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة وسدد الى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة واستخدم فى تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة ودل على حضرة قدسك خطرات خواطرنا الذاتقة وأبن لنا سبل السعادة التى جعلت فيها الكمال الاخير لهذه الانفس الناطقة واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة وأحزابها المنافقة وأوهامها الطائرة الطارقة وبراثنها القاسية الغاسقة فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة ولا الانوار المغلظة البارقة ولا العقول المفارقة يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة وصل على عبدك ورسولك محمد درة عقود أحبابك المتناسقة وجالب بضائع توحيدك النافقة المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ما أطلعت أفلاك الادواح زهر أزهارها الرائقة وحدت قطار السحائب حداة رعودها السائقة وجمعت ريح الصبا بين قدود أغصانها المتعانقة * أما بعد فانه لما ورد على هذه البلاد الاندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها وأبقاها دار ايمان الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ديوان الصبابة وهو الموضوع الذى اشتمل من ابطال العشاق على الكثير واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظيم ونثير وأسدى فى غزل غزله وألحم ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم فصدق الخبر المخبر وطمت اللجة التى لا تعبر وتأرج من مسراه المسك والعنبر وقالت العشاق عند طلوع فجره الله أكبر

مررت بالعشاق قد كبروا * وكان بالقرب صبى كريم
فقلت ما بالهم قال لى * ألقى المحب كتاب كريم

لا غرو أن أقام بهذه الآفاق أسواق الاشواق وزاحم الزفرات فى مسالك الاطواق وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحقاق وفتك نسيمها الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق

جنى النسيم علينا * وما تبينت عذره
اذ صير الخلق نجدا * والارض أبناء عذره

فوقع للحجة المصرية التسليم وقالت ألسنة الاقلام معربة عن السنة الاقاليم

سلمت لمصر فى الهوى من بلد * يهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواى فقل عنى له * تكفى امرأة العزيز من عشاقه

فغمر المحافل والمجالس واستجلس الراكب واستركب الجالس يدعو الادب الى مأدبته فلا يتوقف ويلقى عصا سحره المصرى فتتلقف ما شئت من ترتيب غريب وتطريب من بنان أريب يشير الى الشعر فتنقاد اليه عيونه ويصيح بالادب الشريد فتلبيه فنونه وأنهى خبره للعلوم المقدسة ومدارك العز الموطدة المؤسسة وسمابه الجد صعدا الى المجلس

السلطانى متزر الكمال ومطمح الابصار والآمال حيث رفارف العز قد انسدلت وموازين القسط قد عدلت وفصول الفضل قد اعتدلت وورق أوراق المحامد قد هدلت مجلس السلطان المجاهد الفاتح الماهد المتحلى فى ريعان العمر الجديد والملك السعيد بحلى القمانت الزاهد شمس أفق الملة وفخر الخلفاء الجلة بدر هالات السروج المجاهدة أسد الابطال البارزة الى حومة الهياج الناهدة معشى الابصار المشاهدة مظهر رضا الله تعالى عن هذه الامة الغربية عن الانصار والاقطار من وراء أمواج البحر الزخار باختياره لها واعتمامه وملبسها برود اليمن والامان ببركة أيامه ومن أطلع الله تعالى أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السماح من غمام يمينه وأجرى فى الارض المثل السائر بحلمه وبسالته ودينه أمين الله تعالى على عهدة الاسلام بهذا القطر وابن أمينه وابن أمينه فخر الاقطار والامصار ومطمح الايدى وملح الابصار وسلالة معدن عبادة سيد الانصار ومن لو نطق الدين الحنيفى لحياه وفداه أو تمثل الكمال صورة ما تعداه مولانا السلطان الامام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الانصارى الخزرجى جعل الله تعالى ثغر الثغر مبتسما عن شنب نصره والفتح المبين مذخورا لعصره كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره وسوغه من أشتات مواهب الكمال ما تعجز الالسن عن حصره ولازالت أقنان أقلامه تحف الاقاليم بجنى فنون هصره فخصته عين استحسانه أبقاه الله تعالى بلحظة لحظ وما يلقاها الا ذو حظ وصدرت الى منه الاشارة الكريمة بالاملاء فى فنه والمنادمة على بنت دنه وحسب الشحم من ذى ورم والله سبحانه يجعلنى عند ظنه ومتى قورن المشترى بالمترب أو وزن المشرق بالمغرب شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها وبين من يشرق أفقه الغربى لابتلاع قرصتها لكنى امتثلت ورشت ونثلت ومكرها لا بطلا مثلت وكيف يتفرغ للتأليف ويتفرغ للوفاء بهذا التكليف من حل الدنيا فى سن الكهولة على كاهله وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله واشترى السهر بالنوم واستنفد سواد الليل وبياض اليوم فى بعث يجهز وفرصة تنهز وثغر للدين يسد وأزر للملك يشد وقصة ترفع ووساطة تنفع وعدل يحرص على بذله وهوى يجهد فى عذله وكريم قوم ينصف من نذله ودين تزاح الشوائب عن سبله وسياسة تشهد للسلطان بنبله واصابة تبله ما بين سيف وقلم وراحة وألم وحرب وسلم ونشر علم أو علم وجيش يعرض وعطاء يفرض وقرض حسن لله تعالى يقرض فى وطن توفر العدو على حصره ودار به دور السوار على خصره وملك قصر الصبر والتوكل على قصره وعدد نسبته من العدد العظيم الطاقة الشديد الاضاقة نسبة الشعرة من جلد الناقة وبالله تستدفع المكروه واليه غدة الايدى وتصرف الوجوه وسألت منه أيده الله تعالى القنوع بما يسره الوقت مما لا ينال له المقت والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترب والسنى ويؤمن من اعتراض الانس والجنى وما كنت ممن آثر على الجد الهزل واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة الجزل ولا أنف من ذكر الهوى

بعد

بعد أن خضت غماره واجتنيت ثماره وأقمت مناسكه ورميت جماره وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة فالهوى أول تميمة قلدتني الدايه والترب التي عرفتها في البدايه وأنا الذي عن عروته نبت وبعثت الى الرصافة لارق فذبت الى أن تبين الرشد من الغي وصار النشر الى الطي وتصايح ولدان الحي كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم كما من علي

جزى الله عني زاجر الشيب خيرما * جزى ناصحا فازت يداه بخيره
ألفت طريق الحب حتى اذا انتهى * تعوضت حب الله عن حب غيره

حال السواد بحال الفؤاد وصوح المرعى فانقطعت الرواد ونهاني ازورار خيال الزوراء والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء وكيف الامان وقد طلع منه النذير العريان يدل على الخبر بخبره وينذر بهاذم اللذات على أثره ولله در القائل

دعتني عيناك نحو الصبا * دعاء يردد في كل ساعه
فلولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد طرق مضجعي وقد كاد يبدو الحاجب ويضيع من الفرض الواجب ويعجب من نوم الغفلة العاجب لجريت معه في ميدانه وعقدت بناني ببنانه وتركت شأني وان رغم الشاني لشانه وقلت معتذرا عن التهويم في بعض أحيانه

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا * تفديك نفسي غائبا أو شاهدا
يامن على طيف الخيال أحالني * أتظن جفني مثل جفنك راقدا
مانمت لكن الخيال يلم بي * فيجله طرفي فيطرق ساجدا

ومن العصمة أن لا نجد هلا قبل المشيب ومع الزمن القشيب وقبل ان تمخض القريه وتبنى الخانقاه والتربه وتونس بالله الغربه وعلى ذلك فقد أثر وباء قلبي المعثر اللهم لا أكثر

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه ورددت أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الاملاء على حمل موازرته أيده الله تعالى علاوه وبعد الفراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوه وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصبابه بما يعتمده جانب انصافه ويغطي على نقصي ان وقع فيه كمال أوصافه

يامن أدار من الصبابة بيننا * قدحا ينم المسك من رياه
وأتى بريحان الحديث فكلما * صح النديم براحه حياه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

وعن لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي الى البقاء الموصل الى ذروة السعادة في معارج الارتقاء الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده ولا ينفد مدده ولا يفصل وصله ولا يفارق الفرع أصله حب الله المبلغ الى قربه المستدعي لرضاه وحبه المؤثر بالنظر الى وجهه وبالهامن غايه الملقي رحل المتصف به بعد قطع بحار الفناء على ساحل الولايه

وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها كتاب يشهده العوام ويستخفه الهوام ورسالة ابن واصل رسالة مهذاره تطفو من دارة لى داره فى مطاردة هر وفاره وكتاب ابن الدباغ القيروانى كتاب مفرقع ووجه المقصود منه متبرقع وكتاب ابن خلصون وهو اعدلها ولا بداوة تسم الخرطوم وتناسب الجمل المخطوم فكنت بما ذكر لا أقنع وأقول ما أصنع فالله يعطى ويمنع

قلت للساحر الذى * رفع الانف واعتلى
أنت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلى

شعر

وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ومن المنقول لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك

بلانى الحب فيك بما بلانى * فشانى أن تفيض غروب شانى

أجل بلانى بالغرض الذى هو من القلوب سر أسرارها ومن أفنان الاذهان بمنزلة أزهارها ومن الموجودات وأطوارها قطب مدارها ليكون كتابى هذا المقدم على المازق المهلك المتشبع بما لا يملك وان يقنع الانصاف فعسى أن يشفع الانصاف والاقتراف يدرؤه الاعتراف انا عند المنكسرة قلوبهم ولا بتجويد الابماتجد وكل ينفق مما آتاه الله

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

وعسى الذى أنطق شوقا أن ينطق ذوقا والذى حرك سفلا أن يحرك فوقا والذى يسره مقالا أن يكفيه حالا فأول الغيث طل ثم ينسكب

الحرب أول ما تكون لجاجة * وان الحرب أولها الكلام

ونحمد الله سبحانه على الكلف بهذه الطريقة وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وللارض نصيب من كأس الكريم

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
فانى أن أرى الديار بطرفى * فانى أرى الديار بسمعى

وعلى ذلك فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب وقرعت فى التماس الاعانة باب الجواد الواهب وأطلعت فصوله فى ليل طلوع نجوم الغياهب وعرضت كتاب العزيمة عرضا وأقرضت الله قرضا وجعلته شجرة وأرضا فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيها واشارة لما ورد فى الكتب المنزلة وتنبيها والارض النفوس التى تغرس فيها والاغصان أقسامها التى تستوفيها والاوراق حكاياتها التى تحكيها وأزهارها اشعارها التى تحييها والوصول الى الله تعالى ثمرتها التى ندخرها بفضل الله ونقتنيها شجرة لعمر الله يانعه وعلى الزعازع ممانعه ظلها ظليل والطرف عن مداها كليل والفائز بجناها قليل رست فى التخوم وسمت الى النجوم وتنزهت عن أعراض الجسوم والرياح الحسوم وسقيت بالعلوم وغذيت بالفهوم وحملت كمائمها بالزهر المكتوم ووفيت ثمرتها بالغرض المروم فازمن

استأثر بجناها وتعنى من عنى بلفظها دون معناها فمن استصبح بدهنها استضاء بسناها
ما أبعدها وما أدناها عيناملات الاكف بغناها كم بين أوراقها من قلب مقلب وفى
هوائها من هوى مغلب وكم بين أفنانها من صادح وكم فى التماس سقيطها من كادح وكم
دونها من خطب فادح ولاربابها من هاج ومادح تنوعت أسماؤها ولم تتنوع أرضها
ولا سماؤها فسميت نخلة تهزو تجنى وزيتونة مباركة يستصبح بزيتها الاسنى وسدرة اليها
ينتهى المعنى أصلها للوجود أصل وليس لها كالشجر جنس ولا فصل وتربتها روح
ونفس وعقل وشرفها يعضده بديهة ونقل يحط الهائمون بفنائها ويصعد السالكون
حول بنائها تخترق السبع الطباق ببراقها وتمحى ظلم الحس بنور اشراقها فسبحان الذى
جعلها قطب الافلاك ومدافن الاضواء والاحلاك ومغرد طيور الاملاك وسبب
انتظام هذه الاسلاك لم يحل فيها طريد بعيد ولا اتصف بصفاتها الا سعيد ولا اعتلق
بأوجهاها وفى حضيض ولا بمحض برهانها محتبط فى شرك نقيض ولا تعرض لشميم
بوارقها متسم بسمة بغيض الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله
ومنه نستزيد الاستغراق فى بحارها والاستنشاق لنواسم أسحارها والاستدلال بذرى
أفنانها عليه والوصول بسبب ذلك اليه انه ولى ذلك سبحانه فطاب لعمرى المنبت
والنابت وسما الفرع الباسق ورسى الاصل الثابت وفاءت الافنان وزخرفت الجنان
وتعددت الاوراق والزهرات والاغصان ولم أترك فننا الا جمعت بينه وبين مناسبه
ولا فرعا الا ضممته الى ما يليق به واستكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم
الذى يحرك عذبات أفنانها ويؤدى الى الانوف روائح بستانها وهو المزمار الذى ينفخ
الشوق فى يراعته والعزيمة التى تنطق مجنون الوجد من ساعته وسلعة ألسن العشاق
وترجمان ضمير الاشواق ومجلى صور المعانى الرقاق ومكامن قنائص الاذواق به عبر
الواجدون عن وجدهم ومشى المحبون الى قصدهم وهو رسول الاستلطاف ومنزل
الالطاف اشتمل على الوزن المطرب والجمال المعجب المغرب وكان للاوطان مركبا
ولانفعال النفوس سببا فلا شئ أنسب منه للحديث فى المحبه ولا أقرب للنفوس الصبه
واجتلبت الكثير من الحكايات وهى نوافل فروض الحقائق ووسائل مجالس الرقائق
ومراوح النفوس من كدر الافكار واحماض مسارح الاخبار وحظ جارحة السمع من
منح الاعتبار وبعض الجواذب لنفوس المحبين والبواعث لهم السالكين وبحتها واضحة
بقوله تعالى وكلا نقص عليك فى القرآن المبين ونقلت شواهد من الحديث والخبر تجرى
صحاحها مجرى الزكاة من الاموال والخواطر من الاحوال ويجرى ماسواها من غير
الصحيح مجرى الامثال ليكون هذا الكتاب لعموم خبره مسرحا للفاره وغيره ويجد كل
ميدانا لسيره وملتقطا لطيره ومحكما لغيره فمن فاق كاف باصوله ومن قصر قنع بفصوله
ومن وصل حمد الله تعالى على وصوله وسميته روضة التعريف بالحب الشريف
ويحتوى على أرض زكيه وشجرات فلكيه وثمرات ملكيه وعيون غير بكيه والحب
حياة النفوس الموات وعلة امتزاج المركبات وسبب ازدواج الحيوان والنبات وسر

قوله عز وجل أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس كالحب الذي دون فيه المدونون ولعبت بكرة اقباسه صوالج الجنون وقاد الهوى أهله بحبل الهون وساقت فيه المنى للمنون حين نظرت النفوس من سفلي الجنبتين ورضيت الاثر عن العين وباعت الحق باليمين ولم يحصل الاعلى خفي حنين وارحما لعشاق الصور وسباق ملاعب الهوى والهور لقد كافوا بالزخارف الحائنة الحائله والمحاسن الزائفة الزائله وسلع الجبانه وبضائع الاهانه ازمان التمتع بهم قصيره والانكاد عليهم مغيره فتراهم ما بين طعين بعامل قد ومضرج بدم خد وأسير ثغر قد أعوز فداؤه وسقيم طرف قد أعضل داؤه وماشئت من ليل يسهر ونداء يجهر وجيوب تشق وبصائر تخطف أبصارها اذا لمع البرق ونواسم تحمل التحيات وخلع ايك تتلقى بخلع الاريحيات وربما اشتد الختل وأصابت النبل فكان الخبل قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره وهب الحب الجسماني لا يبعث عليه شهوة بهيميه ولا تدعو اليه قوة وهميه أليست الداعية مرتفعه والباعثة منقطعه وصورة الحسن دائره وأجزاؤه المتناظمة متناثره أليس الجراب العنصري عائدا الى أصله أليس الجنس مفارقا فصله ولله در علي رضي الله تعالى عنه وقد نظر الى قدح الماء وقد أراد أن يشرب وعن الاعتبار أعرب فقال كم فيك من خد أسيل وطرف كحيل فأواه مكررة مردده ووالهفاه معادة مجدده على قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا وحسبنا مرارة الفراق ذلا وفقد النقد قلا والغفلة عن الله شقاء محتوما والكآبة على الفائت شؤما

صدني عن حلاوة التشييع * اتقائي مرارة التوديع
لم يقم أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وان كانت الشهوة فأخسس بها داعيه والى الفضيحة ساعيه حسبك من حمار يعلن بنداء المحبة نهاقه ويقذفه على السباق اهتياجه الى السفاد واشتياقه أسير خبال وصريع مبال أولى له ثم أولى لو تأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطري وأخبث زخرفها المغري وأقصر مدة استمتاعها وأكثر المساعي تحت قناعها

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

ما ثم الا أنفاس تركد وتخبث وعلل تنشأ وتحدث وزخارف حسن تعاهد ثم تنكث وتركيب يطلبه التحليل بدينه ويأخذ أثره بعد عينه وأنس يفقد واجتماع كان لم يعقد وفراق ان لم يكن فكان قد

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
منغص العيش لا يأوي الى دعة * من كان ذا بلد أو كان ذا ولد
والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى أحد

وقلت وقد مات سكن عزيز علي أيام التغرب بسلاعظم جزعي عليه

يا قلب كم هذا الجوى والخفوت * ذماءك استبق لئلا يفوت

فقال

فقال لاحول ولاقول لى * قد كان ما كان فحسبي السكوت
فارقني الرشد وفارقته * لما تعشقت بشئ يموت

والزمان لايعتبر وحاصله خبر والحازم من نظر فى العواقب نظر المراقب وعرف الاضاعه ولم يجعل الحلم بضاعه انما الحب الحقيق حب يصعدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك الى فئة السعادة ممن يشقيك ويجعل لك الكون روضا ومشرب الحق حوضا ويجنيك زهر المنى ويغنيك عن أهل الفقر والغنى ويخضع التيجان لنعلك ويجعل الكون متصرف فعلك ليس الا الحب ثم الوصل والقرب ثم الشهود ثم البقاء بعد ما اضمحل الوجود فشفيت الآلام وسقط الملام وذهبت الاضغاث والاحلام واختصر الكلام ومحيت الرسوم وخفيت الاعلام ولمن الملك اليوم والسلام فالحذر الحذر أن يعجل النفس سيرها ويفارق القفص طيرها وهى بالعرض الفانى متنبطة وبثاى الثقل مرتبطة وبصحبة الفانى مغتبطة أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أوتقول لوأن الله هدانى لكنت من المتقين أوتقول حين ترى العذاب لوان لى كرة فاكون من المحسنين وفى ذلك قلت،

أعشاق غير الواحد الاحد الباقى * جنونكم والله أعيت على الراقى
جننتم بما يفنى وتبقى مضاضة * تعذب بين البين مهجة مشتاق
وتربط بالاجسام نفسا حياتها * مباينة الاجسام بالجوهر الراقى
فلاهى فازت بالذى علقت به * ولارأس مال كان ينفعها باقى
فراق وقسر وانقطاع وظلمة * قفى البعد من نيل السعادة ياواقى
كأنى بها من بعد ما كشف الغطا * صريعة احزان لدى غمرة اشواق
تقلب كفيها بخيط موصل * رشيقة قد دون سبعة اطباق
فلا تطعموها السم فى الشهد ضلة * فذلك سم لايداوى بدرياق
بما اكتسبت تسعى الى مستقرها * فاما بوكر محسب أو بامملاق
وليس لها بعد التفرق حيلة * سوى ندم يذرى مدامع آماق
ولو كان مرمى الحزن منها الى مدى * لهان الاسى مابين وخد واعناق
فجدوا فان الامر جد وشمروا * بفضل ارتياض أو باصلاح أخلاق
ولاتطلقوا فى الحس ثنى عنانها * وشيموا بها للحق لمحة اشراق
ودسوا لها المعنى رويدا وأيقظوا * بصيرتها من بعد نوم واغراق
ومهما أفاقت فافتحوا الاعتبارها * مصاريع أبواب وأقفال اغلاق
وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا * بأخلاقها المرضى تلطف اشفاق
فان سكرت واستشرفت عند سكرها * لماهية المسقى ومعرفة الساقى
أطيلوا على روض الجمال خطورها * الى أن يقوم الوجد فيها على ساق
وخلوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا * الى الوجد فى مسرى رموز وأذواق
فما هو الا أن تحط رحالها * بمثوى التجلى والشهود باطلاق

وتفنى اذا ماشاهدت عن شهودها * وقد فنى الفانى وقد بقى الباقى
هنالك تلقى العيش تصفو ظلاله * وتنعم من عين الحياة برقراق
وما قسم الارزاق الاعجيبة * فلا تطرد السؤال ياخير رزاق

وقد أخذ الكلام فى هذا الافتتاح حقه وبلغ النهر مقه فلا آخذ اثر هذا الذى سردت فى تقرير ما أردت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (فنقول ينقسم هذا الموضوع الى ارض وشجر غض وكل منهما ميسور جده وفن على حده ماشئت من مرعى ومستمع فمن شاء أفرد ومن شاء جمع فلنبدأ بالارض والفلاحة والتكسير والمساحة وتعيين حدود تلك الساحة ثم نأتى بالشجرة التى نؤمل جناها ونتظر اناها ونجعل الزاد المبلغ معناها قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون برناجم هذا الكتاب الذى يحصر الاجناس والفصول ويرد الفروع الى الاصول ويسر الباحث عن مسائله بسبب الوصول بحول الله تعالى وقوته خطبة الاعراس وتوطئة الغراس وتنحصر فى جملتين *(الجملة الاولى)* فى صفة الارض وأجزائها وجعل الاختيار بازائها وفيها رتب *(الرتبة الاولى)* رتبة الاطباق المفروضة والاعتبارات المعروضة وفيه مقدمة وأطباق *المقدمة فى تعيين الارض المذكورة *الطبق الاول طبق القلب الطبق الثانى طبق الروح *الطبق الثالث طبق النفس *الطبق الرابع طبق العقل *(الرتبة الثانية)* رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول *الفصل الاول فى العروق المعدنية *الفصل الثانى فى المقررات العينية *الفصل الثالث فى المدبرات البدنية *الفصل الرابع فى البحوث البرهانية *(الجملة الثانية)* فى صفة الفلاحة والعمل المتكفل فيها بنيل الامل وفيها اختيارات *(الاختيار الاول)* فيما يصلح للاعتمار من هذه الارض وفيه فصول *الفصل الاول فى أرض النفس المطمئنة *الفصل الثانى فى أرض النفس الامارة *الفصل الثالث فى أرض النفس اللوامة *(الاختيار الثانى)* فى محركات العزيمة لاعتمار هذه الارض الكريمة وفيه فصول *الفصل الاول فى الجذب وما يتصل بذلك *الفصل الثانى فى الوعظ المثمر لليقظة *الفصل الثالث فى ذم الكسل *(الاختيار الثالث)* يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الارض من عين العلم فى جدولى العقل المحرر والنقل المقرر وفيه مقدمة فى فضل العلم وتعدد أجناسه وفصول *الفصل الاول فى جدول العقل *الفصل الثانى فى جدول النقل *الفصل الثالث فى مقدار الماء المجلوب للفلح المطلوب *الفصل الرابع فى غبار التكوين وسبب التلوين *(الاختيار الرابع)* فى الحرث واخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث وفيه أقسام *أولها القليب الاول ثانيها القليب الثانى الذى عليه المعول *ثالثها فى سكة الازدراع والتعمير وهو مظنة التثمير *(الاختيار الخامس)* فى تنظيف الارض المعمرة من الارض الخبيثة والجدر المعترضة والشعب المذمومة وفيه فصول *الفصل الاول فى ازالة شكول تسبق الى المعتقد غالبا *(الفصل الثانى)* فى قلع الشجر الذى يضر بهذه الارض ويعاديها بالطبع *(الاختيار السادس)* فى أمور

ضرورية تلزم لهذه الفلاحة وفيه فصول * الفصل الاول فى امراض يشرع فى علاجها مما يرجع لطبع الارض ومزاجها * الفصل الثانى فى اختبار انواعها وأجزائها * الفصل الثالث فى أقوال تليق بأخاص الفلاح واصحاره عند ملاحظة عجائب الكون وآثاره * الفصل الرابع فى الوقت المختار لغراسة الاسباب فى الحب اللباب وتنحصر فى مقدمة علمية وجرثومة جرمية المقدمة العلمية فى ترتيب المحبة والمعرفة الجرثومة الجرمية تنقسم الى بيان يعطى الصورة ويشرح الضرورة والى بطن وظهر وسر وجهر وباسط وبرزخ واسط فالباطن الشرع والنقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول الكلام فى النبوة من حيث النقل * الاصل الثانى فى الايمان والاعتبار العامى * الاصل الثالث فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الرابع فى تقرير العناية والتوفيق فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الخامس فى الموعظة والسماع من حيث تهذيب الجميع والظاهر الطبع والعقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول جزء الفلسفة العلمى والعملى * الاصل الثانى سلامة الفطرة فى حق المستغنى عن ذلك * الاصل الثالث فى معرفة الجمال والكمال * الاصل الرابع فى الاعتبار الخادى * الاصل الخامس السلوك بالفكر الاصل السادس فى التشبيه بالمبدا الاول باسط الذكر الباسط والبرزخ الواسط الصاعد من النحوم الى النجوم وهو من أخص الاشياء بباطن الشجرة وأصولها المعتبرة ويشتمل على مقدمة وثلاثة أصول * الاصل الاول الادعية والاذكار وله عشر شعب * الاصل الثانى أصل الاسماء وهى أصول الارض والسماء وله تسع وتسعون شعبة * الاصل الثالث أصل السيماء وهو الذى عفن بعضه وبقى الانتفاع ببعضه العمود المشتمل على القشر والعود والجنى الموعود ينقسم قسمين قشر وخشب ودر مخشب والقشر ظاهر يكسر ويخذو وباطن يغنى ويغذو فظاهره الذى يكسر ويخذو يتضمن الكلام فى المحبة وأقسامها من حيث اللسان لا من حيث نوع الانسان وباطنه الذى يغنى ويغذو يتضمن الثناء على المحبة طبعا وعقلا وشرعا ونقلا الخشب الذى يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام * القسم الاول فى الحدود والمعرفات والاسماء الدالة عليها والصفات * القسم الثانى معقول معناها المتجلى فيه نورسناها * القسم الثالث ارتباطها بالمقامات واختصاصها فيها بالكرامات * القسم الرابع تبيين ضروريتها وايضاح مزيتها الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم الى منتهى الوجود الدائم ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف القشر الحدود للمعرفة والرسوم وخواص العارف الذى هو المعروف بها والموسوم وينقسم الى فصول * الفصل الاول فى حدود المعرفة ورسومها وما قيل فيها * الفصل الثانى فى أوصاف العارف * الفصل الثالث فى تفضيل العارف * الفصل الرابع فى علوم العارف والجرم الشريف من الفرع المنيف ينقسم الى ظاهر وباطن وقلب فالظاهر ينقسم الى أقسام الكلام فى الاخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى النفسانية وافراطها وتفريطها واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات والباطن يتضمن الكلام فى ان النظر الى وجه

الله تعالى هو السعادة الكبرى بكل نظر واعتبار والقلب قلب الغصن يتضمن الرياضة والسلوك على المقامات كلها ويتفرع منه عشرة غصون * الغصن الاول غصن فروع البدايات * الغصن الثانى غصن فروع الابواب * الغصن الثالث غصن فروع المعاملات * الغصن الرابع غصن فروع الاخلاق * الغصن الخامس غصن فروع الاصول * الغصن السادس غصن فروع الادوية * الغصن السابع غصن فروع الاحوال * الغصن الثامن غصن فروع الولايات * الغصن التاسع غصن فروع الحقائق * الغصن العاشر غصن فروع النهايات ولكل فرع أوراق ويلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يتأتى الوصول وعلى المقصود الحصول والكلام على زهراته الطوالع واللوائح والبواده والواردات ونختم بالجنى المقترن بنيل المنى وهى الولاية تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون وهى غصن المحبوبات وأقسامها وتنقسم الى أربعة أفنان * الفنّ الاول فرع الرب المحبوب * الفنّ الثانى فنّ العبد المحبوب * الفنّ الثالث فنّ الدنيا المحبوبة * الفنّ الرابع فن الاخرة المحبوبة غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ينقسم الى مقدمة بيان وستة أفنان * الفنّ الاول فى رأى الفلاسفة الاقدمين * الفنّ الثانى فى رأى أهل الانوار والاشراقيين * الفنّ الثالث فى رأى الحكماء الاسلاميين * الفنّ الرابع فى رأى المكملين بزعمهم المتممين * الفنّ الخامس فى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين * الفنّ السادس فى الصوفية سادة المسلمين غصن علامات المحبة وشواهد النفوس الصبة وينقسم الى ثلاثة أفنان * الفنّ الاول فيما يرجع الى حقوق المحبوب * الفنّ الثانى فيما يرجع الى باطن المحب * الفنّ الثالث فيما يرجع الى ظاهره * غصن اختيار المحبين فى ميدان جهادهم وتباين أحوال أفرادهم وهو ثلاثة أفنان * الفنّ الاول فنّ المجاهد الصريح * الفنّ الثانى فن المنيب الجريح * الفنّ الثالث فن الصريع الطريح * جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة وينقسم الى جوائح من نسبتها بالنظر الى مائها وتربتها والى ماهو راجع الى الخواطر وهو على عدد الرياح والى ماسببه غفلة الفلاح عذر الطائر الصادح على فرض القادح وجود الهاجى والمادح صورة الشجرة ذات الحسن الباهر والجنى والازاهر وآثارها للحسن الظاهر بفضل المريد القاهر لااله الاهو سبحانه له الحمد * انتهت الخطبة التى تدل على ماوراءها * وقال رحمه الله تعالى فى آخر هذا الكتاب مانصه ونختم الكلام فى هذه الشجرة والاستدلال على شرف هذه الفلاحة الضمنية بهذه الابيات

فلاحتنا لها القدح المعلى * وسر حتنا الضمنة للنجاح
ألست ترى منادى الخمس نادى * بمختلف الجهات أو النواحى
يردّد فى الاذان لكل واع * على الآذان حىّ على الفلاح

وهذا طائر على الشجرة صادح ولاحق كادح ومعتذران قدح قادح ومعارض هاج ومادح قال المؤلف ولابد لنا من درىّ على صادح هذه الافنان وشادى هيج أشجان الجنان وبشير نجوى الرأفة والحنان وبين مجال الضرورة لذوى الانصاف بكرم الاوصاف والناظرين الى الهنات بعيون الانصاف فيرحم من قد كان شره النقد

ويعذر من تشوق لاستضعاف هذا القصد والاعذار التي تقرر عناهذا الطائر عديدة ومبدئه في الصدق معيدة وقريبة من الحق لا بعيدة فمنها أن هذا الفرض اليوم باكثر الارض ميدان عدم فيه ولاحول ولاقوة الا بالله من بخيل كه ايحب جوادا ونفير لا يجيبه الا من يكثر سوادا قد طمست الاعلام وسقط الحد والملام وما جرح بميت ايلام فدلول هذا الفن بهذه التخوم عنفاه مغرب واكسير يحدث عنه غير واصل ولا مجرب اتمار يرجع فيه الى كتب مقفلة واغراض مغفله وماعسى أن يعول المسكين مثلي على قاصر ادراكه مع اقتسام باله واشتراكه قصر العلم والعمل فاختلط المرعى والهمل وأخفق المسعى وخاب الامل ومنها شواغل الدنيا التي اختطفت من المكاتب ومتوهت بالمراتب ولقبت بالوزير والكاتب وأقامت العبد الذي لا يملك شيأ مقام العاتب ومن كان بهذه المثابة وان عد يقظا حازما ونحريرا عالما فانما هو غريق وتائه لا يد وله طريق ولا ينساغ له ريق ولا يطفأ برد اليقين منه حريق ولا يربع عليه من قصاد الله تعالى فريق ونستغفر الله فالذي ألهم لهذه العيوب يتكفل باصلاح القلوب ومكاشفة الغيوب وان كانت النفوس للحق جاحدة فما أمري الا واحدة

لا تعجبن اطالب نال العلى * كهلا وأخمض في الزمان الاول

فالدهر تحكم في العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ومدد مديدة فلم يبق مما حصل واليه مما في الزمان القديم توصل الا رسم بلقع وعمل ماله مرقع ومنها أني لم أنتدب الى هذا الوظيف الذي قل من يتعاطاه ويثير قطاه ويقتعد مطاه من تلقاء نفس جاهلة بعد مداه ومطل جداه ومطالبة مدعيه بما كسبت منه يداه فلا يتجاوز ظهره ولا يتعداه وان طالب الحق من شرط وصوله سلب فصوله وحالة موته وانقطاع حسه فضلا عن صوته لكني خضت على عدم السباحة غمرا وامتثلت مع سقوط الاستطاعة أمرا وجئت بما في وسعي انقيادا وامتثالا ومثلت مثالا فضرورتي بفضل الله تعالى مشروحة والدعوى عن كتفي مطروحة وعلى ذلك فقد علم الذي يعلم الاسرار ويقرب الابرار ويقيل العثار ويقبل الاعذار أن مدة الاشتغال به لم تجاوز شهرين اثنين بين كتب وكتم وابتداء وختم مع ما يتخلل الزمان من حمل لو رمى به رضوى لتدعدع أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله تعالى وتصدع مداراة عدو قد تكالب على الاسلام وسياسة سوادصم عن الملام ارتعدى حدود النهى والاحلام وارتقاب هجوم جيش الاجال ورواية المشيب من الاعلام وقد أنذر بالفجر انقشاع الظلام وكاد يصعد الخطيب فينقطع الكلام جعلت لنقله حصة من جنح الظلام الغاسق والليل الواسق وعاطيت حمياه نديم الغارق وتعرضت لاقتناص خياله الطارق وسرقته من أيدي الشواغل والليل معين السارق ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا ولا أنجز من تصحيحه علم الله تعالى ميعادا انما هو كراس يفرغ من تسويده ورجراج الحبر مختلط التراب بالتبر فيدفع ملوم المساخ الى يد الناسخ وكافة المتناقل الى كف الناقل وتقذف صحيفته من الزبرة

الى الصاقل اذ كان الآمر أيده الله تعالى ونفعه حريصا على تجميل المعارضة ومتحريا سبيل الشرع فى هذه المصارفة والمقارضة والجفن المشرق يعلن بالتبريح وينتظر مساعدة الريح فمن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته وجبل على الانصاف سيرته أو من كان من أهل الله الذى يعلم ان ماسوى الله تعالى ظل وفىء ويتحقق معنى قوله ليس لك من الامر شئ فقد أوجب الانصاف أن يمحو اقترافى باعترافى ويغطى أوصافى بانصافى والرحماء يرحمهم الرحمن وقد عذر القنبرة سليمان ومع الاستسلام الامان ولاحول ولاقوة الا بالله ولابأس أن نعرض بتلك الاخونة الخصيبة المثوى والمروج والجمل والفروج وفى السماء البروج وفى الارض الفروج والاعرج يستدر منه العروج ونمد الايدى المستعملة فى التقصير الى الولى النصير والناقد البصير اللهم استر بسترك فضائحنا المخلفة وقبائحنا المجمعة المؤلفه فهو كله تحويم حول حماك ودندنة يا كريم ببابك رحماك وزند أنت قدحته وتألق بارق أنت ألحته فصل السبب ياواصل الاسباب واجعلنا ممن تذكر فنفعته الذكرى ومايتذكر الا أولوا الالباب اللهم أطلع نفوسنا الحائرة على عين الخبر واجذبها الى المؤثر بزمام الاثر اللهم اجبر الضالة المنقلة الظهر وارفع عنها ملكة التهور وحيطة الدهر والسفر من بلد السر الى بلد الجهر اللهم أعلق بعروة الحق أيدينا الخابطة وأظفر بعدو الهوى عزائمنا المرابطة اللهم أوصل سببنا بسببك واحملنا اليك بك لا اله الا أنت وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله والصحابة أجمعين انتهى * وقال رحمه الله تعالى آخر بعض تراجم هذا الكتاب ماصورته خاتمة تشتمل على اشارات وتحتال من الحق فى شارات قال بعض من يطأ بساط السلوك حمى الملوك وينقض زوايا الغيوب عن المطلوب يبصر بصائر القلوب شهدت أصناف المحبين والعشاق على اختلاف البلاد وتباين الآفاق لا أدرى أقال كشفا وشهودا أوفرضا ووجودا أو يقظة أوهجودا وقد ركضوا مطايا الاشواق وضربوا آباطها بعصى المشارب والاذواق وتزودوا أزواد الحقائق وودعوا أحباب العوائد والعلائق وتساهلوا فى المحبوب اعتراض العوائق وتفاضلوا فى اختيار الجواد واقتحام المضائق والطرق الى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق فمن خابط عشواء ومسقط أهواء يقول

ياليت أنى أوقد النارا * فان من يهواك قد حارا

فيجيبه الصدى

ومن طلب الوصول لدار ليلى * بغير طريقها وقع الضلال

ومنبت بحيث لا يبدو علم ولا يقتص خف ولا قدم فى مفازة وجود من حلها عدم وهو يصيح

بأبى وأمى والذى ملكت يدى * أفدى الذى يهدى الطريق اللاحبا

ثم يقول

ولقد سريت اليك لكن حين لم * يكن الدليل أجل قصد السالك

ومن طاو نفدزاده وفرغ مزاده قد استسلم وعجز أن يتكلم ولسان حاله ينشد

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وراكض يقطع الدقو ويعزف البحو يثبت الاعلام الخافية ويقصد الموارد الصافية والظلال الضافية حاديه أمله ودليله عمله والراحلة عمله ينشد باعلى صوته

قرب اللقاء فكيف لا ترتاح * للقاء سكان الحمى الارواح

ومرافق يركض البريد ويحب التفريد بالغ الطيبة وأناخ المطية قبل وصول الرفقة البطيئة سرى سبع شهر فى فواق حلوبة فلله ما أنأى سراه وما أدنى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقلت

نهضوا وقد جن الدجى وتخالفت * سبل الردى فمسددون وضلل

سلنى عن المنبت حين تقطعت * اسبابه فيها ولا من يسأل

قوم سطت بهم السباع وفرقة * عطشوا وأين من الظماء المنهل

لفح الهجير وجوههم بسعيره * فتهافتوا بيلالة ونعلوا

وجماعة ركبوا المفاوز دائما * عثروا على أثر فشط المنزل

وركائب جعلوا الدليل أمامهم * وسروا ففازوا بالذى قد أملوا

والليل متلفة ومدرجة الهوى * لا يستقل بها المطى الذلل

والواصلون هم القليل وكيف لا * قفر وسبعة ولیل أليل

يا رحمة للعاشقين تقحموا * خطر النوى وعلى الشدائد عولوا

طارت بهم أشواقهم فعقولهم * معقولة عن شأنها لا تعقل

عذرا لكم يا أهل عذرة شأنكم * سلمت فيه لكم فقولوا وافعلوا

حتى اذا خرجوا الى فضاء القدر المشترك وأفلت من أفلت من الشرك وسلم من قتيل المعترك وأشرفوا بركاب الآمال على ثنية الجمال زعقوا بازاء الباب ونادوا من وراء الحجاب

كل كنى عن شوقه بلغاته * ولربما أبكى الفصيح الاعجم

وأوصلوا رقاع شكواهم بسرائر هواهم وبرزوا صفا واستظهروا بشفعائهم التى ظنوا أنها لا تخفى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد تعينت الاوصاف وتميزت وانتبذت الاصناف وتحيزت والعشاق نجت وسلمت مذ علمت منهم الصفوة والجمان والحرافيش والبهلوان ممن يعول على ذراعه وملاكمته وصراعه وطول باعه وصلابة طباعه وسلاطة لسانه وامتزاج اساءته باحسانه شأنه البحث عن المحبوب مع الشروق والغروب والتوصل الى وصله المطلوب بالحركة الشريفة واللفظ الخلوب ومن اتسم باذاعة الاسرار وصحبة الشرار واللسان المهذار حسب من الاغمار ومنهم بذاة ليس لهم الا المنادمة أداة تعذر عليهم تميز المحبوب فغلطوا وعكفوا على تنزيهه فأفرطوا

ربما ضر عاشق معشوقا * ومن البر ما يكون عقوقا

وغلبت على مجيئهم السلامة ولم تتلهم لعدم الموصل والمعرف الملامة وليس للقبول عليهم

علامة ومنهم من شعاره الحشمة ولزيه العفاف والعصمة أولوا الحياء والوقار والكتم للاسرار ومخالطة الابرار والتوسل الى المحبوب بالافتقار وصفاء الضمائر من الاكدار لاتختلجهم الشواغل ولايطرق شرابهم الواغل أغنتهم الشواهد عن الدعوى وأصمتهم الرضى عن الشكوى وتقسمت معاملاتهم الآداب وصح منهم الى مراتب المراقبة الانتداب والناقد بصير وكلام النيات قصير ومنهم المغلوب الحال المحمول من فوق الرحال رقص وشطح وسكر فافتضح فهو بلخ الرفقة وملوع الحرقة دعنى وعبدى بلخ فانه يضحكنى سبع مرات فى اليوم ومنهم من لم يأخذه نعت ولاتعين له فوق ولاتحت ولاحمد ولامقت ولاحين ولاوقت لونطق لقال أنا المعدوم الموجود والشاهد المشهود ألابعد المدين كما بعدت ثمود

قضى وصلها لى وابتلاكم بحبها * وهل يأخذ الانسان غير نصيبه

ولم يكن الا أن خرجت الرقاع وفضلت البقاع ووفيت كل نفس ماعملت وهم لايظلمون * فكان فى رقعة طائفة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء قلدتم العقل وله طور ورأيتم الحركات لايتناهى لها دور وعالم الجزئيات لايسبر له غور وحور المعاد فى بعض الفروض لايكون له كور وياشر ما أصبحتم فى المعاد الاول تعتقدونه ان جعلتم التصرف فى عالم الملك لمن دونه قفوا مكانكم ولوموا أنفسكم ودعوا شأنكم * وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا أساطين الحكمة المشرقية وفراش الانوار الحقيقية دعونا من استكثار الانوار واحتشاد الاطوار الحق نور ارشاد لايطيق حسن ذاته الامن ركب ظهر شتانه فارفعوا الكلف واذكروا مجرى من تقدم وسلف * وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون لم تتركوا البراهين على أصلها ولاناسبتم جنس هذه الموضوعات بفصلها وآثرتم شغبا طويلا وأوسعتم المتشابه تأويلا ولم تعتمدوا من العقل دليلا ولاوقفتم فى مجازات العقول قليلا وهولتم باصطلاح غيركم تهويلا وادعيتم الشهود ولم يجعل الله تعالى فى الاحتجاج به الا للانبياء سبيلا وبنيتم الحقائق على قياس ونظر من غير عين للعقل والنقل ولا أثر

رب خل أدار فى اعتقادا * لم أكن قبله عرفت بفنه
حكمت نفسه على علم غيبى * جعل الله باطنى عند ظنه

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ فى اجتهاده فأثيب واستغفر فسمع لاتثريب فمثوبتكم صحيحة والمقاصد من التبعة مريحة اذا كانت صريحه ولولا الافتيات لوضحت فى ميدان السبق لكم الشيات لكن شأنكم الهذيان وقلبت منكم بضعفائكم من المتأخرين الاعيان كابن قسى وابن برجان فتبرءوا من أتباعكم المطيفة وأحزابكم الخيفة وأخلصوا فعل الانصار يوم قتال بنى حنيفة وحبذا الحكم المقتدى ومن يهدى الله فهو المهتدى واكبحوا الالسن عن طلاقتها وذلاقتها ولاتكلفوا العقول فوق

طاقتها فلا بدّ من توقيف وتسليم وفوق كل ذى علم عليم واذا محيتم فاثبتوا أو نطق الناس فاسكتوا ولا ترضوا أن تكبتوا مع الذين كبتوا ولكم الحظ السنىّ والوصل الهنىّ * وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ذهب بوجودكم العدم وابتلع حدوثكم القدم ورضيتم بالاشراف فى الاستشراف والتوغل لزيم الانحراف ومن جعل الحس وهما فقد كابر العيان ظلما والعقل الذى غلطكم هو آلة حكمكم وأداة علمكم والعوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا براقش ثم مالكم والتبجح والتشبع والتعقب والتتبع ولم يغن العراك ووقع فى ثمرتكم الاشتراك فالفيلسوف يتحد بالعلة القريبة من الخلق ثم يتلاشى فى ذات الحق والحكيم يجوز الى عين الحق رتبة الفناء المطلق والمتشرع قد عضده ونصره كنت سمعه وبصره وان كان معظم القول الهذر ففيكم بعد نظر * وكان فى أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين أنتم الاحباب ولكم يفتح من الجنان الابواب ركبتم ظهور الاعمال وركب غيركم ظهور الآمال وفزتم بسحب الاذيال ومن دونكم يحرك مناكب الخيال فبدايتكم الاساس الوثيق الذى يبنى عليه التحقيق ونهايتكم اليها ينتهى الطريق وبها يحط فريق الله تعالى ونعم الفريق أوّلكم المقرّب المدرّب وأوسطكم الفرد المعرّب وآخركم الولىّ المقرّب حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم فهنيأ لكم طبتم حواس مسدودة وخيوط أفكار كلها ممدودة ومشاهد مشهودة ومغلطات تتجاوز حراسها وقواطع معترضة بحل مراسها الى أن لا توجد تقية ولا تبقى بقية عند تجلى المعالم الخفية لو اشتمل العلم على عملكم لكان الكل من هملكم بحيث تتعين المراتب وتتميز وتتفرّق المشارب وتتحيز فلا يعترض قاطع الا وقد علم شانه وتعين وقته ومكانه ولا تمثل غاية الا ودرجها محدودة ومراحلها معدودة ومشاهدها قبل دخول الطريق مشهودة فهناك تطوى المراحل ويلوح فى اللمحة القريبة الساحل ويأمن طول الطريق الواصل * وكان فى رقعة المحبين الذين قرّبوا قبل هذا اليوم وادخلوا من بعد ما تخيروا للاصطفاء وانتحلوا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم أنتم الاحباب ولباب اللباب وبواسطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق الاسباب لولاكم لم يفتح الباب فلا يصل الا من أوصلتم ولا يحجب الا من قطعتم وفصلتم أنتم الرعاة والخلق الهمل وأنتم الدعاة لمن يريد نيل الامل مهدت لكم سرر القرب تمهيدا وبعثتم الى الناس لتوحدوا الله توحيدا ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فطوبى لمن أصاخ منكم الى ندا واستضاء بنور هدى صلوات الله عليكم أبدا أنتم أولوا الالوية المعقودة والعساكر المحشورة المحشودة ورؤساء أهل المحبة وأدلاء مبتغى الوسيلة والقربة ومسالككم قد بينتها الصحف المنزلة والملائكة المرسلة ودخلت على العذارى خدورها وعمت السماء

بدورها وأغفت عن تقرير نحلها المكاتب المائجة بالصبيان والسنن المعقودة لها حلق التبيان والقواعد المفترضة على الاعيان والخزائن المرصوصة بعلوم الاديان اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل لاتباعهم من الجمهور وأقطاب فلكهم المشهور على قدر أتباعكم صناقل أبواعكم وبحسب اقتدائكم يكون سماع ندائكم والمهاد لمن وثره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وتأخيركم في التوقيع هو التقديم وساق القوم آخرهم شر بامثل قديم قال المخبر فرأيت وجوههم قد تهللت ونواسم المسرات نحوهم قد أقبلت ومن سواهم من خاص وزائف بين راج وخائف وسمعت أن طائفة استدعيت بحث خفي وأدخلت من باب خفي قيل لهم هم أصحاب الخبر المكتوم وأرباب المقام غير المعلوم جعلنا الله تعالى منهم برحمته

ولولا الحب ماقطعوا الفيافي * ولولا الحب ماقطعوا البحارا
فدعهم والذي ركبوا اليه * وبحثا عن خلاصك واختبارا
فلا تشغل بحب ديار ليلى * ولكن حب من سكن الديارا انتهى

*(وقال قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير مانصه وقد أتينا على ماشرطنا من تقرير ما أمكن من هذه الاراء وهم مابين سابق للخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ومع ذلك محبون وعلى آثار الحبيب مكبون ما كل طريق توصل ولا كل تجارة على الربح تحصل ومن العشاق مهجور ومطرود ومن وصل وموعود ومغبوط ومحسود ومحروم ومجدود ومرحوم ومردود

يانهايتي ولكل شئ غايه * والحب فيه تأخر وتقدم
قل لي باي وسيلة يحظى بما * يرجوه غيري من رضاك وأحرم

ورقة ولكل دائرة مفروضة وهالة حول قمر الحق معروضة تعود الخطوط من محيطها المستدد الى مركزها المحدد فالفيلسوف يروم التشبث بالعلة الاولى ويعنى بها ذات الحق اوأن يتحد بالثانية وهي مرآة وجه الحق والاشراقي يروم التجوهر بنور الانوار المعبر عنه بالحق والاتصال به اما بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق والحكيم أن يؤدبه فكره الى الحق ثم يفنى في الحق ثم يبقى بالحق والمتشرع أن يجن في جنة الحق ويحصل على جوار الحق وينظر الى جوار الحق وصاحب الوحدة المطلقة أن يكون المتفرق عين الحق فسبحان الحق المعبود بالحق الموجد الجمع في الفرق لااله الاهو وزيد في هذا المحض الذي كثر في قربه الدعداع وطال على الرؤس منه الصداع ماتفرد له المقالة المختصرة والعناية الميسرة بحول من لاحول ولاقوة الابه انتهى * وقال رحمه الله تعالى في عد ماعدد من فرق الاعتزال مانصه

والحب حركهم لكل جدال * والحب أحمهم على الاهوال
والحب قاطع بينهم وأضلهم * عن نيل مارامو كل ضلال
والحب انشأ فيهم عصبية * بالقيل أضرم نارها والقال

وانما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حرمات هذا الفراش المختلف الاراء عن ذيال الحق

يتغون اليه الوسيلة قوم بالطاعة وقوم بالمعصية ومامنهم الامتدع فى المحبه متهالك حريص على السعادة برعمه وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ممن قصد الحق فأخطأه وأراد الصواب فضل عنه واشتهر بالحكمة بعد فى الملة الاسلامية جماعة بالمشرق والاندلس فمن المشارقة أبو الفرج ويعقوب الكندى وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة فكان عندهم مباشرتهما من حيث الترجمة والمزاولة الى أن قال ومن أهل الاندلس محمد ابن مسعدة السمرقسطى وأحمد بن طاهر الطرطوشى ويحيى بن عمران القرطبى وطفيل بن عاصم وكليب بن همام البياسى والحسن بن حرب الدانى وابن ميسرة ومسلمة المجريطى وأبو بكر بن الصائغ وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد وكل هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين محب عاشق مستهلك قال الشاعر

وعلى أن أسعى وايس على ادراك النجاح
حيارى يميد بهم شجوهم * كانهم ارتضعوا الخندريسا

اذا لم يكن عون من الله للفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين والخلق قد مدوا أبصارهم وآمالهم وتحركوا طوعا وكرها يعشون الى نور الله تعالى فمن أعمى أصم لايسمع ولايبصر وأعمى فقط يجتزى عن العيان بالخبر وأحول يبصر الشئ شيئين والواحد اثنين كما قال الشاعر

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ فى ادراكه شيئان
فيلوح فى عينى منه واحد * ويلوح فى عينيه منه اثنان
ياليته ترك الذى انا مبصر * وهو الخبير فى الحبيب الثانى

وضعيف لايبصر من بعيد وأجهر لايبصر من قريب وأعشى تكثر فى عينيه الاشعة وربما تندر وزرقاء اليمامه

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
لولا استقامة من هدا * ه لما تبينت العلامه
ومجاور الغرر الخيـ * ـف له البشارة بالسلامه

أقام سبحانه الحجة وفرق بين الامر والارادة واعطى الكفاية من القدرة فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون اقتصرنا من هذا البحر على نقطة ومن هذا الودق على قطرة

ومن يستطرق العارض الهطل عد الحصى والقطر ليس يرام وذكرنا الرسل والانبياء والاتباع ذكرا من غير تبويب ولا تعيين لاشياع آرائهم والعلم بمقاصدهم وأغراض دعواتهم من توحيد الله تعالى وتنزيهه وصفاته وأسمائه وكيف يحشر الناس

اليوم لاريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت وتعليم طرق النجاة وايضاح سبيل الله تعالى والتحذير من الغفلة عمن اليه الرجعى وله الاخرة والاولى والتخويف من كل مايقطع عنه والترغيب فى مايوصل اليه وشأن الرياضة والتدريج فى أحوالها حتى تنتقل من الظواهر الى البواطن وتسرى فى الخلف من السلف والندب الى الاقتصار على الضرورة والقناعة بالبلاغ وتبين الرسم فيها والتعيين لحدودها قد تضمنت ذلك كله آيات الله التى تكفل بحفظها وسنة رسوله التى قيض مناخل الصدق لتصحيح نقلها فالمكاتب والمنة لله تعالى مانحه والمدارس حافلة فمالنا والاطالة فى الموجود الذائع والمشهور الشائع

والشمس تكبر عن حلى وعن حلل * فهى الدرارى فى التقليد بالدرر

ما أغنى الشمس عن مدح المادح تحصيل الحاصل عناه هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فلنذكر) بعض أرباب الآراء من قريب وبعيد وخلق جديد على صورة المثال المفروض وليكون كعرض الحبوب الذى تجزى منه الحفنة عن الجفنه والقربة عن القربة ونقتصر على اليسير لاقامة الترتيب واحكام التبويب وليرى الواقف عليه اننا قد نفضنا الزوايا ورشفنا الروايا وامتكنا العظام واستقصينا النظام حرصا على نشيدة الحق أن تعقل وعلى الطباع أن تنقل وعلى المراءى الصدية أن تصقل وعلى صورة النجاة أن تمثل ونسأل الله تعالى هداية توصل اليه لااله الاهو الرحمن الرحيم انتهى * وقال رحمه الله تعالى فى ماقبل هذا الكلام بكلام ماصورته غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ويشتمل على مقدمة بيان وستة أفنان *(فالمقدمة) فنقول أصناف المحبين والعشاق كثير وهباء نثير وجرادا آثارها نشير بحيث يشق احصاؤهم ولايتأتى استقصاؤهم

فقلت كماشاءت وشاءلها الهوى * قتيلك قالت أيهم فهم كثر

ثم مد النفس بما لايقتضى المقام الاختصارى ذكره فى هذا الموضع * وقال رحمه الله تعالى فى بعض تراجم الروضة وهى الخامة التى تنبه النفوس الصبة على حكم المحبة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة بعد كلام ماصورته فقر فى معنى هذه الخامة فيها حكم تتمثال وتجرى مجرى الامثال المحبة بحر بعيد الشط وخط والفناء منتهى الخط انا عرضنا الامانة الخ المحبة مهوى بعيد ومجال وعد ووعيد من خل يقلى ثم خيال يولى وليس له حد عليه يعول المحبة ظهر لايركبه من يرى الموت فيتنكبه ولايعلوه من يأتى الى وادى الفناء فيسلوه ان الله مبتليكم بنهر كم قصمت المحبة من ظهر وكم سر صيرت الى جهر أولها العاقل المشهور وآخرها الطى المنشور ثم الموت ثم النشور وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب المحبة أنس يستدرج ثم شوق يلجم ويسرج ثم فناء يزعج عن الوجود ويخرج على قدر أهل العزم تأتى العزائم المحبة كأس كم جردت من كاس وآس من شمه لم يجد من آس

متى أرتجى يوما شفاءى من الضنا * اذا كان من يجنى على طبيبى

تزاحم أنفاس المحبين على خطرات الصبا تزاحم الهباء على مطارح شعاع الدنيا فلولا

بليلها لالتهبت وتعليل عليلها لتلك الارماق لذهبت

عليلة فى حواشى مرطها بلل * يهدى لكل عليل منه ابلال

المحبة رقة ثم فكرة مسترقه ثم ذوق يطير به شوق ثم وجل لا يبقى معه طوق ثم لا تحت ولا فوق

أينما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

الهوى هوان وحمام له ألوان دمع ساجم ووجد هاجم وهيام لا يبرح ثم وراءه مالا يشرح

قال بمن جنّ وهل فى الورى * ما يبعث الخبل سوى حبه

من اقتحم بحر الهوى هوى لا تدخل فى بحر الهوى حتى تشاور صبرك وتجاور قبرك فان كنت منا أو فرح بسلام الهوى طريق ولسلوكه فريق الزاد سرّ مكتوم ووفاء معلوم

وللميادين ابطال لها خلقوا * وللدواوين حساب وكتاب

الحب حج ثان لا يثنى نفس المريد عنه ثان طريقه التجريد وزاده الذكر وطوافه المعرفة وافاضته الفناء فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين الغرام صعب المرام والدخول فيه حرام مالم يكن فيه شروط كرام من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك وربك يخلق ما يشاء ويختار ظهر الهوى طريقا سهلا فكثر التائهون جهلا

اذا لم يكن عون من الله للفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

والعكس) قد يخبأ المحبوب فى مكروهها من يخبأ المكروه فى المحبوب

وقال الشيخ

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا * وأوله سقم وآخره قتل

نصحتك علما بالهوى والذى أرى * مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

فمن لم يمت فى حبه لم يعش به * ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت واليه الاشارة بقوله موتوا قبل أن تموتوا بيدى لا بيد عمرو وقال بعضهم رأيت رب العزة فقلت يارب بم أصل اليك قال فارق نفسك وتعال

رفض السوى فرض على العين * لا تخلطنّ الحق بالمين

والاين والكيف سوى ظاهر * فاستغن عن كيف وعن أين

الخشب الذى يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام وأجزاء جسام *(القسم الاول)* فى الحدود والمعرّفات والاسماء الواقعة والصفات *(وللسان الدين رحمه الله تعالى) فى المواعظ اليد الطولى (قال فى الروضة فى الفصل الثانى فى محرّكات العزيمة وهى اليقظة مانصه قلت والمحرّكات المشتركات فى باعث اليقظة كثيرة منها الوعظ السائق بمقود الشارد عن الله تعالى الى مربط التوبة ومحرّك العزيمة يردّد أذانه على نوّام أهل الكهف وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم حتى يحول بينهم وبين أذانهم ويركبهم ظهر الرياضة

حتى تلحقهم بالجذوبين من اخوانهم ولما كان حب الدنيا هو المانع عن الشروع فى اطلاق العمل والقاطع به بعده لم يجد اساة خبل الهوى وجنون الكسل أنجع من وقى العذل والتأنيب وتقبيح المحبوب سيما اذا انزعجت نبال نبله عن حنيات ضلوع الصدق وقال بعضهم الكلام اذا خرج من القلب دخل القلب

أوقد النار من رسالة ليلى * واحذر السيل بعدها من دموعى

ولا تعدل الوعظ البليغ باللسان الفصيح والقلب القريح فاذا رأيت الارض قد اهتزت وربت وهضاب القلوب القاسية قد تقلبت فشمر للغراس والزراع عن الذراع واغتنم السراع والاسراع

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكونا
حقر لها ماء يريها بدأة * واضمن لها حوضا وان لم تحفر
وارباً بنفسك عن تسامح بائع * واغنم اذا ساومتك شهوة مشترى

قالوا الوعظ يضرب وجه النفس عن التنبط فى بساط اللذات وينقل خطراتها عن الخطو فى ملعب الخطيئات ويمثل لها الصبر عيانا ويبين العواقب المحجوبة بيانا وينشئ سحاب الحزن فى أجواف أجزائها ويذكرها بما آلها وانتهائها ويعرض عليها مصارع فنائها وخراب بنائها وفراق حبائبها وأبنائها عند نزول هاذم اللذات بفنائها فترجع الى الله تعالى بحكم الاضطرار أفكارها وتخشع من خيفة الله تعالى وجلاله أبصارها والوعظ يكون بلسانين ويوجد فنين لسان حال ولسان مقال وربما كان لسان الحال أبلغ وهو يسمع من القبور الموحشة والقصور الخالية والعظام البالية وفيه حكايات وأخبار ولسان مقال كقوله سبحانه وتعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وهو سبيل الله تعالى التى بعث بها النبيين وضمن فصولها الكتاب المبين والسوط الذى يحمل على الاوبة ويسوق ذود المتطهرين الى غدير التوبة ونحن نجعله هيمنة بين يدى الفراسة لتزكية النفوس ان صدق حكم الفراسة فمن ذلك ما صدر عنى على لسان واعظ (الحمد لله الولى الحميد المبدئ المعيد البعيد فى قربه من العبيد القريب فى بعده فهو أقرب من حبل الوريد محيى ربوع العارفين بتحيات حياة التوحيد ومفنى نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار الى العرض الزهيد ومخلص خواطر المحققين من سجون دجون التقييد الى فسح التجريد نحمده وله الحمد المنتظمة درره فى سلوك الدوام وسموط التأييد نحمد من نزه أحكام وحدانيته وأعلام فردانيته عن مرابط التقييد ومخابط الطبع البليد ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ونشهد أنه الله الذى لا اله الا هو شهادة تتخطى بها معالم الخلق الى حضرة الحق على كبد التفريد ونشهد أن محمدا عبده ورسوله قلادة الجيد المجيد وهلال العيد وفذلكة الحساب وبيت القصيد المخصوص بمنشور الادلال واقطاع الكمال بين مقام المراد ومقام المريد الذى جعله السبب الاوصل فى نجاة الناجى وسعادة السعيد وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتى الوعد والوعيد فكان مما أوحى به اليه وأنزل

الملك به عليه من الذكر الحميد ليأخذ بالحزم والاطواق من العذاب الشديد واقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى قوله حديد صلى الله عليه وعلى آله صلاة تقوم ببعض حقه الاكيد وتسرى الى تربته الزكية من ظهور المواجد الجائية على البريد

قعدت لتذكيرولو كنت منصفا * لذكرت نفسى فهى أحوج للذكرى
اذا لم يكن منى لنفسى واعظ * فيالبت شعرى كيف أفعل فى الاخرى

آه أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يسمع وفيماذا وقد تبين الرشد من الغى يطمع يا من يعطى ويمنع اذا لم تنفع الصنيعة فماذا تصنع اجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ولين حديدها بنار خشيتك فقد استعاذ نبيك صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع اعلموا رحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الاقوال والاحوال ومن الجماد والحيوان وما أملاه الملوان فان الحق نور لا يضره أن صدر من الخامل ولا يقصر بمحموله احتقار الحامل وأنتم تدرون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ولا تتأتى معها اقامة ولا مهلة من الاصلاب الى الارحام الى الوجود الى القبور الى النشور الى احدى دارى البقاء أفى الله شك فلو أبصرتم مسافرا فى البرية يبنى ويفرش ويمهد ويعرش ألم تكونوا تضحكون من جهله وتعجبون من ركاكة عقله ووالله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التى فيها اجتهادكم الا بقاء سفر فى قفر أو اعراس فى ليلة نفر كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشى وتنبو العيون عن خبرها المتلاشى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ما بعد المقيل الا الرحيل ولا بعد الرحيل الا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل وانكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها وعتب أبوابها فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الالباب وما كل حقيقة يشرحها الكلام يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل فى مقام التهديد ان عذابى لشديد أأمنا من مكره مع المنابذة ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اطمعا فى رحمته مع المخالفة وهو يقول فسأكتبها للذين يتقون أو مشاقة ومعاندة ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب أشكانى الله فتعالوا نعيد الحساب ونقرر العقد ونتصفح بدعوة الحق أو غيرها من اليوم تفقد عقد العقائد عند التساهل بالوعيد فالعامى يدمى الاصبع الوجعة والعارف يضمدها مبدأ العصب

هكذا هكذا يكون التعامى * هكذا هكذا يكون الغرور

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وما عدا عما بدا ورسولكم الحريص عليكم الرؤف الرحيم يقول لكم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى فعلام بعد هذا المعول وماذا يتأول اتقوا الله سبحانه فى نفوسكم وانصحوها واغتنموا فرص الحياة واربحوها أن تقول

نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين وتنادى أخرى هل الى مرد من سبيل وتستغيث أخرى يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل وتقول أخرى رب ارجعونى فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسه وقدم لغده من أمسه وعلم ان الحياة تجر الى الموت والغفلة تقود الى الفوت والصحة مركب الالم والشبيبة سفينة تقطع الى ساحل الهرم * وان شاء قال بعد الخطبة اخوانى ما هذا التوانى والكلف بالوجود الفانى عن الدائم الباقى والدهر يقطع الامانى وهادم اللذات قد شرع فى نقض المبانى ألا معتبر فى عالم هذه المعانى ألا مرتحل عن مغانى هذه المغانى

الا أذن تصغى الى سميعة * أحدثها بالصدق ما صنع الموت
مددت لكم صوتى فأواه حسرة * على ما بدا منكم فلم يسمع الصوت
هو القدر الآتى على كل أمة * فتوبوا سراعا قبل أن يقع الفوت

يا كالفا بما لا يدوم يا مفتونا بغرور الوجود المعدوم يا صريع جدار الاجل المهدوم يا مشتغلا بنيان الطرق قد ظهر المناخ وقرب القدوم يا غريقا فى بحار الامل ما عساك تعوم يا معلل الطعام والشراب ولمع السراب لابد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم دخل سارق الاجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر وطوى البساط وأنت تكرب واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك النهب ولم يبق الا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد

لو خفف الوجد عنى * دعوت طالب ثارى

كلا انها كلمة هو قائلها كيف التراخى والفوت مع الانفاس ينتظر كيف الامان وهاجم الموت لا يبقى ولا يذر كيف الركون الى الطمع الفاضح وقد صح الخبر من فكر فى كرب الخمار تنغصت عنده لذة النبيذ من أحس بلفح الحريق فوق جداره لم يصغ بصوته لنغمة العود من تيقن بذل العزلة هان عليه ترك الولاية

ما قام خيرك يازمان بشره * أولى لنا ما قل منك وما كفى

أوحى الله سبحانه الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن ضع يدك على متن ثور فبعدد ما جاذته من شعره تعيش سنين فقال يارب وبعد ذلك قال تموت قال يارب فالآن

رأى الامر يفضى الى آخر * فصبر آخره أولا

اذا شعرت نفسك بالميل الى شئ فاعرض عليها غصة فراقه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فالمفروح به هو المحزون عليه أين الاحباب مرتوا فيا ليت شعرى أين استقروا استكانوا والله واضطروا واستغاثوا من سبقك بأوليائهم ففروا وليتهم اذ لم ينفعوا ما ضروا فالمنازل من بعدهم خالية خاوية والعروش ذابلة ذاوية والعظام من بعد التفاضل متشابهة متساوية والمساكن تندب فى اطلالها الذئاب العاوية

صحت بالربع فلم يستجيبوا * ليت شعرى أين يمضى الغريب
وبجنب الدار قبر جديد * منه يستسقى المكان الجديب
غاض قلبى فيه عند التماحى * قلت هذا القبر فيه الحبيب

لا تسل عن رجعتي كيف كانت * ان يوم البين يوم عصيب
باقتراب الموت علات نفسي * بعد السقي كل آت قريب

أين المعمر الخالد أين الولد أين الوالد أين الطارف أين التالد أين الجماد أين الجماد هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وجوه علاهن الثرى وصحائف تنفض واعمال على الله تعرض بحث الزهاد والعباد والعارفون والاوتاد والانبياء الذين يهدى بهم العباد عن سبب الشقاء الذى لا سعادة بعده فلم يجدوا الا البعد عن الله تعالى وسببه حب الدنيا لن تجتمع أمتى على ضلالة

هجرت حبائبي من أجل ليلى * فمالي بعد ليلى من حبيب
وماذا أرتجي من وصل ليلى * ستجزى بالقطيعة عن قريب

وقالوا ما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الحتف الا الامل كلما قومتها مشاقف الحدود فتح لها أركان الرخص كلما عقدت صوم العزيمة أهداها طرف الغرور فى أطباق حتى واذا وليكن وربما فأفرط القلب فى تقليبها حتى أفطر

ما أوبق الانفس الا الامل * وهو غرور ما عليه عمل
يفرض منه الشخص وهما ماله * حال ولا ماض ولا مستقبل
ما فوق وجه الارض نفس حية * الا قد انقض عليها الاجل
لو أنهم من غيرها قد كونوا * لامتلأ السهل بهم والجبل
ما ثم الا لقم قد هيئت * للموت وهو الاكل المستعجل
والوعد حق والورى فى غفلة * قد خودعوا بعاجل وضللوا
أين الذين شيدوا واغترسوا * ومهدوا وافترشوا وظللوا
أين ذوو الراحات زادت حسرة * اذ جنبوا الى الثرى وانتقلوا
لم تدفع الاحباب عنهم غير أن * بكوا على فراقهم وأعولوا
الله فى نفسك أولى من له * دخرت نصحا وعتابا يقبل
لا تتركنها فى عمى وحيرة * عن هول ما بين يديها تغفل
حقرلها الفانى وحاول زهدها * وشوقها الى الذى تستقبل
وفد الى الله بها مضطرة * حتى ترى السير عليها يسهل
هو الفناء والبقاء بعده * والله عن حكمته لا يسأل
يا قرة العين ويا حسرتها * يوم يوفى الناس ما قد عملوا

يا طارد المخالفة انكم مدركون فاستبقوا باب التوبة فان رب تلك الدار يجير ولا يجار عليه فاذا أمنتم فاذكروا الله كما هداكم يا طفيلية الهمة دسوا أنفسكم بزمر التائبين وقد دعوا الى الله دعوة الحبيب فان لم يكن أكل فلا أقل من طيب الوليمة قال بعض العارفين اذا عقد التائبون الصلح مع الله تعالى انتشرت رعايا الطاعة فى عمالة الاعمال وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب معانى هذا المجلس والله نسيم سحر اذا استنشقه مخمور الغفلة أفاق سوط هذا الوعظ يبغض ان شاء الله زكمة البطالة ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء

اكسير هذا الكتاب يلقب بحكمة جابر القلوب المنكسرة عين من كان له قلب انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله الهى دلنا من حيرة يضل فيها الا ان هديت الدليل وأجرنا من غمرة وكيف الا باعانتك السبيل نفوس صدئ على مر الازمان منها الصقيل وتباجنوبها عن الحق المقيل وآذان أنهضها القول الثقيل وعثرات لا يقيلها الا أنت يا مقيل العثرات يا مقيل أنت حسبنا ونعم الوكيل انتهى (ومن مواعظ لسان الدين رحمه الله سبحانه) ما أورده فى الروضة اثر ما سبق اذ قال اخوانى صمت الآذان والنداء جهير وكذب العيان والمشار اليه شهير أين الملك وأين الظهير أين الخاصة أين الجماهير أين القبيل والعشير أين كسرى بن اردشير صدق والله الناعى وكذب البشير وغش المستشار وانهم المشير وسئل عن الكل فأشار الى اتراب المشير

خذ من حياتك للممات الآتى * وبدار ما دام الزمان موانى
لا تغترر فهو السراب بقيعة * قد خودع الماضى به والآتى
يا من يؤمل واعظا ومذكرا * يوما ليوقظه من الغفلات
هلا اعتبرت وياليها من عبرة * بمدافن الآباء والامات
قف بالبقيع وناد فى عرصاته * فلكم به من حيرة ولدات
درجوا ولست بخالد من بعدهم * متميز عنهم بوصف حيات
والله ما استهلت حياصارخا * الا وأنت تعد فى الاموات
لا فوت عن درك الحمام لهارب * والناس صرعى معرك الافات
كيف الحياة لدارج متكاف * سنة الكرى بمدارج الحيات
أسفا علينا معشر الاموات لا * نتفك عن شغل بها لذوهات
ويغر نا لمع السراب فنغتدى * فى غفلة عن هاذم اللذات
والله ما نصح امرأ من غشه * والحق ليس بخافت المشكات

يا من غدا وراح وألف المراح يا من شرب الراح ممزوجة بالعذب القراح وقعد لعيان صروف الزمان مقعد الاقتراح كأنك والله باختلاف الرياح وسماع الصياح وهجوم غارة الاجتياح فاديل الخنوت من الارتياح ونسيت أصوات الغناء برنات الرياح وعوضت عرد النوب القباح من غرر الوجوه الصباح وتناولت الجسوم الناعمة أيدى الاطراح وتنوسيت العهود الكريمة بمر المساء عليها والصباح وأصبحت كماة النطاح من تحت البطاح وخملت المهندة والرماح ذليلة من بعد الجماح

ولو كان حول الموت لا شئ بعده * لهان علينا الامر واحتقر الهول
ولكنه حشر ونشر وجنة * ونار ومالا يستقل به القول

يا مشتغلا بداره ورتم جداره عن اسراعه الى النجاة وبداره يا من صاح باذاره شيب عذاره يا من صرف عين اعتذاره باقذاره يا من قطعه بعد مزاره وثقل أوزاره يا معتلقا ينتظر هجوم جزاره يا مختلسا للامانة يرتقب مفتش ما تحت ازاره يا من أمعن فى خمر الهوى خف من اسكاره يا من خالف مولى رقه فوق من انكاره يا كلفا بعارية

ترد يا مفتونا بأنفاس تعد يا معولا على الاقامة والرحال تشد كانى بك وقد أوثق الشد وألصق بالوسادة الخد والرجل تقبض والاخرى تمد واللسان يقول باليتنا نرد

انا الى الله وانا له * ما أشغل الانسان عن شانه

يرتاح للاثواب يزهى بها * والخيط مغزول لاكفانه

ويخزن الفلس لوراثه * مستنفدا مبلغ اكوانه

قوض عن الفانى رحال امرء * مد اليه عين عرفانه

ما ثم الا موقف زاهد * قد وكل العدل بميزانه

مفرط يشقى بتفريطه * ومحسن يجزى باحسانه

يا هذا خفى عليك مرض اعتقادك فالتبس الشحم بالورم جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب فسد حسن ذوقك فتفكهت بحنظله أين حرصك من أجلك أين قولك من عملك يد ركك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة فى البيت بسببه ثم تواقعها بعين خالق العين ومقدر الكيف والاين تالله ما فعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ما يكون من نجوى ثلاثة الى علمه تعود عليك مساعى الجوارح التى سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فتبخل منها فى سبيله بفلس وأحد الامرين لازم اما التكذيب واما الحماقة وجعلك بين الحالتين عجيب يرزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسىء الظن به فى يوم توجب الحق وتعتذر بالغفلة فما بال التمادى تعترف بالذنب فما الحجة فى الاصرار والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا يا مدعى النسيان ماذا فعلت بعد التذكير يا معتذرا بالغفلة أين ثمرة التنبيه يا من قطع بالرحيل أين الزاد يا ذا بأية الحرص كم ذا تلجج فى ورطة الشهد يا نائما ملأ عينيه حذار الاجل قد أنذر يا مثل الاغترار قرب خمار الندم تدعى الحذق بالصنائع وتجهل هذا القدر تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك هذا الغش اندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزمتك على رمل نبتت خضراء دعوتك على دمنة عقدت كفك من الحق على قبضة ماء أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء اذا عام جو هذا المجلس وابتدأ رش غمام الدموع قالت النفس الامارة حوالينا لا علينا فدالت رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف كلما شد طفل العزيمة على درة التوبة صانعته ظئر الشهوة عن ذلك بعصفور اذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الامل حدود الجار قال بعض الفضلاء كانوا اذا فقدوا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم ولو صدق الواعظ لاثر اللهم لا أكثر طبيب يداوى الناس وهو عليل والخطب جليل والمتقطن قليل فهل الى الخلاص سبيل اللهم انظر الينا بعين رحمتك التى وسعت الاشياء وشملت الاموات والاحياء يا دليل الحائرين دلنا يا عزيز ارحم ذلنا يا ولى من لا ولى له كن لنا كانا ان أعرضت عنا فمن لنا نحن المذنبون وأنت غفار الذنوب فقلب قلوبنا يا مقلب القلوب واستر عيوبنا يا ستار العيوب يا أمل الطالب ويا غاية المطلوب انتهى *(ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) فى المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ونصه

اذا لم أح يوما على نفسي التي * بحرائها أحببت كل حبيب
وقد صح عندي ان غادية الردى * تدب لها والله كل دبيب
فمن ذا الذي يبكي عليها بأدمعي * اذا كنت موصوفا برأي لبيب

كم قد نظرت الى حبيب تغار من ارسال طرفك بكتاب الهوى الى انسانه وقد ذبلت بالسقم نرجسة لحظه وذوت وردة خده واصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه وهو يجود بنفسه التي كان يبخل منها بالنفس يخاطب بلسان حاله مسترحما وليت الفجل يهضم نفسه وأنت على اثر مسحبه الى دست الحكم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم * ومنها تالله لو لم يكن المخبر صادقا لنشب بحلق العيش بعده شوكة الشك

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شيء

فالحازم من بتر الآمال طوعا وقال بيدي لا بيد عمرو يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال أمير الوعاظ رحمه الله تعالى وبضدها تتميز الاشياء يا مقتولا ماله طالب ثار بريد الموت مطلق الاعنة في طلبك وما يحميك حصن ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك والانفاس تستلب درات ذاتك وحركات الزمان قوية في النسج الضعيف فيا سرعة التمزيق يا رابطا منه بخيط الامل انه ضعيف الفتل صياد التلف قد بث الصقور وأرسل العقبان ونصب الاشراك وقطع المواد فكيف السلامة تهيأ لسرعة الموت واشد منها قلب القلب ليت شعري لما يؤول الامر

فوالله لا أدري أيغلبني الهوى * اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان استطع أغلب وان يغلب الهوى * فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الانفاس ولا بد من عاصف فاصف بفلكه ويغرق الركاب

فاقضوا ما آربكم عجالا انما * أعماركم سفر من الاسفار

وقال كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق وانهزمت بجنود الامل واذا بملك الموت قد بارز الروح يجذبها بخطاطيف الشدائد من قيان العروق قد شد كتاف الذبيح وحلا البصر لشدة الهول وملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحوا أبواب الجنة وملائكة العذاب عن اليسار قد فتحوا أبواب النار وجميع المخلوقات تستوكف الخبر والكون كله قد قام على صيحة سعد فلان أو شقي فلان فهنالك تجلى أبصار الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ويحك تهيأ لتلك الساعة حصل زادا قبل الفوت

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

مثل لعينيك سرعة الموت وما قد عزمت ان تفعل حينئذ في وقت الاسر فافعله في وقت الاطلاق وقال أبو العتاهية

خانك الطرف انتبه * أيها القلب الجموح

فدواعي الخير والشر دتو ونـــزوح
كيف اصلاح قلوب * انما هن قروح
أحســن الله بنا ان الخطايا لا تبوح
فاذا المشهور منا * بين أيدينا فضوح
كم رأينا من عزيز * طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل * طائر الدهر الصدوح
موت بعض الناس في الار * ض على بعض فتوح
سيصير المرء يوما * جسدا ما فيه روح
بين عيني كل حي * علم الموت يلوح
كانا في غفلة والدهر يغدو ويروح
لبني الدنيا من الدنـــيا غبوق وصبوح
رحن في الوشي وأصبحـــن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـــر له يوما نطـــوح
نح على نفسك يا * مسكين ان كنت تنوح
لتنوحن ولو عمرت ما عـــمر نوح

وقال في المعنى

لمن طال أسائله * معطلة منا هله
غداة رايته تنمى * أعاليه أسافله
وكنت أراه مأهولا * ولكن باد اهله
وكل لاعتساف الدهـــر معرضة مقاتله
وما منـــك الا * وريب الدهر شامله
فيصرع من يصارعه * وينضل من يناضله
ينازل من يهم به * وأحيانا يحاوله
وأحيانا يؤخره * وتارات يعاجله
كفاك به اذا نزلت * على قوم كلاكله
وكم قد عز من ملك * تحـــف به قبائله
ويثني عطفه مرحا * وتعجبه شمائله
فلما أن أتاه الحتف ولى عنه باطله
تخفض عينه للمو * ت واسترخت مفاصله
فغالبت السياق به * الى أن جاء غاسله
فجهزه الى جدث * سيكثر فيه خاذله
ويصبح ساخط المثوى * مفجعة ثواكله
مخلفة نوادبه * مسلبة حلائله

وكم قد طال من أمل * فلم يدركه آمله
رأيت الحتف لا يخشى * ولا تخشى شواكله
الا فانفر لنفسك أي زاد أنت حامله
لمنزل وحدة بين ال * مقابر أنت نازله
قصير الممك قد رمضت * عليك به جنادله
بعيد تجاور الجيرا * ن ضيقة مداخله
أأيتها المقابر فيك من كانا تنازله
ومن كانا تتاجره * ومن كانا تعامله
ومن كانا تعاشره * ومن كانا تداخله
ومن كانا تشاربه * ومن كانا تواكله
ومن كانا تفاخره * ومن كانا تطاوله
ومن كانا تراقبه * ومن كانا تزايله
ومن كانا تكارمه * ومن كانا تجامله
ومن كانا له الفا * قليلا ما تزاوله
ومن كنا له بالامس اخوانا نواصله
فكل محلة من حلها صرمت حبائله
الا ان المنية منهل والخلق ناهله
أواخر من ترى تفنى * كما فنيت أوائله
لعمرك ما استوى في الامر عالمه وجاهله
ليعلم كل ذي عمل * بأن الله سائله
فأسرع فائزا بالخير فائله وفاعله

ثم قال لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما سبق ما صورته وهذا الغرض بحر ويكفي من خزائنه عرض ومن بيت ماله قرض ان شاء الله تعالى * ثم قال تنبيه يشتمل على سؤالين أحدهما أن يقال الوعظ غير مناسب للمحبة اذ لا يحصل الا بعد الفراغ واليقظة الثاني أن يقال عظائم الحسرة لفراق عالم الحس وأطلتم في قشور * فنجيب عن الاول انا لم نجلب الوعظ الا بين يدي تأميل حضور المحبة فكأنه يجري مجرى الاسباب فان الغرض به وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور الى جو الحزن والارتماض ومن هنالك تأخذ بخطامها أيدي الاضطرار فتحصل اليقظة ثم التوبة ومنها يستقيم الطريق في منازل السائرين الى الحق

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وعند ذلك يطوى بساط الزجر والوعظ ويمد بساط الاعتبار والحب ان شاء الله تعالى فانها كالشكلي بطبعها لما فارقته من عنصر نور الله تعالى والعوالم الروحانية التي هي الاشعار والدثار والامل والدار والحياة والجمال والوجود والكمال وان كانت

لاتشعر بالسبب ولا تستحضر ذكر العلة فاذا ذكر الفراق أنت أو تنوشدت الآثار حنت ويطرقها الحزن عند الالحان الشجية وتحس بعض الاحيان بالمواجد العشقية

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته ٥ لقبر نوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى ٥ دعونى فهذا كله قبر مالك

٥ وعن الثانى ان كثيرا من النفوس لاتشعر بوجود عالم الحس فضلا عن النظر فيه وان شعرت بذلك عدمنها نبلا ومن كان بهذه المثابة لاسبيل لندائه الا من باب القشور أولئك ينادون من مكان بعيد الى أن يتأتى النداء من باب الله تعالى بفضل الله تعالى فالنفوس الشخصية غير متساوية وهى بهوى الهوى هاوية فالقريب منها يجذب بالانامل والبعيد بالجزل الكوامل وعلى قدر المحمول تكون قوة الحامل (يضع الهناء مواضع النقب)

يكنى اللبيب اشارة مكتومة ٥ وسواه يدعى بالنداء العالى
وسواهما بالزجر من قبل العصا ٥ ثم العصا هى رابع الاحوال انتهى

٥(وقال رحمه الله تعالى فى فصل ذم الكسل ما صورته ونحن نجانب بعض الامثال فى ذمه مما يسهل حفظه ويجب لحظه فمن ذلك الكسل مزاقة الربح ومسخرة الصبح اذا رقدت النفس فى فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة لو كان سمع أو نعقل ما كان فى أصحاب السعير الندامة فى الكسل كالسم فى العسل الكسل آفة الصنائع وأرضة فى البضائع العجز والكسل يفضحان الخمول ولا تسل الفلاح اذا مل الحركة عدم البركة ظهران لايبلغان المرء ان ركبا ٥ باب السعادة ظهر العجز والكسل

وفى اغتنام الانام من أضاع الفرصه تجرع الغصه ان كان لك من الزمان شئ فالحال وماسواه فمحال تارك أمره الى غد لايفلح للابد الانسان ابن ساعته فليحطها من اضاعته التسويف سم الاعمال وعدو الكمال لم يحرم المبادر الا فى النادر ما درجت أفراخ ذل الامن وكر طماعة ولا بسقت فروع ندم الامن جرثومة اضاعة العزم سوق والتاجر الجسور مرزوق من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان الربح فى ضمن الجساره والمضيع أولى بالخساره ٥ ومن أمثالهم فى نظر الانسان لنفسه قبل غروب شمسه قولهم اعلم أن كل حكيم صانع اذا فكر فى أمره ونظر فى العواقب علم أنه لابد يوما أن يخرب دكانه الذى هو محل بضاعته وتحل أنقاضه وتكل أدواته وتضعف قوته وتذهب أيام شبابه فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان واستغنى عن السعى فانه لايحتاج بعد ذلك الى دكان آخر ولا الى أدوات مجددة فليتجر بما اقتناه ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسبت يداه وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد فبادر واجتهد واحرص واستعجل وتزود قبل خراب دكانك وهدم بنيته فان خير الزاد التقوى قال حسان

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ٥ وأبصرت بعد اليوم من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ٥ ولم ترصد مثل ما كان أرصدا

قال أبو الفرج بن الطيب البغدادى فى اغتنام الوقت فى كتابه فى السياسة والآراء الفاضلة يجب أن تعيد وتمثل فان الفكر مضطرب متشوش بكثرة نوازع النفس واختلاف قواها والعمى فى بعض الاوقات فاذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها وأبرمت قانونا أو صورة متوسطة فاضلة يجب أن يقيد بذلك وقت سعدر بما لا يعاود أو يعاود * انتهى

(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان سلطانه الى شيخ الموحدين بتونس ابن تفراجين يخبره بالتمحيص الجارى عليه ونصه من أمير المسلمين أيده الله ونصره وأعلى أمره وأظهره الى وليناقى الله تعالى الذى له القدم الرفيع المناصب والمجد السامى الذوائب والسياسة التى أخبارها سمر الركبان وحدو الركائب الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير الهمام الامضى الرفيع الاعلى الامجد الاوحد الاسعد الاصعد الاوفى الظاهر الطاهر الفاضل الباسل الارضى الانقى المعظم الموقر المبرور علم الاعلام سلالة أكابر أصحاب الامام معيد دولة التوحيد الى الانتظام أبى محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الاسعد الامجد الحسيب الاصيل الامضى الارضى الافضل الاكمل المعظم المقدس المرحوم أبى العباس تفراجين وصل الله تعالى له عزة تناسب شهرة فضله وسعادة تتكفل له فى الدارين برفعة محله سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ورتبتكم الحافلة ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى يمحص ليثيب ويأمر بالاستقالة ليجيب ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ويجنى من شجر التوكل عليه والتسليم اليه ثمر الصنع العجيب ويظهر العبر مهما كسر ثم جبر لكل ذى قلب منيب والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى نلجأ الى ظل شفاعته فى اليوم العصيب ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ونستكثر عدد بركاته فى هذا الثغر الغريب ونصول منه على العدو بالحبيب والرضا عن آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الامنة من الافول والمغيب فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزة متصلة وعصمة بالامان من نوب الزمان متكفلة من جراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله تعالى الذى لطف وجبر وأظهر فى الاقالة وحسن الادالة العبر ممن كتب الله تعالى له المعقبى لما صبر الا الخير الذى كسا الاعطاف الحبر والصنع الذى صدق خبره الخبر والحمد لله تعالى كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ولمكانتكم عندنا المحل الذى قررت شهرة فضلكم قواعده وأعلت مصاعده وأثبت التواتر شواهده اذ لا نزال نتحف بسيركم الذى فى التدبيرات يقتفى وعلم يسترشد به اذا العلم اختفى والسبيل عفا وان تلك الدولة بكم استقام أودها وقامت والحمد لله عمدها وانكم رعيتم فى البنين حقوق آبائها وحفظتم عليها ميراث عليائها ولولم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة وآراؤكم السديدة بما يفيد العلم بفضل ذاتكم ويغرى قوى الاستحسان بصفاتكم لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل لكم طبعا وجبلة من غير أن نعتبر سببا أو علة فالتعارف بين الارواح لا ينكر والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به فى ملكنا القدر وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر وربما

اتصلت

اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملككم من لم يعرف غير نعمتها عائدا ولا برح في جوانب احسانها رائحا وغاديا يتيم جوهرها الكامل ورضيع درها الحافل الشقي الخاسر الخائن الغادر محمد بن اسمعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره الخفية عنا حيل مكره فحول قدره اذ دعاه محتوم الحين ليهلك الى أن يهلك . وسولت له نفسه الامارة بالسوء أن يملك أخانا الخاسر ثم يملك وسبحان الذي يقول يا نوح انه ليس من أهلك وكيف تم له ما أبرمه من تسور الاسوار واقتحام البوار وتملك الدار والاستيلاء على قطب المدار وانا كنفتنا عصمة الله تعالى بمحول لنا الذي كان به ليلتئذ محل ثوائنا وكفت القدرة الالهية أكف أعدائنا وخلصنا غلابا بحال انفراد الامر عنايه ونعم الرفيق وصدق النجبا الى رحمة الله تعالى التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق فهما تتكرر الزمان أو تفرق الفريق وشرذمة الغدر تأخذ علينا كل فج عميق حتى أوينا من مدينة وادي آش الى الجبل العاصم والحجة المرغمة أنف الخاصم ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب وتجهم من الدهر وقطوب وبلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله وقارا ولا يألو شعائره المعظمة احتقارا فأضرمه نارا وجال وجوه وجوهه خزيا وعارا حتى هتك الباطل حماه وغير اسمه ومسماه وبدد حامية المنخرة وشذبها وسخم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذبها وأهلك نفوسها وأموالها وأساء لولا تدارك الله تعالى أحوالها ولما تأذن جل جلاله في اقالة العثار ودرك الثار وانشأت نواسم رضاه ادامة الاستغفار ورأينا قلادة الاسلام قد آن انتثارها والملة الحنيفية كادت تذهب آثارها ومسائل الخلاف يتعدد مثارها وجعلت الملتان نحونا تشير والملك يأمل أن يوافيه بقدومنا البشير تحرك كاحركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح ونهضنا بتدبر ما كتب الله تعالى من المنح وقد امتعض لنا الكون بما حل واستخدم الفلك نفسه بمشيئته تعالى واكتمل وكاد يترب لقرى ضيفنا الثور والحمل وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم المقدس أبي سالم الذي كان وطنه مأوى الجنوح ومهب النصر الممنوح رحمة الله تعالى عليه مظاهرة مثله من الملوك الاعاظم وختم الجميل بالجميل والاعمال بالخواتم وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة وحقوقنا المجحودة المستورة فأصبح بعد العدو حبيبا وعاد بعد الاباية منيبا وسخر أساطيله تحضيضا على الاجازة وترغيبا واستقبلنا البلاد وبحر البشر يزخر موجه وملك الاسلام قد خر على الحضيض أوجه والروم مستولية على الثغور وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الامور والخبيث الغادر الذي كان يموه بالاقدام قد ظهر كذب دعواه وهان مثواه وتورط في أشراك الندامة تورط مثله ممن اتبع هواه وجحد نعمة مولاه فلولا أن الله عز وجل تدارك جزيرة الاندلس بركابنا وعاجل أوارها بانكابنا لكانت القاضية ولم تر لها من بعد ذلك الريح العقيم من باقية لكن بفضل الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو وقددنا بكلكل وابتززناه منها أي مشرب وماكل واعتززنا عليه بالله تعالى الذي يعز ويذل ويهدي ويضل فلم نساهمه في شرط يجر غضاضة ولا يخلف في القلوب مضاضة

وخضنا بحر الهول وبرئنا الى الله تعالى ربنا عن القوة والحول وظهرت للمسلمين ثمرة سيرتنا وما بذلناه في مصانعة العدو من الاجهاز عليهم من حسن سيرتنا فقويت فينا أطماعهم وانعقد على التحرم بنا اجماعهم وقصدنا مالقة بعد أن اشالت الجهة الغربية واذعنت المعاقل الابيه فيسر الله تعالى فتحها وهيأ منحها ثم توالت البيعات وصرخت باذن البلاد الدعاة واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف اليه وحسب كل صيحة عليه فاقتضت نعامته الشائلة ودولة بغيه الزائلة وآراؤه الفائلة أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة وآلة للملك مصونة واستركب أوباشه الذين استباح الحق دماءهم وعرف الخلق اعتزاءهم للغدر وانتماءهم وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ولا مثلى طريقة ولا شيمة بالرعى خليقة لكن الله عز وجل حمله على قدمه لاراقة دمه وزين الوجود بعدمه فلمين قدومه عليه راجيا أن يستفزه بعرض أو يحيل صحة عقده المبرم الى مرض ومؤملا هو وشيعته الغادرة كرة على الاسلام مجهزة ونصرة لمواعيد الشيطان منجزة تقبض عليه وعلى شيعته وصم عن سماع خديعته وأخبر بهم المثلة وأساء بحسن رأيه فيهم القتلة فأراح الله تعالى بايادتهم نفوس العباد وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد وحثثنا السير الى دار ملكه فدخلناها في اليوم الاغر المحجل وحصلنا منها على الفتح الهنى المجلل وعدنا الى الاريكة التي نبا بنا عنها التمحيص فاحسبناه الاسرورا أعقبه الكمال ومرضا عاجله الابلال فشابت للدين الآمال ونجحت الاعمال وبذلنا في الناس من العفو ما غفر الذنوب وجبر القلوب وأشعنا العفو في القريب والقصى وألبسنا المريب ثوب البرى وتألفنا الشارد وأعذبنا الموارد وأجرينا العوائد وأسنينا الفوائد الا ما كان من شرذمة عظمت جرائرهم وخبثت في معاملة الله تعالى سرائرهم وعرف شومهم وصدق من يلومهم فاقصيناهم وشردناهم وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى وأبعدناهم ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر واخوان الخديعة والمكر وبعث الينا برؤسهم ما بين رئيسهم الشقى ومرءوسهم وقد طفا على جداول السيوف حبابها وراق بحناء الدماء خضابها وبرز الناس الى مشاهدتها معتبرين وفى قدرة الله تعالى مستبصرين ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين وأحق الله تعالى الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين فأمرنا بنصب تلك الرؤس بمسور الغدر الذى فرعته وجعلنا علما على عاتق العمل السيئ الذى اخترعته وشرعنا في معالجة العلم وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم فاجتمع الشمل كما تحسن أحواله وسكن هذا الوطن بعد زلزاله وأفاق من أهواله ولعلمنا بفضلكم الذى قضاياه شائعة ومقدماته ذائعة أخبرناكم به على اختصار واجتزاء واقتصار ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الاقصى بعد استرساله واشرافه على سوء مآله وكنا نخاطب محل أخينا السلطان الجليل المعظم الاسعد الاوحد الخليفة أمير المؤمنين أبي اسحق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر ابن الائمة المهتدين

والخلفاء

والخلفاء الراشدين وصل الله تعالى أسباب سعده وحرس أكناف مجده لولا انا تعرفنا كونه فى هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السنية وبين سلفنا وسلفكم من الود الراسخ البنيان والكريم الاثر والعيان ما يدعو الى أن يكون سبب المخاطبة موصولا وآخرة الود خيرا من الاولى لكن الطريق جم العوائق والبحر مفروق البوائق وقبول العذر بشواغل القطر بالفضل لائق ومرادنا أن يتصل الود ويتجدد العهد والله عز وجل يتولى أمور المسلمين بمتوارد احسانه ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه وهو سبحانه يطيل سعادتكم ويحرس مجادتكم وينجح ادارتكم ويسنى ارادتكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته * (ومن نثره رحمه الله تعالى قوله أيها الناس ضاعف الله تعالى بمزيد النعم سروركم وتكفل بلطفه الخفى فى مثل هذا القطر الغريب أموركم أبشركم بما كتب به سلطانكم السعيد اليكم المترادفة بينه وسعادته نعم الله تعالى عليكم أمتع الله تعالى الاسلام ببقائه وأيده على أعدائه ونصره فى أرضه بملائكة سمائه وان الله تعالى فتح له الفتح المبين وأعز بحركة جهاده الدين وبيض وجوه المؤمنين وأظفره باطريرة البلد الذى فجع المسلمين باسرهم بجميعه تثير الحمية وتحز النفس الابية فانتقم الله تعالى منهم على يده وبلغه من استئصالهم غاية مقصده فصدق من الله تعالى لاوليائه وعلى أعدائه الوعد والوعيد وحكم بابادتهم المبدئ المعيد وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وتحصل من سبيه بعد ما رويت السيوف من دمائهم آلاف عديدة لم يسمع بمثلها فى المدد المديدة والعهود البعيدة ولم يصب من اخوانكم المسلمين عدد يذكر ولا رجل يعتبر فتح هنى وصنع سنى ولطف خفى ووعد وفى فاستبشروا بفضل الله تعالى ونعمته وقفوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته وقابلوا نعمه بالشكر يزدكم واستبصروا فى الدفاع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم واغتبطوا بهذه الدولة المباركة التى لم تعدموا من الله تعالى معها عيشا خصيبا ولا رأيا مصيبا ولا نصرا عزيزا ولا فتحا قريبا وتضرعوا فى بقائها ونصر لوائها الى من لم يزل سميعا للدعاء مجيبا والله عز وجل يجعل البشائر الفاشية فيكم عادة ولا يعدمكم ولا أولى الامر منكم توفيقا وسعادة والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته من مبلغ ذلك فلان انتهى (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما أنشأه عن سلطانه الغنى بالله تعالى حين وصله ابنه الذى كان بفاس يخاطب سلطان فاس مانصه المقام الذى تفلد نافلة الفضل شفعا وجود صورة الكمال افرادا وجمعا واستولى وجمع بين المنح والتهنئة بالفتح فأحرز أصلا وفرعا واستحق الشكر عقلا وشرعا وأغرى أيدى جوده بالقصد الذى هو حظ وليه من وجوده فأثار من جيش اللقاء نقعا ووسط به جمعا مقام محل أخينا الذى أقلام مقاصده ذرية بحسن التوقيع وعيون فضله مذكاة لاحكام الصنيع وعذبات فخره تهفو بذروة العلم المنيع ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع أبقاه الله تعالى وألسن فضله ناطقة وأقيسة سعده صادقة وألويته بالنصر العزيز خافقة وبضائع مكارمه فى أسواق البر نافقة

وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا سلام كريم طيب بركاته يخص مقامكم الاعلى وطريقتكم المثلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته محل قدركم وملتزم بركم وموجب حمدكم وشكركم فلان أما بعد حمد الله تعالى الذى جعل الشكر على المكرمات وقفا ونهج منه بازائها سبيلا لا تلتبس ولا تخفى وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا وجعل الموت فى ذاته مما يقرب اليه زلفى مريح تجارة من قصد وجهه بعمله حتى يرى الشئ أضعفا وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا وعطفا ومدنى غمار الآمال فتتمتع بها اجتناء وقطفا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى العربى الكريم الرؤف الرحيم الذى مد من الرحمة على الامة سجفا وملأ قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفا القائل من أيقن بالخلف جاد بالعطية ووعد من عامل الله تعالى بربح المقاصد السنية وعد الا يجد خلفا والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا من بعده للاسلام كهفا وعلى أهله فى الهواجر ظلا ملتفا غيوث الندى كلما شاموا سماحا وليوث الصدى كلما شهدوا زحفا والدعاء لمقامكم اخوتكم الاسعد بالنصر الذى يكف من عدوان الكفر كفا والجد الذى لا يغادر كتابه من المفاخر التى تركت الاول للآخر حرفا والى هذا أيدكم الله بنصر من عنده وحكم للكعكم الاسمى باتصال سعده وأنجز فى ظهوره على من عاند أمره سابق وعده فانا نقرر لدى مقامكم وان كان الغنى بأصالة عقله عن اجتلاء الشاهد ونقله وجلاء البيان وصقله أن الهدايا وان لم تحل العين منها كما حلت أوتنا ولها الاستزارة فانبهت فى لحظ الاختبار ولاجلت أو كانت زيفا كلما أغرى بها الاختبار قلت لابد أن تترك فى النفوس ميلا وأن تستدعى من حسن الجزاء كيلا وأن تنال من جانب التراحم والتعاطف نيلا وأى دليل أوضح محجة وأبين حجة من قوله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا من غير تبيين مقدار ولا اعمال اعتبار ولا تفرقة بين لجين ولا نضار فكيف اذا كانت الهدية فلذة الكبد التى لا يلذ العيش بعد فراقها ولا تضئ ظلم الجوانح الا بطلوع شمسها واشراقها وجمع الشمل الذى هو أقصى آمال النفوس الآلفة والبواطن المصاحبة للمحنين المحالفة لاسيما اذا اقتعدت محل الهنا بالفتح الراقى السنا وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البر وقومة الاعتنا فهنالك تفخر ألسن الثناء وتتطابق أعلام الشكر السامية البناء وانا ورد علينا كتابكم الذى سطره البر وأملاه وكنفه اللحظ وتولاه ووشحه البيان وحلاه مهنئا بما منح الله جل جلاله من رد الحق وتعيين الجمع ورفع الفرق وتطويق الامان وأمان الطرق واسعاد السعد وبلوغ القصد وقطع دابر من جحد نعمة الاب والجد وسل سيف البغى داعى الحقد والحمد لله تعالى حمدا يلهمه ويتيحه ونسأله امدادا يسوغه ويبيحه على أن أحسن العقبى وأعقب الحسنى وأرى النعم بين فرادى ومثنى وجمع الشمل الذى قد تبدد وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد وأخذ الظالم فلم يجد من يحيص وجمع لنا الاجر والفخر بين تخصيص وتحيص وقد برؤس الغجرة الغدرة الفرضة التى فرعوها وأطفأ بحراق دمائهم

نار الضلالة التى شرعوها وكتب لقبيلكم الفضل الذى يحمد ويشكر والحق الذى لا يجحد ولا ينكر فلقد اوى لما تبرأت الخلصان وتخفى عند ما تنكر الزمان وسبب الادالة وطاوع الاصالة والجلالة حتى فرج الله تعالى الكربة وآنس الغربة وأقال العثرة وتقبل القربة له الحمد على آلائه وصلة نعمائه ملء أرضه وسمائه ووصل صحبته الولد مكنوفا بجناح اللطف ممهدا له ببركتكم مهاد العطف فبرزنا الى تلقيه تنويها لهديتكم واشادة وابداء فى بركم واعادة وأركبنا الجيش الذى آثرنا لحين استقلالنا عرضه وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه فبرز الى الفضاء الافيح حسن الترتيب سافرا عن المرأى العجيب ولولا الحنان الذى تجده النفوس للابناء وتستشعره والتشوق الى اللقاء الذى لا يجحده منصف ولا ينكره لما شق علينا طول مقامه فى حجركم ولا ثواؤه لصق أريكة أمركم فجواركم محل لاستفادة رسوم الامارة وتعلم السياسة والادارة حتى يرد علينا بقدوم كتيبة جهادكم ويقود الينا طليعة نصركم ايانا وامدادكم فنحن الآن نشكر مقاصدكم التى اقتضى الكمال سياقها وزين المجد آفاقها وقدرها فأحكم طباقها وتقرر لديكم أن حظنا من ودادكم ومحلنا من جميل اعتقادكم حظ بان رجحانه وفضله ولم يتأت بين من سلف من السلف مثله من الصحبة فى المنزل الخشن وهى الوسيله وفى رعيها تظهر الفضيله والاشتراك فى لازم الوصول الى الحق وضم أشتات الخلق والمودة الواضحة الطرق الى ما بين السلف من الود الآمن بدره من الكلف المذخورة أذمته للخلف فاذا كانت المعاملة جارية على حسبه وشعبها راجعة الى مذهبه جنى الاسلام ثمرة حافله واستكفى الدين ايالة كافله فالله عز وجل يمهد البلاد بيمن تدبيركم ويجرى على مهيع السداد جميع أموركم ويجعلكم ممن زين الجهاد عواتق أعماله وكان رضا الله تعالى عنه أقصى آماله حتى تربى مآثركم على مآثر أسلافكم الذين عرف هذا الوطن الجهادى امدادهم وشكر جهادهم وقبل الله تعالى فيه أموالهم وأولادهم وحسن من أجله معادهم وقد حضر بين يدينا رسولكم الذى وجهتم الولد أسعده الله تعالى لنظره وتخيرتموه لصحبة سفره فلان وهو من الامانة والفضل والرجاحة والعقل بحيث طابق اختياركم واستحق ايثاركم فأطنب فى تقرير ما لديكم من عناية بهذه الاوطان عينت الرفد وضربت الوعد وأخلصت فى سبيل الله تعالى القصد وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الاركان المؤسسة على التقوى والرضوان فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم وقابلنا بالثناء الجميل قولكم وعملكم والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *

ومن ذلك ما كتبه رحمه الله تعالى على لسان الامير سعد ابن سلطانه الغنى بالله تعالى اليه وهو مولاى ومولى كبيرى ومولى المسلمين ورحمتى المتكفلة بالسعد الرائق الجبين يقبل قدمكم التى جعل الله تعالى العز فى تقبيلها والسعد فى اتباع سبيلها عبدكم الصغير فى سنه الكبير فى خدمتكم وخدمة كبيره فى حياتكم بفضل الله تعالى ومنه الهاش لتمريغ وجهه فى كتابكم من الذراع المنبئة طباعه عن العبودية الكامنة بالبدار الى ذلك

قوله من الذراع وفى نسخة حسن الذراع ولينظر اه

والاسراع عبدكم وولدكم سعد كتبه من بابكم المحوط بعز أمركم المتحف ان شاء الله تعالى بأنباء نصركم وقد وصل الى عبدكم تشريفكم السابغ الحلل وتنويهكم المبلغ غايات الامل وخطيدكم الكريمه وغمامة رحمتكم الهامية الديمه فياله من عز أثبت لى الفخر فى أبناء الملوك وسار بى من الترشيح لرتب حظوتكم على المنهج المسلوك قرر من عافية مولاى وسعادته واقتران السعود حيث حل بوفادته ماتكفل ببلوغ الآمال وتم لسان الحال فى شكر الله تعالى لسان المقال والله تعالى يديم أيام مولاى حتى يقوم بحق شكر النعم لسانه وتؤدى بعده جوارحه من الدفاع بين يدى سلطانه مايسر به سلطانه وبعث جوابه منقولا ليد حامله من يده ليهنئ تقبيل اليد الكريمة بحال تأكيد ويقرر ما لعبده الى وجهه الكريم من شوق شديد ويعرف شمول نعمة الله تعالى ونعمته لمن يبابه من خدم وحرم وعبيد ويمديد الرغبة لمولاه فى صلة الانعام بتشريفه واعلامه بتزايدات حركاته وتعريفه ففى ضمن ذلك كل عز مشيد وخير جديد ويهدى تحية أهل منزل مولاى على اختلافهم بحسب منازلهم من نعمة لحظه التى يأخذ منها كل بحظه والسلام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وقال رحمه الله تعالى ومن نثرى ما خاطبت به السلطان على لسان ولده من مالقة وقد وصلت به اليه من المغرب مولاى الذى رضا الله تعالى مقترن برضاه والنجح مسبب عن نيته ودعاه وطاعته مرتبطة بطاعة الله أبقى الله تعالى على بكم ظل رحماه وغمام نعماه وزادنى من مواهبه هداية فى توفية حقه الكبير فان الهدى هدى الله يقبل مواطئ أقدامكم التى ثراها شرف الخلود وفخر الجباه ويقرر من عبوديته مايسجل الحق مقتضاه ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذى يحبه الله تعالى ويرضاه ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة حرسها الله والوجود ألسن بالعز بالله ناطقه والاعلام والشجر ألوية بالسعد خافقه وأنواع التوفيق متوافقه وصنائع اللطيف الخبير مصاحبة مرافقه وقد وصل يا مولاى لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم مابعث به على مقامكم وجادت به سحائب انعامكم ولمن تحت جبية ستركم المسدول وفى ظل اهتمامكم الموصول وان ارتسم بخدمة أبوابكم الشريفة من الخدام وأولى المراقبة والالتزام مايضيق عنه بيان العباره ويفتضح فيه لسان القول والاشاره من عنايات سنيه ونعم باطنة وجليه وملاحظة مولويه ومقاصد ملكيه فحاشت من قباب مذهبه وملابس منتخبه وأسرة مرتبه ومحاسن لامستورة ولا محجبه واللواء الذى نشرتم على عبدكم ظله الظليل ومددتم عليه جناح العز الجليل جعله الله تعالى أسعد لواء يسير فى خدمتكم ومد على وعليه لواء حرمتكم حتى يكون لجهادى بين يديكم شاهدا وبالنصر العزيز والفتح المبين عليكم عائدا ولطائفة الخلوص لامركم قائدا ولاوليائه بابكم هاديا ولاعدائكم كائدا واتفق يا مولاى ان كان عبدكم قد ركب مغتمرا برد اليوم ومؤثر الرياضة فى عقب النوم والتف عليه الخدام والاولياء الكرام فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايات المجلوة الصور المتلوة السور وقد حشر الناس وحضرت منهم الاجناس فعلا الدعاء واتسر الثناء وراقت الابصار تلك

الهمة العليا فنسأل الله تعالى يا مولاى أن يكافئ مقامكم بالعز الذى لا يتبدل والنصر الذى يستأنف ويستقبل والسعد الذى محكمه لا يتأول والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على أبوابكم الرفيعة المقدار وارتياح لقرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما ٭ اذا دنت الديار من الديار

والعمل على تيسير الحركة متصل والدهر لا وامر سعدكم محتفل بفضل الله تعالى والسلام على مقام مولاى مقام الشفقة والرحمه والمنة والنعمه ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن انشاء لسان الدين) فى تولية الامير يوسف المذكور مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده مانصه هذا ظهير كريم فاتح بنشر الالوية والبنود وقود العساكر والجنود وأجال فى ميدان الوجود جياد البأس والجود وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود على الطائفين والعاكفين والركع السجود عقد المعتمد به عقد التشريف والقدر المنيف زاكى الشهود وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ومضاجع المهود وبشر السيوف فى الغمود وأنشار يح النصر آمنة من الخمود أمضى أحكامه وأنهد العز أمامه وفتح عن زهر السرور والحبور كمامه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره لكبير ولده وسابق أمده وريحانة خلده وياقوتة الملك على يده الامير الكبير الطاهر الظاهر الاعلى واسطة السلك وهلال سماء الملك ومصباح الظلم الحلك ومظنة العناية الازلية من مدبر الفلك ومجرى الفلك عنوان سعده وحسام نصره وعضده وسمى جده وسلالة فضله ومجده السعيد المظفر الهمام الاعلى الامضى العالم العامل الارضى المجاهد المؤمل المعظم أبى الحجاج يوسف ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حللا لا تخلق جدتها الايام ولا تبلغ كنهها الافهام وبلغه فى خدمته المبالغ التى يسر بها الاسلام وتسبح فى بحار صنائعها الاقلام وحرس معاليها الباهرة بعينه التى لا تنام وكنفه بركنه الذى لا يضام فهو الفرع الذى جرى فصله على أصله وارتسم نصره فى فصله واشتمل حده على فصله وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله وظهرت دلائل سعادته فى بدء كل أمر واعادته لما صرف وجهه الى ترسيمه لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحه بالصبر والحلم واللباس والندى وأرهف منه سيفا من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا وأطلعه فى سماء الملك بدرا هدى لمن راح وغدا وأخذه بالآداب التى تقيم من النفوس أودا وتبذر فى اليوم فتجنى غدا ورقاه فى رتب المعالى طورا فطورا ترقى النبات ورقا ونورا ليجده بحول الله تعالى يدا باطشة باعدائه ولسانا مجيبا عند ندائه وطرازا على حلة علائه وغماما من غمائم آلائه وكوكبا وهاجا بسمائه وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الاندلسية من جنده قبل أن ينتقل عن مهده وظله بجناح رايته وهو على كنف دايته واستركب جيش الاسلام ترحيبا بوفادته وتنويها بجهادته وأثبت فى غرض الامارة النصرية سهم سعادته رأى أن يزيده من عنايته ضروبا وأجناسا ويتبع أثره ناسا فناسا قد اختلفوا ألسانا ولباسا وأنفقوا ابتغاء لمرضاة الله

والتماسا ممن كرم انتماؤه وزينت بالحسب العلى سماؤه وعرف غناؤه وتاسس على المجادة بناؤه حتى لايدع من العناية فنا الا وجلبه اليه ولا مقادة فخر الا جعلها فى يديه ولا حلة عز الا أضفى ملابسها عليه وكان جيش الاسلام فى هذه البلاد الاندلسية أمتن الله سبحانه خلالها وسكن زلزالها وصدق فى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ آمالها كاف همته ومرمى ذمته وميدان اجتهاده ومتعلق أمل جهاده ومعراج ارادته الى تحصيل سعادته وسبيل خلاله الى بلوغ كماله فلم يدع له علة الا أزاحها ولا طلبة الا أجال قداحها ولا عزيمة الا أورى اقتداحها ولا رغبة الا فسح ساحها آخذا مدونته بالتهذيب ومصانه بالترتيب وآماله بالتقريب محسنا فى تلقى الغريب وتأنيس المريب مستنجزا له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ورفع عنه لهذا العهد نظر من حكم الاغراض فى حمانه واستشعر عروق الخسائف لتشذيب كمانه واشتغل عن حسن الوساطة لهم بصلحة ذاته وجلب جبانه وتثمير ماله وتوفير أقوانه ذاهبا أقصى مذاهب التعمير بأمد حيانه فانفرج الضيق وخلص الى حسن نظره الطريق وساغ الريق ورضى الفريق رأى والله الكفيل لنجح رأيه وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه أن يجهد لهم اختياره ويحسن لديهم آثاره ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده وأبطال جلاده وحماة أحوازه وآلات اعتزازه من يجرى مجرى نفسه النفيسة فى كل مبنى ويكون له لفظ الولاية وله ايده الله تعالى المعنى فقدمه على الجماعة الاولى كبرى الكتائب ومقادة الجنائب وأجمة الابطال ومزنة الودق الهطال المشتملة من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نسباء الملوك الكرام وأعلام الاسلام وسائر قبائل بنى مرين ليوث العرين وغيرهم من اصناف القبائل وأولى الوسائل ليحوط جماعتهم ويعرف بتفقده اضاعتهم ويستخلص لله تعالى ولابيه أيده الله تعالى طاعتهم ويشرف بامارته مواكبهم ويزين بهلاله الناهض الى الابدار على فلك سعادة الاقدار كواكبهم تقديما أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل وأحس باقتراب ما أمل فللخيل اختيال ومراح وللاسل السمر اهتزاز وارتياح وللصدور انشراح وللآمال مغدى فى فضل الله تعالى ورواح فليتول ذلك أسعده الله تعالى تولى مثله ممن أسرة الملك أسرته وأسوة النبى صلوات الله تعالى عليه أسوته والملك الكريم أصل لفرعه والنسب العربى محتد لطيب طبعه آخذا أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم مغريا حسن اللقاء بايثارهم شاكرا غناءهم مستدعيا ثناءهم مستدرا الارزاق بهم موجبا المزية بحسب استحقاقهم شافعا لديه فى رغباتهم المؤمله ووسائلهم المتحمله مسهلا الاذن لوفودهم المتلاحقه منفقا ايضا تعهم النافقه مؤنسا الغرباء منهم مستجليا أحوال أهليهم وآبائهم مميزا بين أغفالهم وثبهائهم وعلى جماعتهم رعى الله تعالى جهادهم ووفر أعدادهم أن يطيعوه فى طاعة الله تعالى وطاعة ابيه ويكونوا يدا واحدة على دفاع أعداء الله تعالى وأعاديه ويشدوا فى مواقف الكريهة أزره ويمتثلوا نهيه وأمره حتى يعظم الانتفاع ويشهر الدفاع ويخلص المصال لله تعالى والمصاع فلو وجد أيده الله تعالى غاية فى تشريفهم لبلغها

او موهبة

أو موهبة لسوغها لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ولا وراء صباشرتهم بنفسه مغرب والله تعالى منجح الاعمال ومبلغ الآمال والكفيل بسعادة المآل فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع وفخر مستند الى اجماع ووجوب اتباع وليكن خير مرعى خير راع بحول الله تعالى وأقطعه أيده الله تعالى ليكون بعض الموادّ لازواد سفره وسماط نفره في جملة ما أولاه من نعمه وسوغه من موارد كرمه جميع القرية المنسوبة الى عرب عنان وهي المحلة الاثيرة والمنزلة الشهيرة تنطلق عليها أيدي خدامه ورجاله جارية مجرى صريح ماله محررة من كل وظيفة لاستغلاله ان شاء الله تعالى فهو المستعان سبحانه وكتب في كذا انتهى

*(وكتب) لسان الدين رحمه الله تعالى في شان تقليد الامير سعد أخي المذكور الاصغر منه سنا ما صورته هذا ظهير جعل الله تعالى له الملائكة ظهيرا وعقد منه في سبيل الله تعالى لواء منصورا وأعطى المعتمد به باليمن كتابا منشورا وما كان عطاء ربك محظورا وأطلع صبح العناية المبصرة الآية يهر سفورا ويسطع نورا وأقر عيونا للمسلمين وشرح صدورا ووعد الاهلة أن تصير بامداد شمس الهدى اياها بدورا وبشر الاسلام بالنصر المنتظر والفتح الرائق الغرر مواسط وثغورا وأتبع حماة الدين لواء الامارة السعيدة النصرية فأسعد بها آمرا وأكرم بها مأمورا أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أعلى الله تعالى رايته وسدد رأيه وشكر عن الاسلام والمسلمين سعيه لقرة عينه ومقتضى حقه من العدو ودينه وغصن دوحه وآية لوحه ودرة قلادته ودرى أفلاك مجادته وسيف نصره وهلال قصره وزينة عصره ومتقبل هديه ورشده ومظنة اشراق سعده وانجاز وعده ولده الاسعد وسليل ملكه المؤيد الامير الاجل الاعز الاسنى الاطهر الاظهر الاعلى لابس أثواب رضاه ونعمته ومنحة الله لنصره وخدمته ومظهر عزه وبعده همته التقي الرضي العالم العامل الماجد حامي الحمى تحت ظل طاعته وكافي الاسلام الذي يأمن من اضاعته المحرز مزايا الاعمار الطويلة حظ الشهر في يومه وحظ اليوم في ساعته الموقر المهيب المؤمل المعظم أبي النصر سعد عرّفه الله تعالى ببركة سعد بن عبادة جده خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم بمجده ووزيره في حله وعقده وأجناه ثمرة النصر الذي كناه به ووصل سببه بسببه فما النصر الا من عنده وأنجح له الفتح المبين من مقدمتي نصره وسعده لما صرف وجه عنايته اليه في هذه البلاد الاندلسية التي خلص لله انفرادها وانقطاعها وتمحض لأن تكون كلمة الله هي العليا قراعها وصدق مصالها في سبيله جل وعلا ومصاعها الى ما يمهد أرجاءها ويحقق رجاءها من سلم يعقد ولا يعدم الحزم معه ولا يفقد وعطاء ينقد ورأي لا يتعقب ولا ينقد وحرب تضمر له الجياد ويعتقل الاسل الملياد وكان الجيش روض أمله الذي في جناه يسرح ومرعى فكره الذي عنه لا يبرح فديوانه ديوان اماني الذي تسهب فيه وتشرح أسهمه من

سياسته أوفى الحظوظ وأسناها وقصر عليه لفظ العناية ومعناها ووقف عليه موحدها ومثناها فأزاح علله وأحيا أمله وأنشأ جذله ورفع عنه من لم يبذل الجد له ولا أخلص لله فيه عمله واختار لقيادة مغانيه المنصوره وامارة غزواته المبروره أقرب الناس الى نفسه نسبا وأوصلهم به سببا وأحقهم بالرتب المنيفه والمظاهر الشريفه ذاتا وأبا وجدا وحسبا وأمره على أشرافه وذل به الانفال على أعرافه وصرف اليه آماله واستعمل فى اسنته يمينه وفى أعنته شماله وعقد عليه الويته الخافقة لعزة نصره ورأى الظهور على أعداء الله تعالى جنى فهيأه لهصره وأدار هالة قتام الجهاد عن قرب بالولادة على بدره ونبه نفوس المسلمين على جلالة قدره وقدمه على الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الاشياخ من أولاد يعقوب كبار بنى مرين وسائر قبائلهم المكرمين وغيرهم من القبائل المحترمين ينوب عن أمره فى عرض مسائلهم وقرى وافدهم واجراء عوائدهم تقديما تهلل له الاسلام واستبشر وتيقن الظفر فاستبصر لما علم بمن استنصر فليخلصوا له فى طاعته الكبرى الطاعه وليعلقوا ببنان نداه بنان الطماعه ويؤملوا على يديه نجح الوسيلة الى مقامه والشفاعه ويعلموا أن اختصاصهم به هو العنوان على رفع محالهم لديه وعزة شأنهم عليه فلو وجد هضبة أعلى لرفعها لهم وأعلاها أو عزة أعز لجلالها أو قبلة أزكى لصرف وجوههم شطرها وولاها حتى تجنى ثمرة هذا القصد وتعود بالسعد حركة هذا الرصد وتعلو ذؤابة هذا المجد وتشهد بنصر الدين على يده ألسنة الغور والنجد بفضل الله سبحانه وعليه أسعد الله الدولة باستعماله مكافحا بأعلامها وزينا لايامها وسيفا فى طاعة امامها أن يقدم منهم فى مجلسه أهل التقديم ويقابل كرامهم بالتكريم ويستدعى آراء مشايخهم فى المشكلات فى أمور الحرب ويغضى جفون عزائمهم فى موقف الصبر والضرب ويتفقدهم باحسانه عند الغناء ويقابل حميد سعيهم بالثناء على هذا يعتمد وبحسبه يعمل وهو الواجب الذى لا يهمل وقصده بالاعظام والاجلال والانقياد الذى يعود بالآمال وينجح الاعمال بحول الله تعالى متقبل وكتب فى كذا انتهى *

(ومما اشتمل على نظم لسان الدين ونثره) ما كتب به من سلا الى سلطانه الغنى بالله تعالى وقد بلغه ما كان من صنع الله سبحانه له وعودته الى سلطانه

هنيأ بما خولت من رفعة الشان * وان كره الباغى وان رغم الشانى
وأن خصك الرحمن جل جلاله * بمعجزة منسوبة لسليمان
أغار على كرسيه بعض جنه * فألقت له الدنيا مقالد اذعان
فلما رآها فتنة خر ساجدا * وقال الهى امنن على بغفران
وهب لى ملكا بعدها ليس ينبغى * تقلده بعدى لانس ولا جان
فآتاه لما أن أجاب دعاءه * من العز مالم يؤت يوما لانسان
وان كان هذا الامر فى الدهر مفردا * فأنت له لما اقتديت به الثانى
فقابل صنيع الله بالشكر واستعن * به واجز احسان الاله باحسان
وحق الذى سماك باسم محمد * لو أن الصبا قد عاد منه بريعان

لما بلغ النعما عليك سروره * ألية واف لا ألية خوان
فانى انا العبد الصريح انتسابه * كما أنت مولاى العزيز وسلطانى
اذا كنت فى عز وملك وغبطة * فقد نلت أوطارى وراجعت أوطانى

مولاى الذى شأنه عجب والايمان بعناية الله تعالى به قد وجب وعزه أظهره من برداء العزة احتجب اذا كانت الغاية لا تدرك فأولى أن تسلم وتترك ومنة الله تعالى عليك ليست مما يشرح قد عقل العقل فما يبرح وقيد اللسان فما يرعى فى مجال العبارة ولا يسرح اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرا ترضاه وامدادا من لدنك تتقاضاه يا الله يا الله سعود أنارت بعد أفول شهابها وحياة كرت بعد ذهابها وأحباب اجتمعت بعد فراقها وأوطان دنت بعد بعد شامها من عراقها وأعداء أذهب الله تعالى رسم بغيهم ومحاه وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه وعباد أعطوا من كشف الغم ما سألوه وفازوا حين لو سئلوا فى اتاحة القرب بما فى أرماقهم لبذلوه وسبحان الذى يقول ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه فليهن الاسلام بياض وجهه بعد اسوداده وتغلب ايالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الاخر على بلاده وعودة الملك المظلوم الى معتاده واستواء الحق النائى جنبه فوق مهاده ورد الارث المغصوب الى مستحقه عن آبائه وأجداده والحمد لله الذى غسل عن وجه الامة الحنيفية العار وأنقذ عهدتها وقد ملكها الذعار فرد المعار وأعيد الشعار نحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والعبد يا مولاى قد بهرت عقله آلاء الله تعالى قبلك فالفكر جائل واللسان ساكت والعقل ذاهل والطرف باهت فان أقام رسما للمخاطبة فقلم مرح وركض وطرس هز جناح الارتياح ونفض ليس هذا المرام مما يرام ولا هذه العناية التى تحار فيها الافهام مما تصمى نحوه السهام فنسأل الله تعالى أن يجعل مولاى من الشاكرين وبأحكام تقلبات الايام من المعتبرين حتى لا يغره السراب الخادع والدهر المرغم للانوف الجادع ولا يرى غير الله فى الوجود من صانع ولا معط ولا مانع ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد والسلام انتهى * (ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى أبا عبد الله بن عمر التونسى قوله سيدى الذى عهده لا ينسى وذكره يصبح فى ترديده بالجميل ويمسى أبقاكم الله تعالى تجلون من السعادة شمسا وتصرفون فى طاعته لسانا فردا وبنانا خمسا وصلنى كتابكم الاشعث الاغبر ومقتضبكم الذى أضغاثه لا تعبر شاهدة بعدم الاعتناء أوضاعه معدوما متاعه قصيرا فى التعريف بالحال المتشوف اليها باعه مضمنا الاحالة على خلى من معناها غير متلبس بموحدها ولا مثناها سألته كما يسأل المريض عما عند الطبيب ويحرص الحبيب على تعرف أحوال الحبيب فذكر أنه لم يحمل غير تلك السحاة المغنية فى الاختصار المجحفة بحظى الاسماع والابصار فهممت بالعتب على البخيل بالكتب ثم عذرت سيدى بما يعترى مثله من شواغل تطرق وخواطر تومض وتبرق واذا كان آمنا سر به مهنئا شر به فهو الامل ويقنع هذا المجمل وان كان التفسير هو الاكمل وما ثم ما يعمل ووده

فى كل حال ودّه والله سبحانه بالتوفيق يمدّه والسلام انتهى * وكانت للسان الدين رحمه الله تعالى مخاطبات كثيرة لسلطان الدولة وأعيانها دلت على قوّة عارضته فى البلاغة وقد ألمعنا بجملة منها فى هذا الكتاب فى مواضع ولم نكثر منها طلبا للاختصار أو التوسط بحسب ما اقتضاه الباعث فى الحال والله سبحانه وتعالى يبلغ الآمال ويزكى الاعمال * (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه عن السلطان أبى الحجاج يوسف بن نصر الى سيد العالمين صلى الله عليه وسلم اثر نظم ونص الكل هو

اذا فاتنى ظلّ الحمى ونعيمه * فحسب فؤادى أن يهبّ نسيمه
ويقنعنى أنى به متكنف * فتزمزمه دمعى وجسمى حطيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا * فيقعده فوق الغضا ويقيمه
ولم أر شيأ كالنسيم اذا سرى * شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفسا مشوقة * ندير عليها كأسه ونديمه
وما شفنى بالغور قد مرنخ * ولا شاقنى من وحش وجرة ريمه
ولا سهرت عينى لبرق ثنية * من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
برانى شوق للنبىّ محمد * يسوم فؤادى برحه مايسومه
ألا يارسول الله نادالك ضارع * على النأى محفوظ الوداد سليمه
مشوق اذا ما الليل مدّ رواقه * تهيّم به تحت الظلام همومه
اذا ما حديث عنك جاءت به الصبا * شجاه من الشوق الحشيث قديمه
أيجهر بالنجوى وأنت سميعها * ويشرح مايخفى وأنت علّيمه
وتعوزه السقيا وأنت غياثه * وتلفه الشكرى وأنت رحيمه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى * فأقماره وضاحة ونجومه
لك انهل فضل الله بالارض ساكبا * فأنواؤه ملتفة وغيومه
ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى * خليل الذى أوطا كها وكليمه
لك الخلق الارضى الذى جلّ ذكره * ومجدك فى الذكر العظيم عظيمه
يجلّ مدى عليا لك عن مدح مادح * فوسم در القول فيك عديمه
ولى يارسول الله فيك ورائة * ومجدك لاينسى الذمام كريمه
وعندى الى أنصار دينك نسبة * هى الفخر لايخشى انتقالا مقيمه
وكان بودّى أن أزور مبوّأ * بك افتخرت أطلاله ورسومه
وقد يجهد الانسان طرف اعتزامه * ويعوزه من بعد ذلك مرومه
وعذرى فى تسويف عزمى ظاهر * اذا ضاق عذر العزم عمن يلومه
عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا * جلالقة الثغر الغريب وروميه
أجاهد منهم فى سبيلك أمّة * هى البحر يعيى أمرها من يرومه
فلولا اعتناء منك يامجأ الورى * لريع حماه واستبيح حريمه
فلا تقطع الحبل الذى قد وصلته * فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذى نستدره * وأنت لنا الظل الذى نستديمه
ولما نأت دارى وأعوز مطعمى * وأقلقنى شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معولا * على مجدك الاعلى الذى جل خيمه
وكان بها همى وصدق قريحتى * فساعدنى هاء الروى وميمه
فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى * فمثلك لا ينسى لديه خديمه
عليك صلاة الله ما ذر شارق * وما راق من وجه الصباح وسيمه

الى رسول الحق الى كافة الخلق وغمام الرحمة الصادق البرق الحائز فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء شفيع أرباب الذنوب وطبيب أدواء القلوب والوسيلة الى علام الغيوب نبى الهدى الذى طهر قلبه وغفر ذنبه وختم به الرسالة ربه وجرى فى النفوس مجرى الانفاس حبه الشفيع المشفع يوم العرض المحمود فى ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن على سر الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور المؤيد بكفاية الله وعصمته الموفور حظه من عنايته ونعمته الظل الخفاق على أمته من لوحازت الشمس بعض كماله ما عدمت اشراقا أوكان للاباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم اشفاقا فائدة الكون ومعناه وسر الوجود الذى بهر الوجود سناه وصفى حضرة القدس الذى لا ينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذى سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل عليه سبحان الذى أسرى من الانوار من عنصر نوره مستمده والآثار تخلق وآثاره مستجده من طوى بساط الوحى لفقده وستد باب الرسالة والنبوة من بعده وأوتى جوامع الكلم فوقفت البلغاء حسرى دون حده الذى انتقل فى الغرر الكريمة نوره وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تجيئه وفودها وتزوره وأخبرت الكتب المنزلة على الانبياء بأسمائه وصفاته وأخذ عهد الايمان به على من اتصلت ببعثته منهم أيام حياته المفزع الامنع يوم الفزع الاكبر والسند المعتمد عليه فى أهوال المحشر ذو المعجزات التى أثبتتها المشاهدة والحس وأقرت بها الجن والانس من جماد يتكلم وجذع لفراقه يتألم وقمر له ينشق وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين أصابعه يتبجس وغمام باستسقائه يصوب وطوى بصق فى أجاجها فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب المسمى بالحاشر العاقب ذو المجد البعيد المرامى والمراقب أكرم من رفعت اليه وسيلة المعترف والمغترب ونجحت لديه قربة البعيد والمقترب سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى فاز بطاعته المحسنون واستنقذ بشفاعته المذنبون وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون صلى الله عليه وسلم ما لمع برق وهمع ودق وطلعت شمس ونسخ اليوم أمس من عتيق شفاعته وعبد طاعته المعتصم بسببه المؤمن بالله ثم به المستشفى بذكره كلما تألم المفتخ بالصلاة عليه كلما تكلم الذى ان ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله

وان هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله وان سمع الاذان تذكر صوت بلاله وان ذكر القرآن استشعر ترتد جبريل بين معاهده وخلاله لاثم تربه ومؤمل قربه ورهين طاعته وحبه المتوسل به الى رضا الله ربه يوسف بن اسمعيل بن نصر كتبه اليك يارسول الله والدمع ماح وخيل الوجد ذات جماح عن شوق يزداد كلما نقص الصبر وانكسار لايتاح له الابد تومزارك الجبر وكيف لا يعي مشوق الامر وتوطأ على كبده الجمر وقد مطلت الايام بالقدوم على تربك المقدسة اللحد ووعدت الآمال وداتت باخلاف الوعد وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت والركائب اليك ما رحلت والعزائم قالت وما فعلت والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح وطيور الآمال عن وكور العجز لم تبرح فيا لها من معاهد فاز من حياها ومشاهد ما أعطر رياها بلاد نيطت بها عليك التمائم وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم ونزل في حجراتها عليك الملك وانجلى بضياء فرقانك فيها الحلك مدارس الآيات والسور ومطالع المعجزات السافرة الغرر حيث قضيت الفروض وحتمت وافتتحت سورة الرحمن وختمت وابتدئت الملة الحنيفية وتممت ونسخت الآيات وأحكمت أما والذي بعثك بالحق هاديا وأطلعك للخلق نورا باديا لايطفئ غلتي الا شربك ولا يسكن لوعتي الا قربك فما أسعد من أفاض من حرم الله الى حرمك وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك وعفر الخد في معاهدك ومعاهد أسرتك وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك واني لما عاقني عن زيارتك العوائق وان كان شغلي عنك بك وعدتني الاعداء فيك عن وصل سببي بسببك وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه وعدو تتكاثف أفواجه ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه في طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم ورفعوا الى مصارختك رؤسهم واستعذبوا في مرضاة الله تعالى ومرضاتك بؤسهم يطيرون من هيعة الى أخرى ويلتفتون والمخاوف عن يمنى ويسرى ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى لايبلغون من عدو هوالذر عند انتشاره عشر معشاره قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا لان تكون كلمة الله تعالى هي العليا فيا له من سرب مروع وصريخ الا منك ممنوع ودعاء الى الله واليك مرفوع وصبية حرا لحواصل تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل والصليب قد تمطى فقذر اعيه ورفعت الاطماع بضبعيه وقد حجبت بالقتام السماء وتلاطمت امواج الحديد والبأس الشديد فالتقى الماء ولم يبق الا الدماء وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ولا ساءت الظنون وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده العيون الى أن نلقاك غدا ان شاء الله تعالى وقد أبلينا العذر وارغمنا الكفر وأعملنا في سبيل الله تعالى وسبيلك البيض والسمر استنبت رقعتي هذه لتطير اليك من شوقي بجناح خافق وتسعد من نيتي التي تصحبها برفيق موافق فتؤدي عن عبدك وتبلغ وتعفر الخد في تربك وتمرغ وتطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك وتقف وقوف الخضوع والخشوع تجاه تابوتك وتقول بلسان التملق عند التشبث بأسبابك والتعلق منكسرة

الطرف حذرا بهرجها من عدم الصرف يا غياث الامة وغمام الرحمة ارحم غربتي وانقطاعي وتغمد بطولك قصر باعي وقو على هيبتك خور طباعي فكم جزت من لج مهول وجبت من حزون وسهول وقابل بالقبول نيابتي وعجل بالرضا اجابتي ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجاياتيك الديم أن لا يخيب قصد من حط بفنائها ولا يظمأ وارد أكب على انائها اللهم يا من جعلته أول الانبياء بالمعنى وآخرهم بالصوره وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشوره وملكت أمته مازوى له من زوايا البسيطة المعموره وجعلتني من أمته المجبولة على حبه المفطوره وشوقتني الى معاهده المبروره ومشاهده المزوره ووكلت لساني بالصلاة عليه وقلبي بالحنين اليه ورغبتني بالتماس مالديه فلا تقطع منه أسبابي ولا تحرمني من حبه ثوابي وتداركني بشفاعته يوم أخذ كتابي هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره وشط مزاره ولم يجعل بيده اختياره فان لم تكن للقبول أهلا فأنت للاغضاء والسماح أهل وان كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل وان كان الحب يتوارث كما أخبرت والعروق تدس حسبما اليه أشرت فلي باتصالي الى سعد عميد أنصارك عزيه ووسيلة أثيرة حفيه فان لم يكن لي عمل ترتضيه فلي نيه فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتتحة بسيف كلمتك على أيدي خيار أمتك فانما نحن بها وديعة تحت بعض أغفالك نعوذ بوجه ربك من اغفالك ونستنشق من ريح عنايتك نفحه ونرتقب من محيا قبولك لمحه ندافع بها عدوا طغى وبغى وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى فواقف التمحيص قد أعيت من كتب وورخ والبحر قد أصمت من استصرخ والطاغية في العدوان مستبصر والعدو محلق والولي مقصر وبجاهك ندفع ما لا نطيق وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق فلا تفردنا ولا تهملنا ونادر بك فينار بنا ولا تحملنا وطوائف أمتك حيث كانوا عنايتك منك تكفيهم وربك يقول لك وقوله الحق وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى وأجاب داعيا اذ دعا وصلى الله على جميع أحزابك وآلك صلاة تليق بجلالك وتحق لكمالك وعلى ضجيعيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك خليفتك في أمتك وفاروقك المستخلف بعده على جلتك وصهرك ذي النورين المخصوص ببرك وتحلتك وابن عمك سيفك المسلول على حلتك بدر سمائك ووالد أهلتك والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب بحضرة جزيرة الاندلس غرناطة صانها الله تعالى ووقاها ودفع عنها ببركتك كيد عداها انتهت الرسالة *

(وكتب أيضا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان مخدومه السلطان الغني بالله محمد ابن السلطان أبي الحجاج رحمه الله تعالى الجميع ما صورته

دعاك باقصى المغربين غريب * وأنت على بعد المزار قريب
مدل باسباب الرجاء وطرفه * غضيض على حكم الحياء مريب
يكلف قرص البدر حمل تحية * اذا ما هوى والشمس حين تغيب
لترجع من تلك المعالم غدوة * وقد ذاع من رد التحية طيب

ويستودع الريح الشمال شمائلا * من الحب لم يعلم بهن رقيب
ويطلب فى جيب الجيوب جوابها * اذا ما اطلت والصباح جنيب
اذا اثر الاخفاف لاحت محاربا * يخر عليها راكعا ويغيب
ويلقى ركاب الحج وهى قوافل * طلاح وقد بى النداء لبيب
فلا قول الا أنة وتوجع * ولاحول الا زفرة ونحيب
غليل ولكن من قبولك منهل * عليل ولكن من رضاك طبيب
ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقد تخطئ الآمال ثم تصيب
اينجد نجد بعد شحط مزاره * ويكثب بعد البعد منه كثيب
وتقضى ديونى بعد ما مطل المدى * وينفذ بيعى والمبيع معيب
وهل أقتضى دهرى فيسمح طائعا * وأدعو بحظى مسمعا فيجيب
وياليت شعرى هل لحومى مورد * لديك وهل لى فى رضاك نصيب
ولكننى المولى الجواد وجاره * على أى حال كان ليس يخيب
وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد * وذاك الجناب المستجار رحيب
وما هاجنى الا تألق بارق * يلوح بفود الليل منه مشيب
ذكرت به ركب الحجاز وجيرة * أهاب بها نحو الحبيب مهيب
فبت وجفنى من لآلئ دمعه * غنى وصبرى للشجون سليب
ترنحنى الذكرى ويهفو بى الهوى * كما مال غصن فى الرياض رطيب
وأحضر تعليلا لشوقى بالمنى * ويطرق وجد غالب فأغيب
مرامى لو أعطى الامانى زورة * بيت غرام عندها ووجيب
فقول حبيب اذ يقول تشوقا * عسى وطن يدنو الى حبيب
تعجبت من سينى وقد جاور الغضى * بقلبى فلم يسبكه منه مذيب
وأعجب أن لا يورق الرمح فى يدى * ومن فوقه غيث المشوق سكيب
فيا سرح ذاك الحى لو اخلف الحيا * لاغناك من صوب الدموع صيب
ويا هاجر الجزع الجديب تلبثا * فعهدى رطب الجانبين خصيب
ويا قادح الزند الشحاح ترفقا * عليك فشوقى الخارجى شبيب
ايا خاتم الرسل المكين مكانه * حديث الغريب الدار فيك غريب
فؤادى على جمر البعاد مقلب * يباح عليه للدموع قليب
فو الله ما يزداد الا تلهبا * أأبصرت ماء ثار عنه لهيب
فليلته ليل السليم ويومها * اذا شد للشوق العصاب عصيب
هواى هدى فيك اهتديت بنوره * ومنتسبى للحب منك نسيب
وحسبى على انى لحبك منتم * وللغر جبين الكرام نسيب
عدت عن مغانيك المشوقة للعدا * عقارب لا يخفى لهن دبيب
حراص على اطفاء نور قدحته * فستلب من دونه وسليب

فكم من شهيد فى رضاك مجدل * يظلله نسر ويندب ذيب
عرّ الرياح الغفل فوق كلومهم * فتعبق من أنفاسها وتطيب
لنصرك عنك الشغل من غير منة * وهل يتساوى مشهد ومغيب
فان صح منك الحظ طاوعنى المنى * ويعدم رمى السهم وهو مصيب
ولولاك لم يجشم من الروم عودها * فعود الصليب الاعجمى صليب
وقد كانت الاحوال لولا مراغب * ضمنت ووعدا بالظهور تريب
فعاشت من نصر عزيز وأنعم * أثاب بهن المؤمنين مثيب
منابر عز اذن الفتح فوقها * وافصح للعضب الطرير خطيب
تقود الى هيجائها كل صائل * كماريح مكحول اللحاظ ريب
وتجتاب من سرد اليقين مدارعا * يكفنها من يجتنى ويثيب
اذا اضطرب الخطى حول غديرها * يروقك منها لجة وقضيب
فعذرا واغضاء ولا تنس صارخا * بعزك يرجو أن يجيب مجيب
وجاهك بعد الله نرجو وانه * لحظ ملىء بالوفاء رغيب
عليك صلاة الله ما طيب الفضا * عليك مطيل بالثناء مطيب
وما اهتز قد للغصون مرنح * وما افتر ثغر للبروق شنيب

الى حجة الله تعالى المؤيدة ببراهين أنواره وفائدة الكون ونكتة أدواره وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره الى المجتبى وموجود الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه المحتوم فى القدم وظلمات العدم عند صدق القدم تفضيله وتقديمه الى وديعة النور المنتقل فى الجباه الكريمة والغرر ودرة الانبياء التى لها الفضل على الدرر وغمام الرحمة الهامية الدرر الى مختار الله تعالى المخصوص باجتبائه وحبيبه الذى له المزية على أحبائه وذرية أنبياء الله تعالى آبائه الى الذى شرح صدره وغسله ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله وأتم عليه انعامه الذى أجزله وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله الى بشرى المسيح والذبيح ومن لهم التجر الربيح المنصور بالرعب والريح المخصوص بالنسب الصريح الى الذى جعله فى المحول غماما وللانبياء اماما وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما وأعلم به فى التوراة والانجيل اعلاما وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما الى الشفيع الذى لا ترد فى العصاة شفاعته والوجيه الذى قرنت بطاعة الله تعالى طاعته والرؤف الرحيم الذى خلصت الى الله تعالى فى أهل الجرائم ضراعته صاحب الآيات التى لا يسع ردها والمعجزات التى أربى على الالف عدها فمن قرشق وجذع حنانه وحق وبنان يتفجر بالما فيقوم برى الظما وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره وغمام يظل به مقامه ومسيره خطيب المقام المحمود اذا كان العرض وأول من تنشق عنه الارض ووسيلة الله تعالى التى لولاها ما أقرض القرض ولا عرف النفل والفرض محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحمود الخلال من ذى الجلال الشاهد بصدقه صحف الانبياء وكتب الارسال وآياته التى

اثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال صلى الله عليه وسلم ماذر شارق وأومض بارق وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق صلاة تتأرج على شذى الزهر وتتبلج عن سنى الكواكب الزهر وتتردد بين السر والجهر وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر وتدوم بدوام الدهر من عبد هداه ومستقرى مواقع نداه ومزاحم أبناء أنصاره فى منتداه وبعض سهامه المفوقة الى نحور عداه مؤمل العتق من النار بشفاعته ومحرز طاعة الجبار بطاعته الآمن باتصال رعيه من اهمال الله تعالى واضاعته متخذ الصلاة عليه وسائل نجاه وذخائر فى الشدائد مرتجاه متاجر بضائعها غير مزجاه الذى ملأ بحبه جوانح صدره وجعل ذكره هالة لبدره وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره محمد بن يوسف بن نصر الانصارى الخزرجى نسيب سعد بن عبادة من أصحابه وبوارق سحابه وسيوف نصرته وأقطاب دار هجرته ظلله الله تعالى يوم الفزع الاكبر من رضاله عنه بظلال الامان كما أنار قلبه من هدايته بأنوار الهدى والايمان وجعله من أهل السياحة فى فضاء حبه والهيمان كتبه اليك يارسول الله واليراع تقتضى الهيبة صفرة لونه والمداد يكاد أن يحول سواد جونه وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه والدمع يقطر فتنقط به الحروف وتفصل الاسطر وتوهم المثول بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر عن قلب بالبعد عنك قريح وجفن بالبكاء جريح وتأوه عن تبريح كلما هب من أرضك نسيم ريح وانكسار ليس له الا جبرك واغتراب لا يؤنس فيه الا قربك وان يقض فقبرك وكيف لا يسلم فى مثلها الاسى ويوحش الصباح والمسا ويرجف جبل الصبر بعد مارسا لولا لعل وعسى فقد سارت الركبان اليك ولم يقض مسير وحومت الاسراب عليك والجناح كسير ووعدت الآمال فاخلفت وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الاثيل الا على التمثيل ولا من المعالم الملتمسة التنوير الا على التصوير مهبط وحى الله تعالى ومتنزل أسمائه ومتردد ملائكة سمائه ومدافن أوليائه وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه رزقنى الله تعالى الرضا بقضائه والصبر على جاحم البعد ورمضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاسلام بالاندلس قاصية سبلك ومسحبة رجلك يارسول الله وخيلك وانأى مطارح دعوتك ومساحب ذيلك حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام وشهبان الاسنة أطلعها منه الاعتام وأسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعددبها الايامى والايتام حيث الجراح قد تحلت بعسجد نحيعها النحور والشهداء تحف بها الحور والامم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور حيث المباسم المفترة تجلوها المصارع البرة فتحييها بالعراء ثغور الازاهر وتندبها صوادح الادواح برنات تلك المزاهر وتحمل السحاب أشلاءها المعطلة من ظلها بالجواهر وحيث الاسلام من عدوه المكايد بمنزلة قطرة من عارض غمام وحصاة من ثبير أو ثمام وقد سدت الطريق وأسلم الفراق الفريق وأغص الريق ويئس من الساحل الغريق الا أن الاسلام بهذه الجهة المتمسكة بحبل الله تعالى وحبلك المهتدية بأدلة

سبلك سالم والحمد لله تعالى من الانصداع محروس بفضل الله تعالى من الابتداع مقدود من جديد الملة معدوم فيه وجود الطوائف المضلة الا ما يخص الكفر من هذه العلة والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة وله هذه الايام يا رسول الله أقام الله تعالى أوده بترا بوجهك الوجيه ورعيا وانجازا لوعدك وهو الذى لا يخلف وعدا ولا يخيب سعيا وفتح لنا فتوحا أشعرت تنابر ضاه عن وطننا الغريب وبشرتنا منه تعالى بغفر التقصير ورفع التثريب ونصرنا وله المنة على عبدة الصليب وجعل لالفنا الرديني ولأمنا السردى حكم التغليب واذا كانت الموالى التى طوقت الاعناق منها وقررت العوائد الحسان سيرها وسننها تبادر اليها ثوابها الصرحاء وخدامها النصحاء بالبشائر والمسرات التى تشاع فى العشائر وتجلو لديها نتائج أيديها وغايات مباديها وتتاحفها وتهاديها بجانى جناتها وأزاهر غواديها وتطرف محاضرها بطرف بواديها فبابك يا رسول الله أولى بذلك وأحق ولك الحق الحق والحرمنا عبدك المسترق حسبما يحله الرق وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع ومثواك المجمع وملوك الاسلام فى الحقيقة عبيد سدتك المؤمله وحول مثابتك المحسنة بالحسنات المجمله وشهب تعتو الى بدورك المكمله وبعض سيوفك المقلدة فى سبيل الله تعالى المحمله وحرسة مهادك وسلاح جهادك وبروق عهادك وان مكفول احترامك الذى لا يخفر وربى انعامك الذى لا يكفر وملتحف جاهك الذى يمحى ذنبه بشفاعتك ان شاء الله تعالى ويغفر يطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك ويفاتح صوان القدس الذى أجنك وحواك ويثير بضائع الصلاة عليك بين يدى الضريح الذى طواك ويعرض جنى ما غرست وبذرت ومصداق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت وما انتهى اليه طلق جهادك ومصب عهادك لتقر عين نصحك التى أنام العيون الساهرة هجوعها وأشبع البطون وروّاها ظمؤها فى الله تعالى وجوعها وان كانت الامور بمرأى من عين عنايتك وغيبها متعرف بين افصاحك وكنايتك ومجمله يا رسول الله صلى الله عليك وبلغ وسيلتى اليك هو أن الله سبحانه لما عرفنى لطفه الخفى فى التمحيص المقتضى عدم المحيص ثم فى التخصيص المغنى بعيانه عن التنصيص وفق ببركاتك السارية رحماتها فى القلوب ووسائل محبتك العائدة بنيل المطلوب الى استفادة عظة واعتبار واغتنام اقبال بعد ادبار ومزيد استبصار واستعانة بالله تعالى وانتصار فسكن هبوب الكفر بعد اعصار وحل مخنق الاسلام بعد حصار وجرت على سنن السنه بحسب الاستطاعة والمنه السيره وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة وسهلت المآرب العسيره ورفع بيد العزة الضيم وكشف بنور البصيرة الغيم وظهر القليل على الكثير وباء الكفر بخطة التعثير واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير فاهتبلنا يا رسول الله غرة العدو وانتهزناها وشمنا صوارم عزة الغدو وهززناها وأزحنا علل الجيوش وجهزناها فكان مما ساعد عليه القدر والخطب المبتدر والورد الذى حصل بعده الصدر أننا عاجلنا مدينة بزغه وقد جرعت الاختين مالقة ورنده من مدائن دينك ومزاين مبادينك أكؤس الفراق

وأذكرت مثل من بالعراق وسدت طرق التزاور عن الطراق وأسالت المسيل بالجميع المراق فى مراصد المراد والمراق ومنعت المراسلة مع هدى الحمام لابل مع طيف المنام عند الالمام فيسر الله تعالى اقتحامها وألحمت بيض الشفار فى زرق الكفار الحامها وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف احكامها فانطلق المسرى واستبشرت القواعد الحسرى وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومشاقف الاسرى والحمد لله على فتحه الاسنى ومنحه الاسرى ولا اله الا هو منفل قيصر وكسرى وفاتح مغلقاتهما المنيعة قسرا واستولى الاسلام منها على قرار جنات وأم بنات وقاعدة حصون وشجرة غصون طهرت مساجدها المغتصبة المكرهة وجمع بحفظها الفيل الافيل وابرهه وانطلقت بذكر الله الالسنة المدرهة وفاز بسبق ميدانها جياد الفرهة هذا وطاغية الروم على توفر جموعه وهول مرئيه ومسموعه قريب جواره بحيث يتصل خواره وقد حرك اليها الحنين حواره ثم نازل المسلمون بعدها شجا الاسلام الذى أعيا النطاسى علاجه وكرك هذا القطر الذى لا تطاول أعلامه ولا تصاول أعلاجه وركاب الغارات التى تطوى المراحل الى مكايدة المسلمين طى البرود وجمر الحيات التى لا تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود ومنغص الورود فى العذب المورود ومغض المضاجع وحلم الهاجع ومجهز الخطب الفاجئ الفاجع ومستدرك فاتكة الراجع قبل هبوب الطائر الساجع حصن أشرحاه الله تعالى دعاء لا خبرا كما جعله للمتفكرين فى قدرته معتبرا فأحاطوا به احاطة القلادة بالجيد واذلوا عزته بعزة ذى العرش المجيد وحفت به الرايات يسمها وسمك ويلوح فى صفحاتها اسم الله تعالى واسمك فلا ترى الا نفوسا تتزاحم على مورد الشهادة أسرابها وليوثا يصدق فى الله تعالى ضرابها وأرسل الله عليها رجزا اسرائيليا من جراد السهام تشذ آياته عن الافهام وسدد الى الجبل النفوس القابلة للالهام من بعد الاستغلاق والاستبهام وقد عبثت جوارح صخوره فى قنائص الهام وأعيا صعبه على الجيش اللهام فأخذ مسائغه النقض والنقب ورغا فوق أهله الصقب ونصبت المعارج والمراقى وفرعت المناكب والتراقى واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقى وقال الشهيد السابق يا فوز استباقى ودخل البلد فالتحم السيف واستلب البحت والزيف ثم استخلصت القصبة فعلت أعلامك فى ابراجها المشيده وظفرنا شديدك منها بالنشيده وشكر الله تعالى فى قصدها مساعى النصائح الرشيده وعمل ما يرضيك يا رسول الله فى سد ثلمها وصون مستلمها ومداواة ألمها حرصا على الاقتداء فى مثلها بأعمالك والاهتداء بمشكاة كمالك ورتب فيها الحماة تشجى العدو وتصل فى مرضاة الله تعالى ومرضاتك بروا حها الغدو ثم كان الغزو الى مدينة اطريرة بنت حاضرة الكفر اشبيلية التى أظلتها بالجناح الساتر وانامتها فى ضمان الامان للحسام الباتر وقد وتر الاسلام من هذه المومسة البائسة بوتر الواتر واحفظ منها باذى الوقاح المهاتر لما جرته على أسراه من عمل الخاتل الخاتر حسب المنقول لابل المتواتر فطوى اليها المسلمون المدى النازح ولم تشك المطى

قوله أشر فى بعض النسخ آنس وليحرر اه

الروازح وصدق فى الجد جدها المازح وخفقت فوق أوكارها اجنحة الاعلام
وغشيتها أفواج الملائكة الموسومة وظلال الغمام وصابت من السهام ودق الرهام
وكاد يكفى السهام على الارض ارتجاج أطوادها بكلمة الاسلام وقد صمّ خاطب عروس
الشهادة عن الملام وسمح بالعزيز المصون صنايع الملك العلام وتكلم لسان الحديد
الصامت وصمت الابذكر الله لسان الكلام ووفت الاوتار بالاوتار ووصل
بالخطى درع الابيض البتار وسلطت النار على أربابها وأذن الله تعالى فى تبار تلك الامّة
وتبابها فنزلوا على حكم السيف آلافا بعد أن أتلفوا بالسلاح اتلافا واستوعب المقاتلة
كافا وقرنوا فى الجذل اكافا وحملت العقائل والخرائد والولدان والولائد اركابا من
فوق الظهور وروادفا وأقلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافا
واستلأت الايدى من المواهب والغنائم بما لا يصوّره حلم النائم وتركت العوافى
تتداعى الى تلك الولائم وتفتن من مطاعمها فى الملائم وشنت الغارات على حمص فجلت
خارجها مغارا وكست كبار الروم بها صغارا وأجرت ابطالها اجارا واستاقت
من النعم مالا يقبل الحصر استجارا ولم يكن الا أن عدل القسم واستقل بالقفول
العزيز الرسم ووضح من التوفيق الوسم فكانت الحركة الى قاعدة جيان قيعة الظل
الابرد ونسيجة المنوال المفرد وكأس الغيد الخرّد وكرسى الاماره وبحر العماره
ومهوى هوى الغيث الهتون وحزب التين والزيتون حيث خندق الجنة تدنو لاهل
النار مجانيه وتشرق بشواطئ الانهار اشراق الازهار زهر مبانيه والقلعة التى تختمت
ببنان شرفاتها بخواتم النجوم وهمت من دون سحابها البيض سحائب الغيث السجوم
والعقيلة التى أبدى الاسلام يوم طلاقها وهجوم فراقها سمة الوجوم لذلك الهجوم
فرمتها البلاد المسلمة بافلاذ أكبادها الوادعه وأجابت منادى دعوتك الصادقة
الصادعه وحبتها بالفادحة الفادعه فقصت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل
وتجاوبت الخيل بالصهيل وانهالت الجموع المجاهدة فى الله تعالى انهيال الكثيب
المهيل وفهمت نفوس العباد المجاهدة فى الله تعالى حق الجهاد معانى التيسير من
ربها والتسهيل وسفرت الرايات عن المرأى الجميل وأربت المحلات المسلمة على التأميل
ولما صبحتها النواصى المقبلة الغرر والاعلام المكتتبة الطرر برز حاميتها مصحرين
وللحوزة المستباحة مستنصرين فكاثرهم من سرعان الابطال رجل الدبى ونبت الوهاد
والربا فألحموهم من وراء السور وأسرعت أقلام الرماح فى بسط عددهم المكسور
وتركت صرعاهم ولائم للنسور ثم اقتحموا ربض المدينة الاعظم فافترعوه وجدلوا من
دافع عن أسواره وصرعوه واكؤس الحتوف جرّعوه ولم يتصل أولى الناس باخراهم
ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم حتى جذل الكافر الصبر وأسلم الجلد وأنزل على
المسلمين النصر فدخل البلد وطاح فى السيل الجارف الوالد منه والولد وأتهم المطرف
والمتلد فكان هو لا بعيد الشناعه وبعثا كقيام الساعه أعجل المجانيق عن الركوع
والسجود والسلالم عن مطاولة النجود والادى عن ردم الخنادق والاغوار والاكبش

عن مناطحة الاسوار والنفوط عن اصعاق الفجار وعمد الحديد ومعاول البأس الشديد
عن نقب الابراج ونقض الاحجار فهيلت الكثبان وأبيد الشيب والشبان وكسرت
الصلبان وفجع بهدم الكنائس الرهبان وأهبطت النواقيس من مراقيها العاليه
وصروحها المتعاليه وخلعت ألسنتها الكاذبه ونقل ما استطاعته الايدى الجاذبه
وعجزت عن الاسلاب ذوات الظهور وجلل الاسلام شعار العز والظهور بما خلت عن
مثله سوالف الدهور والاعوام والشهور واعرست الشهداء ومنوا النفوس المبيعة
من الله تعالى نحل الصدقات والمهور ومن بعد ذلك هدم السور ومحيت عن محيطه
المحكم السطور وكاد يسير ذلك الجبل الذى اقتعدته المدينة ويدك ذلك الطور ومن
بعد ما خرب الوجار عفرت الاشجار وعفر المنار وسلطت على بنات التراب والماء النار
وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب وأصمى لبتها السهم الصائب وجللتها القشاعم
العصائب فالذئاب فى الليل البهيم تعسل والضباع من الحدب البعيد تسل
وقد ضاقت الجدل عن المخانق وبيع العرض الثمين بالدانق وسبكت اسورة
الاسوار وسويت الهضاب بالاغوار واكتسحت الاحواز القاصية سرايا المغوار
وحجبت بالدخان مطالع الانوار وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين وعظة للناظرين وآية
للمستبصرين ونادى لسان الحميه بالثارات الاسكندريه فأسمع أذان المقيمين
والمسافرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين ثم كانت الحركة الى أختها
الكبرى ولدتها الحزينة عليها العبرى مدينة أبدة ذات العمران المستجير والربض الخرق
المعجر والمبانى الشم الانوف وعقائل المصانع الجمة الحلى والشنوف والغاب الاثوف
بلدة التجر والعسكر الجر وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله تعالى الكذب
الفجر فخذل الله تعالى حاميتها التى يعيى الحسبان عدها وسجر بحورها التى لا يرام مدها
وحقت عليها كلمة الله تعالى التى لا يستطاع ردها فدخلت لاول وهله واستوعب جهاتها
والمنة لله تعالى فى نهله ولم يكف السيف من عليها ولا مهله فلما تناولها العفا والتخريب
واستباحها الفتح القريب وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب
وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب وأضرعت مسايفها الهول المصاب انصرف
عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته والعز الذى سما طرفه واشرأب ليته والعزم الذى
حد مسراه ومبيته والحمد لله ناظم الامر وقد راب شتيته وجابر الكسر وقد أفات الجبر
مفيته ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة
التى على عمل أهلها فى القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى
الهمل والمصر الذى له فى خطة المعمور الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة
العبشمية الحمل فخيم الاسلام بعقوتها المستباحه وأجاز نهرها المعبى على السباحه
وعمد دوحها الاشب بوارا وأدار الكماة بسورها سوارا وأخذوا بمخنقها حصارا وأعمل
النصل بشجر نصالها اجتناء ما شاء واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انجحارا
فأعمل الى المسلمين اصطارا حتى فرع بعض جهاتها اغلابا جهارا ورفعت الاعلام اعلاما

بعز الاسلام واظهارا فلولا استهلال الغوادى وان أتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادى ولقضى تفشه العاكف والبادى فاقتضى الرأى ولذب الزمان فى اغتصاب الكفر اياها متاب تعمل ببشراه بفضل الله تعالى أقتاد وأقتاب ولكل أجل كتاب أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا وتعفى معاهدها الاهلة فتترك طلولا فاذا جمع الله تعالى بمارج النار طوائفها المارجه واباد بمحاربها الطائرة والدارجه خطب السيف منها أمّ خارجه فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت والغلات المستغلات قد دعا بها الفضل فما ارتابت وكان صحيفة نهرها لما أضرمت النار حافى ظهرها ما ذابت وحيته فرت أمام الحريق فانسابت وتخلفت لغمائم الدخان عمائم تلوح بها رؤس الجبال أيدى الرياح وتنشرها بعد الركود أيدى الاجتياح وأغريت باقطارها الشاسعه وجهاتها الواسعه جنود الجوع وتوعدت بالرجوع فسلب أهلها التوقع الهجوم منزورا الهجوع فاعلامها خاشعة خاضعه وولدانها الندى البؤس راضعه والله سبحانه يوفد بخير فتحها القريب ركاب البشرى وينشر رحمته قبلنا نشرا ثم تنوعت يا رسول الله لهذا العهد أحوال العدو تنوعا يوهم افاقته من الغمره وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمره وتوقع الواقع وحذر ذلك السم الناقع وخيف الخرق الذى يحار فيه الراقع فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك وموصول عنايتك فأنزل النصر والسكينه ومكن العقائد المكينه فثابت العزائم وهبت واطردت عوائد الاقدام واستتبت ومراع العدو الاخيل الله تعالى نجوس خلاله وشمس الحق توجب ظلاله وهداك الذى هديت بدحض ضلاله ونازلنا حصنى قنبيل والحائر وهما معقلان منجاوران يتناجى منهما الساكن سرارا وقد اتخذا بين النجوم قرارا وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا والتف معصمه فى حلة العصب وقد جعل الجسر سوارا فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه وارتفعت أعلام الاسلام بأعلاه وتبرجت عروس الفتح المبين بجلاه والحمد لله تعالى على ما أولاه ثم تحركنا على نفسة تهدى نضر الموسطة على عدوه المساور فى المضاجع ومصبحه بالفاجئ الفاجع فنازلنا حصن روطة الآخذ بالكظم المعترض بالشجا اعتراض العظم وقد شحنه العدو مددا بئيسا ولم يال اختياره رأيا ولا تليسا فأعياداؤه واستقلت بالمدافعة أعداؤه ولما أتلع اليه جيد المنجنيق وقد برك عليه برولك الفنيق وشد عصام المنع الوثيق لجأ أهله الى التماس العهود والمواثيق وقد عصوا بالريق وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره ويقرر اعتماره واستولى أهل الثغور الى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة ففتحوها وشرعوا أرشية الرماح الى قلب قلوبها فنحوها ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الاعراف متراكم الغبار وترخى عن آباط خيلها شد حزم المغار حتى عاودت النفوس شوقها واستتبعت ذوقها وخطبت التى لا فوقها وذهبت بها الآمال الى الغاية القاصيه والمدارك المتصاعبة على الافكار المتعاصيه فقصدنا الجزيرة الخضراء باب هذا الوطن الذى منه طرق وادعه ومطلع الحق الذى صدع الباطل صادعه وثنية الفتح التى

برق منها لامعه ومشرف الهجوم الذى لم تكن لتمتنع على غيره مطامعه وفرضة المجاز التى لاتنكر ومجمع البحرين فى بعض ما يذكر حيث يتقارب الشطان ويتوازى الخطان وكاد أن تلتقى حلقتا البطان وقد كان الفكر قدر قدر هذه الفرصة التى طرق منها حماه ورماه الفتح الاول بمارماه وعلم أن لاتتصل أيدى المسلمين باخوانهم الامن تلقائها وانه لايعدم المكروه مع بقائها فاجلب عليها برجله وخيله وسد أفق البحر بأساطيله ومراكب أباطيله بقطع ليله وتداعى المسلمون بالعدوتين الى استنقاذهما من لهوانه أو امساكهما من دون مهوانه فعجز الحول ووقع بملكه اياها القول واحتازها قهرا وقد صابرت الضيق ماينا هز ثلاثين شهرا وأطرق الاسلام بعدها اطراق الواجم واسودت الوجوه لخبرها الهاجم وبكتها حتى دموع الغيث الساجم وانقطع المدد الامن رحمة من ينفس الكروب ويغرى بالادالة الشروف والغروب ولما شكا بشبا الله تعالى نحرها وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الارض تكاثر نجم السماء برها وبحرها ونازلناها نذيقها شديد النزال ونجعنا بصدق الوعيد فى سبيل الاعتزال رأينا بأو الايظاهر الا بالله تعالى ولا بطال وممنعة يحاماها الابطال وجنابا روضه الغيث الهطال أما أسواقها فهى التى أخذت النجد والغور واستعدت بخلاء البلاد عن البلاد فارتكبت الدور تحوز بحرا من العمارة ثانيا وتشكك أن يكون الانس لها بانيا وأما أبراجها فصفوف وصفوف تزين صفحات السائف منها أنوف وآذان لها من دوامغ الصخر شنوف وأما خندقها فصخر مجلوب وسور مقلوب فصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم واقتران اغتصابها بيوسهم وأفول شموسهم فرشقوها من النبال بظلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها وعرجوا فى المراقى البعيدة لفرعون مبناها ونفوسها انقابا وحصونها عقابا ودخلوا مدينة البنة بنتا غلابا واحسبوا السيوف استلالا والايدى اكتسابا واستوعب القتل مقاتلها الصابغة الجنن البالغة المنن فأخذهم الهول المتفاقم وجدلوا كانهم الاراقم لم تفلت منهم عين تطرف ولا لسان يلبى من يستطلع الخبر او يستشرف ثم همت الهمم الايمانية الى المدينة الكبرى فداروا سوارا على سورها وتجاسروا على اقتحام أودية الفضاء من فوق جسورها ودفوا اليها بالضروب من حيل الحروب بروجا مشيده ومجانيق توثق حبالها منها نشيده وخفقت بنصر الله تعالى عذبات الاعلام واهدت الملائكة مدد السلام فخذل الله تعالى كفارها وأكهم شفارها وقلم بيد قدرته أظفارها فالتمسوا الامان للخروج ونزلوا على مراقى العروج الى الاباطح والمروج من سمائها ذات البروج فكان بروزهم من العراء الى الارض تذكرة يوم العرض وقد جلل المقاتلة الصغار وتعلق بالامان النساء والصغار وبودرت المدينة بالتطهير ونطقت المآذن العالية بالاذان الشهير والذكر الجهير وطرحت كفارها التماثيل عن المسجد الكبير وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير وأنزلت عن الصروح أجرامها يعيى الهندام مرامها وألفى منبر الاسلام بها مجفوا فانست غربته وأعيد اليه قربه وقربته وتلا واعظ الجمع المشهود

قوله ونفوسها انقابا وحصونها عقابا هكذا فى النسخ ولعل فيها سقطا أو تحريفا والاصل ونقبوا بها انقابا وصيروها عقابا أو نحو ذلك مما يلائم المقام وليحرر اه مصححه

قول

قول منجز الوعود ومورق العود وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فكان الدمع يغرق الآماق والوجد يستأصل الارماق وارتفعت الرغبات وعلت السبات وجئ بأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقال وينسلون من أجداث الاعتقال ففكت عن سوقهم أساود الحديد وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد وظللوا بجناح اللطف العريض المديد وترتبت في المقاعد الحاميه وأزهرت بذكر الله تعالى المآذن السامية وعادت المدينة لاحسن أحوالها وسكنت من بعد أهوالها وعادت الجالية الى أموالها ورجع الى القطر شبابه ورد على دار الاسلام بابه واتصلت بأهل لا اله الا الله أسبابه فهي اليوم في بلاد الاسلام قلادة النحر وحاضرة البر والبحر أبقى الله تعالى عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك ودائع الله تعالى في ذمتك بكلمة دينك الصالحة الباقيه وسدل عليه أستار عصمته الواقيه وعدنا والصلاة عليك شعار البروز والقفول وهجيري الشروق والافول والجهاد يا رسول الله الشأن المعتمد ما امتد بالاجل الامد والمستعان الفرد الصمد والهذا العهد يا رسول الله صلى الله عليك وبلغ وسيلتي اليك بلغ من هذا القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من ادرعه ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه الى أن لاطف ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها ورفع التماثيل ببيوت الله تعالى ونصبها فانجاب عنها بنورك الحلك ودار بادانتها الى دعوتك الفلك وعاد الى مكانتها القرآن الذي نزل به على قلبك الملك فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الامة المكفولة في حجرك المفضلة بادارة تحجرك المهتدية بأنوار فجرك وهل هو الا ثمرات سعيك ونتائج رعيك وبركة حبك ورضاك الكفيل برضا ربك وغمام رعدك وانجاز وعدك وشعاع من نور سعدك وبذر يجني ريعه من بعدك ونصر رايتك وبرهان آيتك وأثر حمايتك ورعايتك واستنبت هذه الرسالة مائجة بحر الندى الممنوح ومفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح وفارعة المظاهر والصروح وملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح لتمد الى قبولك يد استمناح وتطير اليك من الشوق الحثيث بجناح ثم تقف بموقف الانكسار وان كان تجرها آمنا من الخسار وتقدم بأنس القربه وتحجم بوحشة الغربه وتتأخر بالهيبه وتجهش لطول الغيبه وتقول ارحم بعد داري وضعف اقتداري وانتزاح أوطاني وخلو أعطافي وقلة زادي وفراغ مزادي وتقبل وسيلة اعترافي وتغمد هفوة اقترافي وعجل بالرضا انصراف متحملي لانصرافي فكم جبت من بحر زاخر وقفر بالركاب ساخر وحاش لله تعالى أن يخيب قاصدك أو تتخطاني مقاصدك أو تطردني موائدك أو تضيق عني عوائدك ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك مستدعية دعاء من حضر من أمتك وأصحبتها يا رسول الله عرضا من النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتتحة تعين الاقامة والاذان وتسمع الاسماع الضالة والآذان

عما قبل الحركة وسالم المعركة ومكن من نقله الايدى المشتركة واستحق بالقدوم عليك والاسلام بين يديك السابقة فى الازل البركة وماسواها فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام فنسخ وجودها الاعدام وهى يارسول الله جنى من جنانك ورطب من أفنانك وأثر ظهر علينا من مسحة جنانك هذه هى الحال والانتحال والعائق أن نشد اليك الرحال ويعمل الترحال الى أن نلقاك فى عرصات القيامة شفيعا ونحلى بجاهك ان شاء الله تعالى محلا رفيعا ونقدم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك الناهلة غالهم من سجلك ونبتهل الى الله تعالى الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا وأمم الانبياء ممثلك بالنبى الخاتم وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم أن لا يقطع عن هذه الامة الغربية أسبابك ولا يسد فى وجوهها أبوابك ويوفقها لاتباع هداك ويثبت أقدامها على جهاد عداك وكيف تعدم ترفيها أو تخشى بخسا وأنت موفيها أو يعذبها الله تعالى وأنت فيها وصلاة الله وسلامه تحط بفنائك رحال طيبها وتهدر فى ناديك شقاشق خطيبها ما أذكر الصباح الطلق هداك والغمام السكب نداك وما حن مشتاق الى لثم ضريحك وبلت نسمات الاسحار عما استرقت فى ريحك وكتب فى كذا انتهت الرسالة وفيها مالا خفاء به من براعة لسان الدين رحمه الله تعالى وقدس روحه الطاهرة آمين (ومما) علق بحفظى من نثره رحمه الله تعالى أثناء رسالة فى العزاء خاطب بها ملك المغرب قوله بعد كلام أين مروان بن الحكم ودهاؤه وعبد الملك بن مروان وبهاؤه والوليد وبناؤه وسليمان وغذاؤه وعمر بن عبد العزيز وثناؤه ويزيد ونساؤه وهشام وخيلاؤه والوليد وندماؤه والجعدى وآراؤه أم أين السفاح وحسامه والمنصور واعتزامه والمهدى واعظامه والهادى واقدامه والرشيد وأيامه والامين وندامه والمأمون وكلامه والمعتصم واسراجه والجامه انتهى (وقد تقدم) كلام أبى الخطاب بن دحية فى هذا المعنى بطوله فى الباب الثانى من هذا القسم فليراجع ثمة (قلت) وقد تقدم فى الخطبة نظمى لمثل هذا وقد كنت نسجت على منوال لسان الدين وأنا بالمغرب نثرا مما لم يحضرنى منه الآن غير قولى أين الاسكندر ويونانه وشداد وبنيانه والنمرود وعدوانه وفرعون وهامانه وقارون وطغيانه وكسرى أنوشروان وايوانه وقيصر وبطارقته وأعوانه وسيف بن ذى يزن وغمدانه والمنذر ونعمانه الى أن قلت وأين أبو بكر رضى الله تعالى عنه وثباته وعمر رضى الله تعالى عنه ووثباته وعثمان رضى الله تعالى عنه ورهباته أم أين على رضى الله تعالى عنه وشجاعته وعلمه وأين معاوية رضى الله تعالى عنه وحلمه وأين يزيد وظلمه ثم ذكرت ما تقدم للسان الدين وقلت بعده وأين الواثق وغناؤه والمتوكل وموالیه وأولياؤه وأبناؤه والمنتصر وآماله والمعتز وجماله والمستعين وعماله والمهتدى وأعماله والمعتضد وذكاؤه واحاطته بالاخبار واشتماله والمقتدر ونساؤه واهماله الى أن قلت وأين بنو عبيد وضلالهم وبنو بويه وجلالهم وبنو سلجوق ونظامهم وبنو سامان واعظامهم وبنو أيوب وصلاحهم والجراكسة وضبانيهم وسلاحهم (ثم قلت) فى ملوك المغرب وأين عبد الرحمن الداخل وأمراؤه والناصر

وزهراؤه والحكم ووزراؤه والمؤيد وظهراؤه أم أين المنصور بن أبي عامر وغزواته ومواليه والمظفر وأدواته ومعاليه أم أين بنو حمود وعلاهم وأوصافهم وحلاهم وبنو جهور وحزمهم وبنو باديس وعزمهم وأين معتضد بني عباد ومعتمدهم الذي سنى كرمه للمعتفين باد وبنو ذي النون ومزيتهم وبنو صمادح ومريتهم وبنو الافطس وبنو هود وما كان لهم من المكارم في المحفل المشهود وأين المتونه وصبرهم الذي ركبوا متونه أم أين الموحدون وناصرهم ومنصورهم ومصانعهم وقصورهم أم أين بنو الاحمر وغرناطتهم وازالتهم عن حوزة الدين أدناس المعتدين واماطتهم وجعلهم الامور لمثل ابن الحكيم ولسان الدين واناطتهم أم أين بنو مرين وفارسهم ومغانيهم ومدارسهم وأين بنو زيان ومنازلهم الشاهقه وأشجار عزهم الباسقه وأين الحفصيون ومستنصرهم الذي قضى للمعالي الديون وأبو فارس الذي شنفت بأخباره آذان الطروس والفهارس طحنت والله تعالى الجميع رحى المنون وتايعت الازواج ويتم البنون وطالت الايام والسنون وبقيت القصور العالية خاليه والرسوم المتكاثرة دائره والسلوك المنظومة متناثره وعن قريب يقف الكل بين يدي رب الارباب في يوم تذهل فيه الالباب وتنقطع الامن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسباب ويقتص للمظلوم من الظالم وتنبهم للنجاة الطرق والمعالم وتبلى السرائر لدى من هو بها عالم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم يحكم الله تعالى في الخلق بالحق حسبما سبق في علمه اذ جعلهم قريبا وبعيدا وشقيا وسعيدا اللهم اجعلنا في ذلك اليوم الصعب ممن فاز بالنجاه وحاز شفاعة نبيك ومصطفاك ذي الحرمة والجاه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم انتهى (رجع) لنثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) ما خاطب به سلطان المغرب أبا زيان لما تم له الامر وهو مشتمل على نظم ونثر ونصه

يا ابن الخلائف يا سمي محمد * يا من علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأنت مجدد الملك الذي * لولاك اصبح وهو رسم داثر
من ذا يعاند منك وارثه الذي * بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقت اليك يد الخلافة أمرها * اذ كنت انت لها الولي الناصر
هذا وبينك للصريح وبينها * حرب مضرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره * حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة * والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبي يحدثني بأنك جابر * كسري وحظي منك حظ وافر
بثري جدودك قد حططت حقيبتي * فوسيلتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما * يلقى لملكك سيف أمرك عامر
فهو الولي لدى الذي اقتحم الردى * وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولي جدك في الشدائد عندما * خذلت علاه قبائل وعشائر

فاستهد منه النصح واعلم أنه * فى كل معضلة طبيب ماهر
ان كنت قد جعلت بعض مدائحى * فهى الرياض والرياض بواكر

مولانا وعمدة ديننا ودنيانا الذى سخر الله تعالى البر والبحر بأمره وحكم فوق السموات السبع بعز نصره وأغنى يوم سعده عن سل السلاح وشهره وفتق عن زهر الصنع الجميل كمامة تسليمه وصبره وقيض له فى علم غيبه وزير امدخور الشد أزره وقود الملك اليه على حال حصره الخليفة الامام الذى استبشر به الاسلام وخفقت بعزه الاعلام ولاح بدر محياه فاقتفى الظلام المقتدى بالنبى الكريم سميه فى المراشد التى تألق منها الصبح والمقاصد التى لازمها النجح والتمحيص الذى نبع منه المنح حتى فى الهجرة التى جاء بعدها الفتح أبو زيان ابن مولانا السلطان ولى العهد ترشيحا وما لا ومؤمل الاسلام تقليدا للمذهب الصريح وانتحالا وأمير المسلمين لو أوسعه القدر امهالا ووسطى عقد البنين خلائق متعددة وخلالا المتحف بالشهادة ولما يعرف بدره هلالا المعوض بما عند الله تعالى سعادة ألبسته سربالا وأبلغته من رضوان الله تعالى آمالا أبى عبد الرحمن ابن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء وعنصر الصبر والوفاء وستر الله تعالى المسدول على الضعفاء والمجاهد فى سبيل الله تعالى بنفسه وماله المنيف على مراكز النجوم بهمه وآماله المقدس أبى الحسن ابن موالينا الخلفاء الطاهرين والائمة المرضيين من قبيل بنى مرين وصفوة الله تعالى فى هذا المغرب الاقصى من اوليائه المؤمنين وزينة الدنيا وعمدة الدين هنأه الله تعالى ما أورثه من سرير الملك الاصيل وخوله من سعادة الدنيا والدين على الاجمال والتفصيل وتوجه من تاج العزة القعساء عند اشتباه السبيل وعوضه من قبيل الملائكة عند تشتت القبيل وجعل قدمه الراسخه وآياته الناسخه وربوته السامية الباذخه وعزة نصره الشادخه وأوزعه شكر آلائه فى الخلاص من ملكة أعدائه وخطر البحر وعدوان مائه وغول السفر وارتكاب الغرر وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدلوا تبديلا ولا ارتضوا القبلة طاعته بعد أن ولوا وجوههم شطرها تحويلا بل صبروا صبرا جميلا وباعوا نفوسهم تتميما لعقدة ايمانهم وتكميلا يسلم على مقامكم الذى وسم السعد مشرق جبينه وذخرت قبل الطاعة ليمينه وأقسم السعد بمظاهرة أمره السعيد فبر والشكر لله تعالى فى يمينه عبدكم الذى اعتلق منكم بالوسيلة الكبرى وقر بملككم عينا وشرح صدرا وبذل الجهد وان قل قدرة وقدرا والتمس لكم الدعاء علنا وسرا ابن الخطيب الذى حط رحل اقتصاده بتراب الملوك الكرام جدودكم محاريب بيوتكم وأسباب وجودكم وآبائكم الذين فى مظاهرتهم ورعيهم بظهر للناس مخايل هداكم وتدر سحائب جودكم ملتحفا منذ سنتين بأصونة قبورهم وثيابها مستظلا بأفنيتها المعظمة وقبابها ممرغا خده بترابها مواصلا الصراخ بالمرين وبالعقوب متطارحا على أبوابها فلم يتح الله تعالى له نعرة ترعى الضيف وتحمى الدخيل أو حمية تدفع الضيم وتشفى العليل الا على يدكم يا أيها الكريم ابن الكريم ابن الكريم وبطل الميدان فى موقف الهول العظيم المدخور لنصر المظلوم وانصاف الغريم واجالة أقلام الفتح بفتح الاقاليم

كتبه

كتبه مهنئا بما سنى الله تعالى لملككم من الصنع الذى خرق حجاب العاده وأرى اعجاز السعاده مجملا ذلك بين يدى المبادرة الى لثم بساطكم الذى لشرف وجوهها تلثمه الوجوه وتخشاه الاملاك الجبابرة وترجوه وأداء الواجب من القيام بمنظوم ثنائه فى الحفل المشهود وابلاغ لسان الحمد وسع المجهود والقاء ماعند العبد من خلوص وجنوح وحب واضح أى وضوح فولى دعوتكم الشيخ ابو ثابت أعزه الله تعالى يقرره ويبين مجمله ويفسره والعبد واثق بفضل الله تعالى على يديكم وملتمس النصر لديكم وقاطع أن طلبته بكم تتسنى وانكم سبب عاقبته الحسنى اما بالظهور على الوطن الذى تجرأ به المنقلب على ملككم ومد اليد الى نثر سلككم ونقص ارثكم المسلم المحرز وزلزل وطنكم المؤسس على الطاعة المقرر وأضرم النار فى بسائطكم وجبالكم وأطلق يد الفتنة على بيوت أموالكم ومتكثرا عليكم بالقله متعززا بالذله جانيا على داركم بما لا تبيحه الملة أو بالشفاعة الجازمة ان لم يأذن الله تعالى فى الانتصاف والله تعالى يجعل الظهور بكم من الاوصاف ويعينكم على جبر الكسير وتيسير الامر العسير ويهنيكم منيحة الملك الكبير ويبقى كلمته فى عقبكم بعد تملأ التعمير والسلام *(وله رحمه الله تعالى) فى مخاطبة السلطان أبى زيان المذكور المولى الذى طوق المنن وأحيا السنن وأثبت الله تعالى حبه فى القلوب النبات الحسن ناظم كلمة الدين بعد انتشارها ومقيل عثارها والآخذ بثارها والمخلد لآثارها السلطان أبو زيان الى آخره أبقاكم الله تعالى على القدم منصور العلم ظاهرا على الامم مقصودا لحمى كالركن الملتزم عبد مقامكم الذى آويتموه غريبا وآنستموه مريبا وأنلتموه على عدوه الدهر نصرا عزيزا وفتحا قريبا فلم يخش دركا ونثريا ولا عدم حظوة وشفقة ونعمة وتقريبا ابن الخطيب عن ثناء يعطر الآفاق ويرقم الاوراق ويخرق الجيوب والاطواق وحب بهر نورا وراق وجاس اشتهاره الشام والعراق ويطالع العبد محل مولاه الذى خلف بيابه قلبه وولده وصبره وجلده وصير وطنه داره الحقيق وبلده أنه لما قدم على محل أخيه المعتد بما أودع الله تعالى من الخلال الشريفة فيه مولاى ابن مولاى أبى عبد الله كفل الله تعالى جميل رعيه وكرم عهده وحكم باعلاء جده ومضاء حده رعى الوسيله وصدق المخيله وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيله فلم يدع حقا الا صرفه ولا نكرة الا عرفه ولا نعمة الا سكبها ولا مزية الا أوجبها ولا رتبة الا أعلاها ولا نعمة الا أولاها وماذا يا مولاى وان تعددت الرسائل والاذمه واذكرت القرب بعد أمه الا بوصاتكم التى لا تهمل وحرمتكم التى لا تجهل وعطف مقامكم الذى اشتهر واعتنائكم بعبدكم الذى راق وبهر فالعبد عبدكم بكل اعتبار وخديمكم وان نأت الدار ومحسوب على نعمة مقامكم الرفيع المقدار والامل فى مقامكم غير منقطع السبب والاهل والولد تحت كنف مقامكم الاصيل الحسب حتى يمن الله تعالى بحج بيته وزيارة رسوله على يديكم ويكون قضاء هذا الوطر منسوبا اليكم وبعد هذا يستقر القرار حيث يختار من يخلق ما يشاء ويختار بحول الله تعالى والعبد يذكر مولاه بما يشره به بين يدى وداعه وبمرأى وزيره

السعيد واستماعه من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره ونجاح أحواله واستقامة أموره ويهنيه بصدق الوعد وامطار الرعد وظهور السعد وهي وسيلة اذا عدت الوسائل وروعيت الذمم الجلائل ومثل مولاى من رعى وأبقى وسلك التي هي أبر واتقى وماقصر عنه القلم من حق مولاى فالرسول أعزه الله تعالى يتممه وماقصر عنه الرسول فالله تعالى يعلمه وهو جل وعلا يديم أيام مولاى ويبقى مجده ويصل سعده والسلام انتهى *

(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) شيخ الدولة يحيى بن رحو قوله سيدى الذى له المزية العظمى والمحل الاسمى شيخ قبيل بنى مرين وقطب مدار الاحرار على الاجمال والتعيين والمتميز بالدهاء والرجاحه والمعرفة الفسيحة الساحه والصدقة المباحه وشروط الصوفية من ترك الاذى ووجود الراحه أسلم على ذاتكم الطاهرة التي بخلت الازمان والله أن تأتى بنظيرها وتنافست الدول فى تكبيرها وسارت المواكب الملوكية بسيرها وأثنت الالسن بفضلها وخيرها وأقر لديها انى أعددت من معرفتها بالاندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا اعداد اله وخزنا اذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقه ولا ترد اليد الى الذخيرة الا فى اضاقة ومجزطاقه وما كانت الوصلة بمثلها لهملها مثلى جهلا بقيمتها العاليه وازراء بجهتها الكافلة الكافيه لكن نابت عن يدها أيد وكفى عن ابتذالها ما كف الله تعالى من عمرو وزيد والآن أقرر أنى قد كادت حاجتى الى ذلك العتاد أن تتمحض وزبدته أن تتمخض اذ هو حظى من رعى ذلك القبيل الذى قصرت عليه رياسته والوزير الذى من رأيه تستمد سياسته واذا وفد خاصة هذه المدينة مهنين وبشكرايالته الكريمة مثنين فخيمته ظل ظليل ومشاركته معتمدى فى الكثير فكيف ولا غرض لى الا فى القليل وعندى أن رعيه لمثلى لا يفتقر الى وسيلة تجلب ولا ذمام يحسب فمثله من قدر قدر الهناء وشد أعلام الحمد والثناء سامية البناء وعرف أن الدنيا على الله تعالى أحقر الاشياء وقد رفعت أمرى كله بعد الله تعالى الى رأيك وغنيت عن سعيى لنفسى بجميل سعيك والسلام * (ومما خاطب به لسان الدين) شيخه سيدى اباعبد الله بن مرزوق التلمسانى رضى الله تعالى عنه قوله شافعا ياسيدى أبقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه وبلغ سيادتكم ماتؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخره وجعل عز الدنيا متصلا لكم بعز الآخره بعد تقبيل يدكم التي يدها لا تزال تشكر وحسنتها عند الله تعالى تذكر أنهى الى مقامكم أن الشيخ الكذا أبا فلان مع كونه مستحق التحلة بهجرة الى أبوابكم الكريمة قدمت ووسائل من اصالة وحشمة كرمت وفضل ووقار وتنويه للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى الفضل بره وأدب شكر الاختبار عليه وسره له بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعيه وفى الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيه ونوجه الى بابكم والتمسك بأسبابكم والمؤمل من سيدى ستره بجناح رعيه فى حال الكبره ولحظه بطرف المبره امافى استعمال يليق بذوى الاحتشام أو سكون تحت رعى واهتمام واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام وهو أحق الغرضين بالتزام

واحالة سيدى فى حفظه رسم مثله على الله تعالى الذى يجزى المحسنين بفضله ومنه نسأل أن يديم أيام المجلس العلى محروسا من النوائب مبلغ الآمال والمآرب والمملوك قد قرر شأنه فى اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم والتحسب فى هذه الابواب عليكم وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذى يعطى ويمنع ويملك الامر أجمع والسلام *(وكتب اليه أيضا فى الشفاعة بمانصه سيدى الاعظم وملاذى الاعصم وعروة عزى الوثقى التى لاتفصم أبقاك الله تعالى بقاء آثارك آية للعز تأمر الدهر فيأتمر ويلبى بفضائلك الطائف والمعتمر بأى لسان أثنى على فواضلك وهى أمّهات المنن وطرف الشام واليمن ومقامات بديع الزمن والتحف المترفعة عن الثمن فحسبى دعاء أردّده وأواليه وأرتقب مطلوب الاجابة من مقدّمه وتاليه وان تشوّف المنعم للحال الموقوف خيره بمشيئة الله تعالى على جميل سعيه الموسد على وطاء لطفه المغشى بغطاء رعيه فلب خافق وقلب مؤمن يجول به وسواس منافق وقد تجاوز موسى مجمع البحرين وأصبح سرى بابه سرى ٢
العين ولقد كانت مراحل الرمل قصيرة قبل أن يكسبها زجلى ثقل الحركه ويخلط خاصى فى وظائفها المشتركه وليت أمرى برز الى طرف وأفضى الى منصرف وربما ظفر آيس ٢
بما يرجوه وبرز المحبوب من المكروه والله تعالى لايفضح جاه الكتاب الذى أحيا وأنشر وحيا وبشر وأعطى صحيفته باليمين وقد جعت مثابتكم المحشر وموصل كتابى يثوب فى تقبيل اليد العليا منابى وليعلم سيدى أنّ هذا القطر على شهرته وتألق مشتريه وزهرته اذا انتحل كرامه وعهد الفضل لم يبق الا انصرامه فهو لبابه المتخير وزلاله الذى لايتغير أصالة معروفه وهمة الى الايثار مصروفه ونبلا على السنّ والكبره ورجولية خليقة بصلة الحرمة والمبره والوسيلة لاتطرح والمعنى الذى لايفسر لوضوحه ولايشرح وهو انتماؤه الى جناب سيدى حديثا وقديما واعترافه بنعمه مديرا لها ومديما والله تعالى يوفى من ايثار سيدى حظه ويجدّد لديه رعيه ولحظه حتى يعود خافقا علم اقباله معلما بردا هتباله مسرورا يبلوغ آماله فلعمرى ان محل ولايته لكفى وان عهد أمانته لوفى وان عامل جدّه لظاهر وخفى وما يفعله سيدى من رعيه وانجاح سعيه محسوب من مناقبه ومعدود فى فضل مذاهبه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقد تكررت فى كتابنا هذا مخاطبات لسان الدين رحمه الله تعالى للخطيب بن مرزوق المذكور نظما ونثرا اذ كان أعنى ابن مرزوق رئيس الدوله ومعتمد الجله وسبق منا التعريف ببعض أحواله فى باب مشايخ لسان الدين مما جرّته المناسبة فليرجع اليه من أراده والله تعالى يجعل الجميع من أهل السعاده * (ومما اشتمل على نثر لسان الدين ونظمه ماخاطب به الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من بجر المريه واستقرّ ببلد بسكرة عند رئيسها أبى العباس بن مزنى صحبة رسالة خطبها أخوه ابو زكريا وقد تقلد كتابة صاحب تلمسان ووصل الكتاب عنه من انشائه وهذه صورة ما كتبه لسان الدين رحمه الله تعالى

بنفسى ومانفسى على بهينة * فيسلبنى عنها المكاس بأثمان

حبيب نأى عنى وصمّ لانتى * وراش سهام البين عمدا فاصمانى
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا * فقد أدنى لما ترحل همان
شرعت له من دمع عينى موردا * فكدر شربى بالفراق واظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جميه * فاجدب آمالى وأوحش أزمانى
حلفت على ما عنده لى من رضا * قياسا بما عندى فاحنث أيمانى
وانى على ما نالنى منه من قلى * لاشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنونى فيه تقريب عرشه * فقست بجنّ الشوق جنّ سليمان
اذا مادعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان
وتالله ما أصغيت فيه لعاذل * تحاميته حتى ارعوى وتحامانى
ولا استشعرت نفسى برحمة عابد * تظلل يوما مثله عبد رحمن
ولا شعرت من قبله بتشوق * تخلل منها بين روح وجثمان

أمّا الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأمّا الصبر فسل به آية درج بعد أن تجاوزا للوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله تعالى الارج وأنى بالصبر على ابرالدبر لابل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر وهل للعين أن تسلو سلوّ المقصر عن انسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرّها الراقى والمشاهد وفى الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعوّل أعيت مراوضة الفراق على الراق وكادت لوعة الاشتياق أن تفضى الى السياق

تركتمونى بعد تشييعكم * أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنى ندما تارة * وأستميح الدمع أحيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخاليه وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم البالية أسأل نون النوى عن أهليه وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافى المثلثة عن منازل الموحدين وأحار بين تلك الاطلال حيرة الملحدين لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين كلفت لعمر الله بسال عن جفونى المؤرّقه ونائم عن همومى المتجمعة المتفرّقه ظعن عن ملال لا متبرّما منى بشرّ خلال وكدّر الوصل بعد صفائه وضرّج النصل بعد عهد وفائه

أقلّ اشتياقا أيها القلب ربما * رأيتك تصفى الودّ من ليس جازيا

فها أنا أبكى عليه بدم اساله وانهل فيه اسى له وأعلل بذكراه قلبا صدعه وأودعه من الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودّعه وانشق رياه أنف ارتياح قد جدعه واستعدى به على ظلم ابتدعه

خليلىّ هل أبصرتما أو سمعتما * قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

فلولا عسى الرجاء ولعله لابل شفاعة المحلّ الذى حله لمزجت الحنين بالعتب وبثثت كآبته كمناء فى شعاب الكتب تهزمن الالفات رماحا حذر الاسنه وتوترمن النونات أمثال

القسىّ المرنه وتقود من بياض الطرس وسواد النقش بلقاء تردى فى الاعنه ولكنه أوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرّة العوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المزنيه والظلال اليزنيه والهمم السنيه والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنيه حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجرلها السنوح والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوابى الجفان الميل والجنوح

نسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حلّ بتلك المثابة فقد اطمأنّ جنبه وتعمد بالعفو ذنبه ولله درّ القائل حيث يقول

فوحقه لقد انتدبت لوصفه * بالبخل لولا أن حصاداره

بلدمتى أذكره تهتج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

اللهمّ غفرا لا كفرا وأين قرارة النخيل من مثوى الاقلاف البخيل ومكذبة المخيل وأين ثانية هجر من متبوّا من ألحد وجفر

من أنكر غيثا منشؤه * فى الارض وليس بمخلفها

فبنان بنى مزنى مزن * تنهلّ بلطف مصرّفها

مزن مذحلّ بيسكرة * يوما نطقت بمصحفها

شكرت حتى بعبارتها * وبمعناها وبأحرفها

ضحكت بأبى العباس من الايام ثنايا زخرفها

وتنكرت الدنيا حتى * عرفت منه بمعرّفها

بل نقول يا محلّ الولد لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد لقد حلّ بنك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فحيا الله تعالى زمنا شفيت برقى قربك زمانته واحتلت فى صدف مجدك جمانته ويا من لمشوق لم تقض من طول خلتك لبانته واهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتغاشى وعشياته تتخافت وتتلاشى ومزنه بالك ودوحه فى ماتم ذى اشتباك كأن لم تكن قرها لات قبابه ولم يك أنسك شارع بابه الى صفوة الظرف ولبابه ولم يسجع انسان عينك فى ماشبابه فلهفى عليك من درّة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب بينها فى ربوع الجوى ونطق بالزخرف فما نطق عن الهوى وبأى شئ نعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طمى نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشائ المشنوء والجرب المهنوء من قطع نيل أغار على الصبح فاحتمل وشارك فى الذمّ الناقة والجمل واستأثر جنحه بيدر النادى لما كمل نشر الشراع فراع واعمل الاسراع كانما هو تمساح النيل ضايق الاحباب فى البرهه واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهه ولجج بها والعيون تنظر والغمر على الاتباع يخطر فلم يقدر الا على الاسف والاثر المنشف والرجوع بملء العيبه من الخيبه ووقر الحسره من الحسره وانما أشكو الى الله البث والحزن ونسقط من عبارتنا المزن وبسيف الرجاء نصول اذا شرعت للياس النصول

ما أقدر الله أن يدنى على شحط * من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلم الفراق رغيبا لما نويت مغيبا وجلت الوقت الهنىء تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه ثقة النفس كيف حال تلك الشمائل المزهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يمرّ بيالها من راعت بالبعد باله وأخذت بعاصف البين ذباله أو ترثى لشؤن شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت جلال الصبر ويتر وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذى يضيرك صين من لفح السموم نضيرك بعد أن أضرمت واشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التى فعلت أن تترفق بذمى أو ترد بنفيسة ما ارماق ظما وتتعاهد المعاهد بتحية يشم منها شذا أنفاسك أو تنظر الينا على البعد بمقلة حورا من سواد انقاشك وبياض قرطاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال زور وتعللت بنوال منزور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يا من ترحل والنسيم لاجله * تشتاق ان هبت شذى رياها
تحيى النفوس اذا بعثت تحية * فاذا عزمت اقر أو من أحياها

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفديك والله تعالى الى الخير يهديك فنحن نقول معشر مريديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فانى لم أجترء على خطابك بالفقر الفقيره وأدللت لدى حجراتك برفع العقيره لا عن نشاط بعثت مرموسه ولا اغتباط بالادب تغرى بسياسته سوسه وانبساط أوحى الىّ على الفترة ناموسه وانما هو اتفاق جزته نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وخارق لا مخارق فثم قياس فارق أو لحن غنى به بعد المماته مفارق والذى سببه وسوغ منه المكروه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيى مد الله تعالى حياته وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها بعد أن رضى علالتها ورشح الى الصهر الحضرمى سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما اعافه فاملت مجيبا ما لا يعد فى يوم الرهان نجيبا واسمعت وجيبا لما ساجلت هذه الترهات سحرا عجيبا حتى ألف القلم العريان سجعه وجمح برذون الغزارة فلم اطق كبحه لم أفق من غمرة علوه وموقف متلوه الا وقد تحيزا الى فئتك معتزا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش لها بارا وان كان لونه من الوجل مصفرا وليس باول من هجر فى التماس الوصل ممن هجر أو بعث التمر الى هجر وأى نسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام فى محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض واستولى الكسل ونسلت الشعرات البيض كانها الاسل تروع بمرط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشيات عند البيات والشيب الموت العاجل واذا ابيض زرع صحبته المناجل والمعتبر الآجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم فى الظاهر بابعاده واسره فى ملكة عاده فاغض أبقاك الله واسمح لمن قصر عن المطمح وباعين الكليلة فالمح واغتنم لباس نوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب لولاك الله تعالى فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك

قوله ثقة النفس فى نسخة تقت النفس وليتنظر اه

أية سلكت ووسمك من السعادة بأوضح السمات واتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدى وساكن خلدى بل أخى وان عتبته وسيدى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (قلت هذه الرسالة) الرافلة فى حلل البلاغة لم أر مثلها ولم أقف عليه فرحم الله تعالى لسان الدين ووجه سحائب الرحمة اليه فلقد كان آية الله فى النظم والنثر وجميع العلوم على اختلافها وكما خاطب الولى بن خلدون خاطب أخاه أبا زكريا يحيى حسبما قال فى بعض كتبه ومما خاطبت به الفقيه أبا زكريا بن خلدون لما ولى الكتابة عن السلطان أبى حمو سلطان تلمسان من بنى زيان واقترن بذلك نصر وصنع غبطته به واشدت به قصد تنفيقه وانهاضه لديه نخص الحبيب الذى هو فى الاستظهار به أخ وفى الشفقة عليه ولد والولى الذى ما بعد قرب مثله أمل ولا على بعده جلد والفاضل الذى لا يخالف فى فضله ساكن ولا بلد أبقاه الله تعالى وفاز فوزه وعصمته لها من توفيق الله سبحانه عمد ومورد سعادته المسوغ لعادته لا غور ولا نجد ومدى امداده من خزائن الهام الله تعالى وسداده ليس له أمد وحى فرح قلبه بمواهب من ربه أن يطرقه كد تحية محله من صميم قلبه بمحله المنشى رواق الشفقه مرفوعا بعمد المحبة والمقه فوق ظعنه وحله مؤثره ومجله المعتنى بدق أمره وجله ابن الخطيب من الحضرة الجهادية غرناطة صان الله تعالى خلالها ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها وعمر بأسود الله تعالى أغيالها كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صيالها ولا زائد الامن من الله تعالى تصوب وقوة يسترد بها المغصوب ويخفض الصليب المنصوب والحمد لله تعالى الذى بحمده ينال المطلوب وبذكره تطمئن القلوب ومودتكم المودة التى غذتها ثدى الخلوص بلبانها وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ومهدت موات اخوتها الكبرى أساس بنيانها واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة ان شاء الله تعالى واتصال زمانها واقتضاء عهود الايام بينها وأمانها ولله در القائل

فان لم يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

وصل الله تعالى ذلك من أجله وفى ذاته وجعله وسيلة الى مرضاته وقربه تنفع عند اعتبار ما روى من سنن الجبار ومفترضاته وقد وصل كتابكم الذى فاتح بالريحان الروح وحل من مرسوم الولاء محل البسملة من اللوح وأذن لنوافح الثناء بالبوح يشهد عدله بان البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود وقدح زند اغير صلود واستأثر من محابركم السيالة وقضب أقلامكم الميادة الميالة باب منجب وأم ولود يقفو شانيه غير المشنو وفصيله غير الجرب ولا المهنو من الخطاب السلطانى سفينة منوح ان لم تقل سفينة نوح ماشئت من آل أزواج وزمر من الفضل وافواج وأمواج كرم تطفو فوق أمواج وفنون بشائر واهطاع قبائل وعشائر وضرب للمسرات أعيا الشاعر فلله هو من قلم راعى نسب القنا فوصل الرحم وأنجد الوشيج والملتحم وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم وأخاف من شذ عن الطاعة مع الاستطاعة فقال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ولو لم يوجب الحق برقه ورعده ووعيده ووعده لاوجبه منه

وسعده فلقد ظهرت مخايل نجحه علاوة على نصحه ووضحت محاسن صبحه فى وحشة الموقف الصعب وقبحه وصل الله تعالى له عوائد منحه وجعله اقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله تعالى بفتحه أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا على حبة القلب حبه وأنبته النبات الحسن ربه وساعده من الغمام سكبه ومن النسيم اللدن مهبه فرسم ثبت عند المولى نظيره ومن غير معارض يضيره وربما أربى بتذييل مزيد وشهادة ثابت ويزيد ولم لا يكون ذلك وللقلب على القلب شاهد وكونها أجنادا مجندة لا يحتاج تقريره الى ماهد أو جهد جاهد ومودة الاخوة سبيلها الاحب ودليلها للدعوة الصادقة مصاحب الى ماسبق من فضل ولقاء ونظافة سقاء واعتقاد لايراع سربه بذئب انتقاد واجتلاء شهاب وقاد لايحوج الى ايقاد انما عاق عن مواصلة ذلك نوى شط منها الشطن وتشذيب لم يتعين معه الوطن فلما تعين وكاد الصبح أن يتبين عاد الوميض ديجورا والثماد بحرا مسجورا الى أن اعلق الله تعالى منكم اليد بالسبب الوثيق وأحلكم منجى نيق لايخاف من منجنيق وجعل يراعكم لسعادة موسى معجزة تأتى على الخبر بالعيان فتخرلثعبانها سحرة البيان

أيحيي سقى حيث لمت الحيا * فنعم الشعاب ونعم الركون
وحيا يراعـــك من آية * فقد حرك القوم بعد السكون
دعوت لخدمة موسى عصاه * فجاءت تلقف ما يأفكون
فاذ عن من يدعى السحر رغما * وأسلم من أجلها المشركون
وساعدك السعد فيما أردت * فكان كما ينبغى أن يكون

فانتم أولى الاصدقاء بصلة السبب ورعى الوسائل والقرب أبقاكم الله تعالى وأيدى الغبطة بكم عاليه وأحوال تلكم الجهات بدركم المهمات حاليه وديم المسرات من انعامكم المدرات على معهود المبرات متواليه وأما ما تشوفتم اليه من حال وليكم فأمل متقلص الظل وارتقاب لهجوم جيش الاجل المطل ومقام على مساورة الصل وعمل يكذب الدعوى وطمأنينة تنتظر الغارة الشعوا ويد بالمدخور تفتح وأخرى تجهد وتمنح ومرض يزور فيثقل وضعف عن الواجب يعقل الا ان اللطائف تستروح والقلب من باب الرجاء لايبرح وربما ظفر البائس ولم تطرد المقانس تداركنا الله تعالى بعفوه وأوردنا من منهل الرضا والقبول على صفوه وأذن لهذا الخرق فى رفوه وأما ما طلبتم من انتساخ ديوان واعمال بنان فى الاتحاف ببيان فتلك عهود لدى مهجوره ومعاهد لا متعهدة ولا مزوره شغل عن ذلك خوض يعلو لجبه وحرص يقضى من لغط المناخ عجبه وهول جهاد تساوى جماديا ه ورجبه فلولا التماس أجر وتعلل بريح تجر لقلت أهلا بذات النحيين فلئن شكت وبذات المصون بسبب ما امسكت فلقد ضحكت فى الباطن ضعف ما بكت ونستغفر الله تعالى من سوء انتحال وايثار المزاح بكل حال وما الذى ينتظر مثلى ممن عرف المآخذ والمتارك وجرب لما بلى المبارك وخبر مساءة الدنيا الفارك هذا أيها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق وقد ذهب الشباب الريق فليسمح

فيه معهود كمالك جعل الله تعالى مطاوعة آمالك مطاوعة يمينك لشمالك ووطالك موطأ العز بباب كل مالك وقرن النجح باعمالك وحفظك فى نفسك وأهلك ومالك والسلام انتهى * ومن مخاطبات لسان الدين) لصاحبه العلامة أبى القاسم بن رضوان

قد كنت أجهد فى التماس صنيعة * نفساشهاب ذكائها وقاد
وأقول لو كان المخاطب غيركم * عند الشدائد تذهب الاحقاد

سيدى أبقاكم الله تعالى علم فضل وانصاف ومجموع كمال أوصاف كلام قصير والله تعالى بحسنات الاقوال والافعال بصير واليه بعد هذا الخباط كله المرجع والمصير وليس لنا الا هو مولى ونصير وهذا الرجل سيدى الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق جبره الله تعالى بالامس كنا نقف ببابه ونتمسك بأسبابه ونتوسل الى الدنيا به فان كنا قد عرفنا خيرا وجبت المشاركه أو كفافا تعينت المتاركه أو شرا اهتبلت غرة الهدى الانفس المباركه واتصفت بصفة من يعصى فيسمح ويسأل فيمنح ويعود الى القبح بالفعل الجميل ويجيب يد التأميل ومع هذا فلم ندر الا خيرا كرم منه المورد والمصرف ومن عرف حجة على من لا يعرف وأنتم فى الوقت سراج علم لا يخبو سناه ومجموع تحف عرفنا منه ما عرفناه وهذه هى الشهرة التى تغتنم اذا سفرت والهنة التى تجبر عليها النفس اذا نفرت حتى لا تجد بعون الله تعالى عارضا يعوقها عن الخير وسبيل الكمال الاخير والاجر فى استيفاء كتاب الشفاعة وتحرى المقاصد النفاعه وتنفيق البضاعه قد ضمنه من وعد بقيام الساعه والجزاء على الطاعة وغير الطاعه وهذه المشاركة تسجيل لفضلكم قبلى وهى فى الحقيقة لى فكيف والله تعالى يرى عملكم وعملى والمتروك حقير والوجود الى رحمة من رحمات الله تعالى فقير والسلام انتهى * (ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى قوله فى مخاطبة شيخ العرب مبارك بن ابراهيم رحمه الله تعالى

ساحات دارك للضياف مبارك * وبضوء نارقراك يهدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى * طرا وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى * والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل * والمجد ليس له هما م باتك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى * والبأس والرأى الاصيل مبارك
للدين والدنيا وللشيم العلا * والجود ان شح الغمام السافك
عند الهياج ربيعة بن مكدم * فى الفضل والتقوى الفضيل ومالك
ورثا الجلالة عن أبيه وجده * فكأنهم ماغاب منهم هالك
فجياده للآملين مراكب * وخيامه للقاصدين أرائك
فاذا المعالى أصبحت مملوكة * أعناقها بالحق فهو المالك
يافارس العرب الذى من بيته * حرم لها حج به ومناسك
يامن يبشر باسمه قصاده * فلهم اليه مساربه ومسالك
أنت الذى استأثرت فيك بغبطتى * وسوالك فيه ماخذ ومتارك

لازلت نورا يهتدى بضيائه * من جنحه للروع ليل حالك
ويخص مجدك من سلامى عاطر * كالمسك صاك به الغوالى صائك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالا ووجهك جمالا وقربك جاها ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك آلا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب سيادتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى اذ جعل حمتك فى هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على قياس المذاهب والطوائف وصرف الالسنة الى مدحك والقلوب الى حبك وماذلك الا لسريرة لك عند ربك ولقد كنت أيام تجمعنى وايالك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الامل سالكا لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء والشيم الدالة على العلياء وزكاء الاصول وكرم الآباء وكان والدى رحمه الله تعالى قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تأنيسه عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدومه واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة والوسائل المختلفة فعظم لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذى حلوله شرف وفخر ومعرفته كنز وذخر فلما ظهر الآن لحل الاخ الكذا القائد فلان اللحاق بك والتعلق بسببك رأيت انه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر فى البعض عند تقرير الامن وهدنة الارض وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد وماجدا وابن أمجاد ومثلك لا يوصى بحسن جواره ولا ينبه على ايثاره وقبيلك فى الحديث من العرب والقديم وهو الذى أوجب لها مزية التقديم لم يفتخر قط بذهب يجمع ولا ذخر يرفع ولا قصر يبنى ولا غرس يجنى انما فخرها عدو يغلب وثناء يجلب وجزر تنحر وحديث يذكر وجود على الفاقه وسماحة بحسب الطاقه فلقد ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة ان يسر الله تعالى بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما فى الضمير

ومدحى على الاملاك مدح وانما * رأيتك منها فامتدحت على وسمى
وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى * ولو أنه قد حل فى مفرق النجم انتهى

*(ومن ذلك) ما خاطب به شيخه الخطيب سيدى أبا عبد الله بن مرزوق وهو

راش زمانى وبرى نبله * فكنت لى من وقعها جنه
ولو قهرت الموت امتنى * منه وأدخلتنى الجنه
فكيف لا أنشرها مامنة * قد عرفتها الانس والجنه

بماذا خاطب به تلك الجلاله فيتيسر الخطاب وتحصل الدلاله أبسيدى ويشركنى فيه من قال لا اله الا الله بفيه أو بروح حياتى وماهية ذاتى وذخرى الكبير الكثير

لا بل فلكي الاثير وهو تضييق على الولد والاهل وتعدى المراتب المحدودة من الجهل فلم يبق الا الاشارة الخارجة عن وظائف اللسان وهي بعض دلالات الانسان أفدت الاكسير وجبرت الكسير ورويت يا ايا العلا التيسير وغمرت بالكرم وأمن حمام الحرم الظعن والمسير فمن رام شكر بعض أياديك فلقد شذ حقائب الرحال الى نيل المحال والحق أن نكل جزاك لمن جعل الى المجد اعتزاك ونولي شكرك ونشاك الى من عم بما يرضيه من الرفق بالخلق واقامة الحق انالك وندعو منك بالبقاء الى الروض المجود وغمام الجود وامام الركع السجود لا بل لنور الله تعالى المشرق على التهائم والنجود ورحمته المبثوثة أثناء هذا الوجود وليعلم سيدى أن النفس طماعة جاعه وسراب آمالها يجاره لماعه فلا تفيق من كد ولا تقف عند حد سيما اذا لم يهذبها السلوك والتجريد ولم يسر منها في عالم الغيب البريد ولا تجلت لها السعادة التي يجذب بها المراد ويشمر لها المريد الى أن يتأتى عمادون الحق المحيد ويصح التوحيد وقد مثلت الآن خصما يوسع ظهر استظهاري بالتسليم قصما ويقول المال عديلي عند القيمه وطبيبي في الاحوال السقيمه وهو نتيجة كدي عند الاقيسة العقيمه ومن استخلصني على شرفي اذا تفاضلت الجواهر وتبينت للحق المظاهر وتعينت المراتب التي يقتعدها على رأي البراهمة النور الاصفهندي والنور القاهر فخلاص المال طوع يديه وهو كما قال الله تعالى اهون عليه فألاطفها حتى تلين معاطفها واخادعها حتى تلوى اخادعها وأقول قد وقع الوعد وأشرق السعد ولان الجعد وسكن الرعد ولله تعالى الامر من قبل ومن بعد فتجبيني العمر المنام وايام الجاه والقدرة قد يحق لها الاغتنام وهم العاقل الى وقته الحاضر مصروف واذا لم يغير حائط مثل معروف وفي الوقت زبون يرجى به استخلاص الحقوق ويستبعد وقوع العقوق فان رأى مولاي أن يشفع المنه ويقرع بابا ثانيا من أبواب الجنه قبل أن يشغل شاغل أو يكدر الاكل والشرب واش أو واغل أو يثوب للمتعدي نظر في اللجاج أو يدس له ما يحمله على الاحتجاج وأومتسع مناطها فسيح استنباطها كثير هياطها ومياطها فهو تمام صنيعته التي لم ينسج على منوالها الاحرار ولا اهتدت الى حسنتها الابرار ولا عرف بدر مجدها السرار فاليه كان الفرار والله تعالى ثم له خلص الاضطرار ويستقر تحت دخيله القرار وتطمئن الدار فان ما ابتدأبه من عز ضرب على الايدي العادية منه حكم الحكام وفارع الهضاب والاكام على ملا ومجمع ومرأى من الخلق ومسمع يقتضي اطراد قياس العزة القعساء وسعادة الاصباح والامساء وظهور درجات الرجال على النساء فهو جاه حارت فيه الاوهام وهذه أذياله ومن ركب حقيقة أمرها هان عليه خياله والمال ماله والعيال عياله والوجود سريع زياله والجزاء عند الله تعالى مكياله وعروض المغصوب باقية الاعيان مستقلة الشجر قائمة البنيان تمنع عن شرائها قاعدة الاديان وغيرها من مكيل وموزون بين مأكول ومخزون والكتب ملقاة بالقاع مطروحة بأخبث البقاع فان تأتى الجبر والا فالصبر على أن وعد عمادي لا يفارق الانجاز ومكرمته التي طوقها قد بلغت الشام والحجاز وحقيقة التزامه تباين

الجماز وآية مجده تستصحب الاعجاز ولله در ابراهيم بن المهدى يخاطب المأمون لما أكذب فى العفو عنه الظنون

وهبت مالى ولم تبخل على به * وقبل ذلك ما ان قد وهبت دمى

وقد كانت هذه المنقبة غريبة فعززتها بأختها الكبرى وفريدة فجئت بأخرى وشفعت وترا أبقاك الله تعالى لتخليد المناقب واعلاء المراتب وجعل أخمص نعلك تاجا للنجم الثاقب وتكفل لك فى النفس والولد بحسن العواقب

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى اضيف اليها ألف آمينا

وأما تنبيه سدى على انشاء رزق وتقرير رفد ورفق فلانه حاتما وكعبا أن يلاقعبا لمن خاض بحرا أو ركب صعبا هذا أمر كفانيه الكافى وداء لوخز الاشافى اذهبه الشافى والسلام انتهى *(ومن انشاء لسان الدين) رحمه الله تعالى على لسان السلطان قوله هذا ظهير كريم متضمنه استجلاء لامور الرعية واستطلاع ورعاية كرمت منها أجناس وانواع وعدل بهر منه شعاع ووصايا يجب لها اهطاع اصدرناه للفقيه فلان لما تقرر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا انه احق من نقلده الامر الاكيد ونرمى به من اغراض البر الغرض البعيد ونستكشف به احوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شئ من أحوالها ولا يتطرق اليها طارق من أهوالها وينهى الينا الحوادث التى تنشأ فيها انهاء يتكفل بحياطة أبشارها وأموالها وأمرناه أن يتوجه الى جهة كذا حاطها الله تعالى فيجمع الناس فى مساجدهم ويندبهم من مشاهدهم ويبدأ بتقرير غرضنا فى صلاح أحوالهم واحساب أموالهم ومكابدتنا المشقة فى مداراة عدوهم الذى نعلم من أحواله ما غاب عنهم دفعه الله تعالى بقدرته ووقى نفوسهم وحريمهم من معرته ولما رأينا من انبتات الاسباب التى تؤمل وعجز الحيل التى كانت تعمل ويستدعى انجادهم بالدعاء واخلاصهم فيه الى رب السماء ويسأل عن سيرة القواد وولاة الاحكام بالبلاد فمن نالته مظلمة فليرفعها اليه ويقصها عليه ليبلغها الينا ويوفدها مقررة الموجبات لدينا ويختبر ما افترض صدقة للجبل وما فضل عن كريم ذلك العمل ليعين الى بناء الحصن بجبل فارة يسر الله تعالى لهم فى اتمامه وجعل صدقتهم تلك مسكة ختامه وغيره مما افترض اعانة للمسافرين وانجاد الجهاد الكافرين فيعلم مقداره ويتولى اختياره حتى لا يجعل منه شئ على ضعيف ولا يعدل به لمشروف عن شريف ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه ولا مخادعة غير المراقب لله ومتى تحقق أن غنيا قصر به عن حقه أو ضعيفا كلف منه فوق طوقه فيجبر الفقير من الغنى ويجرى من العدل على السنن السوى ويعلم الناس أن هذه المعونة وان كانت بالنسبة الى محل ضرورتها يسيره وأن الله تعالى يضاعفها لهم أضعافا كثيره فليست مما يلزم ولا من المعاون التى بتكريرها يجزم وينظر فى عهود التوفيق فيصرفها فى مصارفها المتبينه وطرقها الواضحة البينه ويتفقد المساجد تفقدا يكسو عاريها ويتم منها المآرب تتميما يرضى باريها ويندب الناس الى تعليم القرآن لصبيانهم فذلك أصل أديانهم ويحذرهم المغيب

على كل شئ من أعشارهم فالزكاة أخت الصلاة وهما من قواعد الاسلام وقد اخترنا لهم باقصى الجد والاعتزام ورفعنا عنهم رسم التعريف نظرا اليهم بعين الاهتمام وقدمنا الثقات لهذه الاحكام وجعلنا الخوض شرعيا فى هذا العام وفيما بعده ان شاء الله تعالى من الاعوام ومن أهم ما أسندناه اليه وعولنا فيه عليه البحث بتلك الاحوال عن أهل البدع والاهواء والسائرين من السبيل على غير السواء ومن ينيز بفساد العقد وتحريف القصد والتلبس بالصوفية وهو فى الباطن من أهل الفساد والذاهبين الى الاباحة وتاويل المعاد والمؤلفين بين النساء والرجال والمتبعين لمذاهب الضلال فمهما عثر على مطوق بالتهمه منبز بشئ من ذلك من هذه الامه فليشدد ثقافه شدا وليسدد عنه سبيل الخلاص سدا وليسترع فى شأنه الموجبات وليستوعب الشهادات حتى ينظر فى حسم دائه ويعاجل المرض بدوائه فليتول ماذكرنا نائبا باحسن المناب ويقصد وجه الله تعالى راجيا منه جزيل الثواب ويعمل عمل من لا يخاف فى الله لومة لائم ليجد ذلك فى موقف الحساب وعلى من يقف عليه من القواد والاشياخ والحكام أن يكونوا معه يدا واحدة على ما حررنا فى هذه الفصول من العمل المقبول والعدل المبذول ومن قصر عن غاية من غاياته أو خالف مقتضى من مقتضياته فعقابه عقاب من عصى أمر الله وأمرنا فلا يلم الا نفسه التى غرته والى مصرع التكبر جرته والله تعالى المستعان انتهى *(ومن ذلك) ما خاطب به تربة السلطان الكبير أبى الحسن المرينى لما قصدها عقب ما شرع فى جواره وتوسل الى أغراضه بذلك الى ولده رحم الله تعالى الجميع السلام عليك ثم السلام ايها المولى الهمام الذى عرف فضله الاسلام وأوجبت حقه العلماء الاعلام وخفقت بعز نصره الاعلام وتنافست فى انفاذ أمره ونهيه السيوف والاقلام السلام عليك أيها المولى الذى قسم زمانه بين حكم فصل وامضاء نصل واحراز خصل وعبادة قامت من اليقين على أصل السلام عليك يا مقرر الصدقات الجاريه ومشبع البطون الجائعة وكامى الظهور العاريه وقادح زناد العزائم الواريه ومكتب الكتائب الغازيه فى سبيل الله تعالى والسرايا السارية السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم ومتلقى أمر الله تعالى بانخلاق المرضى والقلب السليم ومفوض الامر فى الشدائد الى السميع العليم ومعمل البنان الطاهر فى اكتتاب الذكر الحكيم كرم الله تعالى تربتك وقدسها وطيب روحك الزكية وآنسها فلقد كنت للدهر جمالا وللاسلام كمالا وللمستجير مجيرا وللمظلوم وليا ونصيرا لقد كنت للمحارب صدرا وفى المواكب بدرا وللمواهب بحرا وعلى العباد والبلاد ظلا ظليلا وسترا لقد فرعت أعلام عزك الشنايا واجزات همتك لملوك الارض الهدايا كأنك لم تعرض الجنود ولم تنشر البنود ولم تبسط العدل المحدود ولم توجد الجود ولم تزين الركع السجود فتوسدت الثرى وأطلت الكرى وشربت الكاس التى يشربها الورى وأصبحت ضارع الخد كليل الحد سالكا سنن الاباء والجد لم تجد بعد انصرام أجلك الاصالح عملك ولا صحبت لقبرك الا رابح تجرك وما أسلفت من رضاك وصبرك فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك

ويجود بسحاب الرحمة ترابك ويتفعك بصدق اليقين ويجعلك من الائمة المتقين ويعلى درجتك فى عليين ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وليهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك الى نير سعدك وبارق رعدك ومنجز وعدك أرضى ولدك وريحانة خلدك وشقة نفسك والسرحة المباركة من غرسك ونور شمسك وموصل عملك البر الى رمسك فقد ظهر عليه أثر دعواتك فى خلواتك وأعقاب صلواتك فكلمتك والمنة لله تعالى باقيه وحسنتك الى محل القبول راقيه يرعى بك الوسيله ويتم مقاصدك الجميله أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ما قلده وعمر بتقواه يومه وغده وأبعد فى السعد أمده وأطلق بالخير يده وجعل الملائكة أنصاره والاقدار عدده وانى أيها المولى الكريم البر الرحيم لما اشترانى وراشنى وبرانى وتعبدنى باحسانه واستعمل فى استخلاصى خط بنانه ووصية لسانه لم أجد مكافأة الا التقرب اليك واليه برثائك واغراء لسانى بتخليد علبائك وتعفير الوجنة فى حرمك والاشادة بعد المسمات بمجدك وكرمك ففتحت الباب فى هذا الغرض الى القيام بحقك المفترض الذى لولاه لانصلت الغفلة عن آدائه وتمادت فما يبست الالسن ولا كادت متحيزا بالسبق الى أداء هذا الحق بادئا بزيارة قبرك الذى هو رحلة الغرب ما فيه من رحلة الشرق وما أعرضت عنه فأقطعه اثر مواقع الاستحسان وقد جمع بين الشكر والتنويه والاحسان والله سبحانه يجعله عملا مقبولا ويبلغ فيه من القبول مأمولا ويتغمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمغفرة الصبيه والتحيات الطيبه فنعم الملوك الكبار والخلفاء الابرار والائمة الاخيار الذين كرمت منهم السير وحسنت الاخبار وسعد بعزماتهم الجهادية المؤمنون وشقى الكفار وصلوات الله تعالى عودا وبدأ على الرسول الذى اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار وعلى آله وأصحابه الذين هم السادة الابرار وسلم تسليما انتهى *(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبت به الوزير المتغلب على الملك بالمغرب ما نصه

لا ترج الا الله فى شدة * وثق به فهو الذى أيدك
حاشاك أن ترجو الا الذى * فى ظلمة الاحشاء قد أوجدك
فاشكره بالرحمة فى خلقه * ووجهك ابسط بالرضا أو يدك
والله لا تهمل ألطافه * قلادة الحق الذى قلدك
ما أسعد الملك الذى سسته * يا عمر العدل وما أسعدك

نخص الوزير الذى بهر سعده وحمد فى المضاء قصده وعول على الشيم التى اقتضاها مجده وأورثه اياها أبوه وجده الوزير عمر الكذا ابن الشيخ الكذا أبقاه الله تعالى ثابت القدم خافق العلم شهير احديث سعده فى الامم مثلا خبر بسالته وجلالته فى العرب والعجم تحية معظم مجده الكبير المستند الى عهده الوثيق وحسبه الشهير المسرود بما سناه الله تعالى له من نجح التدبير والنصر العديم النظير وانجاده اياه عند اسلام النصير وفراق القبيل والعشير ابن الخطيب واليد ممدودة الى الله تعالى فى صلة سعد الوزير أبقاه الله تعالى ودوام عصمته واللسان يطنب ويسهب فى شكر نعمته والامل

متعلق

متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته وقد كان شيعه مع الشفقة التي أذابت الفؤاد وألزمت الارق والسهاد على علم بأن عناية الله تعالى عليه عاكفه وديم آلائه لديه واكفه فان الذي أقدره وأيده ونصره وأنفذت مشيئته مادبره كفيل بامداده ومليء باسعاده ومرجو لاصلاح دنياه ومعاده وفي أثناء هذه الاراجيف استولى على معظم وزارته الجذع وتعاورته الافكار تأخذ وتدع فاني كما يعلم الوزير أعزه الله تعالى منقطع الاسباب مستوحش من الجهة الاندلسية على بعد الجناب ومستعدى على بكوني من المعدودين فيمن له من الخلصاء والاحباب فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس وأمان النفس والالحاق بما من يرعاني برعي الوزير بخلال مايدبر الامر من له التدبير في أثنائه وتمهيد أساس بنائه ورد البشير بما سناه الله تعالى لسيدي وجابر كسري ومنصفي بفضل الله تعالى من دهري من الصنع الذي ظهر وراق نوره وبهر فامنت وان لم أكن ممن جنى وحفتني المسرات بين فرادى ومثنى وانشرح بفضل الله تعالى صدري وزارتني النعم والتهاني من حيث أدري ولا أدري ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير واحسانه وسبق اليه امتنانه نائبا عني في تقبيل يده وشكر يده والوقوف ببابه والتمسك بأسبابه آثرته بذلك لامور منها المزاولة فيما كان يلزمني من اخوته الاصاغر وتدريبه على خدمة الجلال الباهر وافرادي له بالبركة ولعائق ضعف عن الحركة وبعد ذلك أشرع بفضل الله تعالى في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العليه عارضا من ثنائها مايكون وفق الامنيه ورب عمل أغنى عنه فضل نيه والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (قال وكتبت اليه أيضا على أثر الفتح الذي تكيف له سيدي الذي أسر بسعادته وظهور عناية الله تعالى به في ابدائه واعادته وأعلم كرم مجادته واعترف بسيادته الوزير الميمون الطائر الجاري حديث سعده ومضائه مجرى المثل السائر أبقاه الله تعالى عزيز الانصار جارية بين نقيضيه حركة الفلك الدوار معصوما من المكاره بعصمة الواحد القهار معظم سيادته الرفيعة الجانب ومقر وزارته الشهيرة المناسب الداعي الى الله تعالى بطول بقائه في عز واضح المذاهب وصنع واكف السحائب ابن الخطيب عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء ويد ممدودة الى الله تعالى بالدعاء والتماس لما يعد من جزيل النعماء والفتح الذي تفتح له أبواب السماء وقد اتصل ماسناه الله تعالى له من النصر والظهور والصنع البادي السفور لما التقى الجمعان وتوردت أكؤس الطعان وتبين الشجاع من الجبان وظهر من كرات سيدي وبسالته ماتحدث به ألسنة الركبان حتى كانت الطائلة لحزبه وظهرت عليه عناية ربه فقلت الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات واضح الغرر والشيات وقد كنت بعثت أهنئه بما قدم من صنع جميل وبلوغ تأميل فقلت اللهم أفد علينا التهاني تترى واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى واجمع له بين نعم الدنيا والاخرى والناس أبقى الله تعالى سيدي لهم مع الاستناد اليك جهات وأمور مشتبهات الا المحب المتشيع فجهتك هي

التى آنست الغربه وفرجت الكربه ووعدت بالخير وضمنت عاقبة الضير وانا أرتقب ورود التعريف المولوى على عبيده بهذه المدينة واصل الله تعالى لمباشرتها الهناء وقرة العين بمشاهدة الآلاء والله عزوجل يديم سعادة سيدى ويطيل بقاءه ويرادف قبله نعمه وآلاءه بفضله انتهى *(وقال ومما خاطبت به المذكور وأنا ساكن بسلا

أيا عمر العدل الذى مطل المدى * بوعد الهدى حتى وفيت بدينه
ويا صارم الملك الذى يستعده * لدفع عداه أو لجلس زينه
هنت عينك اليقظى من الله عصمة * كفت وجه دين الله موقع شينه
وهل أنت الا الملك والدين والدنا * ولا يلبس الحق المبين بمينه
اذا نال منك العين طرفا فانما * أصيب به الاسلام فى عين عينه

الوزير الذى هو للدين الوزر الواقى والعلم السامى المراقب والمراقى والحلى المقلد فوق الترائب والتراقى والكنز المؤمل والذخر الباقى حجب الله تعالى العيون عن عين كمالك وصير الفلك الدوار مطية آمالك وجعل اتفاق اليمن مقرونا بيمنك وانتظام الشمل معقودا بشمالك اعلم أن مطلق لسان الثناء على مجدك والمستضىء على البعد بنور سعدك ومعقود الرجاء بعروة وعدك لا يزال فى كل ساعة يسحب الفلك فيه ذيلها ويعاقب يومها وليلها مصغى الاذن الى نبإ يهدى عنك الله تعالى دفاعا أو يعد فى ميدان سعدك باعا وأنت اليوم النصير على الدهر الظلوم وآسى الكلوم وذو المقام المعلوم فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين أيدى السادة الخدام وتتفكه به المشاقفة والاقدام من كرة مرسلة الشهاب أو نار نجمة ظهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب حرمت حول عينك لاكدر صفاؤها ولا هدم فوق مهاد الدعة والامن اغفاؤها فرعت حول حماها ورامت أن تعيب نجيب الله تعالى مرماها

نرى السوء مما نتقى فنهابه * ومالا نرى مما يقى الله أكثر

فقلت مكروه أخطأ سهمه وتنبيه من الله تعالى لمن نبل عقله وفهمه ودفاع قام دليله وسعد أشرق جليله وأيام أعربت عن اقبالها وعصمة غطت بسربالها وجوارح جعل الله تعالى الملائكة تحرسها فلا تغتالها الحوادث ولا تفترسها والفطن يشعر بالشىء وان جهل أسبابه والصوفى يسمع من الكون جوابه فبادرت أهنئه بهنئة من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه من جوارحه ويرسل طير الشكر لله تعالى فى مساقط اللطف الخفى ومسارحه وسألته سبحانه أن يجعلك عن النوائب حجرا لا يقرب وربعك ربعا لا يخرب ماسح الحوت ودب العقرب ثم انى شفعت الهناء ووترته وأظهرت السرور فاسترته بما سناه لتدبيرك من مسالمة تكذب الارجاف وتغنى عن الايجاف وتخصب للابل العجاف وتريح من كيد وتفرغ الى مجادلة عمرو وزيد وكافى بسعدك قد سدل الامان وعدل الزمان وأصلح الفاسد ونفق الكاسد وقهر الروع المستأسد وسر الحبيب وساء الحاسد والسلام انتهى *(ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى) ما خاطب به الرئيس عامر بن محمد بن على الهنتاتى معزيا له عن أخيه عبد العزيز

أبا ثابت كن فى الشدائد ثابتا * أعيذك أن يلفى حسودك شامتا
عزاؤك عن عبد العزيز هو الذى * يليق بعز منك أعجز ناعتا
فدوحتك الغناء طالت ذوائبا * وسرحتك الشماء طابت منابتا
لقد هد أركان الوجود مصابه * وأنطق منه الشجو من كان صامتا
فمن نفس حرا وثق الحزن كظمها * ومن نفس بالوجد أصبح خافتا
هو الموت للانسان فصل لحده * وكيف ترجى أن تصاحب مائتا
وللصبر أولى أن يكون رجوعنا * اذا لم نكن بالحزن نرجع فائتا

اتصل بى أيها الهمام وبدر المجد الذى لا يفارقه التمام ما جنته على عليائك الايام واقتنصه محلق الردى بعد أن طال الخيام وما استأثر به الحمام فلم يغن الدفاع ولا نفع الذمام من وفاة صنوك الكريم الصفات وهلاك وسطى الاسلاك وبدر الاحلاك ومجير الاملاك وذهاب السمح الوهاب وأنا لديغ صل الفراق الذى لا يفيق بالف راق وجريح سهم البين ومجارى العيون الجارية بدمع العين لفقد أنيس سهل على مضض النكبه ونحى ليث الخطب عن فريستى بعد صدق الوثبه وآنسنى فى الاغتراب وصحبنى الى منقطع التراب وكفل أصاغرى خير الكفاله وعاملنى من حسن العشرة بما سجل عقد الوكاله انتزعه الدهر من يدى حيث لا أهل ولا وطن والاغتراب قد ألقى بعطن وذات اليد يعلم حالها من يعلم ما ظهر وما بطن ورأيت من تطارح الاصاغر على شلو الغريب النازح عن النسيب والقريب ما حملنى على أن جعلت البيت له ضريحا ومدفنا صريحا لاخدع من يرى انه لم يزل مقيما لديه وأن ظل شفقته منسحب عليه فأعيا مصابى عند ذلك الفرح وأعظم الظمأ البرح ونكا القرح القرح اذ كان ركنا قد بنته لى يد معرفتك ومتصفا فى البر بى والرعى لصاغيتى بكريم صفتك فوالهفا عليه من حسام وعز سام وأياد جسام وشهرة بين بنى حام وسام أى جمال خلق ووجه للقاصد طلق وشيم تطمح للمعالى بحق وأى عضد لك يا سيدى لا يهين اذا سطا ولا يقهر اذا خطا يوجب لك على تحليه بالشيبه ما توجبه البنوة من الهيبه ويرد ضيفك آمنا من الخيبه ويسد ثغرك عند الغيبه ذهبت الى الجذع فرأيت مصابه أكبر ودعوت بالصبر فولى وأدبر واستنجدت الدمع فنضب واستصرخت الرجاء فانكر ما روى واقتضب وبأى حزن يلفى عبد العزيز وقد جل فقده أو يطفى لاعجه وقد عظم وقده اللهم لو بكى بندى أياديه أو بغمائم غواديه أو بعباب واديه وهى الايام أى شامخ لم تهده أو جديد لم تبله وان طالت المده فرقت بين التيجان والمفارق والخدود والنمارق والطلى والعقود والكاس وابنة العنقود فما التعلل بالعان وانما هى اغفاءة أجفان والتشبث بالحبائل وانما هى ظل زائل والصبر على المصائب ووقوع سهمها المصائب أولى ما اعتمد طلابا ورجع اليه طوعا أو غلابا فانا يا سيدى أقيم رسم التعزيه وان بوئت بمضاعف المرزيه ولا عتب على القدر فى الورد من الامر والصدر ولولا أن هذا الواقع مما لا يجدى فيه الخلصان ولا يغنى فيه اليراع ولا الخرصان لابلى جده من اقترضتموه معروفا وكان بالتشيع الى

تلك الهضبة معروفا لكنها سوق لا ينفق فيها الا سلعة التسليم للحكيم العليم وطى الجوانح على المضض الاليم ولعمرى لقد خلدت لهذا الفقيد وان طمس الحمام محاسنه الوضاحه لما كبس منه الساحه صحفا منشره وثغورا بالحمد موشره يفخر بها بنوه ويستكثر بها مكتسبو الحمد ومقتنوه وأنتم عماد البازه وعلم المفازه وقطب المدار وعامر الدار وأسد الاجمه وبطل الكتيبة الملجمه وكافل البيت والستر على الحى والميت ومثلك لا يهدى الى نهج لاحب ولا ترشده نار الحباحب ولا ينبه على سنن نبى كريم أو صاحب قدرك أعلى وفضلك أجلى وأنت صدر الزمان بلا مدافع وخير معل لاعلام الفضل ورافع وانا وان أخرت فرض بيعتك لما خصنى من المصاب ونالنى من الاوصاب ونزل بى من جور الزمان الغصاب ممن يقبل عذره الكرم ويسعه الحرم المحترم والله سبحانه الكفيل لسيدى وعمادى ببقاء يكفل به الابناء وابناء الابناء ويعلى لقومه رتب العز سامية البناء حتى لا يوحش مكان فقيد مع وجوده ولا يحس بعض زمان مع جوده ويقر عينه فى ولده وولد ولده ويجعل أيدى مناويه تحت يده والسلام *(وخاطبه لسان الدين أيضا بما نصه سيدى الذى هو رجل المغرب كله والمجمع على طهارة بيته وزكاء أصله علم أهل المجد والدين وبقية كبار الموحدين بعد السلام الذى لتلك الجلالة الراسخة القواعد السامية المصاعد والدعاء لله أن يفتح لك فى مضيقات هذه الاحوال مسالك التوفيق ويمسكك من عصمته بالسبب الوثيق أعرفك ان جبلك اليوم وقد عظم الرجفان وفاض التنور وطغى الطوفان توقن النفوس الغرقى جودى جوده وتغتبط غاية الاغتباط بوجوده ووالله لولا العلائق التى يجب لها الالتزام ما وقع على غير قصدك الاعتزام والله تعالى يمدك باعانته على تحمل القصاد ويبقى محلك رفيع العماد كثير الرماد ويجعل أبا يحيى خلفا منك بعد عمر النهاية البعيد الآماد ويبقى كلمة التوحيد فيكم الى يوم التناد وحامله القائد الكذا معروف النباهة والجهاد ومحله لا ينكر فى الفؤاد لما استبهمت السبل والتبس القول والعمل لم يجد أنجى من الركون الى جنابك والتمسك بأسبابك والانتظام فى جملة خواصك وأحبابك حتى ينبلج الصبح ويظهر النجح ويعظم المنح ويكون بعد هجرته الفتح ومثلكم من قصد وأمل وأنضى اليه المطا وأعمل وأما الذى عندى من القيام بحق تلك الذات الشريفه والقول بمناقبها المنيفه فهو شئ لا تفى به العباره ولا تؤديه الالفاظ المستعاره والله تعالى المسؤل فى صلة عز سيدى ودوام سعده والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ومما خاطبت به شيخ الدولة وقد استقل من مرض ما نصه

لا أعدم الله دار الملك منك سنى * يجلى به الحالكان الظلم والظلم
وأنشدتك الليالى وهى صادقة * المجد عوفى اذ عوفيت والكرم

من علم أعلى الله تعالى قدرك أن المجد جواد حلاك شياته لا بل الملك بدر أنت آياته لا بل الاسلام جسم أنت حياته دعا منك بالبقاء لمجد يروق بك جبينه وملك تنيره وتزينه

ولدين تعامل الله تعالى باعزازه وتدينه فلقد ألمت نفوس المؤمنين لآلامك ووجم الاسلام لتوقع اسلامك وتأخرت الاعلام لتأخر اطرافك بمصالح الملك واعلامك فانما أنامل الدين والدنيا متشبثة بأذيال أيامك ورحال الامل مخيمة بين خلالك وخيامك فاذا قابلت الاشراف نعم الله تعالى بشكر ورمت الغفلة عن ذلك بنكر فاشكره جل وعلا بملء لسانك وجنانك واجر في ميدان حمده مطلقا من عنانك على ما طوقك من استرقاق حر وافاضة ايادغر واقتناء عسجد من الحمد ودر واتاحة نفع ودفع ضر وادالة حلو من مر وكن على ثقة من مدافعة الله تعالى عن حماك وعز تبلغ ذوائبه السماك ورزق يجره فال منتماك ودونك مجلس الامامة فقد تدبيره بزمامك وحظوة الخلافة فاستحقها بوسائلك القديمة وذمامك ومحاسن الدولة فاجلها على منصة أمامك ورسوم البر فأغربها عين اهتمامك وذروة المنبر فأمض بها طبة حسامك وأجز الآملين زهر الايادي البيض من كمائم أكمامك فيا عز دولة بك يا جملة الكمال قد استظهرت وأذلت المعاند وقهرت وباعمال آرائك اشتهرت فراقت فضائلها وبهرت جزالة كما شق الجو جارح ولطافة كما طارح بفر التأليف مطارح وفكر في الغيب سارح ودين لغوامض الحلم والعدل شارح ومكارم محت آثار الكرماء ونسخت وحلت عقود أخبار الاجواد في الاعصار وفسخت فلم تدع لفضل الفضل ذكرا وتركت معروف يحيى بن خالد نكرا لا بل لم يبق لكعب من علو كعب وأنست دعوة حاتم بأي ماح وحاتم فصارت سبي جوار ومنع جوار وعقر ناب عند اقشعرار جناب وأين يقع من كبر قدر ترفع عن الكبر وجود خضب الايدي بحناء التبر وعز استخدم الاسل الطوال بيراع أقل من الشبر وحقن الدماء المراقة باراقة نجيع الحبر وفك العقال ورفع النوب الثقال وراعى الذرة والمثقال وعثر الزمان فاقال ووجد لسان الصدق فقال أقسم ببارئ النسم وهو أبر القسم ما فازت بمثلك الدول ولا ظفرت بمثلك الملوك الاواخر والاول ولو تقدمت لم يضرب الا بك المثل ولم يقع الا على سنتك وكتابك والاجماع المنعقد على آدابك العمل والمملوك لما شام مالكه برق العافيه وتدرع بالالطاف الخافيه كتب مبشرا بالهناء ومذيعا ما يجب من الحمد والثناء وشاكرا ماله بوجوده من الاعتناء فقد بادر ركن الدين بالبناء وأبقى الستر والمنة على الآباء والابناء فنسأل الله تعالى أن يمتع منك بأثير الملوك ووسطى السلوك وسلالة أرباب المقامات والسلوك ويبقيك وحصة الصحة وافره وغرة العزة القعساء سافره وغادة عادة السعادة غير نافره وكتيبة الامل في مقامك السعيد غانمة ظافره ما زحفت للصباح شهب المواكب وتفتحت بشط نهر المجرة ازهار الكواكب والسلام انتهى

*(ومن ذلك ما خاطب به سيدي أبا عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه وقد استقر خطيب السلطان بتونس

ولما أن نأت منكم ديار * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لانظركم بشيء مثل عيني

بم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي كيف أهدي سلاما فلا أحذر ملاما أو أنتخب لك

كلاما فلا أجد لتبعة التقصير فى حقك الكبير ايلاما ان قلت تحية كسرى فى الثناء وتبع فكلمة فى مربع العجمة تربع ولها المصيف فيه والمربع والجميم والمنبع فتروى متى شاءت وتشبع وان قلت اذا العارض خطر ومهما همى أرقطر سلام الله يامطر فهو فى الشريعة بطر وركبه خطر ولا يرعى به وطن ولا يقضى به وطر وانما العرق الاوشج ولا يستوى البان والبنفسج والعوسج والعرفج

سلام وتسليم وروح ورحمة * عليك وممدود من الظل سجسج

وما كان فضلك ليمنعنى الكفران أن أشكره ولا لينسينى الشيطان أن أذكره فأتخذ فى البحر سببا أو أسلك غير الوفاء مذهبا تأبى ذلك والمنة لله تعالى طباع لها فى مجال الرعى باع وتحقيق واشباع وسوائم من الانصاف ترعى فى رياض الاعتراف فلا يطرقها ارتياع ولا تخيفها سباع وكيف تجحد تلك الحقوق وهى شمس ظهيره وأذان عقيرة جهيره فوق مئذنة شهيره آدت الاكتاد لها ديون تستغرق الذمم وتسترق حتى الرمم فان قضيت فى الحياة فهى الخطة التى نرتضيها ولا نقنع من عامل الدهر المساعد الا أن ينفذ مراسمها ويمضيها وان قطع الاجل فالغنى الحميد من خزائنه التى لا تبيد يقضيها ويرضى من يقتضيها وحيا الله تعالى أيها العلم السامى الجلال زمنا بمعرفتك المبرة على الآمال بر وأتحف وان اساء بفراقك وأجحف وأعرى بعد ما ألحف وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزائن ثم أوحش منها أصونة هذه الخزائن فآب حنين الامل بخفيه وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات ونستهديه دليلا فى مثل هذه الفلوات وأى ذنب فى الفراق للزمن أو لعراب الدمن أو للرواحل المدلجة ما بين الشام الى اليمن وما منها الا عبد مقهور وفى رمة القدر مبهور عقد والحمد لله مشهور وحجة لها على النفس اللوامة ظهور جعلنا الله تعالى ممن ذكر المسبب فى الاسباب وتذكر وما يذكر الا أولوا الالباب قبل غلق الرهن وسد الباب وبالجملة فالفراق ذاتى ووعده ماتى فان لم يكن فكأن قد ما أقرب اليوم من الغد والمرء فى الوجود غريب وكل آت قريب وما من مقام الا لزيال من غير احتيال والاعمار مراحل والايام أميال شعر

نصيبك فى حياتك من حبيب * نصيبك فى منامك من خيال

جعل الله تعالى الادب مع الحق شاننا وأبعد عنا الفراق الذى شاننا وانى لاسر لسيدى بان رعى الله تعالى صالح سلفه وتداركه بالتلافى فى تلفه وخلص سعادته من كلفه واحله من الامن فى كنفه وعلى قدرها تصاب العلياء واشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء هذا والخير والشر فى هذه الدار المؤسسة على الاكدار ظلان مضمحلان فقد ارتفع ما ضر أو نفع وفارق المكان فكأنه ما كان ومن كلمات الملوك البعيدة عن الشكوك الى أن يشاء ملك الملوك

خذ من زمانك ما تيسر * واترك بجهدك ما تعسر
ولرب مجمل حالة * ترضى به ما لم يفسر
والدهر ليس بدائم * لابد أن سيسوء ان سر

واكتم

واكتم حديثك جاهدا * شمت المحدث أو تحسر
والناس آنية الزجا * ج اذا عثرت به تكسر
لاتعدم التقوى فمن * عدم التقى فى الناس أعسر
واذا امرء خسر الالـه فليس خلق منه أخسر

وان الله تعالى فى رعيك لسرا ولطفا مستمرا مستقرا اذ ألقاك اليم الى الساحل فاخذ بيدك من ورطة الواحل وحرك منك عزيمة الراحل الى الملك الحلاحل فاداك من ابراهيمك سميا وعرفك بعد الولى وسميا ونقلك من عشاية الى عنايه وهو الذى يقول وقوله الحق ماننسخ من آية الآيه وقد وصل كتاب سيدى يحمد ولله الحمد العواقب ويصف المراقى التى حلها والمراقب وينشر المفاخر الحفصية والمناقب ويذكر ماهيأه الله تعالى لديها من اقبال ورخاء بال خصيصى اشقال ونشوة آمال وانه اغتبط وارتبط وألقى العصا بعد ماخبط ومثل تلك الخلافة العلمية من تزن الذوات المخصوصة من الله تعالى بتشريف الادوات بميزان تمييزها وتفرق بين شبه المعادن وابريزها وشبه الشئ مثل معروف ولقد أخطأ من قال الناس ظروف انما هم شجرات مربع فى بقعة ماحله وابل مائة لاتجد فيها راحله وماهو الا اتفاق ونجيح للملك واحقاق وقلما كذب اجماع واصفاق والجليس الصالح لرب سياسة أمل مطلوب وحظ اليه مجلوب وان سئل أطرف وعمر الوقت ببضاعة اشرف وسرق الطباع ومد فى الحسنات الباع وسلى فى الخطوب وأضحك فى اليوم القطوب وهدى الى اقوم الطرق وأعان على نوائب الحق وزرع له المودة فى قلوب الخلق زاد الله تعالى سيدى لديها قربا أثيرا وجعل فيه للجميع خيرا كثيرا بفضله وكرمه ولعلى بأنه أبقاه الله تعالى يقبل نصحى ولايرتاب فى صدق صبحى أغبطه بمثواه وأنشده ماحضر من البديهة فى مسارة هداه ونجواه

بمقام ابراهيم عذ واصرف به * فكرا تورق عن بواعث تنبرى
فجواره حرم وأنت حمامة * ورقاء والاغصان عود المنبر
فلقد أمنت من الزمان وريبه * وهو المروع للمسئ وللبرى

وان تشوف سيدى فلعمر وليه لو كان المطلوب دينا الوجب وقوع الاجتزاء ولاغتبط بما تحصل فى هذه الجزور المبيعة فى حانوت الزور من السهام الوافرة الاجزاء فالسلطان رعاه الله تعالى يوجب ماقوق مزية التعليم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب مابلته من نصح سليم وترك لما بالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم ولاينكر ذلك فى الحديث ولا فى القديم لكن النفس منصرفة عن هذا الغرض نافضة يدها من العرض قد فوتت الحاصل ووصلت فى الله تعالى القاطع وقطعت الواصل وصدقت لما نصح الفؤاد الناصل وتأهبت للقاء الحمام الواصل وقلت

انظر خضاب الشباب قد نصلا * وزائر الانس بعده انفصلا

ومطلبي والذى كلفت به * حاولت تحصيله فما حصلا
لا أمل مسعف ولا عمل * ونحن فى ذا الموت قد وصلا

والوقت الى الامداد منكم بالدعاء فى الاصائل والاسحار الى مقيل العثار شديد الافتقار والله عز وجل يصل لسيدى رعى جوانبه ويتولى تيسير آماله من فضله العميم وما رآه واقر أعليه من التحيات المحلة من فوق رحال الاريحيات أزكاها ما أوجع البرق الغمائم فأبكاها وحسد الروض جمال النجوم الزواهر فقاسها بمباسم الازهار وحكاها واضطبرهم الليل عند الميل عصا الجوزاء وتوكاها ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) ابن مرزوق المذكور قوله سيدى وعمادى كشف قناع النصيحة من وظائف صديق أوخديم اصيق وأنا بكلتا الجهتين حقيق ويتلجلج فى صدرى كلام انا الى نفثه ذو احتياج ولو فى سبيل هياج وخرق سياج وخوض دياج وقد أصبحت سعادتى عن أصل سعادتك فرعا فوجب النصح طبعا وشرعا فليعلم سيدى أن الجاه ورطه والاستغراق فى تيار الدول غلطه وعمدار العلو الا أن يقى الله تعالى تكون السقطه وانه والله تعالى يعصمه من الحوادث ويقيه من الخطوب الكوارث وان تبعه الجمع فهو مفرد وبسهام الحسدة مقصد وان الذى يقبل يده يضمر حسده ومامن يوم الا والعلل تستشرى والحيل تريش وتبرى وسموم المكايد تسرى والعين الساهرة تطرق العين النائمة من حيث تدرى ولا تدرى وهذا الباب الكريم مخصوص بالزيارة والبركه وخصوصا فى مثل هذه الحركه فثم ظواهر تخالف السرائر وحيل تصيب فى الجو الطائر وماعسى أن يتحفظ المحسود وقد عوت الكلاب وزأرت الاسود وان ظن سيدى أن الخطة الدينية تذب عن نفسها أو تنفع مع غير جنسها قياس غير صحيح وهبوب ريح وانما هى درجة فوق الوزارة والحجابه ودهر يدعى فيسادر بالاجابه وجاه يجر على القبيل الاذيال ويفيد العز والمال ويجر هال وصدور تحمل الجبال وان قطع بالامان من جهة السلطان لم يؤمن أن يقع فيه والله سبحانه يقيه ويمتع به ويقيه ما البشر بصدده والحى يجرى الى أمده فيستظهر الغير بقبيل ويجرى من التغلب على سبيل ويبقى سيدى والله تعالى يعصمه طائرا بلا جناح ومحاربا دون سلاح ينادى من كان يثق بوده فى ظل ويقرع سن النادم والامر جلل ومثله بين غير صنفه ممن لا يتصف بظرف ولا يلتفت الى الانسانية بطرف ولا يعبد الله تعالى ولو على حرف محمول عليه من حيث الصنفيه متعمد بالعداوة الخفيه وان ظن غير هذا فهو مخدوع مسحور ومفتون مغرور وبالفكر فى الخلاص تفاضلت النفوس واستدفع البوس وله وجوه كلها متعذر الحصول دونه بيض النصول والا ما كان من الغرض الذى بان فيه بعد الجد الفتور وعدل عنه وقد أخذ الدستور وتيسرت الامور وتقررت الايمان والنذور فانه عرض قريب وسفر قاصد ومسعى لا ينفق فيه سيدى من المال درهم واحد ووطن لحركته راصد لا يمنع عليه اهله ولا يستصعب سهله وأمره جبره الله تعالى يتطارح فى تعيينكم لاقتضائه واحكام

آرائه وتأمين خائفه واستقدام أصنافه وطوائفه ويتحركون حركة العز والتنويه والقدر النبيه لا يعوزكم ممن وراءكم مطلب ولا يلفى عن مخالفتكم مذهب ولا يكدر لكم مشرب وتمر أيام وشهور وتظهر بطون للدهر وظهور وتفتح أبواب وتسبب أسباب من رجوع يتأتى بعد السكون والفتور وقد سكنت الخواطر وتنوعت الامور أو مقام تمهد به البلاد ويعمل فى ترتيب الصلة الحسنة الاجتهاد وتستغرق فى هذا الغرض الآماد ويتأتى ان حدث وتراكم حادث الاستقلال والاستبداد تنهتا فيه الاعمار ويكون لمن ينتقل به على الشرق والغرب الخيار أو التحكم فى ذخيرة سما منها المقدار وذهل عند مشاهدتها الاعتبار وخزانة الكتب بجملتها وفيها الامهات الكبار قد تجافت عنها الحاجة وعدم اليها الاضطرار والربع الذى يسوغ بالشرع والعقار فهذا كله حاصل وثم ضامن لا يتهم وكافل وعهود صبغها غير ناصل وبالجملة فالوطن لاغراض الملك جامع ولمقاصده من المقام او الانتقال مطيع وسامع وان توقع اثارة فتنه أو ارتكاب احنه فالامر أقرب وحالة التيسير أغرب وهذه الحجة فى تلمسان غير معتبره وأجوبتها مقرره وقدوم رسول الطاغية واعانته تحصل فى الغالب على هذه المطالب وبالجملة فالدنيا قد اختلت والاقدام قد زلت والاموال قد قلت وشبيبة الدهر ولت وذلك القطر على علاته أحكم لمن يروم الجاه وأمنع وأجدى بكل اعتبار وأنفع وقد حضرت لاستخلاصكم اياه الآلة التى لا تتأتى فى كل زمان وتهيأ امكانه أى امكان واقتضيت أيمان وعرضت سلع تقل لها اثمان وارتهنت الوفاء مروءات وأديان وتحقق بذلك القطر الفساد الذى اشتهر به مأموره وأميره والمنكر الذى يجب على كل مسلم تغييره فان شئت شرعا فالحكم ظاهر أو طبعا فالطبع حاضر وما ثم عاذل بل عاذر والمؤنة التى تلزم أقل من أن تكون ثمن بعض الحصون فضلا عن الشجرة ذات الغصون وما يستهلك فى هذا الغرض شئ له خطر ولا يستنقذ من الصحيفة سطر واليد محكمة بكل أو شطر وما يخص المملوك من هذا الامر الا استنقاذ نشب واستخلاص مؤمل بين موروث ومكتسب وبعيد أن لا ينفر له فى زمن من الازمان ملوك فى كل وقت وأعيان ومروءات وأحساب وأديان والله سبحانه كل يوم هو فى شان وأما خدمة دولة فهى على حرام لا ينجح لى فيها ان أعتمدها مرام وكانى بالمشرق لاحق ولانفاسه الزكية ناشق فما هى الا أطماع سرابها لماع فاذا انقطعت انفسحت الدنيا واتسعت ومعاش فى غمار أو عكوف فى كسر دار لمداومة استقالة واستغفار والله ما توهم أن من بتلك البلاد يستنسر بغاثه عليكم أو يحتقر ما لديكم فقد ظهر الكائن وتطابق المخبر والمعاين فسبحان من يقوى الضعيف ويهين المخيف ويجرى يد المشروف والشريف والهمم بيد الله تعالى ينجدها ويخذلها والارض فى قبضته يرعاها ويهملها هذا بث لا يسع افشاؤه وسر ان لم يطو سقط به على السرحان شاؤه وفيه ما ينكره الآمر وتتعلق به الظنون وتعمل الخواطر فتدبروه واعتبروه وبعقلكم فاسبروه ثم غطوه بالاحراق واستروه والله تعالى يرشدكم للتى هى أسعد ويحملكم على ما فيه لكم العز السرمد

قوله تنهتا فيه هكذا فى نسخة وهو ساقط فى النسخة الاخرى ولعله محرف عن تهافت أو غيره مما يناسب المقام وقوله ويكون لمن ينتقل الخ فى نسخة ويكون على من ينتقل وكذلك قوله بعد ذلك والربع الخ موجود فى نسخة ساقط من الاخرى فلينظر ذلك كله ويحرر اه مصححه

والفخر الذى لا ينفد والسلام انتهى *(وقال) رحمه الله تعالى وعما صدر عنى ما اجبت به عن كتاب بعث به الى الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان أبى عبد الله محمد بن يوسف القيسى الثغرى

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدره المكنون
ماشئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالمنون
أوشئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة أم يحيى أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

ماهذا النشر والصف والحشر واللف والنشر والفجر والليالى العشر شذا كما تنفست دارين وسطور رقم خلالها التزيين وبيان قام على ابداعه البرهان المبين ونقس وشى به طرس فجاء كانه العيون العين لابل ماهذه الكتائب الكتيبة التى أطلقت علينا الاعنه وأشرعت الينا الاسنه وراعت الانس والجنه فأقسم بالرحمن لولا انها رفعت شعار الامان وحيت بتحية الايمان لراعت السرب وعاقت الذود أن يرد الشرب أظنها مدد الجهاد قدم وشارد العرب استعمل فى سبيل الله واستخدم والمتأخر على مافاته ندم والعزم وجد بعد ماعدم نستغفر الله انما هى رقاع الرقاع وصلات صلاة ليس فيها سبق ولا ارتفاع وبقاع لها بطل الطباع الكريمة انتفاع وألحان بيان يعضدها ايقاع ودر منسوق ورطب لنخلها بسوق ولله در القائل الملك سوق ومن نصر الشيخ على كتيبة تعقبها كتيبه واقتضاه وجيبة من ذى غلة غير نجيبه بيناهو يكابد من مراجعة الحى من حضر موت الموت ولا يكاد يرجع الصوت اذ صيحته قيس وهى التى شذت عن القياس وأحجمت عن مبارزتها أسود الاخياس فلولا امتثال أمر وصبر على جمر لاعاد ماحكى فى مبارزة الوصى عن عمرو فتحرج من الخطل وبين عذر المكره عن مناجزة البطل ألم يدر قائد رعيلها وزائر غيلها انى أمت بذمة من عميده لاتخفر وان ذنب اضافتى اليه لا يغفر وحقه الحق الذى لا يجحد ولا يكفر

لما رأت راية القيسى زاحفة * الى ربعت وقالت لى وما العمل
قلت الوغى ليس من رأيى ولا عملى * لاناقة لى فى هذا ولا جمل
قد كان ذا الدورنات الصهيل ضحى * تهز عطفى كأنى شارب ثمل
والآن قد صوح المرعى وقيضت السخيمات والركب بعد اللبث محتمل
قالت ألست شهاب الدين تضرمها * حاشى العلا أن يقال استنوق الجمل
وان أحسن من هذا وذا وزر * بمثله فى الدواهى يبلغ الامل
هو الحمى لابى حواستجره ففيه الامن منسدل والفضل مكتمل
والله لو أعمل الراعى النقاد به * ماخاف من أسد خفان به همل
تكون من قوم موسى ان قضوا عدلوا * وان تقاعد دهر جائر حملوا
هم الجبال الرواسى كلما حكموا * هم البحار الطوامى كلما جملوا

فقلت كان لك الرحمن بعدى ما * سواه معتمد والرأى معتمل
فها أنا تحت ظل منه يلهفنى * والشمل منى بستر العز يشتمل
فقل لقيس لقد خاب القياس فلا * تذكر والمصاع وتحت الليل فاحتملوا
دامت له ديم النعمى مساجلة * يمناه تنهل اليمنى فتنهمل
وآمنت شمس علياه الافول الى * طى الوجود فلا شمس ولا حمل

ولوخوى والعوذ بالله نجم هذا الملك ولم يتصف السبب وحاشاه بالاتصال ولا بالانبتات فرعى العدل مكفول وسبب الرفق موصول وان اشتجرت نصول والهرم تأبى الابطال التنزل الى نزاله والناسك التائب يدين ضرب الغارات باعتزاله الامن أعرق فى مذهب الخارجى الاخرق نافع بن الازرق وحسبى وقد ساء كسبى أن أترك الخطر لراكبه وأخلى الطريق لمن يبنى المنار به ونسير بسير أمثالى من الضعفاء ونكف نهو زمان الانكفاء ونسلم مخطوبة هذا الفن الى الاكفاء ونقول بالبنين والرفاء فقد ذهب الزمن المذهب وتبين المذهب وشاخ البازى الاشهب وعتاد العمر ينهب ومرهب الفوت من فوق الفود يرهب اللهم ألهم هذه الانفس رشدها واذكرها السكرات ومابعدها ايه أخى والفضل وصفك ونعتك والزيف يهرجه بحتك وسهام البراعة انفرد بها بريك ونحتك وصاتنى رسالتك البرة بل غمامتك الثرة وحيتنى ثغور فضلك المفترة فعظمت بورودها المسرة جددت العهد بمحبوب لقائك وانهلت ظامى الاستطلاع من سقائك واقتضت تجديد الدعاء ببقائك الا انها رماذهلت عند وداعك وأبهر عقلها نور ابداعك فلم تلق الوصية وسلكت المسالك القصية وابعدت من التطوف وجاءت تبتغى من أسرار التصوف ومتى تقرن هيبة السبع الشداد بحانوت الحداد أوتنظر أحكام الاعتكاف بدكان الاسكاف أو يتعلم طبع المثقال بحانوت البقال والظن للغالب وقد تلتبس المطالب انكم أمرتموها لما أصدرتموها باعمال التشوف فطردت حكم الابدال غائبة عما يلزم من الجدال وسمت الشين صادا وعينت لزرع الوصية حصادا والله تعالى يجعل الحب عند ظنى من نظر بمرآته أووصفه ببعض صفاته وهى تزاق عن صفاته فللتصوف أشرف وظلاله أورف من أن ينال كاف بباطل ومغرور بسراب ماطل لا برباب هاطل ومفتون بحال حال أوعاطل ومن قال ولم يتصف بمقاله فعقله لم يرم عن عقاله وجبال أثقاله مانعة له عن انتقاله وعلى ذلك وبعد تقرير هذه المسالك فقد عمرت يدها كيلا تعود بها صفرا بعد اعمال السفر أوترى انها قد طولبت بذنب الغلط المغتفر وأصبحت المراجعة بمجلس وعظ فتحت به باب الحرج الى انكار الامام أبى الفرج وفن الوعظ لما سأل الاخ هو الصديق المسعد والمبرق قبل غمام رحمته والمرعد ولله در القائل لست به ولم تبعد والاعتراض بعد ملازم لكن الاسعاف لقصده لازم وعامله عند الاعتلال بالعذر جازم واغضاؤه ملتمس وفضله لا يخبو منه قبس وعذرا أيها الفاضل وبعد الاعتذار عن القلم المهذار واغفال الحذار اقرأ عليهم من طيب السلام ما يخجل ازهار الكمام عقب الغمام

ورحمة الله تعالى ممن يمليه على الكاتب ولعلها تفتؤ من عتب العاتب ابن الخطيب فانى كتبته والليل دامس وبحر الظلام طامس وعادة الكسل طبع خامس والنافخ بشكوى البرد هامس والذبال المنادم خافت لا يهتدى اليه الفراش المتهافت يقوم ويقعد ويفيق ثم يرعد ويزفر ثم يخمد وربما صار ورقة آس أو مبضع آس وربما اشبه العاشق فى البوح بما يخفيه وظهوره من فيه فتميله الآمال وتلويه وتميته النواسم الهفافة بعد ما تحييه والمطر قد تهذرمعه الوطر وساقه الخطر ونصل فى البيوت المتداعية ما لا تفعل الترك والطرر والنشاط قد طوى منه البساط والجوارح بالكلال تعتذر ووظائف الغد تنتظر والفكر فى الامور السلطانية جائل وهى بحر هائل ومثلى ممنوع منه باليسير ومعذور فى قصر الباع وضعف المسير والسلام انتهى وهى من البلاغة فى الذروة ○ (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) قوله ومما صدر عنى فى السياسة حديث من امتاز باعتبار الاخبار وحاز درجة الاشتهار بفضل حوادث الليل والنهار ووليج بين الكمائم والازهار وتلطف بخجل الورد من تبسم النهار (قال) سهر الرشيد ليله وقد مال فى حجر النبيذ ميله وجهد نداماؤه فى جلب راحته والمام النوم بساحته فشحت صهادهم ولم يغن اجتهادهم فقال اذهبوا الى طرق سماها ورسمها وأمّهات قسمها فمن عثرتم عليه من طارق ليل أو غثاء سيل أو صاحب ذيل فبلغوه والامنة سوّغوه واستدعوه ولا تدعوه فطاروا عجالى وتفرّقوا ركبانا ورجالا فلم يكن الا ارتداد طرف أو فواق حرف وأتوا بالغنيمة التى اكتسحوها والبضاعة التى ربحوها يتوسطهم الاشعث الاغبر والليج الذى لا يعبر شيخ طويل القامه ظاهر الاستقامه سبلته مشمطه وعلى أنفه من القبع مطه وعليه ثوب مرقوع لطير الحرق عليه وقوع يهيم بذكر مسموع ويبى عن وقت مجموع فلما مثل سلم ومانبس بعدها ولا تكلم فأشار اليه الملك فقعد بعد أن انشمر وابتعد وجلس فما استرق النظر ولا اختلس انما حركة فكره معقودة بزمام ذكره ولحظات اعتباره فى تفاصيل أخباره فابتدره الرشيد سائلا وانحرف اليه مائلا وقال ممن الرجل فقال فارسى الاصل أعجمى الجنس عربى الفصل قال بلدك وأهلك وولدك قال أما الولد فولد الديوان وأما البلد فمدينة الايوان قال النحله وما أعملت اليه الرحله قال أما الرحلة فالاعتبار وأما النحلة فالامر الكبار قال فنسك الذى اشتمل عليه دنك فقال الحكمة فى الذى جعلته أثيرا وأضجعت فيه فراشا وثيرا وسبحان الذى يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما سوى ذلك فتبع ولى فيه مصطاف ومرتبع قال فتعاضد جذل الرشيد وتوفر كأنما أغشى وجهه قطعة من الصبح اذا أسفر وقال ما رأيت كالليلة أجمع لامل شارد وأنعم بمؤانسة وارد ياهذا انى سائلك ولن تخيب بعد وسائلك فأخبرنى ما عندك فى هذا الامر الذى بلينا بحمل أعبائه ومنينا بمراوضة ابائه فقال هذا الامر قلادة ثقيله ومن خطة العجز مستقيله ومفتقرة لسعة الذرع وربط السياسة المدنية بالشرع يفسده الحكم فى غير محله ويكون ذريعة الى حله ويصلحه مقابلة الشكل بشكله

ومن لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع الى أكله فقال الملك أجمات ففصل وبريت فنصل وكلت فاوصل وانثر الحب لمن يحوصل واقسم السياسة فنونا واجعل لكل لقب قانونا وأبد أبالرعيه وشروطها المرعيه (فقال) رعيتك ودائع الله تعالى قبلك ومرآة العدل الذى عليه جبلك ولا تصل الى ضبطهم الا باعانة الله تعالى التى وهب لك وأفضل ما استدعيت به عونه فيهم وكفايته التى تكفيهم تقويم نفسك عند قصد تقويمهم ورضاك بالسير لتنويمهم وحراسة كهلهم ورضيعهم والترفع عن تضييعهم وأخذ كل طبقة بما عليها ومالها أخذا يحرط مالها ويحفظ عليها كمالها ويقصر عن غير الواجبات آمالها حتى تستشعر عليتها رأفتك وحنانك وتعرف أوساطها فى النصب امتنانك وتحذر سفلتها سنانك وحظر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها أو تخالف دورها أو تجاوز بأمر طاعتك فورها وسد فيها سبل الذريعه وأقصر جميعها عن خدمة الملك بموجب الشريعه وامنع أغنياءها من البطر والبطاله والنظر فى شبهات الدين بالتشدق والاطاله وليقل فيما شجر بين الناس كلامها ويرفض مما تبز به أعلامها فان ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق وامنعهم من فحش الحرص والشره وتعاهدهم بالمواعظ التى تجلو البصائر من المره واحملهم من الاجتهاد فى العمارة على أحسن المذاهب وانههم عن التحاسد على المواهب ورضهم على الانفاق بقدر الحال والتعزى عن الفائت فرده من المحال وحد البخل على أهل اليسار والسخاء على أولى الاعسار وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر وامنعهم من تاويلها منع القاهر ولا تطلق لهم التجمع على من أنكروا امره فى نواديهم وكف عنهم أكف تعديهم ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم ولتكن غايتهم فيما توجهت اليه ابايتهم وفكت عن الموافقة عليه رايتهم انهاه الى من وكلته بصالحهم من ثقاتك المحافظين على أوقاتك وقدم منهم من أمنت عليهم مكره وحدت على الانصاف شكره ومن كثر حياؤه من التانيب وقابل الهفوة باستتابة المنيب ومن لا يتخطى عن محله الذى حله فربما عد الى المبرم حله وحسن النية لهم بجهد الاستطاعه واغتفر المكاره فى جنب حسن الطاعه وان ثار جوادهم واختلف فى طاعتك مرادهم فتحصن لثورتهم واثبت لفورتهم فاذا سألوا وسلوا وتفرقوا وانسلوا فاحتقر كثرتهم ولا تقل عثرتهم واجعلهم ما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ولا تترك لهم على حملك اتكالا (ثم قال) والوزير الصالح أفضل عددك وأوصل مددك فهو الذى يصونك عن الابتذال ومباشرة الانذال ويثب لك على الفرصه وينوب فى تجرع الغصه واستجلاء القصه ويستحضر ما نسيته من أمورك ويغلب فيه الرأى بموافقة مأمورك ولا يسعه ما تمسكنك المسامحة فيه حتى يستوفيه واحذر مصادمة تياره والتجوز فى اختياره وقدم استخارة الله تعالى فى ايثاره وأرسل عيون الملاحظة على آثاره وليكن معروفا بالاخلاص لدولتك معقود الرضا والغضب برضاك وصولتك زاهدا معك فى يديك مؤثرا لكل ما يزلف لديك بعيدا لهمه راعيا للاذمه كاملا لآله محيطا بالاياله رحيب الصدر رفيع القدر معروف

البيت نبيه الحى والميت مؤثر العدل والاصلاح دريا بجمل السلاح ذاخبرة بدخل المملكة وخرجها وظهرها وسرجها صحيح العقد متحرز من النقد جاذا عند لهوك متيقظا فى حال سهوك يلين عند غضبك ويصل الاسهاب بمقتضبك قلقا من شكره دونك وحده ناسبا لك الاصابة بعمده وان أعيا عليك وجود أكثر هذه الخلال وسبق الى نقضها شئ من الاختلال فاطلب منه سكون النفس وهدوءها وأن لا يرى منك رتبة الا رأى قدره دونها وتقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب وهى للفضائل فذلكة الحساب وساو فى حفظ عيبه بين قربه ونأيه واجعل حظه من نعمتك موازيا لحظك من حسن رأيه واجتنب منهم من يرى فى نفسه الى الملك سبيلا أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلا أو من كاثر مالك ماله أو من تقدم لعدوك استعماله أو من سمت لسوالك آماله أو من يعظم عليه اعراض وجهك ويهمه نادر نجهك أو من يداخل غير أحبابك أو من ينافس أحدا يبابك (وأما الجند) فاصرف التقديم منهم للمقاتله والمكايدة والمخاتله واستوف عليهم شرائط الخدمه وخذهم بالثبات للصدمه ووف ما أوجبت لهم من الجراية والنعمه وتعاهدهم عند الغناء بالعلفة والطعمه ولا تكرم منهم الا من أكرمه غناوه وطاب فى الذب عن ظلك ثناؤه وول عليهم النبها من خيارهم واجتهد فى صرفهم عن الافتتان باهليهم وديارهم ولا توطئهم الدعة مهادا وقدمهم على حصصك وبعوثك مهما اردت جهادا ولا تلين لهم فى الانحماض عن حسن طاعتك قيادا وعودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا ولا تسمح لاحد منهم فى اغفال شئ من سلاح استظهاره أو عدة اشتهاره وليكن ما فضل من شبههم وريهم مصروفا الى سلاحهم وزيهم والتزيد فى مراكبهم وغلمانهم من غير اعتبار لاثمانهم وامنعهم من المشغلات والمتاجر وما يتكسب به غير المشاجر وليكن من الغزو اكتسابهم وعلى المغانم حسابهم كالجوارح التى تفسد باعتيادها أن تطعم من غير اصطيادها واعلم انه لا تبذل نفوسها من عالم الانسان الا لمن يملك قلوبها بالاحسان وفضل اللسان ويملك حركاتها بالتقويم ورتبها بالميزان القويم ومن تثق باشفاقه على أولادها ويشترى رضا الله تعالى بصبره على طاعته وجلادها فاذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك الى مواقف التلف مطيعة دواعى الكلف واثقة منك بحسن الخلف واستبق الى تمييزهم استباقا وطبقهم طباقا أعلاها من تأملت منه فى المحاربة عنك اخطارا وأبعدهم فى مرضاتك مطارا وأضبطهم لما تحت يده من رجالك حزما ووقارا واستهانة بالعظائم واحتقارا وأحسنهم لمن تقلده أمرك من الرعية جوارا اذا أجدت اختبارا وأشدهم على مماطلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا ومن بلى فى الذى عز لك احلاء وامرارا ولحقه الضر فى معارض الدفاع عنك مرارا وبعده من كانت محبته لك أزيد من نجدته وموقع رأيه أنفع من موقع صعدته وبعدهما من حسن انقياده لامرائك واجاده لآرائك ومن جعل نفسه من الامر حيث جعله وكان صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه فى الانتفاع ولم يستحى من

التزيد باضعاف مابذله من الدفاع وشكا البخس فيما تعذر عليه من فوائدك وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله وأظهر الكراهية لحاله (وأما العمال) فانهم ينبؤن عن مذهبك وحالهم فى الغالب شديدة الشبه بك فعرفهم فى أمانتك السعاده وألزمهم فى رعيتك العاده وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم فى الاتصاف بالعدل والانصاف وأحلهم من الحفايه بنسبة مراتبهم من الامانة والكفايه وقفهم عند تقليد الارجاء مواقف الخوف والرجاء وقرر فى نفوسهم أن أعظم مايه اليك تقربوا وفيه تدربوا وفى سبيله أجمعوا وأعربوا اقامة حق ودحض باطل حتى لايشكو غريم مطل ماطل وهو آثر لديك من كل رباب هماطل وكفهم من الرزق الموافق عن التصدى لدنىء المرافق واصطنع منهم من تيسرت كلفته وقويت للرعايا الفته ومن زاد على تأميله صبره وأربى على خبره خبره وكانت رغبته فى حسن الذكر تشف على بنات الفكر واجتنب منهم من يغلب عليه التخرق فى الانفاق وعدم الاشفاق والتنافس فى الاكتساب وسهل عليه سوء الحساب وكانت ذريعته المصانعة بالتفايه دون التقصى والكفايه ومن كان منشؤه خاملا ولاعباء الدناءة حاملا وابغ من يكون الاعتذار فى أعماله أوضح من الاعتذار فى أقواله ولا يفتنك ممن قادته اجتلاب الحظ المقنع والتيفق بالسعي المسمع ومخالفة السنن المرعيه واتباعه رضاك بسخط الرعيه فانه قد غشك من حيث بلك ورشك وجعل من يمينك فى شمالك حاضر مالك ولا تضمن عاملا مال عمله وحل بينه فيه وبين أمله فانك تميت رسومك بمحياه وتخرجه من خدمتك فيه الا أن تملكه اياه ولا تجمع له بين الاعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد والاحتجاج على والد بولد واحرص على أن يكون فى الولاية غريبا ومنتقله منك قريبا ورهينة لايزال معها مريبا ولا تقبل مصالحته على شئ اختانه ولو برغيبة فتانه فتقبل المصانعة فى أمانتك وتكون مشاركه فى خيانتك ولا تطل مدة العمل وتعاهد كشف الامور ممن يرعى الهمل ويبلغ الامل (وأما الولد) فأحسن آدابهم واجعل الخير دابهم وخف عليهم من اشفاقك وحنانك أكثر من غلظة جنانك واكتم عنهم ميلك وأفض فيهم جودك ونيلك ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك وأثبهم على حسن الجواب وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب وعلمهم الصبر على الضرائر والمهلة عند استخفاف الجرائر وخذهم بحسن السرائر وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس وحسن الاصطناع والاحتراس والاستكثار من أولى المراتب والعلوم والسياسات والحلوم والمقام المعلوم وكثره اليهم مجالسة الملهين ومصاحبة الساهين وجاهد أهواءهم عن عقولهم وحذرهم الكذب على مقولهم ورشحهم اذا آنست منهم رشدا أو هديا وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثديا لتمرنهم على الاعتياد وتحملهم على الازدياد ورضهم رياضة الجياد واحذر عليهم الشهوات فهى داؤهم واعداؤك فى الحقيقة وأعداؤهم وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت واقذعها اذا هجمت قبل أن يظهر تضعيفها ويقوى ضعيفها فان أعجزتك فى الصغر الحيل عظم الميل

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

واذا قدروا على التدبير وتشوفوا للعمل الكبير اياك أن توطنهم فى مكانك جهدا مكانك وفرقهم فى بلدانك تفريق عبدانك واستعملهم فى بعوث جهادك والنيابة عنك فى سبيل اجتهادك فان حضرتك تشغلهم بالتحاسد والتباري والتفاسد وانظر اليهم بأعين الثقات فان عين الثقه تبصر مالا تبصر عين المحبة والمقه (وأما الخدم) فانهم بمنزلة الجوارح التى تفترق بها وتجمع وتبصر وتسمع فرضهم بالصدق والامانه وصنهم صون الجمانه وخذهم بحسن الانقياد الى ما آثرته والتقليل مما استكثرته واحذر منهم من قويت شهواته وضاقت عن هواه لهواته فان الشهوات تنازعك فى استرقاقه وتشاركك فى استحقاقه وخيرهم من سترذلك عنه بلطف الحيله وأدأب للفساد محيله وأشرب قلوبهم أن الحق فى كل ما حاولته واستنزلته وأن الباطل فى كل ما جانبته واعتزلته وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب وباين الادب وتجنب وأعط من اكددته واضقت منه ملكه وشددته روحة يشتغل فيها بما يغنيه على حسب صعوبة ما يعانيه تغبطهم فيها بمسارحهم وتجم كليله جوارحهم ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذى لا يبطر اعلامهم ولا يؤسف الاصاغر فيفسد أحلامهم ولا ترم محسنهم بالغاية من احسانك واترك لمزيدهم فضلة من رفدك ولسانك وحذر عليهم مخالفتك ولوفى صلاحك بحد سلاحك وامنعهم من التوائب والتشاجر ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر واستخلص منهم لسرك من قلت فى الافشاء ذنوبه وكان أصبر على ما ينوبه ولودائعك من كانت رغبته فى وظيفة لسانك أكثر من رغبته فى احسانك وضبطه لما تقلد من وديعتك أحب اليه من حسن صنيعتك وللسفارة عنك من حلا الصدق فى فمه وآثره ولو باختطار دمه واستوفى لك وعليك فهم ما تحمله وعى بلفظه حتى لا يهمله ولن تودعه أعداءه ولتك من كان مقصور الامل قليل القول صادق العمل ومن كانت قسوته زائدة على رحمته وعظمه فى مرضاتك آثر من شهمته ورأيه فى الحذر سديد وتحرزه من الحيل شديد ولخدمتك فى ليلك ونهارك من لانت طباعه وامتد فى حسن السجية باعه وأمن كيده وغدره وسلم من الحقد صدره ورأى المطامع فقاطع واستثقل اعادة ما سمع وكان بريئا من الملال والبشر عليه أغلب الخلال ولا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولا قول ولا تؤيسهم من طول ومكن فى نفوسهم أن أقوى شفعائهم واقرب الى الاجابة من دعائهم اصابة الغرض فيما به وكلوا وعليه شكلوا فانك لا تعدم بهم انتفاعا ولا يعدمون لديك ارتفاعا (وأما الحرم) فهم مغارس الولد ورياحين الخلد وراحة القلب الذى أجهدته الافكار والنفس التى تقسمها الاحماد الى المساعى والافكار فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم المترفعة عن القيم ما لا يسوءك فى خلدك أن يكون فى ولدك واحذر أن تجعل لفكر بشر دون بصر اليهن سبيلا وانصب دون ذلك عذابا وبيلا وارعهن من النساء العجز من بانت فى الديانة والامانة سبله وقويت غيرته ونبله وخذهن بسلامة النيات والشيم السنيات وحسن الاسترسال والخلق السلسال

وحذر عليهن التغامز والتغاير والتنافس والتخاير واس بينهن فى الاغراض والتصام
عن الاعراض والمحاباة بالاعراض واقال من محالطتهن فهو أبقى لهيبتك وأسبل
لحرمتك ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال وضيق الاحتمال بكثرة الاعمال
وعند الغضب والنوم والفراغ من نصب اليوم واجعل مبيتك بينهن تنم بركاتك وتستتر
حركاتك وافصل من ولدت منهن الى مسكن يختبر به استقلالها ويعتبر بالتفرد خلالها
ولا تطلق لحرمة شفاعة ولا تدبيرا ولا تنط بهما من الامر صغيرا ولا كبيرا واحذر أن
يظهر على خدمهن فى خروجهن عن القصور وبروزهن من أجمة الاسد الهصور
زى بارع ولا طيب للانوف مسارع واخصص بذلك من طعن فى السن ويئس من
الانس والجن ومن توفر النزوع الى الخيرات قبله وقصر عن جمال الصورة ورسم بالبله
ثم لما بلغ الى هذا الحد حى وطيس استجفاره وختم حزبه باستغفاره ثم صمت مليا
واستعاد كلاما أوليا ثم قال واعلم يا امير المؤمنين سدد الله تعالى سهمك لاغراض
خلافته وعصمك من الزمان وآفته انك فى مجلس الفصل ومباشرة الفرع من ملكك
والاصل فى طائفة من عز الله تعالى تذب عنك حماتها وتدافع عن حوزتك كماتها
فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه بضاعه أو يهجم بك رضاك على اضاعه
ولتكن قدرتك وقفا على الانصاف بالعدل والانصاف واحكم بالسويه واجنح بتدبيرك
الى حسن الرويه وخف أن تقعد بك اناتك عن حزم تعين أو تستفزك العجلة فى أمر
لم يتبين وأطع الحجة ما توجهت اليك ولا تحفل بها اذا كانت عليك فانقيادك اليها أحسن
من ظفرك والحق أجدى من نفرك ولا تردن النصيحة فى وجه ولا تقابل عليها بنجه
فقنعها اذا استدعيتها وتحجب عنك ان استوعيتها ولا تستدعها من غير أهلها
فيشغبك أولو الاغراض بجهلها واحرص على أن لا ينقضى مجلس جلسته أو زمن
اختلسته الا وقد أحرزت فضيلة زائده أو وثقت منه فى معادك بفائده ولا يزهدنك
فى المال كثرته فتقل فى نفسك أثرته وقس الشاهد بالغائب واذكر وقوع
ما لا يحتسب من النوائب فالمال المصون أمنع الحصون ومن قل ماله قصرت آماله
وتهاون بيمينه شماله والملك اذا فقد خزينه أخفى على أهل الجدة التى تزينه وعاد على
رعيته بالاجحاف وعلى جبايته بالاحلاف وساء معتاد عيشه وصغر فى عيون جيشه
ومنوا عليه بنصره وأنفوا من الاقتصار على قصره وفى المال قوة معاويه تصرف
الناس لصاحبه وتربط آمال أهل السلاح به والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة
الى خلافه فتجمع بالشهوات بين اتلافك واتلافه واستأنس بحسن جوارها واصرف
فى حقوق الله تعالى بعض أطوارها فان فضل المال عن الاجل فأجل ولم يضر ما خلف
منه بين يدى الله عز وجل وما ينفق فى سبيل الشريعه وسد الذريعه ما مول خلفه
وما سواه فمتعين تلفه واستخلص لنواديك الخاصه ومجالسك العامة والخاصه من يليق
بولوج عتبها والعروج لرتبها أما العامية فمن عظم عند الناس قدره وانشرح بالعلم
صدره أو ظهر يساره وكان لله تعالى اخباته وانكساره ومن كان للقيام منصبا وبتاج

المشورة معتصما وأما الخاصية فمن رقت طباعه وامتد فيما يليق بتلك المجالس باعه
ومن تبحر فى سير الحكماء وأخلاق الكرماء ومن له فضل سافر وطبع للدنية منافر
ولديه من كل ما تستتر به الملوك من العوائم حظ وافر وصف الباب بحصول خيرك وسكن
قلوبهم بيمن طيرك وأغنهم ما قدرت عن غيرك واعلم بان مواقع العلماء من ملكك مواقع
المشاعل المتألقه والمصابيح المتعلقه وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء وتجلو بنورها
صور الاشياء وفزعها التحبير مايزين مدتك ويحسن من بعد البلاء جدتك وبعناية
الاواخر ذكرت الاوائل واذا محيت المفاخر خربت الدول واعلم أن بقاء الذكر
مشروط بعمارة البلدان وتخليد الآثار الباقية فى القاصى والدان فاحرص على
ما يوضح فى الدهر سبلك ويحرز المزية على من قبلك وان خير الملوك من ينطق بالحجة وهو
قادر على القهر ويبذل الانصاف فى السر والجهر مع التمكن من المال والظهر ويسار
الرعية جمال للملك وشرف وفاقتهم من ذلك طرف فغلب أليق الحالين بعملك وأولاهما
بظعنك وحلك واعلم أن كرامة الجوار دائره وكرامة العدل متكاثره والغلبة بالخير
سيادة وبالشر هواده واعلم أن حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكاية الخوارج
ويسمو بك الى المعارج فانها تقصد أنواع الخدع وتورى بتغيير البدع وأطلق على
عدوك أيدى الاقوياء من الاكفاء وألسنة اللفيف من الضعفاء واستشعر عند نكثه
شعار الوفاء ولتكن ثقتك بالله تعالى أكثر من ثقتك بقوة تجدها وكتيبة تجدها فان
الاخلاص يمحك قوى لا تكتسب ويمهد لك مع الاوقات نصرا لا يحتسب والتمس أبدا
سلم من سالك بنفيس ما فى يدك وفضل حاصل يومك على منتظر غدك فان أبى وضحت
محجتك وقامت عليه للناس بذلك حجتك فللنفوس على الباغين ميل ولها من جانبه نيل
واستهد فى كل يوم سيرة من يناويك واجتهد أن لا يوازيك فى خير ولا يساويك واكذب
بالخير ما يشيعه من مساويك ولا تقبل من الاطراء الا ما كان فيك فضل عن اطالته
وجد يزرى على بطالته ولا تلق المذنب بجميتك وسبك واذكر عند حركة الغضب ذنوبك
الى ربك ولا تنس أن رب المذنب أجلسك مجلس الفصل وجعل فى قبضتك رياش النصل
وتشاغل فى هدنة الايام بالاستعداد واعلم أن التراخى منذر بالاشتداد ولا تهمل عرض
ديوانك واختبار أعوانك وتحصين معاقلك وقلاعك وعم ايالتك بحسن اطلاعك
ولا تشغل زمن الهدنة بلذاتك فتجنى فى الشدة على ذاتك ولا تطلق فى دولتك ألسنة
الكهانة والارجاف ومطاردة الآمال الجحاف فانه يبعث سوء القول ويفتح باب
العول وحذر على المدرسين والمتعلمين والعلماء والمتكلمين حمل الاحداث على الشكوك
الخاطره والمزلات الواجمه فانه يفسد طباعهم ويغرى سباعهم وبد فى مخايلة الملة
باعهم وسد سبيل الشفاعات فانها تفسد عليك حسن الاختيار ونفوس الخيار وابذل
فى الاسرى من حسن ملكتك ما يرضى من ملكك رقابها وقلدك ثوابها وعقابها وتلق
بدء نهارك بذكر الله تعالى فى ترفعك وابتذالك واختم اليوم بمثل ذلك واعلم انك مع
كثرة حجابك وكثافة حجابك بمنزلة الظاهر للعيون المطالب بالديون لشدة البحث عن

أمورك وتعرف السر الخفى بين أمرك ومأمورك فاعمل فى سرك مالا تستقبح أن يكون ظاهرا ولا تأنف أن تكون به مجاهرا وأحكم بريك فى الله ونحتك وخف من فوقك يخف من تحتك واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أوزادت مؤنته على نصيبه منك وفرضه فأصمت الحجيج وتوق اللجج واسترب بالامل ولا يحملنك انتظام الامور على الاستهانة بالعمل ولا تحقرن صغير الفساد فيأخذ فى الاستشراد واحبس الالسنة عن التخالى باغتيابك والتشبث بأذيال ثيابك فان سوء الطاعة ينتقل من الاعين الباصره الى الالسن القاصره ثم الى الايدى المتناصره ولا تشق بنفسك فى قتال عدوناوك حتى تظفر بعدوغضبك وهواك ولتكن خوفك من سوء تدبيرك أكثر من عدوك الساعى فى تتبيرك واذا استنزلت ناجما اواصفت ثائرا هاجما فلا تقلده البلد الذى فيه نجم وهمى عارضه فيه وانسجم يعظم عليك القدح فى اختيارك والغض من ايثارك واحترز من كيده فى حوارك ومأقمك فانك أكبرهمه وليس بأكبرهمك وجمل المملكة بتأمين الفلوات وتسهيل الاقوات وتجديد ما يتعامل من الصرف فى البياعات واجراء العوائد مع الايام والساعات ولا يبخس عيار قيم البضاعات ولتكن يدك عن أموال الناس محجوره وفى احترامها الاعن الثلاثة ماجوره مال من عداطوره طور أهله وتخارق فى الملابس والزينه وفضول المدينه يروم معارضتك بحمله ومن باطن اعدالك وامن اعتدالك ومن أساء جوار رعيتك باحساره وبذل الاذايه فيهم بيمينه ويساره وأضرمامنيت به التعادى بين عبدانك أوفى بلدمن بلدانك فسدفيه الباب واسأل عن الاسباب وانقلهم بوساطة أولى الالباب الى حالة الاحباب ولا تطوق الاعلام أطواق المنون بهواجس الظنون فهو أمر لا يقف عند حد ولا ينتهى الى عد واجعل ولدك فى احتراسك حتى لا يطمع فى افتراسك * ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف وعموده يريد أن ينقصف ومجال الوصايا أكثر مما يوصف قال يا أمير المؤمنين بحر السياسة زاخر وعمر المتمتع بناديك مستأخر فان أذنت فى فن من فنون الانس يجذب بالمقاد الى راحة الرقاد ويعتق النفس بقدرة ذى الجلال من ملكة الكلال فقال أما والله قد استحسنا ما سردت فشأنك وما أردت فاستدعى عودا فأصلحه حتى جده وأبعد فى اختباره أمده ثم حرك به وأطال الجس ثمه ثم تغنى بصوت يستدعى الانصات ويصدع الحصاة ويستفز الحليم عن وقاره ويستوقف الطير ورزق بنيه فى منقاره وقال

صاح ما أعطر القبول بنمه * اتراها أطالت اللبث ثمه
هى دار الهوى ومغنى النفس فيها * أبد الدهر والامانى جمه
ان يكن ما تأرج الجو منها * واستفاد الشذا والافمه
من لطرفى بنظرة ولانفى * فى رباها وفى ثراها بشمه
ذكر العهد فانتفضت كانى * طرقتنى من الملائك لمه
وطن قد نضيت فيه شبابا * لم تدنس منه البرود مذمه

بنت عنه والنفس من أجل من قد * خلفته خلاله مغتمه
كان حلما فويح من أمل الدهـ ـر وأعماه جهله وأصمه
تأمل العيش بعد أن خلق الجسـ ـم وبنيانه عسير المرمه
وغدت وفرة الشبيبة بالشيـ ـب على رغم أنفها مغتمه
فلقد فاز سالك جعل الله الى الله قصده ومأمه
من بيت من غرور دنيا بهتم * يلدغ القلب اكثر الله همه

ثم أحال اللحن الى لون التنويم فأخذ كل فى النعاس والتهويم وأطال الجلس فى فى الثقيل عاكفا عكوف الضاحى فى المقيل فخاط عيون القوم بخيوط النوم وعمر بهم المراقد كانما أدار عليهم الفراقد ثم انصرف فما علم به أحد ولا عرف ولما أفاق الرشيد جد فى طلبه فلم يعلم بمنقلبه فأسف للفراق وأمر بتخليد حكمه فى بطون الاوراق فهى الى اليوم تتلى وتتنقل وتجلى القلوب بها وتصقل والحمد لله رب العالمين انتهى *(وقال) فى الاحاطة بعد ايراد نبذة من نثره ما صورته فهذا ما حضر من المنثور وحظه عندى من الاجادة ضعيف وغرضه كما شاء الله تعالى سخيف لكن الله سبحانه بعباده لطيف انتهى *(ومما) علق بحفظى من نثره قوله فى تحلية بعض أهل زمانه هو امام الفتيه وعين أعيان هذه المائه * وقوله فى وصف فاس نعم العرين لاسود بنى مرين ذات المشاهد التى منها مطرح الجنة ومسجد الصابرين

بلد اعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس
فكانما الانهار فيه مدامة * وكان ساحات الديار كؤوس

جمعت ما ولد سام وحام وكثرة الالتئام والالتحام واشتد الزحام الى أن قال يلفى الرجل أبا مشواه فلا يدعوه لبيته ولا يطعمه من بقله وزيته ولا يطرق الضيف حماهم ولا يعرف اسمهم ولا مسماهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم * وقوله فى وصف مراكش المحروسة ذات المقاصر والقصور ومأوى الليث الهصور ومسكن الناصر والمنصور الى أن قال ومنارها فى الفلاه بمنزلة والى الولاه ثم قال بعد كلام الا أن خرابها هائل وزحامها حرب وائل وعمارها كثيرة الدبيب منغصة لمضاجعة الحبيب انتهى ما كتبته من حفظى لطول العهد *(وقال رحمه الله تعالى فى وصف مدينة بسطة من كلام لم يحضرنى جميعه الآن محل خصيب ومنزل رحيب وكفاها مسجد الجنة دليلا على البركة وباب المسك دليلا على الطيب ولها من اسمها نصيب اذ هى بحر الطعام وينبوع العيون المتعددة بتعدد أيام العام انتهى *(ولما) أجرى ذكر بسطة الامام أبو الحسن القلصادى فى رحلته قال سقى الله تعالى أرجاءها المشرقه وأغصانها المورقه شآبيب الاحسان ومهدها بالهدنة والامان دار تجمل منها الدور وتتقاصر عنها القصور وتتقزلها بالقصور مع ما حوته من المحاسن والفضائل من صحة أجسام أهلها وما طبعوا عليه من كرم الشمائل وحسبك فيها من عدم الحرج أن داخلها باب الفرج ثم قال ولله در القائل

دار مشى الاتقان فى تنجيدها * حتى تناسب روضها وبناؤها
مرقومة الجنبات ذات قرارة * يمتد قدام العيون فضاؤها
مازال يضحك دائما نوارها * فى وجه ساحته ويلعب ماؤها

ولبعض أصحابنا فيها وهو الاديب الكاتب أبو عبد الله بن الازرق

فى بسطة حيث الاباطح مشرقه * أضحت جفونى بالمحاسن مغلقه

وله أيضا فى توريه

قل لمن رام النوى عن وطن * قولة ليس بها من حرج
فرج الهم بسكنى بسطة * ان فى بسطة باب الفرج انتهى

(رجع) ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به السلطان على لسان جدته وهو الى قرة أعيننا وأعين المؤمنين وفلذة كبدنا الذى نصل للقائه الحنين بالحنين وعزنا الذى حللنا من كنفه بالحرم الامين وسترنا الذى خلفنا رضاه من أفقده الدهر من كرم البنين ووارثنا المستأثر بعدنا بطول السنين أمير المسلمين الاسعد المؤيد الموفق الطاهر البر الرحيم الارضى الكامل الفاضل حفيدنا محمد ابن ولدنا الرضى وواحدنا الكريم الحفى السلطان الكبير الجليل السعيد الطاهر الظاهر المقدس جعل الله تعالى من عصمته لزيما يرافقه وأجرى القدر بما يوافقه وحفظ عليه الكمال الذى تناسب فيه خلقه وخلائقه والبر الذى حسنت فيه طرقه وطرائقه من المستظلة بظلال رضاه وبره المبتهلة الى الله تعالى فى عز نصره وسعادة أمره الداعية الى الله تعالى أن يسترها فى الحياة وما بعدها بستره وما يفضل عمرها من عمره جدته التائقة اليه كتبته من كنفه العزيز بحمرائه العلية عن الخير الدائم بدوامه واليسر الملازم ببركة أيامه ولا زائد بفضل الله تعالى الا الشوق اليه وتحويم الكبد الخافقة خفوق رايته عليه وتجهيز مواكب الدعاء المقبول من خلفه ومن بين يديه وقد وصل كتابه العزيز الوفادة والوصول الكريم الجمل والفصول مطلع وجه السرور والجذل ومهدى قصى الامل ومجدد العهد بحديثه الذى فى ضمنه شفاء الغليل وبرء العليل مهديا تحفة عافيته وهى الهدية التى جلت عن المكافاه وترفعت عن المجازاه انما يجازى عليها من يصل بفضله عادتها ويوالى بعد الابداء اعادتها ووصفتم يا ولدى ما عرفتم من نعم الله تعالى التى انثالت عليكم سحابها وعنايته التى يلقى ركابكم تسهلها وترحابها واستبشار الجهات بقدومكم واجتلاء وجهكم الميمون واجتلاء وجهكم الذى فيه للاسلام قرة العيون وكيف لا يكون ذلك وأنتم ذخرهم العزيز وحرزهم الحريز والندرة التى خلصها من معادن سلفكم الذهب الابريز فى أيامكم والحمد لله نامت أجفانهم وتكيف أمانهم نسأل الله تعالى أن يديم لنا ولهم نعمة بقائكم ويعلى الدين بعلو كم فى معارج العز وارتقائكم فقابلنا ما قرره سلطانكم بالحمد والثنا والشكر المتصل على الآنا ومحضتكم من خالص الدعاء ما يتكفل لكم بالحسنى وما وعد الله تعالى من ينيل الرجاء وتمهيد الارجاء وأصدرت هذا الجواب لكم مصدر الهناء بنعم الله تعالى المغدقة والآلاء ونسأل من فضلكم وبركم مواصلة التعريف بمثل هذه الاخبار السارة والانباء

واتحافنا بمثلها مع الصباح والمساء وان كان مجدكم غنيا عن الشبه لمثل هذه الاشياء أدام الله تعالى لكم أسباب البقاء وكان لكم فى كل حال من اقامة وارتحال بعزة وجهه وقدرته انتهى * ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب فانه يعبر فى كل مقام بما يليق فتارة يترقى فى أدراج البراعه وطورا يهتك عنان البراعه * (وأما شعر لسان الدين رحمه الله تعالى) فهو من النهاية فى الحسن وقد قدمنا فى هذا الكتاب منه نبذة فى أثناء نثره وكلامه الذى جلبنا، وفى مواضع غيرهما جملة مفيدة من شعره رحمه الله تعالى وقال رحمه الله تعالى فى الاحاطة مانصه الشعر ولنثبت جملة من مطولاته ونتحله بشئ من مقطوعاته ونقدم من المطولات أمداح رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركا بها فمن ذلك قولى

هل كنت تعلم فى هبوب الريح * نفسا يؤجج لاعج التبريح
أهدتك من شيح الحجاز تحية * فاحت لها عرض الفجاج الفيح
بالله قل لى كيف نيران الهوى * مابين ريح فى الفلاة وشيح
وخضيبة المنقار تحسب أنها * نهلت بمورد دمعى المسفوح
باحت بما تخفى وناحت فى الدجى * فرأيت فى الآماق دعوة نوح
نطقت بما يخفيه قلبى أدمعى * ولطالما صمتت عن التصريح
عجبا لاجفانى حملن شهادة * عن خافت بين الضلوع جريح
ولقلما كتبت رواة مدامعى * فى صفحتيها حلية التجريح
جاد الحمى بعدى وأجراع الحمى * جود تكل به متون الريح
هن المنازل مافؤادى بعدها * سال ولا ووجدى بها بمريح
حسبى ولوعا أن أزور بفكرتى * زوارها والجسم رهن نزوح
فأبث فيها من حديث صبابتى * وأحث فيها من جناح جنوحى
ودجنة كادت تضل بها السرى * لولا وميض بارق وصفيح
رعشت كواكب جوها فكأنها * ورق تقلبها بنان شحيح
صابرت منها لجة مهما ارتمت * وطمت رميت عبابها بسبوح
حتى اذا الكف الخضيب بأفقها * مسحت بوجه للصباح صبيح
شمت المنى وحمدت ادلاج السرى * وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما ليلى نسيب قصيدتى * والصبح فيه تخلصى لمديح
لما حططت خير من وطئ الثرى * بعنان كل مولد وصريح
رحمى اله العرش بين عباده * وأمينه الارضى على مايوحى
والآية الكبرى التى أنوارها * ضاءت اشعتها بصفحة يوح
رب المقال الصدق والآى التى * راقت بهن أوراق كل صحيح
كهف الانام اذا تفاقم معضل * مثلوا بساحة بابه المفتوح
يردون منه على مثابة راحم * جم الهبات عن الذنوب صفوح

لهفى على عمر مضى أنضيته * فى ملعب للترّهات فسيح
يازاجر الوجناء يعتسف الفلا * والليل يعثر فى فضول مسوح
يصل السرى سببا الى خير الورى * والركب بين موسد وطريح
لى فى حمى ذاك الضريح لبانة * ان أصبحت لبنى أمانا ابن ذريح
وبمهبط الروح الامين أمانة * اليمن فيها والامان لروحى
ياصفوة الله المكين مكانه * ياخير مؤتمن وخير نصيح
أقرضت فيك الله صدق محبتى * أيكون تجرى فيك غير ربيح
حاشا وكلا أن تخيب وسائلى * أوأن أرى مسعاى غير نجيح
ان عاق عنك قبيح ما كسبت يدى * يوما فوجه العفو غير قبيح
واخجلتى من حلبة الفكر التى * أغريتها بغرامى المشروح
قصرت خطاها بعد ماضمرتها * من كل موفور الجماح جموح
مدحتك آيات الكتاب فماعسى * يثنى على علياك نظم مديحى
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح
صلى عليك الله ماهبت صبا * فهفت بغصن فى الرياض مروح
واستأثر الرحمن جلّ جلاله * عن خلقه بخفىّ سرّ الروح

وأنشدت السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الاعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة هذه القصيدة

تألق نجد يا فاذكرنى نجدا * وهاج بى الشوق المبرّح والوجدا
وميض رأى برد الغمامة معقلا * فمدّ يدا بالتبر اعلت البردا
تبسم فى بحرية قد تجهمت * فبذلت وصلا ولاضربت وعدا
وراود منها فاركا قد تنعمت * فاهوى لها نصلا وهدّدها رعدا
وأغرى بها كف الغلاب فاصبحت * ذلولا ولم تسطع لامرته ردّا
فخلتها الحمراء من شفق الضحى * نضاها وحلّ المزن من جيدها عقدا
لك الله من برق كان وميضه * يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
تعلم من سكانه شيم الندى * فغادر أجراع الحمى روضة تندى
وتوّج من نوّارها قنن الربا * وختم من أزهارها القضب الملدا
لسرعان ماكانت مناسف للصبا * فقد ضحكت زهرا وقد خجلت وردا
بلاد عهدنا فى قرارتها الصبا * يقلّ لذاك العهد أن يألف العهدا
اذا ما النسيم اعتلّ فى عرصاتها * تناول فيها البان والشيح والرندا
فكم فى مجانى وردها من علاقة * اذا ما استثيرت أرضها أنبتت وجدا
اذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى * اذا التمحتها العين عاقدت السهدا
ومن عاشق حرّ اذا ما استمالة * حديث الهوى العذرىّ صيره عبدا
ومن ذابل يحكى المحبين رقة * فيثنى اذا ماهبّ عرف الصبا قدّا

سقى الله نجدا ما نضحت بذكرها * على كبدى الا وجدت لها بردا
وآنس قلبى فهو للعهد حافظ * وقل على الايام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق الا ذبالة * اذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا
صبور اذا الشوق استجاد كتيبة * تجوس خلال الصبر كان لها بندا
وقد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى * ذمائى وأن يستأصل العظم والجلدا
أأجحد حق الحب والدمع شاهد * وقد وقع التسجيل من بعد ما ادّى
تناثر فى اثر الحمول فريده * فلله عينا من رأى الجوهر الفردا
جرى يقفا فى ملعب الخدّ اشهبا * واجهده ركض الاسى فجرى وردا
ومرتحل أجريت دمعى خلفه * ليرجعه فاستنّ فى اثره قصدا
وقلت لقلبى طر اليه برقعتى * فكان حماما فى المسير بها هدّا
سرقت صواع العزم يوم فراقه * فلج ولم يرقب سواعا ولا ودّا
وكحلت عينى من غبار طريقه * فأعقبها دمعا وأورثها سهدا
لى الله كم أهدى بنجد وحاجر * وأكفى بدعد فى غرامى او سعدى
وما هو الا الشوق ثار كمينه * فاذهل نفسا لم تبن عنده قصدا
وما بى الا أن سرى الركب موهنا * وأعمل فى رمل الحمى النص والوخدا
وجاشت جنود الصبر والبين والاسى * لدىّ فكان الصبر أضعفها جندا
ورمت نهوضا واعتزمت مودّعا * فصدّنى المقدور عن وجهتى صدّا
رقيق بدت للمشترين عيوبه * ولم تلتفت دعواه فاستوجب الردّا
تخلف عنى ركب طيبة عانيا * أما آن للعانى المعنى بأن يفدى
مخلف سربى قد أصيب جناحه * وطرن فلم يستطع مراحا ولا مغدى
نشدتك يا راكب الحجاز تضاءلت * لك الارض مهما استعرض السهب وامتدّا
وجمّلك المرعى وأذعنت الصوى * ولم تفتقد ظلا ظليلا ولا وردا
اذا أنت شافهت الديار بطيبة * وجئت بها القبر المقدّس واللحدا
وآنست نورا من جناب محمد * يجلى القلوب الغلف والاعين الرمدا
فنب عن بعيد الدار فى ذلك الحمى * وأذرية دمعا وعفر به خدّا
وقل يا رسول الله عبد تقاصرت * خطاه وأضحى من أحبته فردا
ولم يستطع من بعد ما بعد المدى * سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدى
تداركه يا غوث العباد برحمة * فجودك ما أجدى وكفك ما أندى
أجارك الله العباد من الردى * وبوّأهم ظلا من الامن ممتدّا
حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا * وتوّجك العليا وألبسك الحمدا
وطهر منك القلب لما استخصه * فجلله نورا وأوسعه رشدا
دعاه فما ولى هداه فما غوى * سقاه فما يظما جلاه فما يصدا
تقدمت مختارا تأخرت مبعثا * فقد شملت علياؤك القبل والبعدا

وعلة هذا الكون أنت وكل ما * أعاد فأنت القصد فيه وما أبدا
وهل هو الا مظهر أنت سره * ليمتاز فى الخلق المكب من الاهدى
ففى عالم الاسرار ذاتك تجتلى * ملاح نور لاح للطور فانهدا
وفى عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشفى من استشفى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا أن ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولا حدا
فماذا عسى يثنى عليك مقصر * ولم يأل فيك الذكر مدحا ولا حمدا
بماذا عسى يجزيك هاو على شفى * من النار قد أوردته بعدها الخلدا
عليك صلاة الله يا كاشف العمى * ومذهب ليل الروع وهو قد ربدا
الى كم أراني فى البطالة كانعا * وعمرى قد ولى ووزرى قد عدا
تقضى زمانى فى لعل وفى عسى * فلا عزمة تمضى ولا لوعة تهدا
حسام جبان كلما شيم نصله * تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا * اقود الفلاص البدن والضامر النهدا
رضيع لبان الصدق فوق شملة * مضمرة وسدت من كورها مهدا
فتهدى باشواق السراة اذا سرت * وتحدى باشعار الركاب اذا تحدى
الى أن أحط الرحل فى تربك الذى * تفوع نداما رأينا له ندا
وأطفئ فى تلك الموارد غلتى * واحسب قربا مهجة شكت البعدا
لمولد اهتز الوجود فاشرقت * قصور بصرى ضاءت الهضب والوهدا
ومن رعبه الاوثان خرت مهابة * ومن هوله ايوان كسرى قد انهدا
وغاض له الوادى وصبح عزه * بيوت النار الفرس أعدمها الوقدا
رعى الله منها ليلة أطلع الهدى * على الارض من آفاقها القمر السعدا
وأقرض ملكا قام فينا بحقها * لقد أحرز الفخر المؤثل والمجدا
وحيا على شط الخليج محلة * يحالف من يثنابها العيشة الرغدا
وجاد الغمام العد فيها خلائفا * ما ترهم لا تعرف الحصر والعدا
عليا وعثمانا ويعقوب لا عدا * رضا الله ذاك النجل والاب والجدا
حموا وهموا فى حومة البأس والندى * فكانوا الغيوث المستهل والاسدا
ولله ما قد خلفوا من خليفة * حوى الارث عنهم والوصية والعهدا
اذا ما أراد الصعب أغرى بنيله * صدور العوالى والمطهمة الجردا
وكم معتد اردى وكم تائه هدى * وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدى
أبا سالم دين الاله بك اعتلى * أبا سالم ظل الاله بك امتدا
فدم من دفاع الله تحت وقاية * كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
ودونكها من نتيجة فكرة * اذا ستر شحت للنظم كانت صفا صلدا
ولو تركت منى الليالى صبابة * لاجهدتها ركضا وارهقتها شدا
ولكنه جهد المقل بلغته * وقد أوضح الاعذار من بلغ الجهدا

وقلت أخاطب السلطان الملك الكبير العالم أبا عنان على أثر انصرافى من بابه رحمه الله تعالى

أبدى لداعى الفوز وجه منيب * وافاق من عذل ومن تانيب
كلف الجنان اذا جرى ذكر الحمى * والبان حنّ له حنين النيب
والنفس لا تنفك تكلف بالهوى * والشيب يلحظها بعين رقيب
رحل الصبا فطرحت فى أعقابه * ما كان من غزل ومن تشبيب
أترى التغزل بعد أن ظعن الصبا * شأنى الغداة أو النسيب نسيبى
أنى لمثلى بالهوى من بعد ما * للوخط فى الفودين أىّ دبيب
لبس البياض وحلّ ذروة منبر * منى ووالى الوعظ فعل خطيب
قد كان يسترنى ظلام شبيبتى * والآن يفضحنى صباح مشيبى
واذا الجديدان استجدّا أبليا * من لبسة الاعمار كل قشيب
سلنى عن الدهر الخؤن وأهله * تسل المهلب عن حروب شبيب
متقلب الحالات فاخبر تقله * مهما أعدت يدا الى تقليب
فكل الامور اذا اعترتك لربها * ما ضاق لطف الرب عن مربوب
قد يخبأ المحبوب فى مكروهها * من يخبأ المكروه فى المحبوب
واصبر على مضض الليالى انها * لحوامل سيلدن كل عجيب
واقنع بحظ لم تنله بحيلة * ما كلّ رام سهمه بمصيب
يقع الحريص على الردى ولكم غدا * ترك التسبب أنفع التسبيب
من رام نيل الشئ قبل أوانه * رام انتقال يلملم وعسيب
فاذا جعلت الصبر مفزع معضل * عاجلت علته بطبّ طبيب
واذا استعنت على الزمان بفارس * لبى نداءك منه خير مجيب
بخليفة الله الذى فى كفه * غيث يروّض ساح كل جديب
المنتقى من طينة المجد الذى * ما كان يوما صرفه بمشوب
يرمى الصعاب بصعبه فيقودها * ذللا على حسب الهوى المرغوب
ويرى الحقائق من وراء حجابها * لا فرق بين شهادة ومغيب
من آل عبد الحق حيث توشحت * شعب العلا وربت بأىّ كثيب
أسد الشرى سرج الورى فمقامهم * لله بين محارب وحروب
امّا دعا الداعى وثوّب صارخا * ثابوا وأمّوا حومة التثويب
شهب ثواقب فى سماء عجاجة * مأثورها قد صح بالتجريب
ما شئت فى آفاقها من رامح * يبدو وكف بالنجيع خضيب
عجبت سيوفهم لشدّة بأسهم * فتبسمت والجوّ فى تقطيب
نظموا بلبات العلا واستوسقوا * كالرمح أنبوبا على أنبوب
تروى العوالى والمعالى عنهم * أثر الندى المولود والمسكوب
من كلّ موثوق به اسناده * بالقطع أو بالوضع غير معيب

فابو

فابو عثمان عن علي نصه * للنقل عن عثمان عن يعقوب
جاؤا كما اتسق الحساب أصالة * وغدوا فذا لك ذلك المكتوب
متجسدا من جوهر النور الذى * لم ترم يوما شمسه بغروب
متألقا من مطلع الحق الذى * هو نور أبصار وسر قلوب
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا * من بعد طول تجهم وقطوب
هى دعوة الحق التى أوضاعها * جمعت من الاسمار كل غريب
هى دعوة العدل الذى شمل الورى * فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا * ألقى اليه بتاجه المعصوب
لما حللت بأرضه مستمليا * ماشئت من بر ومن ترحيب
شمل الرضا فكان كل اقاحة * ثغر للسلام شنيب
وأتيت فى بحر القرى أم القرى * حتى حططت بعرفا التقريب
فرأيت أمن الله فى ظل التقى * والعدل تحت سرادق مضروب
ورأيت سيف الله مطرور الشبا * يمضى القضاء بحده المرهوب
وشهدت نور الحق ليس بآفل * والدين والدنيا على ترتيب
ووردت بحر العلم يقذف موجه * للناس من درر الهدى بضروب
لله من شيم كازهار الربا * غب انسكال العارض المسكوب
وجمال مرأى فى رداء مهابة * كالسيف مصقول الفرند مهيب
ياجنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبى
أسفى على ماضاع من حظى بها * لا تنقضى ترحاته وتحيبى
ان أشرقت شمس شرقت بعبرتى * وتغيض فى وقت الغروب غروبى
حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوى وجانحة الاصيل شجوبى
وشهادة الاخلاص توجب رجعتى * لنعيمها من غير مس لغوب
ياناصر الدين الحنيف وأهله * انضاء مسغبة وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم * يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا * بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم * أوليس صبحك منهم بقريب
فانظر بعين العز من ثغر غدا * حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك اندلس ومجدك ضامن * أن لا يخيب لديك ذو مطلوب
غصب العدو بلادها وحسامك الـ * ـماضى الشبا مسترجع المغصوب
أرض السوابح فى الهجا زحقيقة * من كل قعدة محرب وجنيب
يتعاود الاثل المثقف فوقها * وتجيب صاهلة رغاء نجيب
والنصر يضحك كل مبسم غرة * واليمن معقود بكل سبيب
والروم فارم بكل نجم ثاقب * يذكى بأربعها شواظ لهيب

بذوابل السلب التي تركت بني * زيان بين مجدل وسليب
وأضف الى لام الوغى الف القنا * تظهر لديك علامة التغليب
ان كنت تجحم بالعزائم عودها * عود الصليب اليوم غير صليب
ولك الكتائب كالحمائل أطلعت * زهر الاسنة فوق كل قضيب
فرخ العطفين لا من نشوة * وموردّ الخدين غير مريب
يبدو سداد الرأي في راياتها * وأمورها تجري على تجريب
وترى الطيور عصائبا من فوقها * لحلول يوم في الضلال عصيب
هذبتها بالعرض يذكر يومه * عرض الورى للموعد المكتوب
وهي الكتائب ان تنوسي عرضها * كانت مدونة بلا تهذيب
قدمت سالبة العدو وبعدها * أخرى بعز النصر ذات وجوب
حتى اذا فرض الجلاد جداله * ورأيت ريح النصر ذات هبوب
واذا توسط وصل سيفك عندها * جزأى قياسك فزت بالمطلوب
وتبرأ الشيطان لما أن عملا * حزب الهدى من حزبه المغلوب
الارض ارث والمطامع جمة * كل يهش الى القاس نصيب
وخلائف التقوى هم ورّاثها * فاليكها بالحظ والتعصيب
لكانني بك قد تركت ربوعها * قفرا بكر الغزو والتعقيب
وأقمت فيها ماتما لكنه * عرس لنسر بالفلاة وذيب
وتركت مقلتها بقلب واجب * رهبا وخدّ بالامى مندوب
تبكي نوادبها وينقلن الخطا * من شلو طاغية لشلو سليب
جعل الاله البيت منك مثابة * للعاكفين وأنت خير مثيب
فاذا ذكرت كان هبات الصبا * فضت بمدرجها لطيمة طيب
لولا ارتباط الكون بالمعنى الذي * قصر الحجا عن مرّه المحجوب
قلنا لعالمك الذي شرّفته * حسد البسيط مزية التركيب
ولاجل قطرك شمسها ونجومها * عدلت من التشريق للتغريب
تبدو بمطلع أفقها فضية * وتغيب عندك وهي في تذهيب
مولاي أشواقي اليك تهزني * والنار تفضح عرف عود الطيب
بجلى علاك أطلتها وأطبتها * ولكم مطيل وهو غير مطيب
طالبت أفكاري بفرض بديهها * فوفت بشرط الفور والترتيب
متنبئ انافي حلى تلك العلا * لكن شعري فيك شعر حبيب
والطبع حمل والقريحة حرّة * فاقبله بين نجيبة ونجيب
هابت مقامك فاطمأنت صعابها * حتى غدت ذللا على التدريب
لكنني سهلتها وأدلتها * من كل وحشيّ بكل ريب
ان كنت قد قاربت في تعديلها * لابدّ في التعديل من تقريب

عذرى لتقصيرى وعجزى ناسخ * ويجل منك العفو عن تثريب
من لم يدن لله فيك بقربة * هو من جناب الله غير قريب

ولما احتفل السلطان لاعذار ولده نظمت هذه القصيدة مساعدة لمن نظم من الاصحاب وتشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التى أرسلها والطلبة التى نصبها فى الهواء للفرسان يرسلون العصى اليها والثيران التى أرسل عليها الاكلب الرومية تمسكها فى صورة القرط من آذانها وهى آخر النظم فى الاغراض السلطانية قصر الله تعالى ألسنتنا على ذكره وشغلها به عن غيره

شحطت وفود الليل بان به الوخط * وعسكره الزنجى هم به القبط
اتاه وليد الصبح من بعد كبرة * أيولد اجنى ناحل الجسم مشمط
كان النجوم الزهر اعشار سورة * ومن خطرات الرجم أثناء هامط
وقد وردت نهر المجرة سحرة * غوائص فيه مثل ما تفعل البط
وقد جعلت تفلى بانملها الفلا * ويرسل منها فى غدائره مشط
يشف عباب الليل عنها جواهرا * فيكثر فيها النهب للعين واللقط
فسارت خيالا مثلها غير أنه * من البث والشكوى يبين له لغط
سرت سلخ شهر فى تلفت مقلة * على قتب الاحلام تسمو وتنحط
لى الله من نفس شعاع ومهجة * اذا قدحت لم يخب من زندها سقط
ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوى * وعن نقطة مفروضة ينشأ الخط
فأقسم لولا زاجر الشيب والنهى * ونفس لغير الله ما خضعت قط
لريع لها الاحراس منى بطارق * مفارقه شمط وأسيافه شمط
تناقله كوماء سامية الذرا * ويقذفه شهم من النيق منحط
ولولا النهى لم تستهن سبل الهدى * وكاد وزان الحق يدركه الغمط
ولولا عوادى الشيب لم يبرح الهوى * يهيجه نوء على الرمل مختط
ولولا أمير المسلمين محمد * لهالت بحار الروع واحتجب الشط
ينوب عن الاصباح ان مطل الدجى * ويضمن سقى السرح ان عظم القحط
تقزله الاملاك بالشيم العلا * اذا بذل المعروف أو نصب القسط
أرادوه فارتدوا وجاروه فانثنوا * وساموه فى مرقى الجلالة فانحطوا
تبرعلى المداح غر خلاله * وما رسموا فوق الطروس وما خطوا
تعلم منه الدهر حاليه فى الورى * فآونة يسخو وآونة يسطو
ويجمع بين القبض والبسط كفه * بحكمة من فى كفه القبض والبسط
خلائق قد طابت مذاقا ونفحة * كما مزجت بالبارد العذب اسفنط
اسبط الامام الغالبى محمد * وبالفخر ملك كنت انت له سبط
وقتك أواقى الله من كل غائل * فاى سلاح ما المجن وما اللمط
لقد زلزلت منك العزائم دولة * اناخت على الاسلام تجنى وتشتط

ايالة غدر ضيع الله ركنها * ونادى باهليها البوار فلم يطوا
على قدر جلى بك الله بؤسها * ولا يكمل البحران أو ينضج الخلط
وكانوا نعيم الجنتين تفيؤا * ولما يقع منها النزول ولا الهبط
فقد عوضوا بالاثل والخمط بعدها * وبهمات أين الاثل منها او الخمط
فمن طائح فوق العراء مجدل * ومن راسف فى القيد أرهقه الضغط
وأنحف منك الله أمة أحمد * أمانا كما يضفو على الغادة المرط
انمت على مهد الامان عيونها * فيسمع من بعد السهاد لها غط
وصم صدى الدنيا فلم رحمتها * تزاحم مرتاد عليها ومختط
واحكمت عقد السلم لم تأل بعده * وجاء فصح العقد واستوثق الربط
وأيقن مرتاب وأصحب نافر * وأذعن معتاص وأقصر مشتط
ولله مبناك الذى معجزاته * سمت أن توافيها الشفاه أو الخط
وأنست غريب الدار مسقط رأسه * ومن دون فرخيه القتادة والخرط
تناسبت الاوضاع فيك وأحكمت * على قدر حتى الارائك والبسط
فجاء على وفق العلا رائق الحلى * كما سمط المنظوم أو نظم السمط
ولله اعذار دعوت له الورى * فهبوا لداعيه المهيب وان شطوا
تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضا * ويحدوهم الخصب المضاعف والغبط
وأعربت بالبهم العلاج تحفيا * فلم يدر ما الشئ الغريب ولا السمط
أتت صورة معلولة عن مزاجها * واصل اختلاف الصورة المزج والخلط
قضيت بهادين الزمان ولم يزل * أكد كذوب الوعد يلوى ويشتط
وأرسلت يوم السبق كل طمرة * كما قذف الملمومة النار والنفط
رنت عن كميل كالغزال اذا رنا * وأوفت بهاد كالظليم اذا يعطو
وقامت على منحوتة من زبرجد * تحط على الصم الصلاب اذا تخطو
وكل عتيق من تماثل رومة * تأنق فى استخطاطه القس والقمط
وطاعته بحر السكاك أعانها * على الكون عرق واشج ولحى سبط
تلفف حيات العصى اذا هوت * فثعبانها لا يستقيم له سرط
أزرت بها بحر الهواء سفينة * على الجو لا الجودى كان لها حط
وطاردت مقدام الصوار بجارح * يصاب به منه الصماخ أو الابط
متين الشوى فى رأسه سمهرية * مقصرة عنهن ما ينبت الخط
وقد كان ذا تاج فلما تملقا * بسامعتيه زانه منهما قرط
وجئ بشبل الملك يجد عزمه * عليه الحفاظ الجعد والخلق السبط
سمعت به لم ترع فرط ضنانة * وفى مثلها من سنة يترك الفرط
فأقدم مختارا وحكم عاذرا * ولم يشتمل مسك عليه ولا ضبط
ولو غير ذات الله رامته نضنفت * قنا كالافاعى الرقط أودونها الرقط

وأسد نزال من ذؤابة خزرج * بها ليل لاروم القديم ولاقبط
جلادهم مثنى اذا اشتجر الوغى * كأن رعاه بالعضاه لها خبط
كتائب أمثال الكتائب تتالى * فمن بيضها شكل ومن سمرها نقط
دليلهم القرآن ياحبذا الهدى * ورهطهم الانصار ياحبذا الرهط
وبيض كامثال البروق غمامها * اذا وشجت سحب القتام دم عبط
ولكنه حكم يطاع وسنة * وأعمال بر لايليق بها الحبط
وربة نقص للكمال ماله * ولاغرو فالاقلام يصلحها القط
فهنيته صنعا ودمت مملكا * عزيزا تشيد المعلوات وتختط
ودون الذى يهدى ثناؤك فى الورى * من الطيب ماتهدى الالوة والقسط
رضيت ومن لم يرض بالله حاكما * ضلالا فلله الرضا وله السخط
حياتك للاسلام شرط حياته * ولايوجد المشروط ان عدم الشرط

هذا كاف فى المطولات لنجلب منها عرضا يدل على حبوبها ونتحف منها انفس الظرفاء بطلوبها منقولة من الكتاب المسمى بابيات الابيات ومن الكتاب المسمى بالصيب والجهام (فمن التورية) على طريقة المشارقة قولى

مضجعى فيك عن قتادة يروى * وروى عن أبى الزناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك امسى * من دموعى بهيم فى كل وادى

ومن هذا الباب أيضا

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقدرا بها صبرى على موقف البين
اتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

وفى هذا المعنى

كتبت بدمع عينى صفح خدى * وقد منع الكرى هجر الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا * كتاب العين ينسب للخليل

ومن الاغراض الظريفة فيها

تعجلت وخط الشيب فى زمن الصبا * لخوضى غمار الهم فى طلب المجد
فهما رأيتم شيبة فوق مفرقى * فلاتنكروها انها شيبة الجد

ومن التورية بالنجوم والكاتب بيته بيت شرفه

باوت على زمنى همة * فأعتبنى الزمن العاتب
وشرفنى الله فى موطنى * وفى بيته يشرف الكاتب

وابدع منها قولى لمن يدعى بشمس الدين

قل لشمس الدين وقيت الردى * لم يدع سقمك عندى خلدا
رمدت عينك هذا عجب * أوعين الشمس تشكو الرمدا

وقلت فى غرض التورية بما يظهر من الابيات

أفل الالى كانوا نجوما * ماللورى فالكون مظلم

وتناكر الناس الحديث الحق وافتقد المعلم
انا كاتب السلطان ما * طالعت قط كتاب مسلم
الا سخاما قادحا * فى الدين والله المسلم

وفى معنى الدعابة مع بعض الطلبة

قال لى عند ما أتى بجدال * وشكوك على اصول الدين
واسانى يبدل الدال تاء * عاجز فى الامور عن تبيين
التمس مخرجا يوافق قولى * قلت احسنت يا جلال التين

وفى التورية

اذ مم ذوى التطفيل مهما أتى * وان تكن اجلتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع انه * من جنس من يمشى على بطنه

وقلت

أفقد جفنى لذيذ الوسن * من لم ازل فيه خليع الرسن
عذاره المسكى فى خده * انبته الله النبات الحسن

وقلت فى رثاء من اسمه حسن

اشكو الى الله من بثى ومن شجنى * لم أجن من محنتى شيأ سوى محنى
اصابت الحسن العين التى رشقت * وعادة العين لا تصمى سوى الحسن

وفى الشيب

تفرّ عن الشيب الغوانى تعززا * كما يعتريها ان رأت سام ابرصا
بداوضحا فى جدة العمر شانيا * فمن سام شيخا فهو قد سام ابرصا

وقلت فى السها من النجوم الجوفية

قالوا السها بادى النحول كانه * مستتر تبدو مخايل خوفه
اتراه يشكو قلت هذا ممكن * والله يعلم داره من جوفه

وقلت

عابوا وقالوا بساقه شعر * لقد عداه الكمال من ساق
قلت انظروا ورد روض وجنته * وكلّ ورد مشوك الساق

وقلت فى التضمين

رفعت قصة اشتياقى ليحيى * فزوى الوجه رافضا للفتوه
ورمى بالكتاب ضعف اهتبال * قلت يحيى خذ الكتاب بقوه

وقلت

وذى حيل يعيى التقية أمره * مكايده فى لجة الليل تسبح
يدب شبول الليث والليث ساهر * ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت

لما رأوا كلفى به ودروا * مقدار مالى فيه من حب

قالوا الفتى لو فقلت لهم * طلعت حلاوته على قلبي

وقلت ولهما حكاية

وذى زوجة تشكو فقلت له اسقها * دواء من الحب المليين للبطن

فقال أبت شرب الدواء بطبعها * فقلت اسقها ان عافت الشرب بالقرن

وقلت

لعنوا بريا من خبائث ظنهم * فالله يلعن أهل سوق العنبر

والله لا أوطأت ساقى سوقهم * أبد الزمان فتلك سوق العنبرى

ومن الفكاهات

ولما دعانى داعى الهوى * وأخلف ما كنت أمّلته

ولم يبق غير البكا حيلة * بكيت بمقدار ما نلته

وقلت وقد رفع للسلطان باكورة بنفسج

قدم البنفسج وهو نعم الوارد * قدم منه الى طيب زائد

فسألته ما باله فأجابنى * والحق لا يبغى عليه شاهد

أقبلت أطلب من بنان محمد * صلة فعاد على منه عائد

وقلت من التشبيه

سهرنا وفى سير النجوم اعتبارنا * الى أن ضفا الليل من فوقنا ريط

فخلنا شهاب الرجم ابرة خائط * مسوحا وما يبقى من الذنب الخيط

وقلت أودع صديقا أنست به

فلاحة مثلى بمقونة * وان أعجب البدء منها وراق

زرعت اللقاء وعالجته * فلم أستفد منه الا الفراق

ومن تضمين المثل

لا تهيج بالذكر فى كبدى * نار وجد شق محتمله

ويقول الناس فى مثل * لا تحرك من دنا أجله

ومن المدح

عجبا لراحتك الملثة بالندى * أن لا تكون على الغمام غماما

يهمى ووجهك نوره متألق * والقطر ان سجب السحاب اغاما

ومن أبيات المدح

يا ناصر الدين لما قل ناصره * ومطلع الجود فى الدنيا وقد أفلا

لولا التشهد والتردد منك له * لم يسمع الناس يوما من لسانك لا

ومن أوصاف صنيع سلطانى

ماذا أحدث فى صنيع خلافة * هشت اليه الشهب فى آفاقها

فكأنما الجوزاء حين تعرضت * شدت لتخدم فيه عقد نطاقها

ومن قصيدة فى وصف فرس

فبوّأته من مهجتي متبوّأ * خفيا على سرّ الفؤاد المكتم
ويا عجبا مني وفرط تشيعي * أهيم بوجدي فيه وهو ابن ملجم

ومن الحماسة في التورية بالمنطق

حتى اذا فرض الجلاد جداله * ورأيت ريح النصر ذات هبوب
قدمت سالبة العدو وبعدها * أخرى بعز النصر ذات وجوب
واذا توسط حد سيفك عندما * جزأى قياس فزت بالمطلوب

وفي خاتمة قصيدة

ماضرني ان لم أجئ متقدما * السبق يعرف آخر المضمار
ولئن غدا ربع البلاغة بلقعا * فلرب كنز في أساس جدار

ومن المدح

ان أبهم الخطب جلى في دجنته * رايا يفرّق بين الغيّ والرشد
وان عنا الدهر أبدى من أسرّته * وكفه هدى حيران وري صدى
وان نظرت الى لالاء غرّته * يوم الهياج رأيت الشمس في الاسد

ومن الاوصاف في قصيدة

كم ليال بت في ظلمائها * امتطي من نار شوقي فرسا
وكان النجم شرب ثمل * واصل الثملة حتى ارتعشا

ومن التورية بالكفتين من الحيل العددية

لا عدل في الملك الا وهو قد نصبه * وصير الخلق في ميزانه عصبه
والكفتان ترى من كفه درتا * أن تخرج العدد المجهول للطلبه

وفي رجل يحتال على الولاية

حلفت لهم بأنك ذو يسار * وذو ثقة وبرّ في اليمين
ليستندوا اليك بحفظ مال * فتأكل بالیسار وباليمين

وقلت ولهما حكاية تظهر من الابيات

قلت لما استقل مولاي زرعي * ورأى غلة الطعام قليله
دمنتي لا تجاعي الحرث كلت * فهي اليوم دمنة وكليله

ومما صدّرت به كتابا لاحد الفضلاء

يا من تقلد للعلاء سلوكا * والفضل صيّر نهجه مسلوكا
كاتبتني متفضلا فملكتني * لازلت منك مكاتبا مملوكا

وقلت في غرض يظهر منه

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد في الجو احتكام
فاذا ماسألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت من التورية

يا ما لكي بخلال * تهدي الى القلب حيره

اضرمت قلبي نارا * يا مالك بن نويره

وقلت أيضا

أضاف الى الجفون السود شعرا * كجنح الليل أوصبغ المداد
فقلت اميرهذا الحسن تزكو الاجور له بتكثير السواد

وقلت أيضا

يا بى بدر غزانى * مستبيحا شرح صدرى
فانا اليوم شهيد الحب من غزوة بدر

وقلت ولهما حكاية

ايا ليلة بالخصب لم تأل شهرة * كما اشتهرت فى فضلها ليلة القدر
فآمن قلب اللوز من علة النوى * واصبح فيها التين منشرح الصدر

ومن النزعات المشرقية فى التورية

يا قائدى نحو الغرام بمقلة * نفقت حلاوتها بكل فؤاد
ماذا جنيت على من مضض الهوى * الله ينصف منك ياقوادى

ومن هذا النمط المشرقى

وقالت حلقت الكس منى بنورة * فقلت لها استنصرت من ليس ينصر
الا فابلغى عنى فديتك واصدقى * محلق ذاك الكس انى مقصر

ومنها

قال لى والدموع تنهل سحبا * فى عراض من الخدود محول
بك مابى فقلت مولاى عافا * ك المعافى من عبرتى ومحولى
انا جفنى القريح يروى عن الاعـ * ـمش والجفن منك عن مكحول

ومن أبيات التورية أو ما داخلته

فى مصر قلبى من خزائن يوسف * حب وعير مدامعى تمتاره
حلبت شعرى باسمه فكأنه * فى كل قطر حله ديناره

ومن المدح أيضا ولا أستحضر لقبه

رأيت بكفك اعتبارا * باسا وندى ما ان يبارى
فقلت وقد عجبت منها * يا بحر متى تدعو نوارا

وقلت مما يجرى مجرى الحكم

ان الهوى لشكاية معروفة * صبر التصبر من اجل علاجها
والنفس ان الفت مرارة طعمه * ضمنت بذاك صلاح مزاجها

ومن الغرائب فى الاوصاف

كانما الروض ملك * باهى به جلساه
يرضى النديم فيهما * سقى الرياض كساه

وفى غرض النسيب

أصبح الخد منك جنة عدن * مجتلى أعين وشم أنوف
ظلاته من الجفون سيوف * جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقلت فى النسيب

أرسلت طرفى فى حلاك بنظرة * هى كانت السبب الغريب لما بى
وأراك بالعبرات قد عاقبتها * ليس الرسول بموضع لعقاب

ومن تحسين القبيح

وأحول يعدى القلب سهم جفونه * فتضحى صحيحات القلوب به مرضى
رأى الحسن أن اللحظ منه مهند * فحرفه كيما يكون له أمضى

ومن النزعات الحسنة

من لى بذكرى كلما أوجستها * تعسو سلوى واشتياقى تثبت
وسحاب دمع كلما أمطرته * غير القتاد بمضجعى لا ينبت

ومن النسيب

جاء العذار بظل غير ممدود * فنتهى الحسن منه غير محدود
ناديت قلبى اذ لاحت طلائعه * ياصبر أيوب هذا درع داود

وفى نقيضه

ما ضر منى ان أخلفت موعودى * وروض خدك أضحى ذاوى العود
وقال قوس عذار فوق صفحته * سفينة الحسن قد حطت على الجودى

ومن التضمين

يامن باكناف فؤادى ربع * قد ضاق بى عن حبك المتسع
ما فيك لى جدوى ولا أرعوى * شح مطاع وهوى متبع

ومن الاغراض المخترعة

أنكرت لما أطل عارضه * فقال لى حين رابه نظرى
ألم تقل لى بانى قمر * فانظر الى وبرا رنب القمر

ومن التضمين

يا كوكب الحسن يامعناه ياقمره * ياروضه المتناهى الريع ياثمره
امرتنى بساو عنك ممتنع * مامور حسنك لما يقض ما أمره

وقلت

لما رضيت بفرقتى وبعادى * وصرمت آمالى وخنت ودادى
لاعنت أم الصبر فيك وبعده * ورثت لك الاشجان كنز فؤادى
فالصبر منى أجنبى بعدها * ولواعج الاشجان من أولادى

ومن الاغراض المشرقية

سار بى لامير يشكو اعتراضى * يوسف والشهود أبناء جنسه
قال لى ما تقول قلت مجيبا * لم نخف من نكاله أو لبسه

حصحص الحق يا خوند فدعنى * أنا راودت يوسفا عن نفسه

ومن الاوصاف

بتنا نطارح هم القحط ليلتنا * وأيد الهم والسهد البراغيثا
وكان يحمد ما كنا نكابده * من المشقة لو أن البراغيثا

وفى قريب من المعنى

وقالوا بدت منكم على الجسم حمرة * فقلت براغيث لكم رقطونا
عدت نحونا ليلا ومن بعدنا اعتدت * كما رقصت فى القلوبزر قطونا

ومن التضمين

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه
الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

وفى رثاء السلطان أبى الحجاج رحمه الله تعالى

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب
يا يوسف أنت لنا يوسف * وكلنا فى الحزن يعقوب

وقلت ولهما حكاية

طال حزنى لنشاط ذاهب * كنت أسقى دائما من حانه
وشباب كان يندى نضرة * نزل الثلج على ريحانه

وقلت وقد اعجبنى نشاط ولدى

سرق الدهر شبابى من يدى * ففؤادى مشعر بالكمد
وحمدت الامر اذ أبصرته * باع ما أفقدنى من ولدى

وقلت ولهما حكاية

قلت للشيب لا يريبك جفائى * فى اختصارى لك البرور ومقتك
انت بالعتب يا مشيبى أولى * جئتنى غفلة وفى غير وقتك

ومما خططته فى رملة نزلتها

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقلت أيام مقامى ببسلا

ايا أهل هذا القطر ساعده القطر * بليت فدلونى لمن يرفع الامر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطا * وفى شغلى أونومتى سرق العمر

وقلت والبقاء لله وحده وبه نختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت
كيف ترجو حالة البقيا لمصباح وزيت

انتهى ما نقلته من الاحاطة من ترجمة نظامه وبعض ما ذكر هنا قد تقدم وكررته لكونه

بلفظه فى الاحاطة وقد ذكرت أثناء الابواب غير هذا الباب من نظم لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ولتعزز ذلك هنا بذكر ما لم يتقدم ذكره اذ نظمه بحر لا ساحل له ولذا كتب ابنه أبو الحسن على هذا المحل من الاحاطة ما صورته ولوالدى أيضا المترجم به رحمه الله تعالى فى سكين الاضاحى لسلطانه أبى الحجاج يوسف بن نصر فيما يكتب بالسكين المضحية

لى الفخران أبصرتنى أو سمعت بى * على كل مصقول الغرارين مرهف
كفانى فخرا أن ترانى قائما * بسنة ابراهيم فى كف يوسف

ومقطوعاته كثيرة لم يتضمن هذا الديوان منها الا القليل بسبب الاختصار ومن اراد الوقوف على جملتها فعليه بكتاب الصيب والجهام فى شعره رحمه الله تعالى قال ذلك ولده على لطف الله تعالى به آمين انتهى *(فمن ذلك) قوله رحمه الله تعالى

عسى خطرة بالركب ياحادى العيس * على الهضبة الشماء من قصر باديس
لنظفر من ذاك الزلال بغلة * ونتعم فى تلك الظلال بتعريس
حبست بها ركبى فواقا واغما * عقدت على قلبى بها عقد تحبيس
لقد رسخت آى الجوى فى جوانحى * كما رسخ الانجيل فى قلب قسيس
بميدان جفنى للسهاد كتيبة * تغير على سرح الكرى فى كراديس
ومابى الانفحة حاجرية * سرت والدجى مابين وهن وتغليس
ألا نفس ياريح من جانب الحمى * تنفس من نار الجوى بعض تنفيس
ويا قلب لاتلق السلاح فربما * تعذر فى الدهر اطراد المقاييس
وقد تعقب الايام بعد عتابها * وقد يعقب الله النعيم من البوس
ولا تخشى لج الدمع ياخطرة الكرى * الى الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
تقول سليمى ما الجسمك شاحبا * مقالة تأنيب يشاب بتأنيس
وقد كنت تعطو كلما هبت الصبا * بريان فى ماء الشبيبة مغموس
ومن رابح الايام يابنة عامر * بجوب الفلا راحت يداه بتفليس
فلا تحسبى والصدق خير سجية * ظهورا النوى الابطون النواميس
وقفراء أما ركبها فضليل * ومربعها من آنس غير مأنوس
سحبنا بها من هضبة لقرارة * ضلالا وملنا من كئاس الى خيس
اذا مانهضنا عن مقيل غزالة * نزلنا فعرسنا بساحة عريس
أدرنا بها كاسادها قام من السرى * أملنا بها عند الصباح من الروس
وحانة خمار هدانا لقصدها * شميم الحيا واصطكاك النواقيس
تطلع ربانيها من جداره * يهيم فى جنح الظلام بتقديس
بكرنا وقلنا اذ نزلنا بساحة * عن الصافنات الجرد والضمر العيس
اياعابد الناسوت انا صبابة * أتينا لتثليث بلى ولتسديس
وماقصدنا الا المقام بحانة * وكم ألبس الحق المبين بتلبيس
فأنزلنا فورا على جنباتها * محاريب شتى لاختلاف النواميس

بدرنا بها طين الختام بسجدة * أردنا بها تجديد حسرة ابليس
ودار العذارى بالمدام كانها * قطاتتهادى فى رياش الطواويس
وصار فنافيها نضارا بمثله * كانا ملانا الكاس ليلا من الكيس
وقمنا نشاوى عند ما متع الضحى * كما نهضت غلب الاسود من الخيس
فقال لبئس المسلمون ضيوفنا * أما وأبيك الخبر ما نحن بالبيس
وهل فى بنى مثوى الامبرز * بحلبة شورى أو بحلقة تدريس
اذا هز عسال اليراعة فاتكا * أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
يقلب تحت النقع مقلة ضاحك * اذا التفت الابطال عن مقل شوس
سبينا عقار الروم فى عقر دارها * بحلية تمويه وخدعة تدليس
لئن أنكرت شكلى ففضلى واضح * وهل جائز فى العقل انكار محسوس
رسبت بأقصى الغرب ثغر مضلة * وكم درة علياء فى قاع قاموس
وأغربت سوسى بالعذيب وبارق * على وطن دانى الجوار من السوس

قوله الغرب فى نسخة الارض اه

(ومن أبدع ما صدر عن لسان الدين رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التى خاطب بها سلطانه حين عاد من المغرب الى الاندلس واعاد الله تعالى عليه ملكه الذى كان خلع منه ويقال ان السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء اعجابا بها وانها الى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التى استولى عليها العدو الكافر اعادها الله تعالى للاسلام وأول هذه القصيدة

الحق يعلو والاباطل تسفل * والله عن أحكامه لا يسأل

قال لسان الدين رحمه الله تعالى نظمتها للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس كان صنع الله تعالى براعة استهلالها ووجهت بها اليه الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح وفاء بنذرى وسميتها المنح الغريب فى الفتح القريب ومنها

واذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل
واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل
والمستعد لما يؤمل ظافر * وكفالك شاهد قد وافوا كلوا
أمحمد والحمد منك سجية * بحليها دون الورى تتحمل
أما سعودك فهو دون منازع * عقد بأحكام القضاء مسجل
ولك السجايا الغر والشيم التى * بغريبها يتمثل المتمثل
ولك الوقار اذا تزلزلت الربا * وهفت من الروع الهضاب الميل
عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما يكمل
تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الجانى الذى * أرضاك فيما قد جناه الاول

والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لاتعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل
والبحر قد حنيت عليك ضلوعه * والريح تقطع للزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت وقد غدت * تختال فى برد الشباب وترفل
جوفاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل

ومنها

صبحتهم غرر الجياد كانما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجلاد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيدا كما التفت الظليم وفوقه * اذن عشقة وطرف اكحل
فكانما هو صورة فى هيكل * من لطفه وكانما هو هيكل

ومنها

وخليج هندراق حسن صفاته * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته الشمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه * مورد والشط منه مهدل
وبكل أزرق ان شكلت ألحاظه * حمر العيون فبالحجاجة تكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له أن النجيع بطرفه * رمد ولايخفى عليه مقتل

ومنها

لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مشتجر القنا * اذ ثوب الداعى المهيب وأقبلوا
قوم اذا الفتح المجير وجوههم * جبوا برايات الجهاد وظللوا

وهى طويلة لم يحضرنى الآن منها سوى ما كتبته ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

يا امام الهدى وأى امام * أوضح الحق بعد اخفاء رسمه
انت عبد الحليم حلمك نرجو * فالمسمى له نصيب من اسمه

وقال يخاطب عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى أبا مالك ابن سلطان افريقية مودعا

أبا مالك أنت نجل الملوك * غيوث الندى وليوث النزال
ومثلك يرتاح للمكرمات * ومالك بين الورى من مثال
عزيز بأنفسنا أن نرى * ركابك مؤذنة بارتحال

وقد خبرت منك خلقا كريما * أناف على درجات الكمال
وفزت لديك بساعات أنس * كما زار فى الليل طيف الخيال
ولولا تعللنا أننا * نزورك فوق بساط الجلال
ونبلغ فيك الذى نبتغى * وذاك على الله سهل المنال
لما فترت أنفس من أسى * ولا برحت أدمع فى انهمال
تلقتك حيث احتللت السعود * وكان لك الله فى كل حال

وتوفى أبو مالك المخاطب بهذا فى بلاد الجريد سنة ٧٤٠ ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المتراكشية حاطها الله تعالى

ماذا أحدث عن بحر سبحت به * من البحار فلا اثم ولا حرج
وعاه مبتدع الاشياء مستويا * ما ان به درك كلا ولا ادرج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا * صحت ابشرى يا مطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة * والشاهد العدل هذا الطيب والارج

وقال رحمه الله تعالى

كأنا بتنا مستنا نجوس خلالها * وممدودها فى سيرنا ليس يقصر
مراكب فى البحر المحيط تخبطت * ولا جهة تدرى ولا البر يبصر

وقال سامحه الله تعالى وهو مكتوب بالمدرسة التى بناها السلطان أبو الحجاج بن نصر رحمه الله تعالى

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم * وتبقى عهود الجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا * وتجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر منى حضرة الملك كلما * تقدم خصم فى الفخار الى خصم
فاجدى اذا ضن الغمام من الحيا * وأهدى اذا جن الظلام من النجم
فياطالما عنا للعلم يطلب رحلة * كفيت اعتراض البيد أو لجج اليم
ببابى حط الرحل لا تنو وجهة * فقد فزت فى حال الاقامة بالغنم
فكم من شهاب فى سمائى ثاقب * ومن هالة دارت على قمر تم
يفيضون من نور مبين الى هدى * ومن حكمة تجلو القلوب الى حكم
جزى الله عنى يوسفا خير ما جزى * ملوك بنى نصر عن الدين والعلم

وقال رحمه الله تعالى مررت يوما مع شيخنا أبى البركات بن الحاج ببعض مسالك غرناطة حرسها الله تعالى فأنشدنى من نظمه

غرناطة ما مثلها حضره * الماء والبهجة والخضره

واستجازنى رحمه الله تعالى فقلت

سكانها قد أسكنوا جنة * فهم يلقون بها نضره

وقال فى توريه طبية

انى وان كنت ذا اعتلال * رث القوى بين الهزال

فى عارض التيس لى شفاء * فكيف فى عارض الغزال

وقال رحمه الله تعالى يخاطب شيخه سيدى أبا عبد الله بن مرزوق موطئا على بيت المشارقة فى العذار

أما والذى تبلى لديه السرائر * لما كنت أرضى الخسف لولا الضرائر
غدوت لضيم ابن الريب فريسة * اما ثار من قومى لنصرى ثائر
اذا التمست كفى لديه جرايتى * كانى جان أو بقته الجرائر
وما كان ظنى أن أنال جراية * يحكم من جرائها فى جائر
متى جاد بالدينار أخضر زائفا * ودارته دارت عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيت كيس مرارتى * ورقت لبلواى النفوس الاماثر
تذكرت بيتا فى العذار لبعضهم * له مثل بالحسن فى الارض سائر
وما اخضر ذاك الخد بيتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر
وجاه ابن مرزوق لدى ذخيرة * وللشدة العظمى تعد الذخائر
ولو كان يدرى مادهانى لساءه * وأنكر ما صارت اليه المصائر

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحد الشرفاء

أعيا اللقاء على الالمحة * فى جملة لاتقبل التفصيلا
فجعلت بابك عن يمينك ناتبا * أهديه عند زيارتى تقبيلا
فاذا وجدتك نلت ما اتلته * أولم أجدك فقد شفيت غليلا

ولما دخل رحمه الله تعالى مدينة انفا ومر منها على دار عظيمة تنسب الى والى جبايتها عبو من بنى الترجمان قارون قومه وغنى صنفه قال

قد مررنا بدار عبو الوالى * وهى ثكلى تشكو صروف الليالى
أقصدت ربها الحوادث لما * رشقته بصائبات زوال
كان بالامس واليا مستطيلا * وهو اليوم ماله من وال

وقال فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى

لله درك يا ابن بطان فما * لشهير جودك فى البسيطة جاحد
ان كان فى الدنيا كريم واحد * يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلك جعفرا يحيا به * ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا فى مفرد * ولدكما شاء العلاء ووالد
وهى الليالى لاتزال صروفها * يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما * قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله تعالى وقد انتابه البرغوث

زحفت الى تركائب البرغوث * ثم الظلام بركبها المحثوث
بالحبة السوداء قابل مقدمى * لله أى قرى اعد خبيث
لسحت بهن ذباب سرح تجلدى * ليلا فجبل الصبر جد رثيث

ان صابرت نفسى اذاه تعبدت * أوصحت منه انفت من تحنيثى
جيشان من ليل و برغوث فهل * جيش الصباح لصرختى بغيث

وقال يخاطب الوالى محمد بن حسون بن أبى العلا وصدر بها رسالة

لم يبق لى جود الولاية حاجة * فى الامن أوفى الجاه أوفى المال
بعد اللقاء أولى الفضائل بغيتى * ورأيت هذا القصد شرط كمال
أجلته وتشوقت لبيانه * هم فكنت مفسر الاجمال
وخصصت بالالقاء غيرك غيرة * وجعلت ذكرك شاهد الاعمال
للبست يا ابن أبى العلا قشب الملا * وتركت أهل الارض فى أسمال
ان دون الفضلاء فضلا معلما * فلقد أتيت عليه بالاكمال
تثنى عليك رعية آمالها * فى أن تفوز يداك بالا مال
أرعيتها هملا فلم يطرق لها * بمنيع سورك طارق الاهمال
من كنت واليه تولته العلا * ومن اطرحت نعاله من وال

وقال فى عثمان بن يحيى بن عمر بن روح

أسمى ذى النورين وجهك فى الورى * شمس الضحى حلت ببلث عرين
ان تفتخر بمرين أرض العدوة القصوى فانك أنت فخر مرين

وقال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار اليه أمرها

بلد قد غزاه صرف الليالى * وأباح المصون منه مبيح
فالذى خر من بناه قتيل * والذى خر منه بعض جريح
وكان الذى يزور طبيب * قد تأتى له بها التشريح
اعجمت منه أربع ورسوم * كان قد مابها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى * وجمال اخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما * أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى * قال ماشاء ذابل وصفيح
حين شبت لهم من الباس نار * ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر ينـدب المؤثر لما * طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى * جسد بعد ما ولى الروح

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحمد بن يوسف حفيد الولى الصالح سيدى ابى محمد صالح النائم فى ظل حصنه رحمه الله تعالى

يا حفيد الولى يا وارث الفخـ * ـر الذى نال فى مقام وحال
لك يا احمد بن يوسف جبنا * كل قطر يعيى اكف الرحال

وقال فى نفاضة الجراب لما خرجت من اسفى سرت الى منزل ينسب الى ابى حذو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف واجزل وآنس فى الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفته فكتبت له

نزلنا على يعقوب نجل أبي حذو * فعرفنا الفضل الذي ماله حد
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى * فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه * ويلقاه منا البر والشكر والحمد

وقال

أألقى الى الايام فضل مقادتي * فتجنبني ما بين كدو راهق
واتلف بين الخلق والرزق فكرتي * ولست بخلاق ولست برزاق
اذا كنت بالاثراء لي في تملق * رضيت بعز النفس في عز املاق

وقال

لك الملك ملك الحسن فاقض بنا الذي * تشاء فما يعصى لامرك واجبه
اذا ما كسرت اللحظ من تحت حاجب * تحكم في الالباب كسرى وحاجبه

وقال

سألنا ربيع العام للعام رحمة * فضن ولم يسمح بذرة انعام
فقلنا وقد ردت الوجوه ولم يبل * قليل الحيا قبحت والله من عام

وقال

تخونه صرف الزمان وهل ترى * بقاء لحي أو دواما على أمر
هو الدهر ذو وجهين يوم وليلة * ومن كان ذا وجهين يعتب في غدر

وقال رحمه الله تعالى في شجر الجوز

انظر الى بنمي وحسن بسوقي * يهفو النسيم بقدي المشوق
يجلو اللواحظ منظري حسنا كما * يجلو ثغور الغانيات عروقي

وقال رحمه الله تعالى في ساق

كيف آمنتما على الشرب طبيا * لحظه في القلوب غير أمين
راح يسقي فصب في الكاس نزرا * ثقة منه بالذي في العيون

وقال يخاطب السلطان

أنت للمسلمين خير عماد * وملاذ وأي حرز حريز
لو رأى ما شرعت للخلق فيه * عمر الفاضل بن عبد العزيز
لجزى ملكك المبارك خيرا * وقضى بالشفوف والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل * وبقول معول أو وجيز
كل ملك يرى بصحبة أهل العلم قد باء بالمحل العزيز
فاذا ما ظفرت منهم باكسير ملأت البلاد من ابريز
والبرايا تبيد والملك يفنى * أين كسرى الملوك مع ابرويز

وقال رحمه الله تعالى

مالي أهذب نفسي في مطامعها * والنفس تأنف تهذيبي وتهذيبي
اذا استعنت على أهلي بتجربة * تأبى المقادير تجريبي وتجربي

وقال

وقال

من لانصيب لصحبه فى خيره * واذا سعى لم يقض حاجة غيره
فاقصد أباه متى أردت وقل له * الله يلهمه العزاء بأجره

وقال رحمه الله تعالى

أمستخرجا كنز العقيق بآماق * أناشدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى اطواقى

وقال رحمه الله تعالى

اذا لم أشاهدمنك قبل منيتى * نهاية آمالى وغاية غاياتى
فحسن عزائى حيل بينى وبينه * وقرة عينى لم تحل بمرآتى
شهود لك امنى من عداة خواطرى * وقربك حرزى من توقع آفات
فان لم يكن وصل فهبها اشارة * فيا حسن شاراتى بها من اشارات

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الدنيا

دنيا خدعت الذى سفرت له * عن صفحة لم يحل بها كرم
سرقت حظ الاله من يده * فهان ما كان منه يحترم
هذا الذى نال منك ليس له * منقطع دائم ومنصرم
وهبه نال الذى أراد أما * بين يديه المشيب والهرم

ولما أورد رحمه الله تعالى قول القائل فى وصف الدنيا

كلما أنبت الزمان قناة * ركب المرء فى القناة سنانا
وكانا لم نرض فيها بريب الـ * ـدهر حتى أعانه من أعانا

قال اثره ما نصه والحق ما قلته من أبيات تناسب ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله

والله ان لم يدار كها وقد وحات * بلمحة أو بلطف من لدنه خفى
ولم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائرا الا الى تلف

فحب الدنيا رأس كل بليه ولولا لم تزل النفس صافية عالية عن سجيتها الاوليه انتهى
ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

ان رأى الحق فيك منه بقيه * فاتق البعد فيه حق التقيه
واذا لم يكن لذاتك رسم * قائم تلك حالة حقيه

وقوله رحمه الله تعالى

فسامح اذا مالم تفدك عبارة * وان أشكلت يوما فخذها كما هيا
وتلخيص ما دندنت بالقول حوله * اذا قمت بالباقى فما زلت باقيا

وقال رحمه الله تعالى

ففى عالم الاسرار ذاتك تجتلى * ملامح نور لاح للطور فانهدا
وفى عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشفى من استشفى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا ان ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولا حدا

قوله ثبت هكذا تقدم فى سرد القصيدة وفى نسخة هنا أتيت وفى أخرى هديت اه

وهذه الابيات فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وقال رحمه الله تعالى

حمامة البان ماهذا البكاء على * مر الليالى وماذا البث والحزن
لامنزل بنت عنه أنت تندبه * ولاحبيب ولاخل ولاسكن
لو كنت تنفث عن شوق منيت به * اذا لصار رمادا تحتك الغصن

وقال رحمه الله تعالى مضمنا

أمط عنك مهما استطعت كل ارادة * والا فغير القوم عنك بعيد
تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

وقال رحمه الله تعالى

تعلقته من دوحة الجود والباس * قضيبا لعوبا بالرجاء وباليأس
ضروبا بضرب للبراعة والقنا * طروبا بحمل المشرفية والكاس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه * جمال رواه فى تأرج أنفاس
ويبدو لعينى شعره وجبينه * اذا ماسفحت الحبر فى صفح قرطاس

وقال رحمه الله تعالى

أحب لحبها جملى ورحلى * وعزمى والقتادة والطريقا
ومن أخشاه من سبع ولص * فكيف فريقها سلوا فريقا
وكيف أخص باسم الحب ان لم * أحب لاجلها الاصديقا

وقال رحمه الله تعالى وقلت من قصيدة

انا سخنة الاكوان أدمج خطها * فسر ذوى التحقيق فى طى أوراقى
فمن عالم الاشباح ليلى وظلمتى * ومن عالم الارواح نورى واشراقى

وقال رحمه الله تعالى

مولاى مولاى ان أرضاك بذل دمى * فقد أتيت به أسعى على قدمى
وان تعاظم ذنب قد جنته يدى * وطال قرعى عليه السن من ندم
فهبه لى واغتفر ما كان من خطا * وزلة وارع لى حبى على القدم

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده

بولى الله فابدأ وابتدر * واحد الآحاد فى باب الورع

قلت هذا الولى هو العارف بالله تعالى سيدى الحاج أحمد بن عاشر أحد الصلحاء أصحاب الكرامات المشهورة بالمغرب وقد زرت قبره بسلا عام تسعة وألف وهو أحمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الاندلسى نزيل سلا الولى الزاهد المشهور بالمناقب والاحوال قال ابن عرفة ما أدركت مبرزا فى زماننا هذا الا الشيخ أبا الحسن المنتصر وأحمد بن عاشر بسلا انتهى وقال بلديننا أبو عبد الله بن صعد التلمسانى فى كتابه النجم الثاقب فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروفا بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد

ملازما للقبور في الخلاء المتصل بحرم مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر في أمر الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع له العلم والعمل والقي عليه القبول من الخلق شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكر والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل اليه عام سبعة وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فاجابه بما قطع رجاءه منه وأيس من لقائه واشتد حزنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى يجيبه الله عنا انتهى ولما أجرى ذكره لسان الدين في نفاضة الجراب قال ما ملخصه ولقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع القرين فرارا عن زهرة الدنيا وعزفا عنها واغفاء في الورع وشهرة بالكشف واجابة الدعوة وظهور الكرامة أبا العباس بن عاشر يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبة تأتيه وكنف هيبته قاعدا بين القبور في الخلاء رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة قد ضربه أهل الدنيا وبطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من قاصده مجرم للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به انتهى وقال ابن الخطيب القسطيني الشهير بابن قنفذ لقيته بسلا سنة ٧٦٣ وهو على أتم حال في الورع والفرار من الامراء والتمسك بالسنة وهو الشيخ الفقيه الولي توفي في سنة خمس وستين وسبعمائة انتهى وممن انتفع به ونال بركته الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم وقد ترجمناه في هذا الكتاب وقال ابن عباد المذكور في رسائله وقد كنت قدما خرجت في يوم مولده صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الاكل فقلت اني صائم فنظر الي سيدي الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظني من النوم انتهى وقال ابن قنفذ السابق في رحلته ما صورته وكان ابن عاشر رحمه الله تعالى فريدا في الورع ميسرا عليه في ذلك أتم تيسير محفوظا من كل ما فيه شبهة كثير النفور من الناس وخصوصا أصحاب الولاية في الاعمال وخرجت على يده تلامذة نجباء أخيار وطريقه أنه جعل احياء علوم الدين بين عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد وصدق وانقياد وكان الحجة في ذلك الطريق وأول اجتماعي به نفرمني فجبيته بيدي وهززته فتبسم ووقف معي وسألني عن نسبي ودعا لي وطلبته بما يطعمني فاعتذر لي بالاقلال ثم قال أمهل فدخل وأخرج لي حبات تين يابسة في يده اليمنى وغطاها باليد اليسرى ودفعها الي وضحك معي وعجب الحاضرون من لياقته وانشراحه معي لانه لا ينبسط الى أحد وحصل لي بذلك فخر لا يدرى قدره الا من حاول بعضه معه وقصدني كثير من الخواص فسألني عن مجلسي معه وما وقع من جوابه وسؤاله وقد حاول ملك المغرب لما ارتحل اليه في عام سبعة وخمسين وسبعمائة على لقائه فلم يقدر عليه بوجه ويجيبه الله تعالى حتى تبعه يوم جمعة من الجامع الاعظم على قدمه والناس ينظرونه وهو لم يره فرجع ولم يكن قوته الا من نسخ العمدة في الحديث وكيف يبيعها ولمن يبيعها ولا يأخذ الا قيمتها ولم تزل

قوله على لقائه لعله ضمن حاول معنى تحيل تأمل اه مصححه

حالته وبركته فى زيادة الى أن توفى سنة ٧٦٥ وسأله بعض الاخيار بحضرتى عن الفرق بين مكاشفة المسلم ومكاشفة النصرانى لوجود ذلك من بعضهم فقال المسلم الذى له هذه الدرجة يبرئ من العاهة والنصرانى لا يبرئ ثم قال وهل يبرئ الفقيه من العاهة فقال له نعم ثم نظر يمينا وشمالا ليجد صاحب عاهة فيأتى بالعيان فلم يجد أحدا وكانه اغتاظ لهذا السؤال ثم أخرج يده وقال يأتى لمن يقعد عن الحركة فيجسه بيده ويقيمه وقد ذهب ألمه بعد أن جثا الى الارض فى الصفة ثم قال وسئل بعضهم عن هذا وكان السائل نصرانيا فى زى المسلم فقال له الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك قال فسقط وفضحه الله تعالى وأسلم بسبب ذلك انتهى كلام ابن قنفذ القسطمينى رحمه الله تعالى وترجمة ولى الله تعالى سيدى الحاج ابن عاشر نفعنا الله تعالى ببركاته متسعة جدا وكراماته ومناقبه لا تبلغ لها حدا ولا نطيق لها عدا وانما ألممنا بذكره قصد التبرك به والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (رجع) الى نظم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول ومن مداعبات رحمه الله تعالى قوله

ومولع بالكتب يبتاعها * بأرخص السوم وأغلاه
فى نصف الاستذكار أعطيته * مختصر العين فأرضاه

ويعنى بمختصر العين الزبيدى فافهم وقال رحمه الله تعالى من قصيدة

ووالله ما اعتل الاصيل وانما * تعلم من شجوى فبان اعتلاله

وهذا غاية فى المبالغة وحسن التعليل * وقال رحمه الله تعالى ووقفت على قبر المعتمد بالله فى مدينة اغمات فى حركة راحلة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار عام واحد وستين وسبعمائة وهو بمقبرة اغمات فى نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جنبه قبر اعتماد حظية مولاه رميك وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن ملوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتى لجادت فيه أبياتى
أتاف قبرك فى هضب يميزه * فتنتضيه حفيات النحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فأنت سلطان أحياء وأموات
مازى ممثلك فى ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر فى حال ولا آت

وقد تقدم هذا فى القسم الاول فى الباب السابع منه وكررته هنا والله الموفق * وقال رحمه الله تعالى مورّيا حين أكل مشرف الدار القابض أى أكل ماله

مشرف دار الملك ما باله * منتفخ الجوف شكالا فضا
فقيل لى ليس به علة * لكنه قد أكل القابضا

وقال

يا نفس لا تصغى الى سلوة * كم أخلف الموعد عرقوب

وأنت يا قلبي وصالك ابراهيم بالحزن ويعقوب

وقال في السعيد أبي بكر ابن السلطان ابن عنان

أمير كان نير الدجى * أفاض الضياء على صفحتيه
تملأ قلبي من حبه * غداة نظرت بعيني اليه
فلا بسط الدهر كف الردى * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

وقال يخاطب الخطيب بن مرزوق

تعلم طيقوري خلال سفيه * وان كان منسوبا الى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خرقة * فليس براض غير صحبة صوام
فديتك لا تردده عنك مخيبا * ودرسه يا مولاي قصة بلعام

وقال مما كتبت به الى ابن مرزوق المذكور وقد وصل ولده الى سلا ومنع ابن الخطيب عن لقائه عذر مرض وكان نزوله بزاوية النساك

صدني عن لقاء نجلك عذر * يمنع الجسم عن تمام العباده
واختصرت القرى لان حط رحلا * في محل الغنى ودار الزهاده
ولوانى احتفلت لم يعن الدهر ولانالت بعض بعض اراده
وعلى كل حالة فقصوري * عادة اذ قبولك العذر عاده
لاعدمت الرضا من الله والحسنى كما نص وحيه والزياده

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبي الحسن بشالة لاستنهاض عزيمته في قضاء فرضه

برئت لله من حولي ومن حيلي * ان نام عني ولي فهو خير ولي
أصبحت مالي من عطف أؤمله * من غيره في مهمات ولا بدل
ما كنت أحسب أن أرمى بقاصية * للهجر أقطع فيها جانب الامل
من بعد ما خلصت نجوى الشفاعة ما * بين العلا والدجا والبيض والاسل
ان كنت لست بأهل للذي طمحت * اليه نفسي وأهوى نحوه أملي
فكيف يلفى ولا ترعى وسيلته * دخيل قبر أمير المسلمين علي
من بعد ما اشتهرت حالي به وسرت * بها الركائب في سهل وفي جبل
والرسل تترى ولا تخفى نتائجها * عند التأمل من قول ولا عمل
ولا لليلي من صبح أطالعه * كان همي قدمة الجنة لي
لو أنني بابن مرزوق عقدت يدي * وكان محتكما في خيرة الدول
لكان كربي قد أفضى الى فرج * وكان حزني قد أوفى على جذل
المحت بالعتب لم أعذر مواقعه * أنا الغريق فما خوفي من البلل
ولست أجحد ما خولت من نعم * لكنها النفس لا تنفك عن أمل
ولست أيأس من وعد وعدت به * وانما خلق الانسان من عجل

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا الحجاج

أمولاي ان الشعر ديوان حكمة * يفيد الغنى والعز والجاه من كانا

وقد وجد المختار في الحفل منصتا * له وحبا كعبا عليه وحسانا
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا * بذلك ديوانا صحيحا فديوانا
بان أبا بكر خليفته الرضا * وفاروقه الادنى اليه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعهم * وكرمنا بالقرب منهم وحيانا
لهم في ضروب القول اذ هم فحوله * خطاب وشعر يستقران تبيانا
وفاض على أهل القريض نوالهم * فروض روض القول سحا وتهتانا
وأنت أحق الناس أن تفعل الذي * به فعل المختار دينا وايمانا
فمازلت تهدى في البرية هديه * وتقضى بما يرضيه سرا واعلانا
وان قيل قدر المرء ما هو يحسن * فصنعة نظم القول أرفعه شانا

وقال مورّيا

نفسي حبيب في ثناياه بارق * ولكنها للواردين عذاب
اذا كان لي منه عن الوصل حاجر * فدمعي عقيق بالجفون مذاب

وقال

عذبت قلبي بالهوى فقيامه * في نار هجرك دائما وقعوده
ولقد عهدت القلب وهو موحد * فعلام يقضي في العذاب خلوده

وقال في التجنيس

دعوتك للود الذي جنباته * تداعت مبانيها وهمت بأن تهي
وقلت لعهد الوصل والقرب بعدما * ثناءي وهل أسلو حياتي وأنت هي
ومن شام من جو الشبيبة بارقا * ولم تنهه عنه النهى كيف ينتهي

وقال

نادبت دمعي اذ جد الرحيل بهم * والقلب من فرق التوديع قد وجبا
سقطت بادمع من عيني غداة نأى * عني الحبيب ولم تقض الذي وجبا

وقال

شلير لعمري أساء الجوار * وسد على رحيب الفضا
هو الشيخ أبرد شيء يرى * اذا لبس البرنس الابيضا

وقال قلت أخاطب بعض من أدل عليه وما أولاني بذلك

اذا قمت قل بعقيب الكرى * الهي أنت اله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب * وأنشأتني بينهم من خرا

قلت ولا خفاء ببشاعة هذا فحذفه أولى من اثباته * وقال يداعب بعض أصحابه

شيخ رباط ان أتى شادن * خلوته عند انسدال الظلام
أدلى وقد أبصره دلوه * وقال يا بشراى هذا غلام

وقال في غرض يظهر

لم أجد فيه لين بث لقلبي * وقبولا لحجتي واعتذاري

ثقل الله ظهره بعيال * سود الله وجهه بعذار

وقال من قصيدة

أخذت وأمواج الردى متلاطمه * بضبعي يا نجل الوصي وفاطمه

وقال

ووجه غرست الورد فيه بنظرة * فيا ليت كفي متعت بجنى غرسي
كان سواد الخال في وجناته * علامة مولانا على أحمر الطرس
وبينهما في باطن الامر نسبة * لذلك أمضيت الغرام على نفسي

وقال يشير الى بعض طبقات الغناء

ضرط الفقيه فقلت ذاك غريبة * ما كان ذلك منه بالمعلوم
فدنا الي وقال قد أصرفتكم * من ضرطتي بغريبة المزموم

وفي آخر سنة أربع وسبعين وجه الى السلطان أبي حمو سلطان تلمسان أبياتا لزومية في غرض الهناء وهي

وقف الغرام على ثنائك لساني * رعيا لما أوليت من احسان
فكأنما شكري لما أوليته * شكر الرياض لعارض النيسان
أنا شيعة لك حيث كنت قضية * لم يختلف في حكمها نفسان
ولقد تشاجرت الرماح فكنت في * ميدان نهرك فارس الفرسان
ورويت غر مآثر اسنادتها * لعلاك بين صحائح وحسان
ولانت أولى بالتشييع شيمة * لم تتفق لسواك من انسان
الشمس أنت قد انفردت وهل يرى * بين الورى في مطلع شمسان
جبرت بجبرك كل نفس حرة * وشد ابشكر الله كل لسان
وبدت سعودك مستقيما سيرها * وعلت ففقر أمامها النحسان
فاستقبل السعد المعاود سافرا * عن أي وجه للرضا حسان
وابغ المزيد بشكر ربك ولتثق * بتضاعف الانعام والاحسان
فالشكر يقتاد المزيد ركائبا * تنتاب بابك منه في أرسان
ثم السلام عليك يزري عرفه * طيبا بعرف العود والبلسان

وقال

بحق ما بيننا يا ساكني القصبه * رد واعلي حياتي فهي مغتصبه
ماذا جنيتم على قلبي بينكم * وأنتم الاهل والاحباب والعصبه

قلت ولعل ابن زمرك قال أبياته التي على هذا الروي المذكورة في غير هذا الموضع من هذا الكتاب جوابا لهذه حين كان ابن زمرك من جملة أتباع لسان الدين رحمه الله تعالى الجميع وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

حين ساروا عني وقد خنقتني * عبرات قد أعربت عن ولوعي
صحت من ينصر الغريب فلما * لم أجد ناصرا بلعت دموعي

وقال

قال لى والدموع تنهل سحبا * فى عراض من الخدود محول
بك مابى فقلت مولاى عافا * ك المعافى من عبرتى ونحولى
أنا جفنى القريح يروى عن الاغـ * ـمض والجفن منك عن مكحول

قوله قال لى الخ هذه الابيات مكررة حيث تقدمت فى صحيفة ٥٨١ اه

وقال

أشكو لمبسمه الحريق وقد حمى * عنى لماء المشتهى ورحيقه
يا ريقه حيرتنى ومطلتنى * ما أنت الا بارد يا ريقه

وقال فيمن ركب البحر ومادم

ركب السفينة واستقل بافقها * فكانما ركب الهلال الفرقد
وشكوا اليه بيده فأجبتهم * لا غروان ماد القضيب الاملد

وقال عند ما خرج السلطان ابن الاحمر من فاس متوجها الى الاندلس لطلب حقه

ولما حثثت السير والله حاكم * لمالك فى الدنيا بعزو فى الاخرى
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى * ينقل من بيضاء الا الى حمرا

ويعنى بالبيضاء فاسا الجديدة وبالحمراء حمراء غرناطة وتذكرت هنا أن بعض علماء الاندلس

وأظنه أبا عبد الله بن جزى لما رمدت عين بعض أهل فاس سأله عنها فقال

قوله واظنه أبا عبد الله الخ فى نسخة واظنه عبد الرحمن الخ اه

يا سيدى عينى قد * أودى قذاها بالانس
فانظر اليها ترها * دار مليك الاندلس

يعنى حمراء فأجابه بقوله

وقيت مما تشتكى * من القذى والوصب
ما رمدت عينا لك * بل العلا والادب
فلتحمدن أن لم تكن * دار مليك المغرب

يعنى بيضاء وهذا من غريب ما يحاضر به (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى

أجاد يراع الحسن خط عذاره * وأودعه السر المصون الذى يدرى
ولم يفتقر فيه لختم وطابع * فبسمه أغناه عن طابع السر

وقال فى غرناطة

أحييك يا معنى الكمال بواجب * وأقطع فى أوصافك الغر أوقاتى
تقسم منك الترب قومى وجيرتى * فنى الظهر أحيانى وفى البطن أمواتى

وقال فى غرض ينحو نحو المشارقة

رموا بالسلو حليف الغرام * وأدمعه كالحيا الهاطل
أعوذ بعزك يا سيدى * لذلى من دعوة الباطل

وقال

يا ليل طلت ولم تجد بتبسم * وأريقنى خلق العبوس النادم
هلا رحمت تغربى وتفرقى * لله ما أقساك يا ابن الخادم

وقال

وقال فى مروحة سلطانية

كانى قوس الشمس عند طلوعها * وقد قدمت من قبلها نسمة الفجر
والا كما هبت بمحتدم الوغى * بنصر ولكن من بنود بنى نصر

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب

بين السهام وبين كتبك نسبة * فبها يصاب من العدو المقتل
واذا أردت لها زيادة نسبة * هذى وهذى فى الكنانة تجعل

وقال يتغزل وفيه معنى غريب

ان اللحاظ هى السيوف حقيقة * ومن استراب فحجتى تكفيه
لم يدع غمد السيف جفنا باطلا * الا لشبه اللحظ يغمد فيه

قيل وأحسن منه قول غيره

ان العيون النجل أمضى موقعا * من كل هندى وكل يمان
قضل العيون على السيوف بانها * قتلت ولم تخرج من الاجفان

وأصل ما قال لسان الدين قول الاول

بين اللحاظ وعينيه مناسبة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى الساعة وتسميها المغاربة المنجانة

تامل الرمل فى المنجان منقطعا * يجرى وقد رد عمرا منك منتهبا
والله لو كان وادى الرمل ينجده * ما طال كامله الا وقد ذهبا

وقال

أقول لعاذلى لما نهانى * وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بانه مر التجنى * وفاتك أنه حلو اللسان

وقال فى غرض صوفى

لا تنكروا ان كنت قد أحببتكم * أو أننى استولى على هواكم
طوعا وكرها ما تزون فانى * طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقال يمدح وفيه توربة

وان نظرت الى لألاء غرته * يوم الهياج رأيت الشمس فى الاسل

وقال مما يكتب على طاق الماء بباب القبة

أنا طاق تزهو بى الايام * تعبت فى بدائعى الافهام
وتبدت للنواظر بحرا * باكان الاناء فى امام
واقف للصلاة حتى اذا ما * جئت للشرب حان منى سلام

وقال فى ذلك أيضا

يا صانعى لله ما أحكمته * فلانت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجى يوم صغت رقوشه * فصبت اليه مفارق ورؤس
وأنت فى محرابه فكأنه * مجلى اناء الماء فيه عروس

وقال فى المشيب

انى لمبلى بالهوى من بعدما * للوخط فى الفودين أى دبيب
ليس البياض وحل ذروة منبر * منى ووالى الوعظ فعل خطيب

وقال رحمه الله تعالى

والله ماجان على ماله * أوجاهه من ذب عن عرضه
والناس فى خير وفى ضده * هم شهداء الله فى أرضه

وقال

الهى بالبيت المقدس والمسعى * وجمع اذاما الخلق قد نزلوا جمعا
وبالموقف المشهود يارب فى منى * اذاما أسال الناس من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والعصب عجل اقالتى * وأنجح دعائى فيك ياخير من يدعى
صدعت وأنت المستغاث جنابه * أقل عثرتى ياموئلى واجبر الصدعا

وقال رحمه الله تعالى فى بنيونش سبتة

بنيونش أسنى الاماكن رفعة * وأجل أرض الله طرا شانا
هى جنة الدنيا التى من حلها * نال الرضا والروح والريحانا
قالوا القرود بها فقلت فضيلة * حيوانها قد قارب الانسانا

وفى بنيونش هذه يقول أبو عبد الله بن مجبر

بنيونش جنة ولكن * طريقها يقطع النياطا
وجنة الخلد لايراها * الا فتى يقطع الصراطا

وقال ابن الخطيب رحمه الله تعالى

ان الهوى لشكاية معروفة * صبر التصبر من أجل علاجها
والنفس ان ألفت مرارة طعمه * يوما ضمنت لها صلاح مزاجها

وقال رحمه الله تعالى

ولما رأت عزمى حشيما على السرى * وقد رابها صبرى على موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى دموعها * فقابلت من دمعى بمختصر العين

وقال رحمه الله تعالى

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى * وأقصر من المام طيف خياله
فياليت شعرى من اتاح لى المنى * وعذب بالى هل أمر بباله

وقال رحمه الله تعالى

عينى جنت فعلام تحرق أضلعى * ابماجنى جار يعذب جار
ياقلب لاتدهشك نيران الهوى * فكنار ابراهيم تلك النار
فاصبر على ماحملوا تنل المنى * بالسبك أدرك نقشه الدينار

وقال رحمه الله تعالى

وما كان الا أن جنى الطرف نظرة * غدا القلب رهنا فى عقوبة ذنبه

قوله مجبر فى نسخة محمد اه

قوله ان الهوى الخ هذان البيتان سبقا أيضا فى صحيفة ٥٨١ غير ان الشطر الاخير فيه بعض تغيير اه

قوله ولما رأت الخ قد سبق هذان البيتان أيضا فى صحيفة ٥٧٧ اه

وما العدل أن يأتي امرؤ بجريرة * فيؤخذ في أوزارها جار جنبه

وقال رحمه الله تعالى

يرى جسدي فيكم غرام ولوعة * اذا سكن الليل البهيم تثور
فلولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي * خيالكم بالليل حين يزور
ولو شئت في طي الكتاب لزرتكم * ولم تدر عني أحرف وسطور

وقال رحمه الله تعالى

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا حمو صاحب تلمسان ويشكره على ما كان أعان به أهل الاندلس

لقد زار الجزيرة منك بحر * يمد فليس تعرف منه بحرا
أعدت لها بعهدك عهد موسى * سميك فهي تتلو منه ذكرا
أقمت جدارها وأفدت كنزا * ولو شئت اتخذت عليه أجرا

وقال أيضا

وقالوا الجزيرة قد صوحت * فقلت غمام الندى تنتظر
اذا وكفت كف موسى بها * غماما يعود الجناب الخضر

وقال رحمه الله تعالى عقب الاياب من الرحلة المراكشية

أفادت وجهتي بنداك مالا * قضى ديني وأصلح بعض حالي
ومتعت الخواطر بانشراح * وأطرفت النواظر باكتحال
وأبت خفيف ظهر والمطايا * بجاهك تشتكي ثقل الرحال
وشانى للمعالم غير شان * وحالى بالمكارم جد حال
نجب علاك ايماني وعقدي * وشكرك ندبي وانتحالي
كما قد صح لله انقطاعي * بتأميلي جنابك وارتحالي
وما يبقى سوى فعل جميل * وحال الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقال رحمه الله تعالى في الضراعة الى ربه والاعتراف بذنبه

مولاي أن أذنبت يشكر أن يرى * منك الكمال ومني النقصان
والعفو عن سبب الذنوب مسبب * لولا الجناية لم يكن غفران

وقال رحمه الله تعالى

سلام على تلك المرابع انها * معاهد آلافي وعهد صحابي
ويا أسفة المغنى انعمي فلطالما * سكبت على مثوى الشباب شبابي

وقال سامحه الله تعالى

أموطني الذي أزعجت عنه • ولم أرزأبه مالا ولادم
لئن أزعجت عنك بغير قصد • فقبلي فارق الفردوس آدم

ومن ميلاديآته رحمه الله تعالى قوله

ما على القلب بعدكم من جناح • أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب اذاهب • بانفاسكم نسيم الصباح
جيرة الحي والحديث شجون • والليالي تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبي • بعدكم لا وفالق الاصباح
ولو أني أعطى اقتراحي على الايـ • ـام ما كان بعدكم باقتراحي
ضايقتني فيكم صروف الليالي • واستدارت علي دور الوشاح
وسقتني كاس الفراق دهاقا • في اغتباق مواصل واصطباح
واستباحت من جدتي وفتائي • حرما لم أخله بالمستباح

ومنها

ياترى والنفوس أسرى أماني • مالها من وثاقها من سراح
هل يباح الورود بعد ديار • أو يتاح اللقاء بعد انتزاح
واذا أعوز الجسوم التلاقي • ناب عنه تعارف الارواح

وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ماذكرته وقد حذا حذوها الفقيه الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون صاحب التاريخ فقال في مولد عام ثمانية وسبعين وسبعمائة واستطرد لمدح السلطان أبي حمو موسى صاحب تلمسان الذي تقدم ذكره قريبا

ما على الصب في الهوى من جناح • أن يرى حلف عبرة وافتضاح
واذا ما المحب عيل اصطبارا • كيف يصغى الى نصيحة لاح
يارعى الله بالمحصب ربعا • آذنت عهده النوى بانتزاح
كم أدرنا كاس الهوى فيه مزجا • رب جد من الجوى في المزاح
هل الى رسمه الحميل سبيل • ياحداة المطي تلك الطلاح
نسأل الدار بالخليط ونسقي • ذلك الربع بالدموع السفاح
أي شجو عاينت بعدنواها • من أسى لازم وصبر مزاح
أهل ودي ان رابكم برح وجدي • من صبا بارق وبرق لباح
فاسألوا البرق عن خفوق فؤادي • والصبا عن سقام جسمي المتاح
ياأهيل الحمى نداء مشوق • ماله عن هوى الدمى من براح
طالما استعذب المدامع وردا • في هواكم عن كل عذب قراح
عاده بالطلول للشوق عيد • من حمام بدوحهن صداح
من لقلب من الجوى في ضرام • ولجفن من البكا في جراح
واصب يهيجه الذكر شوقا • فهو سكران ارتاد من غير راح

قوله بارق الخ في نسخة بارح وبرق براح اه

وليال قضيت للوصل فيها * وطراً والشباب ضاف الجناح
راكباً في الهوى ذلول تقاب * ساحباً في الغرام ذيل مراح
ونجوم المنى تشير الى أن * روح الشيب سربها بالصباح
أي سري حمدت لم أخل منه * بسوى حسرة وطول افتضاح
واخساري يوم القيامة ان لم * يغفر الله زلتي واجتراحي
لم أقدم وسيلة فيه الا * حب خير الورى الشفيع الماحي
سيد العالمين دنيا وأخرى * أشرف الخلق في العلا والسماح
سيد الكون من سماء وأرض * سره بين غاية وافتتاح
زهرة الغيب مظهر الوحي معنى النور كنه المشكاة والمصباح
آية المكرمات قطب المعالي * مصطفى الله من قريش البطاح
أول الانبياء تخصيص زلفى * آخر المرسلين بعث نجاح
صفوة الخلق أرفع الرسل قدرا * وسراج الهدى وشمس الفلاح
من لميلاده بمكة ضاءت * من قرى قيصر جميع الضواحي
وخبت نار فارس وتداعت * من مشيد الايوان كل النواحي
من رقى في السماء سبعا طباقا * ورأى آي ربه في اتضاح
ودنا منه قاب قوسين قربا * ظافرا في العلا بكل اقتراح
من هدى الخلق بين حمر وسود * وجلا ليل غيهم بالصباح
من يجير الورى غدا يوم يجزى * كل عاص وطائع باجتراح
من الى حوضه وظل لواه * يلجأ الناس بين ظام وضاح
أحمد المجتبى حبيبا وأنى * فوق عز الحبيب مرمى طماح
في أناجيله المسيح تلاه * باسمه والكليم في الالواح
وله حجة وبرهان صدق * في سماع أتى بها والتماح
ان في النجم والنبات لآيا * ت بهرت والجماد والارواح
معجزات فتن المدارك وصفا * وحسابا كالزهر أو كالصباح
يا رواة القريض والشعر بحرا * ما عسى تدركون بالامداح
انما حسبنا الصلاة عليه * وهي للفوز آية استفتاح
يا الهي بحق أحمد عفوا * عن ذنوب جنيتهن قباح
وأدم دولة الخليفة موسى * ذي المعالي المبينة الاوضاح
مفخر الملك مستقر المزايا * مظهر اللطف ذو التقى والصلاح
ناصر الحق خاذل الجور عدلا * ملجأ الخائفين بحر السماح
يتلقى الندى بوجه حيي * ويلاقي العدا بأس صفاح
وله المكرمات ارثا ولبسا * حاز حمدا بها معلى القداح
من علا باذخ وفخر صميم * وكمال بحت ومجد صراح

وأحاديث فى المعالى حسان * رويت عنه فى العوالى الصحاح
عاقد صفقة العلا كل حين * فائز فيه سعيه بالرباح
للغدى والهدى يروح ويغدو * أى مغدى الى العلا ومراح
ملك تشرق الاسرة منه * فى سماء السرير نور صباح
واذا ما علا بعالى العوالى * صهوة الجرد فهو ليث الكفاح
لبس الدهر منه حلة حسن * وثنى للسرور عطف مراح
وعلى عاتق الخلافة منه * طرز فخر سبى النهى بالتماح
ورث الملك شامخا عن سراة * شيدوا ركنه بأيدى الصفاح
من بنى القاسم الذين تحلوا * بالمعالى واستأثروا بالفلاح
فرعوا هضبة الخلافة مجدا * رفعوا سقفه على الارماح
نشروا راية المفاخر حمدا * خافق النور بالربا والبطاح
يا اماما بذ الملوك جلالا * وجمالا فديت بالارواح
أنت شمس الكمال دمت عليها * فى اغتباق من المنى واصطباح
وبنوك الاعلون أنجم سعد * زاهرات بنورك الوضاح
وابو تاشفين بدر منير * زانه الله بالجلال الصباح
أكمل العالمين خلقا وخلقا * أشرف الناس فى الندى والكفاح
وبكم زينت سماء المعالى * واهتدى الناس فى الدجى والصباح

وكان السلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والاندلس فى ذلك العصر وما قبله (ومن احتفاله له) ما حكاه شيخ شيوخنا الحافظ سيدى أبو عبد الله التنسى ثم التلمسانى فى كتابه راح الارواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الامداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه انه كان يقيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فحاشدت من غارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالاسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبر امذاب ويفاض على الجميع أنواع الاطعمة كانها أزهار الربيع المنتشرة فتشتهيها الانفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الارواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب فى الاقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن الى فن ومن اسلوب الى اسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح الى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كانها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت

فى أحسن صوره فى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره فتضعها بين يدى السلطان بلطافه ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافه هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادى حى على الفلاح انتهى وقال التنسى المذكور فى كتابه المسمى بنظم الدر والعقيان فى شرف بنى زيان وذكر ملوكهم الاعيان مانصه وكان السلطان أبو حمو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة فما شئت من غمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وشمع كالاسطوانات وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشاة ينال كل منها بحظه وخزانة المنجانة ذات تماثيل بلجين محكمة الصنعة بأعلاها ايكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ويحتله فيها أرقم خارج من كوة بجذر الايكة صاعدا وبصدرها أبواب مرتجة بعد دساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دوين راس الخزانة قرا كمثل يسير على خط الاستواء سير نظيره فى الفلك ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان فى يد كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه فهنالك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كاظرف ما أنت راء بيناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا وقد اشتملت من انواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الانفس وتستحسنها الاعين وتلذ بسماع أسمائها الآذان ويشره مبصرها للقرب منها والتناول وان كان ليس بغرثان والسلطان لم يفارق مجلسه الذى ابتدأ جلوسه فيه وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلى هنالك صلاة الصبح على هذا الاسلوب تمضى ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى جميع أيام دولته أعلى الله تعالى مقامه فى عليين وشكر له فى ذلك صنيعه الجميل آمين ومما من ليلة مولد مرت فى أيامه الاونظم فيها قصيدا فى مديح مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المسمع فى ذلك الحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلى فى تلك الليلة نظما انتهى وهو أتم مساقا مما فى راح الارواح ولا بأس أن نلم ببعض المقطوعات التى أنشأها الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون المذكور على لسان جارية المنجانة فى مخاطبة السلطان أبى حمو معلمة بما مر من ليل فى مضى ساعتين قوله

أخليفة الرحمن والملك الذى * تعنو لعز علاه أملاك البشر
لله مجلسك الذى يحكى علا * بك مالكى أفق السماء لمن نظر
أوما ترى فيه النجوم زواهرا * وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت * تثنى عليك ثنا الرياض على المطر
لازال هذا الملك منصورا بكم * وبلغت مما ترتجى أسنى الوطر

وقوله فى مضى ثلاث ساعات

أمولاى يا ابن الملوك الالى * لهم فى المعالى سنى الرتب
تولت ثلاث من الليل أبقت * لك الفخر فى عجمها والعرب
فدم حجة الله فى أرضه * تنال الذى شئته من أرب

وقوله فى مضى ست ساعات

ياماجدا وهو فرد * تخاله فى عساكر
ست من الليل ولت * ماان لها من نظائر
دامت ليالك حتى * الى المعاد نواضر

وقوله فى مضى ثمان ساعات

يا أكرم الخلق ذاتا * وأشرف الناس أسره
مرت ثمان وأبقت * فى القلب منى حسره
فيهن كان شبابى * أخا نعيم ونضره
ولى بهاالدهر عنى * ترى لها بعد كره
فالله يبقيك مولى * يطيل فى السعد عمره

وقوله فى مضى عشر ساعات

ياماللك الخير والخيل التى حكمت * له بعز على الايام مقتبل
هذا الصباح الذى لاحت بشائره * والليل ودعنا وديع مرتحل
لله عشر من الساعات باهرة * مضين لاعن قلى منا ولاملل
كذا تمر ليالى العمر راحلة * عنا ونحن من الآمال فى شغل
نمسى ونصبح فى لهو نسر به * جهلا وذلك دين منا من الاجل
والعمر يمضى ولاندرى فوا أسفى * عليه اذ مر فى الآثام والزلل
ياليت شعرى غدا كيف الخلاص به * ولم نقدم له شيئا من العمل
يارب عفوك عما قد جنته يدى * فليس لى بجزاء الذنب من قبل
يارب وانصر أمير المسلمين أبا * حمو الرضى وأنله غاية الامل
وأبق فى العز والتمكين مدته * وأعل دولته الغرا على الدول انتهى

(رجع الى نظم لسان الدين رحمه الله تعالى) فنقول وأتاموشحاته وازجاله فكثيرة وقد انتهت اليه رياسة هذا الفن كما صرح بذلك قاضى القضاة بن خلدون فى مقدمة تاريخه الكبير ولنذكر بعض كلامه اذ لا يخلو من فائدة زائدة قال رحمه الله تعالى ماملخصه وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عددا قوافى تلك الاغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما ينتهى عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها

ويمدحون

ويمدحون كما يفعل فى القصائد ويتجاوزون فى ذلك الى الغاية واستظرفه الناس وجلة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم ابن معافى القبرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المروانى وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد ولم يذكره مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع فى هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم * شمس ضحى * غصن نقى * مسك شم
ما أتم * ما أوضحا * ما أورقا * ما أنعم
لاجرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمان ملوك الطوائف وجاء معه ليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا وقد أحسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول

قد ترنم * بأبدع تلحين * وشقت المذانب * رياض البساتين

وفى انتهائه حيث يقول

تحظ ولم تسلم * عساك المأمون * مرفوع الكاثب * يحيى بن ذى النون

ثم جاءت الحلبة التى كانت فى مدة الملثمين فظهرت لهم البدائع وفرسان حلبتهم الاعمى التطيلى ثم يحيى بن بقى وللتطيلى من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفى المعالم * أشجان
والركب وسط الفلا * بالجرد النواعم * قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس بإشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعمى التطيلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقى حين وقع له

أما ترى أحمد * فى مجده العالى لا يلحق
أطلعه المغرب * فارنا مثله يا مشرق

وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر الابيض وكان فى عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى عليه بعض موشحته جر الذيل أيما جر فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف الايمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجة لداره الاعلى الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهبا في زمله ومشى عليه ثم قال ابن خلدون بعد كلام واشتهر بعد هؤلاء في صدور دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف الى أن قال وابن هردوس الذي له ياليلة الوصل والسعود بالله عودي وابن مؤهل الذي له

ما العيد في حلة وطاق * وشم طيب * وانما العيد في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الدويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجرى * من مقلة الفجر * على الصباح
ومعصم النهر * في حلل خضر * من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال أنت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فأخبره فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي أدركت هو أبو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح فقال كنت أقول

ما للمدوله * من سكره لا يفيق * ياله سكران
هل تستعاد * أيام نا بالخليج * وليالينا
اذ يستفاد * من النسيم الاريج * مسك دارينا
واذ يكاد * حسن المكان البهيج * أن يحيينا
نهر أظله * دوح عليه أنيق * مؤنق فينان
والماء يجرى * وعائم وغريق * من جنى الريحان

واشتهر بعده ابن حيون الى أن قال وبعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف فقال على مثل ماذا فقال على مثل قولي

ياهاجري * هل الى الوصال * منك سبيل
أوهل يرى * عن هواك سال * قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله

ان سيل الصباح في الشرق * عاد بحرا في أجمع الافق
فتداعت نوادب الورق * أتراها خافت من الغرق
فبكت سحرة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل ابن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

قوله ابن أبي الفضل في نسخة ابن فضل اه

أواحسرتى لزمان مضى * عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضا * وبت على جمرات الغضى
أعانق بالفكر تلك الطلول * وألثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابونى ينشد الاستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير مامرة فما سمعته يقول لله درك الا فى قوله

قسما بالهوى لذى حجر * ما لليل المشوق من فجر
حمد الصبح ليس يطرد * ما لليلى فيما أظن غد
صح ياليل أنك الابد
أونقصت قوادم النسر * فنجوم السماء لا تسرى

ومن موشحات ابن الصابونى قوله

ما حال صب ذى ضنى واكتئاب * أمرضه ياويلتاه الطبيب
عاله محبوبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفى جفونى النوم لكننى * لم أبكه الا لفقد الخيال
وذو الوصال اليوم قد غرنى * منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صدنى * بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببرّ العدوة ابن خلف الجزائرى صاحب الموشحة المشهورة

يد الاصباح * قدحت زناد الانوار * من مجامر الزهر

وابن خزر اليجانى وله من موشحة

ثغر الزمان موافق * حيا لثمنه بابتسام

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حرّ وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره فقال

جاد لى الغيث اذا الغيث همى * يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما * فى الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى * بانقياد الطوع ما يرتئم
زمرا بين فرادى وثنا * مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جال الروض سنى * فثغور الزهر منه تبتسم
وروى النعمان عن ماء السما * كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهى منه بأبهى ملبس
فى ليال كتمت سرّ الهوى * بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر

وطر مافيه من عيب سوى * أنه مر كلمح البصر
حين لذ الانس شيأ أوكما * هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا أوربما * أثرت فينا عيون النرجس
أى شيء لامرئ قد خلصا * فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار منه الفرصا * أمنت من مكره ماتتقيه
فاذا الماء تناجى والحصا * وخلا كل خليل بأخيه
تبهر الورد غيورا برما * يكتسى من غيظه مايكتسى
وترى الآس لبيبا فهما * يسرق السمع بأذنى فرس
ياأهيل الحى من وادى الغضى * وبقلبى سكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا * لاأبلى شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى * تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله وأحيوا مغرما * يتلا شى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما * افترضون عفاء الحبس
وبقلبى منكم مقترب * بأحاديث المنى وهو بعيد
قمر أطلع منه المغرب * شقوة المغرى به رهو سعيد
قد تساوى محسن أومذنب * فى هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى * جال فى النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى * ففؤادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول * ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
أمره معتمل ممتثل * فى ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما * لم يراقب فى ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما * ومجازى البر منها والمسى
مالقلبى كلما هبت صبا * عاده عيد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتتبا * قوله ان عذابى لشديد
جلب الهم له والوصبا * فهو للاشجان فى جهد جهيد
لاعج فى أضلعى قد أضرما * فهى نار فى هشيم اليبس
لم يدع فى مهجتى الا ذما * كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يانفس فى حكم القضا * واعمرى الوقت برجعى ومتاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى * بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفى القول الى المولى الرضا * ملهم التوفيق فى أم الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى * أسد السرح وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثل ما * ينزل الوحى بروح القدس

الى هذا الحد انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ولا أدرى لم لم يكملها وتمامها قوله

مصطفى الله سمى المصطفى * الغنى بالله عن كل أحد
من اذا ما عقد العهد وفا * واذا ما قبح الخطب عقد
من بنى قيس بن سعد وكفى * حيث بيت النصر مرفوع العمد
حيث بيت النصر محمى الحمى * وجنى الفضل زكى المغرس
والهوى ظل ظليل خيما * والندى هب الى المغترس
هاكها يا سبط أنصار العلا * والذى ان عثر الدهر أقال
غادة ألبسها الحسن ملا * تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظا ومعنى وحلى * قول من أنطقه الحب فقال
هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالتبس

ثم قال ابن خلدون وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا الملك المصرى التى اشتهرت شرقا وغربا وأولها

حبيبى ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على كافور * فى جلنار
كللى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك منعطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد رأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر الاشبيلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء على صفائح من الحجر فقال

وعريش قد قام على دكان * بحال رواق
وأسد قد ابتلع ثعبان * من غلظ ساق
وفنج فمو بحال انسان * به الفواق
وانطلق من ثم على الصفاح * وألقى الصياح

وكان ابن قزمان مع انه قرطبى الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها الى أن قال ابن خلدون وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب فى هذه الطريقة فمن

قوله فى زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض * وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب
وترى تجبى الينا * ثم تسقى وترجع

ومن محاسن ازجاله قوله * لاح الضيا والنجوم سكارى * ثم قال وظهر بعد هؤلاء فى اشبيلية ابن جحدر الذى فضل على الزجالين فى فتح صيورقة بالزجل المشهور الذى أوله

من يعاند التوحيد بالسيف يمحق * انا برى ممن يعاند الحق

قال أبو سعيد لقيته ولقيت تلميذه البعبع صاحب الزجل المشهور الذى أوله

يا ليتنى ان ريت حبيبى * اقبل اذنو بالرسيلا
لش اخذ عنق الغزيل * وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه فى هذه الطريقة

امزج الاكواس واملا لى نجدد * ما خلق المال الا أن يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية ونحو منحى الششترى منهم

بين طلوع وبين نزول * اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن * وبقى من لم يزول

ومن محاسنه أيضا قوله فى ذلك المعنى

البعد عنك يا ابنى أعظم مصائبى * وحين حصل لى قربك سببت قاربى

انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون وقد أطال رحمه الله تعالى فى هذا المقصد ولم أرد ايراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلق الغرض به وفيما ذكرته منه كفاية لتعلقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى وشهادته له انه شاعر الاسلام غير مدافع وانه انتهت اليه رياسة الصناعة الزجلية والتوشيحية وأبو بكر بن باجة الذى أشار اليه ابن خلدون هو أبو بكر ابن الصائغ التجيبى السرقسطى الذى قال فى حقه لسان الدين فى الاحاطة انه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب القلائد معاداة فلذلك هجاه فى القلائد وجعله آخر ترجمة فيها اذ قال ما نصه الاديب أبو بكر بن الصائغ هو مدعين الدين وكد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ فى غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ما تطهر من جنابه ولا أظهر مخيلة انابه ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار فى جدث ولا اقر بباريه ومصوره ولا تر بتباريه فى ميدان تصوره الاساءة اليه أجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر فى تلك التعاليم وفكر فى أجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثانى عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا ن

ولا من خلفه واقتصر على الهيئه وانكر أن تكون منه الى الله تعالى فيئه وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد أن الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فماله فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم وانتمت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق المويسقى وهام بحادى القطار وسقى فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف عليه كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ قادنا الى الله تعالى فى أسلس مقاد مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوهها الله تعالى وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد دنسها وفند لا يعمر الا كنفه ولدد لا يقيم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجاده وشارف الاحسان أوكاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه فاشتمل عليه اسر سعى الى حشاه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال

يا شائقى حيث لا اسطيع ادركه * ولا اقول غدا أغدو فالقاه
أما النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فاولاه كاخراه
اغر نفسى بآمال مزورة * منها لقاؤك والايام تاباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته

ألا يا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت نشا أو لا نشاء
هل أنت مطارحى شجوى فتدرى * وادرى كيف يحتمل القضاء
يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وله فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تعالى تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبات الاوان ونظمت على كل شتيت من الاحسان فمن ذلك قوله

توضح فى الدجى طرف ضرير * سنى بلوى الصريمة يستطير
فيا بابى ولم ابذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لا تقل هو ثغر سلمى * فتاثم انه حوب وزور
فكيف وما اطل الليل منه * ولا عبقت بساحته الخمور
تراءى بالسدير فزاد قلبى * من البرحاء ما شاء السدير
فلولا أن يوم الحشر يقضى * على بحكم مولى لا يجور
دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور

ومنها

لقد وسع الزمان عليه عدوى * وضر بشبله الليث الهصور
وقلبن الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور
سوى ذكر اطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير

همام جوده يصف السوارى * وسطوته يغيرها البعير
وقلنا نحن كيف وراحتاه * بحور يلتطى فيها سرور
فهل فيما سمعت به خصام * يكون الخصم فيه هو العزير

وكان الامير أبو بكر يعتقد له هذه المانة ويراها ويجود ابداثراها فلما ولى الثغر والشرق لم يغفله من رعى ولم يكله الى شفاعة وسعى وحمله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما كان يقتضيه خلق الوقت من اقامة الوعد وتسويغه كل نعيم رغد وتغليب جحفة داحضه وانهاض عثرة غيرناهضه فتقلد وزارته ودولته تزهى منه باندى من الوسمى المبتكر واهدى من النجم فى الليل المعتكر والويته تميس زهوا ميس الفتاه ورعيته تبتهج بملكه ابتهاج حي بابن الموماه ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها وكتائبه لا يكاد العدو يعشرها فجاش اليه وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ماشاء من مقابحته واسمعهم ما يصم بين خمته ومفاتحته فوغرت صدورهم السليمه واعتلت صحة ضمائرهم بنفوسهم الاليمه ولم يزل يأخذ فى الاضرار بهم ولم يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر السباب والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجردها من حماتها فاستعجل العدو بذلك واستشرى وزاره منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى الشر قد ثار قتامه وبدا من ليله اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل وأقام بالنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ونجوم سعدها كل يوم غائره والعدو يتربص بها السوء أدائره ويروم منازلتها ثم يدع الاقتحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاوله وأثناء تلك المطاوله عاجل الامير أبا بكر حمامه واستشعر فيها اتمامه وأجنه الثرى وحازمنه بدرجنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه ضجيعا

أيها الملك قد لعمرى نعى الـ ـمجد يوم النساء قن فنحنا
كم تقارعت والخطوب الى أن * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير أنى اذا ذكرتك والدهـ ـر أحال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقيل الـ ـحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا ما يغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من اربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب فهذا مما أطال به كمد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه

فبارك المنون آل الرسول * يبلغ روحها ارج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت نفوس المسلمين فرقا منهم فى يد الاستسلام ارتاب بقبح افعاله وبرئ من احتذائه بتلك الآراء وانتقاله واخافه ذنبه ونباعن مضجع الامن جنبه فكر الى الغرب ليتوارى فى نواحيه ولا يتراءى لعين لائمه ولا حيه

فلما وصل شاطبة حضرة الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب نفاذه وهو مبهم وعاقه عنه مدلول عليه ملهم فاعتقله اعتقالا اشفى الدين من آلامه وشهد له بعقيدة اسلامه وفى ذلك يقول وهو معقول ويصرح بمذهبه الفاسد وغرضه المستاسد

خفض عليك فما الزمان وريبه * شئ يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفس لم تضع لتحلها * حيث احتللت بها وأنت عليم
ياصاحبى لفظا ومعنى خلته * من قبله حتى بين تقسيم
دع عنك من معنى الاخاء ثقيله * وانبذ بذاك العبء وهو ذميم
واسمح وطارحنى الحديث فانه * ليل كاحداث الزمان بهيم
خذنى على اثر الزمان فقد مضى * بؤس على أبنائه ونعيم
فعسى أرى ذاك النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم أجداثهم * وتشابه المحسود والمحروم

ولما خلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا احتال فى اخفاء ماله واستيفاء آماله فأظهر الوفاء للامير أبى بكر بالرثاء له والتأبين وتداهيه فى ذلك واضح مستبين فانه وصل بهذه النزغة من الحماية الى حرم وحصل فى ذمة ذلك الكرم واشتمل بالرعى وأمن من كل سعى فاقتنى قيانا ولقنهن أعاريض من القريض وركب عليها ألحانا أشجى من النوح ولطف بها الى اشادة الاعلان باللوعة والبوح فسلك بها أبداع مسلك وأطلعها نيرات مالها غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله

ان غرابا جرى بينهم * جاوبه بالثنية الصرد
طاروا فها أنت بعدهم جسد * وفارق الروح ذلك الجسد
واكتتموا صحبة بينهم * أليس لله بئس ما اعتمدوا

وكقوله

سلام والمام ووسمى مزنة * على الجدث النائى الذى لا أزوره
أحقا أبو بكر تقضى فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن آنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت أنصاره وقصوره

ومن قلة عقله ونزارته انه فى مدة وزارته سفر بين الامير أبى بكر رحمه الله تعالى وبين عماد الدولة بن زهور رحمه الله تعالى بعد سعايات عليه اسلفها وذخائر كانت له على يديه أتلفها فوافاه أوغر ما كان عليه صدرا وأصغر ما كان لديه قدرا فآل به ذلك الانتقال الى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقله شوهاء وتنازله الاوهام بفطرته الورهاء وفى ذلك يقول

لعلك يابزيد علمت حالى * فتعلم أى خطب قد لقيت
وانى ان بقيت بمثل مابى * فعن عجب الليالى ان بقيت
يقول الشامتون شقاء بخت * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الامان من الليالى * وسالمهم بها الزمن المقيت

ومايدرون انهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

وعزم عماد الدولة يوما على قتله والزم المرقبين به التحيل على حتفه فمضى اليه الامر الوعر وارتمى به في لجج اليأس الذعر فقال

اقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمق

قري تحمدي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهى

ثم قضى له قدر قضى بانظاره وما امضى من اباحته ما كان رهين انتظاره ويمهل الفاجر حكمة من الله تعالى وعلما وانما نملى لهم ليزدادوا اثما انتهى نص القلائد وأين هذا من تحليته له في بعض كتبه بقوله فيه ماصورته نورفهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع تتوجت بعصره الاعصار وتأرجت من طيب ذكره الامصار وقام وزن المعارف واعتدل ومال للافهام فتناوله وتهدل وعطل بالبرهان التقليد وحقق بعد عدمه الاختراع والتوليد اذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق وان طما بحر خاطره فهو لكل شئ مغرق مع نزاهة النفس وصونها وبعد الفساد من كونها والتحقيق الذي هو للايمان شقيق والجد الذي يخلق العمر وهو مستجد وله ادب يود عطارد أن يلتحفه ومذهب يتمنى المشترى أن يعرفه ونظم تعشقه اللبات والنحور وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور وقد أثبت منه ماتهوى الاعين النجل أن يكون اتمدها ويزيل من النفوس حزنها وكمدها فمن ذلك قوله يتغزل

اسكان نعمان الاراك تيقنوا * بأنكم في ربع قلبي سكان

ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استحفظوا خانوا

سلوا الليل عني اذ تناءت دياركم * هل اكتحلت لي فيه بالنوم أجفان

وهل جردت أسياف برق سمائكم * فكانت لها الاجفوني أجفان

وله

أتاذن لي آتي العقيق اليمانيا * أسائله ما للمعالي ومالیا

وهل داركم بالحزن قفراء انني * تركت الهوى يقتاد فضل زمامیا

فيامكرع الوادي أمافيك شربة * لقد سال فيك الماء أزرق صافیا

وياشجرات الجزع هل فيك وقفة * وقد فاء فيك الظل اخضر ضافیا

واورد له في المطمح انه استأذن على المستعين بالله فوجده محجوبا فقال

من مبلغ خير امام نشا * ذا عزة وسامیا قدرا

قول امرئ لو قاله للصفا * أنبت فيه ورقا خضرا

عبدك بالباب له خجلة * لو انها بالنرجس احمرا انتهى

وحكى غير واحد انه مات له سكن كان يهواه فبات مع بعض اصحابه عند ضريحه ومثواه وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل فزور في نفسه بيتين في خطاب القمر أنقنهما ولحنهما حتى اذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنى فيهما بذلك الصوت المشجي واللحن يسوق الشوق ويزجي وهما

شقيقك غيب فى لحده * وتشرق يابدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسوف * حداد البست على فقده

فكسف القمر فى الحال وعدت هذه من نوادره التى جيد الاخبار بفرائدها حال سامحه الله تعالى ثم رأيت فى الاحاطة نسبة ذلك لغيره ونصه محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آشى يكنى أبا عبد الله (حاله) شاعر مفلق وأديب شهير مشار اليه فى التعاليم منقطع القرين منها فى الموسيقى مضطلع بفك المعمى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بنى صمادح وقال ابن بسام كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيره وبحر خبر وسيره وديوان تعاليم مشهوره وضح فى طريق المعارف وضوح الصبح المتهلل وضرب فيها بقداح ابن مقبل الى جلالة مقطع وأصالة منزع ترى العلم بثم على أشعاره ويبين فى منازعه وآثاره (تاليفه) ديوان شعره كبير معروف وله فى العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الالحان الموسيقيه والآراء الخليليه (بعض أخباره) حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه أنه فقد سكنا عزيزا عليه واحوجت الحاجة الى تكلف سلوه فلما حضر الندماء وكان قد رصد الخسوف القمرى فلما حقق أنه ابتدأ أخذ العود وغنى شقيقك غيب الى آخره وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا واعترضه الخسوف وعظم من الحاضرين التعجب ثم قال لسان الدين فى ترجمة شعره وقال

اقبلن فى الحيرات يقصرن الخطا * ويرين فى حلل الورا شين القطا
سرب الجوى لا الجوع عوّد حسنه * أن يرتعى حب القلوب ويلقطا
مالت معاطفهن من سكر الصبا * ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وبمسقط العلمين أوضح معلم * لمهفهف سكن الحشى والمسقطا
ما أجمل البدر المنير اذا مشى * يختال والغصن النضير اذا خطا

ومنها فى المدح

ياوافدى شرق البلاد وغربها * اكرم بما خيل الوفادة فاربطا
ورأيتما ملك البرية فاهنآ * ووردتما أرض المرية فاخبطا
يدمى نحور الدارعين اذا ارتأى * ويذل عز العالمين اذا اسخطا

انتهى المقصود منه وأورد له فى الاحاطة قصيدة ثانية أولها

حديث ما احلى فزيدى وحدثى * وهى طويلة وكتب عليها ابن المؤلف ما صورته سمعتها من لفظ شيخى أبى جعفر بن خاتمة بالمرية فى سنة خمس وستين وسبعمائة قاله على بن الخطيب انتهى (رجع) الى أخبار ابن الصائغ ومن نظمه قوله

ضربوا القباب على اقاحى روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا
وتركت قلبى سار بين حولهم * داعى الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت أميرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت عبورا
لا والذى جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
ما مر بى ريح الصبا من بعدهم * الا شهقت له فعاد سعيرا

وتوفى ابن الصائغ فى شهر رمضان سنة ٥٢٣ وقيل سنة خمس وعشرين مسموما فى باذنجان بمدينة فاس وهو تجيبى بضم التاء وفتحها وباجه بالباء الموحدة وبعد الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى القصبة بلغة الفرنج وسرقسطة بفتح السين والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة مدينة كبيرة بالاندلس استولى عليها العدو سنة ٥١٢ وقال الامير ركن الدين بيبرس فى تأليفه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ان ابن الصائغ كان عالما فاضلا له تصانيف فى الرياضات والمنطق وانه وزر لابى بكر الصحراوى صاحب سرقسطة ووزر أيضا ليحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادوه فقتلوه مسموما انتهى وأنشد له بعضهم

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا وودعوا
ولما تولوا وات النفس معهم * فقلت ارجعى قالت الى أين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينين قد أعماهما كثرة البكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وقد قال بعضهم فى تعزيز بيتى الحريرى انه لابن الصائغ الاندلسى وليس هو بهذا فيما أعلم

انقد مهوى ازره فاثنى * مه ياعذولى فى الذى انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

(رجع) الى ابن باجه وقد ذكر لسان الدين فى الاحاطة سبب العداوة بينه وبين الفتح فى ترجمة الفتح ولنذكرها بنصه فنقول قال رحمه الله تعالى الفتح بن محمد بن عبيد الله الكاتب من قرية تعرف بقلعة الواد من قرى يحصب يكنى أبا نصر ويعرف بابن خاقان (حاله) كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شأوه عذب الالفاظ ناصعها أصيل المعانى وثيقها لعوبا باطراف الكلام معجزا فى باب الحلى والصفات الا انه كان مجازفا مقدورا عليه لا يعل من المعاقرة والقصف حتى هان قدره وابتذلت نفسه وساء ذكره ولم يدع بلدا من بلاد الاندلس الا دخله مسترفدا أميره واغلا فى عليته قال الاستاذ فى الصلة وكان معاصرا للكاتب أبى عبد الله بن أبى الخصال الا ان بطالته أخلدت به عن مرتبته وقال ابن عبد الملك قصد يوما الى مجلس قضاء أبى الفضل عياض مخمرا فتنسم بعض حاضرى المجلس رائحة الخمر فاعلم القاضى بذلك فاستثبت وحده حدا تاما وبعث اليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير وعمامة فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه عزمت على اسقاط القاضى أبى الفضل من كتابى المرسوم بقلائد العقيان قال فقلت لا تفعل وهى نصيحة فقال وكيف ذلك فقلت له قصتك معه من الجائز أن تنسى وأنت تريد أن تتركها مؤرخة اذ كل من ينظر فى كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه فى العلم والصيت فيسأل عن ذلك فيقال له فيتوارث العلم عن الاكابر الاصاغر قال فتبين ذلك وعلم صحته واقر اسمه وحدثنى بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجه أبى بكر آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس ما كان من ازرائه به فى تكذيبه اياه فى مجلس اقرائه اذ جعل يكثر ذكر ما وصله به

أمراء الاندلس ووصف حليا وكان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون فقال له فمن تلك الجواهر اذن الزمردة التى على شاربك فثلبه فى كتابه بما هو معروف وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده غفر الله تعالى له (مشيخته) روى عن أبوى بكر بن سليمان بن القصيرة وابن عيسى ابن اللبانة وأبى جعفر بن سعدون الكاتب وأبى الحسن بن سراج وأبى خالد بن بشتغير وأبى الطيب بن زرقون وأبى عبد الله بن خلصة الكاتب وأبى عبد الرحمن بن طاهر وأبى عامر ابن سرور وأبى محمد بن عبدون وأبى الوليد بن حجاج وابن دريد الكاتب (تواليفه) ومصنفاته شهيرة منها قلائد العقيان ومطمح الانفس والمطمح أيضا وترسيله مدون وشعره وسط وكتابته فائقة (شعره) من شعره قوله وثبت فى قلائده يخاطب أبا يحيى بن الحاج

أكعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيا لملك زار أفقك نوره * وفى صفحتيه من مضائك أسطر
وانى لخفاق الجناحين كلما * سرى لك ذكر أو نسيم معطر
وقد كان واش هاجنا لتهاجر * فبت واحشائى جوى تتفطر
فهل لك فى ود ذوى لك ظاهرا * وباطنه يندى صفاء ويقطر
ولست بعلق بيع بخسا واننى * لارفع أعلاق الزمان وأخطر

فروجع عنه بما ثبت أيضا فى قلائده مما أوله

ثنيت أبا نصر عنانى وربما * ثنت عزمة السهم المصمم أسطر

(نثره) ونثره شهير ونثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيرا كتبه عن بعض الامراء لصاحب الشرطة ولا خفاء بادلاله وبراعته وهو هذا كتاب تأكيد اعتناء وتقليد ذى منة وغناء أمر بانفاذه فلان أيده الله تعالى لفلان بن فلان صانه الله تعالى ليتقدم لولاية المدينة الفلانية وجهاتها ويصوح ما تكاثف من العدوان فى جنباتها تنويها احظاه بعلائه وكساه رائق ملائه لما علمه من سنائه وتوسمه من غنائه ورجاه من حسن منابه وتحققه من طهارة ساحته وجنابه وتيقن أيده الله تعالى انه مستحق لما ولاه مستقل بما تولاه لا يعتريه الكسل ولا تثنيه عن المضاء الصوارم والاسل ولم يكل الامر منه الى وكل ولا ناطه بمناط عجز ولا فشل وأمره أن يراقب الله تعالى فى أوامره ونواهيه وليعلم انه زاجره عن الجور وناهيه وسائله عما حكم به وقضاه وأنفذه وأمضاه يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله فليتقدم الى ذلك بحزم لا يخمد توقده وعزم لا ينفد تفقده ونفس مع الخير ذاهبه وعلى متن البر والتقوى راكبه ويقدم للاحتراس من عرف اجتهاده وعلم ارقه فى البحث وسهاده وحمدت أعماله وأمن تفريطه واهماله ويضم اليهم من يحذو حذوهم ويقفو شاوهم ممن لا يستراب بمناحيه ولا يصاب خلل فى ناحية من نواحيه وأن يذكى العيون على الجناة وينفى عنها لذيذ السنات ويفحص عن مكامنهم حتى يغص بالريق نفس آمنهم فلا يستقر بهم موضع ولا يفر منهم خب ولا موضع فاذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه وبث السؤال فى مواضع تصرفه ومواطنه فان لاحت شبهة ابداها الكشف والاستبراء وتعداها البغى والافتراء

نكله بالعقوبة أشد نكال وأوضح له منها ما كان ذا اشكال بعد أن يبلغ اناه ويقف
في طرفه مداه وحده أن لا يكشف بشرة الا في حد يتعين وان جاء فاسق أن يتبين وأن
لا يطمع في صاحب مال موفور وأن لا يسمع من مكشوف في مستور وأن يسلك السنن
المحمود وينزه عقوبته من الافراط وعفوه من تعطيل الحدود واذا انتهت اليه قصة
مشكلة أخرها الى غده فهو في العقاب أقدر منه على رده فقد يتبين في وقت ما لا يتبين في
وقت والمعاجلة بالعقوبة من الملق وأن يتعمد هفوات ذوي الهيآت وان يستشعر
الاشفاق ويخلع التكبر فانه من ملابس أهل النفاق وليحسن لعباد الله تعالى اعتقاده
ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده وأن يعاقب المجرم قدر زلته ولا يعتز عند ذلته وليعلم
أن الشيطان أغواه وزين له مشواه فيشفق من عثاره وسوء آثاره وليشكر الله تعالى
على ما وهبه من العافيه وألبسه من ملابسها الضافيه ويذكره جل وعلا في جميع
أحواله ويفكر في المحشر وأهواله ويتذكر وعدا ينجز فيه ووعيدا يوم تجد كل نفس
الى بعيدا والامير أيده الله تعالى ولى له ما عدل وأقسط وبرىء منه ان جار وقسط فمن
قرأه فليقف عند حده ورسمه وليعرف له حق قطع الشر وحسمه ومن وافقه من شريف
أو مشروف وخالفه في نهي عن منكر أو أمر بمعروف فقد تعرض من العقاب
لما يذيقه وبال خبله ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وكتب في كذا (وفاته) بمراكش ليلة
الاحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة أنفى قتيلا بيت من بيوت فندق
احد فقاد فها وقد ذبح وعبث به وما شعر به الا بعد ثلاث ليال من قتله انتهى نص الاحاطة
وقال في المغرب ما ملخصه فخر أدباء اشبيلية بل الاندلس أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله
القيسي الاشبيلي صاحب القلائد والمطمح ذكره الحجاري في المسهب الدهر من رواة
قلائده وحمله فرائده طلع من الافق الاشبيلي شمس طبق الآفاق ضياؤها وعم
الشرق والغرب سناها وسناؤها وكان في الادب أرفع الاعلام وحسنة الايام وله
كتاب قلائد العقيان ومن وقف عليه لا يحتاج في التنبيه على قدره الى زيادة بيان
وهو وأبو الحسن بن بسام الشنتمري مؤلف الذخيرة فارسا هذا الاوان وكلاهما ملقس
وسحبان والتفضيل بينهما عسير الا أن ابن بسام أكثر تقييدا وعلما مفيدا واطنابا
في الاخبار وامتاعا للاسماع والابصار والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه
أكثر تعلقا وتعشقا بالانفس ولولا ما اتسم به مما عرف من أجله بابن خاقان لكان أحد كتاب
الحضرة المرابطية بل مجليها المستولي على الرهان وانما أخل به ما ذكرناه مع كونه اشتهر
بذم أولى الاحساب والتمرين بالطعن على الادباء والكتاب وقد رماه الله تعالى بمارمى به
امام علماء الاندلس أبا بكر بن باجه فوجد في فندق بحضرة مراكش قد ذبح وجه عبد أسود
خلا معه بما اشتهر عنه وتركه مقتولا وفي دبره وتد والله سبحانه يتعمده برحمته ومن شعره
قوله من أبيات في المدح

الى أين ترقى قد علوت على البدر * وقد نلت غايات السيادة والقدر
وجدت الى أن ليس يذكر حاتم * وأغنيت أهل الجدب عن سبل القطر

وكم رام أهل اللوم باللوم وقفة * وبحرك مدّ لا يؤول الى جزر
ولو لم يكن فيك السماح جبلة * لاثر ذاك اللوم فيك مع الدهر

وذكره ابن الامام فى سمط الجمان وأنشد له

لله ظبي من جنابك زارنى * يختال زهوا فى ملاءة مراح
ولى القماس فى هواه كانه * مروان خاف كاتب السفاح
فخلعت صبرى بالعرا ونبذته * وركبت وجدى فى عنان جماح
أهدى لى الورد المضعف خده * فقطفته باللحظ دون جناح
واردت صبرا عن هواه فلم أطق * واريت جدّا فى خلال مزاح
وتركت قلبي للصبابة طائرا * تهفو به الاشواق دون جناح

وذكره ابن دحية فى المطرب ونعته بابن خاقان قال والشيخ أبو الحجاج البياسى ينكر هذا وقيل انما قيل له ابن خاقان لما تقدّم ذكره فى كلام الجارى وقال ابن دحية انه قتل ذبحا بمسكنه فى فندق بيبت من حضرة مراكش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة أشار بقتله على بن يوسف بن تاشفين وقال أبو الحسن بن سعيد رأيت فضلاء الاندلس ينتقدون على الفتح أوّل افتتاحه فى خطبة قلائده الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أحيتنا لكون ما تضمنته الفقرة الاولى أصوب مما تضمنته الفقرة الثانية والصواب ضدّ ذلك انتهى وقال ابن الابار فى معجم أصحاب الصدفى انه لم يكن مرضيا وحذفه أولى من اثباته انتهى ولذا لم يذكره فى التكملة وقال ابن خاتمة انه لم يعرف من المعارف بغير الكتابة والشعر والآداب انتهى وما حكاه فى الاحاطة من تاريخ وفاته مخالف لما حكاه ابن الابار انه ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة قال وقرأت ذلك بخط من يوثق به وحكى ابن خلكان قولا آخر انه توفى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قيل وهو خطأ على انه حكى القول الآخر أيضا ودفن بباب الدباغين رحمه الله تعالى وقد قيل ان قتله كان باشارة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أخى ابراهيم الذى ألف برسمه قلائد العقيان وقد ذكر ابن خلكان أن المطمح ثلاث نسخ صغرى ووسطى وكبرى والذى قاله ابن الخطيب وابن خاتمة وغيرواحد من المغاربة انه نسختان فقط صغرى وكبرى ولعله الصواب اذ صاحب البيت أدرى بما فيه ومن تأليف الفتح بداية المحاسن وغاية المحاسن ومجموع فى ترسيله وتأليف صغير فى ترجمة ابن السيد البطليوسى نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلائد * ومن بديع انشاء الفتح المذكور سامحه الله تعالى قوله أطال الله تعالى بقاء الوزير الاجل عتادى الاسرى وزنادى الاورى وأيامه أعياد وللسعد فى زمانه انقياد أما انا أدام الله تعالى عزه بحوى عاتم وأعيادى مآتم وصبحى عشاء ومالى الامن الخطوب انتشاء أبيت بين فؤاد خافق وطرف مسهد نائى المحلة من مزار العوّد حين لا أرى الروض المنوّر ولا أحس سهيلا اذا لاح ثم تنوّر وقد بعدت دار الى حبيبه ودنت منى حوادث بادناها تؤذى الشبيبه وأى عيش لمن لزم المفاوز لا يريمها حتى ألفه ريمها قد رمته النوائب فما اتقى وارتقت له الجوائح فى وعور المرتقى يواصل النوى ولا يهجر سيرا

ولم يزجر في الاراحة طيرا قدهام بالوطن هيام ابي طالب بالحوض والعطن وحن الى تلك البقاع حنينه الى أثلات القاع ولا سبيل أن يشعب صدر بينه شاعب أو تكلمه أحجار الدار وملاعب وليس له الى أين يجنح ولا يرى أمله يسنح قد طوى البلاد وبسطها وتطرق الارض وتوسطها ولم يلف مقيلا ولا وجد مقيلا الى الله أشكو وما أقاسي وأقاصي ويده الاقدام والنواصي ولقاؤه موعد لكل موعد وكل معمر سيدركه يوما حمام الموعد وانفذته وقد صدرت عن فلانة بعد أهوال لقيتها وانكال سقيتها وسفر لقيت منه نصبا وكدرا أعقبني وصبا والى متى يعتزلني السعد ولله الامر من قبل ومن بعد انتهى * وكتب رحمه الله تعالى من رسالة سيدي لا عدمت ارتفاقا ولا حرمت تكيفا من السعد واتفاقا أنا الآن مشتغل البال لا أفرق بين الاعراض والاقبال وعند توجهي أفرغ لك ما حضر ومثلك أرجأ الامر وأنظر وفي علم الله تعالى لو أمكنني لحملتك على كاهل وأوردتك منه أعذب المناهل وأبحت لك السعد ثغرا تشفه وخلعته بردا عليك تلتحفه لكن الزمان لا يجد وصروفه لا تنجد وعلى أي حال فلا بد أن تجد قرالك وتحمد سراك ان شاء الله تعالى * وكتب الى أبي بكر بن علي عند ولايته اشبيلية أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل أبي بكر للارض يتملكها ويستدير بسعده فلكها استبشر الملك وحق له الاستبشار وأومأ اليه السعد في ذلك وأشار بما اتفق له من تزليتك وخفق عليه من ألويتك فلقد حبي منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يقدم حيث يتأخر الذابل ويكرم اذا بخل الوابل ويحمي الحمى كريعة بن مكدم ويسقي الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس لقد استردت عهد خلفائها واستمدت تلك الامامة بعد اغفائها حتى كان لم تمر أعصارها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم ومابذلا الا المشرفية مهرا والله تعالى أسأله انتصار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم ونصرك أعز من نصرهم والسلام انتهى * وقال بعضهم من أحسن ما رأيت له قوله معاليك أشهر رسوما وأعطر نسيما من أن يغرب شهاب مسعاها أو يجدب لرائد مرعاها فان نبهتك فانما نبهت عمرا وان استنرتك فانما أستنير قمرا والامير أيده الله تعالى أجل من اعتصم في ملكه وانتظم في سلكه فانه حسام يد الملك طلاقته فرنده وشهامته حده وقضيب في دوحة الشرف رطيب بشره زهره وبره ثمره وقد توسمت نارك لعلي أفوز منها بقبس أو تكون كنار موسى بالوادي المقدس وعسى الامل أن تعلو بكم قداحه ويشف من أفقكم مصباحه فجرد أيدك الله تعالى صارم عزم لا يفل غربه وأطلع كوكب سعد لا يخاف غروبه انتهى * ولنذكر بعض كلامه في المطمح لغرابته في هذه البلاد المشرقية بخلاف القلائد فانها موجودة بأيدي الناس فيه قال رحمه الله تعالى في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي امام اللغة والاعراب وكعبة الآداب أوضح منها كل ابهام وفضح دون الجهل بها محل الاوهام وكان أحد ذوي الاعجاز وأسعد أهل الاختصار والايجاز نجم والاندلس في اقبالها والانفس أول تمومها بالعلم

واهتبالها

واهتبالها فنفقت له عندهم البضاعه واتفقت على تفضيله الجماعه وأشاد الحكم بذكره فأورى بذلك زناد فكره وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثيل ولحن العامة وطبقات النحويين وكتاب الواضح وسواها من كل تاليف مجلل لمن أتى بعده فاضح وله شعر مصنوع ومطبوع كانما يتفجر من خاطره ينبوع وقد أثبت له منه ما يقترح ولا يطرح فمن ذلك قوله

كيف بالدين القديم * لك من أم غريم
ولقد كان شفاء * من هوى القلب السقيم
يشرق الحسن عليها * في دجى الليل البهيم

وكتب مراجعا

أغرقتني في بحور فكر * فكدت منها أموت لما
كلفتني غامضا عويصا * أرجم فيه الظنون رجما
مازلت أسري والسجوف عنه * كانني كاشف لظلما
أقرب من ليله وأنأى * مستبصرا تارة وأعمى
حتى بدا مشرق المحيا * لما اعتلى طالعا وتما
لله من منطق وجيز * قد جل قدرا وجل فهما
أخلصت لله فيه قولا * سلمت لله فيه حكما
اذ قلت قول امرئ حكيم * مراقب للاله علما
الله ربي ولي نفسي * في كل بؤس وكل نعما

وكتب الى أبي مسلم بن فهد وكان كثيرا التكبر عظيم التجبر متغير اللسانه مقفرا من المعالم جنانه

أبا مسلم ان الفتى بفؤاده * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليس رواء المرء يغني قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد الحلم والعلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي

واستدعاه الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين فعجل اليه وأسرع فامرع من آماله ما أمرع فلما طالت نواه واستطالت عليه لوعته وجواه وحن الى مستكنه باشبيلية ومثواه استأذنه في اللحوق بها فلومه ولواه فكتب الى من كان بالفه ويهواه

ويحك يا سلم لا تراعي * لا بد للبين من مساعي
لا تحسبيني صبرت الا * كصبر مبت على النزاع
ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق * الا المناحات في النواعي
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان في اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

وقال سامحه الله تعالى بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صمادح مانصه ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله فتى الراح المعاقر لدنانها المهتصر لاغصان الفتوة وافنانها المهجر لفلاة الظباء والآرام المشتهر في باب الصبابة والغرام نشأ في حجر أبيه نديم قهوه ومديم صبوه وخديم شهوه لا يريم كاسا ولا يروم الا اقتضاء وانتكاسا ماشهد قتلا ولا قتالا ولا تقلد صارما الا مختالا قد أمن منه جنان الجبان وعدت له غصون البان ومازال مرتضعا لاخلاف البطاله مقتطعا ماشاء من اطاله متوغلا في شعاب القتاله متغلغلا في طريق الانتهاك الى أن وجهه أبوه الى أمير المسلمين سفيرا عند مابدت له وجوه الفتنة تسفر ومعاهد الهدنة تقفر مع أكامل أصحبهم نقصانه وذوى اديان جعلهم خلصانه يسمعون بوادر بذاذته وينظرون منا كر لذاذته فآلت سفرته الى الاعتقال وقصرت نخوته مابين قيد وعقال فجاء كالمهر لا يعرف لجاما وصار حبيس قوم لا يألونه استجاما وحين شالت نعامته وسالت عليه ظلامته كتب الى أبيه

ابعد السنا والمعالي خمول * وبعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعدما كنت حرا عزيزا * أنا اليوم عبد أسير ذليل
حملت رسولا بغرناطة * فحل بها في خطب جليل
وثقفت اذ جئتها مرسلا * وقبلي كان يعز الرسول
فقدت المرية أكرم بها * فما للوصول اليها سبيل

فراجعه أبوه بقطعة منها

عزيز علي ونوحي دليل * على ما أقاسي ودمعي يسيل
وقطعت البيض أغمادها * وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه * ويوسف أنت فصبر جميل

ولم يزل يحتال في تخلصه وأخذه من يد مقتنصه فسرق وحراسه منه بمكان السلك من النحر وطرق به على ثبج البحر فوافى المرية وقد أخذ البحث عليه آفاق البرية فهنئ المعتصم بخلاصه وبقي مستقرا بعراصه الى أن أخلوها ومضوا الطلبة مانووها فنجا أخوه الى حيث ذكرنا من بلاد الناصر ولجأ هو الى أحد المرابطين لاذمة كانت بينهما وأواصر وأقام معه سمير لهوه وأمير سهوه الى أن انقرض أمده وطواه سروره لا كمده فلم ير الا خالعا لعذاره طالعا في ثنيات اغتراره غير مكترث باتضاعه ولا منحرف عن ارتشاف الغي وارتضاعه وبدا منه في هذه الحال ندى كاثر به السحاب وظاهر بسببه الصحاب وتخذم الاوطار وتقدم لذوى الرتب فيها والاخطار حسنا من ذكره وأولع الالسن بشكره فارتفع عنه الكدح وشفع له في الذم ذلك المدح وكان نظمه بديع الوصف رفيع الرصف وقد أثبت له مايشهد بأجادته واحسانه شهادة الروض بجود نيسانه أخبرني ابن القطان انه سار الامير يحيى بن أبي بكر الى طليطلة في جيوش فاضت سيلا وخاضت المطايا قتامها ليلا وكان ملكا لم يعقد على مثله لواء ولم يحتو على شبهه حواء جمال محيا وكمال عليا وحسن شيم وبعد هم أغنى العفاة وأحيى الرفاة والغى

قوله الانتهاك في نسخة الانهماك اه

الاجواد وأنسى كعب بن مامة وابن أبي دواد فلما شارف طليطلة وكشفها واشتف بلاتها وارتشفها وضرب بكنفها مضاربه واجال بساحتها ركابه واعاربه سقط أحد الويته عن يد حامله وانكسر عند عامله فطائفة تفاءلت وطائفة تطيرت وفرقة ابتهجت وأخرى تغيرت فقال

لم ينكسر عود اللواء لطيرة * يخشى عليك بها وان تتأولا
لكن تحقق انه بندق في * نحر العدا ولدى الوغى فتجدلا

وأخبرني أخوه رفيع الدولة أن ابن اللبانة كتب اليه والخلع قد نضا لبوسه وقصر بوسه وكدر صفاءه وعذر وفاءه وطوى ميدان جوده واذوى أفنان وجوده قوله

ياذا الذي هز أمداحي بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فدعته دواعي الندى وأولعته بالجدا في ذلك المدى فتحيل في برّ طبعه وكتب معه

المجد يخجل من تقديك في زمن * ثناه عن واجب البرّ الذي علما
فدونك التزر من مصف مودته * حتى يوفيك ايام المنى سلما

(ابنه الثاني) رفيع الدولة أبو يحيى بن المعتصم من بيت امارة والى السعد طوافه بها واعتماره عمرت انديته وتشرت به رايات العز وألويته الى أن خوى كوكبهم وهوى مرقبهم فتفرقوا أيادي سبا وفرقوا من وقع الاسنة والظبا وفارقوا أرضا كارض غسان وواقتوا أياما كيوم أهل اليمامة مع حسان بعد ما خامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق واتهم الناس من كل مكان سحيق وانتجعوا انتجاع الانواء واستطعموا في المحل واللاواء وصالوا بالدهر وسطوا وبين النهى والامر فيه خطوا ورفيع الدولة هذا فجر ذلك الصباح وضوء ذلك المصباح وغصن تلك الدوحة وعرف تلك النفحة لم يمتهن والدهر قد بذله ولا ترك الانتصار والامر قد خذله فالتحف بالصون وارتدى وراح على الانقباض واغتدى فما تلقاه الا سالكا جددا ولا تراه الا لابسا سوددا وله أدب كالروض المجود اذا زهر ونظم كزهر النهائم والنجود بل كالصبح اذا اسفر واشتهر أرقفه على النسيب وصرفه الى المحبوبة والحبيب فمن ذلك قوله

مالي وللبدر لم يسمح بزورته * لعله ترك الاجمال أو هجرا
ان كان ذاك الذنب ما شعرت به * فأكرم الناس من يعفو اذا قدرا

وله أيضا

ياعابد الرحمن كم ليلة * أرقتني وجدا ولم تشعر
اذ كنت كالغصن نتته الصبا * ومحسن ذاك الخد لم يشعر

وله أيضا

وأهيف لا يلوى على عتب عاتب * ويقضي علينا بالظنون الكواذب
يحكم فينا أمره فنطيعه * ونحسب منه الحكم ضربة لازب

وله أيضا رحمه الله تعالى

وعلقته حلو الشمائل ماجنا * خنث الكلام مريح الاعطاف
مازلت انصفه وأوجب حقه * لكنه يابى من الانصاف

وله أيضا

حبيب متى يناى عن العين شخصه * يكاد فؤادى أن يطير من البين
ويسكن مابين الضلوع اذا بدا * كان على قلبى تمائم من عين

وله أيضا

افدى أبا عمرو وان كان جانيا * على ذنوبا لاتعد بالعتب
فما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعينى ثم اظلم للقلب

وله وقد بلغه موتى وتحقق عنده فوتى

مضى الوزارة قد اودى فما فعلت * تلك المحابر والاقلام والطرس
ما كنت احسب يوما قبل ميتته * ان البلاغة والآداب تختلس

واستأذن ليلة على أحد الامراء وأنا عنده فى أسنى موضع وأبهى مطلع وجوانب حفده بين يدى محتله وسحائب رفده على منهله وكان أجل من سقل واكمل من من المهد الى سرير الملك قد نقل وكتب الى يهنينى بقدوم من سفر

قدمت أبا بكر على حال وحشة * فجاءت بك الآمال واتصل الانس
وقرت بك العينان واتصل المنى * وفازت على يأس بيغيتها النفس
فاهلا وسهلا بالوزارة كلها * ومن رايه فى كل مظلمة شمس انتهى

(وقال فى المطمح فى ترجمة الوزير أبى الوليد بن حزم) واحد دونه الجمع وهو للجلالة بصر وسمع روضة علاه رائقة السنا ودوحة بهاء طيبة الجنى لم يتزر بغير الصون ولم يشتهر بفساد بعد الكون مع نفس برئت من الكبر وخاصت خلوص التبر وعفاف التحف به برودا وما ارتشف به ثغر ابرودا فعفت مواطنه وما استرابت ظواهره ولا بواطنه وأما شعره ففى قالب الاحسان أفرغ وعلى وجه الاستحسان يلقى ويبلغ وكتب اليه ابن زهر

أأبا الوليد وأنت سيد مذحج * هلا فككت اسير قبضة وعده
وحياة من امد الحياة بوصله * وذهابها حتما بايسر صده
لاقاتلنك ان قطعت بمرهف * من جفنه وبصعدة من قده

فراجعه أبو الوليد

لبيك ياأسد البرية كلها * من صادق عبث المطال بوعده
يمضى بأمرك سار أو سدد القضا * ويفل حد النائبات بجده
ايه ووافقت الصبا فى معرض * ذهب المشيب بهزله وبجده

(وقال فى المطمح فى ترجمة أبى بكر الغسانى ماصورته) صليب العود مهيب الوعود لو دعى له الاسد الورد لاجاب ولو رمى بذكره الليل البهيم لانجاب ولو قعدت بين يديه الاطواد لتحركت سكونها ولو عصته الطيور ما آوتها وكونها مع وقار تخاله يذبلا ونخار يفضح بلبلا وشيم لو كانت بالروض ماذوى أو تقاسمت فى الخلق مارمد أحد بعد ماشوى وسجايا تتجلى

عنها الظلماء كان مزاجها عسل وماء انتهى وهذا الغسانى هو صاحب تفسير القرآن وقد عرّف به فى الاحاطة فليراجع ثمة * وقال أيضا فى المطمح ما صورته (أبو عامر بن عقال) كان له ببنى قاسم تعلق وفى سماء دولتهم تألق فلما خوت نجومهم وعفت رسومهم انحط عن ذلك الخصوص وسقط سقوط الطائر المقصوص وتصرّف بين وجود وعدم وتحرّف قاعدا حينا وحينا على قدم وفى خلال حاليه وأثناء انتحاليه لم يدع حظه من الحبيب ولا ثنى لحظه عن الغزال الربيب ولم يزل يطير ويقع والدهر يخرق حاله ويرقع الى أن ارقاه الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى أعلى ربوه واراه أبهى حظوه فأدرك عنده رتبة أعلام التحبير والانشا وترك الدهر قلق الحشى وتسنم منزلة لا يتسنمها الا من تطهر من درنه وجمح احسانه فى ميدان حزنه والحظوظ أقسام لا تسام والدنيا انارة واعتام (شعر)

ولو لم يعل الاذ ومحلّ * تعالى الجيش وانحط القتام

وقد أثبت عنه بعض ما انتقيته والذى أخذته مباين لما أبقيته فمن ذلك قوله

يا ويح أجسام الانا * م فما تطيق من الاذى
خلقت لتقوى بالغذا * ء وسقمها ذاك الغذا
وتنال أيام السلا * مة بالحياة تلذ ذا
فاذا انقضى زمن الصبا * ورمى المشيب فانفذا
وجد السقام الى المفا * صل والجوانح منفذا
ويقول مهما يعط شيأ نا ولونى غبرذا

وحذا فى هذه القصيدة حذو الصابى فى قوله

وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى
ردّ الذى استحسنته * والناس من حظى كذا
والعمر مثل الكاس ير * سب فى أواخره القذى

وله يعتذر عن زيارة اعتمدها ومواصلة اعتقدها فعاقته عنها حوادث لوته وعدته عن ذلك وثنته

بينما كنت راجيا للقائه * والتشفى بالبشر من تلقائه
وترقبت من سماء نزاعى * قمر الانس طالعا من سمائه
اذ دهانى اعتراض خطب ثنانى * عن غمام يشفى الغليل بمائه
فتدلهت وانزويت حياء * منه والعذر واضح لسنائه

وله فصل كتب به عن الامير ابراهيم يصف اجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه أيده الله تعالى من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذل بعد استصعابه وسهل بعد آن أرى الشامخ من هضابه وصار حيه ميتا وهذره صمتا وجباله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وضعف تعاطيه وعقد السلم بين موجه وشاطيه فعبر آمنا من لهواته متملكا لصهواته على جواد يقطع

الجو سجما ويكاد يسبق البرق لمحا لم يحمل لجاما ولا سرجا ولا عهد غير اللجة الخضراء مرجا عنانه فى رجله وهدب العين يحكى بعض شكله فلله هو من جواد له جسم وليس له فؤاد يخرق الهوى ولا يرهبه ويركض الماء ولا يشربه * (وقال فى ترجمة الفقيه أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنى ما نصه) من ثنية شرف وحسب ومن أهل حديث وادب امام فى اللغة متقدم فارع لرتب الشعر متسنم له رواية بالاندلس ورحلة الى المشرق ثم عاد وقد تتوج بالمعارف المفرق وأقام بقرطبة عصما من أعلامها ومتسنما لترفعها واعظامها تؤثره الدول وتصطفيه أملاكها الاول مازال فيها مقيما ولا برح عن طريق احسانها مستقيما الى أن اغتيل فى احدى الليالى بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولا فى فراشه مذهولا كل أحد من انبساط الضرب اليه على انكماشه وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع وتصغى اليه المسامع فمن ذلك قوله

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم * على ما به منهم حنين الاباعر
وأصبر عن أحباب قلبى ترحلوا * الا ان قلبى سائر غير صابر

ولما رجع الى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه فى المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وماله عندهم من الاثرة قال

انى اذا حضر تنى الف محبرة * يكتبن حدثنى طورا وأخبرنى
نادت بمفخرى الاقلام معلنة * هذى المفاخر لا قعبان من لبن

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الوليد بن زيدون

أبا الوليد وما شطت بنا الدار * وقل منا ومنك اليوم زوار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم * وللصبا ورق خضر وأنوار
وكل عتب واعتاب جرى فله * بدائع حلوة عندى وآثار
فاذكر أخاك بخير كل ما لعبت * به الليالى فان الدهر دوار

قوله أبى عمر فى نسخة أبى عمرو اه

(وقال فى ترجمة صاحب العقد الفقيه العالم أبى عمر أحمد بن عبد ربه) عالم ساد بالعلم ورأس واقتبس به من الحظوة ما اقتبس وشهر بالاندلس حتى سار الى المشرق ذكره واستطار شرر الذكاء فكره وكانت له عناية بالعلم وثقه ورواية له متسقه وأما الادب فهو كان حجته وبه غمرت الافهام لجته مع صيانة وورع وديانة وردماها فكرع وله التأليف المشهور الذى سماه بالعقد وحماه عن عثرات النقد لانه أبرزه منقف القناه مرهف الشباه تقصر عنه ثواقب الالباب وتبصر السحر منه فى كل باب وله شعر انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسماه أخبرنى ابن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب لبه وألهب قلبه فبينما هو واقف تحت القصر اذ رش بماء من أعاليه فاستدعى رقعه وكتب الى صاحب القصر بهذه القطعه

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن فى أحد
لو أن أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعى ومن به * صوتا يجول مجال الروح فى الجسد

أما النبيذ فانى لست أشربه * ولا أحبل الانسوتى بيدى

وعزم فتى كان يألفه وخامره كلفه على الرحيل فى غده فأذهبت عزمته قوى جلده فلما أصبح عاقته السماء بالانواء وساقته مكرها الى الثواء فاستراح أبو عمر من كده وانفسح له من التواصل ضائق أمده فكتب الى المذكور العازم على البكور

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر

مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر

يا برده من حيا مزن على كبدى * نيرانها بغليل الشوق تستعر

ليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أرالك فأنت الشمس والقمر

ومن شعره الذى صرح به تصريح الصب وبرح به وقائع اسم الحب قوله

الجسم فى بلد والروح فى بلد * ياوحشة الروح بل ياغربة الجسد

ان تبك عينك لى يامن كلفت به * من رحمة فهما ساهما لى فى كبدى

ومنه قوله

ودعتنى بزفرة واعتناق * ثم نادت متى يكون التلاقى

وبدت لى فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق

ياسقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق أفظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله أيضا

ياذا الذى خط الجمال بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى لبست بعارضيك حمائلا

وأخبرنى بعضهم أن الخطيب أبا الوليد بن عمال حج فلما انصرف تطلع الى لقاء المتنبى واستشرف ورأى أن لقياه فائدة يكتسبها وحلة تخر لا يحتسبها فصار اليه فوجده فى مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلا ثم قال أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فأنشده

ياللؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ماان رأيت ولاسمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا

يامن تقطع خصره من رقة * مابال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل انشادها استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأثلت العراق حبوا وله أيضا

ومعذر نقش الجمال بخطه * خدا له بدم القلوب مضرجا

لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وله أيضا

وساحبة فضل الذيول كأنها * قضيب من الريحان فوق كثيب

اذا مابدت من ثغرها قال صاحبى * أطعنى وخذ من وصلها بنصيب

وله أيضا

هيج الشوق دواعي سقمي * وكسا الجسم ثياب الالم
أيها البين أقلني مرة * فاذا عدت فقد حل دمي
ياخلي الروع نم في غبطة * ان من فارقته لم ينم
ولقد هاج بجسمي سقما * حب من لو شاء دواي سقمي

وبلغ سن عوف بن محلم واعترف بذلك اعتراف متألم عند ما وهت شدته وبليت جدته وهو آخر شعر قال ثم عثر في اذيال الردى وما استقال

كلاني لما بي عاذلي كفاني * طويت زماني برهة وطواني
بليت وابليت الليالي مكرها * وصرفان للايام معتوراني
ومالي لا ابلى لسبعين حجة * وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علتي * ودونكما مني الذي تريان
واني بحول الله راج لفضله * ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي من تباريح علتي * اذا كان عقلي باقيا ولساني

وفي أيام اقلاعه عن صبوته وارتجاعه عن تلك الغفلة وأوبته وانثنائه عن مجون المجون الى صفاء توبته محص أشعاره في الغزل بما يشافيها ونصل من قوادمها وخوافيها باشعار في الزهد على أعاريضها وقوافيها منها القطعة التي أولها هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر محصها بقوله

يا راقد العين يغفو حين يقتدر * ماذا الذي بعد شيب الرأس ينتظر
عاين بقلبك ان العين غافلة * عن الحقيقة واعلم أنها سقر
سوداء تزفر من غيظ اذا سفرت * للظالمين فلا تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة * لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ماقلت مبتدئا * هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر انتهى

(وقال في ترجمة أبي القاسم المنيشي ماصورته) أبو القاسم المنيشي أحد أبناء حضرة اشبيلية المقلين الناهضين باعباء الضرائر المستقلين لم يزل يعشو لكل ضوء ويتجع مصاب كل نوء فيوما يخصب ويوما يجدب وآونة يفرح وأخرى يندب الى ان صدقت مخايله فرمقت بخوته وتحايله وأتى من العجب بمنسدل الحجب ومن الاشر مالم يأت من بشر وما تصرف الا في أنزل الاعمال ولا تعرف الا باخون العمال لم يفرع ربوة ظهور ولم يقرع باب رجل مشهور وله أدب ولسن ومذهب فيهما يستحسن لكنه نكب عن المقطع الجزل وذهب مذهب الهزل الا في النادر فربما جد ثم أخلق منه ما استجد وعاد الى ديدنه دعوة أبي عباد الى واوائه ومدنه وأخذ في ذلك الغرض وليس شرط كتابي بذاه ولا أن يقف حذاه وقد أثبت له ما هو عندي نافق ولغرض كتابي موافق فمن ذلك قوله

يا روضة باتت الانداء تخدمها * أتى النسيم وهذا أول السحر

ان كان قدك غصنا فالثراء به * مثل الكمائم قد زرت على الزهر
ارباً بخدك عن ورد وعن زهر * واغنا بقرطيك عن شمس وعن قمر
يا قاتل الله لحظى كم شقيت به * من حيث كان نعيم الناس بالنظر

وله من رثاء فى والدتى رحمة الله عليها

يا ناصحى غير مفتات ولا شجن * على النصاح والنصاح مفتات
لا أستجيب ولو ناديت من كثب * وقد قذتنى تعلات وعلات
ان كان رأيك فى برى وتكرمتى * بحيث قد ظهرت منه علامات
لا ترض لى غير شيحو لا أفارقه * فذاك أختاره والناس أشتات

ومنها

يا ذا الوزارات من مثنى وواحدة * لله ما اصطنعت منك الوزارات
لله منك أبا نصر أخو جلد * اذا المت ملمات مهمات
استودع الله نورا ضمه كفن * كما توارى بدور التم هالات
قضت وليت شبابى كان موضعها * هيهات لو قضيت تلك اللبانات
مضت ولما يقم من دونها أحد * هلا وقد أعذرت فيها المروءات

وله يصف زرزورا

أمنبر ذاك أم قضيب * يفرعه مصقع خطيب
يحتال فى بردتى شباب * لم يتوضح بها مشيب
كأنما ضمخت عليه * ابراده مسكة وطيب
أخرس لكنه فصيح * أبله لكنه لبيب
جهم على أنه وسيم * صعب على انه أريب

(أبو الحسن البرقى) بلنسى الدار نفيسى المقدار ما سمعت له بشرف ولا علمت له بسلف ولا اطلعت منه على غير سرف ورد اشبيلية سنة تسع وتسعين واربعمائة واتصل بابن زهر فناهيك من حظ فى اكنافه جال ومن لحظ فيما أراده أجال ومن أمل استوفر وحظ مسك أذفر ومن وجه جاه له أسفر سلك به ساحة الرغائب وتملك بسببه اباحة الحاضر والغائب وقال فانبذت مقالته وافال فاقيدت اقالته وكان حلو المجالسه مجلو المؤانسه ذا نشب وافر ومذهب فى المساهمة سافر الا انه كان كلفا بالفتيان معنى بهم فى كل الاحيان ونيف على السبعين وهو برداء الصبوة مرتد ويعترها معتمد مع أدب زهرته ترف وكأنه بحر والالباب منه تغترف وقد أثبت له بعض ما وجدت له فى الغلمان وأنشدت له فى تلك الازمان فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى

ان ذكرت العقيق هاج شوق * رب شوق يهيجه الاذكار
يا خليلى حدثانى عن الركب مسيرا أأنجدوا أم أغاروا
شغلونا عن الوداع وولوا * ما عليهم لو ودعوا ثم ساروا
أنا أهواهم على كل حال * عدلوا فى هواهم أم جاروا

وعلق باشبيلية فتى يعرف بابن المكر وبات من حبه طريحا بين أيدى الوساوس والفكر لايمشى الاصبا ولايفشى الاغراما وحبا ومازال يقاسى لوعته مقاساة يناجى بها صرعته ويكابد جواه ويلازم هواه حتى اكتسى خده بالعذار وانمحت عنه بهجة آذار فسلا من كلفه وتصدى ذلك لمواصلته بصلته فقال

الآن لما صوحت وجناته * شوكا واصحت سلوة العشاق
واستوحشت منه المحاسن واكتست * أنوار وجهك واهن الاخلاق
أمسيت تبذل لى الوصال تصنعا * خلق اللئيم وشيمة المذاق
هلا وصلت اذ الشمائل قهوة * واذ المحيا روضة الاحداق
ياكم أطلت غرام قلب موجع * كم قد الب اليك بالاشواق
ماكنت الا البدر ليلة تمه * حتى قضت لك ليلة بمحاق
لاح العذار فقلت وجد نازح * ان ابن داية مؤذن بفراق

وله فيه مناقضا لذلك الغرض معارضا للوعة سلو الذى كان عرض

يلومون فى ظبى تزايد حسنه * بخطين خطا لوعتى وغراميا
وقد كنت أهوى خده وهو عاطل * فكيف وقد أضحى لعينى حاليا

وله أيضا فى مثله

أجيل الطرف فى خد نضير * يردد ناظرى نظرى اليه
اذا رمدت بحمرته جفونى * شفاها منه اثمد عارضيه

(أبو الحسن على بن جودى) برز فى الفهم وأحرز منه أوفر سهم وعانى العلوم بقريحة ذكيه وواخى بنفس فى المعارف زكيه وله أدب واسع مداه يانع كالروض بلله نداه ونظم أرق من دمع العانى ولطيف المعانى واعبق من نفس الخمائل فى أكف الصبا والشمائل ونثر كالزهر المطلول أو السلك المحلول الا انه سها فاسرف وزها بما لايعرف وتصدى الى الدين بالافتراء ولم يراقب الله تعالى فى ذلك الاجتراء واشتهرت عنه فى ذلك اقوال سدد الى الملة نصالها وأبدى بها ضلالها فعظمت به المحنه وكنت له فى كل نفس احنه ومازال يتدرج فيها وينتقل حتى عثر وماكاد يستقل فمر لايلوى على تلك النواحى وفر لاينثنى الى لوائم ولواحى ومازال يركب الاهواء ويخوضها ويذلل النفس بها ويروضها حتى أسمحت ببعض الاسماح وكفت عن ذلك الجماح واستقر عند ابى مالك فآواه ومهد له مثواه وجعله فى جملة من اختص من المبطلين واستخلص من المعطلين فكثيرا مايصطفيهم ولايدرى أيدخرهم أم يقتنيهم وقد أثبت له مايبهر سامعا ويظهر برقا لامعا فمن ذلك قوله

احن الى ريح الشمال فانها * تذكرنا نجدا وماذكرنا نجدا
تمر على ربع أقام به الهوى * وبدل من أهليه جاثمة ربدا
فياليت شعرى هل تقضى لبانة * فأرتشف اللميا وأعتنق القدا
خليلى لا والله ما أحمل الهوى * وان كنت فى غير الهوى رجلا جلدا

وقوله أيضا

سل الركب عن نجد فان تحية * لساكن نجد قد تحملها الركب
والا فما بال المطى على الوجا * خفافا وما للريح مرجعها رطب

وقوله أيضا

اذا ارتحلت غربية فاعرضا لها * فبالغرب من نهوى له البلد الغربا
لقد ساءنا أنا بعيد وأننا * بارضين شتى لا مرورا ولا قربا
يفجعنا اما بعاد مبرح * واما أمور باعثات لنا كربا
ظعنا على حكم الليالى وخطبها * فياليت لم ندر الليالى ولا الخطبا
وكنت أرجى الدهر بعد الذى مضى * ديارا وقربا والاصادق والصحبا
احقا يسير الركب لم ترتحل بنا * اليك ولم تحد الحداة لنا ركبا

وقوله أيضا

لقد هيج النيران يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامع
عشية لا أرجو لقاءك عندها * ولا انا ان يدنو مع الليل طامع

وقوله أيضا

حننت الى البرق اليمانى وانما * نعالج شوقا ما هنالك هانيا
فيا راكبا يطوى البلاد تحملن * تحيتنا ان كنت تلجا لاقيا
ليالينا يا لجزع جزع محجر * سقى الله بافيحاء تلك الليا ليا
وما ضر صحبى وقفة بمحجر * أحيى بها تلك الرسوم البواليا

وله أيضا

خليلى من نجد فان بنجدهم * مصيفا لبيت العامرى ومربعا
ألا رجعا عنها الحديث فاننى * لاغبط من ليلى الحديث المرجعا
عزيز علينا يا ابنة القوم أننا * غريبان شتى لا نطيق التجمعا
فريق هوى منا يمان ومشئم * يحاول ياسا أو يحاول مطمعا
كانا خلقنا للنوى وكانما * حرام على الايام أن نتجمعا

ووجدت له فى بعض نسخ المطمح قوله أيضا

سقى دارك اللائى ببطن محصب * مثاكيل من وفد الغمام المرنح
ألم تعلمى يا فتنة القلب أننى * تطارحت من حبى لكم كل مطرح
اذا نعبت غربان دار وجدتنى * وشوقى مقيم بين ناء ونزح

وله أيضا

ألا خبر وللبلوى ضروب * وفيك لكل مشتاق حبيب
حباك الله بالنعمى فنونا * وجر لكم مع النعمى خطوب
متى تقضى بخسفتك الليالى * وتعصف فيكم ريح هبوب
فانكم تجرون المنايا * وتعمر من مجانيكم قلوب

انتهى

وقد ذكر فى المطمح له تخميسا جاريا على ألسنة الناس الى الآن وهو

أياساكنين بأرض اللوا * وصالكم لسقامى دوا
وعافاكم الله من ذا الجوى * ملكتم فؤادى فصار الهوى
على رقيب رقيب رقيب
ولما بدت لهم حالتى * وما حرك الهجر من زفرتى
بكوا رحمة لى من ساعتى * فقلت متى الوصل ياسادتى
فقالوا قريب قريب قريب انتهى

وهو وان لم يكن فى ذروة البلاغة فقد ذكرته لانه مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم ولنذكر بعض نص خطبة المطمح قال رحمه الله تعالى فيه أما بعد حمد الله الذى أشعرنا ايمانا والهاما وصيرلنا أفهاما ويسر لنا برود آداب ونشرت للانبعاث لاثباتها والانتداب وصلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه رحمه ونبأه منة منه ونعمه وسلم تسليما فانه كان بالاندلس أعلام فتنوا بسحر الكلام ولقوا منه كل تحية وسلام فشعشعوا البدائع ورتوقوها وقلدوها بمحاسنهم وطوقوها ثم هووا فى مهاوى المنايا وانطووا بايدى الرزايا وبقيت مآثرهم الحسان غير منبتة فى ديوان ولا مجملة فى تصنيف مجتلى فيه العيون وتجتنى منه زهر الفنون الى أن أراد الله تعالى اظهار اعجازها واتصال صدورها بأعجازها فخلت من الوزير أبى العاصى حكم بن الوليد عند من رحب وأهل وأعل بمكارمه وأنهل وندبنى الى أن أجمعها فى كتاب وأدركنى من التنشط الى اقبال مانذب اليه وكتابة ماحث عليه فاجبت رغبته وحليت بالاسعاف لبته وذهبت الى ابدائها وتخليد علياتها وأمليت منها فى بعض أيام ثلاثة أقسام القسم الاول يشتمل على سرد غرر الوزراء وتناسق درر الكتاب والبلغاء القسم الثانى يشتمل على محاسن أعلام العلماء وأعيان القضاة والحكماء القسم الثالث يشتمل على ذكر محاسن الادباء النوابغ النجباء انتهى وهذه خطبة المطمح الصغير وأما الكبير والاوسط فضمنهما ذكر الملوك والسلاطين حسبما نقلنا بعضه فيما مر من هذا الكتاب على أنا نقلنا بعضا من الصغير أيضا فليعلم ذلك من يقف على هذا الكتاب ومن له أدنى ممارسة وليراجع من الترجمة الفرق بين كلامه فى الصغير وغيره وبالجملة فما رأيت ولا سمعت أحلى من عبارة الفتح رحمه الله تعالى فى تحلية الناس ووصف أيام الانس وليس الخبر كالعيان وقد سردنا بعض كلامه فى القلائد وفى المطمح (ولنرجع) الآن الى ما كنا بصدده من أمر التوشيح فنقول وتمام موشحة ابن سهل التى عارضها لسان الدين هو قوله

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس
يابدورا أطلعت يوم النوى * غررا تسلك فى نهج الغرر
مالقلبى فى الهوى ذنب سوى * منكم الحسن ومن عينى النظر
أجتنى اللذات مكلوم الجوى * والتذاذى من حبيبى بالفكر

كلما أشكوه وجدا بسما * كالربا بالعارض المنبجس
اذيقيم القطر فيها أتما * وهى من بهجتها فى عرس
غالب لى غالب بالتؤده * بابى أفديه من جاف رقيق
مارأينا مثل ثغر نضده * أفحوانا عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العربده * وفؤادى سكره ماان يفيق
فاحم اللمة معسول اللمى * أكحل اللحظ شهى اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما * وهو من اعراضه فى عبس
أيها السائل عن ذلى لديه * لى يجنى الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه * مشرقا للصب فيه مغرب
ذهبت أدمع أجفانى عليه * وله خد بلحظى مذهب
يطلع البدر عليه كلما * لاحظته مقلتى فى الخلس
ليت شعرى أى شئ حرما * ذلك الورد على المغترس
كلما أشكو اليه حرقى * غادرتنى مقلتاه دنفا
تركت ألحاظه من رمقى * أثر النمل على صم الصفا
وأنا أشكره فيما بقى * لست ألحاه على ما أتلفا
فهو عندى عادل ان ظلما * وعذولى نطقه كالخرس
ليس لى فى الحب حكم بعدما * حل من نفسى محل النفس
منه للنار بأحشائى اضطرام * يلتظى فى كل حين مايشا
وهى فى خديه برد وسلام * وهى ضر وحريق فى الحشا
اتقى منه على حكم الغرام * أسد الغاب واهواه رشا
قلت لما أن تبدى معلما * وهو من الحاظه فى حرس
أيها الآخذ قلبى مغنما * اجعل الوصل مكان الخمس

وقد عارض هذا الموشح أيضا بعض متأخرى المغاربة فقال

يا عريب الحى من حى الحمى * أنتم عيدى وأنتم عرسى
لم يحل عنكم ودادى بعدما * حللتم لا وحياة الانفس
من عذيرى فى الذى احببته * مالك قلبى شديد البرحا
بدر تم أرسلت مقلته * سهم لحظ لفؤادى جرحا
ان تبدى أو تثنى خلته * غصن بان فوقه شمس ضحا
تطلع الشمس عشاء عندما * تتجلى منه بالبهى الملبس
وترى الليل أضا منهزما * وترى الصبح أضا فى الغلس
يا حياة النفس صل بعد النوى * والهما مضنى شديد الشغف
قد براه السقم حتى ذا الهوى * كاد أن يفضى به للتلف
آه من ذكر حبيب باللوا * وزمان بالمنى لم يسعف

كنت أرجو الطيف يأتى حلما * عائدا يانفس من ذا فايأس
هل يعود الطيف صبا مغرما * ساهرا أجفانه لم تنعس
همت فى اطلال ليلى وأنا * ليس فى الاطلال لى من أرب
تمام مرادى رامة والمنحنى * لاولا ليلى وسعدى مطلبى
انما سؤلى وقصدى والمنى * سيد العجم وتاج العرب
احمد المختار طه من سما * الشريف ابن الشريف الكيس
خاتم الرسل الكريم المنتمى * طاهر الاصل زكى النفس

وقال فى مباراة هذه الموشحات السابقة

لاتلمنى ياعذولى تائما * ماترى جسمى بسقم قد كسى
مثل ماشرح غرامى علما * حيث اشكو وحشة من مؤنس
ظبى أنس عن فؤادى نفرا * وفؤادى مكنو من صده
وعذولى فى هوى الحب فرى * بملام مذنهى عن ودّه
أنت أعمى ياعذولى ماترى * يانع الورد بدا من خدّه
وله ثغر اذا ما ابتسما * كبروق أومضت فى الغلس
وثناياه كدرّ نظما * فضياها فى الدجى كالقبس
كم ترى سحرا بجفنيه بدا * لفؤادى فى الهوى أضحى كليم
ليس سحر مقلتى هذا سدى * يافؤادى ان شفى السحر السقيم
خيفة أوجس قلبى وغدا * راحلا صبرى وهاشوقى مقيم
ياالله العرش يارب السما * ياعليما بضمير الانفس
قلبى الولهان يشكو ألما * من جفا ظبى أغنّ أكيس
آغيد يسبى البرايا بالمقل * أدعج الجفن بعينيه حور
لو رأته الشمس أضحت فى خجل * وهو للبدر بوجه قد قمر
من معانى حسنه رق الغزل * فى غزال قد غزانى بالنظر
آخذ بالروح منى كلما * رمق الصب بطرف أنعس
يقنص الاسد بلحظ قدرمى * اسهما تفتك من غير قسى
يارعى الله زمانا سلفا * بلويلات تقضت بانشراح
مثل دينار وهما قد صرفا * فى ألذ العيش مع حب وراح
فاعذروا القلب الذى قد شغفا * بحبيب ماله عنه براح
بدر تم أهيف حلو اللمى * ريقه شهد شهىّ اللعس
كسلاف عهدها قد قدما * تتجلى فى كأسها كالعرس
قهوة بكر عجوز عتقت * زمنا فى دنها من قبل نوح
هى لما فى زجاج أشرقت * شمس راح غربت فى كل روح
جددت بسطا وكم قد مزقت * قلب صب فى غبوق وصبوح

حلف الخمار عنها قسما * أنها بالمكث كادت تنسى
فاسقنى صرفا ولا تمزج بما * راحة كم أذهبت من عبس
فى رياض قد شدا شحروره * عاطنيها بين اكناف الشجر
وانظم الشمل ودع منشوره * حول وردواقاح وزهر
واذا الطل بدا شبوره * كلل الاوراق منه بالدرر
ماترى الريحان عبدا خدما * حيث أضحى واقفا فى المجلس
جلس النسرين لكن ربما * استحت منه عيون النرجس
فتنزه فى رياض خضر * وغصون غردت فيها هزار
وانتشق عرف زهور عطر * ياسمين زينته الجلنار
وشذا الزهر كمسك أذفر * واقبل العذر لابن البزدار
طامع فى رحمة الله وما * خاب عبد طامع لم ييأس
يا الهى جد علينا كرما * يا كريما قبل أخذ الانفس

(رجع) الى موشحات ابن الخطيب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ومما قلته من الموشحات التى انفرد باختراعها الاندلسيون وطمس الآن رسمها

رب ليل ظفرت بالبدر * ونجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا ورعى * أى شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا * ليت نهرا لنهارلم يجر
حكم الله لى على الفجر

علل النفس يا أخا العرب * بحديث أحلى من الضرب
فى هوى من وصاله أربى * كلما مر ذكر من تدرى
قلت يا برده على صدرى

صاح لا تهتم بامر غد * وأجز صرفها بيد بيد
بين نهر وبلبل غرد * وغصون تميل من سكر
أعلنت يا غمام بالشكر

يا مرادى ومنتهى أملى * هاتها عسجدية الحلل
حلت الشمس منزل الحمل * وبرود الربيع فى نشر
والصبا عنبرية النشر

غرة الصبح هذه وضحت * وقيان الغصون قد صدحت
وكان الصبا اذا نفحت * وهفا طيبها عن الحصر

مدحة فى علا بنى نصر

هم ملوك الورى بلا ثنيا * مهدوا الدين زيتوا الدنيا
وحمى الله منهم العليا * بالامام المرفع الخطر
والغمام المبارك القطر

انما يوسف امام هدى * حاز فى المعلوات كل مدى
قل لدهر بملكه سعدا * افتخر جملة على الدهر
كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العلاء والمجد * أطلع العيد طالع السعد
ووفى الفتح فيه بالوعد * وتجلت فيه على القصر
غرر من طلائع النصر
فتهنأ من حسنه البهج * بحياة النفوس والمهج
واستمعها ودع مقال شيخ * قسما بالهوى لذى حجر
ما لليل المشوق من فجر

ومن بديع موشحات لسان الدين رحمه الله تعالى قوله

كم ليوم الفراق من غصه * فى فؤاد العميد
نرفع الامر فيه والقصه * للولى الحميد
رحل الركب يقطع البيدا * بسفين النياق
كل وجناء تتلع الجيدا * وتبذ الرفاق
حسبت ليلة اللقا عيدا * فهى ذات اشتياق
صائمات لا تقبل الرخصه * قبل فطر وعيد
فهى مذ أمته مختصه * بجهاد جهيد

ومنه فى آخره

يا امام العلا والفخر * ذا السنا المبهج
ها كها لا عدمت فى الدهر * آملا يرتجى
عارضت قول بايع التمر * بمقال شيخ
غربوك الجمال يا حفصه * من مكان بعيد
من سجلماسة ومن قفصه * وبلاد الجريد

وقد ألف رحمه الله تعالى فى هذا الفن كتابه المسمى بجيش التوشيح وأتى فيه بالغرائب وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب العلم الشهير المنفرد فى عصره بحيازة قصب السبق فى البلاغة سيدى عبد العزيز بن محمد القشتالى رحمه الله تعالى بكتاب سماه مدد الجيش واستهله بقوله حمدا لمن أمد جيش محمد بعترته وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبى العباس أحمد الشريف الحسنى رحمة الله تعالى ورضوانه عليه ما زاده زينا وأخبرنى رحمه الله تعالى أنه ذكر فيه لاهل العصر فى أمير المؤمنين ولامير المؤمنين المذكور أزيد من ثلثمائة موشح ولا حرج فى ايراد بعضها هنا فنها قول أحد الوافدين من أهل مكة على عتبة السلطان مولانا المنصور وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد وقد عارض بها موشحتى لسان الدين وابن سهل السابقتين

ليت شعرى هل أرى ذا الظما * من لمى ذاك الثغير الالعس
وترى عيناى ربات الحمى * باهيات بقد ودميس
يدخلون السقم من دار اللوى * كلم الهجر فؤادى واسر
هد من ركن اصطبارى والقوى * مبدلا أجفان نومى بالسهر
حين عز الوصل عن وادى طوى * هملت أعين دمعى كالمطر
فعساكم أن تجودوا كرما * بلقاكم فى سواد الحندس
وتداووا قلب صب مغرما * من جراحات العيون النعس
كلما جن ظلام الغسق * هزنى الشوق اليكم شغفا
واعترانى من جفاكم قلق * مذ تذكرت جيادا والصفا
وتناهت لوعتى من حرقى * ثم زاد الوجد فى التلفا
فانعموا لى ثم جودوا لى بما * يطف نيران الجوى ذى القبس
ساعة لى من رضاكم مغنما * وتداوى جثتى مع نفسى
كنت قبل اليوم فى زهو وتيه * مع أحبابى بسلع العسب
ومعى ظبى باحدى وجنتيه * مشرق الشمس وأخرى مغرب
فرمانى بسهام من يديه * ضارب البين فقلبى متعب
لست أرجو للقاهم سلما * غير مدحى للامام الارأس
أحمد المحمود حقا من سما * الشريف ابن الشريف الكيس

ومنها قول بعض المزاكشيين

واخجلتا للصباح والشمس * اذ لاح جوذر
ساق يدير الكؤسا * تضئ حمرا وتزهر
تقادمت فى الدنان * من عهد نوح ترقرق
فى لونها البهرمانى * تدار فينا وتعبق
قد اطلعت من عنان * من عن صبوح يرقق
يسعى بها من ملاح * من كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبى الجليسا * ويستخف الموقر
يثير كامن وجد * فى قلب كل سقيم
يسطو علينا بقد * يزرى بغصن قويم
أشقى بعشق وودى * فى جنة ونعيم
من ذى الوجوه الصباح * ياشادنا غن واذكر
وهات لحنا نفيسا * نرويه عنك ونأثر
فى مدح من ساد طفلا * هذى البرايا وفاقا
من حاز مجدا وفضلا * بين الانام وفاقا
فى عدله قال قولا * يسرى فيعد والعراقا

فى أحمد ذى السماح * فى الشرق والغرب ينصر
أحيى الهدى والنفوسا * وذل مقيصر
تراه سلما وحربا * من رأيه فى جنود
يختال لم يسغ عجبا * من عزه فى برود
يهوى المعالى كسبا * ويقتنيها بجود
فخار أهل البطاح * وعز من قد تصدر
ثناه يملا الطروسا * عن صورة المجد عبر
ملك بنى فى البديع * منازلا كالدرارى
فياله من صنيع * الروض والماء جارى
وقل بصوت رفيع * اذبان فجر النهار
أهدى نسيم الصباح * مسكا شميما وعنبر
وجئ بها خندريسا * من خد ساقيه تعصر

ومن موشحات السلطان المنصور المذكور

ربان من ماء الصبا * أهيف وممتلى البرد
كالغصن هزته الصبا * فوق الربا الشهب
قد قلت لما أن سبى * بحسنه يسبى
من عينه سل ظبا * وغمدها قلبى
أسرنى ماضى الشبا * اوطف مرنح القد
يافاضح الروض سنا * ومخجل البدر
وقاطعى ظلما عنا * ومن مقره صدرى
ألم تكن شمس دنا * فانها تجرى
علقته من الظبا * أسجف يسطو على الاسد
قلت له وقد نهد * وجد فى حربى
وغلب الظبى الاسد * وفاز بالغلب
الشمس برجها الاسد * فاسعى الى قلبى

ولم يحضرنى الآن تمامها ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابونى

وليالى الشعور اذ تسرى * ما لنهار النهار من فجر
حبذا الليل طال لى وحدى * لو ترانى جعلته بردى
فاطميا فى خلعة الجعدى * هى ليلى أخت بنى بشر
فأين أنت يا أبا بدر

كم سقطنا الطف من طل * واجتمعنا ومادرى ظلى
واسترحنا من كاشح نذل * رب ليل ظفرت بالبدر
ونجوم السماء لم تدر

وبنفسي مهفهف الملى * ومطيع قد غرني لما
سالته وقاني عما * في رباط قسمتني صدري
لحنين وناظري بدر
وهلال في حسنه اكتملا * هو شمس وأضاعني الحلا
قام يشدو يثني في ملا * قسما بالهوى لذي حجر
ما لليل المشوق من فجر

ثم عن لنا أن نورد هنا جملة من مقطوعات مولانا السلطان المنصور مما تلقيناه عنه أيام كوننا في اياالته الشريفة فمن ذلك قوله راداً على من قال في ابن أبي الحديد

لقد أتى باردا ثقيلا * ولم يرث ذا لمن بعيد
فهو كما قد علمت شيء * أشهر ما كان في الحديد
ما صورته
لقد أتى صار ما صقيلا * ولم يرث ذا لمن بعيد
شديد بأس متى يعادى * وشدة البأس في الحديد

ومن نظمه قوله

لله تمر طيب * وافى على البشرى انطوى
باحسنه مجتمعا * يحلو لنا بلا نوى

وقوله معميا في قرعلى طريقة الاكتفاء

معذبي أعجزني نيله * من لي بمن مسكنه في السما
لم انس اذ قال الا تكتفي * قلت بمن بالطرف قلبي رمى

وقوله

تبدى وزند الشوق تقدحه النوى * فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا * على كبد حرا وقلب يقسم
ولولا نواه بالحشى لاهنتها * ولكنها تعزى اليه فتكرم
فاعجب لآساد الشرى كيف أحجمت * على انه ظبي الكناس ويقدم

وقال قدس الله تعالى روحه مورّيا

ان يوما لناظري قد تبدى * فتملى من حسنه تكحيلا
قال جفني اصنعوه لا تلاقي * ان بيني وبين لقياك ميلا

وقد تبارى خدام حضرة هذا السلطان في تخميس هذين البيتين ومن أشهر ذلك قول الاستاذ الحافظ سيدي أحمد الزموري رحمه الله تعالى وكان يصلي بالسلطان التراويح

ورقيب يرد اللحظ ردا * ليس يرضى سوى ازديادي بعدا
ساء الطرف مذ جفى الخد وردا * ان يوما لناظري قد تبدى
فتملى من حسنه تكحيلا
وتصدى من خشه في استباق * يمنع اللحظ من جفى واعتناق

قوله فاعجب الخ فيه الخرم كما لا يخفى أو يقرأ بصيغة المضارع ساكن الباء للضرورة اه مصححه

قوله الزموري في نسخة الزيتوري اه

أيأس العين من لحاظ التلاقى * قال جفنى لصنوه لا تلاقى
ان بينى وبين لقياك ليلا

ومن نظم السلطان المذكور وهو من اوليات شعره قوله فى وردة مقلوبة بين يدى محبوبه

ووردة شفعت لى عند مرتهنى * راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كان خضرتها من فوق حمرتها * خال على خده من عنبر عبق

وقال أيضا من اوليائه

شادن نم عليه عرفه * من خلاصى من سهام كامنه
احلال فيه أنى خائف * وحلالى بعد خوفى آمنه

وقال فى وصف رقيب ملازم

رقيبى كان الارض مرآة شخصه * فأين تولى الطرف منى يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كانما * وصالى هلال والسواد صداه

وقال

أيا روضة ضنت على بزهرها * ولم يتلق ناظراى سوالك
أبيحى لنفسى من شذاك بقاءها * اذا فت طرفى عل الانف يرالك

قوله عل الانف يقرأ بدرج همزة أنف لضرورة الوزن اه مصححه

وقال أيضا

على جدول غطت عليه بشعرها * لئلا يرى الشمس الرقيبة لى طرف
فبت أرى فى جدول بدروجهها * غريقا ونقطات العبير به كاف

وقال

طرقت حماه والاسود خوادر * به فتولى بالظبا وهو يعقد
فعلمت آساد الشرى كيف تقدم * وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وقال

لما نأى المحبوب رق لى الدجى * وأتى يعللنى برعى كواكبه
أولى غراب البين ردك يا حشا * والبين مزنى الصباح كوالبه

وقال معميا باسم حظيته الشهيرة الحسن والاحسان نسيم

ياهلا لاطلوعه بين جفنى * وغزالا كناسه بين جنبى
ان سهما رميت غادرهما * لو تناهى ماشك آخر قلبى

قوله ورأيت بخطه الخ لم يبين فى هذه العبارة ما خذ النون من الاسم المطلوب ولعله لم يتعرض لذلك لظهور مأخذها وهو النون من ان تأمل اه مصححه

ورأيت بخطه على هذا المحل ما صورته قولى ان سهما تنصيص وغادرهما اسقاط وهو اشارة لاسقاط هما من هذا الاسم وقولى لو تناهى انتقاد والانتقاد الاشارة الى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب كان يذكر الوجه أو الصدر او التاج او الرأس ويعنى به الحرف الاول من الكلمة والقلب والجوف والحشا والخصر ويراد به الوسط والاخر والمنتهى والختام ويقصد به آخر الكلمة فقولى لو تناهى معناه انه أخذ لفظة هم غير متناه فبقيت الميم من هما وقولى ماشك آخر قلبى انتقاد أيضا وأردت بآخر قلبى الياء ويسمى أيضا التسمية وهو أن تذكر الاسم وتريد المسمى أو تذكر المسمى وتريد الاسم وقد تم الاسم واعلم

انهم لم يشترطوا فى استخراج الاسم بطريق التعمية حصولها بحركاتها وسكاتها بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ويسمى العمل التذييلى انتهى كلامه على البيتين فى اسم نسيم وقال فى اسم غزال وقد جمع تعميتين والغزا

واملد مطاوى الحشا زال ردفه * فلا خصر الا أن
بنصف اسمه يرمى القلوب وعكس ما * بقى ابدا ذن المحب به اصمى

وكتب عليه ما صورته قولى املد أردت به بعمل الترادف غصن ومطاوى الحشا انتقاد وزال ردفه قصيت به غرضين أزلت به النون بعمل الاسقاط الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه واثبته أعنى زال فى موضعها اى النون من غصن والحال أن الصاد محذوفة وذلك بعمل الانتقاد وأوضحت ذلك بقولى فلا خصر وان كنت لا أحتاج اليه لئلا يكون فى البيت شئ خارج عن التعمية انتهى تفسيره رحمه الله تعالى ويعنى بقوله بنصف اسمه يرمى القلوب غزلانه نصف غزال ويعنى بقوله وعكس ما بقى الى آخره لفظة لا لانها مقلوب ما بقى وهو ال * وقال فى اسم سلاف على منهاج ما تقدم

واحور وسنان الجفون كأنما * سقى لحظه من ريق فيه يقرقف
نضى صار ما الاول صار لحظه * تزايد فيه منذ سل تلاه فى

وفسره بقوله قولى تلاه من طريق التسمية وفى من العمل التذييلى وهو أتى بالكلمة بحركاتها وسكاتها وهو من المحسنات كما سبق انتهى * وقال فى اسم آمنة من التعمية أيضا

من شقائى قصته وهو خشف * فى رضاه عن الملوك استذلت
املد منه منذ تحال خصر * وتثنى عن حبه ما عدلت

وكتب عليه ما صورته قولى املد اردت الالف بعمل التشبيه وخصر منه انتقاد وأردت بالخصر وسط لفظة منه وتحلله أن يخل منه السكون الذى على النون وقولى وتثنى أى الالف من التثنية لا التثنى فتم الاسم بحركاته وعدده انتهى تفسيره * وقال وقد لبس منصورية من النوع الذى يقال له قلب حجر والمنصورية نوع لبس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه الى اسمه

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم * قول الحبيب أنا انا قيه
قلبى له حجر فقلت مغالطا * للعاذل المؤذى انا قيه

قال وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية منها جناس التركيب المسمى بالملفق وحده بان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من فرق بينهما ومنها الانسجام ومنها الاستخدام وعهدى بالفقيه على بن منصور الشيظمى تعرض الى شرحهما فى كراسة والتعمية فى هذين البيتين بالعمل الحسابى وهو كثير الا أن هذا العمل احسبنى اباعذرته اذ لم أره لغيرى ومادة التعمية فيه انا انا قيه قلبى له حجر فقولى انا انا قيه معناه أن تضرب أنا فى * وقولى فى * نص فى

قوله واملد الخ كذا هو فى النسختين اللتين بيدى ساقط الآخر ويمكن تكميله بان يقال هكذا (فلا خصر الا أن ذا لم يكن وصما) فتدبر اه مصححه

الضرب ويخرج من هذا مائتان وستون عدد حروف هيمانى وحقك ى وقولى قلبى له حجر بعمل القلب يصير رج فصار المجموع هيمانى وحقك يرج وفيه التورية وهيمانى وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشى فهو من المحسنات أيضا أعنى قوله وحقك ويصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان لان الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة فظاهر أنا نافيه يضاد هيمانى وحقك يرج الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولى للعاذل المؤذى انا فيه انتهى والاستخدام الذى أشار اليه هو فى قوله أنا فيه أى فى هذا الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية وأما المعنى الثانى لقوله أنا فيه فظاهر * وقال وقد قطف وردة من روض المسرة فى زمن النرجس

وافى بها البستان صنو ورده * يقضى بها لمامطلت وعودا
أهدى البهار محاجرا واتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا

وقال

لى حبيب يأتى بكل غريب * هو عندى منكر ومعرف
لست أشكو اصيرفى ونحوى * انه بى نحا وفى تصرف
فعله فى لازم متعد * ومزيد مجرد ومضعف

وقال

لاوطيف علم السيف فقد * فى قوام كقنا الخط نهد
ووميض لاح لما بسمت * فأرتنا منه درا أو برد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

وقد ضمن قوله ماهلال الافق أديب زمانه الشيخ امام الدين الخليلى الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال

قسما بالبيت والركن الذى * طاب حجا واستلاما للابد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد

وقد اتفق لامام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المنصورية هو والعقاد المكى السابق والشريف المدنى وهو رجل وافد من أهل المدينة انتمى الى الشرف فقال امام الدين يا أمير المؤمنين ان المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال شد أهلها اليك الرحال هذا مكى وذاك مدنى وأنا مقدسى ثم أنشد

ان أمير المؤمنين أحمد * بحر الندى وفضله لا يجحد
فطيبة ومكة أهلهما * والمسجد الاقصى بذاك شهدوا

(رجع) الى نظم المنصور وقال

وكيف يقلب فى هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام

فيا سادتا يرعى الحشا آنت بالحشا * أما لمحل أنت فيه ذماء

وقال يخاطب رئيس كتابه صاحبنا سيدى عبد العزيز القشتالى السابق الذكر

يا كاتبا ألفاظه * تغرس روضا ذا فنن

انّ جوابى للذى * يشكو دناه اردد حزن

وقال مورّيا بمصانعه الثلاثة البديع والمسرّة والمشتهى

بستان حسنك أبدعت زهراته * ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرّة ينثنى * يا حسنه رمّانة للمشتهى

ولولا خوف الاطالة المملة لذكرت من محاسن مولانا أمير المؤمنين المنصور رحمه الله تعالى بعض ما أؤدّى به حقه سقى الله تعالى عهاده وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور فى كتابى روضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مرّاكش وفاس وأطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهير سيدى عبد العزيز بن محمد القشتالى فى كتابه المسمى بمناهل الصفا فى فضائل الشرفا وعهدى به أكمل منه ثمان مجلدات وهو مقصور على دولة السلطان المذكور وذويه وألف كاتب أسراره الرئيس أبو عبد الله محمد بن عيسى فيه كتابا سماه الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور وهذه التسمية وحدها مطربة رحم الله تعالى الجميع (رجع) الى التوشيح كتب الىّ بعض أذكياء الاصحاب الاعيان موشحا يمدحنى به فى آخره عارض به موشح لسان الدين السابق الذى أوّله

جادك الغيث اذا الغيث همى * يا زمان الوصل بالاندلس

ونصه

عطر الارجاء لما نسما * شمأل للصبح عند الغلس

وأتت شمس الضحى تنسخ ما * يقرأ الليل لنا من عبس

طاف بالكاس من الزهر فتى * مولع بالصدّ عنى مذ فتى

فتن الالباب لما التفتا * واحتسى منه ببعض الشفة

وانا ما بين حتى ومتى * صدّ تيه الهوى عن الفتى

وكؤس الراح بين الندما * أرّجت بالعرف أفق المجلس

خمرة صفراء فى البلور ما * أشبه الحان بروض النرجس

بادر اللذة واجمع شملها * بمدام وغلام مطرب

ذى عيون ناعسات كم لها * من فنون السحر ما يلعب بى

وافر الارداف عانى حملها * ناحل الخصر وذا من عجب

كلما أترع كاسا قال ما * أنت بالشارى حياة الانفس

فابذل الجهد وكن مغتنما * لنفيس النفس طيب الانفس

فرص الايام كن منتهزا * مبتداها قبل حذف الخبر

ورحاب الانس لج منتجزا * قبل أن تمضى كلمح البصر

واجن من زهر الهوى محترزا * من جنايات هجوم الكبر
لاتخف لوما ويمم حيثما * لاحت اللذات كالمختلس
مامضى انس ووافى مثل ما * كان ذا الدهر لنا بالحرس
للرياض اذهب ترى بلبلها * لاشتياق الورد مثل الثكل
وخدود الورد قد كللها * دمع طل لاشتياق البلبل
وقدود البان قد قام لها * مانع الوصل بحد الاسل
والربا فاحت تحاكى خدما * وعليهن ثياب السندس
جيبها زرر بالزهر كما * زر بالفضة ثوب الاطلس
وجلا الروض لنا أشجاره * مائسات فى قباء أخضر
وترى فى جيدها نواره * يتلالا كعقود الجوهر
خلع الليل به أطماره * فغدا كالصبح باهى المنظر
وبقاياه زهت فيه أما * فى شفاه الغيد حسن اللعس
كعذار فى محيا علما * فبدا للغير لا الملتمس
حبذا الصبوة أيام الصبا * وعيون الشيب فى سهو الوسن
فاذا أيقظها دهر صبا * لصروف حد شفريها وسن
جرد الشيب لنا بيض الشبا * واقتفى شرخ شباب وظعن
وغدا الانسان شيخا هرما * واعتراه لاعج من وجس
فات اذ مات فيقضى ندما * واغتنام الوقت شغل الكيس
لاتدع عمرك يمضى هدرا * أنت اذ ذاك جبان غافل
وارق بالجهد من السؤل الذرا * واجتهد والضرع ضخم حافل
انما الايام أمثال السرى * والجرىء الشهم ليث باسل
ووحوش الانس تسعى مغنما * باردا للاسد المفترس
ترك الوهم وخاض الظلما * وله العزم أضا كالقبس
ليس يحظى بالمنى الا الذى * كابد الاهوال حتى ظفرا
كان للراحة كالمنتبذ * من وراء الظهر أنى ظهرا
مثل ماقد بات ذا طرف قذى * يقطع الليل جميعا سهرا
فى طلاب العلم حتى علما * انه يملا بروح القدس
أحمد الناصب فينا علما * للتقى فازبه من يأتسى
حل فى مصر وان كان العلا * قد عفت لما اعتراها فى خلل
ورياض الفضل لما أن علا * نقع جهل جف منهن البلل
ازدرت أغصانها حتى خلا * قاعها من عذب مايشفى العلل
نفرت اذ حل فيها كالسما * وهو بدر بكمال مكتسى
حوله الطلاب كالشهب سما * قدرها من نوره المقتبس

ايها الطالب للعلم اتئد * ليس الا بابه ينفعكا
ان ترم نيل المرجى فاجتهد * فى اتباع للذى يرفعكا
علم من يعمل اكسير فزد * منه واترك حاسدا يدفعكا
والزم الاعتاب وانزل بالحمى * خالع الربقة من قول المسئ
باعتقاد فازمن قد لثما * نعله والكبر شأن المبلس
مذ خبرت الناس طرا نظرا * لمناط الامر فى هذا الزمان
لم أجد الا مقالا صدرا * عن دعاو أخلفت عند العيان
غير ما يمليه فانظر لترى * درر الالفاظ فى سمط البيان
بديع النطق لما نظما * بهت المنطيق مثل الاخرس
وأتى يخضع جمع العلما * نحو ذا المفرد فى الملتمس
انما المجد الرفيع الممتطى * أرؤس الآساد قسرا مثل ذا
يدع المرفوع كالمنهبط * ثم للنازل يعلى منفذا
ناظرا فى أمره بالاحوط * خافض الطرف على حز القذى
كل من أم حماه قد حمى * بحسام العزم هش الملمس
فاذا جرد منه انفصما * جلمد الصخر بذاك الميس
حبذا المغرب قطرا بالسنا * فضله يبهر بدر الافق
قطره الشائع قد أهدى لنا * سيدا قد فاق شمس المشرق
كل من فاتته أسباب المنى * بعلاه للثريا يرتقى
قل لمن يرجو سوى المذكور ما * ينبت الزهر بارض اليبس
لاولا الناس سواء انما * رأى من سواهم فى هوس
لذبشهم فاز من أمله * بنوال فاق سح الها مل
أثقل السؤدد اذ حمله * وقر فضل مستبين شامل
وحماه الامن من أمله * بلغ القصد فبشرى الآمل
بحره الوافر بالعلم طما * كامل الامداد لم يحتبس
نال منه الناس حتى عمما * مشرقا والغرب للاندلس

(رجع) الى موشحات لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فمن المنسوب الى محاسنه قوله

قد حرك الجلجل بارى الصباح * والفجر لاح * فياغراب الليل حث الجناح

وهذا مطلع موشح بديع له لم يحضرنى الآن تمامه لكونى تركته وجملة من كلام لسان الدين فى كتبى بالمغرب جبرها الله تعالى علىّ وهو معارض للموشح الشهير الذى أوله

بنفسج الليل تذكى وفاح * بين البطاح * كانه يسقى بمسك وراح

وهذا المنحى هو الذى سلكه الجمال بن نباتة اذ قال ماداح لجلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع

ماسح مجرد موعى وساح * على الملاح * الاوفى قلبى المعنى جراح
بى من بنى الاتراك حلو الشباب * مر السطا
عشقته حين عدمت الصواب * من الخطا
تشكو حشا الغزلان منه التهاب * اذا عطا
وربما تشكو الغصون اكتئاب * اذا خطا
ماماس ذاك الغصن بين الوشاح * الاوراح * قول عذرلى كله فى الرياح
آها لصب دمعه حيث كان * دمع أريق
هذا أسير فى وجوه الحسان * وذا طليق
أرق جسمى بالضنا يوم بان * بدر الفريق
فها انا اليوم له يافلان * عبد رقيق
يزيد أجفانى ندى وارتياح * نهى اللواح * مثل جلال الدين يوم السماح
حبر له فى الخلق ذكر جميل * لا يفترى
ماح على غيظ الغمام البخيل * محل الثرى
مارأت العين له من مثيل * ولا ترى
يوقد فى أوطانه للنزيل * نار القرى
شرارها فى الكيس حمر صحاح * لها اقتداح * لكنها فى القلب عذب قراح
يامالك العلم وفيض الندى * جزت المدى
فابق وكل العالمين الفدا * دع العدا
أنت الذى أصبح غيث الجدى * صبح الهدى
كم يقتفى منك وكم يقتدى * ويجتدى
علم جلى ونوال صراح * صفو مباح * يروى به راوى الرجا عن رباح
ومغرم لايختشى من رقيب * ولا عذول
معلق القلب بشجو عجيب * ولا وصول
يسكر لكن بصفات الحبيب * لا بالشمول
لمارنا الظبى وماس القضيب * أضحى يقول
كم ينتضى جفنك وعطفك صفاح * على رماح * ماذى محاسن ذى خزائن سلاح

ومن الموشحات الصادرة من المشارقة المعارضة للمغاربة قول عثمان المطى يمدح القاضى الفاضل

ويلاه من رواغ * بجوره يقضى
ظبى له اغذاذ * منه الجفا حظى

ولم أقف على تمامها وقد بارى بها التوسيح المشهور للمغاربة وهو

عقارب الاصداغ * فى السوسن الغض
تسبى تقى من لاذ * بالنسك والوعظ

من قبل أن يعدو * علىّ لم أحسب
أن تخضع الاسد * لجوذر وربرب
ظبى له خـــد * مفضض مذهب
وشادن يبـــدو * فى صدغه عقرب
رقة زهر الباغ * فى جسمه الفضى
وقسوة الافلاذ * فى قلبه الفظ
مهفهف بدع * أصبحت مغرى به
قلبى له ربع * لو كنت فى قلبه
أصابنى صدع * مذ بلج فى عتبه
السهد والدمع * حظى من قربه
والعين لا يسأغ * لها جنى الغمض
والدمع ذو اغذاذ * ناهيك من حظ

ومن أحسن ما للمشارقة من التوشيح قول الشهاب العزازى يعارض أحمد بن حسن الموصلى

يا ليلة الوصل وكاس العقار * دون استتار
علمتانى كيف خلع العذار
اغتنم اللذات قبل الذهاب * واشرب فقد طابت كؤس الشراب
تحكى ثغورها الثنايا العذاب * على خدود تنبت الجلنار ذات احمرار
طرزها الحسن بآس العذار
الراح لاشك حياة النفوس * فحل منها عاطلات الكؤوس
واستجلها بين الندامى عروس * تجلى على خطابها فى ازار من النضار
حبابها قام مقام النثار
أما ترى وجه الهنا قد بدا * وطائر الاشجار قد غردا
والروض قد وشاه قطر الندى * فكمل اللهو بكأس تدار على افتراز
مباسم النوار غب القطار
اجن من الوصل ثمار المنى * وأوصل الكاس بما امكنا
مع طيب الريقة حلو الجنى * بقبلة أفتك من ذى الفقار ذات احورار
منصورة الاجفان بالانكسار
زار وقد حل عقود الجفا * وافتر عن ثغر الرضا والوفا
فقلت والوقت لنا قد صفا * يا ليلة أنعم فيها وزار شمس النهار
حييت من بين الليالى القصار

ويعجبنى من موشحات العزازى المذكور قوله

ما على * من هام وجدا بذوات العلا

مبتلى * بالحدق السود وبيض الطلا
باللوا * ملى حسن لديونى لوى
كم نوى * قتلى وكم عذ بنى بالنوى
قد هوى * فى حبه قلبى بحكم الهوى
واصطلى * نار تجنيه ونار القلى
كيف لا * يذوب من هام بريم الفلا
هل ترى * يجمعنا الدهر ولو فى الكرى
أم ترى * عينى محيا من لجسمى برى
بالسرى * ياحادى ركب منى بليلى سرى
عللا * قلبى بتذكار اللقا عللا
وانزلا * دون الحمى حتى الحمى منزلا
بى رشا * دمعى جرى فى هواه فشا
لو يشا * يرد منى جمرات الحشا
ما مشى * الا انثنى فى سكره وانتشى
عطلا * من الحميا يامدير الطلا
ماحلا * اذا أدار الناظر الاكحلا
هل يلام * من غلب الحب عليه فهام
مستهام * بغاتر اللحظ رشيق القوام
ذى ابتسام * أحسن نظاما من حباب المدام
لو ملا * من ريقه كاسا لاحيا الملا
أوجلا * وجها رأيت القمر المجتلى
لو عفا * قلبك عمن زل أو من هفا
أو صفا * ما كان كالجلمد او كالصفا
بالوفا * سل عن فتى عذبته بالجفا
هل خلا * فؤاده من خطرات الولا
أو سلا * أو خان ذاك الموثق الاوّلا

وقوله أيضا يعارض الموصلى

ماسلت الاعين الفواتر * من غمد أجفانها الصفاح
الا أسالت دم الحناجر * من غير حرب ولا كفاح
تالله ماحرك السواكن * غير الظباء الجاذر
لما استجاشت بكل طاعن * من القدود النواضر
وفوقت أسهم الكمائن * من كل جفن وناظر
عرب اذا صحن يالعامر * بين سرايا من الملاح

طلت علينا من المحاجر * طلائع تحمل السلاح
أحبب بما تطلع الجيوب * منها وما تبرز الكلل
من أقمر ما لها مغيب * واغصن زانها الميل
هيهات أن تعدل القلوب * عنها ولو جارت المقل
لما توشحن بالغدائر * سفرن عن أوجه صباح
فانهزم الليل وهو عاثر * بذيله واختفى الصباح
وأهيف ناعم الشمائل * تهزه نسمة الشمال
فينثني كالقضيب مائل * كما انثنى شارب ومال
له عذار كالند سائل * لله كم من دم أسال
شقت على نبته المرائر * من داخل الانفس الصحاح
تكل في وصفه الخواطر * وتخرس الالسن الفصاح
ظبي الى الانس لا يميل * الشمس والبدر من حلاه
الحسن قالوا ولم يقولوا * مبداه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل * هيهات من سيفه النجاه
أذل بالسحر كل ساحر * فهو له خافض الجناح
يجول في باطن الضمائر * كما يجول القضا المتاح
أما ترى الصبح قد تطلع * مذ غمضت أعين الغسق
والبدر نحو الغروب أسرع * كهارب ناله فرق
والبرق بين السحاب يلمع * كصارم حين يمتشق
وتحسب الانجم الزواهر * أسنة ألقت الرماح
فانهزم النهر وهو سائر * فدرعته يد الرياح

وموشحة الموصلي التي عارضها العزازي هي قوله

رنا بأجفانه الفواتر * لما انثنى واحد الملاح
فسل من طرفه بواتر * وهز من عطفه رماح
ناظره جرد المهند * وغمده مني الحشا
وعامل القد فهو أملد * يطعن للقلب ان مشى
والعارض القائم المزرد * لفتنة الناس قد نشا
والحاجب القوس بالفواتر * لنبله في الحشا جراح
ومشرف الصدغ فهو جائر * سلطانه للهدى اباح
فجفنه الفاتك الكماني * من ثعل راش لي نبال
وهو الخفاجي قد غزاني * وجهه من بني هلال
عبسي لحظاه سبباني * جسم زبيدي بالدلال
والردف يدعى من آل عامر * واوضح الصلت من صباح

وخصره من هشيم ضامر * يدور من حوله وشاح
فوجهه جنة وكوثر * رضابه العذب لى حلا
والنار فى وجنتيه تسعر * والخال خيالها اصطلى
عجبت من خاله المعنبر * اذ يعبد النار كيف لا
يحرق بالنار وهو كافر * وما سقى ريقه القراح
كامل حسن معناه وافر * بسيط وصف كالمسك فاح
ما اخضر نبت العذار الا * يا آسه سيح الشقيق
وهو كنمل سعى وولى * ولم يجد للجنى طريق
من ريقة البدر اذ تجلى * فى هالة العارض الانيق
لما تبدى بالوجه دائر * وحير العقل حين لاح
شق على خده المرائر * وقطع الانفس الصحاح
ورب يوم أتى وحيا * كالشمس والنجم والقمر
بالكاس والراح والمحيا * ثلاثة تفتن البشر
وقال قم يا نديم هيا * اقض بنا لذة الوطر
فالخمر تجلى على المزاهر * من اغتباق الى اصطباح
وطافت الراح بالمجامر * من عنبر الزهر فى البطاح

ومما يطربنى من الموشحات قول بعضهم

مالى شمول الا شجون * مزاجها فى الكاس دمع هتون
لله ما بذر من الدموع * صب قد استعبر من الولوع
أودى به جؤذر يوم الطلوع
فهو قتيل لا بلا طعين * بين الرجا واليأس له منون
جرحت للحين كفى بكفى * وحيل ما بينى وبين الفى
لا شك بالبين يكون حتفى
حال الرحيل ولى ديون * ان ردها العباس فهو الامين
أما ترى البدرا بدر السعود * قد اكتسى خضرا من البرود
اذا انثنى نضرا من القدود
أضحى يقول مت يا حزين * قد اكتسى بالآس الياسمين
قلت وقد شرد النوم عنى * وأيأس العود السقم منى
صد فلما صد قرعت سنى
جسمى نحيل لا يستبين * يطلبه الجلاس حيث الانين
تجاوز الحد قلبى اشتياقا * وكلف السهد من لا أطاقا
قلت وقد مد ليلى رواقا
ليلى طويل ولا معين * يا قلب بعض الناس أمات ين

(الباب السادس)

فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

اعلم أن تصانيف لسان الدين التى علمت نحو الستين وكلها فى غاية البراعة بحيث انه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ما جاء به بل وكثير من غير أهل عصره رحمه الله تعالى وقد وقفت بالمغرب على كثير منها وفيها أقول مضمنا بعض تغيير

تصانيف الوزير ابن الخطيب * ألذ من الصبا الغض الرطيب

فاية راحة ونعيم عيش * بتوازى كتبه أم أى طيب

قال رحمه الله تعالى فى تعريفه بنفسه آخر الاحاطة ما صورته (التواليف) التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى والكتيبة الكامنه فى أدباء المائة الثامنه والاكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر ثم النقاية بعد الكفاية هذا فى نحو القلائد والمطمعين لابى نصر الفتح بن محمد وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار ثلاثة وبستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله قل أن شذ عنه فن من الفنون يشتمل على شجرات عشر أولها شجرة السلطان ثم شجرة الوزارة ثم شجرة الكتابة ثم شجرة القضاء والصلاة ثم شجرة الشرطة والحسبة ثم شجرة العمل ثم شجرة الجهاد وهى فرعان اسطول وخيول ثم شجرة ما يضطر باب الملك اليه من الاطباء والمنجمين والبيازرة والبياطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين ثم شجرة الرعايا وتقسيم هذا كله غريب يرجع الى شعب واصول وجراثيم وعمد وقشر ولحاء وغصون وأوراق وزهرات مثمرة وغير مثمرة مكتوب على كل جزء من هذه الاجزاء بالصبغ اسم الفن المراد به وبرنامجه صورة بستان كل منه نحو من ثلاثين سفرا ثم قطع عنه الحادث على الدولة وديوان شعرى فى سفرين سميته الصيب والجهام والماضى والكهام والنثر فى غرض السلطانيات كثير والكتاب المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين كتاب ممتع وعائد الصلة وصلت به صلة الاستاذ ابى جعفر بن الزبير فى سفرين وكتاب الاحاطه بما تيسر من تاريخ غرناطه كتاب كبير فى أسفار تسعة هذا متصل بآخرها وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الادبيات الثلاثة وجيش التوشيح فى سفرين ومن بعد الانتقال من الاندلس وما وقع من كيد الدولة نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب موضوع جليل فى اربعة أسفار وكتاب عمل من طب لمن حب ومنزلته فى الصناعة الطبية بمنزلة كتاب أبى عمرو بن الحاجب المختصر فى الطريقة الفقهية لا نظير له ومن الاراجيز المسماة برقم الحلل فى نظم الدول والارجوزة المسماة بالحلل المرقومه فى اللمع المنظومه الفيه من ألف بيت فى اصول الفقه والارجوزة المسماة بالمعلومة معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة فى العلاج من الرأس الى القدم اذا أضيفت الى رجز الرئيس أبى على تكملت بها الصناعة كما لا يشينه نقص والارجوزة المسماة بالمعتمده فى الاغذية المفرده والارجوزة فى السياسة المدنية الى ما يشذ عن الوصف كالرجز

فى عمل الترياق الفاروقى والكلام على الطاعون المعاصر والاشارة وقطع السلوك ومثلى الطريقه فى ذم الوثيقه حتى فى المويسيقى والبيطرة والبيزرة هذر كشف به الحجاب ولعب بالنفس الايجاب وضاع الزمان ولا تسلى بين الرد والقبول والنفى والايجاب ولله در القائل

والكون اشرك نفوس الورى * طوبى لنفس حرة فازت
ان لم تحز معرفة الله قد * أورطها الشئ الذى حازت

وكل ميسر لما خلق له ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهى ماله فى آخر الاحاطة بحروفه * قلت ولنذكر ما تأخر تاريخه عن الاحاطة أو أشير اليه فيها مجملا فنقول من أشهر تواليفه رحمه الله تعالى كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فى عدة مجلدات وهو داخل فى قوله السابق فى الاحاطة والنثر فى غرض السلطانيات كثير وهذا الكتاب قد اشتمل من الانشاء على كثير فى أغراض شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف أجناسهم وصداقاتهم وغير ذلك من أحوالهم وأحوال الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى وذكر فى صدره خطب بعض كتبه وفى آخره بعض مقاماته ومحاميته لاهل عصره وغير ذلك وبالجملة فهو كتاب مفرد فى بابه * وقال الامير الشهير العلامة أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر رحمه الله تعالى فى كتابه نثير فرائد الجمان فيمن يضمنى واياه الزمان ماصورته لابن الخطيب الاوضاع المصنفات التى آذان احسنها هى المقرطات المشنفات منها فى التصوف الذى أكثر أهل الحقائق اليه نظر التشوف روضة التعريف بالحب الشريف انتهى وسرد غير هذا الكتاب مما قدمناذكره وغيره وهذا الكتاب أعنى روضة التعريف غريب المنزع وعارض به ديوان الصبابة لابن أبى جمله صاحب السكردان وضمنه من التصوف وعبارات أهله العجب العجاب وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة وبذلك سجل عليه اعداؤه فى نكبته الآخرة التى ذهبت فيها نفسه ونسبوه الى مذهب الحلول وغيره مما ذكره يطول حسبما ألمعنا بذلك وقد جعل هذا الكتاب شجرة ذات أفنان وعمود مشتمل على القشر والعود وأوراق وصورة طائر فوقها ولم أر فى فنه مثله جازاه الله تعالى عن نيته فانه فى الحب الشريف الربانى مبالغ الناظر فيه غاية امنيته ومن تواليفه رحمه الله تعالى غير ماسبق اللمحة البدريه فى الدولة النصريه وكتاب السحر والشعر ومعيار الاخيار ومفاضلة مالقة وسلا وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف وقد ذكرهما فى الريحانة بنصهما وجعلهما من جملة ماشتملت عليه والمسائل الطيبة فى مجلد والكتيبة الكامنه فى شعراء المائة الثامنه ورسالة تكوين الجنين والوصول لحفظ الصحة فى الفصول وكتاب الوزارة ومقامة السياسة والغيره على أهل الحيره وحمل الجمهور على السنن المشهور والزبدة المحضوضة والرد على أهل الاباحة وسد الذريعه فى تفضيل الشريعه وتقرير الشبه وتحرير الشبه واستنزال اللطف الموجود فى سر الوجود وأبيات الابيات فيما اختاره رحمه الله تعالى من مطالع ماله من الشعر وفتيات الخوان ولقط الصوان فى سفر يتضمن المقطوعات فقط وكناسة الدكان بعد انتقال السكان

والدرر الفاخره واللجين الزاخره جمع فيه نظم ابن صفوان واعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاستلام من ملوك الاسلام وما يجز ذلك من شجون الكلام والمباخر الطيبه فى المفاخر الخطيبه وخلع الرسن فى أمر القاضى ابن الحسن وتدوين شعر شيخه ابن الجياب وجمع نثره المذكور وسماه تافه من جم ونقطة من يم وشرحه لكتاب نفسه رقم الحلل فى نظم الدول فهذا ما حضرنى عمله من تواليف لسان الدين رحمه الله تعالى فاما البيزرة ففى مجلد وأما البسيطة فكذلك فى مجلد جامع لما يرجع اليه من محاسن الخيل وغير ذلك وأما رجز الاصول فقد شرحه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور وأما رقم الحلل فى نظم الدول فهو فى غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة وقد كنت بالمغرب أحفظ أكثره فنسيته الآن وابتدأه بقوله

الحمد لله الذى لا ينكره * من سرحت فى الكائنات فكره

وعلق بحفظى الآن منه قوله فى الوليد بن يزيد

ثم الوليد بن يزيد العائث * قد نقلت من فعله خبائث

وفى آخر دولة بنى أمية قوله

وصار قصر الملك من أميه * اقفر ربعا من ديار ميه

وفى الامين

باع العلا بشادن وكاس * وصحبة الشيخ أبى نواس

وفى المعتصم

وهو الذى تالف الاتراكا * فنصبوا لقومه الاشراكا

ومن أبيات هذا الكتاب قوله

ويفسد الملك بالاحتجاب * كذاك بالزهو وبالاعجاب

وما أحسن قوله فيه عند ذكر موت بعض الملوك

وأقفرت من ملكه أوطانه * سبحان من لا ينقضى سلطانه

وأما كتاب الاحاطة فهو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة أشد اعجابا به من المغاربة وأكثر لهجا بذكره مع قلته فى هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكى وسماه مركز الاحاطه فى أدباء غرناطه وهو فى مجلدين بخطه رأيت الاخير منهما بمصر وقال فى آخره ما نصه هذا آخر ما أردت ايراده ووقفت ايراده من كل طرفة وتحفة وفائدة أدبيه ونادرة تاريخيه فى كتاب الاحاطه بتاريخ غرناطه وما كان المعول عليه والباعث الداعى اليه ذكر أدبائه وما تثر علمائه سميته مركز الاحاطه بأدباء غرناطه والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا علقه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده الفقير الى عفو ربه محمد بن ابراهيم بن محمد البدر البشتكى لطف الله تعالى به بمنه وكرمه مستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى وقد جعل كل أربعة أجزاء من الاصل فى مجلد اذ هو فى مجلدين كما سبق ونسخة الاصل فى ثمان مجلدات فنقص من الاصل ثلاثة ارباع أو نحوها ولما وقف سلطان

الاندلس من كتاب الاحاطة نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه ولنثبتها لما فيها من الفوائد قال الاديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادى آشى نزيل تلمسان المحروسة كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال الفائقة الكمال من الاحاطه بتاريخ غرناطه المحبسة على المدرسة اليوسفيه من الحضرة العليه بخط قاضى الجماعه ومنفذ الاحكام الشرعية المطاعه صدر البلغاء وعلم العلماء ووحيد الكبراء وأصيل الحسباء الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم رحمة الله تعالى عليه مانصه الحمد لله الجاعل الاستدلال بالاثر على المؤثر مما سلمه الاعلام وشهدت به العقول الراجحة والاحلام وهو الحجة المعتمدة حين تتفاضل الالباب وتتقاصر الافهام وبه الاستمساك ان طرقت الشكوك أو عرضت الاوهام وحسبك بما يسلم فى هذا المقام العالى من الادله ومايعتمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستقله فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار اليه بالقبول ويستقبل المهتدى لاستنباطه لما فيه من التبادر للافهام والتسابق للعقول واذا ثبت أن المستدل بهذه الادلة سالك على سواء سبيل ومنتم من صحة النظر الى أكرم قبيل فلا خفاء أن كتاب الاحاطة للشيخ الرئيس ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار وما آثرها التى هى عبرة لاولى الالباب وذكرى لذوى الابصار أما الاول فلان الانباء التى أظهرت بهجتها وأوضحت حجتها وشرفت مقصدها وكرمت مصعدها انما هى مناقب ملوكها الكرام ومكارم خلفائها الاعلام أو اخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور رحلة السيوف والاقلام وافذاذ حفظة الدين والدنيا والشرف والعليا والملك والاسلام أو مما يرجع الى مفاخر حضرة الملك وينتظم نظم الجمان فى ذلك السلك من حصانة قلعتها واصالة منعتها وقديم اختطاطها وكريم جهادها ورباطها وحسن ترتيبها ووضعها وما اشتمل عليه من مقاصد الانس آهل ربعها وماسوى هذه الاقسام الثلاثة فمن قبيل القليل ومما يرجع الى شرف الحضرة ممن انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الاثيل وأما ثانيا فان راسم آياتها المتلوه ومبدع محاسنها المجلوه وناقل صورتها من الفعل الى القوه انما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمه ونشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الديمه فما ظهر عليه من كمالات الاوصاف على الانصاف فاخلاف هذه المكارم النصرية ارضعته وعنايتها الجميلة اسمته فوق الكواكب ورفعته واليها ينسب احسانه ان انتسب ومن كريم تشريفها اكتسب والحضرة هى منشؤه الذى عظم فيه قدره بل أفقه الذى أشرق فيه بدره والتشريفات السلطانية التى فتقت اللها باللها واحتلت من مراقى العز فوق السها وأمكنت الايدى من الذخائر والاعلاق وطوقت المنن كالقلائد فى الاعناق وقلدت الرياسة والاقلام أقلام وثنت الوزارة والاعلام أعلام فبهرت أنواع المحاسن وورد معين البلاغة غير المطروق رلا الآسن وبرعت التواليف فى الفنون المتعدده واشتهرت التصانيف ومنها هذا

التصنيف

التصنيف المشار اليه لما له من الاذنة المتأكده اذ أظهر هذا الاستدلال وأوضح البيان ما لتمه الاجمال فلنفصح الآن بما قصد ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد وذلك أن لمولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين الغالب بالله المؤيد بنصره أبي عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره ما آثر لم يسبق اليها ومكارم لم يجر أحد ممن وسم بالكرم عليها لجلالة قدرها وضخامة أمرها من ذلك هذا المقصد الذى أثرها كالكتاب المذكور وسواه مما هو واحد في فنه وفذ في معناه عقد في جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الامتاع ويعم به الانتفاع والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم وهذه النسخة في اثنى عشر سفرا متفقة الخط والعمل اكتتب هذا على ظهر الاول منها وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة عرف الله تعالى بركته بمنه انتهى وكان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أرسل في حياته نسخة من الاحاطة الى مصر ووقفها على أهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء وقد رأيت منها المجلد الرابع وهذا نص وقفيته الحمد لله وحده وقف الفقير الى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو بن عبد الله بن الحاج الاندلسي نفع الله تعالى به عن موكله مصنفه الشيخ الامام العلامة بركة الاندلس لسان الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخطيب الاندلسي السلماني فسح الله تعالى في مدته وفتح لناوله أبواب رحمته ومنحنا واياه من رفده وعطيته وأسكننا واياه أعالى جنته جميع هذا الكتاب تاريخ غرناطة وهو ثمانية أجزاء هذا رابعها عن مصنفه المذكور بمقتضى التفويض الذى أحضره وهو انه فوض اليه النيابة عنه في جميع أموره المالية كلها وشؤنه أجمعها والنظر في أحواله على اختلافها وتباين أجناسها تفويضا تاما على العموم والاطلاق والشمول والاستغراق لم يستثن شيأ مما تجوز النيابة فيه الا أسنده اليه وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضي القضاة يومئذ بثغر الاسكندرية المحروس أدام الله تعالى أيامه كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن الربعي المالكي ثبوته مؤرخ بثالث ذى الحجة عام سبعة وستين وسبعمائة وقفا شرعيا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخا ومطالعة وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء رحم الله تعالى واقفها وجعل النظر في ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حجله حرسه الله تعالى ثم من بعده للناظر أو قاف الخانقاه المذكورة فلا يحل لاحد يؤمن بالله العظيم ويعلم انه صائر الى ربه الكريم أن يبطله ولا شيأ منه ولا يبدله ولا شيأ منه فمن فعل ذلك أو أعان عليه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ومن أعان على ابقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واشهد الواقف الوكيل عليه في ذلك في الثاني والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة انتهى * وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريزى المؤرخ ونصه انتقى منه داعيا لمؤلفه احمد بن على

المقريزى فى شهر ربيع سنة ثمانية وثمانمائة ومارقمه الحافظ السيوطى ونصه الحمد لله وحده طالعته على طبقات النحاة واللغويين وكتبه عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى سنة ثمان وستين وثمانمائة انتهى وبعد هذا بن ماصورته انتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصونى سنة أربع وخمسين وتسعمائة وبعده ماصورته أنهاه نظرا وانتقاء على الحموى الحنفى لطف الله به وبخط مولانا العارف الربانى علامة الزمان وبركة الاوان الشيخ محمد البكرى الصديقى مانصه طالعته مبتهجا برياضه المونقه وأزهاره معانيه المشرقه مرتقيا فى درج كلمانه العذاب سماء الاقتباس مقتنيا من لطائفه درراً وجواهر بل أحاشيها بذلك القياس كتبه محمد الصديقى غفر الله له انتهى ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دقماق والحافظ ابن حجر وغيرهما من أهل مصر ومن المغاربة ابن المؤلف أبى الحسن على الخطيب والخطيب الكبير سيدى أبى عبد الله بن مرزوق والعلامة أبى الفضل ابن الامام التلمسانى والنحوى الراعى والشيخ الفهامة الشهير يحيى البجيسى شارح الالفية وصاحب التآليف وغيرهؤلاء ممن يطول تعدادهم رحم الله تعالى جميعهم * وقد أشار ابن الاحمر حفيد الغنى بالله تعالى الذى كان ابن الخطيب وزيره ثم انفصل عنه حسبما تقدم الى مايتعلق بكتاب الاحاطة فى جملة كلام نصه وتلقينا ممن نثق به أن الكاتب المجيد الاصيل حسبا البارع أدبا أبا عبد الله بن جزى وفد على السلطان أبى عنان صاحب المغرب فى حدود عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فأكرم جنابه وكمل من تقريبه واصطناعه آرابه فانتدب الى ذكر وطنه الاندلسى وصاح بمن عذله ايا ويح الشجى من الخلى وبرع غاية البراعة فى التاريخ الذى جمعه ورفع راية البلاغة لما كلف به ووضعه فلم يكن شئ من الكلام الاقال الاحسان وأنامعه استوعب ماشاء وأبدع فى كل مانقل سواء كان شعرا أوانشاء لكن سابق أجله منع من الامتاع بجمله ومفصله وجاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والدجدنا أمير المسلمين أبى الحجاج فى غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة فعين لتعريف صاحب المغرب بالكائنة خاص الدولة ورئيس الجملة أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب فوقف من تاريخ ابن جزى على شاطئ نهر فياض وانتشق من ورقاته أزاهر رياض وحمله النظر فى بدائعه على أن يأخذ فى جمع كتابه المسمى بالاحاطه فيما تيسر من تاريخ غرناطه ووجد لذلك موجبا أغراه بجمعه وهو أن الشيخ الحجة الشاعر المفلق ابا اسحق بن الحاج وفد على الاندلس بعد جوبه الآفاق وترحله الى ماوراء الشام والعراق واعلامه أنه يذهب فى بدأة تاريخ مذهب ابن جزى وغيره وكان وحيدا فى فنون الآداب والمساجلة لاعلام الكتاب وبحكم الاتفاق على أثر وصول ابن الخطيب من الرسالة للسلطان أبى عنان وجد الحاجب الخطير أبا النعيم رضوان قد استولى على وظيفة الحجابة والرياسة وأقنعه بالاسم من ذلك المسمى وبان وقفه دون طموحه الى عادته من المرقب الاسمى فأنتج الانتباذ من تلك الرياسة الخطيبية أن ألفى الخطيبة على جلالة مقدارها وتوضح أنوارها فى مرتقى اجلالها واكبارها وأخذ فى تأليف الاحاطة

مستدعيا تصحيح الموالد والوفيات والاسماء والمسميات ومستكثرا من طرف المصنفات ليتم قصده من الاطناب ونقله العيون الرائقة من كل كتاب وألقى جميع مقاصده والمعظم من تنظيم فرائده بيد الشيخ العمدة معلم الجملة منا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ابى عبد الله الشريشى قدس الله تعالى ضريحه وهذا الشيخ الذى لم يجاوز سن الكهولة فى ذلك الوقت هو الذى تولى من المبيضات نقله واحكم جنسه وفصله وانختم على مجلدات ستة ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالاصول وأنجز من التحرير فيه الوعد الممطول ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثنى عشر سفرا انتهى كلامه * وقد علمت أن المكتوب فى الوقفية كمائة وثمان مجلدات لا اثنا عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر والله سبحانه وتعالى أعلم * والكاتب أبو عبد الله بن جزى الذى أشار اليه قد عرفنا به فيما سبق فليراجع * وأما العلامة ابن الحاج فهو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن عبد العزيز بن اسحق احمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضى النميرى ويعرف بابن الحاج الغرناطى قال فى الاحاطة نشأ على عفاف وطهارة وبر وصيانة وبلغ الغاية فى جودة الخط وارتسم فى كتاب الانشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة مع حسن صمت وجودة أدب وخط وظهور كفاية يقيد ولا يفتر ويروى الحديث مع الطهارة والنزاهة مليح الدعابة طيب الفكاهة شرق وحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلة سفره وناهيك بها طرفة وقفل لافريقية وخدم بعض ملوكها وكتب ببجاية ثم خدم سلطان المغرب أبا الحسن ثم كتب عن صاحب بجاية ثم تنزه عن الخدمة وانقطع بتربة الشيخ أبى مدين مؤثر الخمول ذاهبا مذهب العكوف بباب الله تعالى حجة على أهل الحرص والتهافت ثم جبر على الخدمة عند أبى عنان ثم أفلت عند موته فلحق بالاندلس وتلقى ببر وتنويه وعنايه وولى القضاء بقرب الحضرة وهو الآن من صدور القطر وأعيانه متوسط الاكتهال روى عن مشيخة بلده واستكثر وأخذ فى رحلته عن ناس شتى وألف تواليف منها ايقاظ الكرام بأخبار المنام وجزء فى بيان الاسم الاعظم كثير الفائدة ونزهة الحدق فى ذكر الفرق وكتاب اللباس والصحبة فى جمع طرق المتصوفة المدعى انه لم يجمع مثله وجزء فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت بالمشرق وجزء فى الاحكام الشرعية سماه بالفصول المقتضبة فى الاحكام المنتخبة ورجز فى الجدل ورجز صغير فى الحجب والسلاح ورجز صغير سماه بمثاب القوانين فى التورية والاستخدام والتضمين مولده بغرناطة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وامتحن بالاسر مع جماعة بعد قتال عام ثمانية وستين ثم فكه الله تعالى انتهى ملخصا وأخذ عنه جماعة كالقاضى أبى بكر بن عاصم صاحب التحفة وغيره وهو من الادباء المكثرين وكان عبدى بالمغرب مجلدا من رحلته التى بخطه وقد أتى فيه بالعجب العجاب وتمهر فى الحديث على طريقة أهل المشرق لانه لقى جماعة من الحفاظ كالذهبى والبرزالى والمزى وناهيك بالثلاثة وغيرهم ممن يطول تعداده

وله النظم الرائق العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة المشارقة كما ستراه فمن نظمه يمدح الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي وقد أبصره على أسرة دار الحديث الاشرفية بدمشق

جمال الدين للاقراء يعلو * أسرته اذا اصطف الرجال
فذ جليت محاسنه بدالى * محيا فى أسرته الجمال

ضمن قول المعرى

أهل فدشر الاهلين منه * محيا فى أسرته الجمال

وقوله فى الحافظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالى

نوى النوى علم الدين الرضا فانا * من بعده فرقته بالشام ذو ألم
فلا تلمنى على حبى دمشق فقد * أصبحت فيها زمانا صاحب العلم

وقال فيه أيضا

نوى النوى علم الدين الرضا فذكت * نار اشتياقى حتى استعظموا ألمى
فقلت انى من قوم شعارهم * جود فلا تنكروا نارى على علم

وقال فى الحافظ شمس الدين الذهبي

رحلت نحو دمشق الشام مبتغيا * رواية عن ذوى الاحلام والادب
ففزت فى كتب الآثار حين غدت * تروى بسلسلة عظمى من الذهب

وقال فى الحافظ المزى أيضا

جمال الدين أضحى فى دمشق * اماما نحوه طال الذميل
فلم أعدم بمنزله جميلا * فحيث هو الجمال هو الجميل

وقال حين بدوره على الامير الصالح المحدث الجليل قطب الدين أبي اسحق ابراهيم ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحق ابن السلطان الملك الرحيم بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله النورى صاحب الموصل ليروى عنه

الى قصد قطب الدين وافيت عندما * أقمت على الترحال فى الشرق والغرب
وأصبحت كالافلاك فى السير والسرى * فها أنا فى مصر أدور على القطب

وقال فى قاضى القضاة العالم الشهير صاحب التفسير عماد الدين الكندى وهو ممن أخذ عنه بثغر الاسكندرية

ولما اختبرت ذوات الورى * تعجبت من حسن ذات العماد
فتلك التى لم أكن مبصرا * مدى عمرنا مثلها فى البلاد

وقال فى القاضى وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجى

أضحى وجيه الدين أسبق سابق * فى العلم والعلياء والخلق النبيه
عجب الورى من سبقه وتعجبوا * فأجبتهم لا تنكروا سبق الوجيه

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى قوله

قد قارب العشرين ظبى لم يكن * ليرى الورى عن حبه السلوانا

وبدا الربيع بخده فكانما * وافى الربيع بنادم النعمانا

وقوله

وعارض فى خده نباته * بحسنه بين الورى بسحرنا
أجرى دموعى اذ جرى شوقا له * فقلت هذا عارض ممطرنا

وقال وقد توفى أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولى ابنه أبو حفص عمر بعد قتله لاخوته

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصبا * واخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فمارضى الورى * سوى عمر من بعد موت أبى بكر

وقال

أتونى فعابوا من أحب جماله * وذلك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه * مراض وأن الخصر منه ضعيف

وقال

أيا عجبا كيف تهوى الملوك * محلى وموطن أهلى وناسى
ويحسدنى وهى مخدومة * وما أنا الا خديم بفاس

وقال

لى المدح يروى منذ كنت كانما * تصورت مدحا للورى وثناء
ومالى هجاء فاعجبن لشاعر * وكاتب سر لا يقيم هجاء

وقال فى حقه القاضى أبو البقاء خالد البلوى نقلت من خط سيدى ورفيقى وصديقى امام المسلمين برهان الدين أبى اسحق بن ابراهيم بن عبد الله بن الحاج وأكثره مما كان أنشدنيه قديما من نظمه فى التورية قوله

ومهاة تقول ان هى كلت * ودعا للمزاح خل ممازح
وازر الردف ان فى الازر منى * رمل يبرين يا طبيب وعالج

وقوله

وروض محل جدب المراعى * سريع القبض وقد والتهابا
حكى ابن أبى ربيعة لا شجونا * ولكن كونه يهوى الربابا

وقوله

وظبى طر عارضه واعنى * عذارا بعد يزهو باخضرار
رأى سقما بمقلته فوافى * يا أسى عاد لكن من عذار

وقوله

أتونى بنمام من الروض يانع * سقته الغوادى كل أسحم مدرار
فلا غرو ان أصليته نار فرقتى * وحكم على النمام الا لقاء فى النار

وقوله

هذه الشمس بالحجاب توارت * بعد نورا لها ورحب وبشر
وأتى الليل بالنسيم عليلا * فهو يمشى من أفقه لابن زهر

يعني بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن زهر الاشبيلي الاندلسي فانه كان وحيد دهره في الطب فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة الى الغاية وقال أبو اسحق النميري المذكور

أياضوء الصباح ارفق بصب * تسيل دموعه في الخد سيلا
وكنت بليلة ليلاء طالت * فهاأنا في الورى مجنون ليلى

وقال يخاطب شيخه سيف الدين

لمولاى سيف الدين في الفقه بيننا * مقام اجتهاد ليس يلحقه الحيف
فتقليده فرض على أهل عصرنا * ولا عجب عندى اذا قلد السيف

وقال

رعى الله مع طار النسيم فانه * رأى من غصون البان ماشاء من عطف
وأبدى حديث الغيث وهو مسلسل * لذا الناعمرى ليس يخلو من الضعف

وترشحت التورية بكون المحدثين يقولون الحديث المسلسل لايخلو من الضعف ولو في التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحا كما قرر في محله وقال رحمه الله تعالى

نظرت الى روض الجمال بوجهه * وسقيته دمعا به العين تكلف
فصح حديث الحسن عن ورد خده * وان كان أضحى وهو راو مضعف

وقال رحمه الله تعالى

بدا عارض المحبوب فاحمر خجلة * وأهدى لنا ورد ابا الحسن ناهض
فقلت له لا تنكر الورد ناضرا * فقد سال في خديك من قبل عارض

وقال

الوم عن انسان عيني نافر * كالوحش ليس يقارب الانسانا
والدمع منها فاض طوفانا فلا * عجب اذا ماغرق الاجفانا

وقال رحمه الله تعالى

بكت شجنا ففاض الدمع يحكي * يتامى الدر اذ يهوى نواما
وسلت من محاجرها سيوفا * فخفت على المحاجر واليتامى

وقال القاضي خالد البلوي رحمه الله تعالى من نظم صاحبنا أبي اسحق بن الحاج النميري يخاطب شيخه وشيخا أيضا صاحب ديوان الانشاء الامام جمال الدين ابراهيم ابن الامام العلامة صاحب ديوان الانشاء ملك الكلام قس الفصاحة شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي وقد تقرب اليه في قصد الرواية عنه

الى ابن شهاب الدين طال تغربي * فلما سرت عيسى له وركابي
رويت حديث الفضل عنه فصح لي * كما شئت مرويا عن ابن شهاب

وقوله يخاطب كمال الدين بن جمال الدين المذكور

أشبهت والدك الرضا في فضله * وأخذته عنه بخير مناب
وملكتني فحديث فضلك في الورى * عن مالك يروى عن ابن شهاب

وقال

وقال رحمه الله تعالى

لعمرك ما ثغره باسم * ولكنه حبب لاعب
ولو لم يكن ريقه مسكرا * لما دار من حوله الشارب

وقال رحمه الله تعالى ملغزا فى القلم

سألتك ماواش يراد حديثه * ويهوى الغريب النازح الدار انصاحه
تزاه مدى الايام أصفر ناحلا * كمثل عليل وهو قد لازم الراحه

وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء ببعض الثغور وشرب منها

تعجبت من ثغر هذى البلاد * ومولاى من عينها شارب
فتلك ثغر أرى شاربا * وعين بدا فوقها حاجب

وقال

وحمراء فى الكاس مشمولة * تحث على العود فى كل بيت
فلا غروان جانى سابقا * الى الانس خل يحث الكميت

وقال

بروضتنا الظمياء طال اكتئابنا * فتلك غيث ميت آمالنا أحيا
واشبه مهيارا فهاتلك عينه * تفيض اذا شام البروق على ظميا

وقال

اثنان عزا فلم يظفر بنيلهما * وأعوزا من هما فى الدهر مطلبه
أخ مودته فى الله صادقة * ودرهم من حلال طاب مكسبه

وقال مورّيا بالقائد نافع على ما اختاره البخارى وجماعة ان أصح الاسانيد مالك عن نافع

عن نافع أسند حديث أحبتى * يامالكا فى بحسن صنائع
فأجل اسناد وخير رواية * عندى رواية مالك عن نافع

وقال

انى لاعجب من فعالك فى الهوى * لما حللت بحسن ذاتك ذاتى
ونفيت نومى ثم أثبت الاسى * فجمعت بين النفى والاثبات

وقال

الا معصم الصبّ من وشى معصم * أطلت اليه نظرة المتوسم
فأبقت به عينى حلى من سوادها * وبعض مواد وسط قلبى اتسيم
وليس خضابا ماعلاه وانما * يجرى نيه بعد الدمع ماعزم من دمى
ولم يعد منى اللون لون سواده * خلا انى اشقى وقيل له انعم

وقال وقد جاء الشاعر المفلق أبو العباس أحمد بن عبد المنان بيت الكتاب وفى عينه خضرة

أيا أحمد المرتضى للعلا * ومن حاز فى صنعه كل زين
تراءيت فى العلم روضا نضيرا * فلا تنكرن خضرة حول عين

وله فيه

لك الخير عدم السبك ابدل ناظرى * زمرّدة مخضرّة من لجينه
فلا تنكروا ماراع من ذاك انني * لصائغ تبر القول ناقد شينه
ولا عجب ان أعوز السبك صائغا * فاوجب عدم السبك خضرة عينه

وقال فيمن يعرف بالصهال

ألا رب فرسان توافوا فادركوا * مع الليل أوتارا لهم دون امهال
وأجروا بصهال كميتا كما ابتغوا * فلا تنكروا الاجراء منهم بصهال

ولما كتب الرئيس الكاتب الجليل أبو عبد الله العزفى مداعبا

ياعصبة كل فتى منهم علم * فرغتم من كتبكم ردّوا القلم

أجابه ابن الحاج المذكور بقوله

الا احتسبوا ماقد أعرتم لفتية * تكرّمكم بالصفح عن فعلهم قاضى
ولا تطمعوا فى الردّ فالناس كلهم * رأوا ان مولانا له القلم الماضى

وقال الوادى آشى مما نقلت من خط الكاتب العلامة الصدر البارع الحاج القاضى الناظم الناثر الجامع للمحاسن والمفاخر أبى اسحق ابراهيم بن الحاج النميرى مانصه كتب الىّ الفاضل النخبة أبو الفضل بن رضوان متمثلا بقول المأمون (ملك الثلاث الآنسات عنانى) فكتبت اليه فى التورية

هنيأ لك البشرى بهنّ فدم كما * تريد بنعمى للسعادة جامعه
وان كنت من أهل الصلاح فلا تكن * بمائل قلب منك عن حب رابعه

فأجابنى بقوله

ياسيدى ذكرتنى بالرابعه * لعلها لكل خير جامعه
انى أخاف أن تكون باقعه * فتفرك المغازل المطاوعه

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة

لمن الخيام سطت ببيض صفاح * وارت سوادا غال كل صباح
ان مزقت رقعت بنقع كتائبى * أو قوّضت عمدت بسمر رماح

وله فى رثاء الطبيب بن عمار واقترح عليه ذلك ابن جزى

الا أسعدا عينى على السهد والبكا * فقد واصل السهد المبرّح تذكارى
وأبدى الردى فتك ابن عباد اذ سطا * فلا غرو ان أبكى لفقد ابن عمار

وقال مما يكتب فى الترس

أنا الترس قد أنشئت بالامر عدّة * ليوم جهاد مطلع غرّة النصر
فلاقوا بى الاعداء فى زحفهم ولا * تبالوا بقرع الزرق والبيض والسمر
ولا تنكروا سترى لمقتل حاملى * ففى اسمى كما شاهدتم احرف الستر

وله يهنى السلطان أبا عنان أمير المؤمنين المرينىّ بالابلال من المرض

مطالب الا انهنّ مواهب * قضى الله أن تقضى فنعم المطالب
شفاء أمير المؤمنين وانه * لاكرم من تحدى اليه الركائب

وكم قلت غاب البدر والشمس ضلة * ورانت على قلبى الهموم النواصب
ولم يغبا لكن شكا الضر فارس * وأوحش منه مجلس الملك غائب
ملك الله يا خير الملوك وخير من * تحنن له حتى العتاق الشوارب
وقل لمن وافى بشيرا نفوسنا * فما هى الا بعض ما أنت واهب
أقول لجرد الخيل قبا بطونها * معقدة منها الحرب سباسب
طوالع من تحت العجاج كأنها * نعام بكثبان الصريم خواضب
محجلة غرا كان رعالها * بحار جرت فيها الصبا والجنائب
من الاعوجيات الصوافن ترتمى * اذا رجفت يوم القراع مقانب
هنيئا فقد صح الامام الذى به * تفل السيوف المرهفات القواضب
ومستأصل الفل المغذ جياده * لضرب كما ترغو الفحول الضوارب
ومن حطم السمر الطوال كعوبها * بطعن كما امتاح الركية شارب
وكر على أرض العدا بفوارس * كأنهم فى الحرب أسد غوالب
كان ظباهم فى الهياج أكفهم * تجود وارواح العداة مواهب
كان رماح الخط احسابهم وما * حوت من نفوس المعتدين مناقب
هم ما هم حدث عن البحر أو بنى * مرين فنهج القول أبلج لاحب
من البيت شادت قيس عيلان فخره * فطالت معاليه وطابت مناسب
وأحيا له ملك الخليقة فارس * ما ثر غالتها الليالى الذواهب
كريم فلا الحادى النجائب مخفق * لديه ولا المضنى الركائب خائب
ارى بذله النعمى ففضت مكاسب * ارى بأسه الانضى ففضت كتائب
أنامله يروى الورى صوب جودها * فلولا دوام الرأى قلت السحائب
وكم خلت برقا فى الدجى نور بشره * تشيم سناه الناجيات النجائب
فأخلفنى أنى ارى البرق خلبا * فلا الصوب هام لا ولا الجود ساكب
أعرنى أمير المؤمنين بلاغة * فانى عن عجز لمدحك هائب
وأنطق لسانى بالبيان معلما * فانى فى التعليم للجود راغب
وكيف ترى لى بعد فى الجود رغبة * وجودك لى فوق الذى أنا طالب
وقد شيبت الآمال اذ شبت ثم اذ * تفقدتها لم يدر ماشب شائب
بلغت بك الآمال حتى كانها * وقد صدقت ماشئت صدقا كواذب
عجبت وما تولى وأوليت معجبا * فلا برحت تنمو لديك العجائب
وحسبى دعاء لو سكت كفيته * كما قيل لكن فى الدعاء مذاهب
وما أنا الا عبدك المخلص الذى * يراقب فى اخلاصه ما يراقب
فخذها ثبت العذر لا المدح انه * هو البحر قل هل يجمع البحر شاجب
بقيت بقاء الدهر ملكك قاهر * وسيبك فياض وسيفك غالب
وعوفيت من ضر وأعطيت أجره * ولا روعت الاعداك النوائب

وقال رحمه الله تعالى

ولولا ثلاث جاء جبريل سائلا * لخير الورى عنها الآثرت فقدانى
مقامات اسلام أزيد لفعله * ثوابا وايمان أديم واحسانى

وقال رحمه الله تعالى أنشدنى السلطان أمير المؤمنين أبو عنان فارس ابن أمير المسلمين أبى الحسن المرينى رحمهما الله تعالى

ياعلما بأرض تلك البلاد * حيّ فاساوحيّ أهل الوداد
ان تناءت بشخصها عن عيانى * فحماها مصوّر فى فؤادى انتهى

قلت تذكرت بهذا البحر والروى والغرض قول الفقيه الكاتب العلامة الناظم الناثر أبى عبد الله محمد بن يوسف الثغرى كاتب سلطان تلمسان أمير المسلمين أبى حمو موسى بن يوسف الزيانى يمدحه ويذكر تلمسان المحروسة

أيها الحافظون عهد الوداد * جدّدوا أنسنا بباب الجياد
وصلوها أصائلا بليال * كلآل نظمن فى الاجياد
فى رياض منضدات المجانى * بين تلك الربا وتلك الوهاد
وبروج مشيدات المبانى * باديات السنا كشهب بواد
رق فيها النسيم مثل نسيبى * وصفا النهر مثل صفو ودادى
وزهاالزهر والغصون تثنت * وتغنت عليه ورق شواد
وانبرى كل جدول كحسام * عارى الغمد سندسىّ النجاد
وظلال الغصون تكتب فيه * أحرفا سطرت بغير مداد
تذكر الوشم فى معاصم خود * قضب فوقه ذوات امتداد
وكؤس المنى تدار علينا * بجنى عفة ونقل اعتقاد
واصفرار الاصيل فيها مدام * وصفير الطيور نغمة شاد
كم غدونا بها لانس ورنا * جادها رائح من المزن غاد
ولكم روحة على الدوح كادت * أن تريح الصبا لنا وهو غاد
رقت الشمس فى عشاياه حتى * احدثت منه رقة فى الجماد
جددت بالغروب شجو غريب * هاجه الشوق بعد طول البعاد
ياحيا المزن حيها من بلاد * غرس الحبّ غرسها فى فؤادى
وتعاهد معاهد الانس منها * وعهود الصبا بصوب العهاد
حيث مغنى الهوى وملهى الغوانى * ومراد المنى ونيل المراد
ومقرّ العلا ومرقى الامانى * ومجرّ القنا ومجرى الجياد
كل حسن على تلمسان وقف * وخصوصا على ربى العباد
ضحك النور فى رباها وأربى * كف ضحاك كها على كل ناد
وسما تاجها على كل تاج * وغلا وهدها على كل واد
يدّعى غيرها الجمال فيقفى * حسنها أن تلك دعوى زياد

وبشعرى فهمت معنى علاها * من حلاها فهمت فى كل واد
حضرة زانها الخليفة موسى * زينة الحلى عاطل الاجياد
وحباها بكل بذل وعدل * وحماها من كل باغ وعاد
ملك جاوز المدى فى المعالى * فالنهايات عنده كالمبادى
معقل للهدى منيع النواحى * مظهر للعلا رفيع العماد
قاتل المحل والاعادى جميعا * بغرار الظبا وغرّ الايادى
كلما ضنت السحائب أغنت * راحتاه عن السحاب الغوادى
كم هبات له وكم صدقات * عائدات على العفاة بوادى
فايادى خليفة الله موسى * ابحر عذبة على الوراد
ركب الجود فى بسيط يديه * فتلافى به تلاف العباد
جلّ باريه ملجأ للبرايا * كالحياض امنا حياة البلاد
جلّ من خصه بتلك المزايا * باهرات من طارف وتلاد
شيم حلوة الجنى وسجايا * شهد المجد أنها كالشهاد
يا امام الهدى وشمس المعالى * وغمام الندى وبدر النادى
لك بين الملوك سرّ خفىّ * ليس معناه للعقول ببادى
فكان البلاد كفلك مهما * كان فيها من ينتمى لعناد
قبضت كفلك البنان عليه * فأتى بالاذعان حالف انقياد
بكم تصلح البلاد جميعا * ان آراءكم صلاح البلاد
لم تزل دائما تحنّ اليكم * كحنين السقيم للعوّاد
لو اعينت بمنطق شكرتكم * مثل شكر العفاة للاجواد
قد أطاعتكم البلاد جميعا * طاعة أرغمت أنوف الاعادى
فاريحوا الجياد أتعبتموها * واقروا السيوف فى الاغماد
واهنؤا خالدين فى عز ملك * قائم السعد دائم الاسعاد
واليكم من مذهبات القوافى * حكما سهلت لبان المقاد
كل بيت من النظام مشيد * عطر الافق بالثناء المجاد
ذو ابتسام كزهر روض مجود * وانتظام كسلك درّ مجاد

ولابى المكارم منديل ابن الامام الشهير صاحب المقدمة الاجرومية قصيدة فى المنحى وافقت قصيدة الثغرى فى البحر وبعض المطلع فلا ندرى أيهما نسج على منوال الآخر اذهما متعاصران الا أن ذاك قالها فى تلمسان وهذا فى مدينة فاس وهى

أيها العارفون قدر الصبوح * جددوا أنسنا بباب الفتوح

يعنى بباب الفتوح أحد أبواب فاس كما أن باب الجياد فى كلام الثغرى أحد أبواب تلمسان ثم قال ابن اجروم بعد المطلع

جددوا أنسنا ثم جدّوا * بسرح الطرف فى مجال فسيح

حيث شابت مفارق اللوز نورا * ونساقطن كاللجين الصريح
وبدا منه كلما احمر يحكى * شفقا مزقته أيدى الريح
وكان الذى تساقط منه * نقط لحسن من دم مسفوح
واذا ما وصلتم للمصلى * فلتحلوا بموضع التسبيح
وبطيفورها نطوفوا لكيما * تبصروا من ذراه كل سطوح
ولتقيموا هنالك لحظة طرف * لتردوا به ذماء الروح
ثم حطوا رحالكم فوق نهر * كل فى وصفه لسان المديح
فوق حافاته حدائق خضر * ليس عنها لعاشق من نزوح
وكان الطيور فيها قيان * هتفت بين أعجم وفصيح
وهى تدعوكم الى قبة الجو * زهلموا الى مكان مليح
فيه ماتشتهون من كل لون * مغلق فى الكمام أو مفتوح
وغصون تهيج رقصا اذا ما * سمعت صوت كل طير صدوح
فأجيبوا دعاءها أيها السر * ب وخلوا مقال كل نصيح
واجنحوا للمجون فهو جدير * وخليق من مثلكم بالجنوح
واخلعوا ثم للتصابى عذارا * ان خلع العذار غير قبيح
واذا شئتم مكانا سواه * هو أجلى من ذلكم فى الوضوح
فاجمعوا أمركم لنحو خليج * جاءكالصل من قفار فسيح
عطرت جانبيه كف الغوادى * بشذا عرف زهرها الممنوح
قل لمهيار ان شممت شذاها * قول مستخبر أخى تجريح
أين هذا الشذا الذكى من القيصوم والرند والغضى والشيح
حبذا ذلك المهاد مهادا * بين دان من الربا ونزوح
ثم من ذلك المهاد أفيضوا * نحو هضب من الهموم مريح
فيه للحسن دوحة وروايا * وانشراح لذى فؤاد قريح
وبجار تدعى بجار طبول * غير أن التطبيل غير صحيح
تنثر الشمس ثم كل غدير * زعفرانا مبللا بنضوح
وسوى من هنالك يسبى عقولا * ويجلى لحاظ طرف طموح
وعيون بها تقر عيون * وكلاها يأسو كلوم الجريح
فرشت فوقها طنافس زهر * ليس كالعهن نسجها والمسوح
كلما مر فوقهن طليح * عاد من حسنهن غير طليح
فانهضوا أيها المحبون مثلى * لترى ذات حسنها الملموح
هكذا يربح الزمان والا * كل عيش سواه غير ربيح

وما أحسن قول الكاتب المغربى يمدح تلمسان وسلطانها المذكور آنفا

تاهت تلمسان بحسن شبابها * وبدا طراز الحسن من جلبابها

فالبشر يبدو من حباب ثغورها * متبسما أو من ثغور حبابها
قد قابلت زهر النجوم بزهرها * وبروجها ببروجها وقبابها
حسنت بحسن مليكها المولى أبي * حمو الذي يحمي حمى أربابها
ملك شمائله كزهر رياضها * ونداه فاض بها كفيض عبابها
أعلى الملوك الصيد من أعلامها * وأجلها من صفوها ولبابها
غارت بغرة وجهه شمس الضحى * وتنقبت خجلا بثوب ضبابها
والبدر حين بدت اشعتها له * حسنا تضاءل نوره وخبابها
لله حضرته التي قد شرفت * خدامها فسموا بخدمة بابها
فاللثم في يمناه يبلغها المنى * والمدح في علياه من اسبابها

وللثغري المذكور قصيدة لامية بديعة في مدح السلطان ابي حمو ووصف بلاد تلمسان وأجاد فيها الى الغاية وهي

قم مبصرا زمن الربيع المقبل * ترما يسر المجتني والمجتلي
وانشق نسيم الروض مطلولا وما * أهداك من عرف وعرف فاقبل
وانظر الى زهر الرياض كأنه * در على لبات ربات الحلي
في دولة فاضت يداها بالندى * وقضت بكل منى لكل مؤمل
بسطت بارجاء البسيطة عدلها * وسطت بكل معاند لم يعدل
سلطانها المولى أبو حمو الرضا * ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي
تاهت تلمسان بدولته على * كل البلاد بحسن منظرها الجلي
راقت محاسنها ورق نسيمها * فحلا بها شعري وطاب تغزلي
عرج بمنعرجات باب جيادها * وافتح بها باب الرجاء المقفل
ولتغد للعباد منها غدوة * تصبح هموم النفس عنك بمعزل
وضريح تاج العارفين شعيبها * زره هناك فحبذا ذاك الولي
فمزاره للدين والدنيا معا * تمحى ذنوبك أو كروبك تنجلي
وبكهفها الضحاك قف متنزها * تسرح نفوسك في الجمال الاجمل
وتمش في جناتها ورياضها * واجنح الى ذاك الجناح المخضل
تسليك في دوحاتها وتلاعها * نغم البلابل واطراد الجدول
وبربوة العشاق سلوة عاشق * فتنت والحاظ الغزال الاكحل
بنواسم وبواسم من زهرها * تهديك انفاسا كعرف المندل
فلو امرؤ القيس بن حجر راءها * قدما تسلى عن معاهد ماسل
لو حام حول فنائها وظبائها * ما كان محتفلا بحومة حومل
فاذكر لها كلفي بسقط لوائها * فهواي عنها الدهر ليس بمنسل
كم جاد لي فيها الزمان بمطلب * جادته أخلاق الغمام المسبل
واعمد الى الصفصيف يوما ثانيا * وبه تسل وعنه دأبا فاسأل

واد تراه من الازاهر خاليا * أحسن به عطلا وغير معطل
ينساب كالايم انسيابا دائما * أو كالحسام جلاه كف الصيقل
فزلاله فى كل قلب قد حلا * وجماله فى كل عين قد حلى
واقصد بيوم ثالث فوارة * وبعذب منهلها المبارك فانهل
تجرى على درّ لجينا سائلا * أحلى واعذب من رحيق سلسل
واشرف على الشرف الذى بازائها * لترى تلمسان العلية من عل
تاج عليه من المحاسن بهجة * أحسن بتاج بالبهاء مكلل
واذا العشية شمسها مالت فقل * نحو المصلى ميله المتمهل
ويلعب الخيل الفسيح مجاله * أجل النواظر فى العتاق الحفل
فلحلبة الاشراف كل عشية * لعب بذا الملعب المتسهل
فترى المجلى والمصلى خلفه * وكلاهما فى جريه لايالى
هذا يكرّ وذا يفرّ فينثنى * عطفا على الثانى عنان الاول
من كل طرف كل طرف يستبى * قيد النواظر فتنة المتأمل
ورد كان أديمه شفق الدجى * أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو من كميت لانظير لحسنه * سام معمّ فى السوابق مخول
أو احمر قانى الاديم كعسجد * أو أشقر يزهو بعرف اشعل
أو أدهم كالليل الا غرّة * كالصبح بورك من أغرّ محجل
جمع المحاسن فى بديع شياته * مهما ترف العين فيه تسهل
عقبان خيل فوقها فرسانها * كالاسد تنقض انقضاض الاجدل
فرسان عبد الواد آساد الوغى * حاموا الذمار اولو الفخار الاطول
فاذا دنت شمس الاصيل لغربها * فالى تلمسان الاصيلة فادخل
من باب ملعبها الباب حديدها * متنزها فى كل نادٍ أحفل
وتأنّ من بعد الدخول هنيهة * واعدل الى قصر الامام الاعدل
فهو المؤمّل والديار كناية * والسرّ فى السكان لا فى المنزل
فاذا أمير المؤمنين رأيته * فالثم ثرى ذاك البساط وقبل
فالمجد لفظ فى الحقيقة مجمل * وحلاه تفصيل لذاك المجمل
بشرى لعبد الواد بالملك الذى * خلصوا به من كل خطب معضل
باعزهم جارا وامنعهم حمى * وأجلهم مولى واعظم موئل
بالعادل المستنصر المنصور والـ * ـمامون والمهدىّ والمتوكل
وكفاهم سعدا أبو حمو الذى * يحمى حماهم بالحسام الفيصل
ويحسن نيته لهم وبجده * وبسعده وبسعيه المتقبل
ذو الهمة العليا التى آثارها * حلت به فوق السماك الاعزل
بحر الندى الاحلى وفخر المنتدى * وسنا الدجى الاجلى وزين المحفل

قوله فالى تلمسان الخ يوجد فى بعض النسخ بدله (فاد الى منها كل قد أغزل) اه

يتهلل منه لنا الجدا وبه الدجى * تجلى بمشرق وجهه المتهلل
هنى به زمن الربيع وقل له * بشرى بملح من حلاك وأجمل
وعلى علاه من صنيعة فضله * تزداد ناحية السلام الاكمل

وكأنه عارض بهذه القصيدة قطعة فى بحرها ورويها فى مدح مدينة فاس لبعض العلماء وأظنه القاضى المزدغى وهى

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى * وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التى أربت على * حمص بمنظرها البهى الاجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها * ماء ألذ من الرحيق السلسل
وبساتين من سندس قد زخرفت * بجداول كالايم أو كالفيصل
وبجامع القرويين شرف ذكره * أنس بذكراه يهيج تململى
وبصحنه زمن المصيف بجائب * نفع العنى الغرب فيه استقبل
واشرب بتلك البيلة الحسناء به * واكرع بها عنى فديتك وانهل

وقد تمثل لسان الدين رحمه الله تعالى فى مدينة فاس بقول القائل

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤس

وما أحسن قوله أعنى لسان الدين فى مدح تلمسان

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدرها المكنون
ما شئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالممنون
أو شئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة أم يحيى أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

يعنى بحبيبة أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه وأخفها وكانت جارية بالقصور السلطانية ولم تزل الى الآن منها بقية آثار ورسوم والبقاء لله تعالى وحده * وممن مدح تلمسان الحاج الطبيب أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتلاليسى رحمه الله تعالى اذ قال

سقى الله من صوب الحيا ها طلا وبلا * ربوع تلمسان التى قدرها استعلى
ربوع بها كان الشباب مصاحبى * جررت الى اللذات فى دارها الذيلا
فكم نلت فيها من أمان قصية * وكم مخ الدهر الضنين بها النيلا
وكم غازلتنى الغيد فيها تلاعبا * وكل عذول لا أطيع له قولا
وكم ليلة بتنا على رغم حاسد * نديركؤس الوصل اذ ذاك صفاتلا
وكم ليلة بتنا بصفصيفها الذى * تسامى على الانهار اذ عدم المثلا
وكدية عشاق لها الحسن ينتهى * يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا
نعم وغدير الجوزة الساب الحجا * نعمت بها طفلا وهمت بها كهلا
ومنه ومن عين أم يحيى شرابنا * لانهما فى الطيب كالنيل بل أحلى

وعبادها ما القلب ناس ذمامه * به روضة للخير قد جعلت حلا
به شيخنا المشهور فى الارض ذكره * أبو مدين أهلا به دائما أهلا
لها بهجة تزرى على كل بلدة * بتاج عليها كالعروس اذا تجلى
فيا جنة الدنيا التى راق حسنها * فحازت على كل البلاد به الفضلا
ولا عجب ان كنت فى الحسن هكذا * وموسى الامام المرتضى فيك قد حلا
ولاحت لدينا فيك منه محاسن * كان سناها حاجب الشمس اذ جلى
مطاع شجاع فى الوغى ذو مهابة * حسام على الباغين فى الارض قد سلا
كريم حليم حاتمى نواله * سعيد حميد يصدق القول والفعلا
له راحة كالغيث ينهل ودقها * وصارم نصر مرهف الحد لا فلا
هو الملك الارقى هو الملك الرضا * هو الملك الاسنى هو الملك الاعلى
ومن هذه الاوصاف فيه تجمعت * حقيقة على كل المعالى قد استولى
امام حباه الله ملكا وزرا * فلا ملك الا العزيه ذلا
من الزاب وافانا عزيزا مظفرا * يجر من النصر المنوط به ذيلا
بدت للملك الغرب شدة بأسه * وانعامه للمعتفين وما أولى
فبادره بالصلح خوف فوانه * وسالمه اذ كان ذا الشبه أولى
فكان بحمد الله صلحا مهنأ * به طابت الدنيا وجز نابه السبلا
له فى المعالى رتبة لا ينالها * سواه وكتب فى فضائله تتلى
لطاعته كل الانام تبادرت * فيا سعد من وافى ويا ويح من ولى
أحساده موتوا فان قلوبكم * بجمر الغضى مما بها أبدا تصلى
لقد جبر الله البلاد بملكه * به ملئت أمنا به ملئت عدلا
فلا زال هذا الملك فيه مخلدا * وصارمه الامضى وخادمه الاعلى

ومما مدحت به تلمسان قول الامام الصوفى أبى عبد الله محمد بن خميس الذى قدمنا ذكره فى هذا الكتاب وبعض ما يتعلق به وذكرنا أيضا فيما مر بعض أمداحه لها

تلمسان جادتك السحاب الروائح * وأرست بواديك الرياح اللواقح
وصح على ساحات باب جيادها * ملث يصافى تربها ويصافح
يطير فؤادى كلما لاح لامع * وينهل دمعى كلما ناح صادح
ففى كل شفر من جفونى مائح * وفى كل شطر من فؤادى قادح
فما الماء الا ما تسح مدامعى * ولا النار الا ما تجن الجوانح
خليلى لا طيف لعلوة طارق * بليل ولا وجه لصبحى لائح
نظرت فلا ضوء من الصبح ظاهر * لعينى ولا نجم الى الغرب جانح
بحقكما كفا الملام وسامحا * فما الخل كل الخل الا المسامح
ولا تعذلانى واعذرانى فقلما * يرد عنانى عن عليه ناصح
كتمت هواها ثم بزح بى الاسى * وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

لساقية الرومى عندى مزية * وان وغمت تلك الرواسى الرواسح
فكم لى عليها من غدو وروحة * تساعدنى فيها المنى والمنائح
فطرف على تلك البساتين سارح * وطرف الى تلك الميادين جامح
تحار بها الاذهان وهى ثواقب * وتهفو بها الاحلام وهى بوارح
ظباء مغانيها عواط عواطف * وطير مجانيها شواد صوادح
تقتلهم فيها عيون نواظر * وتبكيهم منهم عيون نواضح
على قرية العباد منى تحية * كما فاح من مسك اللطيمة فائح
وجادثرى تاج المعارف ديمة * تغص بها تلك الربا والاباطح
اليك شعيب بن الحسين قلوبنا * نوازع لكن الجسوم نوازح
سعيت فما قصرت عن نيل غاية * فسعيك مشكور وتجرك رابح
نسيت وما انسى الوريط ووقفة * انافح فيها روضه وافاوح
مطلا على ذاك الغدير وقد بدت * لانسان عينى من صفاه صفائح
أماؤك أم دمعى عشية صدقت * علية فينا مايقول المكاشح
لئن كنت ملآنا بدمعى طافحا * فانى سكران بحبك طافح
وان كان مهرى فى تلاعك سائحا * فذاك غرامى فى عبابك سابح
قراح أتى ينصب من رأس شاهق * بمثل حلاه تستحث القرائح
أرق من الشوق الذى أنا كاتم * وأصفى من الدمع الذى أنا سافح
أما وهوى من لا أسميه انى * لعرضى كما قال النصيح لناصح
أبعد صباحى واعتكافى وخلوتى * يقال فلان ضيق الصدر بائح
لبعت رشادى فيه بالغى ضلة * وكم صالح مثلى غدا وهو طالح
وأى مقام ليس لى فيه حاسد * وأى مقال ليس لى فيه مادح
ألا قل لفرسان البلاغة أسرجوا * فقد جاءكم منى المكافى المكافح
أيخمل ذكرى عندهم وهو نابه * ويغمط شجوى عندهم وهو شائح
بدور اذا جن الظلام كوامل * وأسد اذا لاح الصباح كوالح
تركتك سوق البز لاعن تهاون * وكيف وظبيى سانح فيك بارح
وانى وقلبى فى ولائك طامع * وناظر وهمى فى سماطك طامح
أيا أهل ودى والعشير مؤمن * أتقضى ديونى أم غريمى فالح
وهل ذاك الظبى النصاحى للذى * يقطع من قلبى بعينيه ناصح
كنيت بها عنه حياء وحشمة * ووجه اعتذارى فى القضية واضح

وتلمسان هذه هى مدينتنا التى علقت بها التمائم وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبى بكر المقرى بن على صاحب الشيخ أبى مدين الذى دعا له ولذريته بمناظهر فيهم قبوله وتبين وهو الاب الخامس كما سبق فى ترجمة أخبارهم وهى من أحسن مدائن المغرب ماء وهواء حسبما قال ابن مرزوق (يكنيك منها ماؤها وهواؤها) وقال الكاتب أبو زكريا يحيى

ابن خلدون فى كتابه بغية الرواد فى أخبار بنى عبد الواد وأيام أبى حمو الشامخة الاطواد بعد كلام فى شأن البربر ما صورته ودار ملكهم وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع وسن ومعناه اثنان أى الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الابلى رحمه الله تعالى وكان حافظا بلسان القوم ويقال تلمشان وهو أيضا مركب من تلم ومعناه لها وشان أى لها شان وهى مدينة عريقة فى التمدن لدنة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت اقتعدت بسفح جبلى ودوين رأسه بسيط أطول من شرق الى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين ويطل منها على فحص أفيح معد للفلاحة تشق ظهوره الاسلحة عن مثل أسنمة المهارى وتبقر فى بطونه عند تدميث الغمائم عن مثل بطون العذارى وبها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقه والصروح الشاهقه والبساتين الرائقه مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه فأزرى بالخورنق والسدير وتنصب اليها من عل أنهار من ماء غير آسن تنجاذب أيدى المذانب والاسراب المكفورة خلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات فيفعم الصهاريج ويفهق الحياض ويسقى ريعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب فهى التى سحرت الالباب رواء وأصبت النهى جمالا ووجد المادحون فيها المقال فأطالوا وأطابوا الى أن قال فأنا أنشدك ساكنها قول ابن خفاجة لاستحقاقها اياه عندى

ما جنة الخلد الا فى منازلكم * وهذه كنت لو خيرت اختار
لا تسقوا بعدها أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

وتوسطت قطرا ذا كور عديدة تعمرها أمشاج البربر والعرب مريعة الجنبات مخصبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الاصابة فربما انتهت فى الروح الواحد منها الى أربعمائة مد كبير ثم أطال فى ذلك ابن خلدون المذكور بما يوقف عليه فى الكتاب المذكور * ومما ينسب للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى وصفها ما صورته تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت فى موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه عبادها يدها وكهفها كفها وزينتها زيانها وعينها أعيانها هواها المقصور بها فريد وهواؤها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد حجبتها أيدى القدرة عن الجنوب فلا تحول فيها ولا شحوب خزانة زرع ومسرح ضرع فواكهها عديدة الانواع ومتاجرها فريدة الانتفاع وبرانسها رفاق رفاع الا انها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك ومن أجل جمعها الصيد فى جوف الفرا مغلوبة للامرا أهلها ليست عندهم الراحه الا فيما قبضت عليه الراحه ولا فلاحه الا لمن أقام رسم الفلاحه ليس بها لسع العقارب الا فيما بين الاقارب ولا شطاره الا فيمن ارتكب الخطاره انتهى * وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع فى شانها كتابا معتمدا أسميه بانواء نيسان فى أنباء تلمسان وكتبت بعضه ثم حالت بينى وبين ذلك العزم الاقدار وارتحلت منها الى حضرة فاس حيث ملك الاشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور

الامامة والفتوى والخطابة وغيرها ثم ارتحلت بنية الحجاز وجعلت الى الحقيقة الحجاز وها أنا ذا الى الآن فى البلاد المصرية وفى علم الله تعالى مالا نعلم والتسليم لاحكام الاقدار أسلم والله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم وبها ولدت أنا وأبى وجدى وجد جدى وقرأت بها ونشأت الى أن ارتحلت عنها فى زمن الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع وألف ثم رجعت اليها آخر عام عشرة وألف ثم عاودت الرجوع الى فاس سنة ثلاث عشرة وألف الى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة سبع وعشرين وألف ودخلت مصر برجب من عام ثمانية وعشرين وألف والشام بشعبان عام سبعة وثلاثين وألف وأبت منها الى مصر أواخر شوال من العام وشرعت فى هذا المؤلف بالقعدة من العام وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء مالا ينضبط ويكفيها افتخارا دفن ولى الله سيدى أبى مدين بها وهو شعيب بن الحسين الاندلسى شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن التلمسانى فى كتابه النجم الثاقب فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان الشيخ سيدى أبو مدين فردا من أفراد الرجال وصدرا من صدور الاولياء الابدال جمع الله له علم الشريعة والحقيقة وأقامه ركن الوجود هاديا وداعيا الحق فقصد بالزيارة من جميع الاقطار واشتهر بشيخ المشايخ وذكر التادلى وغيره أنه خرج على يده ألف شيخ من الاولياء أولى الكرامات وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته كان أبو مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى خاض بحار الاحوال ونال أسرار المعارف خصوصا مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره قال التادلى كان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه الى الله تعالى حتى ختم له بذلك أخبرنى من شهد وفاته أنه رآه فى آخر الرمق يقول الله الحق وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصا جامع الترمذى وكان يقوم عليه ورواه عن شيوخه عن أبى ذر وكان يلازم كتاب الاحياء ويعكف عليه وترد عليه الفتاوى فى مذهب مالك فيجيب عنها فى الوقت وله مجلس وعظ يتكلم فيه فتجتمع عليه الناس من كل جهة وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع وربما مات بعضها وكثيرا ما يموت بمجلسه أصحاب الحب تخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الاحوال وكان شيخه أبو يعزى يثنى عليه جميلا ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل قرأ بفاس بعد قدومه من الاندلس على الشيخ الحافظ أبى الحسن بن حرزهم وعلى الفقيه الحافظ العلامة أبى الحسن بن غالب وذكر عنه انه قال كنت فى أول أمرى وقراءتى على الشيوخ اذا سمعت تفسير آية أو معنى حديث قنعت به وانصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذه مأوى للعمل بما فتح به على فاذا خلوت به تأتينى غزالة تأوى الى وتؤنسنى وكنت أمر فى طريقى بكلاب القرى المتصلة بفاس فيدورون حولى ويصبحون لى فبينما أنا يوما بفاس اذا برجل من معارفى بالاندلس سلم على فقلت وجبت ضيافته فبعت ثوبا بعشرة دراهم فطلبت الرجل لادفعها له فلم أجده هنالك فخلتها معى وخرجت خلوتى على عادتى فمررت بقريتى فتعرض لى الكلاب ومنعونى الجواز حتى خرج من القرية من حال بينى وبينهم ولما وصلت لخلوتى جاءتنى الغزالة على عادتها فلما

شمتنى نفرت عنى وانكرت على فقلت ما أوتى على الا من أجل هذه الدراهم التى معى فرميتها فسكنت الغزالة وعادت لطالبها معى ولما رجعت لفاس جعلت الدراهم معى ولقيت الاندلسى فدفعتها اليه ثم مررت بالقرية فى خروجى للخلوة فدار بى كلابها وبصبصوا على عادتهم وجاءتنى الغزالة فشمتنى من مفرقى لقدمى وأنست بى كعادتها وبقيت كذلك مدة وأخبار سيدى أبى يعزى ترد على وكراماته يتداولها الناس وتنقل الى فملأ قلبى حبه فقصدته مع جماعة الفقراء فلما وصلنا اليه أقبل على الجماعة دونى واذا حضر الطعام منعنى من الاكل معهم وبقيت كذلك ثلاثة أيام فاجهدنى الجوع وتحيرت من خواطر ترد على ثم قلت فى نفسى اذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهى فى المكان فقام ومرغت وجهى فقمت وأنا لا أبصر شيأ وبقيت طول ليلتى باكيا فلما أصبح دعانى وقربنى فقلت له ياسيدى قد عميت ولا أبصر شيأ فمسح يده على عينى فعاد بصرى ثم مسح على صدرى فزالت عنى تلك الخواطر وفقدت ألم الجوع وشاهدت فى الوقت عجائب من بركاته ثم استأذنته فى الانصراف بنية أداء الفريضة فأذن لى وقال ستلقى فى طريقك الاسد فلا يرعك فان غلب خوفه عليك فقل له بحرمة يدنور الا انصرفت عنى فكان الامر كما قال فتوجه الشيخ أبو مدين للشرق وأنوار الولاية عليه ظاهرة فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والاولياء وتعرف فى عرفة بالشيخ سيدى عبد القادر الكيلانى فقرأ عليه فى الحرم الشريف كثيرا من الحديث وألبسه خرقة الصوفية وأودعه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الاكابر وعن بعض الاولياء قال رأيت فى النوم قائلا يقول قل لابى مدين بث العلم ولا تبال ترتع غدا مع العوالى فانك فى مقام آدم أبى الذرارى فقصصتها عليه فقال لى عزمت على الخروج للجبال والفيافى حتى أبعد عن العمران ورؤياك هذه تعدل بى عن هذا العزم وتأمرنى بالجلوس فتوليك ترتع غدا مع العوالى اشارة لحديث حلق الذكر مراتع أهل الجنة والعوالى أصحاب عليين ومعنى قوله أبى الذرارى ان آدم أعطى قوة على النكاح وأمر به ولم يجعل له قوة على كون ذريته مطيعين مؤمنين وكذا نحن أعطانا الله العلم وأمرنا ببثه وتعليمه ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين وكان يقول كرامات الاولياء نتائج معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وطريقتنا هذه أخذناها عن أبى يعزى بسنده عن الجنيد عن سرى السقطى عن حبيب العجمى بالسند الى رب العزة جل جلاله وعن العارف عبد الرحيم المغربى قال سمعت سيدى أبا مدين يقول أوقفنى ربى عز وجل بين يديه وقال لى ياشعيب ماذا عن يمينك قلت يارب عطاؤك قال وعن شمالك قلت يارب قضاؤك فقال ياشعيب قد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك وعن سيدى أبى العباس المرسى جلت فى ملكوت الله تعالى فرأيت سيدى أبا مدين متعلقا بساق العرش وهو يومئذ أشقر أزرق فقلت له وما علومك وما مقامك فقال علومى أحد وسبعون علما وأما مقامى فرابع الخلفاء ورأس السبعة الابدال وسئل رضى الله عنه عما خصه الله تعالى به فقال مقامى العبودية وعلومى الالوهية وصفاتى مستمدة من الصفات الربانية

ملأت علومه سرى وجهرى وأضاء بنوره برى وبحرى فالمقرب من كان به عليما ولا يسمو الا من أوتى قلبا سليما الذى يسلم مما سواه ولا يكون فى الوعاء الا ما جعل فيه مولاه فقلب العارف يسرح فى الملكوت بلا شك وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وسئل عن الحياء فقال أوله دوام الذكر وأوسطه الانس بالمذكور وأعلاه أن لا ترى شيأ سواه واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولى أم نبى فرآى رجل صالح منهم معروف بالولاية النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال صلى الله عليه وسلم الخضر نبى وأبو مدين ولى وذكر التادلى وغيره أن رجلا جاءه ليعترض عليه فجلس فى الحلقة فأخذ صاحب الدولة فى القراءة فقال له أبو مدين أمهل قليلا ثم التفت للرجل وقال له لم جئت فقال لاقتبس من نورك فقال له ما الذى فى كمك فقال له مصحف فقال له افتحه واقرأ فى أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر فاذا فيه الذين كذبوا شعيبا الى الخاسرين فقال له أبو مدين أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله وذكر صاحب الروض عن الشيخ الزاهد أبى محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال مر شيخنا أبو مدين فى بعض بلاد المغرب فرآى أسدا افترس حمارا وهو يأكله وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الاسد وقال لصاحب الحمار أمسك الاسد واذهب به واستعمله فى الخدمة موضع حمارك فقال له يا سيدى أخاف منه فقال لا تخف لا يستطيع أن يؤذيك فمر الرجل يقوده والناس ينظرون اليه فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الاسد للشيخ وقال له يا سيدى هذا الاسد يتبعنى حيث ذهبت وأنا شديد الخوف منه لا طاقة لى بعشرته فقال الشيخ للاسد اذهب ولا تعد ومتى آذيتم بنى آدم سلطتهم عليكم (ومن مشهور كراماته) أنه كان ماشيا يوما على ساحل فأسره العدو وجعلوه فى سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين فلما استقر فى السفينة توقفت عن السير ولم تتحرك من مكانها مع قوة الريح ومساعدتها وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير فقال بعضهم أنزلوا هذا المسلم فانه قسيس ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى وأشاروا له بالنزول فقال لا أفعل الا ان أطلقتم جميع من فى السفينة من الاسارى فعلموا أن لا بد لهم من ذلك فأنزلوهم كلهم وسارت السفينة فى الحال (ومن كراماته) أنه لما اختلف طلبة بجاية فى حديث اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة وأشكل عليهم ظاهره أبموت مؤمنين يستحقان كل الجنة فجاؤا اليه وهو يتكلم على رسالة القشيرى فكاشفهم فى الحال بلا سؤال وقال لهم المراد أنه يعطى نصف جنته هو فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ثم النصف الآخر يوم القيامة وكان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل وذكر تلميذه الصالح سيدى عبد الخالق التونسى عنه أنه قال سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير فى الهواء ويمشى على الماء وكان رجل يأتينى عند صدع الفجر فيسألنى عن مسائل لا يفهمها الناس فوقع ليلة فى نفسى أنه موسى الطيار الذى سمعت به وطال على الليل فى انتظاره فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فاذا هو الذى يسألنى فقلت له أنت موسى الطيار فقال نعم ثم سألنى وانصرف ثم جاءنى مع رجل آخر فقال لى صلينا الصبح ببغداد وقدمنا

مكة فوجدناهم فى صلاة الصبح فاعدنا معهم وجلسنا حتى صلينا الظهر وأتينا القدس فوجدناهم فى الظهر فقال لى صاحبى هذا نعيد معهم فقلت لا فقال لى ولم اعدنا الصبح بمكة فقلت له كذلك كان شيخى يفعل وبه أمرنا فاختلفنا وأتينا للجواب فقال أبو مدين فقلت لهم أتما اعادة الصبح بمكة فلانها بها عين اليقين ويغداد علم اليقين وعين اليقين أولى من علم اليقين وصلاتكم الظهر بمكة وهى أم القرى فلذلك لا تعاد فى غيرها قال فقنعا به وانصرفا وكان استوطن بجاية ويقول انها معينة على طلب الحلال ولم يزل بها يزداد حاله على مر الليالى رقعة ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق ويخبر بالوقائع والغيوب الى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور وقال له انا نخاف منه على دولتكم فان له شيعا بالامام المهدى وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع فى قلبه وأهمه شأنه فبعث اليه فى القدوم عليه ليختبره وكتب لصاحب بجاية بالوصية به والاعتناء وأن يحمل خير محمل فلما أخذ فى السفر شق على أصحابه وتغيروا وتكلموا فسكتهم وقال لهم ان منيتى قربت ولغير هذا المكان قدرت ولا بد لى منه وأنا شيخ كبير ضعيف لا قدرة لى على الحركة فبعث الله تعالى من يحملنى اليه برفق ويسوقنى اليه أحسن سوق وأنا لا أرى السلطان ولا يرانى فطابت نفوسهم وذهب بؤسهم وعلموا انه من كرامته فارتحلوا به على أحسن حال حتى وطؤا به حوز تلمسان فبدت له رابطة العباد فقال لاصحابه ما أصلحه للرقاد فعرض مرض موته فلما وصل وادى يسر اشتد به المرض ونزلوا به هنالك فكان آخر كلامه الله الحق وتوفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فحمل الى العباد مدفن الاولياء الاوتاد وسمع أهل تلمسان بجنازته فكانت من المشاهد العظيمه والمحافل الكريمه وفى ذلك اليوم تاب الشيخ أبو على عمر الحباك وعاقب الله تعالى السلطان فمات بعده بسنة أو أقل ونقل المعتنون بأخباره أن الدعاء عند قبره مستجاب وجربه جماعة وقد زرته مئين من المرات ودعوت الله تعالى عنده بما أرجو قبوله وقد أطال فى ترجمته التنادلى فى كتابه التشوف لرجال التصوف وقد أفردها ابن الخطيب القسمطينى بتاليف سماه أنس الفقير ومن كلامه من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم ومن اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذل ومن لم يجد من قلبه زاجرا فهو خراب وقوله بفساد العامة تظهر ولاة الجور وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدين الفسقون وقوله من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه ومن خدم الصالحين ارتفع ومن حرمه الله تعالى احترامهم ابتلاه الله بما لقت من خلقه وانكسار العاصى خير من صولة المطيع وقوله من علامة الاخلاص أن يغيب عنك الخلق فى مشاهدة الحق وسئل عن المحو والشيخ فقال المحو من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالاحترام والتعظيم والشيخ من هداك بأخلاقه وأيدك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الى غير ذلك من كلامه النير وهو بحر لا ساحل له وله نظم كثير مشهور بأيدى الناس ومما ينسب له قوله

بكت السحاب فاضحكت لبكائها * زهر الرياض وفاضت الانهار
وقد اقبلت شمس النهار بجلة * خضرا وفى أسرارها أسرار

وأتى الربيع بخيله وجنوده * فتمتعت فى حسنه الابصار
والورد نادى بالورود الى الجنى * فتسابق الاطيار والاشجار
والكاس ترقص والعقار تشعشعت * والجو يضحك والحبيب يزار
والعود للغيد الحسان مجاوب * والطار أحسن فى صوته المزمار
لاتحسبوا الزمر الحرام مرادنا * مزمارنا التسبيح والاذكار
وشرابنا من لطفه وغناؤنا * نعم الحبيب الواحد القهار
والعود عادات الجميل وكاسنا * كاس الكياسة والعقار وقار
فتألفوا وتطيبوا واستغنموا * قبل الممات فدهركم غدار
والله أرحم بالفقير اذا أتى * من والديه فانه غفار
ثم الصلاة على الشفيع المصطفى * مارغت بلغاتها الاطيار

وانما ذكرت ترجمة سيدى الشيخ أبى مدين للتبرك به ولكونه شيخ جدى فأنا فى بركته اقول جدى انه دعاله ولذريته بما ظهر قبوله ولاناذكرنا فى هذا التأليف كثيرا من أنباء أبناء الدنيا فاردنا كفارة ذلك بذكر الصالحين والله الموفق بمنه وكرمه آمين

(الباب السابع)

فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المستفيدين أنواع العلوم منه والمقتبسين أنوار الفهوم من سراجه الوهاج

اعلم أن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرون الا انه لم يرزق السعادة فى كثير منهم بل بارزوه بالعداوة واجتهدوا فى ايصال المكروه اليه (فمن أشهرهم) الوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك وارث مرتبته من بعده ومقتعد اريكة سعده وقد ألمع به فى الاحاطة وكان اذ ذاك من جملة أتباعه اذ قال ما محصله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحى يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن زمرك أصله من شرقى الاندلس وسكن سلفه روض البيازين من غرناطة وبه ولد ونشأ وهو من مفاخره (حاله) هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الاندلس وأفراد نجبائها مختصر مقبول هش خلوب عذب الفكاهة حلو المجالسة حسن التوقيع خفيف الروح عظيم الانطباع شره المذاكرة فطن بالمعاريض حاضر الجواب شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه كثير الرقة فكه غزل مع حياء وحشمة جواد بما فى يده مشارك لاخوانه نشأ عفا طاهرا كافا بالقراءة عظيم الدؤب ثاقب الذهن أصيل الحفظ ظاهر النبل بعيد مدى الادراك جيد الفهم فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خبره واضطلع بكثير من الاغراض وشارك فى كثير من الفنون وأصبح متلقف كرة البحث وصارخ الحلقة ومظنة الكمال ثم ترقى فى درجة المعرفة والاضطلاع وخاض لجة الحفظ وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ونصب نفسه للناس متكاما فوق الكرسى المنصوب وفوق المحفل المجموع مستظهرا بالفنون التى بعد فيها شأوه من العربية والبيان وما يقذف به فى لج النقل من الاخبار والتفسير متشوفا مع ذلك الى السلوك مصاحبا للصوفية آخذا نفسه بارتياض ومجاهدة ثم عانى الادب فكان أملك به

وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد فترقى الى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم ابراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف في بابه بالاجادة ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الامر بالاندلس واستقر بالمغرب أنس له وانقطع اليه وكثر في صحبته وركابه الى استرجاع حقه فلطف منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة فاثره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة مضطلعا بالخطة خطا وانشاء ولسنا ونقد الحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وأرضى للسلطان محله وامتد في ميدان النظم والنثر باعه فصدر عنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الاجادة وهو بحاله الموصوفة الى هذا العهد اعانه الله تعالى ومد له

(شيوخه) قرأ العربية على الاستاذ رحلة المغرب في فنها أبي عبد الله بن الفخار ثم على القاضي الشريف امام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني والفقه والعربية على الاستاذ المفتي أبي سعيد بن لب واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله ابن مرزوق فأخذ عنه كثيرا من الرواية ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقري عند ما قدم من الاندلس وذاكره وقرأ الاصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي ويروي عن جماعة منهم القاضي أبو البركات بن الحاج والمحدث أبو الحسين بن التلمساني والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي والمقري أبو عبد الله بن بيبش وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني واختص به اختصاصا لم يخل فيه من استفادة مران وحنكة في الصنعة (شعره) وشعره متزام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة عزير المادة فمن ذلك ما خاطبني به وهو من أول ما نظمه قصيدة مطلعها أما وانصداع النور من مطلع الفجر وهي طويلة ومن بدائعه التي عقم عن مثلها فياس قيس واشتهرت بالاحسان اشتهار الزهد بأويس ولم يحل بجاريه ومباريه الابويح وويس قوله في اعذار الامير ولد سلطانه المنوه بمكانه وهي من الكلام الذي عنيت الاجادة بتذهيبه وتهذيبه وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا * وأن يشغل اللوام بالعذل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي * ويقضي علي الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صعبوة * رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب اذا ما البرق أومض موهنا * قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلي اني يوم طارقة الهوى * شفيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم النفر يا أم مالك * تخلفت قلبي في حبالك عانيا
وذي أشر عذب الثنايا مخصر * يسقي به ماء النعيم الاقاحيا
أحوم عليه ما دجا الليل ساهرا * وأصبح دون الورد ظمآن صاديا
يعني ظلام الليل ما بين أضلعي * اذا البارق النجدي وهنا بدا ليا

قوله بيبش في نسخة بيش اه

أجبرتنا بالرمل والرمل منزل * مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
ولم أر ربعا منه أقضى لبانة * وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
سقت طله الغر الغوادى ونظمت * من القطر فى جيد الغصون لآليا
أبثكم انى على النأى حافظ * ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم والحر أوفى بعهده * ولن يعدم الاحسان والخير جازيا
هل الوذ الا بحاماه كاشح * واخفق فى مسعاه من جاء واشيا
تاقبنى والليل يذكى عيونه * ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا
وقد مثلت زهر النجوم بأفقه * حبابا على نهر المجرة طافيا
خيال على بعد المزار ألم بى * فاذكرنى من لم أكن عنه ساليا
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى * ولم يبق منى السقم والشوق باقيا
رفعت له نار الصبابة فاهتدى * وخاض لها عرض الدجنة ساريا
ومما أجد الوجد سرب على النقا * سوانح يصقلن الطلا والتراقيا
نزعن عن الالحاظ كل مسدد * فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
ولما تراءى السرب قلت لصاحبى * وأيقنت أن الحب ما عشت دائيا
حذارك من سقم الجفون فانه * سيعدى بما يعيى الطبيب المداويا
وان أمير المسلمين محمدا * ليعدى نداه الساريات الهواميا
تضىء النجوم الزاهرات خلاله * وينفث فى روع الزمان المعاليا
معال اذا ما النجم صوب طالبا * مبالغها فى العز حلق وانيا
يسابق علوى الرياح الى الندى * ويفضح جدوى راحتيه الغواديا
ويغضى عن العوراء اغضاء قادر * ويرجح فى الحلم الجبال الرواسيا
همام يروع الاسد فى حومة الوغى * كما راعت الاسد الظباء الحواريا
مناقب تسمو للفخار كأنما * تجارى الى المجد النجوم الجواريا
اذا استبق الاملاك يوما لغاية * أبيت وذاك المجد الا التناهيا
بهرت فأخفيت الملوك وذكرها * ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا
جلوت ظلام الظلم من كل معتد * ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
هديت سبيل الله من ضل رشده * فلازلت مهديا اليه وهاديا
أفدت وحى الملك مما أفدته * وطوقت أشراف الملوك الاياديا
وقد عرفت منها مرين سوابقا * تقرلها بالفضل أخرى اللياليا
وكان أبو زيان جيدا معطلا * فزينته حتى اغتدى بك حاليا
لك الخير لم تقصد بما قد أفدته * جزاء ولكن همة هى ماهيا
فما تكبر الاملاك غيرك آمرا * ولا ترهب الاشراف غيرك ناهيا
ولا تشتكى الايام من داء فتنة * فقد عرفت منك الطبيب المداويا
وأندلسا أوليت ما أنت أهله * وأوردتها وردا من الامن صافيا

تلافيت هذا الثغر وهو على شفى * وأصبحت من داء الحوادث شافيا
ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها * وحاموا على ورد الامانى صواديا
فيا أمـــلون العيش الا تعللا * ولا يعرفون الامن الا أمانيا
عطفت على الايام عطفة راحم * وألبستها ثوب امتنانك ضافيا
فآنس من تلقائك الملك رشده * ونال بك الاسلام ما كان راجيا
وقفت على الاسلام نفسا كريمة * تصد عدوا عن حماه وعاديا
فرأى كما انشق الصباح وعزمة * كما صقل القين الحسام اليمانيا
وكانت رماح الخط خصاذوابلا * فانهلت منها فى الدماء صواديا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا * فأصدرته فى الروع أحمر قانيا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه * ويلفى اذا تنبو الصوارم ماضيا
اذا أنت لم تفخر بما أنت أهله * فما الصبح وضاح المشارق عاليا
ويهنيك دون العيد عيد شرعته * نبت به فى الخافقين التهانيا
أقمت به من فطرة الدين سنة * وجددت من رسم الهداية عافيا
صنيع تولى الله تشييد فخره * وكان لما أوليت فيه مجازيا
تود النجوم الزهر لو مثلت به * وقضت من الزلفى اليك الامانيا
ومازال وجه اليوم بالشمس مشرقا * سرورا به والليل بالشهب حاليا
على مثله فليعقد الفخر تاجه * ويسمو به فوق النجوم مراقيا
به تغمر الانواء كل مفوه * ويحدو به من كان بالقفر ساريا
ويوسف فيه بالجمال مقنع * كأن له من كل قلب مناجيا
واقبل ما شاب الحياء مهابة * يقلب وجه البدر أزهر باهيا
وأقدم لا هيابة الحفل واجما * ولا قاصرا فيه الخطا متوانيا
شمائل فيه من أبيه وجده * ترى العز فيها مستكنا وباديا
فيا علقا أشجى القلوب لوانا * فديناك بالاعلاق ما كنت غاليا
جريت فأجريت الدموع تعطفا * وأطلعت فيها للسرور فواشيا
وكم من ولى دون بابك مخلص * يفديه بالنفس النفيسة واقيا
وصيد من الحيين أبناء قبلة * تكف الاعادى أو تبيد الاعاديا
بها ليل غزان أعدوا الغارة * أعادوا صباح الحى أظلم داجيا
فوالله لولا أن توخيت سنة * رضيت بها أن كان ربك راضيا
لكان بها للاعوجيات جولة * تشيب من الغلب الشباب النواصيا
وتترك أوصال الوشيج مقصدا * وبيض الظبا حمرا المتون دواميا
ولما قضى من سنة الله ما قضى * وقد حسدت منه النجوم المساعيا
أفضنا نهنى منك أكرم منعم * أبى لعميم الجود الا تواليا
فهنى صفاح الهند والبأس والندى * وسمر العوالى والعتاق المذاكيا

ويهنى البنود الخافقات فانها * سيعقدها فى ذمة النصر غازيا
كأنى به قد توج الملك يافعا * وجمع أشتات المكارم ناشيا
وقضى حقوق الفخر فى منعة الصبا * وأحسن من دين الكمال التقاضيا
وما هو الا السعد ان رمت مطلعا * وسددت سهما كان ربك راميا
فلازلت يا فخر الخلافة كافلا * ولازلت ياخير الائمة كافيا
ودمت قرير العين منه بغبطة * وكان له رب البرية واقيا
نظمت له حر الكلام تمائما * جعلت مكان الدر فيها القوافيا
لآل بها تبأى الملوك نفاسة * وجلت لعمرى أن تكون لآليا
أرى المال يرميه الجديدان بالبلى * وما ان أرى الا المحامد باقيا

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الاحابيش بهدية من ملك السودان ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض فقال وهى من بدائعه

لولا تألق بارق التذكار * ماصاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرض خافقا * قدحت يد الاشواق زند أوارى
وعلى المشوق اذا تذكر معهدا * أن يغرى الاجفان باستعبار
أمذكرى غرناطة حلت بها * أيدى السحاب أزرة النوار
كيف التخلص للحديث وبيننا * عرض الفلاة وطامح زخار
هذا على أن التغرب مركبى * وتوجل الفيح الفساح شعارى
فلكم أتت غداة زمت عيسهم * أبنى القرار ولات حين قرار
وطفقت أستقرى المنازل بعدهم * بمحو البكاء مواقع الآثار
انا بنى الآمال تخدعنا المنى * فنخادع الآمال بالتسيار
تتجشم الاهوال فى طلب العلا * ونروع سرب النوم بالافكار
لايحرز المجد الخطير سوى امرئ * يعطى العزائم صهوة الاخطار
انما يفاخر بالعتاد ففخره * بالمشرفية والقنا الخطار
مستبصر مرمى العواقب واصل * فى حمله الايراد بالاصدار
فأشد ما قاد الجهول الى الردى * عمه البصائر لا عمى الابصار
ولرب مربد الجوانح مزبد * سبح الهلال بلجه الزخار
فتقت كمائم جنحه عن أنجم * سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطى المجرة نرجسا * تصطف منه على خليج جار
وكأنما بدر التمام بجنحه * وجه الامام بجحفل جرار
وكأنما خمس الثريا راحة * ذرعت مسير الليل بالاشبار
أسرجت من عزمى مصابيحا بها * تهدى السراة لها من الاقطار
وارتاع من بازى الصباح غرابه * لما أطل قطار كل مطار

ومنها

وغريبة قطعت اليك على الونى * بيداء تبيد بها هموم السارى
تنسيه طيبته التى قد أتمها * والركب فيها ميت الاخبار
يقتادها من كل مشتمل الدجى * وكأنما عيناه جذوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير ابلهم * منه نسيم شمائل المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت * منها خلوص البدر بعد سرار
سلمت بسعدك من غوائل مثلها * وكفى بسعدك حاميا للذمار
وأنتك يا ملك الزمان غريبة * قيد النواظر نزهة الابصار
موشية الاعطاف رائقة الحلى * رقمت بدائعها يد الاقدار
راق العيون أديمها فكأنه * روض تفتح عن شقيق بهار
ما بين مبيض وأصفر فاقع * سال اللجين به خلال نضار
يحكى حدائق نرجس فى شاهق * تنساب فيه أراقم الانهار
تحدو قوائم كالجذوع وفوقها * جبل أشم بنوره متوار
وسمت بجيد مثل جذع مائل * سهل التعطف لين خوار
تستشرف الجدرات منه ترائبا * فكأنما هو قائم بمنار
تاهت بكلكلها واتلع جيدها * ومشى بها الاعجاب مشى وقار
خرجوا لها الجم الغفير وكلهم * متعجب من لطف صنع البارى
كل يقول لصحبه قوموا انظروا * كيف الجبال تقاد بالاسيار
ألفت بيابك رحلها واطالما * ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الارض أنك فخرها * فتسابقت لرضالك فى مضمار
يتبوؤن به وان بعد المدى * من جاهك الاعلى أعز جوار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بأعياد الفتوح مخولا * ماشئت من نصر ومن أنصار
واليكها من روض فكرى نفحة * شف الثناء بها على الازهار
فى فصل منطقها وراق رسمها * مستمتع الاسماع والابصار
وتميل من أصغى لها فكأنما * عاطيته منها كؤس عقار

وانشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من البنية الشهيرة بيابه رحمه الله تعالى

تأمل اطلال الهوى فتأملا * وسيما الجوى والسقم منها تعلما
أخو زفرة هاجت له منه ذكرة * فأنجد فى شعب الغرام وأتهما

وسرد لسان الدين هذه القصيدة بطولها وهى تقارب التسعين بيتا ثم قال ما نصه وأنشد السلطان فى وجهة للصيد أعملها وأطلق أعنة الجياد فى ميادين ذلك الطراد وأرسلها قوله

حيالك يادار الهوى من دار * نوء السماك بديمة مدرار
وأعاد وجه ربالك طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
أمذكرى دار الصبابة والهوى * حيث الشباب يرف غصن نضار
عاطيتنى عنها الحديث كأنما * عاطيتنى عنها كؤس عقار
ايه وان أذكيت نار صبابتى * وقدحت زند الشوق بالتذكار
يازاحر الاظعان وهى مشوقة * أشبهتها فى زفرة واوار
حنت الى نجد وليست دارها * وصبت الى هندية والقار
شاقت به برق الحمى واعتادها * طيف الكرى بزارها المزوار
هل تبلغ الحاجات ان جلتها * ان الوفاء سجية الاحرار
عرّض بذكرى فى الخيام وقل اذا * جئت العقيق مبلغ الاوطار
عار بقومك يابنة الحيين أن * تلوى الديون وأنت ذات يسار
أمنعت ميسور الكلام أخا الهوى * وبخلت حتى بالخيال السارى
وأبان جارى الدمع عذر هيامه * لكن أضعت له حقوق الجار
هذا وقومك ماعلمت خلالهم * أوفى الكرام بذمة وجوار
الله فى نفس شعاع كلما * هب النسيم تطير كل مطار
بالله ياالماء مامنع الصبا * أن لاتهب بعرفك المعطار
يابنت من تشدو الحداة بذكره * متعللين به على الاكوار
ماضرّ نسمة حاجر لو أنها * أهدت لنا خبرا من الاخبار
هل بانه من بعدنا متأود * متجاوب مترنم الاطيار
وهل الظباء الآنسات كعهدنا * يصرعن أسد الغاب وهى ضوارى
يفتكن من قاماتها ولحاظها * بالمشرفية والقنا الخطار
أشعرت قلبى حين صبابة * فرميننى من لوعتى بجمار
وعلى الكثيب سوانح حر الحلى * بيض الوجوه يصدن بالافكار
أدنى الحجيج جمارهن ثلاثة * بمنى لوان منى بدار قرار
لكن يوم النفر جدن لنا بما * عوّدننا من جفوة ونفار
يابن الالى قد أحرزوا خصل العلا * وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم * وتنوب أوجههم عن الاقمار
من آل سعد رافعى علم الهدى * والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرّف الاعصار والامصار
وجه كما حسر الصباح نقابه * ويد تمد أناملا بحار
جرّدت دون الدين عزمة أروع * جددت منها سنة الانصار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حاميا لذمار
لله رحلتك التى نلنا بها * أجر الجهاد ونزهة الابصار

أوردتنا فيها لجودك موردا * مستعذب الايراد والاصدار
وأفضت فينا من ندالك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جئته * وخصصته بخصائص الايثار
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها * سنن القرى بثلاثة الاثوار
وسرت عقاب الجو تهديك الذى * تصطاد من وحش ومن أطيار
والارض تعلم أنك الغوث الذى * تضفى عليها واقى الاستار
ولرب ممتد الاباطح موحش * عالى الربا متباعد الاقطار
هل المسارح لاراع قنيصه * الا لنبأة فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه وربما * ألقت بساحته عصا التسيار
باكرته والافق قد خلع الدجى * مسحا يلابس حلة الاسفار
وجرى به نهر النهار كمثل ما * سكب النديم سلافة من قار
عرضت به المستنفرات كانها * خيل عراب جلن فى مضمار
اتبعتها غرر الجياد كواكبا * تنقض رجما فى سماء غبار
والهاديات يؤمها عبل الشوى * متدفق كتدفق التيار
أزجيتها شقراء رائقة الحلى * فرميته منها بشعلة نار
أثبت فيه الرمح ثم تركته * خضب الجوانح بالدم المتوار
حامت عليه الذابلات كأنها * طير أوت منه الى أوكار
طفقت أرائبه غداة أثرتها * تبغى الفرار ولات حين فرار
هل ينفع الباع الطويل وقد غدت * يوم الطراد قصيرة الاعمار
من كل منحفز بلمحة بارق * فاتت خطاه مدارك الابصار
وجوارح سبقت اليه طلابها * فكأنما طالبنه بالثار
سود وبيض فى الطراد تتابعت * كالليل طارده بياض نهار
ترمى بها وهى الحنايا ضمرا * مثل السهام نزعن عن أوتار
ظنت بأن يجو لها كلا ولو * أغريته بأرانب الاقفار
وبكل فتخاء الجناح اذا ارتمت * فكانها نجم السماء السارى
زجل الجناح مصفق كمن الردى * فى مخلب منه وفى منقار
أجلى الطريد من الوحوش وان رمى * طيرا أتاك به على مقدار
وأريتنا الكسب الذى اعداده * ملأت جمالا أعين النظار
بيض وصفر خلت مطرح سرحها * روضا تفتح عن شقيق بهار
من كل موشى الاديم مفوف * رقت بدائعه يد الاقدار
خلط البياض بصفرة فى لونه * فترى اللجين يشوب ذوب نضار
أو اشعل راق العيون كأنه * غلس تخالط سدفة بنهار
سرحت بمخضر الجوانب يانع * تنساب فيه أراقم الانهار

قد أرضعته السماريات لبانها * وحللن فيه أزرة النوّار
أخذت سعودك حذرها فلحكمة * أغرت جفون المزن باستعبار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد * لجبينك المتألق الانوار
تفشت عليك السحب نفثة معوذ * من عينها المتوقع الاضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العسكر الجرّار
واهنا بمقدمك السعيد محوّلا * ماشئت من عز ومن انصار
قد جئت دارك محسنا ومؤمّلا * متمتعا بالحسنى وعقبى الدار
واليكها من روض فكرى نفحة * شف الثناء بها على الازهار

ومن شعره فى غير المطوّلات قوله

لقد زادنى وجدا وأغرى بى الجوى * ذبال بأذيال الظلام قد التفا
تشير وراء الليل منه بنانة * مخضبة والليل قد جب الكفا
تلوح سنانا حين لا تنفح الصبا * وتبدى سوارا حين تثنى له العطفا
قطعت به ليلا يطارحنى الجوى * وآونة يبدو وآونة يخفى
اذا قلت لا يبدو أشال لسانه * وان قلت لا يخفى الضياء به كفا
الى ان أفاق الصبح من غمرة الدجى * وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتى * وقد شفها من لوعة الحب ما شفا

ومما ثبت له صدر رسالة

أزور بقلبى معهد الانس والهوى * وأنهب من أيدى النسيم رسائلا
ومهما سألت البرق يهفو من الحمى * يبادره دمعى مجيبا وسائلا
فيا ليت شعرى والامانى تعلل * أيرعى لى الحمى الكرام الوسائلا
وهل جيرتى الاولى كما قد عهدتهم * يوالون بالاحسان من جاء سائلا

ومن ابياته الغراميات

قيادى قد تملكه الغرام * ووجدى لا يطاق ولا يرام
ودمعى دونه صوب الغوادى * وشجوى فوق ما يشكو الحمام
اذا ما الوجد لم يبرح فؤادى * على الدنيا وساكنها السلام

وفى غرض يظهر من الابيات

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف * قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر
فأبصرت اشباه الرياض محاسنا * وفى خدّه جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الحذر انما * به وصب من أسهم الغنج والحور
وياوجنة قد جاورت سيف لحظه * ومن شأنها تدمى من اللمح بالبصر
تخيل للعينين جرحا وانما * بدا كاف منه على صفحة القمر

ومما يرجع الى باب الفخر ولعمرى انه صدق

ألائمة فى الجود والجود شيمة * جبلت على ايثارها يوم مولدى

ذريني فلو أني أخلد بالغنى * لكنت ضنينا بالذى ملكت يدى

وقال

لقد علم الله أني امرؤ * أجر ذيل العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه * وفازت قداحي بوصل الحبيب
وقيل رقيبك في غفلة * فقلت أخاف الاله الرقيب

وفي مدح كتاب الشفاء طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عند ما شرع في شرحه

ومسرى ركاب للصباقد ونت به * نجائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق أيدى حداتها * فتنهل خوفا من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرسا * فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقى أجداثا بها وضرائحا * عياض الى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكى عليه براعة * بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد في الدين قد سلفت له * يرضى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه * فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى * فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها * وأسرار غيب والبراع تذيعها
لقد حزت فضلا يا ابا الفضل شاملا * فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله ممن قد تصدى لشرحه * فلباه من غر المعانى مطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة * اذا كتم الادماج منه تشيعها
محاسن والاحسان يبدو خلالها * كما افتر عن زهر البطاح ربيعها
اذا ما أجلت العين فيها تخالها * نجوما بآفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذى صرى * وألفاظه در يروى نصيعها
رياض سقاها الفكر صوب ذكائه * فأخصب للوراد منها مريعها
تفجر عن عين اليقين زلالها * فلذ لارباب الخلوص شروعها
الا يا ابن جار الله يا ابن وليه * لانت اذا عد الكرام رفيعها
اذا ما أصول المرء طابت أرومة * فلا عجب ان أشبهتها فروعها
بقيت لاعلام الزمان تنيلها * هدى ولاحداث الخطوب تروعها

(مولده) رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين في الاحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرك قلت ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى على هامش هذه الترجمة من الاحاطة كلاما في حق ابن زمرك رأيت أن أذكره بجملته الآن وان تقدم بعضه في هذا الكتاب فمن ذلك انه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته أتبعه الله تعالى خزيا وعامله بما يستحقه فيها ذا ترجمه والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه ولم يقتله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه انتهى وكتب على قوله نشأ عفا ظاهرا الى آخره ما نصه هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب

ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أو جعه ضربا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأخلهم شكلا استعمله أبي في الكتابة السلطانية فجئنا أيام تحولنا عن الاندلس منه كل شر وهو كان السبب في قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذي رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى وكتب على قول والده فترقى الى الكتابة الى آخره ماصورته على يد سيدي أبي عبد الله بن مرزوق ولا حول ولا قوة الا بالله اه وكتب على قوله (معاذ الهوى أن أصحب القلب سالما) الى آخره مانصه هذه القصيدة نظم له مولاي الوالد نغمده الله تعالى برحمته منها النسيب كله وهكذا جرت عادته معه في الامداح السلطانية حضرة الملك والله المطلع على ذلك قاله ابن المصنف علي بن الخطيب انتهى وكتب على قوله (لولا تألق بارق التذكار) الى آخره ماصورته هذا الرجس الشيطان كثيرا ما ينظم في هذا الوزن ويتبع حمارة هذه الراء حتى لا يتركها اجلة اذ الرجل ابن حمار مكارى حداد فالنفس تميل بالطبع انتهى وكتب على قوله (حيالك يا دار الهوى من دار) الى آخره ماصورته انظر الى كثرة تحريكه لحمارة هذه الراء علقت له بها ما لخوليا انتهى وكتب على قوله (وجوارح سبقت اليه طلابها) الى آخره ماصورته سرق طردية ابراهيم بن خفاجة فانظرها تجده سرق المعاني والالفاظ مع أن والدي نظم له أكثرها على حسب عادته معه قاله علي بن الخطيب انتهى وكتب على قوله يا مصباح مانصه كان يحب صبيا اسمه مصباح وهو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة انتهى وكتب على قوله ألائمة في الجود الى آخره ماصورته كذبت يا نجس من أين الفخر لك ولبيتك لست والله من الجود في شئ نعم سخنته عين الجود انتهى وكتب على قوله (لقد علم الله أني امرؤ) الى آخره مامعناه لا والله فأنت مشهور بكذا يا قرد فمن أين العفاف وأنت بالاندلس كذا وكذا الى أن قال وانحسهم بيتا قاله مولاك الذي ربيت في نعمته ونعمة الله علي بن الخطيب بالقاهرة انتهى وقد نسبه الى مالا يليق فالله أعلم بحقيقة الامر وكتب غيره على قول ابن زمرك أزور بقلبي الابيات المتقدمة عند قوله سائلا في موضعين هما من السؤال فحصل على الايطاء المذموم انتهى قلت أما ماذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله أعلم كان في ابتداء أمره والا فقد جاء ابن زمرك في آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التي لا تنكر كما سنذكره وأما كونه سعى في قتل لسان الدين مع احسانه اليه فقد جوزي من جنس عمله وقتل بمرأى من أهله ومسمع وأزهقت معه روح ابنيه حسبما نذكره وهذا قصاص الدنيا وعفو الله تعالى في الآخرة منتظر للجميع ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الاحمر في مجلد ضخم رأيته بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته وعرف به في أوله اذ قال مانصه أما بعد فما يجب من حمد الله تعالى في كل حال وشكره على ما أولى ويسر من صلاح الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانبياء وسيد الارسال والرضا عمن له من صحب وأنصار وآل فان من المعلوم أن الادب له بالنفس علاقة تؤديه الى الاستحسان وتؤثر من اشتهر به من الملاحظة بلحظ الحظ مع تعاقب الاحيان ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدس الغني بالله تولاه الله

تعالى برضوانه كانت غررا فى وجوه الايام ومواسم تجمع الطم والرم من الرؤساء الاعلام الآخذين باعنة الكلام السابقين فى حلبة النثار والنظام وان الفقيه الرئيس المدرك الناظم الناثر أبا عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك عفا الله تعالى عنه وحسبك بمن ارتضاه مولانا الجد رحمه الله تعالى لكتابته وصرفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وجبايته وكان بذلك خليقا لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا وادراكا ونبلا وفقها وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا وبيانا وتفسيرا ونظما وترسيلا لما كان قد أخفت الايام سنا صبحه وخابت وسائل نصحه وعادت بعد وانها بعد فوز قدحه وعثر بين أقدام أقوام لا يعرفون أى ذخر فقدوا ولا أى مطلق عن تصريفاته الجميلة قيدوا مستبصرين بالجهل فى دياجى غيهم معجبين بما ارتكبوه من جياد بغيهم جميعهم يلحظه بمقل دامية وألفاظ حامية يصاحبونه بأوجه خلت عن الوجاهة سيماها الحسد وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد فخر على الالوة لم يوسد كان جبينه سيف صقيل فيالله من اشلاء هنالك ضائعة وأعلاق غير مصونة ووسائل مخفورة وأذمة قطعت أرحامها ولم يرع ذمامها وعاثت الايدى الفاتكة حينئذ على بنيه وارتكبوها شنعاء فى أهله وذويه

هل كان الاحيا تحيا العباد به * هل كان الا قذى فى عين ذى عور
ان قال قولا ترى الابصار خاشعة * لما يخبر من وحى ومن أثر
يا لهف قلبى لو قد كنت حاضره * غداة جزعه أدهى من الصبر
لما تركت له شلوا بمضيعة * ولا تولى صريع الناب والظفر
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وان سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره وضمنا هذا البيت رزأ من فظيع أمره فذلك عند ما نسب صاحب الامر اليه ما راب وتله وابنيه للجبين معفرين بالتراب وصدمه فى جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ويتشفع بعظيم بركاته فأخذته السيوف وتعاورته الحتوف وأذهبه سليبا قتيلا مصيرا مصراع منزله كثيبا مهيلا وكأنا على بعد من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شجنا طويلا وذكرتنا بعناية مولانا الجد الغنى بالله لجانبه أعظم ذكرا فأغرينا برثائه خلدا وفكرا وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الابيات اشارة مقنعه وكناية فى السلوان مطمعه وأرضينا بالشفقة اوداه وارغمنا بتأبينه أعداه ولما تبلج الصبح لذى عينين وتلقينا راية الفرج بالراحتين عطفتنا على أبنائه عواطف الشفقة وأطلقنا الهمم لما عاثت الايدى عليه صلة لرحم طالما اضاعها من جهل الاذمة وأخفر عهود تخدمه لمن سلف من الائمه وصرفنا للبحث والتفتيش وجوه آمالنا وجعلنا ضم ما نثرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعمالنا وكان تعلق بحفوظنا جملة وافرة من كلامه مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه فأضفنا ذلك الى ما وقع عليه اجتهادنا من رقاعه الحائلة المنتهبة بأيدى النوائب الدائرة المستلبة بتعدى النواصب فخلص من الجملة فلائد عقيان وعقود درر ومرجان ترتاح النفوس النفيسة لانشادها وتحضر الابصار والاسماع عند ايرادها الى ما يتخللها من تخليد ما نثر سلفنا

والاشارة بعظيم ملكنا فشرعنا فى تقييدا وابدها الشارده واحياء رسومها البائده كلفا بالادب لوضوح فضله وتأدية لما يجب من رعاية أهله ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ونظهر ما كنا نضمره من الميل اليه فى كل ماله أوعليه فنقول هو الفقيه الكاتب الفذ الاوحد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحى ويعرف بابن زمرك أصله من شرق الاندلس وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة وبها ولد فنشأ ضئيلا كالشهاب يتوقد مختصر الجرم والاعين باطالة فواضله تشهد ومكتب الفئة القرانية يوثره بالجناب الممهد فاشتغل أول نشأته بطلب العلم والدؤب على القراءة وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ولم يبلغ حد وجوب المفترضات الا وهو متحمل الرواية وملتمس لفوائد الدراية ومصابح كل يوم أعلام العلوم ومستمد بصابيح الحدود العلمية والرسوم فافتتح أبواب الكتب النحويه بالامام أبى عبد الله بن الفخار الآية الكبرى فى فن العربيه وتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ النحاة البلغاء بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التى أولها (أغرى سراة الحى بالاطراق) واهتدى فى طريق الخطابة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق الوافد على مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة واليه جنح واياه قصد عند تغربه الى المغرب فى دولة السلطان أبى سالم فتوجه بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها

توجتنى بعمامه * توجت تاج الكرامه
فروض حمدك يزهى * منى بسجع الحمامه

وأخذ علم الاصلين عن الحافظ الناقد أبى على منصور الزواوى وبرع فى الادب أثناء الانقطاع وأوّل الطلب لابى عبد الله بن الخطيب ولكن لم يحمد يومها المآل واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلمسانى قدوة الزمان وحصلت له الاجازة والتحديث بقاضى الجماعة وشيخ الجملة أبى البركات بن الحاج وبالخطيب البليغ أبى عبد الله اللوشى وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدرى رضى الله تعالى عنه وعن جميعهم وبواجب محافظتنا على عهودهم اذ نحن وردنا بالاجازة التامة عذب ورودهم وصل سببنا بهم الكثير من شيوخنا مثل الامام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى ومعلمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله الشريشى والقاضى الامام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق وغيرهم رحمة الله تعالى عليهم لذلك صار صدرا فى نوادى طلبة الاندلس وأفراد نجبائها فما شاءه المحاضر يجده فى خصله ويتلقاه من باهر فضله فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة ومحادثة أريضة مزهرة وجوابا شافيا للمعضل وذهنا سابقا لايضاح المشكل مع انقياد الطبع وارسال الدمعة فى سبيل الخشوع والرقة ورشح الجبين عند تلقى الموعظة وصون الوجه بجلباب الحياء ومقابلة الناظر اليه بالاحتشام والمبادرة للاستدعاء على طهارة وبذل وسع وكرم نفس لم يعهد أجمل مشاركة منه لاخوانه ولا أمتع منه بجاهه الى مبالغة فى

الهشة والمبرة والايشار عامخ وجنوح الى حب الصالحين وذلك بالانضواء الى شيخ الفرق
الصوفية الولى أبى جعفر بن الزيات وأخيه الفاضل الناسك شيخنا أبى مهدى قدس الله
تعالى مغناه وسواهما من أهل الاندلس والعدوة وحمله أشد الحمل على كل ملبس كابى زكريا
البرغواطى وسواه ومن تندير اته زعموا على أبى الحسن المحروق لميله عنه

ولد الفقر والرباط ولكن * نفسه للسلوك ذات افتقار

وخطب الادب يافعا وكهلا وحاز علمه ادراكا ونيلا ولما كانت الحادثة على مولانا الجد
رحمه الله تعالى واجتيازه الى المغرب كما تقرر فى غير هذا كلف به وأنس اليه لحلاوة منطق ورفع
استيحاش ومراوضة خلق ثم كر فى صحبة ركابه فعلت منزلته ولطف محله وقضى على رقعة
من رقاعه وهو يبدئ فيها ويعيد ويقول خدمته سبعا وثلاثين سنة ثلاثة بالمغرب وباقيها
بالاندلس أنشدته فيها ستا وستين قصيدة فى ستة وستين عيدا وكل ما فى منازله السعيدة
من القصر والرياض والدشار والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق فى القباب والطاقات
والطرز وغير ذلك فهو لى وكنت أواكله وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج وهما كبيرا ملوك
أهل الارض وهنأته بكذا وكذا قصيدة وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين وصلح
النصارى عقدته تسع مرات أخمسة فوض الى ذلك قلنا صدق فى جميع ماذكره والعقود
بذلك شاهدة له وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه
وبين ملوك عصره فحمد منابه ونمت أحواله ورغد جنابه وكان هنالك بعض تقولات
تشين وجهه اجتهاده وتوحى بما احتقبه من سوء مقاصده ومآصرفه من قبيح أغراضه
وهاجت الفتنة فكانت سفارته أعظم أسبابها وعند الاشد من عمره عرضت لافكاره
تقلبات وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات واشعرته حدة ذهنه أن يتخبط
فى أشر الوقعات فقعد بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسى فنونا جة وعلوما
لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلة فانحاز الى مادة أمم بمالقة طمامنهم البحر
وترامى لابصارهم وبصائرهم الفخر وكان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه وما كان قيده
وحصله أيام قراءته واقرائه فحاشت من بيان واعجاز قرآن وآيات توحيد واخلاص
ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص يوم الاخذ بالنواص ومرار اعدة سمع ما يلقيه ولى
الامر وياشدة البلوى التى أذاقه مرها وامطاه الى طية الهلال ظهرها وياقرب
ما كان الفوت والحسام الصلت من متباعد هذه القرب التى ألغيت قلنا لقد جمح جواد القلم
فأطلقنا ونحن نشير الى هذا الرئيس وتبدل طباعه بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعه
واحرازشيم أدت الى علو مقداره واستقامة مداره فآل عمر مولانا جدنا الى النفاد
ورمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد فظهر الخفى وسقط به الليل على سرحان
وقد طالما جرب الوفى والصفى وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الامر من حجاب
الدولة والاسترسال فى الرد عليهم بالطبع والجبلة مع الاستغراق فى غمار الفتن أندلسا
وغربا ومراعاة حفاظ نفسه استيلاء وغصبا اما الجراءة فانتضى سيوفها واما
أكفا السماء على الارض فقواصم نوع صفوفها وأما المجاهرة فوقف بميدان الاعتراض

صفوفها وأما المجاملة فذكر معروفها أداه هذا النبأ العظيم الى سكنى المعتقل بقصبة المرية وعلى الاثر كان الفرج قريبا وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة لاسباب يطول شرحها أظهرها شراسة فى لسانه واغترار بمكانه وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه فكاليدين والفم الى أن من الله تعالى بسراحه وأعاده الى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعمائة فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى وقيام أخينا محمد مقامه بالامر فاستمر الحال أياما قلائل وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ثم أعاد المذكور الى خطته وقد دمثت بعض أخلاقه وخمدت شراسته وحلا بعض مذاقه فما كان الا كلا وليت واذا به قدساء مشهدا وغيبا وأوسع الضمائر شكاريا وغلبت الاحن عليه وغلت مراجلها لديه فصار يتقلب على جمر الغضى ويتبرم بالقضا ويظهر النصح وفى طيه التشفى ويسم نفسه بالصلاح ويعلن بالخشوع ويشير بانه الناصح الامين ويتلو قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوبا لم يقترفوها ونسب اليهم نسبا من التضييع لم يعرفوها وانهم احتجنوا الاموال وأساؤا الاعمال والاقوال فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ولا حصل على تفاوت أعداده على حاصل هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغاليه وعدم اضطلاعه بالامور الجبائية فمن نفس يروع سربها ويكدر بالامتحان والامتهان شربها ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت وطولبت بغير ما اكتسبت وتعدت الايدى الى أقوام جلة سعدوا بشقائه وامتحنوا وهم المبرؤن من تزويره واعتدائه وسيسألون يوم لا يغنى مال ولا بنون وصار يصرف اغراضه ويظهر أحقاده بين افصاح بما كان الاعجام خبرا من القائه وان عمر المسكين المستضعف لا حاجة فى طول بقائه الى مجاهرة عهد منه أيام شبيبته نقيضها وانعكس فى شاخته تصريحها المنغص وتعريضها لا يريح نفسه من جهد ولا يقف من اللجلجة عند حد وقد كان ثقل سمعه فساءت اجابته وطغت أخلاقه فسئمت وساطته وربما استحلف فلم يكن بين اللازمة واللازمة الا الحنث عن قصد وغير قصد ودعا على نفسه وأبنائه بانجاز وعد وأن يقبض الله له ولهم قاتل عمد فسبحان القاهر فوق عباده الرحيم بهذا الشخص وبالاموات من شيعته وأولاده فاستمر على ذلك الى احدى الليالى فهلك فى جنح الليل فى جوف داره على يد مخدومه تلقاه زعموا عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع يديه فجدلته السيوف وتناولته الحتوف فقضى عليه وعلى من وجد من خدامه وابنيه كل ذلك بمرأى عين من أهله وبنائه ولم يتقوا الله فيه حق تقاته فكانت أنكى الفجائع وافظع الوقائع وساءت القالة وعظم المصاب وكل شئ الى أجل نافذ وكتاب انتهى كلام ابن الاحمر فى مقدمة كتابه وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك وقتله على الوجه الذى يعلم منه أن ثار لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك بل قتلته أفظع من قتله لسان الدين لان هذا قتل بين عياله واهله وقتل معه ابناه

ومن وجد من خدمه ولسان الدين رحمه الله تعالى خلق بمفرده وعند الله تجتمع الخصوم وهو العفو الغفور وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وسبعين وسبعمائة ولم أقف من أمره على غير ما تقدم ولا بأس أن نلم بشيء من نظمه البارع مما كنت انتقيته بالمغرب من تأليف ابن الاحمر المذكور وأوردت كثيرا منه فى ازهار الرياض فمن ذلك قوله فى ذكر غرناطة العليه وتهنئة سلطانه الغنى بالله ببعض المواسم العيديه ووصف كرائم جياده وآثار ملكه وجهاده

يا من يحن الى نجد ونادیها * غرناطة قد نويت نجد بواديها
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها * عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقاسمت بوشاح النهر وابتسمت * أزهارها وهى حلى فى تراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة * ترقرق الطل دمعا فى مآقيها
وافترّ ثغر اقاح من أزاهرها * مقبلا خد ورد من نواحيها
كأنما الزهر فى حافاتها سحرا * دراهم والنسيم اللدن يجبيها
وانظر الى الدوح والانهار تكنفها * مثل الندامى سواقيها سواقيها
كم حولها من بدور تجتنى زهرا * فتحسب الزهر قد قبلن أيديها
حصباؤها اللؤلؤ قد شف جوهرها * والنهر قد سال ذوبا من لآليها
نهر المنجم والزهر المطيف به * زهر النجوم اذا ما ائتمت تشبيها
يزيد حسنا على نهر المجرة قد * أغناه درّ حباب عن درارية
يدعى المنجم رائيه وناظره * مسميات اباتها أسامیها
ان الحجاز مغانيه باندلس * ألفاظها طابقت معانيها
فتلك نجد سقاها كل منسجم * من الغمام يحييها فيحييها
وبارق وعذيب كل مبتسم * من الثغور يحليها مجليها
وان أردت ترى وادى العقيق فرد * دموع عشاقها حمرا جواريها
وللسبيكة تاج فوق مفرقها * تود درّ الدرارى لو تحليها
فان حراءها والله يحكيها * ياقوتة فرق ذاك التاج يعليها
ان البدور لتيجان مكللة * جواهر الشهب فى أبهى مجاليها
لكنها حسدت تاج السبيكة اذ * رأت أزاهره زهرا يجليها
بروجها لبروج الافق مخجلة * فشبهها فى جمال لا تضاهيها
تلك القصور التى راقت مظاهرها * تهوى النجوم قصورا عن معاليها
لله لله عينا من رأى سحرا * تلك المنارة قد رقت حواشيها
والصبح فى الشرق قد لاحت بشائره * والشهب تستن سبقا فى مجاريها
تهوى الى الغرب لما غالها سحر * وغمض الفجر من أجفان واشيها
وساجع العود فى كف النديم اذا * ما استوقف الطير يدنيها ويقريها
يبدى أفانين سحر فى ترنمه * يصبى العقول بها حسنا ويسبيها

يجسه ناعم الاطراف تحسبها * لآلئا وهي نور في تلالها
مقاتل بلحاظ قوس حاجبها * ترمي القلوب بها عمدا فتصميها
فباكر الروض والاغصان مائلة * يثني النفوس لها شوقا تثنيها
لم يرقص الدوح بالاكمام من طرب * حتى شدا من قيان الطير شاديها
وآسمعتها فنون السحر مبدعة * ورق الحمام وغناها مغنيها
غرناطة آنس الرحمن ساكنها * باحت بسر معانيها أغانيها
أعدى نسيمهم لطفا نفوسهم * فرقة الطبع طبع منه يعديها
نخلد الله أيام السرور بها * صفرا عشياتها بيضا ليالها
وروض المحل منها كل منبجس * اذا اشتكت بغليل الجدب يرويها
يحكي الخليفة كفا كلما وكفت * بالجود فوق موات الارض يحييها
تغني العفاة وقد أمت مكارمه * عن السؤال وبالاحسان تغنيها
لها بنان فلا غيث يساجلها * جودا ولا سحبه يوما تدانيها
فان تصب سحبه بالماء حين همت * بسجد ولجين صاب هاميها
يا أيها الغيث أنت الغوث في زمن * ملوكه تلفت لولا تلافيها
ان الرعايا جزاك الله صالحة * ملكت شرقا وغربا من يراعيها
ان الخلائق في الاقطار أجمعها * سوائم أنت في التحقيق راعيها
فكل مصلحة للخلق تحكمها * وكل صالحة في الدين تنويها
اذا تيممت أرضا وهي مجدبة * فرحمة الله بالسقيا تحييها
يا رحمة بثت الرحمن بأندلس * لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
في فضل جودك قد عاشت مشيختها * في ظل أمنك قد نامت ذراريها
في طول عمرك يرجو الله آملها * بنصر ملكك يدعو الله داعيها
عوائد الله قد عودت أفضلها * لتبلغ الخلق ما شاءت أمانيها
سل السعود وخل البيض مغمدة * واضرب بها فرية التثليث تفريها
لله أيامك الغر التي اطردت * فيها السعود بما ترضى ويرضيها
لله دولتك الغراء ان لها * لكافلا من الله العرش يكفيها
هيهات أن تبلغ الاعداء مأربة * في جريها وجنود الله تحميها
هذي سيوفك في الاجفان نائمة * والمشركون سيوف الله تغنيها
سريرة لك في الاخلاص قد عرفت * حسنى عواقبها حتى أعاديها
لم يحجب الصبح شهب الافق عن بصر * الا وهديك للابصار يبديها
يا ابن الملوك وابناء الملوك اذا * تدعو الملوك الى طوع تلبيها
أبناء نصر ملوك عز نصرهم * وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها
هم المصابيح نور الله موقدها * تضيء للدين والدنيا مشاكيها
هم النجوم وافق الهدى مطلعها * فوزا لمهديها عزا لهاديها

هم البدور كمال ما يفارقها * هم الشموس ظلام لا يواريها
قضت قواضبها أن لا انقضاء لها * وأمضت الحكم فى الاعداء مواضيها
وخلدت فى صفاح الهند سيرتها * واسندت عن عواليها معاليها
وأورثتك جهادا أنت ناصره * والاجر منك يرضيها ويحظيها
كم موقف ترهب الاعداء موقعه * والخيل تردى ووقع السيف يرديها
ثارت بحاجته واليوم محتجب * والنقع يؤثر غيما من دياجيها
وللاسنة شهب كلما غربت * فى الدارعين تجلت من عواليها
وللسيوف بروق كلما لمعت * تزجى الدماء وريح النصر يزجيها
أطلعت وجها تريك الشمس غرته * تبارك الله ما شمس تسامتها
من أين للشمس نطق كله حكم * يفيدها كل حين منك مبديها
لك الجياد اذا تجرى سوابقها * فللرياح جياد ما تجاريها
اذا انبرت يوم سبق فى اعنتها * ترى البروق طلاحا لا تباريها
من أشهب قد بدا صبحا تراع له * شهب السماء فان الصبح يخفيها
الا التى فى لجام منه قيدها * فانه سامها عزا وتنويها
أو أشقر مرعب شقر البروق وقد * أبقى لها شفقا فى الجو تنبيها
أو احمر جمره فى الحرب متقد * يعلوها شرر من بأس مذكيها
لون العقيق وقد سال العقيق دما * بعطفه من كماة كاديديميها
أو أدهم ملء صدر الليل تنعله * أهلة فوق وجه الارض يبديها
ان حارت الشهب ليلا فى مقلده * فصبح غرته بالنور يهديها
أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحا * وعرفه بتمادى الليل ينبيها
ممتوه بنضارتاه من عجب * فليس يعدم تنويها ولاتيها
ورب نهر حسام رق رائقه * متى ترده نفوس الكفر يرديها
تجرى الرؤس حبابا فوق صفحته * وما جرى غير أن البأس يجريها
وذابل من دم الكفار مشربه * يجنى الفتوح وكف النصر تجنيها
ركم هلال لقوس كلما نبضت * ترى النجوم رجوما فى مراميها
أئمة الكفر ما يممت ساحتها * الا وقد زلزلت قسرا صياصيها
يا دولة النصر هل من مبلغ دولا * مضين انك تحييها وتنسيها
أو مبلغ سالف الانصار مالكة * والله بالخلد فى الفردوس يجزيها
ان الخلافة أعلى الله مظهرها * أبقت لنا شرفا والله يبقيها
يا ابن الذين لهم فى كل مكرمة * مفاخر ولسان الدهر يعليها
أنصار خير الورى مختار هجرته * جيران روضته أكرم بأهليها
سمتهم الملة السمحاء تكرمة * أنصارها وبهم عزت أواليها
ففى حنين وفى بدر وفى أحد * تلفى مفاخرهم مشهورة فيها

ولتسأل السير المرفوع مسندها * فعن مواقفهم تروى مغازيها
مآثر خلد الرحمن أثرتها * ينصها من كتاب الله قاريها
ماذا يجيد بليغ أو ينمقه * من الكلام ووحى الله تاليها
له الجهاد به تسرى الرياح الى * ممالك الارض من شتى أقاصيها
تحدى الركاب الى البيت العتيق به * فمكة عمرت منه نواديها
بشائر تسمع الدنيا وساكنها * اذا دعا باسمك الاعلى مناديها
كفى خلافتك الغرّاء منقبة * أن الاله يوالى من يواليها
وقد أفاد بنيه الدهر تجربة * أن السعود تعادى من يعاديها
اذا رميت سهام العزم صائبة * فما رميت بل التوفيق راميها
شكرا لمن عظمت منا مواهبه * وان تعدّ فليس العدّ يحصيها
عما قريب ترى الاعياد مقبلة * من الفتوح ووفد النصر حاديها
وتبلغ الغاية القصوى بشائرها * فقد أظلت بما ترضى مباديها
فاهنأ بما شئت من صنع تسرّ به * وانو الامانى فالاقدار تدنيها
مولاى خذها كما شاءت بلاغتها * ولو تباع لكان الحسن يشريها
أرسلتها حيثما الارواح مرسلة * نوادرا تنشر البشرى أماليها
جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة * بحسنها ولسان الصدق يطريها
البشر فى وجهها واليمن فى يدها * والسحر فى لفظها والدرّ فى فيها
لو رصع البدر منها تاج مفرقه * لم يرض درّ الدرارى أن تحليها
فان تكن بنت فكرى وهو أوجدها * نعماك فى حجره كانت تربيها
فى روض جودك قد طوّقتنى مننا * طوق الحمام فما سجعى موفيها
ولو اعرت لسان الدهر يشكرها * لكان يقصر عن شكر يوفيها
بقيت للدين والدنيا امام هدى * مبلغ النفس ما ترجو أمانيها
والسعد يجرى لغايات تؤمّلها * ما دامت الشهب تجرى فى مجاريها

وقال رحمه الله تعالى شاكر النعم وصلته من المذكور فى عاشوراء

مولاى يا ابن السابقين الى العلا * والرافعين لواءها المنشورا
ان لوحظوا فى المعلوات فانهم * طلعوا بآفاق العلاء بدورا
او فوخروا فى المكرمات فانهم * نظموا باسلاك الفخار شذورا
أبناء أنصار النبىّ وصحبه * فى الذكر أصبح فخرهم مذكورا
والمؤثرين وربنا أثنى بها * فى الحشر خلد وصفهم مسطورا
فاضت علينا من نداك غمائم * وتفجرت من راحتيك بحورا
من كف شفاف الضياء تخاله * اصفاء جوهره تجسد نورا
نعم منوّعة تعدّد وفرها * أعجزت عنها شكرى الموفورا
فى موسم للدين قد جدّدته * وأقمت فينا عيده المشهورا

اضعاف ما أهديتنا من منة * تهدى البك ثوابها عاشورا
وعلى الطريق بشائر محمودة * ألقاك جذلانا بها مسرورا

وقال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح وقد وقع له السلطان الغنى بالله المذكور بذلك فارتجل قطعا منها

أتونى بنوار يروق نضارة * كخدّ الذى أهوى وطيب تنفسه
وجاؤا به من شاهق متمنع * تمنع ذاك الظبى فى ظل مكنسه
رعى الله منى عاشقا متقنعا * بزهر حكى فى الحسن خدّ مؤنسه
وان هبّ خفاق النسيم بنفحة * حكت عرفه طيبا قضى بتأنسه

ومنها

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل * حكى عرف من أهوى واشراق خدّه
ومنبته فى شاهق متمنع * كما امتنع المحبوب فى تيه صدّه
أميل اذا الاغصان مالت بروضة * أعانق منها القضب شوقا لقدّه
وأهفو لخفاق النسيم اذا سرى * وأهوى أريج الطيب من عرف ندّه

ومنها

اقر بعينى أن أرى الزهر يانعا * وقد نازع المحبوب فى الحسن وصفه
وما أبصرت عينى كزهر قرنفلى * حكى خدّ من يسبى الفؤاد وعرفه
تمنع فى أعلى الهضاب لجنتى * تمنعه منى اذا رمت الفه
وفى جبل الفتح اجتنوه تفاؤلا * بفتح لباب الوصل يمنح عطفه
وما ضرّ ذاك الغصن وهو مرنح * اذا مائنى نحو المتيم عطفه

قال ابن الاحمر فى الكتاب المذكور فيما مرّ ومن قصائده التى يودّ الصبح سناها والنسيم اللدن رقة معناها يهنى مولانا الجدّ رضى الله تعالى عنه عند وصول خالصة مقامه وكبير خدّامه القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهديه وتجديد المقاصد الودّيه ووافق استئناف راحة من الذات العليه ومن بعض فروع دوحتها الزكيه

أدرها ثلاثا من لحاظك واحبس * فقد عال منها السكر أبناء مجلس
اذا ما نهانى الشيب عن أكؤس الطلا * تدير على الخمر منها بأكؤس
عذيرى من لحظ ضعيف وقد غدا * يحكم منا فى جسوم وأنفس
وروض شباب ماس غصن قوامه * وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس
وما زال ورد الخدّ وهو مضعف * يعيرا قاح الثغر طيب تنفس
وكم جال طرف الطرف فى روض حسنه * يقيده فيه العذار بسندس
أما وليالى الوصل فى روضة الصبا * ومأنف أحبابى وعهد تأنسى
لئن نسيت تلك العهود أحبتى * فقلبى عهد العامرية مانسى
وحاشى لنفسى بعد ما افترّ عودها * من الشيب عن صبح به متنفس
وألبسها ثوب الوقار خليفة * به لبس الاسلام أشرف ملبس

وجدد للفتح المبين مواسما * أقام بها الايمان أفراح معرس
واورثه العلياء كل خليفة * غماه الى الانصار كل مقدس
فيازاجر الاظعان وهى ضوامر * بغير الفلا والوحش لم تتانس
اذا جئت من دار الغنى بربه * مناخ العلا والعز فاعقل وعرس
فان شئت من بحر السماحة فاغترف * وان شئت من نور الهداية فاقبس
أمولاى ان السعد منك لآية * أنارت بها الاكوان جذوة مقبس
اذا شئت أن ترمى القصى من المنى * تدور لك الافلاك مرفوعة القسى
فترمى بسهم من سعود لك صائب * سديد لاغراض الامانى مقرطس
أهنيك بالابلال ممن شفاؤه * شفاؤك فاشكر من تلافى وقدس
ودعنى أردعنك فهى غمامة * تبخل صوب العارض المتنجس
أقبل منها راحة اثر راحة * أتتك بها الركبان من بيت مقدس
ومن نسب الفتح المبين ولادة * اليه بغير الفخر لم يتأسس
فيا أيها المولى الذى بكماله * خلائف هذا العصر فى الفخر تأتسى
لآمنت موسى من عوادى سميه * ولولاك لم يبرح بخيفة موجس
بعثت بميمون النقيبة فى اسمه * خلود لعز ثابت متأسس
فجاءك بالمال العريض هدية * بها الدين أثواب المسرة يكتسى
وشفعها بالصافنات كأنها * وقد راق مرآها جآذر مكنس
تنص من الاشراف جيد غزالة * وترنو من الايجاس عن لحظ أشوس
لك الخير موسى مثل موسى كلاهما * بغير شعار الود لم يتلبس
فلازلت فى ظل النعيم وكل من * يعاديك لاينفك يشقى بأبؤس
عليك سلام مثل حمدك عاطر * تنفس وجه الصبح عنه بمعطس

وقال فى مولد عام سبعة وستين وسبعمائة وألم فى أخرياتها يوصف المشور الاسنى الرفيع المبنى

زار الخيال بأيمن الزوراء * فجلا سناه غياهب الظلماء
وسرى مع النسمات يسحب ذيله * فأتت تنم بعنبر وكباء
هذا وماشئ ألذ من المنى * الا زيارته مع الاغفاء
بتنا خيالين التحفنا بالضنى * والسقم مانخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته * وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
ياسائلى عن سر من أحببته * السر عندى مبت الاحياء
تالله لاأشكو الصبابة والهوى * لسوى الاحبة أو أموت بدائى
يادين قلبى لست أبرح عانيا * أرضى بسقمى فى الهوى وعنائى
أبكى وماغير النجيع مدامع * أذكى ولاضرم سوى احشائى
أهفو اذا تهفو البروق وأنثنى * لسرى النواسم من رباتيماء

بالله يانفس الحمى رفقا بمن * أغريته يتنفس الصعداء
بجباله يندى على كبدى وقد * أذكى بقلبى جمرة البرحاء
ياساكنى البطحاء أى أبانة * لى عندكم ياساكنى البطحاء
أترى النوى يوما تخيب قداحها * ويفوز قدحى منكم بلقاء
فى حيكم قر فؤادى أفقه * تفديه نفسى من قريب نائى
لم تنسنى الايام يوم وداعه * والركب قد أوفى على الزوراء
أبكى ويبسم والمحاسن تجتلى * فعلقت بين تبسم وبكاء
يانظرة جادت بها أيدى النوى * حتى استهلت أدمعى بدماء
من لى بثانية تنادى بالاسى * قدك اتئد أسرفت فى الغلواء
ولرب ليل بالوصال قطعته * أجلو دجاه بأوجه الندماء
أنسيت فيه القلب عادة حلمه * وحثثت فيه أكؤس السراء
جاريت فى طلق التصابى جامحا * لاانثنى لمقادة النصحاء
أطوى شبابى للمشيب مراحلا * بروا حل الاصباح والامساء
ياليت شعرى هل أرى أطوى الى * قبر الرسول صحائف البيداء
فتطيب فى تلك الربوع مدائحى * ويطول فى ذاك المقام ثوائى
حيث النبوة نورها متألق * كالشمس تزهى فى سنا وسناء
حيث الرسالة فى ثنية قدسها * رفعت لهدى الخلق خير لواء
حيث الضريح ضريح أكرم مرسل * فخر الوجود وشافع الشفعاء
المصطفى والمرتضى والمجتبى * والمنتقى من عنصر العلياء
خير البرية مجتباها لذخرها * ظل الاله الوارف الافياء
تاج الرسالة ختمها وقوامها * وعمادها السامى على النظراء
لولاه للافلاك مالاحت بها * شهب تنير دياجى الظلماء
ذو المعجزات الغر والآى الالى * أكبرن عن عد وعن احصاء
وكفاك رد الشمس بعد مغيبها * وكفاك ماقد جاء فى الاسراء
والبدر شق له وكم من آية * كانامل جاءت بنبع الماء
وبليلة الميلاد كم من رحمة * نشر الاله بها ومن نعماء
قد بشر الرسل الكرام ببعثه * وتقدم الكهان بالانباء
أكرم بها بشرى على قدم سرت * فى الكون كالارواح فى الاعضاء
أمسى بها الاسلام يشرق نوره * والكفر أصبح فاحم الارجاء
هو آية الله التى أنوارها * تجلو ظلام الشك أى جلاء
والشمس لاتخفى مزية فضلها * الاعلى ذى المقلة العمياء
يامصطفى والكون لم تعلق به * من بعد أيدى الخلق والانشاء
يامظهر الحق الجلى ومطلع الـ * ـنور السنى الساطع الاضواء

يا ملجأ الخلق المشفع فيهم * يا رحمة الاموات والاحياء
يا آسي المرضى ومنتجع الرضا * ومواسي الايتام والضعفاء
اشكو اليك وأنت خير مؤمل * داء الذنوب وفي يديك دوائي
اني مددت يدي اليك تضرعا * حاشى وكلا أن يخيب رجائي
ان كنت لم أخلص اليك فانما * خلصت اليك محبتي وندائي
وبسعد مولاي الامام محمد * تعدو الامانى أن يتاح لقائي
ظل الاله على البلاد وأهلها * فخر الملوك السادة الخلفاء
غيث العباد وليث مشتجر القنا * يوم الطعان وفارج الغماء
كالدهر في سطواته وسماحه * تجري صباه بزعزع ورخاء
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالنهر وسط الروضة الغناء
كالزهر في ايراقه والبدر في * اشراقه والزهر في لألاء
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * فلق الصباح وواكف الانواء
أنصار دين الله حزب رسوله * والسابقون بحلبة العلياء
يا ابن الخلائف من بني نصر ومن * حاطوا ذمار الملة السمحاء
من كل من تقف الملوك ببابه * يستمطرون سحائب النعماء
قوم اذا قادوا الجيوش الى الوغى * فالرعب رائدهم الى الاعداء
والعز محلوب بكل كتيبة * والنصر معقود بكل لواء
يا وارثا عنها مناقبها التي * تسمو مراقيها على الجوزاء
يا فخر أندلس وعصمة أهلها * يجزيك عنها الله خير جزاء
كم خضت طوع صلاحها من مهمه * لا تهتدي فيه القطا للماء
تهدي بها حادي السرى بعزائم * تهدي نجوم الافق فضل ضياء
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العزة القعساء
واهنأ بمبناك السعيد فانه * كهف ليوم مشورة وعطاء
لله منه هالة قد أصبحت * حرم العفاة ومصرع الاعداء
تنتابها طير الرجاء فتجتني * ثمر المنى من دوحة الآلاء
لله منه قبة مرفوعة * دون السماء تفوت لحظ الرائي
راقت بدائع وشيها فكأنها * وشي الربيع بسقط الانداء
عظمت ميلاد النبي محمد * وشفعته بالليلة الغراء
أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا * قوت القلوب بذلك الاحياء
يا أيها الملك الهمام المجتبى * فاتت علاك مدارك العقلاء
من لي بأن أحصي مناقبك التي * ضاقت بهن مذاهب الفصحاء
واليك مني روضة مطلولة * أرجت أزاهرها بطيب ثناء
فافسح لها أكناف صفحك انها * بكر أتت تمشي على استحياء

قوله الخلفاء في نسخة الحنفاء اه

قال ابن الاحمر ومن اعذاريات ابن زمرك المحكمة نسقا ورصفا المتناهية فى كل فن حسن تحلية غريبة ووصفا حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعز ملكه من تعميم الخلق بالحفلى فى دعواهم واستدعاء أشراف الامم من أهل المغرب وسواهم تفننا فى مكارم متعددة ايامها عن أصالة المجد معربه واغراء لهم الملك بمالتميم الانس من أوضاع مغربه ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب للعدو الكافر وتكاثرا من عمالك دولته بالعدد الوافر مما ألجم اللسن الذكى عيا وغادر الاعذار الذونى منسيا كان الله سبحانه أبوته المولوية عنا وعن آبائنا وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان مانصل له من خالص دعائنا انه منعم جواد قوله فى الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه وذلك سنة أربع وستين وسبعمائة (معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا) القصيدة وقد تقدمت بتمامها فراجعها ثم قال ومن ذلك ما أنشد فى الصنيع الثانى المخصوص بعمينا السيدين الاميرين سعد ونصر رحمة الله تعالى عليهما وأجاد فى وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الاوضاع

أللمعة من بارق متبسم * أرسلته دمعا تضرج بالدم
وللمعة تهفو ببانات اللوى * يهفو فؤادك عن جوانح مغرم
هى عادة عذرية من يوم أن * خلق الهوى تعتاد كل متيم
قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن * أدرى الهوى واليوم أعذل لومى
كم زفرة بين الجوانح ما ارتقت * عذر الرقيب ومدمع لم يسجم
ان كان واشى الدمع قد كتم الهوى * فبهات واشى السقم لما يكتم
ولقد أجد هواى رسم دارس * قد كاد يخفى عن خفى توهم
وذكرت عهدا فى حماه قد انقضى * فأطلت فيه تردى وتلومى
ولربما أشجى فؤادى عنده * ورقاء تنفث شجوها بترنم
لا أجدب الله الطلول فطالما * أشجى الفصيح بها بكاء الاعجم
يازاجر الاظعان يحفزها السرى * قف بى عليها وقفة المتلوم
لترى دموع العاشقين برسمها * حمرا كحاشية الرداء المعلم
دمن عهدت بها الشبيبة والهوى * سقيا لها ولعهدها المتقدم
وكتيبة للشوق قد جهزتها * أغزو بها السلوان غزو مصمم
ورفعت فيها القلب بندا خافقا * وأريت للعشاق فضل تهمى
فأنا الذى شاب الحماسة بالهوى * لكن من أهواه ضايق مقدمى
فطعنت من قد القوام بأسمر * ورميت من غنج اللحاظ بأسهم
ياقاتل الله الجفون فانها * مهما رمت لم تخط شاكلة الرمى
ظلمات قتيل الحب ثم تبينت * للسقم فيها فترة المتظلم
ياظبية سنحت بأكناف الحمى * سقى الحمى صوب الغمام المسجم
ماضر اذ أرسلت نظرة فاتك * أن لو عطفت بنظرة المترحم

فرأيت جسما قد أصيب فؤاده * من مقلتيك وأنت لم تتألم
ولقد خشيت بأن يقال بجرحه * فوهبت لحظك ما أحل من دمى
كم خضت دونك من غمار مفازة * لا تهتدى فيها اللبوث لمجثم
والنجم يسرى من دجاه بأسهم * رصد المقادر بالثريا ملجم
والبدر فى صفح السماء كأنه * مرآة هند وسط لج ترقمن
والزهر زهر والسماء حديقة * فتفتقت كمائم جنحها عن أنجم
والليل مربد الجوانح قد بدا * فيه الصباح كغرة فى ادهم
فكأنما فلق الصباح وقد بدا * مرأى ابن نصر لاح للمتوسم
ملك أفاض على البسيطة عدله * فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم
هو منتهى آمال كل موفق * هو مورد الصادى وكنز المعدم
لاحت مناقبه كواكب أسعد * فرأت ملاح نوره عين العمى
ولقد تراءى بأسه وسماحه * فأتى الجلال من الجمال بتوأم
مثل الغمام وقد تضاحك برقه * فأفاد بين تجهم وتبسم
أنسى سماحة حاتم وكذا فى * يوم اللقاء ربيعة بن مكدم
سير تسير النيرات بهديها * وتعير عرف الروض طيب تنسم
فالبدر دونك فى علا وانارة * والبحر دونك فى ندى وتكرم
ولك القباب الحمر ترفع للندى * فترى العمائم تحتها كالانجم
يذكى الكباء بها كأن دخانه * قطع السحاب بجوها المتغيم
ولك العوالى السمر تشرع للعدا * فتخر صرعى للبدين وللفم
ولك الايادى البيض قد طوقتها * صيد الملوك ذوى التلاد الاقدم
شيم يقتر الحاسدون بفضلها * والصبح ليس ضياؤه بمكتم
ورث السماحة عن أبيه وجده * فالاكرم ابن الاكرم ابن الاكرم
نقلوا المعالى كابرا عن كابر * كالرمح مطرد الكعوب مقوم
وتسنموا رتب العلاء بحقها * ما بين جد فى الخلافة وابن
يا آل نصر أنتم سرج الهدى * فى كل خطب قد تجهم مظلم
الفاتحون لكل صعب مقفل * والفارجون لكل خطب مبهم
والباسمون اذا الكماة عوابس * والمقدمون على السواد الاعظم
أبناء أنصار النبى وحزبه * وذوى السوابق والجوار الاعصم
سل عنهم أحدا وبدرا تلقهم * أهل الغناء بها أهل المغنم
وبفتح مكة كم لهم فى يومه * بلواء خير الخلق من متقدم
أقسمت بالحرم الامين ومكة * والركن والبيت العتيق وزمزم
لولا ما ثرهم وفضل علاهم * ما كان يعزى الفضل للمتقدم
فماذا عسى أثنى وقد أثنت على * علیائهم آى الكتاب المحكم

ياوارثا عنها ماآثرها الـــتى * قدشيدت للفخر أشرف معلم
يانخبر أندلس لقد مدت الى * عليائك كف اللائذ المستعصم
أمّا سعودك فى الوغى فتكفلت * بسلامة الاسلام فاخلد واسلم
وافيت هذا الثغر وهو على شفى * فشفيت معضل دائه المستحكم
ورعيته بسياسة دارت على * محتطه دور السوار بمعصم
كم ليلة قدبت فيها ساهرا * تهدى الامان الى العيون النوّم
يامظهر الالطاف وهى خفية * ومهبّ ريح النصر للمتنسم
لله دولتك التى آثارها * سير الركاب لمجدأومتهم
مابعد يومك فى المواسم بعدما * آنعبت عيد الفطر أكرم موسم
وافتك أشراف البلاد ليومه * من كل ندب للعلا متسنم
صرفوا اليك ركابهم وتيمموا * من بابك المنتاب خير ميمم
وتبوّؤا منه بدار كرامة * فالكل بين مقرّب ومنعم
ودّت نجوم الافق لومثلت به * لتفوز فيه برتبة المستخدم
والروض محتال بحلية سندس * من كل موشى الرقوم منمنم
ورياحه نسمت بنشر لطيمة * واقاحه بسمت بثغر مسلم
وأريتنا فيه عجائب جمة * لم تجر فى خلد ولم تتوهم
أرسلت سرعان الجياد كانها * أسراب طير فى التنوفة حوّم
من كل منحفز بخطفة بارق * قدكاد يسبق لمحة المتوهم
طرف يشك العارف فى استبانه * فكأنه ظنّ بصدر مرجم
ومسافر فى الجوّ تحسب أنه * يرقى الى أوج السماء بسلم
رام استراق السمع وهو ممنع * فأصيب من قضب العصىّ بأسهم
رجمته من شهب النصال حواصب * لولا تعرّضه لها لم يرجم
ومدارة الافلاك أعجز كنهها * ابداع كل مهندس ومهندم
يمشى الرجال بجوفها وجميعهم * عن مستوى قدميه لم يتقدّم
ومنوّع الحركات قد ركب الهوا * يمشى على خط به متوهم
فاذا هوى من جوّه ثم استوى * أبصرت طيرا حول صورة آدمى
يمشى على فنن الرشاء كأنه * فيه مسا ور ذابل أوأرقم
واليك من صون العقول عقيلة * وقفت ببابك وقفة المسترحم
ترجو قبولك وهو أكبر منحة * فاسمح به خلدت من متكرّم
طاردت فيها وصف كل غريبة * فنظمت شارده الذى لم ينظم
ودعوت أرباب البيان أريهم * كم غادر الشعراء من متردّم
ماذاك الا بعض أنعمك التى * قد علمتنا كيف شكر المنعم

ثم قال وأنشد من ذلك فى الصنيع المخصوص بعمنا الامير أبى عبد الله رحمة الله تعالى عليه

قوله مسلم فى نسخة ماشم اه

وأطنب فى وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا رضى الله تعالى عنه

سل الافق بالزهر الكواكب حاليا * فانى قد أودعته شرح حاليا
وحملت معتل النسيم أمانة * قطعت بها عمر الزمان أمانيا
فيامن رأى الارواح وهى ضعيفة * أحلها مايستخف الرواسيا
وساوس كم جدّت وجدّ بى الهوى * فعذّبه القلب المقلب هازيا
ومن يطع الالحاظ فى شرعة الهوى * فلابدّ أن يعصى نصيحا ولاحيا
عدلت بقلبى عن ولاية حكمه * غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
وما الحبّ الانظرة تبعث الهوى * وتعقب مايعيى الطبيب المداويا
فياعجبا للعين تمشى طليقة * ويصبح من جرّائها القلب عانيا
الافى سبيل الله نفس نفيسة * يرخص منها الحبّ ماكان غاليا
ويارب عهد للشباب قضيته * وأحسنت من دين الوصال التقاضيا
خلوت بمن أهواه من غير رقبة * ولكن عفافى لم أكن عنه خاليا
ويوم بمستن الظباء شهدته * أجدّ وصالا باليا فيه باليا
ولم أصح من خمر اللحاظ وقد غدا * به الجوّ وضاح الاسرّة ضاحيا
وجرّد من غمد الغمامة صارما * من البرق مصقول الصفيحة صافيا
تبسم فاستبكى جفونى غمرة * ملأت بدرّ الدمع منها ردائيا
وأذكرنى ثغر اطمأت لورده * ولا والهوى العذرىّ ماكنت ناسيا
وراح خفوق القلب مثلى كانما * يبرق الحمى من لوعة الحبّ ماليا
وليلة بات البدر فيها مضاجعى * وباتت عيون الشهب نحوى روانيا
كرعت بها بين العذيب وبارق * بمورد ثغر بات بالدرّ حاليا
رشفت به شهد الرضاب سلافة * وقبلت فى ماء النعيم الاقاحيا
فيابرد ذاك الثغر روّيت غلتى * ويا حرّ أنفاسى أذبت فؤاديا
وروضة حسن للشباب نضيرة * بصرت بغصن البان فيها المجانيا
وبت أسقى وردة الخدّ أدمعى * فأصبح فيها نرجس اللحظ ذاويا
ومالت بقلبى مائلات قدودها * فيا للقدود المائلات ومالياً
جزى الله ذاك العهد عودا فطالما * أعاد على ربع الظباء الحوازيا
وقل لليالى فى الشباب نعمتها * وقضيتها أنساقيت لياليا
ويا واديا رفت على ظلاله * ونحن نديرا الوصل فدّيت واديا
رمتنى عيون السرب فيه وانما * رمين بقلبى فى الغرام المراميا
فلولا اعتصامى بالامير محمد * لما كنت من فتك اللواحظ ناجيا
فقل للذى يبنى على الحسن شعره * عليه مع الاحسان لازلت بانيا
فكم من شكاة فى الهوى قد رفأتها * ورفعتها بالمدح اذ جاء تاليا
وكم ليلة فى مدحه قد سهرتها * أباهى بدرّ النظم فيه الدراريا

ولاح عمود الصبح مثل انتسابه * رفعت عليه للمديح المبانيا
امام أفاد المكرمات زمانه * وساكنه فوق النجوم العواليا
وجاوز قدر البدر نورا ورفعة * ولم يرض الا بالكمال موالیا
هو الشمس بثت فى البسيطة نفعها * وأنوارها أهدت قريبا وقاصيا
هو البحر بالاحسان يزخر موجه * ولكنه عذب لمن جاء عافيا
هو الغيث يهمى يمسك الغيث سحبه * يروى بسحب الجود من كان صاديا
شمائل لو أن الرياض بحسنها * لما صار فيها زهرها الغض ذاويا
فيا ابن الملوك الصيد من آل خزرج * وذا نسب كالصبح عز مساميا
ألست الذى ترجو العفاة نواله * فتخجل جدواه السحاب الغواديا
ألست الذى تخشى البغاة صياله * فتوجل علياه الصعاب العواديا
وهديك مهما ضلت الشهب قصدها * تؤاتيه فى جنح الدجنة هاديا
وعزمك أمضى من حسامك فى الوغى * وان كان مصقول الغرارين ماضيا
فكم قادح فى الدين يكفر ربه * قدحت له زند الحفيظة واريا
وما راعه الاحسام وعزمة * يضيء آن فى ليل الخطوب الدواجيا
فلولاك ياشمس الخلافة لم يبن * سبيل جهاد كان من قبل خافيا
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة * تلوح بها بيض النصول دراريا
ولولاك لم تنهل غصون من القنا * وكانت الى ورد الدماء صواديا
فاثمر فيها النصل نصرا مؤزرا * وأجنى قطاف الفتح غضا ودانيا
ومهما تغد اسفاح سيفك عاريا * يغادر وجه الارض بالدم كاسيا
قضى الله من فوق السموات انه * على من أبى الاسلام فى الارض قاضيا
فكم معقل للكفر صبحت أهله * بجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
رقيت اليه والسيوف مشيحة * وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
ففتحت مرقاه المنع عنوة * وبات به التوحيد يعلو مناديا
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا * ومنبره بالذكر أصبح حاليا
عجائب لم تخطر ببال وانما * ظفرنا بها عن همة هى ماهيا
فمنك استفاد الدهر كل عجيبة * يباهى بها الاملاك أخرى لياليا
وعنك يروى الناس كل غريبة * تخط على صفح الزمان الاماليا
ولله مبناك الجميل فانه * يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم فيه للابصار من متنزه * تجد به نفس الحليم الامانيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به * ولم تك فى أفق السماء جواريا
ولو مثلت فى سابقيه لسابقت * الى خدمة ترضيك منها الجواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا * به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة جللته بحليها * من الوشى تنسى السابرى اليمانيا

قوله قضى الله الخ لايخفى مافيه من الجرى على نصب ان للجزءين اه مصححه

وكم من قسىّ فى ذراه ترفعت * على عمد بالنور باتت حوالبا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها * تظلّ عمود الصبح اذبات باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة * فطارت بها الامثال تجرى سواريا
به المرمر المجلوّ قد شب نوره * فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
اذا ما أضاءت بالشعاع تخالها * على عظم الاجرام منهال آليا
به البحر قد فاع العباب تخاله * اذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
اذا ما جلت أيدى الصبا متن صفحه * ارتنا دروعا اكسبتنا الاياديا
وراقصة فى البحر طوع عنانها * تراجع ألحان القيان الاغانيا
اذا ما علت فى الجوّ ثم تحدرت * تحلى بمرفض الجمان النواحيا
بذوب لجين سال بين جواهر * غدا مثلها فى الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد * فلم أدر أيا منهما كان جاريا
فان شئت تشبيها له عن حقيقة * تصيب بها المرمى وبوركت راميا
فقل ارقصت منها البحيرة متنها * كما يرقص المولود من كان لاهيا
أرتنا طباع الجود وهى وليدة * ولم ترض فى الاحسان الا تغاليا
سقت ثغر زهر الروض عذب برودها * وقامت لكى تهدى الى الدهر ساقيا
كأن قد رأت نهر المجرّة ناضبا * فقامت بان تجرى اليه السواقيا
وقامت بنات الدوح فيه موائلا * فرادى ويتلو بعضهنّ مثانيا
رواضع فى حجر الغرام ترعرعت * وشبت فشبت حبها فى فؤاديا
بها كل ملتف الغدائر مسبل * تجيل به أيدى النسيم مداريا
وأشرف جيد الغصن فيها معطلا * فقلدت النوّار منه التراقيا
اذا ما تحلت درّ زهر غروسه * بيت لها النمام بالطيب واشيا
مصارفة النقدين فيها بمثلها * أجاز بها النقدين منها كما هيا
فان ملأت كف النسيم بمثلها * دراهم نور ظلّ عنها مكافيا
فيملأ حجر الروض حول غصونها * دنانير شمس تترك الروض حاليا
تعوّد فى أفنانها الطير كلما * تجس به أيدى القيان الملاهيا
تراجعها سجعا فتحسب انها * بأصواتها تملى عليها الاغانيا
فلم ندر روضا منه أنعم نضرة * وأعطر أرجاء وأحلى مجانيا
ولم نر قصرا منه أعلى مظاهرا * وأرفع آفاقا وأفسح ناديا
معانى من نفس الكمال انتقيتها * وزينت منها بالجمال المغانيا
وفاتحت مبناه بعيد شرعته * تبث به فى الخافقين التهانيا
ولما دعوت الناس نحو صنيعه * أجابوا لهم من جانب الغور داعيا
وأمّوه من أقصى البلاد تقرّبا * ومازال منك السعد يدنى الاقاصيا
وأذكرت يوم العرض جودا ومنعة * بموقف عرض كنت فيه المجازيا

جزيت به كلا على حال سعيه * فما غرست يمناه أصبح جانيا
وأطلعت من جزل الوقود هوادجا * تذكر يوم النفر من كان ساهيا
وحين غدا يذكى منائر للقرى * فلا غروان أجريت فيه المذاكيا
وطامحة في الجو غير مطالة * يردّ مداها الطرف أحسر عاريا
تمدّ لها الجوزاء كف مسارع * ويدنو لها بدر السماء مناجيا
ولا عجب ان فاتت الشهب بالعلا * وان جاوزت منها المدى المتناهيا
فبين يدى مثواك قامت لخدمة * ومن خدم الاعلى استفاد المعاليا
وشاهد ذا أنى يبابك واقف * وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
وقد أرضعت ثدى الغمائم قبلها * بحجر رياض كن فيه نواشيا
فلما أبينت عن قرارة أصلها * أرادت الى مرقى الغمام تعاليا
وعدّت لقاء السحب عيدا وموسما * لذاك اغتدت بالزمر تلهى الغواديا
فأضحكت البرق الطروب خلالها * وبات لاكواس الدرارى معاطيا
رأت نفسها طالت فظنت بانها * تفوت على رغم اللحاق المراميا
فخفت اليها الزائلات كانها * طيور الى وكر أطلن تهاويا
حكت شبها للنحل والنحل حوله * عصى الى مثواه تهوى عواليا
فمن مثبت منها الرمية مدرك * ومن طائش في الجو حلق وانيا
وحصن منيع في ذراها قد ارتقى * فأبعد في الجو الفضاء المراقيا
كان بروق الجو غارت وقد أرت * بروج قصور شدن سواميا
فأنشأت برجا صاعدا متنزلا * يكون رسولا بينهن مداريا
تطور حالات أتى في ضروبها * بأنواع حلى تستفز الغوانيا
فجعل برجليها وشاح بخصرها * وتاج الى ما حل منها الاعاليا
وما هو الا طير سعد بذروة * غدا زاجرا من أشهب الصبح بازيا
أمولاى يا خير الملوك ومن به * سيبلغ دين الله ما كان راجيا
بنوك على حكم السعادة خمسة * وذا عدد للعين ما زال واقيا
تبيت لهم كف الثريا معيذة * ويصبح معتل النسيم رواقيا
أسام عليها للسعادة ميسم * ترى العز فيها مستكنا وباديا
جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم * وقد عرفت منك الفتوح التواليا
وحسبك سعد ثم نصر يليهم * محمد الارضى فما زلت راضيا
أقمت به من فطرة الدين سنة * وجددت من رسم الهداية عافيا
وجاؤا به ملء العيون وسامة * يقبل وجه الارض أزهر باهيا
فيا عاذلا لا ما كان أجرأ مثله * فمثلك لا يدمى الاسود الضواريا
وجاءتك من مصر النحايا كرائما * فما فتقت أيدى التجار الغواليا
ووافتك من أرض الحجاز تميمة * تتم صنع الله لا زال باديا

ونادالذ بالتهويل سلطان طيبة * فياطيب ما أهدى اليك مناديا
وقام وقد وافى ضريح محمد * لسلطانك الاعلى هنالك داعيا
سريرتك الرحمى جوالك بسعيها * اله يوفى فى الجزاء المساعيا
فوالله لولا سنة نبوية * عهدناه مهديا اليها وهاديا
وعذر من الاعذار قرر حكمه * من الشرع أخبار رفعن عواليا
لراعت بها الجوزاء أهوال موقف * تشيب بميض الفصول العواليا
لك الحمد فيه من صنيع تعمده * فمثالثه فى الفخر عزز ثانيا
تشد له الجوزاء عقد نطاقها * لتخدم فيه كى تنال المعاليا
وهنيت بالامداح فيه وقد غدا * وجودك فيه بالاجادة وافيا
ودونك من بحر البيان جواهرا * كزهر ثمانيشرين الاغر واليا
وطاردت فيها وصف كل غريبة * فأعجزت من ياتى ومن كان ماضيا
فياوارث الانصار لاعن كلالة * تراث جلال يستخف الرواسيا
بامداحه جاء الكتاب مفصلا * يرتله فى الذكر من كان تاليا
لقد عرف الاسلام مما أفدته * مكارم انصارية وأيادیا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا * تجدد أعيادا وتحلى أعاديا

ثم قال ومن ذلك فى الصنيع المختص بالامراء الجلة أخينا المعزلدولتنا أبى الحسن وأخينا أبى العباس وابن عمنا أبى عبد الله وصل الله تعالى سعودهم ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه وبسط يد الحسن من براعته وتحميسه وذلك على أثر عودة مولانا رحمة الله تعالى عليه من سبتة لما عادت الى ملكه

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا
ينظم من قطر الغمام جواهرا
فيبسم ثغر الروض عنه أزاهرا
وصبح حكى وجه الخليفة باهرا * تجسم من نور الهدى وتجسدا
شفانى معتل النسيم اذا نبرى
وأسند عن دمعى الحديث الذى جرى
وقد فتق الارجاء مسكا وعنبرا
كأن الغنى بالله فى الروض قد سرى * فهبت به الارواح عاطرة الردا
عذيرى من قلب الى الحسن قد صبا
تهيجه الذكرى ويصبو الى الصبا
ويجرى جياد اللهو فى ملعب الصبا
ولولا ابن نصر ما أفاق وأعتبا * رأى وجهه صبح الهداية فاهتدى
اليك أمير المسلمين شكاية
جنى الحسن فيها للقلوب جناية

قوله رأى وجهه الخ فى نسخة رأى وجه صبح الهداية الخ اه

وأعظم فيها بالعيون نكاية
وأطلع فى ليل من الشعر آية * محيا جميلا بالصباح قد ارتدى
بهديك تهدى النيرات وتهتدى
وأنوارها جدوى يمينك تجتدى
وعدلك للاملاك أوضح مرشد
يا آثاره فى مشكل الامر تقتدى * فما بال سلطان الجمال قد اعتدى
تحكم منافى نفوس ضعيفة
وسل سيوفا من جفون نحيفة
ألم يدر أنا فى ظلال خليفة
ودولة أمن لاتراع منيفة * بها قد رسا دين الهوى وتمهدا
خذوا بدم المشتاق لحظا راقه
وبرقا باعلام الثنية شاقه
وان كلفوه فوق ما قد أطاقه
بيت حديثا ما ألذ مساقه * خليفتنا المولى الامام محمدا
تقلد حكم العدل دينا ومذهبا
وجور الليالى قد أزاح وأذهبا
فيا عجبا للشوق أذكى والهبا
وسل صباحا صارم البرق مذهبا * وقد بات فى جفن الغمامة مغمدا
يذكرنى ثغرا لاسماء أشنبا
اذا ابتسمت تجلو من الليل غيهبا
كعزم أمير المسلمين اذا احتبى
وأجرى به طرفا من الصبح أشهبا * وأصدر فى ذات الاله وأوردا
فسبحان من أجرى الرياح بنصره
وعطر أنفاس الرياض بشكره
فبرد الصبا يطوى على طيب نشره
ومهما تجلى وجهه وسط قصره * ترى هالة بدر السما قد تبهلبدا
امام أفاد المعلوات زمانه
فما لحقت زهر النجوم مكانه
ومد على شرق وغرب أمانه
ولا عيب فيه غير أن بنانه * تغرق مستجديه فى أبحر الندى
هو البحر مد العارض المتهللا
هو البدر لكن لا يزال مكملا
هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا

هو العلم الخفاق فى هضبة العلا * هو الصارم المشهور فى نصرة الهدى
أما والذى أعطى الوجود وجوده
وأوسع من فوق البسيطة جوده
لقد أصحب النصر العزيز بنوده
ومد بأملاك السماء جنوده * وأنجز للاسلام بالنصر موعدا
أمولاى قد أنجحت رأيا ورأية
ولم تبق فى سبق المكارم غاية
فهدى سجايا كابن رشد نهاية
وان كان هذا السعد منك بداية * سيبقى على مر الزمان مخلدا
سعودك تغنى عن قراع الكتائب
وجودك يزرى بالغمام السواكب
وان راحتها شهبها بالمناكب
ووجهك بدر المنتدى والمواكب * وقد فسحت فى الفخر أبناؤك المدى
بنوك كمثال الانامل عدة
أعدت لما يخشى من الدهر عدة
وزيد بهم برد الخلافة جدة
أطال لهم فى ظل ملكك مدة * اله يطيل العمر منك مؤبدا
بدور بأوصاف الكمال استقلت
غمام بفياض النوال استهلت
سيوف على الاعداء بالنصر سلت
نجوم بآفاق العلاء تجلت * ولاحت كما شاءت سعودك أسعدا
وان أبا الحجاج سيفك منتضى
وبدر بآفاق الجمال تعرضا
بنورك يا شمس الخلافة قد أضا
وراقت على اعطافه حلل الرضا * فحل محلا من علاك تمهدا
مليك له تعنو الملوك جلالة
يجر ذيول الفخار مطالة
وتفرق أسد الغاب منه بسالة
وترضاه أنصار الرسول سلالة * فأبناؤه طابوا فروعا ومحتدا
أزاهر فى روض الخلافة أينعت
زواهر فى أفق العلاء تطلعت
جواهر أغنيت فى الجمال وأبدعت
وعن قيمة الاعلاق قد ارتفعت * يسر بها الاسلام غبا ومشهدا

بعهد ولى العهد كرم عهده
وأنجز فى تخليد ملكك وعده
تنظم منهم تحت شملك عقده
وأورثهم فخرا أبوه وجده * فأعلى علياحين أحمد أحمدا
تحوط بهم ملكا عزيزا ومله
وتلحظ عين السعد منهم أهله
ستبدو على أفق العلا مستقله
وسحبا بفياض العلا مستهله * تفجر بحرا للسماحة مزبدا
وبجلك نصر يقتفى نجل رسمه
أمير يزين العقل راجح حلمه
أتاك بنجل يستضاء بنجمه
لحب رسول الله سماه باسمه * وباسمك فى هذى الموافقة اقتدى
أقمت باعذار الامارة سنة
وطوقت من حلى بفخرك منة
وأسكنتها فى ظل بزك جنة
وألحفتها بردا متنانك جنة * وعمرت منها بالتلاوة مسجدا
فلله عينا من رآهم تطلعوا
غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
وفى دوحة العلياء منك تفرعوا
ملوك بجلباب الحياء تقنعوا * أضاء بهم من أفق قصرك منتدى
وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم
وأضفوا به فوق الحلى لبوسهم
وقد زينوا بالبشر فيه شموسهم
وعاطوا كؤس الانس فيه جليسهم * وأبدوا على هول المقام تجلدا
شمائل فيهم من أبيهم وجدهم
تفصل آى الفخر فيها بحمدهم
وتنسبها الانصار قدما لسعدهم
تضىء بها نورا مصابيح سعدهم * ولم لا ومن صحب الرسول توقدا
فوالله لولا سنة قد أقمتها
وسيرة هدى للنبى علمتها
وأحكام عدل للجنود رسمتها
لجالت بها الابطال تقصد سمتها * وتترك أوصال الوشيج مقصدا
وياعاذرا أبدى لنا الشرع عذره

قوله امتنانك فى نسخة اعتنائك اه

طرقت حمى قد عظم الله قدره
وأجريت طبا يحسد الطب نشره
لقد جئت ما تستعظم الصيد أمره * وتفديه ان يقبل خليفتها فدا
رعى الله منها دعوة مستجابة
أفادت نفوس المخلصين انابة
ولم تلف من دون القبول حجابة
وعاذرها لم يبد عذرا مهابة * فأوجب عن نقص كمالا تزيدا
فنقص كمال المال وفر نصابه
وما السيف الا بعد مشق ذبابه
وما الزهر الا بعد شق اهابه
بقطع يراع الخط حسن كتابه * وبالقص يزداد الذبال توقدا
ولما قضوا من سنة الشرع واجبا
ولم نلق من دون الخلافة حاجبا
أفضنا نهنى منك جذلان واهبا
أفاض علينا أنعما ومواهبا * تعود بذل الجود فيما تعودا
هنيأ هنيأ قد بلغت مؤملا
وأطلعت نورا يبهر المتأملا
وأحرزت أجر المنعمين مكملا
تبارك من أعطى جزيلا وأجلا * وبلغ فيك الدين والملك مقصدا
الا فى سبيل العز والفخر موسم
يطل به ثغر المسرة يبسم
وعرف الرضا من جوه يتنسم
وأرزاق أرباب السعادة تقسم * ففى وصفه ذهن الذكى تبلدا
وجلت فى هذا الصنيع مصانعا
تجنى بدور التم منها مطالعا
وأبديت فيها للجمال بدائعا
وأجريت للاحسان فيها مشارعا * يؤدبها نهر المجرة موردا
وأجريت فيها الخيل وهى سوابق
وان طابت فى الروع فهى لواحق
نجوم وآفاق الطراد مشارق
يفوت التماح الطرف منها بوارق * اذا ما تجارى الشهب تستبق المدى
وتطلع فى ليل القتام كواكبا
وقد وردت نهر النهار مشاربا

قوله بجاية فى نسخة اجابة اه

تقود الى الاعداء منها كواكبا

فتحسبهم من فوق التراب محاربا * تخور رؤس الروم فيهن سجدا

سوابح بالنصر العزيز سوانح
وهن لابواب الفتوح فواتح
تقود البك النصر والله ماتح

فمازلت باب الخير والله فاتح * وماتم شئ قد عدا بعد مابدا

قوله وماتم شئ الخ فى نسخة وماتم حق الخ اه

رياح لها مثنى البروق أعنة
ظباء فان جن الظلام فجنة
تقيها من البدر المتمم جنة

وتشرع من زهر النجوم أسنة * فتقذف شهب الرجم فى أثغر العدا

فاشهب من نسل الوجيه اذا انتمى
جرى فنأى شهب الكواكب فى السما
وخلف منها فى المقلد أنجما

تردى جمالا بالصباح وربما * يقول له الاصباح نفسى لك الفدا

وأحمر قد أذكى به البأس جمرة
وقد سلب الياقوت والورد حمرة
اداربه ساق من الحرب خمرة

وأبدى حبابا فوقها الحسن غرة * يزين بها خدا أسيلا ومورّدا

وأشقر مهما شعشع الركض برقه
أعار جواد البرق فى الافق سبقه
بداشفقا قد جال الحسن أفقه

ألم تر أن الله أبدع خلقه * فسال على أعطافه الحسن عسجدا

وأصفر قد ودّ الاصيل جماله
وقد قدّ من برد العشى جلاله
اذا أسرجوا جنح الظلام ذباله

فغرّته شمس تضى مجاله * وفى ذيله ذيل الظلام قد ارتدى

وأدهم فى مسح الدجى متجرّد
يجيش بها بحر من الليل مزبد
وغرّته نجم به تتوقد

له البدر سرج والنجوم مقلد * وفى فلق الصبح المبين تقيدا

وأبيض كالقرطاس لاح صباحه
على الحسن مغداه وفيه مراحه
ولاظبيات الانسات مراحه

تراه

تراه كنشوان أناالتـه راحـه * وتحسبه وسط الجمال معربدا
وذاهبـــة فى الجوّ مل عنانها
وقـد لفعتها السحب برد عنانها
يفوت ارتداد الطرف لمح عيانها
وخفت الجوزاء سبط بنانها * وصاغت لها حلى النجوم مقيدا
أراها عمود الصبح علو المصاعـد
وأوهـمها قرب المدى المتباعد
ففاتته سـبقا فى مجال الرواعـد
وأتحفت الكف الخضيب بساعد * فطوقت الزهر النجوم بهايدا
وقد قـذفتها للعصىّ حواصـب
قـد انتشرت فى الجوّ منها ذواتب
تزاور منها فى الفضاء حبائب
فبينهـما من قبل ذا التناسب * لانهـما فى الروض قبـل تولدا
بنات لام قـد حبين لروحها
دعاها الهوى من بعد كتم لبوحها
فأقلامها تهوى نحـط بلوحها
فبالامس كانت بعض أغصان دوحها * فعادت اليها اليوم من بعد عوّدا
ويارب حصـن فى ذراها قد اعتلى
أنارت بروج الافق فى مظهر العلا
بروج قصور شـدتها متطـوّلا
فانشأت برجا صاعـدا متنزلا * يكون رسولا بينهما متردّدا
وهـل هى الاهالة حـول بدرها
يصـوغ لها حليا يليق بنحرها
تطوّر أنواعا تشـــيد بفخرها
فجعل برجليها وشاح بخصرها * وتاج بأعـلى رأسها قد تنضدا
أراد استراق السمع وهو ممنـع
فقام بأذيال الدجى يتلفـــع
وأصـغى لاخبار السما يتسمع
فاتبعه منها ذوابل شرّع * لتقذفه بالرعب مثنى وموحدا
وماهو الا قائم مـدّ كفه
ليسأل مـن رب السموات لطفه
لمولى تولاه وأحـكم رصفه
وكلف أرباب البلاغـة وصفه * وأكرم منـه القانت المتهجدا

ملاقى ركب من وفود النواسم
مقبل ثغر للبروق البواسم
مخيم كف بالنجوم العواتم
مبلغ قصد من حضور المواسم * تجدده مهما صنيع تجددا
ومضطرب فى الجو أثبت قامة
تقدم يمشى فى الهواء كرامة
تطلع فى غصن الرشاء كمامة
وتحسبه تحت الغمام غمامة * يسيل على أعطافها عرق الندى
هوى واستوى فى حالة وتقلبا
كخاطف برق قد تألق خلبا
وتحسبه قددا رفى الافق كوكبا
ومهما مشى واستوقف العقل معجبا * تقلب فيه العين لحظا مردّدا
لقد رام يرقى للسماء بسلم
فيمشى على خط به متوهم
أجل فى الذى يبديه فكر متوسم
ترى طائرا قد حل صورة آدمى * وجنبا بهواة الفضاء تمرّدا
ومنتسب للخال سموه ملجما
له حكمات حكمها فاه ألجما
تخالف جنسا والداه اذا انتمى
كما جنسه أيضا تخالف عنهما * عجبت له اذ لم يلد ويولدا
ثلاثتها فى الذكر جاءت مبينة
من الآلاء سماها لنا الله زينة
وأنزل فيها آية مستبينة
وأودع فيها للعقول سكينة * وآلاء فيها على الخلق بددا
كسوه من الوشى اليمانى هودجا
يمد على ما فوقه الظل مسجسجا
وكم صورة تجلى به نبهر الحجا
وجزل وقود ناره تصدع الدجى * وقلب حسود غاظ مذكيه موقدا
وما هى الا نظهر لجهاده
أرتنا بها الافراح فضل اجتهاده
ملاعبها هزت قدود صعاده
واذكرت الابطال يوم طراده * فما ارتبت فيه اليوم صدّقته غدا
الا جدد الرحمن صنعا حضرته

ودوح الامانى فى ذراه هصرته
بقصر طويل الوصف فيه اختصرته
يقيد طرف الطرف مهما نظرته * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
دعوت له الاشراف من كل بلدة
فجاؤا بآمال لهم مستجدّة
وخصوا بألطاف لديه معدّة
أياد بفياض الندى مستمدّة * فكلهم من فضله قد تزوّدا
وجاءتك من آل النبىّ عصابة
لها فى مرامى المكرمات اصابة
أحبتك حبا ليس فيه استرابة
ولبت دواعى الفوز منها اجابة * وناداهم التخصيص فابتدروا الغدا
أجازوا اليك البحر والبحر يزخر
لبحر سماح مدّه ليس يجزر
فرواهم من عذب جودك كوثر
ووالیت من نعمائك ما ليس يحصر * وعظمتهم ترجو النبىّ محمدا
عليه صلاة الله ثم سلامه
به طاب من هذا النظام اختتامه
وجاء بحمد الله حلوا كلامه
يعز على أهل البيان مرامه * وتمسى له زهر الكواكب حسدا
أبث به حادى الركاب مشرّقا
حديث جهاد للنفوس مشوّقا
رميت به من بالعراق مفوّقا
وأرسلت منه بالبديع مطوّقا * حماما على دوح الثناء مغرّدا
ركضت به خيل البيان الى مدى
فأحرزت خصل السبق فى حلبة الهدى
وتممت من نظم الدرارى مقلدا
وطوقت جيد الفخر عقدا منضدا * وقمت به بين السماطين منشدا
نسقت من الاحسان فيه فرائدا
وأرسلت فى روض المحاسن رائدا
وقلدت عطف الملك منه قلائدا
تعوّدت فيه للقبول عوائدا * فلا زلت للفعل الجميل معوّدا
ولا زلت للصنع الجميل مجدّدا
ولا زلت للفخر العظيم مخلدا

وعمرت عمرا لايزال مجددا

وعمرت بالابناء أوحد أوحدا * وقرت بهم عينا لك ماسائق حدا

(وقال فى عيد)

بشرى كما وضح الزمان وأجمل * يغشى سناها كل من يتهلل
أبدى لها وجه النهار طلاقة * وافتر عن ثغر الاقاح مقبل
ومنابر الاسلام بالملك العلى * بجلالك أوبجمالها تتكلل
تجلولنا الاكوان منك محاسنا * تروى على مر الزمان وتنقل
فالشمس تأخذ من جبينك نورها * والبشر منك بوجهها يتهلل
والروض ينفح من شمائلك طيبه * والورق فيه بالمدائح تهدل
والبرق سيف من سيوفك منتضى * والسحب تهمى من يديك وتهمل
ياأيها الملك الذى أوصافه * درر على جيد الزمان يفصل
الله أعطاك التى لافوقها * وحباك بالفضل الذى لايجهل
وجه كما حسر الصباح نقابه * لضيائه تعشو البدور الكمل
تلقاه فى يوم السماحة والوغى * والبشر فى جنباته يتهلل
كف أبت أن لاتكف عن الندى * أبدا فان ضن الحيا تسترسل
وشمائل كالروض باكره الحيا * وسرت برياه الصبا والشمأل
خلق ابن نصر فى الجمال كخلقه * مابعدها من غاية تتكمل
نور على نور بأبهى منظر * فى حسنه لمؤمل مايأمل
فاق الملوك بسيفه وبسيبه * فبعدله وبفضله يتمثل
واذا تطاول للعميد عميدهم * فله عليه تطاول وتطول
ياآية الله التى أنوارها * يهدى بها قصد الرشاد الضال
قل للذى التبست معالم رشده * هيهات قد وضح الطريق الامثل
قد ناصح الاسلام خير خليفة * وحمى عزيز الملك أغلب أشمل
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى * مابعده لذوى الخلافة مأمل
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لاتفصل
فالجود الامن يديك مقتر * والغيث الامن ندالك مبخل
والعمر الاتحت ظلك ضائع * والعيش الافى جنابك ممحل
حيث الجهاد غدا علت راياته * حيث المغانم للعفاة تنفل
حيث القباب الحمر ترفع للقرى * قد عام فى ارجائهن المندل
ياحجة الله التى برهانها * عز الحق به وذل المبطل
قل للذى ناوالك يدفع قومه * فوراءه ملك يقول ويفعل
والله جل جلاله ان أمهلت * أحكامه مستدرجا لاتهمل
ياناصر الاسلام وهو فريسة * أسد الفلا من حولها تتسلل

يا فخر أندلس وعصمة أهلها * لك فيهم النعما التي لا تجهل
لا يهمل الله الذين رعيتهم * فلانت أكفى والعناية أكفل
لا يعدد النصر العزيز فانه * آوى اليك وأنت نعم الموئل
لولاندالك لهالما نفع الندى * ولجف من ورد الصنائع منهل
لولاك كان الدين يغمط حقه * ولكان دين النصر فيه يعطل
لكن جنيت الفتح من شجر القنا * وجنى الفتوح لمن عداك مؤمل
فلطالما استفتحت كل ممنع * من دونه باب المطامع مقفل
ومتى نزلت بمعقل متأشب * فالعصم من شعفاته تستنزل
واذا غزوت فان سعدك ضامن * أن لا تخيب وأن قصدك يكمل
فمن السعود أمام جيشك موكب * ومن الملائك دون جندك جحفل
وكتيبة أردفتها بكتيبة * والخيل تمرح في الحديد وترفل
من كل منحفز كلمعة بارق * بالبدر يسرج والاهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه * كفل كماج الكثيب الاهيل
حتى اذا ملك الكمي عنانه * يهوى كما يهوى بجوّ أجدل
حمات أسود كريهة يوم الوغى * ماعابها الا الوشيج الذبل
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة * والسمر قضب فوقها تتهدل
من كل معتدل القوام مثقف * لكنه دون الضريبة يعسل
أذكيت فيه شعلة من نصله * يهدى بها ان ضل عنه المقتل
ولرب لماع الصقال مشهر * ماض ولكن فعله مستقبل
رقت مضاربه وراق فرنده * فالحسن فيه مجمل ومفصل
فاذا الحروب تسعرت أجزالها * ينساب في غمائك منها جدول
واذا دجا ليل القتام رايته * وكأنه فيه ذبال مشعل
فاعجب لها من جذوة لا تنطفي * في أبحر زخرت وهنّ الانمل
هي سنة أحييتها وفريضة * أدّيتها قربانها تتقبل
فاذا الملوك تفاخرت بجدودها * فلانت أحفى بالجهاد وأحفل
يا ابن الذين جمالهم ونوالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
يا ابن الامام ابن الامام ابن الامام ابن الامام * آباؤك الانصار تلك شعارهم * فلحيهم آوى النبيّ المرسل
فهم الالى نصروا الهدى بعزائم * مصقولة وبصائر لا تخذل
فماذا يحبر شاعر في مدحهم * وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل
مولاى لا أحصى مآثرك التي * يجديثها تنضى المطيّ الذلل
واذا الحقائق ليس يدرك كنهها * سيان فيها مكثر ومقلل
فاليك من شوّال غرّة وجهه * اهدا كها يوم أغرّ محجل

عذراء راق العيد رونق حسنها * فغدا بنظم حليها يتجمل
رضعت لبان العلم في حجر النهى * فوفت لها منه ضروع حفل
سلك البيان بها سبيل اجادة * لولا صفاتك كان عنها يعدل
جاءت تهنى العيد أيمن قادم * وافى بشهر صيامه يتوسل
وطوى الشهور مراحلا معدودة * كيما يرى بفناء جودك ينزل
وأتى وقد شف النحول هلاله * واشوقه للقاء وجهك ينحل
عقدت بمرقبه العيون مسرة * فكبر لطلوعه ومهلل
فاسلم لالف مثله في غبطة * ظل المنى من فوقه يتهدل
فاذا بقيت لنا فكل سعادة * في الدين والدنيا بها تتكفل

(وقال ابن الاحمر) ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقيه وبارقات تهانيه في المواسم العقيقيه قوله يهنئه رضوان الله تعالى عليه بطلوع مولانا الوالد قدس الله تعالى روحه

طلع الهلال وافقه متهلل * فكبر لطلوعه ومهلل
أوفى على وجه الصباح بغرة * فغدا الصباح بنورها يتجمل
شمس الخلافة قد أمدت نوره * وبسعدها يرجو التمام ويكمل
لله منه هلال سعد طالع * لضيائه تعشو البدور الكمل
وألحت ياشمس الهداية كوكبا * يغشى سناه كل من يتأمل
والتاج تاج البدر في افق العلا * مازال بالزهر النجوم يكلل
ولئن حوى كل الجمال فانه * بالشهب أبهى مايكون وأجمل
أطلعت يابدر السماح هلاله * والملك أفق والخلافة منزل
يبدو بهالات السروج وانه * من نور وجهك في العلا يستكمل
قلدت عطف الملك منه صارما * بغنائه ومضائه يتمثل
حليته بحلى الكمال وجوهر الـ * ـخلق النفيس وكل خلق يجمل
يغزو أمامك والسعود امامه * وملائك السبع العلا تتنزل
من مبلغ الانصار منه بشائه * غرر البشائر بعدها تسترسل
أحياجهادهم وجدد فخرهم * بعد المئين فلكهم يتأثل
فبه الى الاجر الجزيل توصلوا * وبهم الى رب السما يتوسل
من مبلغ الاذواء من يمن وهم * قد توجوا وتملكوا وتقبلوا
ان الخلافة من بنيهم أطلعت * قمرا به سعد الخليقة يكمل
من مبلغ قحطان أساد الشرى * ماغابها الا الوشيج الذبل
ان الخلافة وهو شبل ليوثهم * قد حاط منها الدين ليث مشبل
يهنى بنى الانصار أن امامهم * قد بلغته سعوده مايأمل
يهنى البنود فانها ستظله * وجناح جبريل الامين يظلل
يهنى الجياد الصافنات فانها * بفتوحه تحت الفوارس تهدل

يبنى المذاكى والعوالى والظبا * فبها الى نيل المنى يتوصل
يبنى المعالى والمفاخر انه * فى مرتقى أوج العلا يترقل
سبقت مقدمة الفتوح قدومه * وأتاك وهو الوادع المتمهل
وبدت نجوم السعد قبل طلوعه * تجلوا المطامع قبله وتؤثل
وروت أحاديث الفتوح غرائبا * والنصر يعلى والبشائر تنقل
ألقت اليك به السعود زمامها * فالسعد يمضى ماتقول وتفعل
فالفتح بين معجل ومؤجل * ينسيك ماضيه الذى يستقبل
أوليس فى شأن المشير دلالة * ان المقاصد من طلابك تكمل
ناداهم داعى الضلال فأقبلوا * ودعاهم داعى المنون فجدلوا
عصوا الرسول اباية وتحكمت * فيهم سيوفك بعدها فاستمثلوا
كانوا جبالا قدعلت هضباتها * نسفتهم ريح الجلاد فزلزلوا
كانوا بحارا من حديد زاخر * أذكتهم نار الوغى فتبتلوا
ركبت أرجلها الاداهم كلما * يتحركون الى قيام تصهل
كان الحديد لباسهم وشعارهم * واليوم لم تلبسه الا الارجل
الله أعطاك التى لافوقها * فتحابه دين الهدى يتأثل
جددت للانصار حلى جهادها * فالدين والدنيا به تتجمل
من يتحف البيت العتيق وزمزما * والوفد وفد الله فيه ينزل
متسابقين الى مثابة رحمة * من كل ماحدب اليه تنسل
هيما كافواج القطا قد ساقها * ظمأ شديد والمطاف المنهل
من كل مرفوع الاكف ضراعة * والقلب يخفق والمدامع تهمل
حتى اذا روت الحديث مسلسلا * بيض الصوارم والرماح العسل
من فتحك الاسنى من الجيش الذى * بثباته أهل الوغى تتمثل
أهديتهم السراء نصرة دينهم * واستبشروا بحديثها وتهللوا
وتناقلوا عنك الحديث مسرة * بسماعه واهتز ذاك المحفل
ودعوا بنصرك وهو أعظم مفخرا * ان الحجيج بنصر ملكك يحفل
فاهنأ بملكك واعتمد شكرابه * لطف الاله وصنعه تتخول
شرفت منه باسم والدك الرضا * يحيى به منه الكريم المفضل
أبديت من حسن الصنيع عجائبا * تروى على مر الزمان وتنقل
خفقت به أعلام ملك الحمر التى * يخفوقها النصر العزيز موكل
هدرت طبول العز تحت ظلالها * عنوان فتح اثرها يستجمل
ودعوت أشراف البلاد وكلهم * يثنى الجميل وصنع جودك أجمل
وردوا ورود الهيم أجهدها الظمأ * فصفا لهم من ورد كفك منهل
وأثرت فيه للطراد فوارسا * مثل الشموس وجوههم تتهلل

من كل وضاح الجبين كانه * نجم وجنح النقع ليل مسبل
يرد الطراد على أغر محجل * فى سرجه بطل أغر محجل
قد عودوا قنص الكماة كانما * عقبانها ينقض منها أجدل
يستتبعون هوادجا موشية * من كل بدع فوق ما يتخيل
قد صورت منها غرائب جمة * تنسى عقول الناظرين وتذهل
وتضمنت جزل الوقود حولها * والنصر فى التحقيق ما هى تحمل
والعاديات اذا تلت فرسانها * آى القتال صفوفها تترتل
لله خيلك انها السوابح * بحر القتام وموجه متهيل
من كل برق بالثريا ملجم * بالبدر يسرج والاهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه * كفل كما لاح الكثيب الاهيل
هن البوارق غير أن جيادها * عن سبق خيلك يا مؤيد تنكل
من أشهب كالصبح يعلو سرجه * صبح به نجم الضلالة يافل
أو أدهم كالليل قد شهبه * خاض الصباح فأثبته الارجل
أو أشقر سال النضار بعطفه * وكساه صبغة بهجة لا تنصل
أو أحمر كالجمر اضمر بأسه * بالركض فى يوم الحفيظة يشعل
كالخمر أترع كاسها لندامها * وبها حبابة غزة تتسيل
أو أصفر لبس العشى ملاءة * وبذيله لليل ذيل مسبل
أجمات فى هذا الصنيع عوائدا * الجود فيها مجمل ومفصل
أنشأت فيها من ندالك غمائما * بالفضل تنشا والسماحة تهمل
فخرت من كفيك عشرة أبحر * تزجى سحاب الجود وهى الانمل
من قاس كفك بالغمام فانه * جهل القياس ومثلها لا يجهل
تسخو الغمام ووجهها متجهم * والوجه منه مع الندى يتهلل
والسحب تسمح بالمياه وجوده * ذهب به أهل الغنى تتمول
من قاس بالشمس المنيرة وجهه * ألفيته فى حكمه لا يعدل
من أين للشمس المنيرة منطق * ببيانه درر الكلام يفصل
من أين للشمس المنيرة راحة * تسخو اذا بخل الزمان المعمل
من قاس بالبدر المنير كماله * فالبدر ينقص والخليفة يكمل
من اين للبدر المنير شمائل * تسرى برياها الصبا والشمأل
من أين للبدر المنير مناقب * يجهادها تنضى المطى الذل
يا من اذا نفحت نواسم حمده * فالمسك يعبق طيبه والمندل
يا من اذا لحت محاسن وجهه * تعشو العيون ويبهر المتأمل
يا من اذا تليت مفاخر قومه * آى الكتاب بذكرها تتنزل
كفل الخلافة منك يا ملك العلا * والله جل جلاله بك أكفل

مأمونها وأمينها ورشيدها * منصورها مهديها المتوكل
حسب الخلافة أن تكون وليها * ومجيرها من كل من يتخيل
حسب الزمان بأن تكون امامه * فله بذلك عزة لا تهمل
حسب الملوك بأن تكون عميدها * ترجو الندى من راحتيك وتكمل
حسب المعالى أن تكون امامها * فعليك أطناب المفاخر تسدل
ياحجة الله التى برهانها * عز الحق به وذل المبطل
أنت الامام ابن الامام ابن الاما * م ابن الامام وفخرها لا يعدل
علمت حتى لم تدع من جاهل * أعطيت حتى لم تدع من يسأل
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لا تفصل

ومنها

أخذت قلوب الكافرين مهابة * فعقولهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلولة * أرواحهم من بأسها تتسلل
وترى النجوم مناصلا مرهوبة * فيفر منها الخائف المتنصل
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
مولاى لا أحصى مآثرك التى * بجهادها يتوصل المتوسل
أصبحت فى ظل امتداحك ساجعا * طل المنى من فوقه يتهدل
طوقته طوق الحمائم أنعما * فغدا بشكرك فى المحافل يهدل
فاليك من صوغ العقول عقيلة * أهداكها صنع أغر محجل
عذراء راق الصنع رونق حسنها * فغدا بنظم حليها يتكلل
خيرتها بين المنى فوجدتها * اقصى مناها انها تتقبل
لازلت شمسا فى سماء خلافة * وهلالك الاسمى يتم ويكمل

قال ومن رقيق منازعه فى بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطانى فى شبينيل قوله

نفسى الفداء لشادن مهما خطر * فالقلب من سهم الجفون على خطر
فضح الغزالة والاقاحة والقنا * مهما تثنى أو تبسم أو نظر
عجبا لليل ذوائب من شعره * والوجه يسفر عن صباح قد سفر
عجبا لعقد الثغر منه منظما * والعقد من دمعى عليه قد انتثر
مارمت أن أجنى الاقاح بثغره * الا وقد سل السيوف من الحور
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله * والقلب من شك الظهور على غرر
بتنا نراقبه بأول ليلة * فاذا به قد لاح من نصف الشهر
طالعته فى روضة كخلاله * والطيب من هذى وتلك قد اشتهر
وكلاهما يبدى محاسن جمة * ملء التنسم والمسامع والبصر
والكاس تطلع شمسها فى خده * فتكاد تغشى بالاشعة والنظر

نورية كجبينه وكلاهما * يجلو ظلام الليل بالوجه الاغر
هى نسخة للشيخ فيها نسبة * ما ان يزال يرعشان من الكبر
أفرغت فى جسم الزجاجة روحها * فرأيت روح الانس منها قد بهر
لاتسق غير الروض فضلة كاسها * فالغصن فى ذيل الازاهر قد عثر
ماهب خفاق النسيم مع السحر * الا وقد شاق النفوس وقد سحر
ناجى القلوب الخافقات لشله * ووشى بما تخفى الكمام من الزهر
وروى عن الضحاك عن زهر الربا * ما أسند الزهرى عنه عن مطر
وتحملت عنه حديث صحيحه * رسل النسيم وصدق الخبر الخبر
ياقصر شينيل وربعك آهل * والروض منك على الجمال قد اقتصر
لله بحرك والصبا قد مرّدت * منه دروعا تحت أعلام الشجر
والآس حف عذاره من حوله * عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قبل بثغر الزهر كف خليفة * يغنيك صوب الجود منه عن المطر
وافرش خدود الورد تحت نعاله * واجعل بها لون المضاعف عن خفر
وانظم غناء الطير فيه مدائحا * وانثر من الزهر الدراهم والدرر
المنتقى من جوهر الشرف الذى * فى مدحه قد أنزلت آى السور
والمجتبى من عنصر النور الذى * فى مطلع الهدى المقدس قد ظهر
ذو سطوة مهما كفى ذو رحمة * مهما عفا ذو عفة مهما قدر
كم سائل للدهر أقسم قائلا * والله ما أيامه الاغرر
مولاى سعدك كالمهند فى الوغى * لم يبق من رسم الضلال ولم يذر
مولاى وجهك والصباح تشابها * وكلاهما فى الخافقين قد اشتهر
ان الملوك كواكب أخفيتها * وطلعت وحدك فى مظاهرها قمر
فى كل يوم من زمانك موسم * فى طيه للخلق اغناء كبر
فاستقبل الايام يندى روضها * ويرف والنصر العزيز له ثمر
قد ذهبت منها العشايا ضعف ما * قد فضضت منها المحاسن فى السحر
يا ابن الذين اذا تعد خلالهم * نفد الحساب وأعجزت منها القدر
ان أوردوا هيم السيوف غدائرا * مصقولة فلطالما حدوا الصدر
سائل بيدر عنهم بدر الهدى * فبهم على حزب الضلال قد انتصر
واسأل مواقفهم بكل مشهر * واقرأ المغازى فى الصحيح وفى السير
تجد الثناء بيأسهم وبجودهم * فى مصحف الوحى المنزل مستطر
فبمثل هديك فلتتر شمس الضحى * وبمثل قومك فليفاخر من فخر
ماذا أقول وكل وصف معجز * والقول فيك مع الاطالة مختصر
تلك المناقب كالثواقب فى العلا * من رامها بالحصر أدركه الحصر
ان غاب عبدك عن جمالك فانه * بالقلب فى تلك المشاهد قد حضر

فاذكر

فاذكر فان الذكر منك سعادة * وجها على كل الانام قد افتخر
ورضاك عنه غاية ما بعدها * الا رضا الله الذى ابتدع البشر
فاشكر صنيع الله فيك فانه * سبحانه ضمن المزيد لمن شكر
وعليك من روح الاله تحية * تهفو اليك مع الاصائل والبكر

(ثم قال) وفى اغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهى فى الشكر عن ضروب من التحف التى يقتضيها التحفى السلطانى بأولياء خدمته بذمتعددة فيما يظهر فيها (فمنها قوله)

ياخير من ملك الملوك بجوده * وبفضله قد أشبه الاملاكا
والله ما عرف الزمان وأهله * أمنا ويمنا دائما لولاكا
وافيت أهلى بالرياض عشية * فى روض جاهك تحت ظل ذراكا
فوجدته قد طله صوب الندى * بسحائب تنهل من يمناكا
وسفائن مشحونة ألقى بها * بحر السماح يجيش من نعماكا
رطب من الطلع النضيض كانها * قد نظمت من حسنها أسلاكا
من كل ما كان النبى يحبها * وأحبها الانصار من أولاكا
وبدائع التحف التى قد أطلعت * مثل البدور وأنارت الاحلاكا
نطف من النور المبين تجسمت * حتى حسبنا أنهن هداكا
يحلو على الافواه طيب مذاقها * لولا التجسد خلتهن شاكا
طافت بها النشأ الصغار كانها * سرب القطا الماوردن ندا كا
تجواهم مهما سمعت كلامهم * وتداؤهم مولاى أو مولاكا
بلغت فى الابناء عبدك سؤله * لازلت تبلغ فى بنيك منا كا
يتدارسون من الدعاء صحائفا * كيما يطيل الله فى بقياكا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة * وهم البدور أمد من سناكا

(ومنها) وقد أهداه نعمة الله اطباقا من حب الملوك

كتب الاله على العباد محبة * لك كان فرض كتابها موقوتا
وانا الذى شرفته من بينهم * حتى جعلت له المحبة قوتا
مازلت تحفه بكل ذخيرة * حتى لقد أتحفته الياقوتا
والى الملوك قد اعتزى من عزه * فغدا له ياقوتها ممقوتا

(ومنها فى مثل ذلك)

ياخير من ملك الملوك * أهديتنى حب الملوك
فكأنما ياقوتها * نظمت لنا نظم السلوك
ان الملوك اذا جروا * فغياثهم أن أتملوك
وكذا العفاة اذا شكوا * فغناهم أن يسألوك
فالله يقبل من دعا * لعلاك من أهل السلوك
لازلت تطلع غرة * كالشمس فى وقت الدلوك

قوله هدا كذا فى نسخة حلا كا اه

(ومنها وقد أهداه صيدا مما صاده أولاده)

يا خير من ورث السماح عن الالى * نصروا الالى وتبوؤا الايمانا
فى كل يوم منك تحفة منعم * والى الجميل وأجزل الاحسانا
قد أذكرت دار النعيم عبيده * وتضمنت من فضله رضوانا
تهدى من الذين تفرعوا * عن دوح فخرك فى العلا أغصانا
لجلالك الاعلى قنيصا أتعبوا * فى صيده الارواح والابدانا
فتخصنى منه بأوفر قسمة * فسحت لعبدك فى الرضا ميدانا
لله من مولى كريم بالذى * تهدى الموالى يتحف العبدانا
تدعو بنى الى الغنى بربه * يا ربنا أغن الذى أغنانا
وعليك من قدس الاله تحية * بتهديك منه الروح والريحانا

(ومنها وقد أهداه أصنافا من الفواكه)

يا من له الوجه الجميل اذا بدا * فاقت محاسنه البدور كمالا
والمنتقى من جوهر الفخر الذى * فات الخلائف عزة وجلالا
ما أبصرت عيناى مثل هدية * أبدت لنا صنع الاله تعالى
فيها من التفاح كل عجيبة * تذكى برياها صبا وشمالا
تهدى لنا نهد الحبيب وخده * وترى من الورد الجنى مثالا
وبها من الاترج شمس أطلعت * من كل شطر للعيون هلالا
ويحفها ورق يروق كأنه * ورق النضار وقد أجاد نبالا
لون العشية ذهبت صفحاتها * رقت وراقت بهجة وجمالا
وبها من النقل الشهى تمذكر * عهدا تولى ليته يتوالى
فله منها حضرة من حضرة * تغنى العفاة وتحسب الآمالا
أذكرتنى العهد القديم ومعهدا * كانت شموس الراح فيه تلالا
فأردت تجديد العهود وانما * كتب المشيب على عذارى لالا
فأدرت من ذكراك كأس مدامة * وشربت من حبى لها جريالا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة * لا يستطيع لها الزمان زوالا

(ومنها يوم عاشوراء)

يا أيها المولى الذى بركاته * رفعت لواء الندى منشورا
لك راحة تزجى الغمام بانمل * فجرت منها بالنوال بحورا
واليوم موسم قربة وعبادة * وغدا ظفرت بأجره عاشورا
راعيت فيه سنة نبوية * تروى الثقات حديثه المشهورا
لازلت عامك كله فى غبطة * لقيت منها نضرة وسرورا

(ومنها فى بعض قطعه)

واليت ما أوليت يا بحر الندى * ووحق جودك ما رأيت كهذه

قوله نصروا الالى هكذا فى الاصل ولا يخفى ما فيه من عدم ذكر الصلة فلعله نصروا النبى بسكون الياء أو نصروا العلا أو نحو ذلك اه مصححه
هكذا بياض بالاصل ولينظر ويمكن أن يقال أخذا من السياق والمقام
(تهدى سلالتك الذين تفرعوا) الخ اه مصححه

فاذا يهزلها اللسان حسامه * فصفات نخرك قد قضت بنفاذه
علمت فرسان الكلام نظامها * كتعلم التلميذ من أستاذه
والبحر تمتار السحائب ماءه * فتجوده من غيثها برذاذه

(ومنها وقد أهداه باكورا)

ياوارث الانصار وهي مزية * بفخارها اثنى الكتاب المنزل
أهديتني الباكور وهي بشارة * ببواكر الفتح الذي يستقبل
وولادة لهـــلال تم طالع * وجه الزمان بوجهه يتهلـــل
هو اول الانوار في أفق الهدى * وترى الاهلة بعده تسترسل
مولاي صدق الفال قد جربته * من لفظ عبدك والعواقب أجمل

(ومنها في جفنة)

طعامك من دار النعيم بعثته * فشرفته من حيث أدرى ولا أدرى
بهضبة نعمى قد سمونا لاوجها * فصدنا بأعلاها الشهي من الطير
وقوراء قد دربنا بهالة بدرها * كما دارت الزهر النجوم على البدر
وقد حملت فوق الرؤس لانها * هدية مولى حل في مفرق الفخر
فما شئت من طعم زكي مهنأ * وما شئت من عرف ذكي ومن نشر
فلو أنها قد قدمت لخليفة * لاعظمها قدرا وبالغ في الشكر
وكم لك من نعمى على عميمة * يقل لادناها الجبل من الذكر
فلا زلت يامولى الملوك مبلغا * أماني ترجوها الى سالف الدهر

(ومنها شكرا عن كتاب)

مولاي يوم الجمعه * سعوده مجتمعه * فانعم صباحا واغتنم * أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل * أعلامه مرتفعه * وانتظر الفتح الذي * يأتيك بالنصر معه
وبيضه وسمره * الى العداة مشرعه * واللطف مرجو فرد * بفضل ربي مشرعه
فاتحفني شرفتني * برقعة مرفعه * بل روضة ممطورة * أزهارها منوعه
حديقة قد جدتها * بصوب جود مترعه * وراية منشورة * وآية مستبدعه
كم حكم لطيفة * في طيها مستودعه * عقيلة صورتها * من الجمال مبدعه
سقيتني من فضلها * بفضل كاس مترعه * فدم وأملاك الورى * على علاك مجمعه

(ومنها شكرا على خلعة)

يابدر تم في سماء خلافة * حفت نجوم السعد هالة قصره
ألبست عبدك من ثيابك ملبسا * قد قصرت عنه مدارك شكره
ورضاك عنه خير ما ألبسته * فلقد أشاد بجاهه وببره
ألبستني أركبتني شرفتني * أهديتني مالا أقوم بحصره
نظري لوجهك وهو أجمل نير * يزري على شمس الزمان وبدره
أعلى وأعظم منة لاسيما * وأنا المنعم في الحضور ببشره

لازلت مولى للملوك مؤملا * وحلالك للاسلام مفخر دهره

(ومنها وقد خلع رضوان الله تعالى عليه على رسول من أرساله)

أبحر سماح مذ عشرة أبحر * تفيض غمام الجود وهي الانامل
بكفك غيث للبلاد وأهلها * يروض محل الارض والعام ماحل
لك الخير ان أصبحت بحر سماحة * يعم نداه فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملابسا * بها تتسنى فى علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها * فبلغت يا مولاى ما أنت آمل

(ومنها وقد مرض بعض أبنائه رحمة الله تعالى على الجميع قوله سائلا عن حاله)

أسائل بدر التم كيف هلاله * وأدعوله الرحمن جل جلاله
وأسأله تجميل راحته التى * وسلمنا فيها النبى وآله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى * ويرضيك يا بدر الكمال كماله

(وفى مثله)

أقول لبدر التم كيف هلالكا * نعمت صباحا بالسعود وآلكا
وبلغت فى النجل الكريم سعادة * تقر بها عينا وينعم بالكا
وخصصت بالبشرى من الله ربنا * كما عم أقطار البلاد نوالكا

(ومن التورية باسم قائد ولاه على جماعة من الجند)

يا أيها المولى الذى أيامه * تهمى بسحب الجود من آلائه
أبشر بجيشك بالسعادة كلما * يغزو ونصر الله تحت لوائه

(وأنشده فى ملبس اتخذه)

أمولاى يا ابن السابقين الى العلا * ومن نصروا الدين الحنيفى أولا
غنيت بنور الله عن كل زينة * وألبست من رضوانه أشرف الحلى
وقارك زاد الملك عزا وهيبة * وسوغه من رحمة الله منهلا
ويا شمس هدى فى سماء خلافة * وأبناؤه الزهر المنيرة تجتلى
تبارك من أبدا لك فى كل مظهر * جميلا جليلا مستعاذا مؤملا
فتخجل منك الشمس شمس هداية * ويحسد منك البدر بدرا مكملا
اذا أنت ألبست الزمان وأهله * ملابس عز ليس يدركها البلى
وطوقت أجياد الملوك أياديا * وتوجتهم بالفخر تاجا مكللا
فعاشت فالبس فى المشاهد كلها * تبارك ما أبهى وأسنى وأجملا
الا كل من صلى وضحى ومن دعا * ومد يديه ضارعا متوسلا
وجودك شرط فى حصول قبوله * وجودك أثرى كفه فتنفلا

وقال برسم ما يرسم على ثوب فى بعض هدايا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبى العباس

أهدى أبا العباس * ملك الندى واللباس * ثوب السماء لانه * بدر بدا للناس
فلق الصباح بوجهه * عوذته بالناس * يكسوا اماما لم يزل * يجلى المحامد كاسمى

فياله من مرتد * ثوب التقى لباس * أذياله من حمده * مسكية الانفاس
ويطرزه مدح زرا * بالمدح فى القرطاس * ان كنت فى لون السما * بنسبة وقياس
فلانت يابدر العلا * شرفتنى بلباس * أنا منشد مافى وقو * فك ساعة من ياس
لترى رياضا أطلعت * زهرا على أجناس * أوراقها توريقها * بقضيبها الميماس
ومن المديح مدامتى * ومن المحابر كاسى * فالله يمتع لابسى * بالبشر والايناس

وقال فى مثل ذلك

ان الامام محمدا * أهدى الخليفة أحمدا * للباسه ثوبا وقد * البس المحامد وارتدى
وعمامة الشفق التى * من فوقها شمس الهدى * ياحسنها اذ أرسلت * من كفه غيث الندى
وكان وشى رقومها * بالبرق طرز عسجدا * ويطرزه لون السما * ووجهه قمر بدا
لله منه نير * حل المنازل أسعدا * مستنصر أعلى له * فوق المنازل أسعدا

ثم قال وأنشده وهو على جواد أدهم

تجلى لنا المولى الامام محمد * على أدهم قد راق حسن أديمه
فأبصرت صبحا فوق ليل وقد حكى * مقلد ذا الطرف بعض نجومه

وكتب له مع هدية زهر

أمولاى تقبيلى ليمناك شاقنى * ولا ينكر الظمآن شوقا الى البحر
ولما رأيت الدهر ماطلنى بها * وشوقنى من حيث أدرى ولا أدرى
بعثت لك الزهر الجنى لعله * يقبلها عنى ثغور من الزهر

وكتب اليه ايضا متشوقا

كتبت ودمعى بلل الركب قطره * وأجرى به بين الخيام السواقيا
حنينا لمولى أتلف المال جوده * ولكنه قد خلد الفخر باقيا
وما عشت بعد البين الا لانى * أرجى بفضل لله منه التلاقيا

وأنشده أيضا وهو بحال تألم

كأنى بلطف الله قد عم خلقه * وعافى امام المسلمين وقد شفا
وقاضى القضاء الحتم عجل ختمه * وخط على رسم الشفاء له اكتفى

وله فى مثل ذلك

لك الخير يا مولاى أبشر بعصمة * عقدت مع الايام فى حفظها صلحا
وعافية فى صحة مستجدة * تجدد للدين السعادة والنجحا
ووجه التهانى مشرق متهلل * وجو التهانى بعد ما غام قد أضحى

وفى مثل ذلك

ياامام قد تخذنا * من الدهر ملاذا
خط يمناك ينادى * صح هذا صح هذا

وقال مهنئا بالشفاء

الحمد لله بلغنا المنى * لما رأينا ك وزال العنا

وفزت بالاجر وكبت العدا * وفزت بالعز وطيب الثنا
فالحمد لله على مابه * من علينا من ظهور السنا

وقال ايضا في نحوه

نعم قرت العينان وانشرح الصدر * وقد لاح من وجه الامام لنا البدر
سرينا بليل التيه يكذب فجره * فلما تجلى فجره صدق الفجر
أغر المحيا بالحياء مقنع * زهاه الكلام الحر والنسب الحر
امام الهدى قد خصه بخلافة * اله له في خلقه النهى والامر

وقال في مثله وقد ركب رحمه الله تعالى لمعاهد حضرته

هنيأ هنيأ لانقاد لعدته * وبشرى لدين الله انجاز وعده
فقد لاح بدر التم في أفق العلا * وحل كما يرضى منازل سعده
وطاف أمير المسلمين محمد * بحضرته العليا مبلغ قصده
ولاحت بها الانوار من بشر وجهه * وفاح بها النوار من نشر حمده
وأبصرت الابصار شمس هداية * وأشرقت الارجاء من زهر رفده
ولوحت الاعلام فيها بنصره * كما لوح الصبح المنير بيده
ستهدى له الايام كل مسرة * ويحيي به الرحمن آثار جده
فسل حسام السعد واضرب به العدا * وخل حسام الهند في كنز غمده
فسيفك سيف الله مهما سللته * يقيم حدود الله قائم حده

وقال وقد عاد رحمه الله تعالى من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشوار

على الطائر الميمون والطالع السعد * قدمت مع الصنع الجميل على وعد
وقد عدت من جبل الشوار تجتلى * عقائل للفتح المبين بلا عقد

قوله وقد عدت الخ يلزم تسكين باء جبل كما لا يخفى اه

وقال مما رسم في طيقان الابواب بالمباني السعيدة التي ابتناها رحمه الله تعالى

أنا تاج كهلال * أنا كرسي جمال
يتجلى الابريق فيه * كعروس ذي اختيال
جود مولانا ابن نصر * قد حباني بالكمال

وفي مثله

من رأى التاج الرفيعا * قد حوى الشكر البديعا
تحسد الافلاك منه * قوسه السهل المنيعا
دمت ربعا للتهاني * أنظم الشمل الجميعا

وفيه

للغني بالله قصر * للتهاني يصطفيه
فيه محراب صلاة * يقف الابريق فيه
تاليا سورة حسن * والمعالي تقتفيه

وفيه

أى قوس ذى جمال * سهمه سهم السعاده
ملك الابريق فيه * عوّد الاحسان عاده
ذو صلاة من صلاة * كلها دابا معاده

وقال فى المعنى مما كتب به لعمنا الامير سعد رحمة الله تعالى عليه

انظر لافق جمال * به الاباريق تصعد
حسن بديع حباه * به الامير الممجد
فخر الامارة سعد * به الخليفة يسعد
وكيف لا وأبوه * فخر الملوك محمد
عليه حلى رضاه * فى كل يوم يجدّد

وقال فيه أيضا

رفعت قوس سمائى * يزهى بتاج الهلال
قد قلدته نقوشى * درّ الدرارى العوالى
ترى الاباريق فيه * تهديك عذب الزلال
قد زان قصرى سعد * بسعده المتوالى
فدام يعمر ربعى * فى كنف مولى الموالى

وفى الغرض

ما ترى فى الرياض أشباهى * يسحر العقل حسنى الزاهى
وان روضى أميره سعد * وهو نجل الغنى بالله
دام منه بمرتقى عز * آمر بالسعود أوناهى

وقال فى غرض الشكر عن مغطى صنهاجى أهداه اياه

لمن قبة حمراء مدّ نضارها * تطابق منها أرضها وسماؤها
وما أرضها الا خزائن رحمة * وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها
وقد شبه الرحمن خلقا بابه * وحسبك فخرا بان منه اعتلاؤها
ومعروشة الارجاء معروشة بها * صنوف من النعماء منها وطاؤها
ترى الطير فى أجوافها قد تصففت * على نعم عند الاله كفاؤها
ونبهتها صنهاجة غير انها * تقصر عما قد حوى خلفاؤها
حبتنى بها دون العبيد خلافة * على الله فى يوم الجزاء جزاؤها

وفى مثله

ما للعوالم جمعت فى قبة * قد شادها كرم الامام محمد
ما ان رأيت ولا سمعت كطائر * عن ثوب موشى الرياش مجرّد
ان لم تكن تلك الطيور تغرّدت * فلشكر هذا العبد سجع مغرّد
صفت عليها اللفواكه كل ما * قد عاهدته بدوحها المتعوّد
لو شاهدت صنهاجة أوضاعه * دانت له أملاكها بتعبد

عوّدتنى الصنع الجميل تفضلا * لازلت خير معوّذ ومعوّد
وبسورة الانعام كم من آية * فيها لقارئها النوال مجـــوّد

وقال تذييلا لبيتى ابن المعتز

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خدّيها بغير رقيب
فاصبت فى ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخدّ حبيب
الى أن بدا الصبح المبين كأنه * محيا ابن نصر لم يشن بغروب
شمائله مهما أديرت كؤسها * قلائد أسماع وانس قلوب

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع

هى فى أوجه الندامى عقيق * وهى مثل النضار فى الاقداح
كابن نصر تراه فى الحرب ليثا * وهو بدر الندى وغيث السماح
ذكره قد ثنى قدود الندامى * وأعاد الحياة فى الارواح

وقال مما يرسم للغنى بالله

للغنى بالله ملك * برده بالعز مذهب
دام فى رفعة شان * ماجلا الاصباح غيهب

وقال أيضا

يا ابن نصر لك ملك * ليس تعدوه الفتوح
دمت روحا للمعالى * ما سرى فى الجسم روح

ومن مقطوعاته

وابن نصر له محيا كصبح * ان تجلى جلا لنا كل كرب
ذو حسام كانه لمع برق * فى بنان كانها غيث سحب

ومن أخرى

وكان النجوم فى غسق الليـــل جمان يلوح فى أبنوس
وكان الصباح فى الافق يجلى * بجلى النجوم مثل العروس
وكان الرياض تهدى ثناء * لغنى بالله فوق الطروس

وقال من قصيدة أولها

أضياء هدى أم ضياء نهار * وشذا المحامد أم شذا الازهار
قسما بهديك فى الضياء وانه * شمس تعدّ الشهب بالانوار

ومنها

كم من لطائف للهدى أوضحتها * خفيت لطائفها على الافكار
كم من جرائم قد غفرت عظيمها * مستنزلا من رحمة الغفار
علمت ملوك الارض انك فخرها * فتسابقت لرضائك فى مضمار

ومنها يصف الجيش

سالت به تحت العجاج سفينة * نفحت بريح العز من انصار

أرست بجودى الجود فى يوم الندى * وجرت بيوم الحرب فى تيار

ومنها

ألقى بايدى الريح فضل عنانه * فيكاد يسبق لمحة الابصار

ومنها

فهى العراب متى انبرت يوم الوغى * قد أعربت عن لطف صنع البارى

ومنها

ان خاض فى ليل العجاج رأيته * يجلو دجنته بوجه نهار

ومنها

كم فيهم من قارض ضيف طارق * وضحت شواهد فضله للقار

ومنها

يا أيها الملك الذى أيامه * غررت لوح باوجه الاعصار
قد زارك العيد السعيد مبشرا * فاسمح لالف منهم بمزار
لما ازدهته عواطف ألطفتها * عطف الاله عليك عطف سوار
فاتى يؤمم منك هديا صالحا * كى يستمد النور بعد سرار
وأتاك يسحب ذيل سحب اغدقت * تغرى جفون المزن باستعبار
جادت بجارى الدمع يقطر بالندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار
فأعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا ببواسم النوار
لما دعاك الى القيام بسنة * حكمت داعى الجود والايثار
فأفضت فينا من ندالك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
فاهنأ بعيد عاد يشتمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار

ومنها

لاعذر لى ان كنت فيه مقصرا * سدت صفاتك أوجه الاعذار
فاذا نظمت من المناقب درها * شرفتنى منها بنظم درارى
فلذاك أنظمها قلائد لؤلؤ * لا لأوها قد شف بالانوار

وأنشد على لحده المقدس رحمه الله تعالى

ضريح أمير المسلمين محمد * يخصك ربى بالسلام المردد
وحيتك من روح الاله تحية * مع الملا الاعلى تروح وتغتدى
وشقت جيوب الزهر فيك كمائم * يرف بها الريحان عن خضل ندى
وصابت من الرحمى عليك غمائم * تروى ثرى هذا الضريح المنجد
وزارتك من حور الجنان أوانس * نواعم فى كل النعيم المخلد
وجاءتك بالبشرى ملائكة الرضا * كما جاء فى الذكر الحكيم المجد
وصافح منك الروض أطيب تربة * وعاهد منك المزن أكرم معهد
رضا الله والصفح الجميل وعفوه * يوالى على ذاك الصفيح المنضد

ويا صدفا قد فاز من جوهر العلا * بكل نفيس بالنفاسة مفرد
أعندك أن العلم والحلم والنجا * وزهر الحلى قد أدرجت طى ملحد
وهل أنت الا هالة القمر الذى * بنور هداه الشهب تهدى وتهتدى
ويا عجبا من ذلك الترب كيف لا * يفيض بحبر للسماحة مزبد
لقد ضاقت الاكوان وهى رحيبة * بما حزت من فخر عظيم وسودد
قدمت على الرحمن أكرم مقدم * وزودت من رحماه خير مزود
أقام بك المولى الامام محمد * مؤمل فوز بالشفيع محمد
فجاء كما ترضى وترضى به العلا * وأنجز للآمال أكرم موعد
ومد ظلال العدل فى كل وجهة * وكف أكف البغى من كل معتد
وقام بفرض الجهاد عن الورى * وعود دين الله خير معود
قضى بعد ما قضى الخلافة حقها * وعامل وجه الله فى كل مقصد
وفتح بالسيف الممالك عنوة * ومدت له أملاكها كف مجتد
وكسر تمثال الصليب وأخرست * نواقيس كانت للضلال بمرصد
وطهر محرابا وجدد منبرا * وأعلن ذكر الله فى كل مسجد
ودانت له الاملاك شرقا ومغربا * وكلهم ألقى له الملك باليد
وطبق معمور البسيطة ذكره * وسارت به الركبان فى كل فدفد
وسافر عن دار الفناء ليجتلى * بما قدم اليوم السعادة فى غد
وقام بامر الله حق قيامه * بعزمة لاوان ولا متردد
لئن سار للرحمن خير مودع * وحل من الفردوس أنضر مقعد
فقد خلف المولى الخليفة يوسفا * يعيد له عز المساعى ويبتدى
سبيلك فى سبل المكارم يقتفى * وهديك يا خير الائمة يقتدى
محمد جلى الخطب من بعد يوسف * ويوسف جلى الخطب بعد محمد
ولو وجد الناس الفداء مسوغا * فداك ببذل النفس كل موحد
ستبكيك أرض كنت غيث بلادها * وتبكيك حتى الشهب فى كل مشهد
وتبكى عليك السحب ملء جفونها * بدمع يروى غلة الجدب الصدى
وتلبس فيك النيرات ظلامها * حدادا ويذكى النجم جفن مسهد
وما هى الا أعين قد تسهدت * فكحلها نجم الظلام بأثمد
فلازلت فى ظل النعيم مخلدا * ونجلك يحيا بالبقاء المخلد
وأوردك الرحمن حوض نبيه * وأصدر من خلفت من خير مورد
عليك سلام مثل جدك عاطر * يفض ختام المسك عن تربك الندى
وصلى على المختار من آل هاشم * صلاة بها نرجو الشفاعة فى غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج

بما قد حزت من كرم الخلال * بما أدركت من رتب الجلال

بما خولت من دين ودنيا * بما قد حزت من شرف الجمال
بما أوليت من صنع جميل * يطابق لفظه معنى الكمال
تغمدنى بفضلك واغتفرها * ذنوبا فى الفعال وفى المقال

وقال أيضا

أتعطش أولادى وأنت غمامة * تعم جميع الخلق بالنفع والسقيا
وتظلم أوقاتى ووجهك نير * تفيض بها الانوار للدين والدنيا
وجدك قد سماك ربك باسمه * وأورثك الرحمن رتبته العليا
وقد كان أعطانى الذى أنا سائل * وسوغنى من غير شرط ولا ثنيا
وشعرى فى غير المصانع خالد * يحييه عنى فى الممات وفى الحيا
ومازلت أهدى المدح مسكا مفتقا * فتحمله الارواح عاطرة الريا
وقد أكثر العبد التشكى وانه * وحقك يا فخر الملوك قد استحيا
وما الجود الا ميت غير أنه * اذا نفخت يمناك فى روحه يحيا
فمن شاء أن يدعو لدين محمد * فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا

وقال أيضا فيه وقد نزل بالوجة من مرج الحضرة

منزل اليمن والرضا والسعود * أنجزت فيه صادقات الوعود
كل يوم نزاهة ان تقضت * انشدتها السعود بالله عودى
جمع المسلمين وصف كمال * بين باس عم الملوك وجود
فاهن فى غبطة وعزة ملك * أنت والله فخر هذا الوجود

وقال أيضا مشيرا لتولية العلامة

لك غرة وذا الصباح جمالها * ومحاسن تهوى البدور كمالها
وشمائل تحكى الرياض خلالها * وأنامل تزجى الانام خلالها
للمستعين خلافة نصرية * عرفت ملوك العالمين جلالها
وانا الذى قد نال منك معاليا * تهدى النجوم الزاهرات منالها
تهديه ما قد نلته من بعضها * فالفخر كل الفخر فيمن نالها
فى كل يوم منك منة منعم * لو طاولت سمك السما ما طالها
بلغت آمال العبيد فبلغت * فيك العبيد من البقا آمالها

(وقال أيضا) وكتبها اليه مع خمسة اقلام

أيا مالكا لم يبد للعين حسنه * سوى ملك قد حل من عالم القدس
لك الخير خذها كالانامل خمسة * تعوذ مرآك المكمل بالخمس
فمن ابصرت عيناك مرآه فليقل * أعوذ برب الناس أو آية الكرسى

(ثم قال ابن الاحمر) وقال يخاطب مولانا الوالد رحمة الله تعالى عليه وقد مر معه بفحص ريه والثلج قد عم أنديته وبسط أرديته فى وجهة توجهها مولانا الجد تغمده الله تعالى الى مالقة

يامن به رتب الامارة تعتلى * ومعالم الفخر المشيدة تبتنى
ازجر بهذا الثلج حالا انه * ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى
بسط البياض كرامة لقدومه * وافتر ثغرا عن مسرة معتنى
فالارض جوهرة تلوح لمعتل * والدوح مزهرة تفوح لمجتنى
سبحان من أعطى الوجود وجوده * ليدل منه على الجواد المحسن
وبدائع الاكوان فى اتقانها * أثر يشير الى البديع المتقن

(ثم قال) ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب ما دحا قوله (أما وانصداع النور من مطلع الفجر) الى آخره وقد تقدمت (ثم قال) وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دلامة

على الطائر الميمون والطالع السعد * أتتنى مع الصنع الجميل على وعد
واحيبت يا يحيى بها نفس مغرم * يجيل جياد الدمع فى ملعب السهد
نسيت وما أنسى وفائى وخلتى * وأقفر ربع القلب الامن الوجد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم * بأزكى وأصفى من ثنائى ومن ودى
فأصدقتها من بحر فكرى جواهرا * تنظم من درّ الدرارى فى عقد
وكنت أطيل القول الاضرورة * دعتنى الى الايجاز فى سورة الحمد

(وأنشد السلطان أبا العباس المرسى فى غرائب من انشائه)

أانسان عين الدهر جفنك قد غدا * يحفك منه طائر اليمن والسعد
اذا ماهفا فوق الرؤس شراعه * أراك جناحا مد للجزر والمد

(وأنشد فيه أيضا)

لك الخير شان الجفن يحرس عينه * وهذا بعين الله يحرس دائما
تبيت له خمس الثريا معيذة * تقلده زهر النجوم تمائما
فيا جفن لا تنفك فى الحفظ دائما * وان كنت فى لج من البحر عائما

(انتهى ما لخصته من كلام ابن الاحمر فى حق ابن زمرك) وذلك جملة من نظمه * وقد رأيت ان أعزز ذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور مما انتقيته من كلام ابن الاحمر (فمنها قوله متشوقا الى غرناطة ويمدح الغنى بالله)

(المطلع)

بالله يا قامة القضيب * ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن فى القلوب * وأيد اللحظ بالحور
من لم يكن طبعه رقيقا * لم يدر مالذة الصبا * فرب حر غدا رقيقا
تملكه نفحة الصبا * نشوان لم يشرب الرحيقا * لكن الى الحسن قد صبا
فعذب القلب بالوجيب * ونم العين بالنظر
وبات والدمع فى صبيب * يقدح من قلبه الشرر
عجبت من قابى المعنى * يهفو اذا هبت الرياح * لو كان للصب ما تمنى

لطار شوقا بلا جناح * وبليل الدوح ان تغنى * أسهر ليلى الى الصباح
عساك ان زرت يا طبيبي * بالطيف فى رقدة السحر
أن تجعل النوم من نصيبي * والعين تحمى من السهر
كم شادن قاد لى الحتوفا * بمربع القلب قد سكن * يسل من لحظه سيوفا
فالقلب بالروع ما سكن * خلفت من عادتى ألوفا * أحن للالف والسكن
غرناطة منزل الحبيب * وقربها السؤل والوطر
تبهر بالمنظر العجيب * فلا عداربعها المطر
عروسة تاجها السبيكه * وزهرها الحلى والحلل * لم ترض من عزها شريكه
بحسنها يضرب المثل * أيدها الله من مليكه * تملكها أشرف الدول
بدولة المرتجى المهيب * الملك الظاهر الاغر
تختال من بردها القشيب * فى حلة النور والزهر
كرسيها جنة العريف * مرآتها صفحة الغدير * وجوهر الطل عن شنوف
تحكمها صنعة القدير * والانس فيها على صنوف * نعم هديل ومن هدير
كم خرق الزهر من جيوب * وكلل القضب بالدرر
فالغصن كالكاعب اللعوب * والطير تشدو بلا وتر
ولائم النصر فى احتفال * وفرح دين الهوى جديد * سلطانها معمل العوالى
محمد الظافر السعيد * ومحجل البدر فى الكمال * سلطانها المجتبى الفريد
اصفح مولى عن الذنوب * أكرم عاف اذا قدر
وشمس هدى بلا مغيب * وبحر جود بلا حصر
مولاى يا عاقد البنود * تطلل الاوجه الصباح * أوحشت يا نخبة الوجود
غرناطة هالة السماح * سافرت باليمن والسعود * وعدت بالفتح والنجاح
يا ملهم القلب للغيوب * ومطعم النصر والظفر
أسمعك الله من قريب * على السلامه من السفر

وقال أيضا من الموشحات الرائقه فى مثل أغراض هذه السابقه وأشار الى محاسن من وصف الرشاد (المطلع)

نسيم غرناطة عليل * لكنه يبرئ العليل
وروضها زهره بليل * ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد ربا المصلى * مباكر اروضه الغمام * سقى بنجد ربا المصلى
يبسم الزهر فى الكمام * والروض بالحسن قد تجلى * وجرد النهر عن حسام
ودوحها ظله ظليل * يحسن فى ربعه المقيل
والبرق والجو مستطيل * يلعب بالصارم الصقيل
عقيلة تاجها السبيكه * تطل بالمرقب المنيف * كلنها فوقه مليكه
كرسيها جنة العريف * تطبع من عسجد سبيكه * شموسها كلها تطيف

أبدعك الخالق الجميل • يا منظرا كله جميل
قلبي الى حسنه يميل • وقلبنا قد صبا جميل
وزاد للحسن فيك حسنا • محمد الحمد والسماح • جد للفخر فيك مبنى
في طالع اليمن والنجاح • تدعى رشادا وفيك معنى • يخصك الفال بافتتاح
فالنصر والسعد لا يزول • لانه ثابت أصيل
سعد وأنصاره قبيل • آباؤه عترة الرسول
أبدى به حكمة القدير • وتوج الروض بالقباب • ودرع الزهر بالغدير
وزين النهر بالحباب • فمن هديل ومن هدير • ما أولع الحسن بالشباب
كبت على روضها القبول • وطرفها بالسرى كليل
فلم يزل بينها يجول • حتى تبدت له حجول
للزهر في عطفها رقوم • تلوح للعين كالنجوم • وللندى بينها رسوم
عقدا ندى فوقه تطيم • وكل وادٍ بها يهيم • ولم يزل حولها يحوم
شنيلها مدمنه نيل • والشين أنف لمستنيل
وعين وادٍ بها تسيل • من فوق خدله أسيل
كم من ظلال به ترف • تضفوله فوقها ستور • ومن زجاج به يشف
ما بين نور وبين نور • ومن شموس بها اتصف • تديرها بينها البدور
مزاجها العذب سلسبيل • ياهل الى رشفها سبيل
وكيف والشيب لي عذول • وصبغه صفرة الاصيل
يا سرحة في الحمى ظليله • كم نلت في ظلك المنى • روضك الله من خميله
يجنى بها أطيب الجنى • وبرقها صادق المخيله • ما زال بالغيث محسنا
أنجز لي وعدك القبول • فلم أقل مثل من يقول
يا سرحة الحي يا مطول • شرح الذي بيننا طول
(ومن ذلك ما كتب به الى الغني بالله)
(الطلع)
أبلغ لغرناطة السلام • وصف لها عهدي السليم
فلو رعى طيفها ذمام • ما بت في ليلة السليم
كم بت فيها على اقتراح • أعل من خمرة الرضاب • أدير فيها كؤس راح
قد زانها الثغر بالحباب • أختال كالمهر في الجلاح • نشوان في روضة الشباب
أضاحك الزهر في الكمام • مباهيا روضه الوسيم
وأفضح الغصن في النوام • ان هب من جوها النسيم
بينا أنا والشباب ضاف • وظله فوقنا مديد • ومورد الانس فيه صاف
وبرده رائق جديد • اذ لاح في الغود غير خاف • صبح به نبه الوليد
أيقظ من كان ذا منام • لما تجلى ليله البهيم

قوله أنجز الخ في نسخة أنجز وعد النا الخ اه

وأرسل الدمع كالغمام * فى كل وادبه أهيم

ياجيرة عهدهم كريم * وفعلهم كالجميل * لاتعذلوا الصب اذ يهيم
ففلبه قد صبا جميل * القرب من ربعكم نعيم * وبعدكم خطبه جليل
كم من رياض به وسام * يزهى بها الرائض المديم
غديرها أزرق الجمام * ونبتها كله جميم

أعندكم انني بفاس * أكابد الشوق والحنين * أذكر أهلى بها وناسى
واليوم فى الطول كالسنين * الله حسبى فكم أقاسى * من وحشة الصب والبنين
مطرحا ساجع الحمام * شوقا الى الالف والحميم
والدمع قد لج فى انسجام * وقد وهى عقده النظيم

ياساكنى جنة العريف * أسكنتم جنة الخلود * كم ثم من منظر شريف
قد حف باليمن والسعود * ورب طود به منيف * أدواحه الخضر كالبنود
والنهر قد سل كالحسام * لراحة الشرب مستديم
والزهر قد راق بالتسام * مقبلا راحة النديم

بلغ عبيد المقام صحبى * لازلتم الدهر فى هنا * لقاكم بغية المحب
وقربكم غاية المنى * فعندكم قد تركت قلبى * فجدد الله عهدنا
ودارك الشمل بانتظام * من يرتجى فضله العميم
فى ظل سلطاننا الامام * الطاهر الطاهر الجميم

مؤمن العدوتين مما * يخاف من سطوة العدا * وفارج الكرب ان ألما
ومذهب الخطب والردى * قد راق حسنا وفاق حلما * وما عدا غير مابدا
مولاى يانخبة الانام * وحائز الفخر فى القديم
كم راقب البدر فى التمام * شوقا الى وجهك الكريم

ومنها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التى أولها (ليل الهوى يقظان) وهى (المطلع)

نواسم البستان * تنثر سلك الزهر
والطل فى الاغصان * ينظمه بالجوهر
وواحة الاصباح * أضاء منها المشرق * تنشرها الارواح
فلا تزال تخفق * والزهر زهر فاح * لها عيون ترمق
فأيقظ الندمان * يبصرن عالم يبصر
جواهر الشبان * قد عرضت للمشترى
قد حث لى زندا * ياأيها البارق * أذكرتنى عهدا
اذ الشباب رائق * فالشوق لايهدا * ولا الفؤاد الخافق
وكيف بالسلوان * والقلب رهن الفكر
وصعب الهجران * تحجب وجه القمر

قوله وفعلهم الخ فى نسخة وكل فعل لهم الخ اه

لولا شموس الكاس * يديرها بين البدور * وأعرج الايناس
منا على ربع الصدور * لكن لها وسواس * يغرى بربات الخدور
كم واله هيمان * يصبح وجه مسفر
ضياؤه قد بان * من تحت ليل مقمر
يا مطلع الانوار * كم فيك من مرأى جميل * ونزهة الابصار
ماضر لو تشفى الغليل * ياروضة الازهار * وعرفها يبرى العليل
قضيبك الفتان * يسقى بدمع هتمر
فلاعج الاشجان * فيض الدموع يجرى
هل فى الهوى ناصر * أوهل يجار الهائم * لو كان لى زائر
طيف الخيال الحائم * مابت بالساهر * ودمع عينى ساجم
والحب ذو عدوان * يجهد فى ظلم البرى
وصارم الاجفان * مؤيد بالحور
رحمالك فى صب * أذكرته عهد الصبا * بواعث الحب
قادت اليه الوصبا * لم تهتف بالقلب * ريح الصبا الاهبا
بليلة الاردان * قد ضمخت بالعنبر
يشير غصن البان * منها بفضل المئزر
طيبها احمد * فخر الملوك المجتبى * من برج الطود
من حلمه اذا احتبى * قد جرد السعد * منه حساما مذهبا
فالبأس والاحسان * والغوث للمستنصر
تحمله الركبان * تحية للمنبر
عصابة الكتاب * حق لها الفوز العظيم * تختال فى أثواب
حق لها الفخر الجسيم * فحسبها الاطناب * فى الحمد والشكر العميم
خليفة الرحمن * لازلت سامى المظهر
يا مورد الظمآن * ورأس مال المعسر
خذها على دعوى * تزرى على الروض الوسيم * جاءت كما تهوى
أرق من لدن النسيم * قد طارحت شكوى * من قال فى الليل البهيم
ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم من عينى برى
(وله فى الصبوحيات)
ريحانة الفجر قد أطلت * خضراء بالزهر تزهر
ورأية الصبح قد اظلت * فى مرقب الشمس تنشر
فالشهب من غارة الصباح * ترعد خوفا وتخفق * وأدهم الليل فى جماح
أعنة البرق يطلق * والافق فى ملتقى الرياح * بأدمع الغيث يشرق

والسحب بالجوهر استهلت * فالبرق سيف بجوهر
صفاحه المذهبات حلت * فى راحة الجو تشهر
كم للصبا ثم من مقيل * بطيبه الزهر يشهد * والنهر كالصارم الصقيل
فى حلية النور يغمد * ورب قال به وقيل * للطير فى حسن تنشد
فألسن الورق قد أملت * مدائحا عنه تشكر
ونسمة الصبح قد تجلت * فى سندس الروض تعثر
والكاس فى راحة النديم * يجلو بها غيهب الهموم * اقبست النار فى القديم
من قبل أن تخلق الكروم * والنهر فى ملعب النسيم * للزهر فى عطفه رقوم
قلبة الحلى قد تحلت * والطل فى الحلى جوهر
وبهجة الكون قد تجلت * والروض بالحسن يبهر
يذكرنى وجنة الحبيب * والآس فى صفحة العذار * وشارب الشارب العجيب
بين اقاح وجلنار * يدير من ثغره الشنيب * سلافة دونها العقار
حلت لاهل الهوى وجلت * بالذكر والوهم تسكر
كم من نفوس بها تسلت * فمالها الدهر منكر
يا غصن بان يميل زهوا * ريان فى روضة الشباب * لو كنت تصغى لرفع شكوى
أطلت من قصة العتاب * ومن لمثلى يبيت نجوى * للبدر فى رفرف السحاب
عزائم الصبر فيك حلت * وعقدة الصبر تذخر
قد أكثرت منك ما استقلت * وليت لو كنت تشعر
كم ليلة بتها وبتنا * ضدين فى السهد والرقاد * أسامر النجم فيك حتى
علمت أجفانها السهاد * أرقب بدر الدجا وأنتا * قد لحت فى هالة الفؤاد
نفسى وليت ما تولت * دعها على الشوق تصبر
لو سمتها الهجر ما تولت * ولم تكن عنك تنفر
علمها الصبر فى الحروب * سلطاننا عاقد البنود * معفر الصيد للجنوب
أعز من حف بالجنود * نصرت بالرعب فى القلوب * والبيض لم تبرح الغمود
عناية الله فيه جلت * بسعده الدين ينصر
والخلق فى عصره تملت * غنائما ليس تحصر
مولاى يا كنة الزمان * دار بما ترتضى الفلك * جللت باليمن والامان
كل مليك وما ملك * لم يدر وصفى ولا عيانى * أملك أنت أم ملك
جنود ك الغلب حيث حلت * بالفتح والنصر تحصر
وعادة الله فيك دلت * انك بالكفر تظفر
يا آية الله فى الكمال * ومحجل البدر فى التمام * قد مت بالعز والجلال
والدهر فى ثغره ابتسام * يختال فى حلة الجمال * والبدر قد عاد فى اختتام
ريحانة الفجر قد أطلت * خضراء بالزهر تزهر

ورايةُ الصبح قد أظلت * فى مرقب الشرق تنشر

(وقال سامحه الله تعالى)

قد طلعت رايةُ الصباح * وآذن الليل بالرحيل
فباكر الروض باصطباح * واشرب على زهره البليل
فالورق هبت من السنات * لمنبر الدوح تخطب * تسجع مفتنة اللغات
كل عن الشوق يعرب * والغصن بعد الذهاب يأتى * لاكؤس الطل يشرب
وأدمع السحب فى انسياح * فى كل روض لها سيل
والجو مستبشر النواحى * يلعب بالصارم الصقيل
قم فاغتنم بهجة النفوس * ما بين نور وبين نور * وشفع الصبح بالشموس
تدبرها بيننا البدور * ونبه الشرب للكؤس * تمزج من ريقة الثغور
ما أجل الراح فوق راح * صفراء كالشمس فى الاصيل
تغادر الصدر ذا انشراح * للانس فى طبعه مقيل
ولا تذر خمرة الجفون * فسكرها فى الهوى جنون * ولتخش من أسهم العيون
فانها رائد المنون * عرضت منها الى الفنون * وكل خطب لها يهون
أهيم بالغادة الرداح * والجسم من حبها عليل
لوبت منها على اقتراح * نقعت من ريقها الغليل
أواعد الطيف للمنام * ومن لعينى بالمنام * أسهر فى ليلة التمام
وأنت يا بدر فى التمام * وألثم الزهر فى الكمام * عليه من ثغرك ابتسام
سفرت عن مبسم الاقاح * وريقك العذب سلسبيل
قل لى يا رية الوشاح * هل لى الى الوصل من سبيل
يا كعبة الحسن زدت حسنا * وللهوى حولك المطاف * وغصن بان اذا تثنى
لوحان من زهرك التطاف * الا انعطاف على المعنى * فالغصن يزهى بالانعطاف
أصبحت تزهو على الملاح * بذلك المنظر الجميل
ووجهك الشمس فى اتضاح * لوانها لم تكن تميل
ما الزهر الا بنظم درّ * تحسد فى حسنه العقود * للملك الظاهر الاغرّ
أكرم من حف بالسعود * محمد الجد وابن نصر * وباسط العدل فى الوجود
مساجل السحب فى السماح * بالغيث من رفده الجليل
ومخجل البدر فى الملاح * بغرّة مالها مثيل
يا مشرب الحب فى القلوب * وواهب الصفح للصفاح * نصرت بالرعب فى الحروب
والرعب أجدى من السلاح * قد لحت من عالم الغيوب * لم تعدم الفوز والفلاح
مواكب نهبة افتتاح * والصنع فى فتحها جليل
بشراك بالفتح والنجاح * والشكر من ذلك القبيل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

(المطلع)

فى كؤس الثغر من ذاك اللعس * راحة الارواح
وتغشى الروض مسكى النفس * عاطر الارواح
وكسا الادواح وشيا مذهبا * يبهر الشمسا
مسجد قد حل من فوق الربا * يهج النفسا
فاتخذ للهو فيه مركبا * تلحق الانسا
منبر الغصن عليه قد جلس * ساجع الادواح
حامل السندس خضرا قد لبس * عطفه المرتاح
ثم ترى هذا الاصيل شاحبا * حسنه قد راق
ولاذيال الغصون ساحبا * فى حلى الاوراق
ونديم قال لى مخاطبا * قول ذى اشفاق
عادة الشمس بغرب تختلس * هات شمس الراح
ان أرانا الجو وجها قد عبس * أوقد المصباح
ووجوه الشرب تغنى عن شموس * كلما تجلى
بلحاظ اسكرتنا عن كؤس * خمرها أحلى
مظهرات من خفايا فى النفوس * سورا تتلى
مازمان الانس الا مختلس * فاغتنم ياصاح
وعيون الشهب تذكى عن حرس * تخصم النصاح
ماترى ثغر الوميض باسما * يظهر البشرا
وثناء الروض هبّ ناسما * عاطر النشرا
بث من أزهاره دراهما * قائلا بشرى
ركب المولى مع الظهر الفرس * وسقى وارتاح
يجنود الله دأبا يحترس * ان غدا أوراح
وجب الشكر علينا والهنا * بعضنا بعضا
فزمان السعد وضاح السنا * وجهه الارضى
اثمرت فيه العوالى بالمنى * ثمر اغضا
يجتنى الاسلام منها ما اغترس * سيفه السفاح
فى ضمير النقع منها قد همس * شهب تلتاح
ياامامًا بالحسام المنتضى * نصر الحقا
ثغرك الوضاح مهما أومضا * أخجل البرقا
ودبون السعد منه تقتضى * توسع الحقا
للوجه من صباح مقتبس * بشره وضاح
وجميل الصفح منه ملتمس * منعم صفاح

هاكها تمزج لطفا بالنسيم * كلما هبا
قد أتت بالبر والصنع الجسيم * تشكر الربا
أخجلت من قال فى الصبح الوسيم * مغرما صبا
غرد الطير فنبه من نعس * يامدير الراح
وتعرى الفجر عن ثوب الغلس * وانجلى الاصباح

(وقال أيضا سامحه الله تعالى)

(المطلع)

قد أنعم الله بالشفاء * واستكملت راحة الامام
فلتنطق الطير بالهناء * وليضحك الزهر فى الكمام

وجوده بهجة الوجود * وبرؤه راحة النفوس * قد لاح فى مرقب السعود
واستنارت أوجه الشموس * فالدوح تومى الى البنود * اكمامه غطت الرؤس
والزهر فى روضة السماء * كالزهر قد راق بابتسام
والصبح مستشرف اللواء * والبدر مستقبل التمام
محاسن الكون قد تجلت * جمالها العقل يبهر * عرائس بالبها تحلت
والطل فى الحلى جوهر * وألسن الورق قد أملت * مدائحا عنه تشكر
تستوقف الخلق بالغناء * كانها تحسن الكلام
تطنب لله فى الثناء * تقول سلمت يا سلام
كم من ثغور لها ثغور * تبسم ابتهاجها البشير * ومن خدور بها بدور
يشير منها له المشير * تقول اذ حفها السرور * تبارك المنعم القدير
قد أنعم الله بالبقاء * فى ظل مولى به اعتصام
قد صادف النجم فى الذراء * فالداء عنه انفصام
يهنيك مولاى بل يهنى * ببرئك الدين والهدى * فالغرب والشرق منك يعنى
يمذهب الخطف والردى * والله لولاك ما تهنا * ما فيه من سطوة الردى
يامورد الانفس الظماء * قد كاد يشتفها الاوام
وقرة العين بالبهاء * رددت للاعين التمام
لو أبذل الروح فى البشاره * بذلت بعض الذى ملكت * فانت يانفس مستعاره
مولاى بالفضل جلت * لم أدر اذ سطر العباره * أملت هو أم ملكت
لازلت مولاى فى هناء * مبلغ القصد والمرام
ودمت للملك فى اعتلاء * تسحب أذياله التمام

(وقال فى مالقة)

(المطلع)

عليك يارية السلام * ولا عدا ربعك المطر
مذ حل فى قصرك الامام * فقربك السؤل والوطر

والدوح فى روضك الانيق * للشكر قد حطت الرؤس * والغصن فى نهره غريق
وفى حلاه كما عروس * والجو من وجهه الشريق * تحسده أوجه الشموس
وأعين الزهر لا تنام * تستعذب السهد والسهر
ينفث من تحتها الغمام * يرقيك من أعين الزهر
عروسة انت ياعقيله * تجلى على مظهر الكمال * مدت لك الكف مستقيله
تمسح أعطافك الشمال * والبحر مرآتك الصقيله * تشف عن ذلك الجمال
والحلى زهر له انتظام * يكلل القضب بالدرر
قد راق من ثغره ابتسام * والورد فى خدها خفر
ان قيل من بعلها المفدى * ومن له وصلها مباح * أقول أسنى الملوك ردا
مخلد الفخر بالصفاح * محمد الحد حين يهدى * ثناؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام * والخبر يغنى عن الخبر
فالسعد والرعب والحسام * والنصر آياته الكبر
ذو غرة تسحر البدورا * وطلعة تخجل الصباح * كم راية سامها ظهورا
تطال الاوجه الصباح * وكم جهاد جلاه نورا * أظفر بالفوز والنجاح
الطاهر الظاهر الهمام * أعز من صال وافتخر
لسيفه فى العدا احتكام * جرى به سابق القدر
يامرسل الخير فى الغوارى * لو تطلب البحر تلحق * لك الجوارى اذا تجارى
سوابق الشهب تسبق * تستن فى لجة البحار * فالكفر منهن يغرق
فالدين وليقصر الكلام * بسيفك اعتز وانتصر
كذاك اسلافك الكرام * هم نصروا سيد البشر

وقال من غير هذا البحر فى المحدث بمالقة

(المطلع)

قد تطم الشمل أتم انتظام * واغتنم الاحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعم النور رؤس الربا * وجلل النور صدور البطاح * وصافح القضب نسيم الصبا
فالزهر يرنو عن عيون وقاح * وعاود النهر زمان الصبا * فقلد الزهر مكان الوشاح
وأطلق القصر برود التمام * فى طالع الفتح القريب الغريب
خدودها قامت مقام الغمام * فلا اشتكى من بعدها بالمغيب
أصبحت ياريه مجلى النفوس * جمالك العين بها يبهر * والبشر يسرى فى جميع الشموس
وراية الانس بها تشهر * والدوح للشكر نحط الرؤس * وأنجم الزهر بها تزهر
وراجع النهر غناء الحمام * وقد شدت تسجع مجمع الخطيب
بمنبر الغصن الرشيق القوام * لما انثنى يهفو بقد رطيب
ياحبذا مبناك فخر القصور * بروجه طالت بروج السما * مامثله فى سالفات العصور

ولا الذى شاد ابن ماء السما * كم فيه من مرأى بهيج ونور * فى مرتقى الحق به قد سما
خليفة الله ونعم الامام * أتحفك الدهر بصنع عجيب
يهنيك شمل قد غدا فى التئام * ممهدا فى ظل عيش خصيب
نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نورهم يشرق * وروضة بالسر منه تبوح * بلابل عن وجده تنطق
لو أن من يفهم عنها الكلام * فهى تهنيك هناء الاديب
ونهره قد سل منه الحسام * يلحظه النرجس لحظ المريب
فأجل الايام عصر الشباب * وأجل الاجمال يوم اللقا * يا درة القصر وشمس القباب
وهازم الاحزاب فى الملتقى * بشرك الرب بحسن المآب * متعك الله بطول البقا
ولا يزال القصر قصر السلام * يختال فى برد الشباب القشيب
يتلو عليك الدهر فى كل عام * نصر من الله وفتح قريب

وقال من المخلع فى الشفاء

(المطلع)

فى طالع اليمن والسعود * قد كملت راحة الامام
فأشرق النور فى الوجود * وابتسم الزهر فى الكمام
قد طلعت راية النجاح * وانهزم البؤس والعنا * وقال حى على الفلاح
مؤذن القوم بالمنى * فالدهر يأتى بالاقتراح * مستقبلا أوجه الهنا
تخفق منشورة البرود * والسعد يقدم من أمام
والانس مستجمع الوفود * واللطف مستعذب الجمام
وأكؤس الطل مترعات * بأنمل السوسن الندى * والطير مفتنة اللغات
تشدو بأصوات معبد * والغصن يذهب ثم يأتى * بالسندس الغض مرتدى
والدوح يومى الى السجود * شكرا لذى الانعم الجسام
والريح خفاقة البنود * تباكر الروض بالغمام
مظاهر للجمال تجلى * قد هز أعطافها السرور * وباهر الحسن قد تجلى
ما بين نور وبين نور * قد هنأت بالشفاء مولى * بعصره تفخر العصور
ما بين بأس وبين جود * قد مهد الامن للانام
فالدين ذو أعين رقود * وكان لا يطعم المنام
والكاس فى راحة السقاة * تروح طورا وتغتدى * يهديكها رائق السمات
ما بين برق وفرقد * والشمس تذهب للبنات * قد لبست ثوب عسجد
والزهر فى اليانع المجود * يقابل الشرب بابتسام
والروض من حلية الغمود * قد جرد النهر عن حسام
مولاى يا أشرف الملوك * وعصمة الخلق أجمعين * أهديك من جوهر السلوك
يقذفه بحرك المعين * جعلت تنظيمه سلوكى * وأنت لى المنجد المعين

تحية الواحد المجيد * ورحمة الله والسلام
عليك من راحم ودود * يا مخجل البدر فى التمام

وقال من الرمل المجزو

وجه هذا اليوم باسم * وشذا الازهار ناسم
هاتها صاح كؤسا * جالبات للسرور * وارتقب منها شموسا
طالعات فى حبور * ماترى الروض عروسا * فى حلى نور ونور
وأنت رسل النواسم * تجتلى هذى النواسم
قد أهلت بالبشائر * اضحكت ثغر الازاهر * سنحت فى يمن طائر
ونظمن كالجواهر * فانشروها فى العشائر * ان هذا الصنع باهر
وأشيعوا فى العوالم * الغنى بالله سالم
أى نور يتوقد * أى بدر يتلالا * أى فخر يتخلد
أى غيث يتوالى * انما المولى محمد * رحمة الله تعالى
كفه بحر المقاسم * وبها ج المباسم
خير أملاك الزمان * من بنى سعد ونصر * ماترى أن الشوانى
فى صعيد البر تجرى * قد أطارتها التهانى * دون بحرى وبحر
مذرأت بحر النعائم * كلها جار وعائم
فهنيأ بالشفا * يا أمير المسلمين * ولنا حق الهنا
وجميع العالمين * ان جهرنا بالدعا * ينطق الدهر أمين
دمت محروس المكارم * بظبا البيض الصوارم

وقال يهنى السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان وقد وجه اليه الغنى بالله أمه وعياله عند تملكه المغرب من قبله

(المطلع)

قد تظم الشمل أتم انتظام * ولاحت الانوار بعد المغيب
وأضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعاود الغصن زمان الصبا * وأشرب الانس جميع النفوس * وعمم النور رؤس الربا
وجلل النور وجوه الشموس * وأطرب الغصن نسيم الصبا * فالدوح للشكر تحط الرؤس
واستقبل البدر ليالى التمام * وصافح الصبح بكف خضيب
وراجع الاطيار سجع الحمام * بكل ذى لحن بديع غريب
نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نوره يشرق * وعرفه بالطيب منه يفوح * كأنه من عنبر يفتق
والنهر قد سل كمثل الحسام * حبابه تطفو وطورا تغيب
وثغره قد راق منه ابتسام * يهنى الاحباب بقرب الحبيب
كواكب ابراجهن الخدور * يلوح منها كل بدر لياح * جواهر اصدافهن القصور

تقاصرها السعد كنظم الوشاح * ياحبذا والله ركب السرور * يبشر المولى بنيل اقتراح
ابتهج الكون بموسى الامام * واختال فى برد الشباب القشيب
وعادة يخدم مثل الغلام * شبابه قد عاد بعد المشيب
أكرم به والله وفد الكريم * مولى سنا الحرة فى مقدمه * مرضاتها تحظى بدار النعيم
وتوجب التوفيق من منعمه * بشره النصر وفتح جسيم * وخيره أجمع فى مقدمه
لقاؤها المبرور مسك الختام * بشرك الله بصنع عجيب
وتصرك الميمون قصر السلام * خط بحفظ من سميع مجيب
مولاى يهنيك وحق الهنا * قد نظم الشمل كنظم السعود * قد فزت بالفخر ونيل المنى
وأنجز السعد جميع الوعود * وقرت العين وزال العنا * وكلما مر صنيع يعود
ولا يزل ملكك حلف الدوام * يحوز فى التخليد أوفى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام * نصر من الله وفتح قريب
(وقال رحمه الله تعالى فى وصف غرناطة والطرد وغيرهما)
لله ما أجمل روض الشباب * من قبل أن يفتح زهر المشيب
فى عهده أدرت كاس الرضاب * حبابها الدر بثغر الحبيب
من كل من يخجل بدر التمام * اذا بدى وجهه للعيون * ويفضح الغصن بلين القوام
وأين منه لين قد الغصون * ولحظه يمضى مضاء الحسام * ويذهل العقل بسحر الجفون
أبصرت منه اذ يحط النقاب * شمسا ولكن مالها من مغيب
اذا تجلت بعد طول ارتقاب * صرفت عنها اللحظ خوف الرقيب
من عاذرى منه فؤادا صبا * للامع البرق وخفق الرياح * يطير ان هب نسيم الصبا
تعيره الريح خفوق الرياح * ما أوجع الصب بعهد الصبا * وهل على من قد صبا من جناح
فقلبه من شوقه فى التهاب * قد أحرق الاكباد منه الوجيب
والجفن منه سحبه فى انسكاب * قد روض الخد بدمع سكيب
غرناطة ربع الهوى والمنى * وقربها السؤل ونيل الوطر * وطيبها بالوصل لو امكنا
لم أقطع الليل بطول السهر * عما قريب حق فيها الهنا * بيمن ذى العودة بعد السفر
ويحمد الناس نجاح الاياب * بكل صنع مستجد غريب
ويكتب الفال على كل باب * نصر من الله وفتح قريب
مالذة الاملاك الا القنص * لانه الفال بصيد العدا * كم شارد جرع فيه الغصص
وأورد المحروب ورد الردى * وكم بدا الفحص لنا من حصص * قد جمع البأس بها والندى
ومنها بعد أبيات من الوزن والروى
مولاى مولاى وأنت الذى * جددت للاملاك عهد الجلال * والشمس والبدر من العوذ
لما رأت منك بديع الجمال * والروض فى نعمته يغتذى * بطيب ما قد حزته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب * تستضحك الروض بثغر شنيب
ودمت محروس العلا والجناب * بعصمة الله السميع المجيب

انتهى

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك من كتاب ابن الاحمر رحمه الله تعالى وقد عرفت منه ما تسنى للغنى بالله بن الاحمر من الفتوحات والسعود ونفاذ الامر على ملوك المغرب فهو الاحق بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

ملك اذا عاينت منه جبينه * فارقته والنور فوق جبينى
واذا لثمت يمينه وخرجت من * أبوابه لثم الملوك يمينى

وكان الغنى بالله المذكور معتقدا فى الصالحين حتى انه كتب وهو بفاس مخلوع الى ضريح ولى الله سيدى أبى العباس السبتى بمراكش من انشاء وزيره لسان الدين على لسانه (ياولى الاله أنت مطاع) الابيات والنثر بعدها وقد ذكرتها فى الباب الخامس فراجعه وكان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه الى ملكه ونظم تلك الاماكن فى سلكه حتى حصل له من السعد مالم يحصل لغيره حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زمرك وغيرهما (والسبتى المذكور) هو سيدى أبو العباس أحمد بن جعفر السبتى الخزرجى الولى الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة والمناقب الكثيرة والاحوال الباهرة والفضائل الظاهرة والاخلاق الطاهرة نزيل مراكش وبها توفى سنة احدى وستمائة وولادته بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة ودفن خارج مراكش وقبره مشهور مقصود باجابة الدعاء وقد زرته مرارا كثيرة فرأيت عليه من ازدحام الناس مالا يوصف وهو ترياق مجرب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدى أبو العباس السبتى رضى الله تعالى عنه مقصودا فى حياته مستغاثا به فى الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ومبنى أمره على انفعال العالم عن الوجود وكونه حكمة فى تأثير الوجود له فى ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفى ظهر هذا الاثر على تربته وتشبث بلحده وانسحب على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة الى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصى تحملهم أجنحة نياتهم فتهوى اليه بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة * وقال ابن الزيات كان أبو العباس قد أعطى بسطة فى اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد الا أخرسه ولا يسأله الا أجابه كان القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه يأتيه المنكرون للانكار فما ينصرفون الا مسلمين منقادين وشأنه كله عجيب وهو من عجائب الزمان * وحدثنى مشايخنا انهم سمعوه يقول أنا القطب * وحدثنى أبو الحسن الصنهاجى من خواص خدامه قال خرجت معه مرة الى مر يج غابة الرمان يوم عرفة فجلسنا هنالك وصلينا فقال لى انما سمى هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعرف اليه بالطاعات وقد فاتنا عرفة فنعمل نمثل بهذا المكان ونعمل كما يعمله ون اعلم الله تعالى يتغمدنا برحمته معهم فعمل مكانا دائرا بعين الكعبة ومحل عنصر الماء الحجر ووضعا آخر مقام ابراهيم فطاف بالعين اسبوعا وأنا أطوف بطوافه وكبر على العنصر فى كل طواف وصلى قبل المقام ركعتين تامتين وأطال

قوله وكونه حكمة الخ فى نسخة وكونه مبدأ للوجود له الخ ولينظر اه

فى سجود الثانية ثم استند الى الشجرة ثم قال لى ياعلى اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى فان الله تعالى وعد فى هذا اليوم من تعرف له أن يقضى حوائجه فقلت له ما أريد الا التوفيق فقال لى ماخرجت معك من باب المدينة حتى وفقت فسألته عن حاله من بدايته الى نهايته وبم تنفعل له الاشياء و يستجاب له الدعاء ولم صار يأمر بالصدقة والايثار من شكا اليه حالا أو تعذر عليه مطلب فى هذه الدار فقال لى ما آمر الناس الا بما ينتفعون به وانى لما قرأت القرآن وقعدت بين يدى الشيخ أبى عبد الله الفخار تلميذ القاضى عياض ونظرت فى كتب الاحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان فتدبرته وقلت أنا مطلوب فلم أزل أبحث عنها الى أن وقفت على أنها نزلت حين آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وانهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة فأمرهم بالمشاطرة ففهمت أن العدل المأمور به فى الآية هو المشاطرة ثم نظرت الى حديث تفترق أمتى على ثلاثين فرقة الحديث وانه صلى الله عليه وسلم قاله صبيحة اليوم الذى آخى فيه بين المهاجرين والانصار وذكر له الانصار انهم شاطروا المهاجرين فقال لهم ذلك باثره فعلمت أن الذى هو عليه وأصحابه المشاطرة والايثار فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتينى شئ الا شاطرت فيه الفقراء فعملت عليه عشرين سنة فأثمر لى الحكم بالخاطر فلا أحكم على خاطرى بشئ الا صدق فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل والاحسان مازاد عليه فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتينى قليل ولا كثير الا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى فعملت عليه عشرين سنة فأثمر لى الحكم فى الخلق بالولاية والعزل فأولى من شئت وأعزل من شئت ثم تطرت بعد ذلك فى أول ما فرضه الله تعالى على عباده فى مقام الاحسان فوجدت شكر النعمة بدليل اخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ووجدت أصناف من تصرف اليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة أصناف أخر أصرفها فيها للاحسان والزيادة وذلك ان لنفسك عليك حقا وللزوجة حقا وللرحم حقا ولليتيم حقا وللضيف حقا وذكر صنفين آخرين فانتقلت لهذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتينى أمسك سبعيه حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة اسباع لمستحقيها فأتت عليه أربعة عشر عاما فأثمر لى الحكم فى السماء فتى قلت يارب قال لى لبيك ثم قال لى انها نهايتى بقام عمرى وهو أن تنقضى لى ستة أعوام تكملة العشرين عاما (قال) الصنهاجى فأرخت ذلك اليوم فلما مات وحضرت جنازته تذاكرت التاريخ المكتوب وحققت العدد فنقصت من ستة الاعوام ثلاثة أيام خاصة فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب * وقال أبو بكر بن مساعد جاء بعض السلاطين الى أبى العباس وهو راكب وقال له الى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق فقال له هو الاحسان فقال له بين لى فقال له كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبيده * وقال له أبو الحسن الخباز أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء فقال انما حبس المطر لبخلهم فلو تصدقوا لمطروا فقل لاصحابك الفلاحين تصدقوا بمثل ما انفقتم تمطروا فقال له لا يصدقنى

أحد ولكن مرني في خاصة نفسي فقال له تصدق بمثل ما أنفقت فقال له ان الله تعالى لا يعامل بالدين ولكن استلف فاحتال وتصدق بها كما أمره قال فخرجت الى البصرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر فأيست من المطر ورأيت جميع ما غرست مشرفا على الهلاك فأقمت ساعة فاذا سحابة أمطرت البحيرة حتى رويت وظننت أن الدنيا كلها مطرت فخرجت فاذا المطر لم يتجاوزها انتهى * والحكايات عنه في مثل ذلك كثيرة * وقال ابن الخطيب القسطمونى في رحلته حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبي العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الاولياء فقال له لا تنقطع بالموت الكرامة انظر الى السبتي يشير الى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات سمعت يهوديا بمراكش يلج الذكر وينادي باسمه في أمر أصابه مع المسلمين فسألته عن سببه فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن فسألته عما بدا له في وقت فقال لي وحق ما أنزل على موسى بن عمران ما أذكر لك الا ما اتفق لي سريت ليلة مع قافلة في مفازة فعرجت دابتي فاشككت في قتلي وسلب مالي فجلست وبكيت وبيني وبين الناس بعد وقلت يا سيدي أبا العباس خاطرك قال لي والله ما اتممت الكلام الا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به وضربت دابتي وخف عرجها ثم زال واتصلت بالناس فقلت له ولم لا تسلم فقال حتى يريد الله تعالى وعجبت من كون ذلك ليهودي وهذه شهادة من عدو في الدين * ولقد وقفت على قبره مرات وسألت الله تعالى في أشياء يسر لي فيها سؤلي منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به وأن ييسر علي فهم كتب عينتها فيسر الله تعالى علي ذلك في أقرب مدة * وكان السبتي آية في أحواله ما أدرك صحبته الا الخواص من الناس وكان أصل مذهبه الحض على الصدقة وكان أمره عجبا في اجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر وقال لاصحابه أنا القطب وكان تفقه على أبي عبد الله الفخار ووقفت على قبره وله بركات وأنوار * وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيرا جدا فصفح وتجاوز * ورأى عبد الرحمن بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله ما تقول في السبتي قال وكنت سيئ الاعتقاد فيه فقال لي بعد أن تبسم هو من السباق قال فقلت بين لي يا رسول الله فقال هو ممن يمر على الصراط كالبرق قال فخرجت بعد الصبح فلقيني أبو العباس فقال لي ما رأيت وما سمعت والله لا تركتك حتى تعرفني فعرفته فصاح كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم انتهى ببعض اختصار * وقال ابن الزيات وحدثني أبو العباس الصنهاجي وغيره أن رجلا يعرف بابن السكاك وكان غنيا فدار عليه الزمان وافتقر حدث انه وصل لابي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته فشكا اليه حالته فأخذ بيده الى أن خرج معه من باب تاغزوت فجاء الى مطهرة هنالك قال فدخل أبو العباس المطهرة وتجرد من أثوابه وناداني وقال لي خذ هذه الثياب فاخذتها وكان بعد العصر فأردت أن أرى ما يكون من أمره فصعدت الى حائط هنالك الى قرب المغرب فاذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب فلما رأيته نزلت اليه فقال لي أين

الفقيه أبو العباس فقلت هاهو فى الساقية عريان فقال لى أمسك الدابة فسمعت الفقيه يقول له أين تلك الثياب فأخذها منه وخرج فلما رآنى قال لى ومالك هنا قلت ياسيدى خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك فقال لى أفترى الذى فعلت ما فعلت له يتركنى ثم سألت الفتى عن سبب وصوله اليه فذكر له أن احدى الكرائم أمرته أن يحمل اليه تلك الثياب وقالت له لاتدفعها الا للفقيه ولا يلبسها الا هو وهذه قصة صحيحة مشهورة * وقال ابن الخطيب وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء ربما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعده الاقدار وزرتها فرأيت فى داخلها أشياخا من أهل التعفف والتصوف يسارقون خفية الناظر الى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها فيقعم ذو الحاجة بابها خالعا نعله مستحضرا نيته ويقعد بازاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدى النجوى صدقة على قبره ويدسها فى أوانى فى القبر معدة لذلك ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه فاذا خف الزائرون آخر النهار عمد القائم الى التربة الى ما أودع هنالك فى تلك الاوانى وفرقه على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها وان قصر عنهم كملوه فى غده * قال ابن الخطيب لسان الدين وترافع خدام الروضة لقاضى البلد وتخاصموا فى أمر ذلك الرزق المودع هنالك فسألهم القاضى عن خرجه اليوم فقالوا يحصل فى هذه الايام فى اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهبا عينا وربما وصل فى بعض الايام لالف دينار فما فوقها فروضة هذا الولى ديوان الله تعالى فى المغرب لايحصى دخله ولا تحصر جبايته فالقبر يفيض واللجين يسيل وذوو الحاجات كالطير تغدو خماصا وترجع بطانا يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال وأنا ممن جرب المنقول عن القبر فاطرد القياس وتزيفت الشبهة وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركته وشهد على برهان دعوته انتهى * وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلى فى كتابه التشوف الى رجال التصوف كان أبو العباس جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان مقتدرا على الكلام حليما صبورا يحسن الى من يؤذيه ويحلم على من يسفه عليه رحيما عطوفا محسنا الى اليتامى والارامل يجالس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ويحض على الصدقة ويذكر فى فضلها آيات وأحاديث ويأخذها ويفرقها على المساكين ويرد أصول الشرع الى الصدقة ويفسرها بها ويقول معنى قول المصلى الله أكبر أى من أن نضن عليه بشئ فمن رأى شيأ من متاع الدنيا فى نفسه أكبر لم يحرم ولا كبر ومعنى رفع اليدين للتكبير تخليت من كل شئ لا قليلا ولا كثيرا وهكذا يتكلم بنحو هذا فى جميع العبادات ويقول سر الصوم أن يجوع فاذا جعت تذكرت الجائع وما يقاسيه من نار الجوع فتتصدق عليه فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم الى غير ذلك من كلامه فى مثل هذا وكان اذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ويقول له تصدق ويتفق لذلك ما تريده وأخباره فى ذلك كثيرة عجيبة * قال التادلى وحدثنى ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه انه قال كان ابتداء أمرى وأنا صغير أنى سمعت كلام الناس فى التوكل ففكرت فى دقيقة فرأيت انه لا يصح الا بترك شئ ولم يكن

قوله لا يصح فى نسخة لا يصلح اه

قوله عندى منه فى نسخة عندى به اه

عندى منه فتركت الاسباب واطرحت العلائق ولم تتعلق نفسى بمخلوق فخرجت سائحا متوكلا وسرت نهارى كله فأجهدنى الجوع والتعب وقد نشأت فى رفاهية العيش وما مشيت قط على قدمى فبلغت قرية فيها مسجد فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء وخرج الناس فقمت لاصلى فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشى فصليت ركعتين وجلست أقرأ القرآن الى أن مضى جزء من الليل فاذا قارع يقرع الباب بعنف فاستجاب له صاحب الدار فقال له هل رأيت بقرتى فقال لا فقال انها ضلت وقد أكثر عجلها من الحنين فطلبها فلم يجدها فى القرية فقال أحدهم لعلها فى المسجد وقت العتمة ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدونى فقال صاحب البقرة ما أظنك أكلت الليلة شيأ فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن ثم ذهب ليأتينى بالماء فوجد بقرته فى داخل الدار فخرج لجيرانه وقال لهم مازالت البقرة من الدار وما كان خروجى الا لهذا الفتى الجائع فى المسجد ثم رغبنى أن أمشى معه لمنزله فأبيت وكان فى أول أمره يسكن فى الفندق ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الاجرة على ذلك وينفقها على طلبة العلم الغرباء ويمشى فى الاسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة ويأتى بالطعام على رأسه وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة فاذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فقام اليهم القيم بخدمته فقالوا له ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملونا اذا طلع الفجر للقصر فجاء القيم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك فأخذ أبو العباس فى الضحك ولا يبالى ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا لا خوف عليكم قد استوهبتكم من الله تعالى وهذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان ان شاء الله تعالى فقيل له الجزاء عندك على الافعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يوجب قتلهما بل جزاؤهما يرتوعان كما رتوعانا فقال العلماء ورثة الانبياء وترويعكم عظيم لا يقابله منكم الا القتل فما زلنا نعارضه فى ذلك حتى قال عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط

قوله الخزاز فى نسخة الجزار اه

ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الاعظم فوجد تابوته مفتوحا ورأى الحرسيين على قرب فلم يشك انهما حملا الى رحبة القصر قبل طلوع الفجر فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما كما أراد قتلكم فتبعناهما وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى وكان يقول أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان وأصل الشر فيهما البخل قال الله تعالى فأما من أعطى الآية وقال عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقال ومنهم من عاهد الله الآية وقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة وقال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال ليس البر أن تولوا وجوهكم وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية فهذه الامانة هى الرزق فاعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر والارض ما فيها من الماء النازل من الجبال والجبال ما فيها كذلك وأنبتت الارض وأبت امساكها فخزن الانسان جميعها عنده ومنع المساكين انه كان ظلوما جهولا وفى الحديث هم الاقلون ورب الكعبة الا من قال هكذا وهكذا الحديث ولما أراد الله

تعالى اهلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل فقال ربنا انك آتيت فرعون الى قوله دعوتكما وكان رضى الله عنه فى آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية أفرأيت الذى تولى الى قوله سوف يرى وكان يقول من قال ان الله تعالى لا يجازى على الصدقات فقد وافق اليهود فى الفرية على الله تعالى لانهم قالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم أى لا يجازى على الصدقات قال الله تعالى غلت أيديهم الى آخره أى يجازى على العطاء كيف شاء وكان يقول فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية انما كويت هذه المواضع لان الغنى يعرض عن المسكين بوجهه ثم بجنبه ثم بظهره فعوقبت هذه المواضع بالكى بالنار لاعراضه عن الفقير ومنازعه رحمه الله تعالى فى أمثال هذا كثيرة انتهى ملخصا * وحدث أبو اسحق ابراهيم بن أبى يعمور انه دخل صحبة الشيخ سيدى أبى العباس السبتى الى الامير السيد أبى سعيد عثمان يعوده فقال له ادع الله تعالى لى أيها الشيخ فقال له ارجع الى الله تعالى حق الرجوع بحيث تتحقق أنه الممرض والمعافى واخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لابناء الجنس لتكون ممن وقى شح نفسه فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ثم التفت الى الحاضرين وقال فى المرض فوائد لا ينبغى أن تجهل الاولى معرفة قدر العافية الثانية تمحيص بعض الذنوب الثالثة توقع الثواب الرابعة تنقية الجسم من فضول الاخلاط الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع اليه السادسة حدوث الرقة والشفقة السابعة وهى العظمى الصدقة والخروج عن رذيلة البخل انتهى * وحدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبى بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش انه توفى وأوصى ابنا له كان من اهل البطالة أن يعمد الى ألف دينار من متخلفه فيدفعها للشيخ سيدى أبى العباس السبتى ففعل وقال للشيخ ان أبى توفى وأوصانى أن أدفع اليك هذه الالف دينار تضعها حيث شئت فقال له الشيخ قد قبلتها وصرفتها اليك فقال له ياسيدى وما تأمرنى أن أفعل بها قال خذها قال فانصرفت من عنده وسؤت ظنا بقوله ثم قلت وانا أنفق مثل ذلك على عادتى فى الوجه الذى يلذ لى فلا فعان بها ما أفعل بغيرها فأخذتها فى محفظة وخرجت ألتمس الزنى فاذا امرأة على دابة وغلام يقودها فأشرت الى الغلام فقال لى نعم واتبعنى الى بستان لى فنزلت المرأة فأدخلتها الى قبة كانت فى البستان وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية وقال أغلق الباب ففعلت ثم أقبلت الى القبة فاذا المرأة تبكى بكاء شديدا حتى طال بكاؤها وبكيت لبكائها فقلت لها ما شأنك فقالت افعل ما دعوتنى لاجله ودع عنك هذا ونحيبها يزيد فقلت لها ان المعنى الذى دعوتك لاجله لا يصلح مع البكاء بل مع الانس وانشراح الصدر وزوال الانقباض ورفع الخجل فقالت نترك البكاء ونرجع للانس على ما تحب ويوفى غرضك فقلت لا حتى أعلم سبب بكائك وألححت عليها فقالت أتعرف حاجب الملك الذى سجنه قلت نعم قالت فأنا ابنته ولم يبق له أحد غيرى وقد سجنه الملك وأخذ أمواله فما زالت أبيع ما ترك أبى وأنفقه عليه حتى لم يبق بيدى شئ فلما أعيتنى الحيلة فيما أنفقه ألجأت نفسى ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لى أحد وجها قط فرميت لها بالالف دينار وقلت لها والله لاقربت منك على

هذا الوجه أبدا فأنفق الدنانير على والدك الى ان تنفدوا يعني لى غلامك أعلمه بمنزلى ولازمى دارك واستمرى على صيانتك والا فضحتك وتربنى والله لاأزال أبيع أملاكى وأنفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ثم خرجت ألتمس الغلام واذا بجماعة يطلبون البنت وقالوا ان الملك رضى عن والدها ورد عليه ضياعه وأملاكه ووصله بعشرة آلاف دينار وقعد يلتمس بنته فلم توجد فسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة وظن أن الامر على ماجرى بينى وبين البنت فبادرته وقلت له لاعليك فتجاهل فى خبرها حتى ينصرفوا ودخلت الى البنت وقلت لها ان الملك قد رضى عن والدك ورد عليه ماله ووصله فسيرى الى دارك فركبت دابتها وانصرفت فدخلت على والدها فقال لها أين كنت وما الذى أخرجك عن دارك وهم بها فقالت له أخرج عنى كل من فى الدار ففعل فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله الى آخره ورمت اليه بالالف دينار وقالت له هذا الذى أعطانى لانفق عليك فقال أبوها هذا والله هو الكبريت الاحمر والله لو كان أبوه كفاما أنفت أن أزوجك منه فوجه العبد الذى كان معها الى الشاب وقال له ان سيدى يدعوك قال فخفت ان يوضع عنده الامر على غير وجهه ثم أقدمت اقدام من علم براءة نفسه فدخلت عليه فقام الى وعانقنى وقد عرف لى مقامى وقال أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرت بك عينى وقال والله لو كان أبوك كفافا ما أنفت لبنتى أن أزوجك منها فقام من المجلس حتى وجه الى العدول وأشهد على نفسه بانه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ونقدها عنه الشطر الاول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك واجل لها عنه الشطر الثانى وأهدى لها من الحلى كذا وكذا ومن الثياب كذا وكذا حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك فحصل من اشارة الشيخ السبتى رضى الله عنه فى تلك الالف دينار على أضعاف مضاعفة من الاموال وظفر بينت حاجب الملك انتهى (رجع) الى ابن زمرك رحمه الله تعالى قال الشاطبى فى الاشارات والافادات ماصورته افادنى صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك اثر ايابه الى وطنه من رحلة العدوة فى علم البيان فوائد اذكر منها الآن ثلاثة الفقه فى اللغة وهو النظر فى مواقع الالفاظ وأين استعملتها العرب ومن مثل هذا الوجه قرم وعام اذا اشتهى لكن لايستعمل قرم الامع اللحم ولا يستعمل عام الامع اللبن فتقول عمت الى اللبن وكذلك قولهم أصفر فاقع وأحمر قانى ولا يقال بالعكس وهذا كثير والثانية تحرى الالفاظ البعيدة عن طرق الغرابة والابتذال فلا يستدل بالحوشى من اللغات ولا المبتذل فى ألسن العامة والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه اذا المقصود الوصول فى بيان المعنى الى أقصاه والاتيان بما يحصله سريعا ويمكنه فى الذهن وتحرى كل صيغة تمكن المعنى وتحرض السامع على الاستماع وأخبرنى أن كتاب المغرب يحافظون فى شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ويذمون ماعداها من طريقة المولدين وانها خارجة عن الفصاحة وهذه المعانى الثلاثة لاتوجد الا فيها انتهى ● وذكر من شرح بديعية الحلى من المغاربة وهو الشيخ النحوى عبيد الثعالبى فى شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبى عبد الله

المعروف بابن زمرك الاندلسي مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الاندلس وهو قوله

ولو أنشدت بين العذيب وبارق * لقال رواة الغرب ياحبذا الشرق انتهى ولم يظهر لي كل الظهور دلالته على حسن الختام ولا بد فالله سبحانه أعلم * وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بوشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي هذه

لو ترجع الايام بعد الذهاب * لم تقدح الايام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب * يوقظه الدهر بصبح المشيب

ياراكب العجز الانهضة * قد ضيق الدهر عليك المجال * لاتحسبن أن الصبا روضة
تنام فيها تحت ظل الظلال * فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
والعمر قد مر كمر السحاب * والملتقى بالله عما قريب
وأنت مخدوع بلمع السراب * تحسبه ماء ولا تستريب

والله ما الكون بما قد حوى * الا ظلال توهم الغافلا * وعادة الظل اذا ما استوى
تبصره منتقلا زائلا * انا الى الله عبيد الهوى * لم نعرف الحق ولا الباطلا
فكل من يرجو سوى الله خاب * وانما الفوز لعبد منيب
يستقبل الرجعى بصدق المتاب * ويرقب الله الشهيد الرقيب

ياحسرتا مر الصبا وانقضى * وأقبل الشيب بقص الاثر * واخلقنا والرحل قد قوضا
ومابقي في الخبر غير الخبر * وليتني لو كنت فيما مضى * ادخر الزاد لطول السفر
قد حان من ركب التصابي اياب * ورائد الرشد أطال المغيب
ياأكمه القلب بغير الحجاب * كم ذا أناديك فلا تستجيب

هل يحمد الزاد لدار المقيم * والمصطفى الهادي شفيع مطاع * فجاهه ذخر الفقير العديم
وحبه زادي ونعم المتاع * والله سماه الرؤف الرحيم * فجاره المكفول ما ان يضاع
عسى شفيع الناس يوم الحساب * وملجأ الخلق لرفع الكروب
يلحقني منه قبول مجاب * يشفع لي في موبقات الذنوب

يامصطفى والخلق رهن العدم * والكون لم يفتق كمام الوجود * مزية أعطيتها في القدم
بها على كل نبي تسود * مولدك المرقوم لما نجم * أنجز للامة وعد السعود
ناديت لو يسمع لي بالجواب * شهر ربيع يا ربيع القلوب
أطلعت للهدى بغير احتجاب * شمسا ولكن مالها من غروب

(ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الطبيب العالم ابن الهمنا شارح ألفية ابن سينا ونرحمه عليها من أبدع الشروح وقد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا واعتمد عليه في أمور الطب * وقد طال عهدي به الآن وهو من الكتب المشهورة بالمغرب ولم أره بهذه الديار المشرقية (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الاديب الكاتب العالم العلامة القاضي أبو بكر بن جزي الكلبي وأبوه الشيخ أبو القاسم بن جزي شيخ لسان الدين وبيت بني

جزى بيت كبير مشهور بالمغرب والاندلس وقد عرّفنا فيما سبق بالشيخ أبى القاسم وابنيه العلامتين الناظمين الناثرين الكاتب أبى عبد الله محمد والقاضى أبى بكر المذكور فليراجع فى الباب الثالث ورأيت بخط بعض علماء المغرب أنّ أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى جميع تواليفه مع انه مقارب فى السنّ ولكن الانصاف فى ذلك الزمان غير معدوم وقد عرّف به لسان الدين فى الاحاطة والذى فهمت من عبارته فى الاحاطة انه ان عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا الا على تلامذته وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه رحمه الله تعالى وأتقن تاريخ أهل المغرب والاندلس رحم الله تعالى الجميع (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) مؤدّب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشىّ وهو الذى تولى أوّلا نقل الاحاطة من مبيضتها كما سبقت الاشارة اليه فى كلام حفيد السلطان ابن الاحمر وأحكم نسخة فكانت فى مجلدات ستة وكان لسان الدين ألقى اليه بالمبيضات اعتمادا منه عليه وثقة به لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة (ومن تلامذة لسان الدين) القاضى الكاتب ابو محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربىّ قال فى الاحاطة صاحبنا الفقيه الخطيب كاتب الانشاء بالباب السلطانىّ أبو محمد نسيج وحده فى أصالة البيت وعفاف النشأة مقصود المنزل نبيه الصهر مع مخول فى الاصالة بارع الخط جيد القريحة سيال المداد نشيط البنان جلد على العمل خطيب ناظم ناثر قرأ بغرناطة وولى الخطابة بالمسجد الاعظم والقضاء سنتين ببلده فى حداثة السنّ ثم انتقل الى غرناطة فجأجأت به الكتابة السلطانية داحضة بالحق أوته الى هضبة أمانة مستطهرة ببطل كفاية فاستقلّ رئيسا فى غرض اعانتى وانتشالى من هفوة الكلفة على جلل الضعف والمام المرض ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة وازعاجها من الاندلس عن سوأة لا توارى وعورة لا يرتاب فى أشنوعتها ولا يتمارى فسبحان من علم النفس فجورها وتقواها اذ لصق بالداهى الفاسق فكان آلة انتقامه وجارحة صيده وأحبولة كيده فسفك الدماء وهتك الاستار ومزق الاسباب وبدّل الارض غير الارض وهو يزقه فى اذنه زقوم النصيحة ويستحله لقب الهداية ويبلغ فى شوارزه الى الغاية عنوان عقل الفتى اختياره يجرى فى سبيل دعوته طوالا أخرق يسيئ السمع فيسيئ الاجابة بدويا قحا جهوريا ذاهلا عن عواقب الدنيا والآخرة طرفا فى سوء العهد وقلة الوفاء مردودا فى الحافرة منسلخا من آية السعادة تشهد عليه بالجهل يده ويقيم عليه الحجج شرهه وتبوّئه هفوات الندم جهالته ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان اليه وتبرّأ منه ولحقته بعده مطالبة مالية لقى لاجلها ضغطا وهو الآن بحال خزى واحتقاب تبعات واستدعيت شيأ من نظمه ونثره حال التصنيف ليترجم به فكتب الىّ ما نصه

يا سيدا فاق فى مجد وفى شرف • وفات سبقا بفضل الذات والسلف
وفاضلا عن سبيل الذمّ منحرفا • وعن سبيل المعالى غير منحرف
وتحفة الزمن الآتى به فلقد • ربا بما حازه منها على التحف

ومعدنا لنفيس الدر فهو لما * حواه منه لدى التشبيه كالصدف
وبحر علم جميع الناس مغترف * منه ونيل المعالى خير مؤتلف
وسابقا بذ أهل العصر قاطبة * فالكل فى ذاك منهم غير مختلف
من ذا يخالف فى نار على علم * او يجحد الشمس نورا وهو غير خفى
ما أنت الا وحيد العصر فى شيم * وفى ذكاء وفى علم وفى ظرف
لله من منتم للمجد منتسب * بالفضل متسم بالعلم متصف
لله من حسب عد ومن كرم * قد شاده السلف الاخيار للخلف
ايه أيا من به تبأى الوزارة اذ * كنت الاحق بها فى الذات والشرف
ياصاحب القلم الاعلى الذى جمعت * فيه المعالى فبعض البعض لم أصف
يامن يقصر وصفى فى علاه ومن * أنسى مديح حبيب فى أبى دلف
شرفتنى عند ما استدعيت من نظمى * نظما تدونه فى أبدع الصحف
وربما راق ثغرى تبسمه * حتى اذا ناله المام مرتشف
أجل قدرك أن ترضى لمنتجع * بسوء كيلته حظا مع الحشف
هذا ولو انى فيما أتيت به * ناحفت بالطيب زهر الروضة الانف
لكنت أفضى الى التقصير من خجل * اذ لست بالبعض مما تستحق أفى
فحسبى العجز عما قد أشرت به * فالعجز حتما قصارى كل معترف
لكن أجبت الى المطلوب ممتثلا * وان غدوت بمرمى القوم كالهدف
فانظر اليها بعين الصفح عن زلل * واجعل تصفحها من جملة الكلف
بقيت للدهر تطويه وتنشره * تسمو من العز باسم غير منصرف

ثم ذكر نثرا وأن مولده بوادى آش آخر عام تسع وسبعمائة وولى الخطابة والامامة بها عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم ولى القضاء بها وبأعمالها عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة ومن شعره قوله

الا أيها الليل البطىء الكواكب * متى ينجلى صبح بليل المآرب
وحتى متى أرعى النجوم مراقبا * فمن طالع منها على اثر غارب
أحدث نفسى أن أرى الركب سائرا * وذنبى يقصينى بأقصى المغارب
فلا فزت من نيل الامانى بطائل * ولا قمت فى حق الحبيب بواجب
فكم حدثتنى النفس أن أبلغ المنى * وكم علقتنى بالامانى الكواذب
وما قصرت بى عن زيارة قبره * معاهد أنس من وصال الكواعب
ولا حب أوطان نبت بى ربوعها * ولا ذكر خل حل فيها وصاحب
ولكن ذنوب أثقلتنى فهأنا * من الوجد قد ضاقت على مذاهبى
اليك رسول الله شوقى مجدد * فياليتنى يممت صدر الركائب
فاعملت فى تلك الاباطح والربا * سراى مجدا بين تلك السباسب
وقضيت من ثم البقيع لبانتى * وجبت الفلا ما بين ماش وراكب

ورويت من ماء بزمزم غلتى * فلله ما أشهاه يوما لشارب
حبيبى شفيعى منتهى غايتى التى * أرجى ومن يرجوه ليس بخائب
محمد المختار والحاشر الذى * بأحمد حاز المجد من كل جانب
رؤف رحيم خصنا الله باسمه * وأعظم بماح فى الثناء وعاقب
رسول كريم رفع الله قدره * وأعلى له قدرا رفيع الجوانب
وشرفه أصلا وفرعا ومحتدا * يزاحم آفاق السما بالكواكب
سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعلا * وخير الورى الهادى الكريم المناسب
هو المصطفى المختار من آل هاشم * وذو الحسب العد الرفيع المناصب
هو الامد الاقصى هو الملجأ الذى * ينال به مرغوبه كل راغب
امام النبيين الكرام وانه * لكالبدر فيهم بين تلك الكواكب
بشير نذير مفضل متطول * سراج منير بذنور الكواكب
شريف منيف باهر الفضل كامل * نفيس المعالى والحلى والمناقب
عظيم المزايا ماله من مماثل * كريم السجايا ماله من مناسب
ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن * يلوذ به من بين آت وذاهب
جليل جميل الخلق والخلق ماله * نظير ووصف الله حجة غالب
وناهيك من فرع نمته أصوله * الى خير مجد من لؤى بن غالب
أولى الحسب العد الرفيع جنابه * بدور الدياجى أو صدور الكتائب
له معجزات مالها من معارض * وآيات صدق مالها من مغالب
تحدى بهن الخلق شرقا ومغربا * وماذاك عمن حاد عنها بغائب
فدونكها كالانجم الشهب عدة * ونور سنا لا يختفى للمراقب
واحصاؤها مهما تتبعت معوز * وهل بعد نور الشمس نور لطالب
لقد شرف الله الوجود برسل * له فى مقام الرسل أعلى المراتب
وشرف شهر فيه مولده الذى * جلا نوره الاسنى دياجى الغياهب
فشهر ربيع فى الشهور مقدم * فلا غروان الفخر ضربة لازب
فلله منه ليلة قد تلألأت * بنور شهاب بين الافق شاهب
ليهن أمير المسلمين بها المنى * وان نال من مولاه أسنى الرغائب
على حين أحياها بذكر حبيبه * وذكر الكرام الطاهرين الاطايب
وألف شملا للمحبين فيهم * فسار على نهج من الرشد لاحب
فسوف يجازى عن كريم صنيعه * بتخليد سلطان وحسن عواقب
وسوف يريه الله فى نصر دينه * غرائب صنع فوق تلك الغرائب
فيحمى حمى الاسلام عمن يرومه * بسمر العوالى أو بيض القواضب
ويعتز دين الله شرقا ومغربا * بما سوف يبقى ذكره فى العجائب
الهى مالى بعد رحمانك مطلب * أراه بعين الرشد أسنى المطالب

سوى زورة القبر الشريف وانه ٭ لموهبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله مالاح كوكب ٭ ومارافق الاظعان حادى الركائب

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى وليس لهذا الرجل انتحال لغير الشعر والكتابة وغير هذا الشعر قران فقل أن ينتهى هذا الشعر فى الضعة والاسترذال الى مادون هذا النمط فهو بغير ثمان شعرا وشكلا وبلد الطف الله تعالى بناويه انتهى باختصار (ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ومن نظمه على لسان من يرمى بالداء العضال فى فرج عبد ابن زمرك الوزير بعد ابن الخطيب

قالوا كلفت به غلاما حالكا ٭ فأجبتهم فى فيه مايرمى المهج
مهما جنت بحسنه وبجبه ٭ علقت فوق منه سوزا من سيج

ورأيت بخط الوادى آشى ماصورته وجدت بخط لسان الدين وخاتمة أعلام البيان المجيدين ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى فى طرة اسم الكاتب أحمد ابن سليمان بن فركون المختص به المتأدب بما انفرد به من انتساخ تواليف ابن الخطيب مانصه يسقط هذا الساقط من الديوان انتهى ولعل لسان الدين انما أمر باسقاطه من الاحاطة لما يتهم به من معنى يشبه السابقين ويحتمل أن يكون لغير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثامن فى ذكر أولاده)

الرافلين فى حلل الجلالة المقتفين أوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلائنيا المنقذة من أنواع الضلاله وما يتبع ذلك من المناسبات القويه والامداح النبويه التى لها على حسن الختام أظهر دلاله

اعلم وفقنى الله تعالى وايالك لمرضاته وجعلنا ممن يعتبر بالدهر فى معضاته ان أولاد لسان الدين ثلاثة عبد الله ومحمد وعلى وكلهم حدث عن أبيه وعن ابن الجياب ٭ أما محمد فقد نال حظه من التصوف ولم يكن له الى خدمة الملوك تشوف ولم يحضرنى الآن نص من أنبائه اكتبه لعدم وجود الكتب التى هى مظان ذلك اذ قد تركتها بالمغرب ٭ وقد سبق فيما مر من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من ندماء السلطان وأهل خلوته وأن عليا كان خالصة السلطان رحم الله تعالى الجميع ٭ وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين للملوك الحضرتين وتولى القيادة والكتابة بالاندلس أيام كان أبوه مدبر الدوله وأكثر الناس بها كالخواص حوله ولا أعلم الآن ما آل اليه أمره بعد وفاة أبيه وقد ألم بعض التعريف بمبدأ أحواله أبوه لسان الدين فى كتاب الاحاطه فى تاريخ غرناطه فقال فى حقه ما ملخصه عبد الله بن محمد بن على بن سعيد بن الخطيب التلمسانى حسن الشكل جيد الفهم يغطى منه رماد السكون جمرة حركة منقبض عن الناس قليل البشاشة حسن الخط وسط النظم كتب عن الامراء بالمغرب وأنشدهم وأقبض صكوكهم بالاقطاعات والاحسان واختال فى خلعهم ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه معزز

قوله ورماد فى نسخة زناد اه

الخطة بالقيادة قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسني والخطيب أبي سعيد فرج بن اب الثعلبي واستظهر ببعض المبادي في العربية واستجيزله من أدركه ببلاده من أهل المشرق والمغرب وشعره مترفع عن الوسط الى الاجادة يكاد عذر الحداثة * فمنه قوله في مولد أربع وستين وسبعمائة

بحق الهوى ياحداة الحمول * قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرت عليها السحاب * ببرق خفوق ودمع همول
أحن اليها حنين العشار * وأبكي عليها بشجو طويل
فيا سعد عرج عليها الركاب * ففيها لقلبي شفاء الغليل
سقاها من المزن صوب الغمام * وحيا بعرف النسيم العليل
ولا زال فيها يجر الذيول * فيحيي النفوس بجر الذيول
لئن حلت ياربع عن عهدنا * فعهد الهوى ليس بالمستحيل
ومما شجاني وميض الخفوق * كقلبي غداة النوى والرحيل
وميض اذا به المزن وهنا * يضيء سناه كعضب صقيل
أطار الفؤاد فؤاد المشوق * وأغرى السهاد بطرف كليل
قبت أطاول ليل التمام * بوجد جديد وصبر محيل
ودمع يساجل دمع الغمام * وشجو الحمائم عند الهديل
فيا ليت شعري وهل من سبيل * على الوجد يوما بصبر جميل
وهل يسمح الدهر بعد العناد * بجبر الكسير وعز الذليل
وهل راجع عهدنا بالحمى * على رغم دهر ظلوم جهول
فياحسن مأوى عزاء جميل * وياطيب مأوى بظل ظليل
وفي ذمة الله ركب سروا * يجدون والليل مرخى السدول
نشاوى بكاسين كاس الهوى * وكاس من الامن مثل الشمول
يؤمون بالعيس أم القرى * وقبر النبي الشفيع الرسول
ديار بها الوحي وحى السما * تنزل أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا * وآن من الشرك وقت الافول
فياحادي العيس يطوي الفلا * بوخد القلاص ونص الزميل
سفائن آل طواها السرى * وشق الحزون وقطع السهول
نشدتك بالبان بان الحمى * وبالمورد العذب والسلسبيل
اذا ما حللت لدى طيبة * وجئت محل الرضا والقبول
وقبرا ثوى فيه خير الورى * وبشرى الكليم وفخر الخليل
فأبلغ تحية صب مشوق * عدته عوادي الزمان الخذول
وقل يارسول الهدى والشفيع * اذا ضاق صدر أب عن سليل
عليك الصلاة وطيب السلام * يحييك عند الضحى والاصيل

نبي كريم رؤف رحيم * بنص الكتاب وحكم العقول
امام الهدى المجتبى المصطفى * بأزكى شهيد وأهدى دليل
به أظهر الله دين الهدى * وعلم كيف سواء السبيل
وقام باعباء دين الاله * أتم القيام بفعل وقيل
فاكرم بليلة ميلاده * على كل وقت وعصر وجيل
لك الله من ليلة فضلها * يجر على النجم فضل الذيول
وأيد بالنصر مولى أقام * مواسمها فعل بر وصول
أعاد بها الليل مثل النهار * بوجه كريم وفعل جميل
وأبدى الرضا نحوها والقبول * وأكرم به من حفي كفيل
سمي النبي الكريم الرسول * وسيف الاله العلي الجليل
محمد المرتجى المستجار * مبيد العدا ومنيل الجزيل
من النفر الغر أسد الكفاح * وأهل السماح عشي النزول
تراهم لدى السلم أطواد حلم * ويوم الكريهة آساد غيل
مبيد العداة ومحيي العفاة * ومأوى الغريب ومدني الدخيل
فبأس حكى النار عند احتدام * وجود حكى السحب عند الهمول
فيصلي عداه لدى الحرب نارا * ويروى نداه زمان المحول
اذا فلت البيض يوم الوغى * فلست ترى عزمه ذا فلول
مليك كفيل لمن يرتجيه * بكل مرام بعيد وسول
وفرع كريم حميد الخلال * نماه الى المجد طيب الاصول
فدام لنا ماسرى فى الرياض * نسيم الصبا ومهب القبول
وحن مشوق لارض الحجاز * اذا لاح ايماض برق كليل

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس

لمن طلل بالرقتين محيل * عفت دمنتيه شمأل وقبول
يلوح كباقى الوشم غيره البلى * وجادت عليه السحب وهى همول
فيا سعد مهلا بالركاب لعلنا * نسائل ربعا فالمحب سؤل
قف العيس تنظر نظرة تذهب الاسى * ويشفى بها بين الضلوع غليل
وعرج على الوادى المقدس بالحمى * فطاب لديه مربع ومقيل
فيا حبذا تلك الديار وحبذا * حديث بها للعاشقين طويل
دعوت لها سقى الحمى وربوعه * وميض وعرف للنسيم عليل
وأرسلت دمعى للغمام مساجلا * فسال على الخدين منه مسيل
فأصبح ذاك الربع من بعد محله * رياضا بها الغصن المروح يميل
لئن حال رسم الدار عما عهدته * فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
ومما شجانى بعد ما سكن الهوى * بكاء حمامات لهن هديل

توسدن فرع البان والنجم ماثل * وقد آن من جيش الظلام رحيل
فياصاحبي دع عنك لومي فانه * كلام على سمع المحب ثقيل
تقول اصطبارا عن معاهدك الالى * وهيهات صبري ما اليه سبيل
فلله عينا من رآني وللاسى * غداة استقلت بالخليط حمول
يطاول ليل التم مني مسهد * وقد بان عني منزل وخليل
فيالبت شعري هل يعودن ماضي * وهل يسمحن الدهر وهو بخيل
وهل راجع عهد الحمى سقي الحمى * وظل بعين الدمع فيه ظليل
وأيام أنس كم نعمنا بقربها * وقد غاب عنا حاسد وعذول
حلفت برب الراقصات الى منى * لهن الى البيت العتيق ذميل
بجود أمير المسلمين محمد * بكل مرام في الزمان كفيل
مليك اتاه الله في الملك عزمة * يروع الاعادي بأسها ويهول
هو الملك المنصور والبطل الذي * يهون عليه الخطب وهو جليل
اذا فلت البيض الرقاق وجدنه * أخا عزمات مالهن فلول
يقصر باع المدح دون صفاته * ويرجع عنها الفكر وهو كليل
من النفر البيض الوجوه لدى الوغى * لهم غرر وضاحة وحجول
هموما هموا والحرب قد شب نارها * وللخيل في جنح الدجاج صهيل
اذا سئلوا يوم الندى فنوالهم * تفيض شآبيب له وسيول
بهم عز دين الله شرقا ومغربا * وأصبح دين الكفر وهو ذليل
هم السادة الانصار والعرب الالى * حمى الدين حتى منهم وقبيل
لهم يوم بدر والرسول أميرهم * تصول به أرماحهم وتطول
فأصبح أصحاب القليب كأنهم * كثيب لوط المرهفات مهيل
وقد أمن الاسلام كيد عدوه * وغودر ربع الكفر وهو محيل
وعدوا روا حالمدينة والرضا * لهم منه فوز عاجل وقبول
فمن ذا يجاري أو يدانى عصابة * جزاؤهم عند الاله جزيل
لكم يابني نصر من المجد هضبة * تزول الرواسي وهي ليس تزول
فيا سيد الاملاك والواحد الذي * اذا عد فخر ليس عنه عدول
لقد قرع الاعداء منك مؤيدا * له الذعر نصر والحسام دليل
فلم يدركوا ما أملوا غير ساعة * كذا المتاع الاخسرين قليل
تعاورن في باب البنود بسحرة * كلاب عليهم بعد ذا عويل
أبى الله الا أن يموتوا بغيظهم * فويل لهم من مكرهم وأليل
فأضحوا حديثا في البلاد ويومهم * وساء صباح عندهم وأصيل
بسعد امام ينزل العصم سعده * ويروى نداه والزمان محول
وفرع كمال في الخلافة ثابت * نمته الى المجد الزكي أصول

حكى وجهه شمس النهار اذا بدا * وريا ه عرف الروض وهو بليل
أعادلنا بالعدل أيامه التى * عهدنا فدارت للسرور شمول
فدام لنا ماهب عرف من الصبا * وأومض برق فى الظلام كليل
وحن مشوق للحجاز اذا بدت * لعينيه منه شامة وطفيل
وأشرق نجم مثل قلبى خافق * وحان له عند الغروب أفول
ومازالت الاقدار تجرى بأمره * وصنع اله العرش فيه جميل

وقال فى اعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضى عنه

أثرها عزمة تنضى الركابا * وان دميت لها العين انسكابا
لعل الوجد تطفأ منه نار * أبت الا زفيرا والتهابا
أما بعد الالى ترجو قلوب * تسارع نحو أرضهم انقلابا
فيا اخوى كفا عن عتابى * فلست بسامع أبدا عتابا
تذكرت العقيق فسال دمعى * عقيقا من تذكره مذابا
أقول لنسمة مرت صباحا * يعطر عرفها القفر اليبابا
الا ياهذه كونى رسولى * وكونى ان رجعت لى الجوابا
تشدك بالغى صحبى سلامى * اذا جئت المعاهد والقبابا
يلومونى العواذل فى اشتياقى * اذاما القلب من وجدى تصابى
وكم بين الاباطح من مهاة * تروع بلحظها الاسد الغضابا
رمتنى ثم قالت وهى تزرى * ولم تحذر بفتكتها العقابا
اذاما الشهب للغرب استمالت * وفود الليل بالاصباح شابا
أوجه ان رقدت اليك طيفى * كلمع البرق يخترق السحابا
فقلت لقد بخلت على مشوق * أبى الاغراما واكتئابا
وكيف له بنوم بعد وجد * يذيب لهيبه الصم الصلابا
سينصره من الانصار ملك * اذا ناداه مظلوم أجابا
كريم الذات من ملا كرام * لقد طابت سجاياهم وطابا
تواضع رحمة وعلا محلا * وسهل منه للناس الحسابا
فليس يصد عن جدواه راج * وليس يسد عن عافيه بابا
له عطف على الراجى جميل * يفل من الردى ظفرا ونابا
وملك آمن الارجاء حتى * ترى الغزلان لا تخشى الذئابا
أمولاى الذى أحيا المعالى * وقد بليت وألحفت الترابا
مددت على البلاد جناح عدل * وكف الجور تستلب استلابا
وتاب الدهر مما قد جناه * فجدت له بعفوك حين تابا
وسكن عز دولتك الدواهى * فكانت رحمة دفعت عذابا
وبالله اعذار سعيد * دعوت السعد فيه فاستجابا

عجبت لمقدم والروع يهفو * بأفئدة الكماة وما استرابا
ومن شبل أطاع أخا سلاح * وحكمه اضطبارا واحتسابا
وهل عذر لعاذر ليث غاب * أظن فؤاده والعقل غابا
فلولا سنة حكمت وهدى * أصبت وقد سلكت به الصوابا
لحامت عصبة الانصار عنه * بأسياف تقد بها الرقابا
من الصيد الذين لهم نفوس * لغير الفخر لا تصل الطلابا
تثير الليل أوجههم اذا ما * أرادوا السير أوحشوا الركابا
دعوت به الانام ليوم حشر * ولم تدخر لهم الا الثوابا
رأوا من زخرف الدنيا مقاما * يذكر بالجنان لمن أنابا
وأبهتهم فما عاطوا حديثا * ولا عرفوا السؤال ولا الجوابا
ولو مكثوا به دهرا طويلا * لما ذكروا الطعام ولا الشرابا
وطاردت الصوار بكل ضار * كما اتبعت عفريتا شهابا
ضربت به على الآذان منها * فلم تسطع حراكا وا ضطرابا
ومعصوب الجبين بتاج روق * يروع خواره الاسد الغضابا
تعرف أن تحت الارض ثورا * فرام بأن يشق له الترابا
وكان به هضيم الكشح أجنى * حديد الناب تحسبها حرابا
تعاهد مجمع الشدقين منه * وسال الموت بينهما لعابا
فأثبته كوحي الطرف حتى * توثق منه جازره غلابا
وصاح به الصوار وقد رآه * حبيس الكلب قد منع الايابا
فغض الطرف انك من غمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وأرسلت الجياد الى استباق * كان بوارقا شقت سحابا
فمن ورد أغث ومن كبيت * وأشهب يلهب الارض التهابا
وساقية العماد اذا أطلت * الى الادواح تنساب انسيابا
تحوم بها العصى فراش ليل * تروم بسمعه منه اقترابا
تحف بها خيول القوم منا * فترسل نحوها الجرد العرابا
عجائب أبدعت عليك فيها * ومثلك يبدع الامر العجابا
محمد لا عدمت الدهر حمدا * فقد أحسنت في الملك المنابا
وزكى نفسك الرحمن لما * رآك ملكت للمجد النصابا
تداركت البلاد ومن عليها * فأمنت التنائف والشعابا
لقد أوليتنا بيض الايادى * لقد طوقتنا المنن الرغابا
روت عنك العوالى فى المعالى * حديث الفخر حقا لا انتسابا
ستفتح من بلاد الشرك أرضا * قد اعتقلت عقائلها اغتصابا
وتعمل فى العدا بيض المواضى * الى أن ينكر السيف القرابا

فما كاس من الصهباء صرف * تعيد الشيخ من طرب شبابا
وطاف بها من الرهبان بدر * يهتك من دجى الليل الحجابا
تجد الانس عودا بعد بدء * وربع الهم تتركه خرابا
بأعذب من ثنائك حين يطوى * به الركب الاباطح والهضابا
أمولاى استمعها بنت فكر * تخيرها فأبرزها لبابا
وغاص على فرائدها العوالى * وشق على نفائسها العبابا
وهناك الاله بكل نعمى * تقود لك الامانى الصعابا
ودمت لعزة الاسلام ركنا * الى أن يشمل الشيب الغرابا

(وقال) وقد أنشدها السلطان ليلة الميلاد عام خمسة وستين وسبعمائة

نفس الصبا أهدى الى نسيما * قد رام ممتنعا ورام عظيما
ياهل يبلغنى السرى خير الورى * فأرى معاهد للهوى ورسوما
وأسابق الركبان فوق نجيبة * تفرى من البيد العراض اديما
وأحط رحلى فى كريم جواره * أرجو نعيما فى الجنان مقيما
حتى اذا بلغوا الذى قد أمّلوا * ورأوا مقاما بالرضا موسوما
وتزاحموا فى الترب يستلمونه * أرأيت فى الورد الظماء الهيما
قبلت ذاك الترب من شوقى الى * من حله وأقمت فيه لزيما
وبكيت من دمع الما قى زمزما * وتركت جسمى كالحطيم حطيما
صلى عليه الله ماهبت صبا * تهدى من الطيب الزكى شميما
لله مولده الذى أنواره * صدعت ظلاما للضلال بهيما
شرعت من التأييد سيف هداية * أردت ظباه فارسا والروما
كسر الاكاسر بالعراء ولم يدع * ان رد قيصر قاصرا مهزوما
لله منها ليلة أضحى بها * شمل الهدى لاولى الهدى منظوما
أبدا أمير المسلمين أعدها * بدعا من القصر الكريم جسيما
ملك أقام الله منه لخلقه * مولى رؤفا بالعباد رحيما
يحمى ذمار المسلمين من الردى * ويبيح ربعا للعدا وحريما
بمحمد قد عاد دين محمد * غض الرياض وكان قبل هشيما
أحيا به الله الخلافة بعدما * كانت بأطباق التراب رميما
من آل سعد الخزرج بن عبادة * طابوا فروعا فى العلا وأروما
تلقاه فى يوم الكريهة والوغى * والخيل عابسة أغر وسيما
وتخال كفيه اذا شح الحيا * أفقا بعامية الغيوث غيوما
تابى خلال العدل والشيم العلا * من أن يرى فى دهره مظلوما
كهف العباد وفخرها وثناؤه * ترك المديح على الطروس رقيما
لازال يلقى العيش طلقا والعلا * مرقى وصرف الحادثات خديما

ما اهتز غصن فى الحديقة ناعم * لما أحس من الشمال شميما

(مولده) ببغرناطة يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى

(ومما) خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور ما فى النفاضة من قوله أنشدت ابنى عبد الله وقد وصل لزيارتى من الباب السلطانى حيث جرايته ووظيفته وانجز حديث ما فقد ببغرناطة فى شجون الكلام

يابنى عبد الاله احتسابا * عن أثاث ومنزل وعقار
كيف يأسى على خسارة جزء * من يرى الكل فى سبيل الخسار
هدف لاتنى سهام الليالى * عن سباق تجاهه وبدار
واحد طائش وسهم مصيب * ليس ينجى منها اشتمال حذار
غير ذى الدار صرف الهم فيها * فمناخ الرحيل ليس بدار انتهى

وقال أيضا رحمه الله تعالى مما أنشدته ولدى عبد الله وأمرته بحفظه والتأدب به والنهج بحكمته

اذا ذهبت يمينك لاتضيع * يسارك فى البكاء ولا المصيبه
ويسراك اغتنم فالقوس ترمى * وماتدرى أرشقتها قريبه
وما بغريبة ثوب الليالى * ولكن النجاة هى الغريبه

قال ومن المنظوم فى قريب من هذا قولى

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر * دهيت فدلونى لمن يرفع الامر
تشاغلت بالدنيا وغت مفرطا * وفى شغلى أونومتى سرق العمر

وقال رحمه الله تعالى ومما قلته وقد انصرف عنى الولد عبد الله الى مدينة فاس لاقامة رسمه من الخدمة وأشجانى انصرافه لوقوع قرحه على قرح والله المستعان

بان يوم الخميس قرة عينى * حسبى الله أى موقف بين
لوجنى موقف النوى حين حان * يوم الوداع والله حينى
ضايقتنى صروف هذى الليالى * وأطالت همى وألوت بدينى
وطن نازح وثمل شتيت * كيف يبقى معذب بعد ذين
يا الهى أدرك بلطفك ضعفى * ان ما اشتكيه ليس بهين

وقال رحمه الله تعالى أنشدت يوما ولدى عبد الله وقد رأيت منه نشاطا ومرحا انتقل منى اليه بعد السن

سرق الدهر شبابى من يدى * وفؤادى مشعر بالكمد
جلة الامر اذا أبصرته * باع ما أفقدنى من ولدى

وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى (وأما) على بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه وكان مصاحبا للسلطان أحمد المرينى المستنصر بالله ابن السلطان ابى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحمهم الله تعالى (وحكى) بعضهم انه حضر معه فى بستان سمح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى

الاصيل شواهد الاصفرار وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال المستنصر لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه

يا فاس انى وايم الله ذو شغف * فى كل ربع به معناه يسبينى
وقد أنست بقرب منك يا أملى * ونظرة فيكم بالانس تحيينى

فاجابه أبو الحسن على بن الخطيب بقوله المصيب

لا أوحش الله ربعا أنت زائره * يا بهجة الملك والدنيا مع الدين
يا أحمد الجد أبقاك الاله لنا * فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد رحل رحمه الله تعالى الى مصر ولم يحضرنى الآن من أحواله بعد دخوله مصرما أعوّل عليه وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة الاحاطة التى وجهها أبوه الى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا اليه فيما مرّ فكتب بالحواشى كتابات مفيدة وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب فليراجع اما تكميل لما أغفله أبوه واما اخبار عما شاهده هو أو رواية له عن المترجم به أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه ولنذكر شيأ منها غير ما تقدم بعد ايراد نص الاحاطة فنقول قال فى الاحاطة فى حرف الميم فى ترجمة شمس الدين الهوارى الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية المشهورة بالاعمى والبصير ما صورته محمد بن أحمد بن على الهوارى يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن جابر من أهل المرية (حاله) رجل كفيف البصر مدل على الشعر عظيم الكفاية والمنة على زمانه رحل الى المشرق وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بابى جعفر الالبيرى صار روحين فى جسد وقع الشعر منهما بين نجيع أسد وشمر للعلم وطلبه فكان وظيفة الكفيف النظم ووظيفة البصير الكتب وانقطع الآن خبرهما انتهى (فكتب) المذكور على أول الترجمة ما صورته نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر أحسن الله تعالى اليهما فلقد أحسنا الصحبة فى الغربة وانفردا بالنزاهة والفضل وعلو الهمة الا أن المصنف قصر فيهما بعض قصور ومنهما يطلب الاغضاء والصفح فالرجل مات وذكر الاموات بالخير مشروع وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علما وعملا أمتع الله تعالى بهما قاله ولد المؤلف على بن الخطيب بالقاهرة انتهى (وكتب) على قول أبيه وانقطع الآن خبرهما ما نصه هما الآن بالبيرة من حلب تحت انعام واطف تحث اليهما الرواحل وتضرب اليهما آباط النجب انتهى (رجع) لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من الاحاطة قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصه وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه محسوب من طلبتها الجلة ومعدود فيمن طلع بأفقها من الاهلة رحل الى المشرق وقد أصيب ببصره واستهان فى جنب الافادة بمشقة سفره على بيان عذره ووضوح عذره (شعره) وشعره كثير فمنه قوله

سلوا حسن ذاك الخال فى صفحة الخدّ * متى رقموا بالمسك فى ناعم الورد
وقالوا لذاك الثغر فى ذلك اللمى * متى كان شان الدرّ يوجد فى الشهد
ومن هز غصن القد منها فقتنى * وأودعه رمانتى ذلك النهد
ومن متع القضب اللدان بوصفها * الى أن أعرن الحسن من ذلك القد

فتاة تفت القلب مني بمقلة * لها رقة الغزلان في سطوة الاسد
تمنيت أن تهدى الي نهودها * فقالت رأيت البدر يهداه أو يهدى
فقلت ألا رمان بد من الجنى * فتاهت وقالت باللواحظ لا الايدى
فقلت أليس القلب عندك حاصلا * فقالت قلوب الناس كلهم عندى
فقلت اجعليني من عبيدك في الهوى * فقالت كفاني كم لحسني من عبد
اذا شئت أن أرضاك عبدا فت جوى * ولا تشتكي واصبر على ألم الصد
ألم تر أن النحل يحمل ضرها * لاجل الذي تجنيه من خالص الشهد
كذلك بذل النفس سهل لذي النهى * لما يكسب الانسان من شرف الجد
ألست ترى كف ابن جانة طالما * أضاع كريم المال في طلب المجد انتهى

وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته عارضة قويه ونزعة خفاجيه وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الاندلس علما ونظما ونحوا زاده الله تعالى من فضله انتهى

(رجع الى الترجمة) قال لسان الدين وقال يعني ابن جابر

عرج على بان العذيب ونادى * وانشد فديتك أين حل فؤادى
واذا مررت على المنازل بالحمى * فاشرح هنالك لوعتي وسهادى
ايه فديتك يا نسيمة خبرى * كيف الاحبة والحمى والوادى
ياسعد قد بان العذيب وبانه * فانزل فديتك قد بدا اسعادى
خذ في البشارة مهجتي يوما اذا * بان العذيب ونور حسن سعاد
قد صح عيدي يوم أبصر حسنها * وكذا الهلال علامة الاعياد

ومما نقلته من جزء قيده لي صاحبنا الفقيه الاستاذ أبو علي الزواوي مما ادعاه لنفسه

علي لكل ذي كرم ذمام * ولي بمدارك المجد اهتمام
وأحسن مالدي لقاء حر * وصحبة معشر بالمجد هاموا
واني حين أنسب من أناس * على قمم النجوم لهم مقام
يميل بهم الى المجد ارتياح * كما مالت بشاربها المدام
هم لبسوا أديم الليل بردا * ليسفر عن أديمهم الظلام
هم جعلوا متون العيس أرضا * فذعزموا الرحيل فقد أقاموا
نحن كل البلاد لنا ارتحال * وفي كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منا * لنا مع كل ذي شرف زحام
نصيب سهامنا غرض المعالي * اذا ضلت عن الغرض السهام
وليس لنا من المجد اقتناع * ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتا ولم تثبتها لطولها ثم قال بعدها نجزت وما كادت ثم قال بعدها أيضا وقد وطأ لامطاء قروحها وأعيا لاكثار سروحها ثم قال بعده والله ولي النجاة بفضله انتهى (وكتب) ابنه على أول القصيدة وهو (على لكل ذي كرم دمام) مانصه نزعة معرية قاله ابن المؤلف رحمه الله تعالى

انتهى (وكتب) الشيخ ابن مرزوق على قوله نجزت الى آخره ماصورته ما أنصف المصنف هذا الفاضل فى ترجمته وقدره شهير ومكانه من الفضيلة كبير وعلمه غزير ولعله لم يطلع الاعلى ما أودعه انتهى (وكتب) اثره ابن لسان الدين ماصورته نعم ياسيدى أبا عبد الله بن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف ولولا انهما بالحياة ماصدر منكم التنبيه ولو حصلا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلما هكذا شأن الدنيا بقلة الوفاء شنشنة معروفة والحقد على الاموات شأن المغاربة قاله على ابن المصنف رحمه الله تعالى انتهى ولا خفاء ان لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس بن جابر الهوارى المذكور مع أن له محاسن جمة (ومن محاسنه رحمه الله تعالى)

هناؤكم ياأهل طيبة قد حقا * فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى * سواها وان جار الزمان وان شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما * وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم * فها أنتم فى بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله فى كل ساعة * ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم * وباب ذوى الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم * ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل * يلاحظكم فالدهر يجرى لكم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم * فشكرا وشكرا لله بالشكر يستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولها * ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذلك من الطاعون أنتم بأمن * فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم * وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم * وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها * أتطلب مايفنى وتترك مايبقى
أتخرج عن حرز النبى وحوزه * الى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغى من كريم اعانة * فأكرم من خير البرية ماتلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائل * ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه * ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش فى حمى خير الانام ومت به * اذا كنت فى الدارين تطلب أن ترقى
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر * بطيبة فاعرف أين منزلك الارقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد * ومن جار فى ترحاله فهو الاشقى

(ومن محاسنه رحمه الله تعالى) المقصورة الفريدة وهى قوله

بادر قلبى للهوى وما ارتأى * لما رأى من حسنها ما قد رأى
فقرب الوجد لقلبى حبها * وكان قلبى قبل هذا قد نأى
ياأيها العاذل فى حبى لها * أقصر فلى سمع عن العذل بأى

لو أبصر العاذل منها لمحة * مافض باب عذله ولا فأى
سرّحت طرفى طالبا شأو العلا * وتابعا فى حبها ماقد شأى
انى لارعاها على تتبعها * عهدى ومثلى من وفى اذا وأى
من منصفى من شادن لم أرجه * لحاجة من وصله الازأى
وان قبضت النفس عن سلوانه * مدّاديم هجره لى وساى
لاقطعنّ البيد أفرى حاذها * بضامر يفرى الحصا اذا جأى
حتى أزوربة الخدر وقد * ذاد الكرى عنى الوشاة وذأى
يارب ليل قد تعاطينا به * حديث أنس مثل أزهار الربا
فى روضة تعانقت أغصانها * اذ واصلت ماينها ريح الصبا
نادمت فيها من بنى الحسن رشا * يصبوله من لم يكن قط صبا
حلو رخيم الدل فى أعطافه * لين وفى ألحاظه لين الظبا
أيام كان العيش غضا حسنه * عذب الجنى ريان من ماء الصبا
أىّ زمان ومحلّ للمنى * ماضاق مغناه بنا ولا نبا
يامربعا مابين نجد والحمى * وبازمانا قد حبانى ماحبا
الله يرعاه زمانا لم يحل * عن بذل مانأمله ولا ابى
فأىّ مغنى آهل بمنه * لمقصد حلت لنا فيه الحبا
هل ترجع الايام عيشا باللوى * فراقه كان اللهيم الاربى
تالله لاأعبا بعيش قد مضى * ولا زمان قد تعدّى وعنا
مذ علقت كفى بالهادى الذى * ساد الورى طفلا وكهلا وفتى
كالبحر لايغيض يوما ورده * لوارد اذا أصاف أوشتا
متصل البرّ لمن قد أمّه * لايكره العودة ممن قد أتى
ولا يناجى نفسه فى ضيقة * أىّ نهار سرّ هذا ومتى
ان رسول الله مصباح هدى * يهدى به من فى دجى الليل متا
كف بنى الجور بعدل واضح * كما تكف اليد كفا من فتى
كم ذو هوى قد راضه بهديه * فانقاد كالعبد اذا العبد قتا
قد خالط الحلم سجايا طبعه * كمثل ماقد خالط الثوب السمّا
أقسمت لازلت أوالى مدحه * ماالشدّ بالناس زمان ورتا
لولا اشتياقى لديار كرمت * لبعدها يرثى لنا من قد رثى
ومدح من أرجو بمداحى له * اصلاح ماقد عاث منى وعثا
لم أجعل الشعر لنفسى خلة * ولم يجش فكرى به ولاغثى
فما أرى الايام تبدى منصفا * ولو حكمت الدرّ من حسن النثا
ياضيعة الالباب فى دهر غدا * فيه قتيت المسك يعلوه الخثى
ويل أمّ ليس تزجى ضيمها * مثلى بما تبديه من منع الحشا

هل مارست الا أخا عزم اذا * ماقعد الناس عن الخطب جثما
تسبل من جهد السرى أعطافه * كمثل ماسال من الدوح اللثى
له اعتصام بالرسول المجتبى * أجود من أضفى العطايا وحثا
من ليس للدنيا محل عنده * ولا ينيل المال الا بالحثا
أنا الفتى لا يطبيني طمع * فابذل الوجه لنيل يرتجى
لكن اذا اضطر زمان جائر * أمّلت من ليس يرد من رجا
لا أسأل النذل ولو أنى به * أملك ماحاز النهار والدجا
حسبي بنو عبد مناف بهم * يغنى من استغنى وينجو من نجا
أولئك القوم الالى من أمّهم * أمّن ممن لام يوما وهجا
يلقاك منهم كل وجه مشرق * كانه البدر اذا الليل سجا
انى مذ أمّلتهم لم يثنني * عن طلب المجد زمان قد شجا
ان أنا قد نكرنى دهر عدا * فطالما عرّفنى فضل الحجا
يطوى العداذ كرى ومجدى ناشر * آليت لازال لهم منى شجا
أنا الذى أعملت للمجد السرى * لا أسام الاين ولا أشكو الوجى
كم سرت فى البيداء لا يقلقنى * حرّ الهجير لا ولا برد الضحا
أرسلها غرّ الذرى تسرى بنا * كل عويص السير صعب المنتحى
يطيح مفتوت الحصا من دونها * كانه سهم عن القوس طحا
فكم بذلت الجهد فى كسب العلا * وجدت بالنفس لحانى من لحا
أرغم أعدائى بحزم نافذ * يعركهم عرك التفال بالرحا
أذود عن عرضى وأحمى حسبى * بكرم جزل ومجد قد ضحا
أقسم بالبيت ومن طاف به * ومن نحا وجهته فيمن نحا
وكل من أعمل فله الخطا * محا بها من الخطايا مامحا
ومعشر نجوا وعجوا فلهم * بمرتقى المروة ذكر ووحى
لازلت أزجيها لادراك العلا * حتى ترى من جهدها مثل اللحا
ياعجبا من حاسدى قد زها * بعيشه الغض على وانتحى
كأننى لم أعرف العز ولا * صاحبت دهرى فى سرور ورخا
وانما الدهر له تقلب * ان ارتخى شد وان شد ارتخى
ان الذى لا يثنى عن جوده * ان بخل الدهر لنا وان سخى
خير الورى طرّا من الله به * أذهب عنا كل غىّ فامتحى
شرّفه الله وحلى بجيده * بجوهر من كل مجد موتحى
زينه بواضع على علا * فما ازدهى بعزة ولا نخا
فكم حمى بهديه وكم وقى * وكم أفا دأملا وكم نخا
خلص من أسر الخطايا جاهه * فما على قلب امرئ منها طخا

قوله يوما فى نسخة لؤما اه

خفف عنا ثقل ما نحـــمله * فلم نبت من ثقله نشكو السخى
ان نحسب الرسل سماء قد بدت * فانه فى أفقها نجم هدى
وان يكن كل كريم قد مضى * طلا فقد أضحى لنا غيث جدا
وان يكونوا أنجما فى فلك * فانه من بينهـــم بدر بدا
واسطة السلك اذا ما نظموا * وملجأ القوم اذا الخطب عدا
كالبحر بل كالبدر جودا وسنا * فخبذا من اجتدى أو اقتدى
أحسن أخلاقا من الروض اذا * ما اختال فى برد الصبا أو ارتدى
وساقط القطر عليه دمعه * فابتل برد الزهر منه وابتدى
تفديه نفسى من شفيع للورى * وقلت النفس له مـــنى فدا
هو الذى أنعشنا من بعدما * قد يبس الغصن وأذواه الصدى
وكنت فى ليل الهوى ذا حيرة * فجاء بالحق وانجى وهدى
فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا * وكم هدى بعلمه وكم غذا
من اقتـــدى بغيره فانه * لم يتبع سبيل الهدى ولا حذا
هل هى الا سنة الحق التى * أرشد من لاذ بها أو احتذى
كف اللسان وانبساط الكف بالـــخير وطيب الذكر عرف قد شذا
أحسن ما نال الفتى من كرم * أن لا يرى من أجله من ائتذى
والصمت عما لا يفيد قوله * من كلم يهذى به فيمن هذى
لا شئ كالصمت وقار اللفتى * يوما ولا أنجى له من الاذى
من عيبه يشغله عن غيره * بات سليم العرض نفاح الشذا
ومن يعب عيب ومن يحسن اذن * لان له كل عصى وخذا
ومن تكن دنياه أقصى همه * لم ير ومن ثدى الجا ولا اغتذى
لا تنفق العمر سوى فى حب من * هو الذى فى سنن الحق جرى
يهديك من رشد ومجد واضح * روضين من علم وذكر قد سرى
أجاد هـــديا وافاد نائلا * وجاد حتى عم الجود الورى
ترى بنى الحاجات تحو بابه * قد أعملوا العيس بحزن فى البرى
لهم الى رؤيته تشوق * تشوق السارى الى نار القرى
ذا يبتغى علما وهـــذا نائلا * وخائب من قصده ليس يرى
كأنهم اذا رأوا غرته * وفد حجيج عاينوا أم القرى
وجه لديه يحمد السير كذا * عند الصباح يحمد القوم السرى
هذا اذا ما أخلف الناس وفى * نائى المدى فى مجده سامى الذرا
اذا شددت الكف فى أمر به * فليس بالوانى ولا الواهى العرا
انهضنى بهديه الى التقى * بعد قصور العزم والباع الوزى
هو الشفيع المجتزى بجاهه * بمثل ذا الجاه حقا يجتزى

مذ زرته لم أشك من شحط النوى * اذ كان لى فيه غنى ومجتزى
وما وجدت غربة ولم يجد * من اغتراب من الى الجود اعتزى
متصل البشر غضوب للهدى * اذا رأى من زاغ عنه أونزا
أصبح من أيامه فى مأمن * من قد لجا يوما اليه أورزى
تحذته كهفا فبت آمنا * جزاه رب العرش خير ما جزى
أدبنا بسنة أفلح من * نمى اليها النفس يوما أوعزا
يجزى أخا الحسنى على احسانه * شكر امرئ راض الامور وجزى
لست أجازى الشر بالشر ولا * أغزو لناوى السوء مثل ماغزا
لم ترعين كرسول الله ذا * حزم ولا أحلم ان دهر غزا
اذا ملمات الامور اقلقت * الفيته كأنه طود رسا
بخلقه فليقتد المرء فما * أكرمها من مقتدى ومؤتسى
كن حذرا وان رأيت غرة * فمثلها فقد جرة الاسى
لاتياسن ان تناءى أمل * وكلما عنا زمان قد عسا
وان بدا صبح المشيب فاطرح * ما كان اذليل الشباب قد غسا
ولاتظن الشيب يرجى طبه * بزور صبغ أو مدام يحتسى
اذا الفتى قوس واعتد العصا * لقوسه عن وتر أعيا الاسا
فاذكر زمان الشيب فى حال الصبا * عسى يلين للتقى قلب قسا
ما أقبح اللهو على المرء اذا * ما اشتعل الرأس مشيبا واكتسى
لاتحسب الراحة واحا قرقفا * للشرب منها قبس ومنتشى
اذا أداروها وقد جن الدجا * وشى بهم نيرها فمن وشى
قد حجبت فى دنها دهرا الى * أن برزت كأنها صبح فشا
لم يبق من جوهرها الاسنا * ينشئ أفراح الفتى اذا انتشى
كأنها والكاس قد حفت بها * متيم أصبح مضروم الحشى
بدرها مختلف الحسن اذا * أقبل بدر واذا تا مرشا
يحكى القطا والظبى والغصن اذا * ماقد تثنى أوتجنى أومشا
وانما الراحة زهد المرء فى * أعراض دنيا توارث العين غشا
والجد ايقادك نيران القرى * يعشو لها فى الازمات من عشا
والجود أن تعطى قباء للندى * لا لافتخار أو لجاه يحتشى
خاب امرؤ لم ير أرضا حلها * من اصطفى رب السماء واقتصى
أرسله الله هدى ورحمة * أوصى ووالى الخير فينا ووصى
وخاص الانفس من أسر الهوى * فى يوم هول فازفيه من فصا
ذو رأفة تلقاه يوم العرض قد * مال بنا عن الجحيم ومصى
صلى عليك الله يامن اجاهه * يوم الحساب ملجأ لمن عصى

قوله لم تر الخ هذا البيت حادى عشر أبيات الزاى وكل حرف قبلها عشرة أبيات فقط ولحرف السين بعدها تسعة اللهم الا أن يبدل غزا باسا مقصورا للضرورة تأمل اه مصححه

يا من جرى من كفه الماء ومن * حن له الجذع وسبح الحصا
بك اعتصامي يوم يدنو من دنا * من رحمة الله ويقصى من قصا
هل غير احسانك يرجو مذنب * طال به خوف الخطايا واتصى
يا من سما في يوم بدر بدره * عز اليشقى كل من شق العصا
أحصاهم رب السماء عددا * وانهم أدنى الفريقين حصا
يا مجتبى من خير قوم حسبا * فيما أتى من زمن وما مضى
يا من تدانى قاب قوسين ومن * قيل له سل تعط قد نلت المنا
ومن أتى والناس من ظلمهم * في ظلمة ليس لها من مرتضى
فكان كالصبح جلا جنح الدجى * فأذهب الاظلام عنا وانتضى
رضيت للارسال اذ آدم بين * الماء والطين وكنت المرتضى
اختارك الله رسولا هاديا * أكرم بما اختار لنا وما ارتضى
يا أحلم الناس على من قد جنى * وأعدل الخلق اذا ما قد قضى
يا مصعر الالف اذا ما جاد أو * جرد في الهيجاء سيفا أو نضى
يا ناصحا أحكم تشييد الهدى * عزما فلما ينتقض ولا انتقضى
يا مضفيا للناس ظل رحمة * بات العدا منها على جمر الغضى
ادفع الشر بحسنى فاذا * به اخو صدق وان كان سطا
وانف لنفس كرهت أعمالها * كمن يريك قدرها حث الخطا
ان يدرك الهوى الفتى في بيته * ليس كمن سعى اليه وخطا
وان خيرا من صديق سيئ * أن يصحب الانسان في البيد القطا
ولا تزم ما لا تطيق نيله * فجلة الخيبة شر ممتطى
وبت من الدنيا مبات خائف * فللبلى عدوات وسطا
وخلها عنك ولا تعبأ بما * تبوأ المكثر منها وعطا
وجانب الحرص تعش ذا عزة * أفلح من ان شدة الحرص نطا
ولا تجد للنفس حظا واطرح * من امتطى الكبر فبئس ما امتطى
لا تطرين صاحبا بغير ما * فيه فطراه الفتى كسر المطا
لا يحسن المدح سوى ان يرى * ما دحه بمدحه قد احتظى
خير عباد الله ذو العز الذى * أظله بأوى الشريف والشطى
كم آمن بيابه وقبل أن * يلقاه لاقى ما عجا وما عطا
أصبح في حرمته في حرم * يرفل في ظل هبات وحظا
في منزل سبحان فيه ربه * وضيفه فيما اقتنى وما حظا
ان رسول الله غيث واكف * اذا لهيب الضيف داج والتظى
اذا أعد للملمين القرى * لم يدخر عن ضيفه ولا حظا
لما علت جوده الجزل وما * ثم من علم وحلم وبظا

قوله من مرتضى في نسخة نور يضى وليتظر اه

قوله ولا حظا لم أعثر في القاموس له ولا لاسابق على معنى يلائم المقام وكذا البظا في البيت بعده وليحرر ويراجع اه مصححه

يممته فوق طمر ضامر * منتظم الاعضاء ملموم الشظا
ليس بمس الارض من سرعته * كانما يخشى بها مس الاظى
يا موسع الالف بصاع شبعا * ومن مشى الدوح اليه وسعى
وأخصب الضرع بلمس كفه * وبادر المزن له لما دعا
وسلم الظبى عليه كرما * وكلم الميت فقام ورعى
واستشهد الضب فجاء معلنا * بصدقه ومثبتا لما ادعى
اليك أعملت المطايا في الفلا * تنساب ما بين أراك ولعا
مسرعا جاهك على في غد * اكون ممن قد أجار ورعى
ازكى صلاة وسلام أبدا * عليك ما ارتاح الظليم وارتعى
وسبح الرعد بحمد من سقى * صوب الحيا فقال للارض لعا
فاشتملت بالنور كل فدفد * لم يك للسارح فيه مرتعى
وباكر البيداء غيث مسبل * فاخلف النبت الهشيم ورعى
ودق سحاب تحسب البرق به * أسنة قد أشرعت يوم وغى
واخضرت الدوح ومدت قضبها * فبينها حسن التئام وصغا
وساقطت لها السحاب حملها * اذ خوف الرعد تساقط الفغا
ترى خرير الماء في قصيبه * كأنه ميت ذود قد رغا
فسكن القيظ لهيب حره * وفزلما أن رأى الماء طغا
غيث حى الرمضاء عنا مثل ما * حمى رسول الله جور من بغى
ناه عن الفحشاء داع للهدى * ولم يفه بباطل ولا لغا
هذا اذا استكفيت في أمر به * اجدا نفيما تنتحيه وكفى
تهفو به ريح العلا الى الندى * كأنه ناعم غصن قد هفا
محيي الهدى والعدل في زمانه * من بعد ما الفاهما على شفا
اخفى الهدى قوم فاضحى وهو قد * أظهره بعد له فما اختفى
ان يقض يعدل أو متى يسأل يهب * وان يقل يصدق وان يعد وفى
وان يجد يجزل وان جاد يعد * وان تسئ يحسن وان تجن عفا
بحر طما بدر سما عضب حمى * روض نما طاب افاد وشفا
لمجتد أو مقتد أو معتد * أو مجدب أو مشتك خطبا جفا
مالى لا أضفى له المدح وقد * أضحى به الحق علينا قد ضفا
أسس خلق الجود فينا فاغتدى * به لنا ورد المعالى قد صفا
الجود يعلى المرء والبخل لقد * يحط عن رتبته من ارتقى
والعزما أحسنه لكنه * ان كان هذا مع علم وتقا
والجهل للانسان عيب قادح * ولو حوى مالا كعثمان نقا
والعلم في حال الغنى والفقر لا * يزال يرقى بك كل مرتقى

قوله ناه هذا آخر أبيات الغين المعجمة في الاصل الذى بيدى وهى ناقصة ثلاثة أبيات عما درج عليه في هذه المقصورة ولعله لم يلتزم ذلك وليحرر في نسخة أخرى اه مصححه

ولا الوم

ولا ألوم المال فالمال حمى * من جاهل يلقاك شرّ ملتقى
قد جبل الناس على حبّ الغنى * فربّ فيهم مهاب متّقى
وما لذى الفقر لديهم رتبة * ولو أفاد وأجاد واتقى
ان الغنى طبّ لعلات الفتى * والفقر داء لا تداويه الرقى
والحزم احرى ما به المرء اقتدى * فى أمره وما به النفس وقى
من لم يبت مع الليالى حازما * لغدرها غادرنه فيها لقى
أمضيت طرفى كى يرى طرفى ما * أخبرته من طيب مجدك ذكا
فصدّق الحاكى ما أبصرته * وفاق ما عاينته ما قد حكى
فسهلت رؤيته جهد السرى * وأسكت الانعام من كان شكى
عجبت للايام من عزبها * ذل ومن يضحك لها يوما بكى
فكم لها من كرّة على فتى * جلد اذا ما لهب الحرب ذكا
يجتنب الاسد سطاه فى الوغى * فذل حتى صار قصواه بكى
وكم صريع غادرت ليس له * من ملجا يوما ولا من مشتكى
عدت على نفس عدىّ وسقت * منها ابن حجر كاس سمّ كالذكا
واستلبت ملك بنى ساسان لم * تترك له على الليالى مرتكا
لم يأمن المأمون من صولتها * ولا ابن هند من عواديها خلا
وأتبعت جعفرا الفضل وكم * بات الطلا يسقيهما صرف الطلا
وغالت الزباء فى منعتها * فأظفرت عمرا بها فما ألا
وأنفذت فى آل بكر حكمها * وجرّعت مهلهلا كاس البلى
وكم سبت من سبا من نعمة * فزقوا فى كل قفر وفلا
وأهلكت عادا وأفنت جرهما * وزوّدت منها تميما بالصلى
فرعون موسى أولجت فى لجة * فمات قهرا بعد عز وعلا
وأظفرت بابن زياد مثل ما * أفنت يزيد حسرة لما اعتلى
وسيف استلته من غمدانه * من بعد ما قد خضعت له الطلى
ثم اعادته لخزّ الجيش عن * حوزته حز النبات المختلى
هى الليالى ليس يرعى صرفها * لا خاملا فيها ولا من قد سما
ولا رسول الله فينا لم يزل * كهفا حمى فهو لنا نعم الحمى
لله ما أكرمه من سيد * ينمى من المجد لاعلى منتمى
سليم صدر ذو وفاء لم يجش * فى صدره غش امرئ ولا نحى
أوسعنا فضلا فخاب امرؤ * أوى الى ذاك الجناب وانتمى
يا من غدا للخلق كهفا وحمى * فاكرم المثوى وآوى وحمى
انا أتيناك من ديار دونها * موحشة بيداء أو بحر طما
وانى من قبح ما اسلفته * ذو كبد رضت ودمع قد همى

قوله مرتكا هكذا فى نسخة وفى أخرى مدركا ولم أقف على كليهما مقصورا فلينظر هذا ولم يوجد فى مجموع النسختين للكاف الا تسعة أبيات وليحرر اه مصححه

قوله ولا نحى فى نسخة بالهملة

فلا تخيبني مما لك من * شفاعة ترجى وفضل قد نما
انك من قوم بهم يشفى العنا * ويدرك الشأو البعيد المرتمى
أعرض عن الجاهل مهما قد أسا * وحسبه من جهله ما قد حوى
ولا تلم ذا سفه فانه * ان لمته لم يتئد ولا ارعوى
وان رأيت من كريم عثرة * فقل لعا ولا تعب بما احتوى
وان ترعك من زمان فرقة * فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
لم أشكر البعد على خير حمى * قد صدنى عن انسه شحط النوى
يا منزلا ما بين نجد والحمى * ويا ديارا بين كثبان اللوى
هل لى الى تلك المعالى عودة * أو جرعة من ذلك الماء الروى
لا تعجبوا من لعب الدهر بنا * فأى انسان على حال سوى
ان عشت لاقيتهم وان أمت * فانما الدنيا فناء وثوى
ان رسول الله مذ أمّلته * فالدهر قد أضمر نصحى ونوى
اى والذى مازال يسرى جاهدا * حتى أتى ميقاته وماونى
فقدم الغسل وصلى ونضى * أثوابه مستغفرا مما جنى
ثم نوى ملبيا ثم مضى * حتى رأى ذات السناء والسنا
ثم أتى باب بنى شيبة قد * أبصر ما أمّل قدما مذ دنا
فقبل الركن وطاف وسعى * ثم مضى مرتحلا نحو منى
ثم أتى الموقف يدعو راغبا * حتى اذا ما نفر القوم انثنى
ثم رمى ثم أفاض وانبرى * معتمرا قد نال غايات المنى
ثم مضى مرتحلا فيمن مضى * مما طيبة لا يشكو العنا
يبغى التى شرّفها الله بمن * شاد به الدين القويم وابتنى
فلم يكن ممن اذا جف جفا * بل يمم القبر وزار واعتنى
خلق علا لم يحوها الا مرؤ * نهاه عن تبذ العلا رعى النهى
فان يقل من حازها قل الذى * له تسامى كل مجد وانتهى
معتصم الراجين ان خطب دنا * وكهفهم ان راع أمر ودهى
المرشد الناصح لله فما * قصر فى نصر الهدى ولا لها
من جد فى ادراك ما رام بجد * ولم يصب من قد توانى وسها
فلا يقصر بك خوف خيبة * من خيل الخيبة فى البدء وهى
واكتسب الحمد بما تبديه من * فتح اللها بمستدامات اللها
واحرص على المجد ودنياك اطرح * فأمرها أمر زهيد المشتهى
والمرء من ان فاته لم يكتئب * وان ينل لم يفتخر ولا ازدهى
من لازم الكبر على الناس اغتدى * متضع القدر ولو نال السها
أنى تخيب اليوم آمالى ولى * من كفه أكرم من صوب الحيا

قوله انك الخ فيه تقديم الواو على النون والخطب سهل فتنبه اه مصححه

يدنى الفتى الى مدى آماله * ولو غدا من دونها الارض اللبا
ان أهزل القوم زمان معوز * أنعشهم حتى يرى لهم حبا
وان أمات الجدب كل مخصب * بدا لنيران القرى منه حبا
أرسل سحب هديه جارية * بالحق حتى حيي الدرحبا
أوقع فى الانفس من ماء لدى * ظام اذا ما اشتد بالشمس الحبا
لم تعى من فعل جميل كفه * ولا له فى المكرمات معتبا
مالى لا أبلغ أقصى غاية * فى مدح من بالغ جودا واغتبا
لكل شخص غاية يبلغها * وماله فى المعلوات مغتبا
تعياد السائل من معروفه * ولم يقصر كرما ولا اعتبا
والآن قد أكملتها فى مدحه * مقصورة يقصر عنها من خلا
ضمنتها من كل فن درر ا * نظما فاضحت من نفيسات الحلى
حليتها جيد معاليه وما * أملح حلى الجيد فى جيد العلا
جعلتها منى وداعا فاعتجب * لنظمها الحلو الجنى كيف حلا
من قارب الرحلة عن ذاك الحمى * كيف أجاد النظم يوما أو درى
أرسلتها من خاطر خامره * وجد جلا عن مقلتى طيب الكرى
وكيف لا آسى على بعدى عن * قوم جرى من جودهم ما قد جرى
أنصار دين الله والهادى الذى * لولا وضوح هديه ضل الورى
فالقلب بين مشرق ومغرب * مقسم اللوعة مجذوب العرا
اذا ذكرت الغرب حنت مهجتى * وبل دمعى من جوى الشوق الثرى
وان ذكرت حب من فى مشرق * أبطأ بى جهم عن السرى
ان يصف من وجه لشخص مورد * كدر من أخرى فلا صفو يرى
فان ترحلت فقلبى عندكم * لم يرتحل عن بابكم ولا مرى
ولا تزال رسل شوقى أبدا * تترى على مجدكم الجزل الندى
ولن تمر ساعة الا هفا * بذكركم مفصح نظمى وشدا
فليس عندى للنجاة مخلص * ان لم يكن منكم نوال وجدا
بكم ملاذى وحماكم ملجئى * ليس سوى ذاك السماح المجتدى
وماذخرنا عدة سواكم * مثلكم من يرتجى ويجتدى
لا أوحش الله ديارا أنتم * فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى
ولا نأت داركم ولا خلا * ربعكم ما راح يوم واغتدى

(ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة وهى المعروفة ببديعية العميان) ولو لم يكن من محاسنه الا قصيدته التى فى التورية بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم لكفى وهى من غرر القصائد وكثير من الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى الفضل عياض وكنت أنا فى أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة حتى وقفت على شرح

البديعية الموصوفة لرفيقه أبي جعفر فاذا هي منسوبة للناظم ابن جابر وهي

في كل فاتحة للقول معتبره * حق الثناء على المبعوث بالبقره
في آل عمران قد ماشاع مبعثه * رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مد للناس من نعماه مائدة * عمت فليست على الانعام مقتصره
أعراف نعماه ماحل الرجاء بها * الا وأنفال ذاك الجود مبتدره
به توسل اذ نادى بتوبته * في البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا * ولن يروع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة ابراهيم كان وفى * بيت الاله وفى الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوى النحل ذكرهم * في كل قطر فسبحان الذى فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه * بشرى ابن مريم في الانجيل مشتهره
سماه طه وحض الانبياء على * حج المكان الذى من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذى عمروا * من نور فرقانه لما جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا * كالنمل اذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه قصص للعنكبوت أتى * اذ حاك نسج بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدما أمره وبه * لقمان وفق للدر الذى نثره
كم سجدة في طلى الاحزاب قد سجدت * سيوفه فأراهم ربه عبره
سباهم فاطر السبع العلا كرما * لمن بياسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفت الاملاك تنصره * فصاد جمع الاعادى هاز مازمره
لغافر الذنب في تفضيله سور * قد فصلت لمعان غير منحصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها * مثل الدخان فيعشى عين من نظره
عزت شريعته البيضاء حين أتى * أحقاف بدر وجند الله قد نصره
فجاء بعد القتال الفتح متصلا * وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم في * أن الذى قاله حقا كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سوددة * والافق قد شق اجلالا له قمره
أسرى فنال من الرحمن واقعة * في القرب ثبت فيه ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها * وفي مجادلة الكفار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في * صف من الرسل كل تابع أثره
كف يسبح لله الحصاة بها * فاقبل اذا جاءك الحق الذى قدره
قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها * نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحب للدنيا ورغبته * عن زهرة الملك حقا عند ما نظره
في نون قد حقت الامداح فيه بما * أثنى به الله اذ أبدى لناسيره
بجاهه سال نوح في سفينته * سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا * من مد لا تابعا للحق لن يذره

مدثرا شافعا يوم القيامة هل * أتى نبي له هذا العلا ذخره
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ * عن بعثه سائر الاخبار قد سطره
ألطافه النازعات الضيم في زمن * يوم به عبس العاصي لما ذعره
اذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت * سماؤه ودعت ويل به الفجره
وللسماء انشقاق والبروج خلت * من طارق الشهب والافلاك منتثره
فسبح اسم الذي في الخلق شفعه * وهل أتاك حديث الحوض اذ نهره
كالفجر في البلد المحروس غرته * والشمس من نوره الوضاح مستتره
والليل مثل الضحى اذ لاح فيه ألم * نشرح لك القول في أخباره العطره
ولو دعا التين والزيتون لابتدرا * اليه في الحين واقرأ تستبن خبره
في ليلة القدر كم قد حاز من شرف * في الفخر لم يكن الانسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له * أرض بقارعة التخويف منتشره
له تكاثر آيات قد اشتهرت * في كل عصر فويل للذي كفره
ألم تر الشمس تصديقا له حبست * على قريش وجاء الروح اذ أمره
أريت أن اله العرش كرمه * بكوثر مرسل في حوضه نهره
والكافرون اذا جاء الورى طردوا * عن حوضه فلقد تبت يدا الكفره
اخلاص أمداحه شغلي فكم فلق * للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
أزكى صلاتي على الهادي وعترته * وصحبه وخصوصا منهم عشره
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم * عثمان ثم علي هالك الكفره
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو * عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وحمزة ثم عباس وآلهما * وجعفر وعقيل سادة خيره
أولئك الناس آل المصطفى وكفى * وصحبه المقتدون السادة البرره
وفي خديجة والزهرا وما ولدت * أزكى مديحي سأهدي دائما درره
عن كل أزواجه أرضى وأوثر من * أضحت براءتها في الذكر منتشره
أقسمت لازلت أهديهم شذا مدحي * كالروض ينثر من أكمامه زهره

انتهت القصيدة * وقد عارض منحاها جماعة فما شقوا لها غبارا ومن معارضاتها قول بعضهم

بسم الاله افتتاح الحمد والبقره * مصليا بصلاة لم تزل عطره
على نبي له الرحمن ممتدح * في آل عمران أيضا والنسا ذكره
كذا بمائدة الانعام فضله * ووصفه التم في الاعراف قد نشره
أنفاله نزلت أيضا براءة من * يحبه وهو مشغول بما أمره
به نجا يونس من حوته ونجا * هود ويوسف من سجن به عبره
أقسم برعد بابراهيم ان له * في حجر نحل ترى الآيات مشتهره
سبحان جاعله كهفا لامته * ومريم زوجة في جنة نضره

طه به الانبيا للحج قد وفدوا * والمؤمنون على النور اقتفوا أثره
آيات فرقانه ذات لها الشعرا * وسورة النمل قد قصت لنا سيره
والعنكبوت على غاره نسجت * والروم ولت برعب منه منكسره
لقمان حكمته من بعض حكمته * فاسجد لرب على الاحزاب قد نصره
كم فى سبا عبرة للقلب قد فطرت * فاذ بيا سين تنجو يا أخا البصره
قد صفت الانبيا والرسل قاطبة * خلف النبى بأمر الله مؤتمره
ان صاد قلبى الهوى تنزيل منتذه * وغافر الذنب كم ذنب له غفره
كم خلعة فصلت للطائعين له * وأمرهم بينهم شورى بلا نكره
لا تلهكم زينة الدنيا وزخرفها * كانوا يروها كدخان له قتره
اذا جنا الخلق والاحقاف قد شرفت * فذاك يوم على الكفار قد نصره
محمد خصر بالفتح المبين وقد * اتاه فى الحجرات الوحى بالخبره
قاف الوفاق وذر الطور نجم هدى * وشق رب السما للمصطفى قمره
رحمن واقعة كل الحديد بها * كم من مجادلة فى الحشر محتذره
من يمتحن صفنا فى يوم جمعتنا * فليس يلفى به غش ولا كدره
مطهر من نفاق ليس بينهم * تغابن طلقوا دنياهم القذره
وحرموها وفى ملك لها زهدوا * كزهد صاحب نون حققن خبره
ان تأونى عن نوح نبى هدى * والمصطفى سامع الجن الذى جهره
مزمل اسمه مدثر وله * يوم القيامة للانسان ماضمره
للمرسلات نبا فى يوم نازعة * عبوس تكوير شمس فيه منفطره
مطفف الكيل قد بانت خسارته * يوم تشق السما ابراجها النضره
كم طارق سبح الاعلى بغاشية * والفجر بلدته بالشمس مستتره
والليل قه ولا تترك صلاة ضحى * يشرح لك الصدر والخيرات مدخره
بسورة التين اقرأ انها نزلت * فى ليلة القدر والانوار منتشره
ولم يكن مثل خير الرسل أحمدنا * منه تزلزلت الكفار والفجره
بعاديات لها قرع بها امتنه * أعمى التكاثر من قلب له بصره
من كان فى عصره همازة لمزا * يلقاه قبل قريش قاهر قهره
ويل لمانع ماعون تراه غدا * مباعدا كوثر الهادى الذى أثره
الكافرون اذا جا نصر خالقنا * تبا لهم لعنواهم أمة كفره
أخلص لرب فلق والناس تنج اذا * يوم المعاد غدا من ثمرة عمره
وصل رب على الهادى وعترته * وآله وعلى أصحابه العشره

وممن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندى اذ قال

عوذت حبى رب الناس والفلق * المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق
اخلاص وجدى له والعذر يلقنى * تبت يدا عاذل قد جاء بالملق

يهدى لامته والنصر يعضده * والكافرون وعد الى على نسق
هذا له كوثر والدين شرعته * والمصطفى من قريش دين وتقى
ألم تر الماء قد سحت أصابعه * ويل لكل جهول بالنبى وشقى
فى كل عصر ترى آياته كثرت * أضحى تكاثرها فى سائر الافق
وعند قارعة فهو الشفيع لنا * والعاديات من الاجفان فى طلق
وزلزلت من غرامى كل جارحة * وكل بينة تحكى لكم علقى
ياعالى القدر وفقا مسنى ضرر * فالله قد خلق الانسان من علق
ولو دعا التين والزيتون جاءله * والشرح عنه طويل غير مختلق
يبدو كشمس الضحى والليل طرته * كالشمس فى بلد والفجر فى أفق
أنى بغاشية لولا لذ ياأملى * أنت الشفيع الى الاعلى وخير تقى
كم طارق منك بالاحسان يطرقنى * مثل البروج أتى فى أحسن الطرق
وفى انشقاق فؤادى عبرة وبه * ويل من الصد والاجفان فى أرق
والانفطار به مما يكابده * والشمس قد كورت فى القلب ذى الحرق
والصب فى عبس والنازعات به * وقد أتى نبأ من دمعه الغدق
ومرسلات دم الانسان جارية * الى القيامة من دمعى ومن حرقى
وبالمدثر انى ماسك أبدا * وبالمزمل ان أجمت بالغرق
فالجن والانس فى خير ببعثته * هذا ونوح به أنجى من الغرق
وفى المعارج معراج الرسول علا * حقا وفى حاقة كنز لمحترق
والله مرسله فى نون بشره * والملك خيره حتى رأى ولقى
وجاء بالحل والتحريم أمته * وبالطلاق من الدنيا لمنطلق
وفى التغابن تجاريه ربحوا * اذ المنافق فى خسر وفى نفق
ياصاحب الجمعة الغراء ياأملى * فى الصف عند امتحانى أنج من زلقى
وأنت فى الحشر عونى فى مجادلتى * عسى تزيل حديد النار من عنقى
وعند واقعة ان كان لى رمق * فاشفع الى ربك الرحمن فى رمقى
لم أرع ياقرى للنجم فى سهر * الا لعلك من نار الجحيم تقى
قلبى الكليم غدا للطور مرتقبا * ودر دمعى غدا بالذاريات سقى
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم * وليس فى حجرات الدمع من رمق
انا لتحنا قتالا للعذول فنى * أحقاف جانية فى الغيظ والحنق
دخان زخرف ما العذال فيه هبا * شورى تتركه فى أنف محترق
وعز من فصلت فى مدحه سور * نبينا المصطفى الهادى الى الطرق
فغافر الذنب كم أهدى به زمرا * وكم سقى كفه صاد بمندفق
وليس غيرك فى الصافات أقصده * وأنت ياسين لى من سائر الفرق
يافاطر اقدسيا الاحزاب طاعته * كم سجدة لك فى الاسحار والغسق

لقمان يشهد أن الروم تعرفه * والعنكبوت تقدست عن الغلق
هذا ولى قصص بالنمل قد كتبت * هامت بها الشعرا فى خده اليقق
تبارك الله من بالنور جمله * قد أفلح الحج لما زاره فوقى
يا أيها الانبيا طه ختامكم * ويا ابن مريم خذ من مسكه العبق
لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه * حتى أتى الامر بعد الخوف والفرق
فالركن والحجر حقا قد أضاءله * وذاك دعوة ابراهيم ذى الخلق
والله ربى برب الرعد ينصره * مسير شهر بلا سيف ولا درق
فيوسف مع هود والخليل اذا * ويونس شربوا من كاسه الدهق
لتوبتى أرتجى الانفال منه غدا * فانى رجل أضحيت فى قلق
أعراف أنعام انعام له اشتهرت * وكم لمائدة اسدى لمرتزق
كل النسا لم تلد مثل الرسول اذا * فينا وفى آل عمران ولم تطق
أعطيت خاتمة من سورة البقره * لم يعطها أحد فيما مضى وبقى
فأنت فاتحة الانبيا وخاتمهم * وكلهم قد أتوا بالود والملق
والقلقشندى محب قال سيرته * فى مدح خير الورى الممدوح بالخلق
فاقبل هدية عبد أنت مالكه * وانظر اليه فان العبد فى قلق
صلى عليك اله العرش ما طلعت * ورفا على فنن والورق فى الورق

وهذه القصيدة وان لم تلحق ببلاغة قصيدة ابن جابر فهى مما يتبرك به والاعمال بالنيات ووقفت على أخرى من هذا النمط هى بالنسبة الى هذه كنسبة هذه الى قصيدة ابن جابر وهى

بحمد اله العرش أستفتح القولا * وفى آية الكرسى أستمنح الطولا
وفى آل عمران بدا ذكر أحمد * نساؤهمو بالعقد قد أنعموا القولا
بأعراف رحماه بأنفال جوده * شرفنا وفضلنا وتبنا الى المولى
له يونس نادى وهود ويوسف * وذاكره فى الرعد لا يسمع الهولا
ودعوة ابراهيم كان محمد * وفى الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
له أمة كالنحل قد صح فضلهم * فسبحان من أسرى بأحمد ليلا
علا فضله والناس فى كهف ليله * ومريم فى الاخرى يكون لها بعلا
وطه له فضل على الخلق كلهم * ولكن جميع الانبياء علا فضلا
ولولاه ماج المقام وكعبة * فأفلح من قد طاف فيها ومن حلا
ومن نوره الوهاج كل منور * وفرقانه قد أخمد الكفر والبطلا
ترى الشعرا كالنمل حول محمد * اذا قصص فى العنكبوت لهم تتلى
علا دينا روما ولقمان عالم * بان السيوف أسجدت كل من ضلا
والاحزاب يسبيهم بحكمة فاطر * وياسين قد صفت له الملأ الاعلى
وصاد جميع الكافرين بزمره * له غافر فى الحرب قد فصلت فصلا
وشورا ه فى الدنيا بها كل رلفة * وقد زخرف الكفار فى دينهم جهلا

لقد رأوا الدخان حول بيوتهم * بجانبة الاحقاف قد قتلوا قتلا
محمدنا لم يخلق الله مثله * وفى الحجرات فضله أبدا يتلى
وقد أنزل الجبار قافا بذكره * كما تذر الكفار ريح بها تبلى
بطور سما والنجم ماضوء أحمد * كما قر بل نور خير الورى أجلى
به الله رحمن وفى وقعة جرى * حديبه الكفار يجدلهم جدلا
وقد سمع الغفار دعوة أحمد * بحشر واكن بامتحان به تبلى
صففنا بجمع للاعادى فنهم * منافق ان الكفر فى درك سفلى
يرى غبنه فى الخير منهم مطلق * ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا
لاحمد ملك لا يوازيه سيد * ونون لقد قلنا مقالا به استعلا
بحق لقد سالت أباطح مكة * بفضل الذى قد كان نوح به استعلى
صحيح بأن الجن جاءت لاحمد * ومزمل كان الغمام له ظلا
لمدثر فضل القيامة واضح * أتاه وجمع المرسلات أتت سبلا
وعم بجدواه فلا من منازع * فحيث تراه لا عبوسا ولا بخلا
لقد كورت شمس بها انفطر السما * لويل أتى الكفار وانشق واستولى
ولكن بروج الجو تزهو بأحمد * وفى طارق الافلاك فضله الاعلى
وغاشية كالفجر حلت ببلدة * بها حرم أمن كشمس جلت ليلا
وفاق الضحى حقا جبين محمد * كما بانشراح الصدر قد خصه المولى
فأقسم بالتين الذى عم نفعه * وبالقلم الاعلى لقدره أعلى
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم * وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
وقارعة جلت وألهاهم الهوى * ووالعصر ان الويل يقربهم نزلا
ألم تر أن الله فضل أحمدا * لامن قريش حينما سلكوا السبلا
أريت بأن الكوثر العذب خصه * به وجميع الكفر لن يردوا أصلا
لقد نصر الرحمن ربى محمدا * فأردى أبالهب ولم يكتسب نيلا
فيا أحمدانى بفضلك عائذ * اذا غسق الديجور ناديت يا مولى

ولم أقف على غير هذه الابيات من هذه القصيدة وقد سقط منها كما رأيت سورة الناس فقلت مكملا على غطه

ويا مالكا للناس انى لائذ * بعفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا
ويا رب عاملنا بما أنت أهله * من الجود والرحمى وان لم نكن أهلا
وصل على مسك الختام محمد * أتم صلاة تملأ الحزن والسهلا

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضى أبى الفضل عياض التى ضمنها سور القرآن على المهيع الماضى آنفا (وهى) الحمد لله الذى افتتح بالحمد كلامه وبين فى سورة البقرة أحكامه ومد فى آل عمران والنساء مائدة الانعام ليتم انعامه وجعل فى الاعراف أنفال توبة يونس والرعد كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق فى دار الكرامه وسبح

الرعد بحمده وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ليؤمن أهل الحجر أنه اذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ الا اليه ولا يظلمون قلامه وجعل فى حروف كهيعص سرا مكنونا قدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء ليظهر اجلاله واعظامه وأوضح الامر حتى ج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغار العظمة وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم نزل به الروح الامين على زين من وافى القيامه وأوضح لقمان الحكمة بالامر بالسجود لرب الاحزاب فسبحانه فاطر السموات أهل الطاغوت وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامه وأمد ياسين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات فصاد الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم فى القليب مكدوس ومكبوب حين شالت بهم النعامه وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدريين رضى الله عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامه ذلك بان أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف الآخرة عن دخان الدنيا فخشوا أمام الاحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يمينه وشماله وخلفه وأمامه فأعطوا الفتح وبوؤا حجرات الجنان وحين تلوا ق والقرآن المجيد وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فنافروا الساعه ذلك بأنهم امنهم الرحمن اذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لاول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة (أحده) حمد من امتحنته صفوف الجوع فى نفق التغابن فطلق الحرمات حين اعتبر الملك وعامه وقد سمع صريف القلم وكانه بالحاقة والمعارج بيمينه وشماله وخلفه وأمامه وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامه وأنس بمرسلات النبا فنزع العبوس من تحت كور العمامه وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسبيح الملك الاعلى وغشيته الشهامه فورب الفجر والبلد والشمس والليل والضحى لقد انشرحت صدور المتقين حين تلوا سورة التين وعلق الايمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه بين ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه اذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفؤ نور القارعة ولم يلههم التكاثر حتى تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أرأيتهم كيف جعلوا على رؤسهم من الكور عمامه فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن لهب الطامه وبسورة الاخلاص قروا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامه (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة تنال بها منازل الكرامه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت فى الايك حمامه انتهت * وممن نسبها للقاضى عياض الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى العباس أحمد بن أبى جمعة الوهرانى وفى نفسى من نسبتها له شئ لان نفس القاضى فى البلاغة أعلى من هذه الخطبة والله تعالى أعلم * وكنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عمى ومفيدى ولى الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الامام المفتى الخطيب سيدى سعيد

قوله مكدوس ومكبوب هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا والاصل ما بين مكدوس ومكبوب تأمل اه مصححه

ابن

ابن أحمد المقرى صب الله عليه سجال الرضوان خطبة من هذا النمط نصها (الحمد لله) الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا ومد مائدة انعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من سجنه وجبه وسبح الرعد بحمده وينه واتخذ الله ابراهيم خليلا الذى جعل فى جرا لحجر من النحل شرابا نوع باختلاف ألوانه وأوحى اليه بخفى لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه وأرسل روحه الى مريم فتمثل لها تمثلا وفضل طه على جميع الانبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا الى الاسلام قد أفلح المؤمنون اذ جعل نور الفرقان دليلا وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق نعته وشهدت النمل بصدق بعثه وبين قصص الانبياء فى مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا ممدودا وملئت قلوب الروم رعبا من هيبته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للايمان بدعوته وهزم الاحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا فلقبه فاطر السموات والارض بياسين كما نفذ حكمه فى الصافات وبين صادق صدقه باظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين اذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الاسلام وخفى دخان الشرك وخزيت المشركون جاثية كما أنذر أهل الاحقاف فلا يهتدون سبيلا وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحجر الحجرات الحرير وبقاف القدرة قتل الخراصون تقتيلا كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادى السرور وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قوته وكثرة المجادلة فى أمته الى أن أعيد فى الحشر بأحسن مقيلا امتحنه فى صف الانبياء وصلى بهم اماما وفى تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغابن خسرا وارغاما فطلق وحرم تبارك الذى أعطاه الملك وعلم القلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الايمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأنت اليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الانسان اذا أرسل مرسلات الدمع فمم يتساءلون أهل الكتاب وما تقبل من نازعات المشركين اذا عبس عليهم ما لك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا فويل للمطففين اذا انشقت السماء بالغمام وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ للقيام وعز اسم ربك الاعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم اذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا واقرأ اسم ربك الذى خلق هذا النعيم الاكبر لاهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم ونسوقهم كالعاديات الى سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عصر العقاب الاليم

وحشر الهمزة وأصحاب الفيل الى النار فلا يظلمون فتيلا وقالت قريش ما أمنتم من هول الحشر أرأيت الذى يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر وسيق الكافرون الى النار وجاء نصر الله والفتح فتبت يدا أبى لهب اذ لا يجد الى سورة الاخلاص سبيلا فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق ونعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى فسق ونتوب اليه ونتوكل عليه وكفى بالله وكيلا انتهت * ومن انشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبى المجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل أبى جعفر أحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الهاشمى الطنجانى رحمه الله تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر * ومن نظم ابن جابر المذكور قوله

جعلوا الابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وفى هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقى

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتفرقهم من الاطراف

والاشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى الالفى رحمهم الله تعالى (وقال) الرحالة بن بطوطة فى رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور ما نصه وله المكارم الشهيرة وليس بأرض الشام والعراق ومصر أكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطاياهم جريا على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الهوارى الكفيف مادحا فأعطاه عشرين ألف درهم انتهى * ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى

وفى الخيام ومن لى بالخيام رشا * لا أحسب البدر فى حسن يقاومه
مثل الغزالة ان تاهت وان طلعت * فكيف يصرف عنه الصب لائمه

وقوله رحمه الله تعالى

فى القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يبصر نورا حين يبصره
تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر نظما اذا ما لاح جوهره

وقوله

ردف أقام لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدى
أبصرتها ما بين ذا الذوبين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد

وقوله

سامح بالوصل على بخله * وقال لى أنت بوصلى حقيق
فقلت ما رأيك فى نزهة * ما بين كاسات وروض أنيق
فقال يعنى خده واللمى * هذا هو الروض وهذا الرحيق
فبت من دمعى ومن خده * ما بين نعمان وبين العقيق
واذ تدللت على حبه * قال أما تخشى أما تستفيق

هكذا فى الاصل بدون أن يذكر للمذكور شيأ فليراجع اه

قدى وخدى خفهما يافتى • هذا هو الرمح وهذا شقيق

وقوله

وقفت للوداع زينب لما • رحل الركب والمدامع تسكب

مسحت بالبنان دمعى وحلو • سكب دمعى على أصابع زينب

(رجع) الى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه ومخدومه الوزير لسان الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجو بينه وبينه جوابا عن رسالة خاطب بها لسان الدين بن الخطيب أولاده صدر نظم لم يحضرنى ذلك الآن قوله

مالى بحمل الهوى يدان • من بعد ما أعوز التدانى

أصبحت أشكوه من زمان • مابت منه على أمان

مابال عينيك تسجمان • والدمع يرفض كالجمان

نادالك والالف عنك وان • والبعد من بعده كوانى

ياشقة النفس من هوان • لجج فى أبحر الهوان

لم يثنه عن هوالك ثان • يابغية القلب قد كفانى

(وقال) بعض الحفاظ فى ترجمة أبى الحسن على بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق انه أخذ عن جماعة غيرهم كالشريف القاضى الفقيه أبى على الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسنى السبتى نزيل تلمسان والفقيه الامام العلامة قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبى عبد الله محمد المقرى التلمسانى القرشى والشريف العالم أبى القاسم محمد ابن الفقيه العالم المعلم لكتاب الله تعالى احمد بن محمد بن احمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن ابن ادريس بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وليس ادريس المذكور هنا بملك المغرب وجد الادارسة (قال) وروى أيضا عن القاضى ابن شبرين الاشبيلى ثم السبتى نزيل غرناطة والقاضى أبى البركات البلفيقى والكاتب صاحب القلم الاعلى أبى جعفر بن صفوان القيسى المالكى وابن خاتمة والفقيه الحاج أبى القاسم محمد ابن الفقيه الصالح العالم أبى عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبى القاسم محمد الغسانى الرحى نزيل فاس وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الائمة الاعلام نجوم الاسلام اه (وقد وقفت) للكفعمى رحمه الله تعالى فى شرح بديعيته على خطبة وقصيدة من هذا النمط قال رحمه الله تعالى مانصه ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزه فى فنها عزيزه وجعلناها فى مدح سيد البريه وتوريا تها فى السور القرآنيه فكن لسورها قاريا ولمعارجها راقيا وعلى وانهل من شرابها السكرى وفكه نفسك بتسجيعها العبقرى (وهى هذه) الحمد لله الذى شرف النبى العربى بالسبع المثانى وخواتيم البقرة من بين الانام وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الانعام ومنحهم بأعراف الاتقال وكتب لهم براءة من الآثام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى نجى يونس وهودا ويوسف من قومهم بعد الاستقام وغذى ابراهيم فى الحجر بلعاب النحل ذات

قوله ابن محمد بن محمد فى نسخة ابن محمد ثلاثا اه

الاسراء فضاهى كهف مريم عليها السلام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الانبياء وحج المؤمنين ونور فرقان الملك العلام فالشعراء والنمل بفضله تخبر والقصص العنكبوت الروم تذكر ولقمان فى سجدته يشكر والاحزاب كاد ذى سبا تقهر وفاطر يس اضافته ينصر وصاد مقله زمره تنظر الاعلام فآل حم بقتال فتحه فى حجرات قافه قد ظهرت وذاريات طوره ونجمه وقمره قد عطرت وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت وأبصار معانديه فى الحشر يوم الامتحان حسرت وصف جمعته فائز اذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت وله الطلاق والتحريم ومقام الملك والقلم فناهيك به من مقام وفى الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر وخصه من بين الانس والجن بيا أيها المزمل وياأيها المدثر وشفعه فى القيامة اذا دموع الانسان مرسلات كالماء المتفجر ووجهه عند نبأ النازعات وقد عبس الوجه كالهلال المتنور ويوم التكوير والانفطار وهلا ئك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر وقد حرست لمولده السماء بالطارق الاعلى وتمت غاشية العذاب الى الفجر على المردة اللئام فهو البلد الامين وشمس الليل والضحى المخصوص بانشراح الصدر والمفضل بالتين والزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر شجاع البرية يوم الزلزال اذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر ومشركى العصر أهلك الله به الهمزة وأصحاب الفيل اذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر المخصوص بالدين الحنيفى والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالنصر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبث يد امعاديه ونم بالتوحيد موالبه وما أفصح فلق الصبح بين الناس وامتد الظلام (ولنشفع) هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن فى مدح سيد ولد عدنان يحسن هنا أن تنضى عن فرائد نفائسها الطلابها ما أغدف من خمرها وستورها وتجلى عن خرائد عرائسها لخطابها ما اسدف من غررها فى خدورها فانظر الى سور أبياتها وصور تورياتها ثم ادعهن يأتينك سعيا فحفظ الها ووعيا وهى هذه

يا من له السبع المثانى تنزل * وخواتم البقره عليه أنزل
فى آل عمران النساء لم يلد * ن تطيره اعياد ذلك تفعل
مولى له الانعام والاعراف والانفال والحكم التى لا تجهل
يعلاه توبة يونس قبلت كذا * هود ويوسف رعدهم يتجلل
وكذا ابراهيم فى حجرله * والنحل فى الاسراء عليه تعول
يا كهف مريم أنت طه الانبيا * والحج ثم المؤمنون الافضل
يا نور يا فرقان يا من مدحه * نطقت به الشعراء وهو المرسل
والنمل فى قصص الحديث به دعت * وعليه نسج العنكبوت مسدل
والروم تتلو اسمه ولكم به * لقمان حقا فى المضاجع يسأل
وبعزمه الاحزاب جمعهم سبا * وبه الملائكة الكرام تفضل
يس سماه الاله بذكره * وكواكب بسعوده لا تأفل

ياليتني صاد شربت بكاسه * وعليه في زمر وردت فأنهل
كم مؤمن قد فصلت أعلامه * من زخرف بجداه يامن يعقل
ودخان جاثية على أحقافها * بقتاله أطفى وفتح أدخل
حجرات قاف ذاريات سمائه * في طورها نجم منير يكمل
ودناله القمر المنير وشقه الرحمن واقعة له لاتجهل
زغف الحديد بحربه أصواتها * رعد مجادلة لقوم أبسلوا
وله لدى الحشر العظيم شفاعة * في أمة بالامتحان تسربلوا
عن صف جمعته المنافق نائيا * يوم التغابن من حديد ينعل
يامن به شرع الطلاق ومن له التحريم والملك العظيم الاجمل
يامن به ذو النون لاذ بيمنه * لما أصيب بحاقة لاتعدل
يامن سال نوح بطاهر اسمه * يامن أتته الجن يامزمل
مدثر يوم القيامة شافع * ومخلص الانسان وهو الموئل
يامن نزول المرسلات ببعثه * ياأيها النبأ العظيم الاكمل
والنازعات نزعن نفس عدوه * هذا وقد عبس الجبين وأذهلوا
وهو الشفيع اذا المنيرة كورت * والانفطار من السماء يعجل
ولدى ذوي التطفيف ويل والسما * في الانشقاق اذا البروج تبدل
والله قد حرس السماء بطارق * لولادة الاعلى به يتفضل
وأزال غاشية العذاب ونوره * كالفجر اذ أنواره تتهلل
بلد أمين ثم شمس أشرقت * والشعر ضاهى الليل بل هو أليل
شمس الضحى من وجهه ولصدره * ألانشراح وقلبه لايغفل
يامن أتى في التين حقا ذكره * فاقرأ ولا يرتاب فيه واسألوا
يامن ليالي القدر بينة له * وعداه بالزلزال منه تزلزلوا
بالعاديات أزال قارعة العدا * وبقوله ألهاكم ماتجهل
ولقد أتى من قبل عصر نبينا * ويل لاهل الفيل منه وقتلوا
هو صاحب الايلاف والدين الذي * يسقي غدا من كوثر يتسلسل
والكافرون لنصره في جيدهم * مسد اذا التوحيد عنه تعدل
ياخاتما فلق الصباح كوجهه * والناس منه مكبر ومهلل
أبياتها ميقات موسى عدة * والكفعمي في مدحه يعجل
صلى عليه الله مع أصحابه * مازال طير العندليب يعندل انتهى

(والكفعمي) هو ابراهيم بن علي بن حسن بن محمد بن صالح نسبة الى كفر عتما قرية من قرى أعمال صفد كما تقول في النسبة الى بني عبد الدار عبدري والى حصن كيفا حصكفي وشرحه لبديعيته سماه نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع ومارأيت مثله في سعة الحفظ والجمع (ومن نظمه في أسماء الكتب)

قوله يامن سال نوح الخ يقرأ بسكون لام سال وقطع همزة اسمه لاجل الوزن كما لايخفى اه مصححه

قوله والكفعمي الخ هكذا في الاصل ولايخفى مافيه فلعل الاولى والكفعمي بمدحه يتوسل اه مصححه

يا طريق النجاة بحر فلاح * أنت دفع الهموم والاحزان
أنت أنس التوحيد عدة داع * ثم روح الاحيا وفلك المعالى
نهج حق ونثر درر نبيه * ورياض الآداب ذكرى البيان
فائق رائع مسرة راض * منتهى السؤل جامع للامان
نزهة عدة ظرائف لطف * روضة منهج جنان الجنان
فصحاح الالفاظ فيه تاق * وشذور العقود والمرجان
وهو قوت القلوب نهج جنان * وكنوز النجاح والبرهان

فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك وأكثر هذه الكتب التى ورّى بها غير موجودة بأيدى الناس بل ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة اطلاعه (ومن بدائع الكفعمى المذكور) رسالة كتب بها الى قاضى القضاة العالم العلامة أبى العباس بن الفرفورى فى شأن أستادار قاضى القضاة المذكور الامير علاء الدين ويخرج من أثنائها قصيدة منها يقبل الارض وينهى سلام عبد لكم محب وعلى المقة مكب لوبدا للناظرين عشر معشار شوقه * وغرامه لطبق ذلك مابين آفاق السموات السبع والارض لشدة هيامه تراه حقا لكم حافيا بالامن والسرور والسعد والحبور داعيا * لابرم وهذا الثناء المتوالى والدعا للمقام العالى لاشك من لازم الفرض ملكه الله تعالى أزمة البسط والقبض وأنجاك ربى من المصاعب فى دينك ودنياك وأنقذك من شر كل صغير شدة وكبيرها وأرضاك وجعلك أمينا فى الارض الى يوم القيامة والنشور والعرض كما أنت أمن لى من المخاوف وعون فى كل شدة وغوث وملجأ وعدة * وأنجحت آمالى ووفرت باخدامك لى مالى وأحسنت قرضى ووفرت باجلالك لى عرضى وينهى المملوك الى سيده قاضى القضاة وكافى الكفاة بان المتولى الامين ذا * الفخر المبين على ابن المرحوم فخر الدين قوله فى أمركم العالى مرضى وفعله مقضى ومدحكم عليه فرض واجب يراه أبدا لسانه * ويذكر المناقب وحبكم له واختياركم اياه دال بانه أمير حكيم شاهده حقا يقضى بجعله على خزائن الارض انه حفيظ عليم حديث مدح سواكم ليس من مدائحه و لايمر أبدا بقلبه * وجوارحه وان مر فى خاطره لايحلو قطعا وحكمكم عليه شرعا ومرسومكم يمضى وأمركم يقضى بتيه سرورا به رؤساء الشام و من فى القبيبات من الانام عزة * وعلوا لخدمته الشريفة اياك ولانه يافاضى قضاة الدين و الارض لايريد سواك فان يك الخادم المذكور فى بعض أفعاله غافلا أو فى مقاله * غير كاملا وعصاكم فى بعض الامر فعين العفو والستر عن ذنبه لاجرم تقضى

وهو بتوبته اليه يفضى و سلام الله عليكم ورحمته لديكم كلما نطق ناطق أو ذرّ فى المشارق شارق * ومادارت الافلاك وسجت بلغاتها الاملاك فى فسيح الطول و رحب العرض دوماما بين السماء والارض وهذه أبيات القصيدة المتولدة من هذه الرسالة

سلام محب لو بدا عشر شوقه * لطبق ما بين السموات والارض
تراه لكم بالامن والسعد داعيا * وهذا الدعا لاشك من لازم الفرض
وأنجاك فى دنياك من كل شدة * وأرضاك فى يوم القيامة والعرض
كما أنت لى عون وغوث وعدة * ووفرت لى مالى ووفرت لى عرضى

هذا و يصح أن يقرأ عونا بالنصب على الحالية وهو الذى رأيته بخطه أعنى الكفعمى ثم قال

وينهى الى قاضى القضاة بأن ذا * على بن فخر الدين فى أمركم مرضى
ومدحكم فرض يراه لسانه * وحبكم اياه شاهده يقضى
حديث سواكم لايمر بقلبه * وان مر لايحلو وحكمكم يمضى
يتيه به من فى القبيلات عزة * لخدمته اياك ياقاضى الارض
فان يك فى أفعاله أومقاله * عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضى
سلام عليكم كلما ذرّ شارق * وسجت الاملاك فى الطول والعرض انتهى

قلت وهذه طريقة بديعة وقد تبارى فيها السلف فبعضهم يعمد الى أحاديث أو آيات وينسج على منواله مثلها او يفرقها فى أبياته أو سجعاته و يكتبها بلون مخالف للاصل وقد ذكرت فى روضة الورد من أزهار الرياض من كلام ابن عاصم مالا مزيد وراءه فليراجعه من أراده وذكرت فى غيره أيضا نبذة (رجع) الى نظم ابن جابر فمن ذلك قوله

نادیت من أسـرى به * بحياة من أسـرى به
سل مدمعا تجـرى به * بلواه فى تجريبه

وقوله

أيها العاذل فى حـبى له * خلّ نفسى فى جواها تحترق
ما الذى ضرّك منـه بعدما * صار قلبى فى هواه تحترق

وله

برد الصباح على برد الصبا سحرا * مازال يذكرنى أوقات نعمان
لهفى لعيش قضينا فى معاهدها * ما بين حسن من الدنيا واحسان

وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضا

جعلت ملاك العين والقلب فى الهوى * بناطقة القرطين صامتة القلب
تصحف لى ألحاظها العين قدها * وتقلبه كيما تصيد به قلبى

قال بعض علماء المشرق أجاد والله هذا العالم المغربى المقال وأراد أن لفظ ابن اذ اقلب

صار نيلا واذا صحف صار نيلا وهذا زيادة على ما فيه من التحريف انتهى وقريب منه لرفيق المذكور قوله

يفتر عن برد يشير ببرده * حر الغرام ولا سبيل لرشفه
أخذ الرشا من حسنه طرفا لذا * نسب الورى طرف الجمال لعرفه

وله

تجر فرعها على اثرها * رافلة فى حلل الحسن
فتطلع البدر لنا فى الدجى * وترسل البدر على الغصن

وله

قد نعمنا بجزع نعمان لكن * عقنا البعد والعقوق قبيح
قل لاهل الخيام أما فؤادى * فجريح لكن ودى صحيح

وقوله

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين

رحمة أرسله الله لنا * وشفيعا قد غدا فينا غدا
وهب المال لمن مال له * وفدى من ذنبه من وفدا
ليس يحصى فضله الا الذى * هو أحصى كل شئ عددا

وله

حسن النية ما استطعت ولا * تتبع فى الناس أسباب الهوى
انما الاعمال بالنيات من * ينو شيأ فله ما قد نوى

وله

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شئ لا تجوز المسئلة
بالله قل لى أين نحوك يا فتى * أرأيت موصولا يجئ بلا صلة

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكرته وقضية ابن عنين فى ذلك مع المعظم دالة على توقد فكرته وماذاك الا انه مرض فكتب الى الملك المعظم

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائى والثناء الوافى

فعاده المعظم وأعطاه ألفا وقيل ثلثمائة وقال له هذه الصلة وأنا العائد * وقال ابن جابر المذكور

يا دار ليلى لا عصمتك يد البلى * وسقاك درّ الغيث كل سحاب
أصبو الى تلك الربوع وكيف لا * أصبو وهن منازل الاحباب

وقال من قصيدة

وأطاب تشويق الانام بحسنه * فأذكر من أسمائه كل طيب

ومنها

وانى لم أمدحه الا تشوقا * وان كان مشهورا بشرق ومغرب

وقال

شاه وجه الرقيب اذ شاء وصلى * قمرى والانام عنا نيام
زارنى بالنهار فى الليل لكن * ليل فرع يحار فيه الظلام

وقال

يا أيها الجائر فى حكمه * انى فيما قد جرى حائر
قدك من أعدل شئ يرى * وأنت فى أهل الهوى جائر

وقال

قد زعم العاذل لى أنه * يهدى لى الرشد بما يصنع
ماهو هادلى ولكنه * هاذ فسمعى قال لا تسمعوا

وقال

شفى فؤادى من شقا هجره * وبت من لقياه فى عيد
وزارنى يحكى غزال النقا * فى الحسن لولا الحلى فى الجيد

وقال

سلب القلب غزال قده * قد حكى البان لنا والسلما
ساحر العين اذا أبصره * كاتب ألقى لديه القلما

وقال

يكفى الانام بسيفه وبسيبه * عقد المكاره والمكارم دائما

وقال

تحلت بما يحكى محاسن ثغرها * وحلت عقود الصبر منى عقودها
ثقيلة أرداف فصعب قيامها * بما حملت منها وسهل قعودها

وقال

أبى حسنها الا افتتان قلوبنا * فكم قد أباد الحسن فيها من الناس
وقالت تحمل طول هجرى ان ترد * وصال ذوات الحسن قلت على الراس

وقال

أراد انسان أراد الرضا * منهم رجاما ليس بالممكن
سيان ان يعطوا وان يمنعوا * قد ضاع فيهم كرم المحسن

وقال

يا جيرة الحى حيا الله واديكم * فكم سرور به للقلب قد عرضا
فكم أنال حياة أستلذ بها * اذا أنا لم أنل من وصلكم غرضا

وقال

شب حر الفؤاد ماء رضاب * منه قد حار فيه ماء الغمام

زان بالحلى جيده قلت ماذا * قال شئ نظمته من كلامى

وقال

صادقلبى وصدق عنى صدودا * وانثنى يسحب الذوائب سودا
فرأيت الصباح فى الليل يبدو * وشهدت الرشا يصيد الاسودا

وقال

انى سئمت من الزمان لطول ما * قد صدق عن حسن الوفاء رجاله
ومن النوادر فى زمانك أن ترى * خلا به حمدت لديك خلاله

وقال

ان قابل الغصن باعطافه * فقل أن تبصر من فرق
قلت قد استعبدت كل الورى * فقال ذاك البعض من حق

وقال

صح أن الصباح من وجنتيها * وغصون الرياض من معطفيها
قاتل الله عاذلى قل يوم * ليس يسعى بالعذل فيه اليها

وقال

شدوا محاملهم يوم الرحال وقد * محا رسوم اصطبارى فقد من رحلا
هزوا الغصون على الكثبان حين مضوا * وأسبلوا فوق أقمار الدجى كللا

وقال

خذ ترى الورد بعضا من محاسنه * تبارك الله ما أحلى شمائله
لصارم اللحظ قد أرخى حمائل من * عذاره فحمى عنا خمائله

وقال

قام حادى الركاب ليلا فغنى * فاستقام السرى وثار الغرام
قيل نام الانام فاهجع قليلا * قلت دون الحبيب لست أنام

وقال

ترامى بنا فى البيد شوق الى الحمى * ترى عنده الاجفان منهلة الدمع
فلما رأينا ربع من سكن الحشا * نزلنا فقبلنا ثرى ذلك الربع

وقال

يراودنى الواشى على حب غيرها * وان محالا أن يرى مثل حسنها
موفرة الارداف مهضومة الحشا * يريك التفات الظبى فاتر جفنها

وقال

سلت علينا سيوفا من لواحظها * ومالنا من سيوف اللحظ من واق
أضحت لسفك دم العشاق هادرة * فما ترى دية فى قتل عشاق

وقال

فى خدها شبه للخال أوشية * بما حوى الحسن من ألطاف أسرار

وشى من الحسن لم يحتج لصنع يد * تبارك الله هذا صنعة الباري

وقال

بين الجوانح لو علمت من الجوى * نار عليها سكب عيني يهمع
فدع المدامع في مدى جريانها * فالدمع بعد فراقهم لا يمنع

وقال

قالوا بدارين قد قالوا وقد وردوا * ماء العقيق وبالزوراء قد بانوا
بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا * وفي البعاد عن الاحباب آفات

وقال

مليحة الخد به شامة * كالورد قد نقط بالغاليه
قلت لها ما اسمك قولي لنا * قالت فما تعرفني عاليه

وقال

جارية جارية في مدى * شبابها من أملح الخلق
ما بين فرق الصبح لما بدا * ووجهها للناس من فرق

وقال

لصبه منه امتداد النوى * فلا يلام الدمع في صبه
في قده لين فهلا قضى * بقلبه منه الى قلبه

يريد بالقلب الاول التحويل والنقل أي فهلا قضى بنقل اللين الذي في قده الى قلبه

وقال

يا لابس اللام والاسياف عارية * قد انعطفت على الاعطاف واللام
ويا ضجيع رماح الخط يرسلها * في كل هام لها باللحظ في الهام ٢

الهام الاول جمع هامة والثاني اسم فاعل من همى يهمي قال رفيقه لو قال من الهام لكان أليق بالمعنى وألطف

وقال

من مال يبغي كسب مال له * من حرمه ان جاء أو حله
فلا تثق يوما به واحترز * منه فحاذ على خله

وقال يتشوق الى وطنه بالمرية

لله عيش بالمرية قد ذهب * أخباره بالحسن تكتب بالذهب
وهبت لنا تلك الليالي مدة * ثم استردّ الدهر منا ما وهب

وقال

أنّ من شوقه فثار الضرام * ودرى الناس أنه مستهام
لا تسل ما جرى من الدمع لما * قيل هذي المقاوهذي الخيام

وقال

صلاة الله العالمين على الذي * أقلّ العطايا منه واد من النعم
يجود على الراجي وان كان مذنبا * وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال

قد سبا قلبي غزال فاتن * سل به كيف اعتدى في سلبه
أنا لا أعتب فيما قد جرى * صفح الله له عن ذنبه

وقال

صبرت له فتمادى به * هواه فكانت هي الفاصله
وأنكر بري وياطالما * أتاني يوما فألفى صله

وقال

وليل نظمنا به شملنا * كما انتظم البيت بالقافيه
وفرقنا الدهر من بعد ذا * فلست من اليوم ألقى فيه

أي فئة ولم يكمل التجنيس فيه الا بتسهيل الهمزة كما قال رفيقه ولما أنشده قال ومن هذا النوع قول بعض الاندلسيين

وقائل قال ألا صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
قلت لهم بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نارا جنى

وقال ابن جابر المذكور

قل بحق الهوى سمعت بوصل * ربة القلب أم نهاك الرقيب
رمت نيل الوصال منها فقالت * لك وصل غدا فقلت قريب

وقال

زين الخد منه صدغ كنون * قد بدا تحته عذار كلام
قلت هذي محاسن ابن هلال * فانثنى وهو ضاحك من كلامي

وقال

لها حسن لها عن كل واش * به قلبي فما أنا أستفيق
على وجناتها نعمان يبدو * لنا وشفاهها من العقيق

وقال

يمر بي ذكركم والله أحياني * ولو سرى طيفكم ليلا لاحياني
لا يعذب العيش لي بعد العذيب ولا * نعيم مثل ليالينا بنعمان

وقال

مداراة هذا الخلق أوليك بينهم * صفات هي الاقمار والنظم دارات
شارات حمد المرء أن لا ترى له * على الناس مما لازم الحلم ذارات

وقال

أرى كم أسعى الى جاهل ولو * أراك مدى في فرقد بلغ السها
وما الخير يوما من لئيم بممكن * وان كان منه الخير يوما فقدسها

وقال

أرى جيدي عن كل طارئ نعمة * أراح يدي من أن يقيدها الذل

٣ قوله مداراة الخ هكذا في الاصل ولينظر ما معناه وقوله شارات الخ فيه الخرم الا أن يكون الاصل وشارات أو اشارات فسقط الحرف من قلم الكاتب فتأمل وحرر اه مصححه

٤ قوله أرى كم الخ هكذا في الاصل ولا يخفى ما فيه فلعل الاصل هكذا أرى كمدا سعي الى جاهل ولو الخ ويكون قد ارتكب التجريد في قوله أراك مدى الخ وليحرر اه مصححه

فمن أخذ المعروف من غير أهله * تروح الليالى وهو فى عنقه غل

وقال

شبا لحظها الماضى وحسن شبابها * هما حملا نفسى من الوجد مابها
كئيب النقا من ردفها وقضيبه * لمعطفها والبدر تحت نقابها

وقال

حل عقد الصبر منى عقدها * اذ سبت قلبى بما فى قلبها
تحسب الدر على لبتها * أنجما قد كال البدر بها

وقال

شعرك الليل يبدو تحته * فرقد حار شعرى فى صفاته
نقل المسوالك عن مبسمه * أن ماء الورد يجرى من لثاته

وقال

من سن تلك اللحاظ فاتبعت * من سنة الحب كل متبع
تقتل عشاقها بلا سبب * وذاك فى الحب غير مبتدع

وقال

وما شجو صال لوعة الهجر قد قضى * زمان وصال لم تكدر مشاربه
كشجو محب لم يذق لذة الرضا * ولا بات والغيد الحسان تلاعبه

وقال

سمرت فى رحال العيس منه أهلة * فايسر حال أن أزودها قلبى
بعيشك قل لى هل دروا كيف علتى * وفيض دموعى بعد منصرف الركب

وقال

من جنى باللحاظ زهر المعانى * من جناب الحمى اذا الناس ناموا
هو قد نال كل ما يتمنى * وسعت فى مراده الايام

وقال

لطائف حسنها بربوع قلبى * لطائف ألجأتنى للغرام
تريك تكاسلا فى اللحظ منها * لتحسبه تنبه من منام

وقال

اذا زرت حيا بالعقيق فحيهم * وذكرهم عهدى وحق ودادى
حرام فراق العيس حتى تحلفى * بواديه من تلك الوجوه بوادى

وقال

من فرط ما فى الطرف من فتنة * قد غلب الحب على الناس
قالت نسيت العهد قلت اكتفى * عنى فما عبدك بالناس

وقال

بين نعمان وسلع ملأ * ليس منهم لمحب ألم

كلفى منهم ببدر حل فى * فلك العلياء فاعرف من هم

وقال

أراقبها وحين أرى سبيلا * أقاربها فتنفر كالغزال
وقالت أنت مرتقب لماذا * فقلت لها ارتقابى للهلال

وله من قصيدة مطولة فى فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت فمما يختص منها بأبى بكر رضى الله تعالى عنه قوله

فمنهم أبو بكر خليفته الذى * له الفضل والتقديم فى كل مشهد
وصديق هادى الخلق والمؤثر الذى * لانفاقه للمال فى الله قد هدى
وصهر رسول الله وابنته التى * يبرئها آى الكتاب الممجد
وصاحبه فى الغار اذ قال لا تخف * فثالثنا ذو العرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حية * هناك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفى خير الانام تسامعوا * بمكة صوت الهاتف المتقصد
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
وعتق بلال حسبه فهو سيد * تأثل فى الاسلام اعتاق سيد
وقال رسول الله ان أمنكم * على أبو بكر وأوفى بموعد
فصدق اذ كذبتم وأطاع اذ * عصيتم ووافانى موافاة مسعد
ولو أننى من أمتى كنت آخذا * خليلا تولى خلتى وتوددى
لكان أبو بكر ولكن اخوة * فى الاسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيه * وصار الى دار النعيم المخلد
تقدم فى نيل الخلافة بعده * باجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة * فلما رأته الحق لم تتردد
وقام على بعد ذاك مبايعا * فأثنى ثناء المخلص المتودد
وأظهر عذرا فى تأنيه صادقا * وبايع طوعا لا لفقدان مسند
فآب بحمد منهم غير قاصر * ومن يتبع الانصاف والحق يحمد
وما أشبه الصديق فى الفضل مشبه * ولا أحصيت أوصافه بتعدد

ومما يختص بعمر رضى الله تعالى عنه قوله من هذه القصيدة

ويتبعه فى فضله عمر الذى * رمى عن قسى الصدق قوس مسدد
وما كل من رام السعادة نالها * ولكنه من يسعد الله يسعد
هو المرء لم يترك له الحق صاحبا * ولا قعد الشيطان منه بمقعد
ولا سلك الشيطان فجا قد اغتدى * له سالكا من خوفه المتزيد
ومن ظله قد كان ينفر هيبة * له حيثما أضحى يروح ويغتدى
وقد جاء عنهم ما برحنا أعزة * باسلامه فانكف من كان يعتدى
ومن فضله رعى النبى بغيرة * له فانثنى عن قصره المتشيد

وقد قيل للفاروق هذا ومن به * فانباه عن هذا النعيم المؤبد
فأقبل يبكي قائلا كيف غيرتي * عليك ولولا أنت ما كنت أهتدي
ورؤيا رسول الله للقدح الذي * تناول من ربه ربة الصدى
فمازال يبدي شربه ويعيده * الى أن غدا من ظفره الري يبتدي
فأوله العلم الذي منه ناله * وأول رؤيا الدلو حسن التأيد
فصارت له غربا فأروى بها الورى * فكان افتتاح الارض فتح ممهد
كذلك قيص مفرط الطول سابغ * وللناس قص بعضها يبلغ الشدى
فأول خير الخلق طول قميصه * بما حاز في ايمانه من تشديد
وتفريقه ما بين حق وباطل * بيوم سقى الكفار أفظع مورد
وسمي بالفاروق من أجل هذه * ومازال في نص الهدى ذا تمجد
وحسبك أن الله وافق رأيه * لدى يوم بدر اذ رأى قتل من فدى
كذا في أذان والحجاب وجعلهم * مصلى مقاما للخليل بمسجد
شديد على أهل الهوى رحمة لمن * عن الحق لم يجنح ولم يتعمد
وما قد رووا ان كان في أمة فتى * يحدث فالفاروق من ذاك فاعدد
وما أبغض الفاروق الا مفارق * لدين الهدى ذو مذهب لم يسدد

ومما يختص بعثمان رضي الله تعالى عنه قوله

وحسبي عثمان بن عفان انه * عليه اعتمادي وهو سؤلي ومقصدي
امام صبور للاذى وهو قادر * حليم عن الجاني جميل التعود
هو الجامع القرآن والقانت الذي * اذا جن ليل ليس يأوي لمرقد
ويقطع بالصوم النهار ويثني * مدى ليله في خشية وتهجد
وقال رسول الله في بئر رومة * أما مشتر يبغي بها الاجر في غد
له الجنة العليا بذلك فاشترى * وتجهيز جيش العسرة اذ كر وعدد
فقال رسول الله اذ جاءه بما * قد احتاج من مال وظهر وأعبد
هنيأ لعثمان بن عفان فعله * وما ضره ما بعد مع هذه اليد
وقول ألا أبدي حياء لمن له * قد استحت الاملاك أشرف محتد
وبلغ بشرى الهاشمي بأنه * من الجنة العليا بأكرم مقعد
ولم يرض صونا للدماء بحربهم * وكان متى يستنجد القوم ينجد
فمات شهيدا صابرا فهو خير من * على نفسه في غير حق قد اعتدى
على بنتي اختار أرضى ستوره * فنا هيك من مجد وعز مجدد
ولم يدع ذا النورين الا لانه * سوى بيته نورين من نور أحمد
وان لعثمان بن عفان رتبة * من المجد تسمو عن سماك وفرقد

ومما يختص بعلي رضي الله تعالى عنه قوله

وان عليا كان سيف رسوله * وصاحبه السامي لمجد مشيد

وصهر النبي المجتبى وابن عمه * ابو الحسنين المحتوى كل سؤدد
وزوجه رب السما من سمائه * وناهيك تزويجا من العرش قد بدى
بخير نساء الجنة الغر سؤددا * وحسبك هذا سؤددا لمسود
فياتا وجل الزهد خير حلاهما * وقد آثرا بالزاد من كان يجتدى
فآثرت الجنات من حل ومن * حلى لها رعيا لذاك التزهد
وماضر من قدبات والصوف لبسه * وفي السندس الغالي غدا سوف يغتدى
وقال رسول الله انى مدينة * من العلم وهو الباب والباب فاقصد
ومن كنت مولاه علي وليه * ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد
وانك مني خاليا من نبوة * كهرون من موسى وحسبك فاحمد
وكان من الصبيان أول سابق * الى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وجاء رسول الله مرتضيا له * وكان عن الزهراء بالمتشرد
فمسح عنه الترب اذ مس جلده * وقد قام منها آلفا للتفرد
وقال له قول التلطف قم أبا * تراب كلام المخلص المتودد
وفي ابنيه قال المصطفى ذان سيدا * شبابكم في دار عز وسؤدد
وأرسله عنه الرسول مبلغا * وخص بهذا الامر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عني ينبغي * لمن ليس من بيتي من القوم فاقتدى
وقد قال عبد الله للسائل الذي * أتى سائلا عنهم سؤال مشدد
وأما علي فالتفت أين بيته * وبنت رسول الله فاعرفه تشهد
ومازال صواما منيبا لربه * على الحق قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال معرضا * عن المال مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا وكلما * رآها وقد جاءت يقول لها ابعدى
وأقربهم للحق فيها وكلهم * أولو الحق لكن كان أقرب مهتدى

(ومنها في ذكر السبطين رضي الله تعالى عنهما)

وبالحسنين السيدين توسلي * بجدهما في الحشر عند تفردى
هما قرتا عين الرسول وسيدا * شباب الورى في جنة وتخلد
وقال هما ريحانتاى أحبهما * أحبهما فاصدقهما الحب تسعد
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا * وماذا عسى يحصيه منهم تعددى
فمن صدره شبه الحسين أجله * وللحسن الاعلى وحسبك فاعدد
وللحسن السامي مزايا كقوله * هو ابني هذا سيد وابن سيد
سيصلح رب العالمين به الورى * على فرقة منهم وعظم تبدد
وان تطلبوا ابنا للنبي فان تروا * سواى مقال منه غير مفند
بدا سيدا اظهر الرسول قدارتقى * فقر ولم يجعله وهو بمسجد
فقالوا له طال السجود فقال لا * ولكنما ابني خفت ان قمت يشرد

وكان الحسين الصارم الحازم الذى * متى يقصر الابطال فى الحرب يشدد
شبيه رسول الله فى البأس والندى * وخير شهيد ذاق طعم المهند
لمصرعه تبكى العيون وحقها * فلله من جرم وعظم توّدد
فبعدا وسحقا ليزيد وشمره * ومن سار مسرى ذلك المقصد الردى

(ومنها فى ذكر حمزة رضى الله تعالى عنه)

ومن مثل ليث الله حمزة ذى الندى * مبيد العدا ماأوى الغريب المطرّد
فكم حز أعناق العداة بسيفه * وذبّ عن المختار كل مشدّد
فقال رسول الله هذا أمرته * ولى أسد ضار لدى كل مشهد
وقال أبو جهل أجبت محمدا * لما شاءه فاهتز هزة سيد
وأهوى له بالقوس ما بين قومه * ونال وأخرى بالحسام المهند
وقال له انى على دينه فان * أطقت فعرّج عن طريق وارددد
فذل أبو جهل وأبدى تلطفا * مقرّا بقبح السبّ فى حق أحمد
فعاد وقد نال السعادة واهتدى * وأضحى لدين الله أكرم مسعد
وفى يوم بدر حث عند سؤالهم * لما شهدوا من بأسه المتوقد
لمن كان أعلام بريش نعامة * يشرّدنا مثل النعام المشرّد
فذاك الذى والله قد فعلت بنا * أفاعيله فى الحرب ما لم نعوّد
وفى أحد نال الشهادة بعدما * أذاق سباعا للردى شرّ مورد
ففاز وأضحى سيد الشهداء فى * ملائكة الرحمن يسمو ويغتدى
وصلى رسول الله سبعين مرّة * عليه الى ثنتين عند التعدّد
وقال مصاب لن نصاب بمثله * وان كان لى يوم سأجزى بازيد
وزاد الى فضل العمومة انه * أخوه رضاعا هكذا المجد فاشهد
ومازال ذا عرض مصون عن الاذى * ومال مهان فى العطايا مبدّد
كريم متى ما أوقد النار للقرى * تجد خير نار عندها خير موقد

(ومنها فى ذكر العباس رضى الله تعالى عنه)

وقد بلغ العباس فى المجد رتبة * تقول لبدر التم قصرت فابعد
الا انه فضل السقاية قد حوى * فكان لوفد الله أكرم مورد
وكان طويل الباع فى البأس والندى * كريما متى يسترفد القوم يرفد
ويوم حنين ليس ينسى ثباته * ودعوته مستنجدا كل منجد
وقال رسول الله فيه على ما * عليه وأيضا مثله فى التزيد
ألا ان عم المرء صنو أبيه كى * يزيدهم فى بره المتأيد
وبشره أن الخلافة فى الورى * لاولاده من سيد ومسوّد
بشيبته استسقوا اذا المحل شامل * فجاءهم غيث سقى كل مفدفد

وهذا ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة وليس بيدى الآن ديوان شعره حتى أكتبها

بكما لها فانها مناسبة لهذا الباب الذى جعلناه ختما للكتاب كما لا يخفى

(ومن مقطوعات ابن جابر)

شغفت بها حينا من الدهر لم يكن • سوى سكب دمعى فى محبتها كسبى
وما أصل هذا كله غير نظرة • الى مقلة منها أضعت لها قلبى

وقال

قد بان عذرى فى مليح له • لحظا رشا يلحظ من ذعر
انى على الهجر مطيع له • ممتثل فى السر والجهر

وقال

هذا الرشا يقنص ليث الشرى • بنظرة منه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوماله • لكان من أول ما يقنص

وقال

ظبية فى ثغرها العس • يجتنى من رشفه عسل
سلك النبه بمقلتيها • مسلكا قد زانه كحل

وقال

رقم الخال خده فرأينا • قمر الافق فيه نقطة ليل
قلت أين الكثيب والغصن قالت • كل ما قد ذكرته تحت ذيلى

وقال

ان خفت من فتك المهند والقنا • فاذا رنت واذا مشت لا تقرب
فى قلب برقعها محاسن أنزلت • قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال

رأى عذولى حسنها بعدما • حقق كونى للهوى جانحا
فقال ان كنت محبا لها • فقد حمدنا رأيك الناجحا

وقال

ذكر الله بالمرية عيشا • لست عن ذكره الجميل أحول
طال عهدى بها ومادمت حيا • لا يزيد الرجاء بل قد يطول

وقال

مرت ليال بالمرية طالما • قضيت من ليل بهن ما آربا
لم أسل عن تلك الديار وانما • جعل القضاء لكل نفس غالبا

وقال

لا تعتفى عن العقيق فانى • بين اكنافه تركت فؤادى
وعلى تربه وقفت دموعى • ولسكانه وهبت ودادى

وقال

عرف المنزل الذى دار فيه • زمن الانس والشباب النضير

فشجاه قلب التلاقى فراقا * وانثنى عنه ذا فؤاد كسير

وقال

جمال هذا الغزال سحر * ياحبذا ذلك الجمال
هلال خديه لم يغيب * عنى وان غيب الهلال
غزال أنس يصيد أسدا * فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دل كل شوق * على اذ زانه الدلال
كماله لا يخاف نقصا * دام له الحسن والكمال
نباله قد برت فؤادى * ياحبذا تلكم النبال
حلال وصلى له حرام * وحكم قتلى له حلال
زلال ذاك الحمى حياتى * وأين لى ذلك الزلال
قتاله لا يطاق لكن * يعجبنى ذلك القتال

وقال

اذا جئت نجدا كرم الله عهده * فسلم على أهل المنازل من نجد
لئن حال بعد الدار بينى وبينهم * فانى لارعاهم على ذلك البعد

وقال

نجلت عند ما نظرت اليها * وانثنت وهى بين تيه ومنع
انما ورد خدها زرع طرفى * حين مروا فكيف أمنع زرعى

وقال

لك نفسى اذا بدت لك نجد * فلقد سرنى الزمان بنجد
فلتلك الخيام عندى عهد * وأبى الله أن أضيع عهدى

وقال

سل عن القوم ان بدت لك سلع * ففؤادى عند الذين بسلع
لى على تلكم المعاهد دمع * كاد يغنى بها عن الله دمعى

وقال

صفحوا عن محبهم واقالوا * من عثار النوى ومنوا بوصل
لست أستوجب الوصال ولكن * أهل تلك الخيام أكرم أهل

وقال

مال الزمان بهم عنى وقد بعدوا * لم يلهنى عنهم أهل ولا مال
انى لا خشى وما الايام طوع يدى * أنى أموت ولى فى القلب آمال

وقال

بين وادى النقا وبان المعلى * فتية أبسوا الوجود جمالا
ان يكن قد نوى لى الدهر قربا * منهم فهو قد كفانى توالا

وقال

زرت الديار عن الاحبة سائلا * ورجعت ابكيهم بدمعى سائلا
ونزلت فى ظل الاراكة قائلا * والربع أخرس عن جواب قائلا

وقال

لا أوحش الله المنازل منهم * منهم غدت تلك الديار حسانا
فاشكر لدهرك ان أراك بحاجر * بان الحمى وأراكه قد بانا

وقال

لك ياوادى العقيق علينا * كل ماشئت من ذمام وثيق
فمن البر أننى أتبرى * من عقوق لمنزل بالعقيق

وقال

يا أهل ذى سلم بشرى لمستلم * ذاك الثرى مقدم فى السير لم ينم
يؤم دارا بها خير الورى حسبا * الخاتم الرسل من عرب ومن عجم

ولنقتصر من كلام ابن جابر فى هذا الموضع على هذا المقدار وانما أطنبت فيها لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين فى عدم توفيته فى حق المذكور وحق رفيقه مع انه أطال فيمن دونهما من أهل عصره وأيضا فان كلاهما غريب عندنا بالمغرب لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار وكان خبرهما فى الشرق أشهر (وأما رفيقه) شارح بديعيته فقد ذكرنا فى غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ولنزد هنا ما تيسر فنقول من نظمه

لما عدا فى الناس عقرب صدغها * كفت أذاه من الورى بالبرقع
والصبح تحت خمارها متستر * عنا متى شاءت تقول له اطلع

وقال

تجنت فجن فى الهوى كل عاقل * رآها وأحوال المحب جنون
وما وعدت الا غدت فى مطالها * كذلك وعد الغانيات يكون

وقال

لا تجدوا فى الهوى على كلف * نظيره فى الغرام لن تجدوا
لهفان مايشتكى الى أحد * ظمآن غير الدموع لا يجد

وقال

رب ليل قطعته بالجزيره * فتذكرت أهلنا بالجزيره
قصر الانس ماتطاول منه * وكذا أزمن السرور يسيره

قال والجزيرة الاولى المراد بها حمص المحيط بها النهر المسمى بالعاصى والثانية جزيرة الاندلس

وله أيضا

ومالى والتزين يوم عيد * وجيد صبابتى بالدمع حالى
وقد أرسلت أشهبها بريدا * وبعد كميتها ينبى بحالى

والمراد بالاشهب الدمع الذى لا يشوبه شئ وبالكميت الدمع المشوب بالدم وفى شرح

البديعية وقد ذكر العقيق بعد كلام ما نصه قلت وكان هذا الوادى المبارك زمن عثمان رضى الله تعالى عنه ذا قصور محتفه وحدائق ملتفه وبنيان مشيد ونخل طلعه نضيد وجنات تؤتى أكلها كل حين وسواق تجرى به بماء معين ثم لعبت به أيدى السنين وغيرت معالمه فصار عبرة للناظرين فلم يبق من معاهده الا آثار تشهد بحسنه ونضرة نعيم تدل على ما سلف من نضارة غصنه وقد خرجنا الى هذا الوادى أيام مجاورتنا بالمدينة الشريفة وهو يتدفق بمائه ويعارض بجوهر حبابه أنجم سمائه وقد سالت شعابه وفاض عبابه والناس تفرقوا فى جهاته وافترشوا غض نباته والشيح قد توشح بالندى والانس قد راح به وغدا والاصيل مذهب الرداء والبيداء مخضرة الانداء وبحاقيه آثار قصور ليس لها فى الحسن قصور قد بليت وحسنها جديد وخربت وربعها بالانس مشيد انتهى ومن بديع نظمه قوله

مهلا فما شيم الوفا منقادة ● لمن ابتغى من نيلها أوطارا
رتب المعالى لا تنال بحيلة ● يوما ولو جهد الفتى أوطارا

وقوله رحمه الله تعالى

على وادى العقيق سكبت دمعى ● بلا عين فيبدو كالعقيق
فكم غصن ورق منه يحكى ● قوام رشا شهى فم ورقيق

وقال

سالتك بالله يا من غدا ● يصرف بالقلب أفعاله
تدارك محبا بدرياق وصل ● فان بعادك أفنى له

وقال

لا تامننه على القلو ● ب فمنه أصل غرامها
فلحاظه هن التى ● رمت الورى بسهامها

ومن فوائده رحمه الله تعالى فى شرح البديعية ما نصه ومن غريب ما فى لدى أن أبا على حكى فى تذكرته عن المفضل أنها أتت بمعنى هل وأنشد

لدى من شباب يشترى بمشيب ● وكيف شباب المرء بعد ذهاب انتهى

(رجع) وقال رحمه الله تعالى يتشوق الى حمراء غرناطة

دامت على الحمراء حمر مدامعى ● والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال المدى بى عنهم ولربما ● قد عاد من بعد الاطالة تائب

وقال

ما هب من نحو السبيكة بارق ● الا غدا شوقى لقلبى سالكا
والله ما اخترت الفراق لربعها ● لكن قضاء الله أوجب ذلكا

وقال

منازل سلمى ان خلت فلطالما ● بها عمرت فى القلب منى منازل
رسائل شوقى كل يوم تزورها ● وما ضيعت عند الكرام الرسائل

وقال

بجور الوداع لنا موقف * أذاب الفؤاد لاجل الوداع
فما أنا أنسى غداة النوى * وحادى الركائب للبين داعى

قال وجور الوداع موضع بظاهر غرناطة عادة من سافر أن يودع هنالك

وقال

ناولته وردة فاحمر من خجل * وقال وجهى يغنينى عن الزهر
الخد ورد وعينى نرجس وعلى * خدى عذار كريحان على نهر

وقال رحمه الله تعالى فى التشريع

يا راحلا يبغى زيارة طيبة * نلت المنى بزيارة الاخيار
حى العقيق اذا وصلت وصف لنا * وادى منى ياطايب الاخبار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا * زال العنا وظفرت بالاوطار

وقال

يا أولا فى المرسلين وآخرا * الله خصك بالكمال ليرضيك
من قبل آدم قد جعلت نبيه * قدما فقدمك الاله ليعليك
أوحى اليك لكى تكون حبيبه * وبتم نعمته عليك ويهديك

وقال

صيرتنى فى هواك اليوم مشتهرا * لا قيس ليلى ولا غيلان فى الاول
زعمت أن غرامى فيك مكتسب * لا والذى خلق الانسان من عجل

وقال

لا تعادى الناس فى أوطانهم * فلما يرجى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق حسن

وقال

نسختى اليوم فى المحبة أصل * فعليها اعتماد كل عميد
نقلوا مرسل المدامع منها * وصحيح الهوى بغير مزيد
قد رواها قلبى جميل وقيس * حين هاما بكل لحظ وجيد

(ومن فوائده) أنه لما أنشد فى مارا الحلة قول سعد الدين محمد بن عربى فى ابن مالك ان الامام جمال الدين فضله الى آخره قال ما ملخصه ولما أورده الصفدى فى فض الختام قال هذا فى غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى الفوائد وانما هو تسهيل الفوائد فذكر المضاف اليه دون المضاف وهى قرينة ناقصة قلت ابن مالك له كتابان أحدهما الفوائد صنعه أولا ثم صنع تسهيل الفوائد بعده وكنه سهل فيه كتاب الفوائد وكنت وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد ببلدنا غرناطة فلما وصلنا الى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده وتمادى الامر على ذلك الى سنة ٧٦٠ فوجدناه فى حلب وهو الآن عندنا وهو عزيز الوجود ولذلك خفى على القاضى صلاح الدين انتهى . وبعضه بالمعنى وقال أبو جعفر

أحمد المترجم به كتبت الى صاحبنا الشيخ بدر الدين خليل الناسخ

مددت النوى وقصرت اللقا * أترضى بهذا وأنت الخليل
وتترك أحمد ذا وحشة * لديك وأنت له ابن جليل

وقال

قد كان لى أنس بطيب حديثكم * والآن صار حديثكم برسول
ولقد مددت من النوى مقصوره * ان الخليل يراه غير جميل

وله رحمه الله تعالى

ما للنوى مدت وأنت خليلنا * ولقبل قد قصرت برغم الكاشح
أتبعت فى ذا مذهبا لا يرتضى * ابدا وليس الرأى فيه بصالح

وله

ولما رأى الحساد منك التفاتة * الى جانب اللهو الذى كان مرفوضا
أضافوا الى عليائك كل نقيصة * حقيق لدينا بالاضافة مخفوضا

وله

حسنك ما بين الورى شائع * قد عرف الآن بلام العذار
فجاء منه مبتدا للهوى * خبره الآس مع الجلنار

ولنقتصر على هذا المقدار الى هنا (رجع) الى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى وقد قدمنا أن على بن لسان الدين كان نديم السلطان وخاصته كما ذكرنا فى مخاطبته لابن مرزوق فى الباب الخامس قوله فالسلطان يرعاه الله تعالى يوجب ما فوق مزية التعظيم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم وترك لما بالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصح وغيره (ومن نصائحه رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان السلطان (ونصه) من عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعده وبلغه من فضله العميم قصده الى أوليائنا المخصوصين منا ومن سلفنا بذمام الجوار القريب والمساكنة التى لا يتطرق الى حقها الذى بنى استرابة المستريب المعتمدين اذا عدت الرعايا وذكرت المزايا بمزيد الاعتناء والتقريب من الاشياخ الجلة الشرفاء والعلماء والصدور الفقهاء والعدول الاذكياء والاعيان الوزراء والحماة المدافعين عن الارجاء والامناء الثقات الاتقياء والكافة الذين نصل اليهم عوائد الاعتناء ونسير فيهم باعانة الله تعالى على السبيل السواء من أهل حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى وربضها شرح الله تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صدورهم وكنف بنتائج الاستقامة سرورهم وأصلح بعنايته أمورهم واستعمل فيما يرضيهم أميرهم ومأمورهم سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى اذا رضى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا والذكرى لبناء المتاب أساسا والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى

قوله التعظيم فى نسخة التعليم اه

هدانا الى الفوز العظيم ابتغاء لرحمته والتماسا والرضا عن آله الذين اختارهم له ناسا وجعلهم مصابيح من بعده اقتداء واقتباسا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى اعزازكم وحرس أحوازكم وجعل للعمل الصالح اهتزازكم وبقبول النصائح امتيازكم من مستقرنا بمعروسة الحمراء حماها الله سبحانه ولا متعرف بفضل الله تعالى الاهداية تظهر على الاقوال والاعمال وعناية تحف من اليمين والشمال وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال وأنتم أولياؤنا الذين لانذخر عنهم نصحا ولانهمل فى تدبيرهم ما يثمر نجحا وبحسب هذا الاعتقاد لانغفل عن نصيحة ترشدكم اذا غفلتم وموعظة تقصها عليكم اذا اجتمعتم فى بيوت الله واختلفتم وذب عنكم تارة بسلم نعقدها ومطاولة نسددها وتارة بسيوف فى سبيل الله تعالى نجردها وعساكر للشهادة نردها ونفوس بوعد الله نعدها ونرضى بالسهر لتنام أجفانكم وبالكد لتستريح صبيانكم وولدانكم وباقتحام المخاوف ليحصل أمانكم ولو استطعنا أن نجعل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلنا أو امكننا أن لانفضلكم رعية بصلاح دين أو دنيا لفعلنا هذا شغل زماننا منذ عرفنا ومرمى همنا مهما استهدفنا وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم وملأنا طاعتكم وحرم علينا اضاعتكم والراعى اذا لم يقصد بسائمته المراعى الطيبه وينتجع مساقط الغمائم الصيبه ويوردها الماء النمير ويتبع لها النماء والتثمير ويصلح خللها ويداوى علها قل عددها وعدمت غلتها وولدها فندم على ماضيعه فى أمسه وجنى عليها وعلى نفسه وألفينا كم فى أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه وملأت أيديكم مواهبه وقسمه وشغل عدوكم بفتنة قومه فنمتم للعافية فوق مهاد وبعد عهدكم بما تقدم من جهد وجهاد ومخمصة وسهاد فاشفقنا أن يجركم تو الى الرخاء الى البطر أو تحملكم العافية على الغفلة عن الله تعالى وهى أخطر الخطر أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه أو تستعينوا على معصيته بنعمه فمن عرف الله تعالى فى الرخاء وجده فى الشده ومن استعد فى المهل وجد منفعة العده والعاقل من لايغتر فى الحرب أو السلم بطول المده فالدهر مبلى الجده ومستوعب العده والمسلمون اخوانكم اليوم قد شغلوا بأنفسهم عن جبركم وساوا لله فى نصركم ونشبت الايدى ولاحول ولاقوة الا بالله بثغركم وأهمتهم فتن تركت رسوم الجهاد خالية خاويه ورياض الكتائب الخضر ذابلة ذاويه فان لم تشمروا والمابين أيديكم فى هذه البرهة فماذا تنتظرون واذا لم تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون واذا لم تستعدوا فى المهل فمتى تستعدون لقد خسر من رضى فى الدنيا والآخرة بالدون فلا تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومن المنقول عن الملل والمشهور فى الاواخر والاول ان المعصية اذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم واظلم ما بينهم وبين ربهم وانقطعت عنهم الرحمات ووقعت فيهم المثلات والنقمات وبحت السماء وغيض الماء واستولت الاعداء وانتشر الداء وجفت الضروع واخلفت الرضوع فوجب علينا أن نسمى لكم بالموعظة الحسنه والذكرى التى توقظ من السنه ونقرع آذانكم بقوارع الالسنه فأفزعوا الشيطان

قوله بمعروسة الحمراء فى نسخة بذروتكم الحمراء اه

بوعيها

بوعيها وتقربوا الى الله تعالى برعيها الصلاة الصلاة فلاتهملوها ووظائفها المعروفة فكملوها فهى الركن الوثيق والعلم الماثل على جادة الطريق والخاصة التى يتميز بها هذا الفريق وبادروا صفوفها الماثله وأتبعوا فريضتها النافله وأشرعوا الى تاركها أسنة الانكار واغتنموا بها نوافل الليل وبوادى الاسحار والزكاة أختها المنسوبه ولدتها المكتوبة المحسوبه فمن منعها فقد بخل على مولاه باليسير مما أولاه وما أحقه بذهاب هبة الوهاب وأولاه فاشتروا من الله تعالى كرائم أموالكم بالصدقات وأنفقوا فى سبيله يربحكم أضعاف النفقات وواسوا سؤالكم كلما نصبت الموائد وأعيدت للمترفه العوائد وارعوا حق الجوار وخذوا على أيدى الذعرة والفجار وأخرجوا الشنآن من الصدور واجعلوا صلة الارحام من عزم الامور وصونوا عن الاغتياب أفواهكم ولا تعودوا السفاهة شفاهكم وأقرضوا القرض الحسن الهكم وعلموا القرآن صبيانكم فهو أس المبنى وازرعوه فى تراب ترائبهم فعسى أن يجفى ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح وردوا السلام على من بتحية الاسلام أفصح وجاهدوا أهواءكم فهى أولى ما جاهدتم وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وثابروا على حلق العلم والتعلم وحفوا بمراقى التكلم وتعلموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله ويتبين أنكم أهله فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية بره وشعيره ورعاية شاته وبعيره ولا يقوم على شئ يخلص به قاعدة اعتقاده ويعده منجاة ليوم معاده والله عز وجل يقول ولقوله يرحل المتجعون أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وأنفوا من الحوادث الشنيعه والبدع التى تفت فى عضد الشريعه فقد شنت علينا الملتبسة بأهل التصوف الغار ونال حملتها بل جلتها بانغماضهم الصغار وتؤول المعاد والجنة والنار واذا لم يغر الرجل على دينه ودين أبيه فعلى من يغار فالانبياء الكرام وورثتهم العلماء هم أئمة الاقتداء والكواكب التى عينها الحق للاهتداء فاحذروا معاطب هذا الداء ودسائس هذه الاعداء وأهم ما صرفتم اليه الوجوه واستدفعتم به المكروه العمل بأمره جل وعلا فى الآية المتلوه والحكمة السافرة المجلوه من ارتباط الخيل واعداد القوه فمن كان ذا سعة فى رزقه فليقم لله بما استطاع من حقه وليتخذ فرسا يعمر محلته بصهيله ويقتنه من أجل الله وفى سبيله فكم يتحمل من عيال يلتمس مرضاتهن باتخاذ الزينه ويتنافس فى أن يكون من أشراف المدينه ومؤنة الارتباط أقل وعلى الهمة والدين أدل الى ما فيه من حماية الحوزه واظهار العزه ومن لم يحسن الرمى فليتدرب وباتخاذ السلاح الى الله فليتقرب وقبل الرمى تراش السهام وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام والسكة الجارية فى حوادث نواديكم وأثمان العروض التى بأيديكم من احتف حروفها ونكر معروفها أو سامح فى قبول زيف أو مبخوس حيف فقد اتبع هواه وخان نفسه وسواه قال الله عز وجل أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه انما بعثه الله مجاهدا وبالحق قاضيا وعن الهفوات

حلما متغاضيا فتمسكوا بحبله ولا تعدلوا عن سبله يرحكم الله تعالى من سجله ويراعكم من أجله مراعاة الرجل لنجله فهو الذى يقول وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وان كان فى وطنكم اليوم سعه وقد ألحفكم أمن من الله تعالى ودعه فاحسبوا انكم فى بلد محصور وبين لحيى أسد هصور واكتنفكم بحر يعب عبابه ودار بكم سور يبدو كم بابه ولا يدرى متى ينتهى السلم وينشعب الكلم فان لم تكونوا بناء مرصوصا وتستشعروا الصبر عموما وخصوصا أصبح الجناح مقصوصا والرأى قد سلبته الحيره والمال والحريم قد سلبت فيه الضغانة والغيره وان شاء الله تهب ريح الحميه ونصرة النفوس على الخيالات الوهميه فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين والله متم نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين وكم من فئة قليله غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل الظهور مقرونا بعدد كثير ولو مثل جراد منتشر أثارها مثير بل باخلاص لا يبقى لغير الله افتقارا ونفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا ووعد يصدق وبصائر أبصارها الى مثابة الجزاء تحدق وهذا الدين ظهر مع الغربه وشظف التربه فلم ترعه الاكاسره وفيولها والقياصره وخيولها دين حنيف وعلم منيف من وجوه شطر المسجد الحرام تولى وآيات على سبعة أحرف تتلى وزكاة من الصميم تنتقى ومعارج ترتقى وحج وجهاد ومواسم وأعياد ليس الا تكبير شهير وأذان جهير وقوة تعد وثغور تسد وفىء يقسم وخراج يرسم ونصيحة تهدى وأمانة تؤدى وصدقة تخفى وتبدى وصدور تشرح وتشفى وخلق على خلق القرآن تحذى وتقفى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا العقد قد سجل والوعد به قد عجل اليوم أكملت لكم دينكم الى دينا ولا ينقطع لهذا الفرع عادة وصله مادام شيبها بأصله وانما هو حلب لكم زبدته المحموضه وخلاصته المحموضه والعاقبة للمتقين ولتعلمن نبأه بعد حين وحضرتكم اليوم قاعدة الدين وغاب المجاهدين وقد اخترعت بنا أيام مناهذه وأيام والدنا المقدس الآثار البكار والحسنات التى تنوقلت بها الاخبار وأغفلت الى زمنكم الحسنة المذخوره والمنقبة المبروره وهى بيمارستان يقيم منكم المرضى المطرحين والضعفاء المغتربين منهم والمعترضين فى كل حين فأنتم تطؤنهم بالاقدام على مر الايام ينتظرون اليكم بالعيون الكليله ويعربون عن الاحوال الذليله وضرورتهم غير خافيه وما أنتم بأولى منهم بالعافيه والجانين تكثر منهم الوقائع وتغشوهم اماتة العهد الذائع عار تحظره الشرائع وفى مثله تسد الذرائع وقد فضلتم أهل مصر وبغداد بالرباط الدائم والجهاد فلا أقل من المساواة فى معنى والمنافسة فى مبنى يذهب عنكم لؤم الجوار ويزيل عن وجوهكم سيمات العار ويدل على همتكم وفضل شيمتكم أهل الاقطار وكم نفقة تلفت على الرجل فى مشروع وحرص اعتراه على ممنوع فأسرعوا فالنظر فى هذا المهم خير مشروع ولولا اهتمامنا بمرتزقة ديوانكم واعدادنا مال الجباية للمجاهدين من اخوانكم لسبقناكم الى هذه الزلفه وتقنا فى هذا العمل الصالح بتحمل الكلفه ومع

ذلك فاذا قدناكم الى الجنة ببنائه وأسهمناكم فى فريضة أجره وثنائه فنحن ان شاء الله تعالى نعين له الاوقاف التى تجرى عنها المرفقه وتتصل عليه بها الصدقه تأصيلا لفخركم واطابة فى البلاد لذكركم فليشاور أحدكم همته ودينه ويستخدم يساره فى طاعة القصد الكريم ويمينه ونسأل الله تعالى أن يوفق كلا لهذا القصد ويعينه ومن وراء هذه النصائح عزم ينهيها الى غايتها ويجبر الكافة على اتباع رأيها ورايتها فأعملوا الافكار فيما تضمنته من الفصول وتلقوا داعى الله تعالى فيها بالقبول والدنيا مزرعة الآخره وكم معتبر للنفوس الساخره بالعظام النخره يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وأنتم اليوم أحق الناس بقبول الموعظة نفوسا زكيه وفهوما لاقاصرة ولا بطيه وموطن جهاد ومستسقى غمام من رحمة الله تعالى وعهاد وبقايا السلف بالارض التى فتحوا فيها هذا الوطن وألقوا فيها العطن فالى أين يذهب حسن الظن بأديانكم وصحة ايمانكم وتساوى اسراركم واعلانكم اللهم انا قد خرجنا لك فيهم عن العهدة المحمله وبلغناهم نصيحتك المكمله ووعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤمله فيسرنا واياهم لليسرى وعرفنا لطائفك التى خفى فيها المسرى ولا تجعلنا ممن صم عن النداء وأصبح شمانة الاعداء فاذل من استنصر بجنابك ولا ضل من استبصر بسنتك وكتابك ولا انقطع من توسل بأسبابك والله سبحانه يصل لكم عوائد الصنع الجميل ويحملكم وايانا من التوفيق على أوضح سبيل ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام)

الله الله فى الهمم فقد خمدت ريحها والله الله فى العقائد فقد خبت مصابيحها والله الله فى الرجولية فقد ذل حدها والله الله فى الغيرة فقد تعسر جدها والله الله فى الدين فقد طمع الكفر فى تحويله والله الله فى الحريم فقد مدت الى استرقاقه يد تأميله والله الله فى الملة التى يريد اطفاء سناها وقد كمل فضلها وتناهى والله الله فى الحريم والله الله فى الدين الكريم والله الله فى القرآن والله الله فى الجيران والله الله فى الطارف والتالد والله الله فى الوطن الذى توارثه الولد عن الوالد اليوم تستأسد النفوس المهينه اليوم يستنصر الصبر والسكينه اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمم اليوم يسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشمم اليوم يرجع الى الله المصرون اليوم يفيق من نوم الغفلة المغترون قبل أن يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب ويحيق العذاب ويسترق الكفر الرقاب فالنساء تقى بأنفسهن أولادهن الصغار والطيور ترفرف لتحمى الاوكار اذا أحست العيث بافراخها والاضرار ثم الايام عليكم مر السحاب وذهاب الليالى لكم ذهاب فلا خبر يفضى الى العين ولا حديث فى الله تعالى يسمع بين اثنين ولا كتاب الا زينة يحلى بها نحر وجيد ولا سعى الا متاع لا يغنى فى الشدائد ولا يفيد وبالامس ندبتم الى التماس رحمى مسخر السحاب واستقالة كاشف العذاب وسؤال مرسل الديمه ومحيى البشر والبهمه وقد أمسكت عليكم رحمة السماء واغبرت

جوانبكم المخضرة احتياجا الى بلالة الماء وفى السماء رزقكم وما توعدون واليها الاكف تمدون وأبوابها بالدعاء تقصدون فلم يحصر منكم عدد معتبر ولا ظهر للانابة ولا الصدقة خبر وتتوقون من اعادة الرغبة الى الولى الحميد والغنى الذى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وايم الله لو كان لهو الارتقبت الساعات وضاقت المتسعات وتزاحمت على انديته الجماعات أتعززا على الله وهو القوى العزيز أتلبيسا على الله وهو الذى يميز الخبيث من الطيب والشبه من الابريز أمنابذة والنواصى فى يديه أغرورا بالامل والرجوع بعد اليه من يبدأ الخلق ثم يعيده من ينزل الرزق ويفيده من يرجع اليه فى الملمات من يرجى فى الشدائد والازمات من يوجد فى المحيى والممات أفى الله شك يختلج القلوب أم غير الله يدفع المكروه ويسر المطلوب تفضلون على اللجا اليه موائد الفضل وتره الجهل وطائفة منكم قد برزت الى استسقاء رحمته تمد اليه الايدى والرقاب وتستكشف بالخضوع لعظمته العقاب وتستعجل الى مواعيد اجابته الارتقاب وكانكم عن كرمه قد استغنيتم أو على الامتناع من الرجوع اليه بنيتم أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله عليه من التبلغ باليسير والاستعداد للترحيل الى دار الحق والمسير ومداومة الجوع وهجر الهجوع والعمل على الاياب الى الله تعالى والرجوع دخلت فاطمة رضى الله تعالى عنها ويدها كسرة شعير فقال ما هذه يا فاطمة فقالت يا رسول الله خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها فقال يا فاطمة أما انه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر فى اليوم سبعين مرة يلتمس رحماه ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر حتى ورمت قدماه وكان شأنه الجهاد ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربا والوهاد ومقامات رفقه تحوم على مراتبها الزهاد فاذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون واذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون واذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعتزون اليه وتنتسبون واذا لم ترغبوا فى الاتصاف بصفاته غضبا لله تعالى وجهادا وتقللا من العرض الادنى وسهادا ففيم ترغبون فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب واعتبروا بمثلات من تقدم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب وتفكروا فى منابرها التى يعلو عليها واعظ وخطيب ومطيل ومطيب ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعه المعمورة بأنواع الطاعه وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم وعاقب الجمهور بما اغضوا عنه عيونهم وساءت بالغفلة عن الله تعالى عقبى جميعهم وذهبت النقمات بعاصيهم ومن داهن فى أمره من مطيعهم وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان واستبدلت ما آذنهم بالنواقيس من الاذان هذا والناس ناس والزمان زمان فما هذه الغفلة عمن اليه الرجعى واليه المصير والى متى التساهل فى حقوقه وهو السميع البصير وحتى متى مد الامل فى الزمن القصير والى متى نسيان اللجا الى الولى النصير قد تداعت الصلبان متراكمة عليكم وتحركت الطواغيت من كل جهة اليكم أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم والسنة الآيات تناديكم لم تمح سطورها ولا احتجب نورها وأنتم بقايا من فتحها من عدد قليل

وصابر فيها كل خطب جليل فوالله لو تمحض الايمان ورضى الرحمن ماظهر التلبس
فى هذه الجزيرة على التوحيد ولا عدم الاسلام فيها عادة التأييد لكن شمل الداء وصم
النداء وعميت الابصار فكيف الاهتداء والباب مفتوح والفضل ممنوح فتعالوا
نستغفر الله جميعا فهو الغفور الرحيم ونستقل مقيل العثار فهو الرؤف الحليم ونصرف
الوجوه الى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم سدت الابواب
وضعفت الاسباب وانقطعت الآمال الا منك يا فتاح يا وهاب يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أعدوا الخيل
وارتبطوها وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها فمن خاف الموت رضى بالدنيه
ولا بد على كل حال من المنيه والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنيه واقتنوا
السلاح والعدة وتعرفوا الى الله تعالى فى الرخاء يعرفكم فى الشدة واستشعروا القوة
بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم واستمتعوا من دون أبنائكم وكونوا كالبناء
المرصوص لحملات هذا العدو النازل بفنائكم وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده
بلادكم واشتروا من الله جل جلاله أولادكم (ذكروا) أن امرأة احتمل السبع ولدها
وشكت الى بعض الصالحين فأشار عليها بالصدقة فتصدقت برغيف فأطلق السبع ولدها
وسمعت النداء ياهذه اقسمة بالقمة وانا لما استودعناه لحافظون واهجروا الشهوات
واستدركوا البقية من بعد الفوات وأفضلوا المساكين منكم من الاقوات واخشعوا
لما أنزل الله تعالى من الآيات وخذوا نفوسكم بالصبر على الازمات والمواساة فى
المهمات وأيقظوا جفونكم من السنات واعلموا انكم رضعاء ثدى كلمة التوحيد
وجيران البلد الغريب والدين الوحيد وحزب التمحيص ونفر المرام العويص فتفقدوا
معاملاتكم مع الله تعالى ومهما لقيتم الصدق غالبا والقلب للمولى الكريم مراقبا
وشهاب اليقين ثاقبا فثقوا بعناية الله تعالى التى لا يغلبكم معها غالب ولا ينالكم
لاجلها عدو ومطالب فانكم فى الستر الكثيف وكنف الخبير اللطيف ومهما رأيتم
الخواطر متبددة والظنون فى الله متردده والجهات التى تخاف وترجى متعدده
والغفلة عن الله ملامسها متجدده وعادة دواعى الخذلان دائمه وأسواق الشهوات
قائمه فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده فى الامم الغافلين وانكم قد ظلمتم
أنفسكم ولا عدوان الا على الظالمين والتوبة ترد الشارد الى الله تعالى والله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وهو القائل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين
وما أقرب صلاح الاحوال مع الله تعالى اذا صحت العزائم وتوالت على حزب الشيطان
الهزائم وخملت الدنيا الغرية فى العيون وصدقت فيها عند الله الظنون يا ايها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وثوبوا سراعا الى طهارة
الثوب وازالة الشوب واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب واعلموا أن سوء

الادب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ويسد طرق العوائد فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا ايمانكم ولا تعلقوا متابكم بالصرائر فهو علام السرائر وانما علينا أن ننصحكم وان كنا أولى بالنصيحه ونعتمدكم بالموعظة الصريحه الصادرة عن علم الله تعالى عن صدق القريحه وان شاركناكم فى الغفلة فقد سبقناكم الى الاسترجاع والاستغفار وانما لكم لدينا نفس مبذولة فى جهاد الكفار وتقدم قبلكم الى مواقف الصبر التى لا ترضى بالفرار واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار والاختيار لله ولى الاختيار ومصرف الاقدار وها نحن نسرع فى الخروج الى مدافعة هذا العدو ونفدى بنفوسنا البلاد والعباد والحريم المستضعف والاولاد ونصلى من دونهم نار الجلاد ونستوهب منكم الدعاء لمن وعد باجابته فانه يقبل من صرف اليه وجه انابته اللهم كن لنا فى هذا الاهتمام نصيرا وعلى أعدائك ظهيرا ومن انتقام عبدة الاوثان كفيلا اللهم قوّ من ضعفت حيلته فأنت القوى المعين وانصر من لا نصير له الا أنت فاياك نعبد واياك نستعين اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الاقدام ولا تسلمنا عند لقاء عدو الاسلام فقد القينا اليك يد الاستسلام اللهم دافع بملائكتك المسومين اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر من قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وقد وردت علينا المخاطبات من اخواننا المسلمين الذين عرفنا فى القديم والحديث اجتهادهم وشكرنا فى ذات الله تعالى جهادهم بنى مرين أولى الامتعاض لله تعالى والحميه والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزيه بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار والمصارخة التى تليق بالاحرار والنفرة لانتهاك ذمار بيتهم المختار وحركة سلطانهم بتلك الاقطار والامصار ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار فاسألوا الله تعالى اعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار والسعى الضمين للعز والاجر والفخار والسلام الكريم يخصكم أيها الاولياء ورحمة الله وبركاته انتهى

(ومما كتبه ابن لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغنى بالله تعالى والنظر اليهم بعين الشفقه ما صورته) هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارحا للصدور مصلحا باعانة الله تعالى للامور ملحفا العدل والاحسان الخاصة والجمهور يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرؤه ويتدبر ما لديه ما عاهدنا الله تعالى عليه من تأمين النفوس وحقن الدماء والسير فى التجافى عنها على السنن السواء ورفع التناور عن البعيد منها والقريب والمساواة فى العفو والغفران بين البرىء منها والمريب وحمل من ينظر بعين العداوة فى باطن الامر محمل الحبيب وترك ما يتوجه بامر المطالبات ورفض التبعات مما لا يعارض حكما شرعيا ولا يناقض سننا فى الدين مرعيا فمن كان رهن تبعة أو طريد تهمه أو منبوزا فى الطاعة بريبة توجب أن نريق دمه فقد سحبنا عليه ظلال الامان وألحفناه أثواب العفو والغفران ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق والاحسان حكما عاما وعفوا تاما فاشيا فى جميع الطبقات منسحبا على الاصناف المختلفات

عاملنا فى ذلك من يتقبل الاعمال ولا يضيع السؤال واستغفرنا عن نفسنا وعمن أخطأ علينا من رعيتنا ممن يدرأ الشرع غلطته ويقبل الحق فيأته ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما لما رأينا من سرّ اتفاق الاهواء والضمائر وخلوص القلوب والسرائر فى هذا الوطن الذى احاط به العدو والبحر ومسه بتقدم الفتنة الضر وصلة لما أجراه الله تعالى على أيدينا وهيأه بنا فى نادينا فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة ورفع من بأس واحنه وكشف من ظلمه وسدل من نعمه وأصفى من مورد عافيه وأولى من عصمة كافيه بعد ما تحزبت الثغور وفسدت الامور واهتضم الدين واشتد على العباد كلب الكافرين المعتدين ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائبا والشكر واجبا ومن الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبوينا من قبل ان ربك حكيم عليم ونحن قد شرعنا فى تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعدالة والدين والجلالة للتطوّف فى البلاد الاندلسيه ومباشرة الامور بالبلاد النصريه ينهون الينا ما يستطلعونه ويبلغون من المصالح ما يتعرّفونه ويقيدون ما تحتاج اليه الثغور ونستوجبه المصلحة الجهادية من الامور ونحن نستعين بفضلاء رعيتنا وخيارهم والمراقبين الله تعالى منهم فى ايرادهم واصدارهم على انهم ما يخفى عنا من ظلامة تقع أو حادث يبتدع ومن اتخذت بجواره خرفا شيه أو نشات فى جهته للمنكر ناشيه فنحن نقلده العهده ونطوقه القلاده ووراء تنبيهنا على ما خفى عنا من الشكر لمن أهداه واحمد سعى من أبلغه وأداه ما نرجو ثواب الله تعالى عليه والتقرب به اليه فمن أهدى لنا شيأ من ذلك فهو شريك فى أجره ومقاسم فى مثوبته يوم ربح تجره وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى * واذ أجرينا طرف القلم على عنانه فيما للسان الدين رحمه الله تعالى من النصائح والمواعظ والوصايا وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا ما كل دون شأوه وقصر عن أمده مديد خطوه وقد تقدم فى هذا الكتاب من ذلك جمله وافره فلنراجع فى محالها المتكاثره وقد آن أن نسرد فى هذا المحل الوصية التى أوصى لسان الدين رحمه الله تعالى بها أولاده وهى وصية جامعة نافعة يحصل بها التعاش لاشتمالها على ما لابد منه فى المعاد والمعاش (ونصها) الحمد لله الذى لا يروعه الحمام المرقوب اذا شيم نجمه المثقوب ولا يغته الاجل المكتوب ولا يفجؤه الفراق المعتوب ملهم الهدى الذى تطمئن به القلوب وموضح السبيل المطلوب وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب لاسيما للولى المحبوب والولد المنسوب القائل فى الكتاب المعجز الاسلوب أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرّت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب والامل المسلوب والاقتداء المرصل المرغوب والعز والامن من اللغوب (وبعد) فانى لما علانى المشيب بقمته وقادنى الكبر برمته واذكرت الشباب بعد أمته أسفت لما أضعت وندمت بعد الفطام على

مارضعت وتأكد وجوب نصحي لمن لزمني رعيه وتعلق بعيني سعيه وامّلت أن تتعدى الى ثمرة استقامته وأثاره بين فوات وفي برزخ أموات ويامن العثور في الطريق التي اقتضت عثاري ان سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثاري فقلت أخاطب الثلاثة الولد وثمرات الخلد بعد الضراعة الى الله تعالى في توفيقهم وايضاح طريقهم وجمع تفريقهم وأن يمن على منهم بحسن الخلف والتلافي من قبيل التلف وأن يرزق خلفهم التمسك بهدي السلف فهو ولي ذلك والهادي الى خير المسالك اعلموا هداكم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي الضلال وبرضاه ترفع الاغلال وبالتماس قربه يحصل الكمال اذا ذهب المال وأخلفت الآمال وتبرّأت من يمينها الشمال أني مودّعكم وان سالمني الردى ومفارقكم وان طال المدى وماعدا ممابدا فكيف وأدوات السفر تجمع ومنادي الرحيل يسمع ولا أقل للحبيب المودّع من وصية مختصر وعجالة مقتصر ورتيمة تعقد في خنصر ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدي وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي حسبما تضمن وعد الله من قبل وعدي فهي اربكم الذي لا يتغير وقفه ولا ينالكم المكروه مارف عليكم سقفه وكاني بشبابكم قد شاخ وبراحلكم قد أناخ وبنشاطكم قد كسل واستبدل الصاب من العسل ونصول الشيب تروع باسل لا بل السام من كل حدب قد نسل والمعاد اللحد ولا تسل فبالامس كنتم فراخ حجر واليوم أبناء عسكر مجر وغدا شيوخ مضيعة وهجر والقبور فاغره والنفوس عن المألوفات صاغره والدنيا بأهلها ساخره والاولى تعقبها الاخره والحازم من لم يتعظ به في أمر وقال بيدي لا بيد عمرو فاقتنوها من وصيه ومرام في النصح قصيه وخصوا بها أولادكم اذا عقلوا ليجدوا زادها اذا انتقلوا وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ولا رضى الدنيا منزلا ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ولتلقنوا تلقينا وتعلموا علما يقينا انكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي ويفترش التراب جنبي ويسح انسكابي وتهرول عن المصلى ركابي أحرص مني على سعادة اليكم تجلب أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلا ولا أشرف محلا ولا أغبط نهلا وعلا وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا الى قولي الآذان وتستمعوا اصيح نصحي فقد بان وسأعيد عليكم وصية لقمان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير وأعيد وصية خليل الله واسرائيله حكم ما تضمنه حكم تنزيله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والدين الذي ارتضاه واصطفاه وأكمله ووفاه وقرره مصطفاه من قبل أن يتوفاه اذا أعمل فيه اعتقاد فهو عمل واعتقاد وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أو نقل محرر والعقل

متقدم وبناؤه مع رفض أخيه متهدم فالله واحد أحد فرد صمد ليس له والد ولا ولد
تنزه عن الزمان والمكان وسبق وجوده وجود الاكوان خالق الخلق وما يعملون
لذى لا يسأل عن شئ وهم يسألون الحى العليم المدبر القدير ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير أرسل الرسل رحمة لتدعو الناس الى النجاة من الشقاء وتوجه الحجة فى مصيرهم
الى دار البقاء مؤيدة بالمعجزات التى لا تتصف أنوارها بالاختفاء ولا يجوز على تواترها
دعوى الانتفاء ثم ختم ديوانهم بنبى ملتنا المرعية الهمل الشاهدة على الملل فتلخصت
الطاعة وتعينت الامرة المطاعة ولم يبق بعده الا ارتقاب الساعة ثم ان الله تعالى
قبضه اذ كان بشرا وترك دينه يضم من الامة نشرا فمن تبعه لحق به ومن تركه نوط عنه
فى منسبه وكانت نجاته على قدر سببه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
تركت فيكم ما ان تمسكتم به لم تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى فعضوا عليهما بالنواجذ فاعملوا
يا بنى بوصية من ناصح جاهد ومشفق شفقة والد واستشعروا حبه الذى توفرت
دواعيه وعوامر اشد هديه فيا فوزا واعيه وصلوا السبب بسببه وآمنوا بكل ما جاء به
مجملا أو مفصلا على حسبه وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته
واجعلوا محبتكم اياهم من توابع محبته واشملوهم بالتوقير وفضلوا منهم أولى الفضل
الشهير وتبرؤا من العصبية التى لم يدعكم اليها داع ولا تقع التشاجر بينهم أذن واع
فهو عنوان السداد وعلامة سلامة الاعتقاد ثم اصحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة
وائمتها الجلة فهم صفوة نصولها وفروع ناشئة من أصولها وورثتهم وورثة رسولها
واعلموا انى قطعت فى البحث زمانى وجعلت النظر شانى منذ بر انى الله تعالى وأنشانى
مع نبل يعترف به الشانى وادراك يسلمه العقل الانسانى فلم أجد خابط ورق ولا مصبب
عرق ولا نازع خطام ولا متكلف فطام ولا مقتحم مجر طام الا وغايته التى يقصدها قد
نضلتها الشريعة وسبقتها وفرعت ثنيتها وارتفقتها فعليكم بالتزام جادتها السابلة
ومصاحبة رفقتها الكاملة والاهتداء باقمارها غير الآفلة والله تعالى يقول وهو أصدق
القائلين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين
وقد علمت شرائعه وراع الشكول ذرائعه فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين وابذلوا دونه
النفوس فعل المهتدين فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ولا يضر مفقود
مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الاولاد عن
الوالدين اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء
الخلود وتستدعى شوه الوجوه ونضج الجلود واستعيذوا برضا الله من سخطه واربؤا
بنفوسكم عن غمطه وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم
ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم واقنعوا منه بما تيسر ولا تأسوا على
مافات وتعذر فانما هى دجنة ينسخها الصباح وصفقة يتعاقبها الخسار والربح
ودونكم عقيدة الايمان فشدوا بالنواجذ عليها وكفكفوا الشبه أن تدنو اليها
واعلموا أن الاخلال بشئ من ذلك خرق لا يرفوه عمل وكل ما سوى الراعى همل وما بعد

الرأس فى صلاح الجسم أمل وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوه واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوه وتفكروا فى آياته ومعانيه وامتثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه وأكثروا من بواعث حبه وصونوا شعائر الله صون المحترم واحفظوا القواعد التى يبنى عليها الاسلام حتى لا ينخرم الله الله فى الصلاة ذريعة التجله وخاصة المله وحاقنة الدم وغنى المستأجر المستخدم وأم العباده وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهاده والناهية عن الفحشاء والمنكر وان عرض الشيطان عرضهما ووطأ للنفس الامارة سماءهما وأرضهما والوسيلة الى بل الجوانح ببرود الذكر وايصال تحفة الله الى مريض الفكر وضامنة حسن العشرة من الجار وداعية للمسالمة من الفجار والواسمة بسمة السلامه والشاهدة للعبد برفع الملامه وغاسول الطبع اذا شانه طبع والخير الذى كل ماسواه له تبع فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء واعاده فالخير عاده ولا تفضلوا عليها الاشغال البدنيه وتؤثروا على العلية الدنيه فان أوقاتها المعينة بالانفلات تبس والفلك بها من أجلكم لا يحبس واذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الاصيل والحكم الذى لا يغيره الغدو ولا الاصيل والوظائف بعد أدائها لا تفوت وأين حق من يموت من حق الحى الذى لا يموت وأحكموا اوضاعها اذا أقمتموها وأتبعوها النوافل ما أطقتموها فبالاتقان تفاضلت الاعمال وبالمراعاة استحقت الكمال ولا شكر مع الاهمال ولا ربح مع اضاعة رأس المال وذلك أحرى باقامة الفرض وأدعى الى مساعدة البعض البعض والطهارة التى هى فى تحصيلها سبب موصل وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها والاعضاء نظفوها ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها والحجول والغرر فأطيلوها والنيات فى كل ذلك فلا تهملوها فالبناء بأساسه والسيف برأسه واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور وذكر مجهور وغير مجهور تستغرق الاوقات وتنازع شتى الخواطر المفترقات فلا يضبطها الا من ضبط نفسه بعقال واستعاض صدأه بصقال وان تراخى قهقر الباع وسرقته الطباع وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع والزكاة أختها الحبيبه ولدتها القريبه مفتاح السعادة بالعرض الزائل وشكران المسئول على الضد من درجة السائل وحق الله تعالى فى مال من أغناه لمن أجهده فى المعاش وعناه من غير استحقاق مل عيده واخلاء يد أخيه ولا علة الا القدر الذى يخفيه ومالم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه فاسمحوا بتفريقها للحاضر لاخراجها فى اختيار عرضها وتناجها واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل وخالفوا الشيطان كلما عذل واذكروا خروجكم الى الوجود لا تملكون ولا تدرون أين تسلكون فوهب وأقدر وأورد بفضله وأصدر ليرتب بكرمه الوسائل أو يقيم الحجج والدلائل فابتغوا اليه الوسيلة بماله واعتمدوا رضاه ببعض نواله وصيام رمضان عبادة السر المقربة الى الله زلفى المحوضة لمن يعلم السر وأخفى مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام والقيام ببر القيام والاجتهاد وايثار السهاد على المهاد

وان وسع الاعتكاف فهو من سننه المرعيه ولو احقه الشرعيه فبذلك تحسن الوجوه وتحصل من الرقة على ما ترجوه وتذهب قسوة الطباع ويمتد فى ميدان الوسائل الباع والحج مع الاستطاعة الركن الواجب والفرض على العين لا يحجبه الحاجب وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنه وقال ليس له جزاء عند الله الا الجنه ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى ان كانت لكم قوة عليه وغنى لديه فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه وان عجزتم فأعينوا من يستطيعه هذه عمد الاسلام وفروضه ونقود مهره وعروضه فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من يناويكم ظاهرين وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الالقاب وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدى السامع فالعلم مفتاح هذا الباب والموصل الى اللباب والله عز وجل يقول قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب والعلم وسيلة النفوس الشريفه الى المطالب المنيفه وشرطه الخشية لله تعالى والخيفه وخاصة الملا الاعلى وصفة الله فى كتبه التى تتلى والسبيل فى الآخرة الى السعاده وفى الدنيا الى النحلة عاده والذخر الذى قليله يشفع وكثيره ينفع لا يغلبه الغاصب ولا يسلبه العدو المناصب ولا يبتزه الدهر اذا نال ولا يستأثر به البحر اذا هال من لم ينله فهو ذليل وان كثرت آماله وقليل وان جم ماله وان كان وقته قد فات اكتسابكم وتخطى حسابكم فالتمسوه لبنيكم واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم واحملوهم على جمعه ودرسه واجعلوا طباعهم ثرى غرسه واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه وسهر يجر له الجفن كراه تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ونحلوهم مناية رفعة لا يحط قارعها ولا يستنزل واختاروا فى العلوم التى يتعقبها الوقت فلا ينال فى غيره المقت وخير العلوم علوم الشريعه ومانجم عنايتها المريعه من علوم لسان لا تستغرق الاعمار فصولها ولا يضايق ثمرات المعاد حصولها فانما هى آلات لغير وأسباب الى خير منها وخير فمن كان قابلا للازدياد وألفى فهمه ذا انقياد فليخص تجويد القرآن بتقديمه ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ثم الشروع فى أصول الفقه فهو العلم العظيم المنه المهدى كنوز الكتاب والسنه ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله والتدرب فى طرق النظر وتصحيح الادله وهذه هى الغايه القصوى فى المله ومن قصر ادراكه عن هذا المرمى وتقاعد عن التى هى اسمى فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب واحكامه وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب امامه واياكم والعلوم القديمه والفنون المهجورة الذميمه فأكثرها لا يفيد الا تشكيكا ورأيا ركيكا ولا يثمر فى العاجله الا اقتحام العيون وتطريق الظنون وتطويق الاحتقار وسمة الصغار وخمول الاقدار والخسف من بعد الابدار وجادة الشريعة اعرق فى الاعتدال وأوفق من قطع العمر فى الجدال هذا ابن رشد قاضى المصر وصفتيه وملتمس الرشد ومواليه عادت عليه بالسخطة الشنيعه وهو امام الشريعه فلا سبيل

قوله واختاروا الخ هكذا فى الاصل ولا تخفى سقامته فلعل أصله هكذا واختاروا من العلوم ما يتفق به الوقت ولا يفضى فى غيره الى المقت والضمير فى غيره عائد الى الوقت ويمكن الاصلاح بغير ذلك فليتأمل اه مصححه

الى اقتحامها والتورط فى ازدحامها ولا تخاطوا جامكم بجامها الا ما كان من حساب ومساحه وما يعود بجدوى فلاحه وعلاج يرجع على النفس والجسم براحه وما سوى ذلك فمحجور وضرم مسجور وبمقوت مهجور وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا وانهوا عن المنكر نهيا حريا بالاعتدال حقيقا واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقا واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ولا تقربوا من الفتنة جرا ولا تدخلوا فى الخلاف زيدا ولا عمرا وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين وأكرم منسوب الى مذهبه ومن أكثر من شئ عرف به واياكم والكذب فهو العورة التى لا توارى والسوأة التى لا يرتاب فى عارها ولا يتمارى وأقل عقوبات الكذاب بين يدى ما أعد الله له من العذاب أن لا يقبل صدقه اذا صدق ولا يعول عليه ان كان بالحق نطق وعليكم بالامانة فالخيانة لوم وفى وجه الديانة كلوم ومن الشريعة التى لا يعذر بجهلها أداء الامانات الى أهلها وحافظوا على الحشمة والصيانه ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانه ولا توجدوا للغدر قبولا ولا تقروا عليه طبعا مجبولا وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ولا تستأثروا بكنز ولا حزن ولا تذهبوا الغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن ولا تبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالاشارة أو الكلام أو ما يرجع الى وظيفة الاقلام واعلموا أن الانسان فى فسحة ممتده وسبل الله تعالى غير منسده مالم ينبذ الى الله تعالى بأمانه ويمس الدم الحرام بيده أو لسانه قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سنا قويما وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه وامتد فى سبيل السعادة باعه لولم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ولا عدم اقناعه ومن غلبت غرائز جهله فلينظر هل يحب أن يزنى باهله والله قد أعد للزانى عذابا وبيلا وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا والخمر أم الكبائر ومفتاح الجرائم والجرائر واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا العقول لهم بالفساد ولا النفوس بالمضرة فى مرضاة الاجساد والله تعالى قد جعلها رجسا محرما على العباد وقرنها بالانصاب والازلام فى مباينة السداد ولا تقربوا الربا فانه من مناهى الدين والله تعالى يقول وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين وقال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فى الكتاب المبين ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه والتمسوا الحلال بسعى فيه أحدكم على قدمه ولا يكل خياره الا للثقة من خدمه ولا تلجأوا الى المتشابه الا عند عدمه فهو فى السلوك الى الله تعالى أصل مشروط والمحافظ عليه مغبوط واياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان مجاهر الله تعالى بصريح العصيان والظلم ظلمات

يوم القيامة كما ورد فى الصحاح الحسان والنميمة فساد وشتات لا يبقى عليه مثنات وفى الحديث لا يدخل الجنة قتات واطرحوا الحسد فما فساد حسود واياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود والبخل فما رؤى البخيل وهو مودود واياكم وما يعتذر منه فواقع الخزى لا تستقال عثراتها ومظنات الفضائح لا تؤمن غمراتها وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام فى الطرقات والجماعات ورفقوا على ذوى الزمانات والعاهات وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات وعولوا عليه وحده فى الشدائد واذكروا المساكين اذا نصبتم الموائد وتقربوا اليه باليسير من ماله واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق اليه المحتاط لعياله وارعوا حقوق الجار واذكروا ما ورد فى ذلك من الآثار وتعاهدوا أولى الارحام والوشائج البادية الالتحام واحذروا شهادة الزور فانها تقطع الظهر وتفسد السر والجهر والرشا فانها تحط الاقدار وتستدعى المذلة والصغار ولا تسامحوا فى لعبة قمر ولا تشاركوا أهل البطالة فى أمر وصونوا المواعيد من الاخلاف والايمان من حنث الاوغاد والاجلاف وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ولا تلهجوا بالآمال العجاف ولا تكلفوا بالكهانة والارجاف واجعلوا العمر بين معاش ومعاد وخصوصية وابتعاد واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد وأن الخلق بين زرع وحصاد وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم وقابلوا بالصبر اذاية المؤذين ولا تعارضوا مقالات الظالمين فالله لمن بغى عليه خير الناصرين ولا تستعظموا حوادث الايام كلما نزلت ولا تضجوا للامراض اذا أعضلت فكل منقرض حقير وكل منقض وان طال قصير وانتظروا الفرج وانتشقوا من جناب الله تعالى الارج وأوسعوا بالرجاء الجوانح واجنحوا الى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد اليه جانح وتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء وألجأوا اليه فى البأساء والضراء وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد ويعذب الوارد وأسهموا منها للمساكين وافضلوا عليهم وعينوا الحظوظ منها لديهم فمن الآثار يا عائشة أحسنى جوار نعم الله فانها قلما زالت عن قوم فعادت اليهم ولا تطغوا فى النعم فتقصروا عن شكرها وتلقيكم الجهالة بسكرها وتتوهموا أن سعيكم جلبها وجدكم حلبها فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين ولا فعل الا الله اذا تربعين اليقين والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ولا تذهبوا بذهابه زينكم وليلتزم كل منكم لاخيه ما يشتد به واخيه بما أمكنه من اخلاص وبر ومراعاة فى علانية وسر وللانسان مزية لا تجهل وحق لا يهمل وأظهروا التعاضد والتناصر وصلوا التعاهد والتزاور ترغموا بذلك الاعداء وتستكثروا الاوداء ولا تتنافسوا فى الحظوظ السخيفه ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفه واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان وطاعة النساء شر ما أفسد بين الاخوان فاذا سديتم معروفا فلا تذكروه واذا برز قبيح فاستروه واذا أعظم النساء أمرا فاحقروه والله الله لا تنسوا مقارضة سجلى وبروا أهل مودتى

من أجلى ومن رزق منكم مالا يهذا الوطن القلق المهاد الذى لا يصلح لغير الجهاد فلا يستهلكه أجمع فى العقار فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار وساعيا لنفسه ان تغلب العدو على بلده فى الاقتضاح والافتقار ومعوقا عن الانتقال أمام النوب الثقال واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال فى الطلب أولى وازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ونفعها لا يقوم بضرها وأعقاب من تقدم شاهده والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ومن بلى بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال والتقلل من المال وليحذر معاداة الرجال ومزلات الادلال وفساد الخيال ومداخلة العيال وافشاء السر وسكر الاغترار فانه داء الغر وليصن الديانه ويؤثر الصمت ويلازم الامانه ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ومهما اشتبه عليه أمر ان قصد أقربهما الى الحق وليقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الاغصان واياكم وطلب الولايات رغبة واستجلابا واستظهارا على الخطوب وغلابا فذلك ضرر بالمروآت والاقدار داع الى الفضيحة والعار ومن امتحن بها منكم اختيارا أو جبر عليها اكراها وايثارا فليتلق وظائفها بسعة صدره ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره فالولايات فتنة ومحنه وأسر واحنه وهى بين اخطاء سعاده واخلال بعباده وتوقع عزل وادالة بازاء بيع جد بهزل ومزلة قدم واستتباع ندم ومآل العمر كله موت ومعاد واقتراب من الله وابتعاد جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لا ينقطع بسببه عمل أبيه هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها وتجارتى التى لربحكم أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها والاهتداء بضوء صبحها وبقدر ما أمضيتم من فروعها واستغشيتم من دروعها اقتنيتم من المناقب الفاخره وحصلتم على سعادة الدنيا والآخره وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيمه استكثرتم من بواعث الندم ومهما سئمتم اطالتها واستغزرتم مقالتها فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب وضابط هذا الباب كان الله خليفتى عليكم فى كل حال فالدنيا مناخ ارتحال وتأميل الاقامة فرض محال فالموعد للالتقاء دار البقاء جعل الله من وراء خطته النجاه ونفوذ ضائعها المزجاه بلطائفه المرتجاه والسلام عليكم من حبيبكم المودع والله سبحانه يلئمه حيث شاء من شملى متصدع والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته انتهت الوصية الفريدة فى حسنها الغريبة فى فنها المبالغة نفوس الناظرين فيها فوق ظنها ولاجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الامام قاضى القضاة العلامة سيدى الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الامام عالم المالكية صاحب التآليف العديدة كالمعيار والمعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب وهو فى ست مجلدات لكان كافيا وله مصنفات كثيرة غيرها أكثرها فى مذهب مالك ولم يؤلف فى المذهب مثلها (رجع) الى ما كنا فيه (أقول) لم تزل عادة الاكابر من العلماء والملوك الوصية لاولادهم وعمالهم باقتفاء النهج الذى يرون فيه السلوك * وقد وقفت للفقيه

الكاتب

٢ قوله ولاجل ذلك كان الخ هكذا فى الاصل ولا يخفى ان فيه سقطا وأصل العبارة هكذا ولاجل ذلك كان يحض الناس عليها ويحثهم على العمل بمقتضاها شيخ شيوخنا الخ ٢ وكذلك قوله فيما بعد لكان كافيا فانه جواب لاشرط له ولعل الشرط الساقط هكذا لو لم يكن له غيرها هذا الكتاب لكان الخ أخذا من المقام ويحرر اه مصححه

الكاتب أبي عبد الله محمد بن الجياب المرسي الاندلسي رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الاندلس الى أخيه اشتملت على مالا بد منه فرأيت أن أذكرها هنا تتميما للفائدة (ونصها) بعد الصدر من مجاهد الدين وسيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود أيده الله تعالى بنصره وأمده بتمكينه وأعانه على ما ينويه من احياء معالم دينه الى صنونا المبارك وقسيمنا المخصوص بتبجيلنا وتكريمنا وحسامنا المنتضى المرتضى لامضاء عزمنا وتصميمنا الامير الاعلى لموقر الاسمى الميمون النقيبة المحمود السجيه الاحب النبه الاعز علينا المتمم بمساعيه الصالحة كل مانوينا أدام الله تعالى تظفيره واسعاده وأمضى في الحق قواضبه وصعاده ووالى مسرته وانجاده وتولى توفيقه وارشاده سلام طيب كريم زاك يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته (أما بعد) فالحمد لله الذي أوضح للحق سبيلا ومد ظل رحمته على الخلق ظليلا وجعل العدل بحفظ نظام الاسلام كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا ونصب معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا وألهم الى مايرضاه عملا ومعتقدا وقيلا وصلواته الطيبه وبركاته الصيبه على سيد العالمين وخاتم النبيين محمد رسوله الذي فضله بخلته واصطفائه تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحة فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما أمره ربه اباحة وندبا وتحريما وتحليلا حتى ثبتت سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وصحبه الذين فهموا ماجاءهم به عليه الصلاة والسلام نصا وتأويلا وأبقوا من سيرهم الفاضله وأحكامهم العادله أساسا للمهتدين جليلا وماثرا للمقتفين تسبح الافهام والاقلام في بحارها سبحا طويلا وأمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلا وبالهدى تضليلا ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته وحامل أمانته الى خليقته الذي كمل الله تعالى له موجبات الامامة تكميلا وانالة من هدى النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا سيدنا ومولانا الامام المنتصر بالله تعالى أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين المتبوئ من ساحة الشرف والجلالة محلا شريفا جليلا والمنتخب من بجبوحة بيت الرسالة الذي وجد الوحي عنده معرسا ومقيلا والدعاء له من لدن العزيز القوي بنصر يأتي لامداده بعدد الملائكة قبيلا وفتح يولي الآمال من الظهور بغيته وتأميلا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم عزما لايزال عضبه صقيلا وعزايروق باظهار الحق غرة وتحجيلا ورأيا لقداح السداد والنجاح مجيلا وسعدا يوصل الى الاسعاد برضاه توصيلا من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ونحن نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو على فضله الذي أناله جسيما جزيلا ونتوكل عليه توكل من يلجأ في كل أحواله اليه وكفى بالله وكيلا ونستعينه على أمور المسلمين التي حملنا منها امانة كبيرة وعبأ ثقيلا ونقف بالضراعة بين يديه طلبا لما يخلصنا لديه عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا وتوسيلا ونعوذ به من كل عمل لا يكون حاصله الا ماكلا وبيلا وعرضا من الدنيا قريبا ومتاعا قليلا انا والله المرشد لنعلم أن هذا الامر الذي قلدنا الله تعالى منه ماقلده وأسنده الينا من امور خلقه فيما أسنده قد ألزمنا من حقوقه الواجبه وفروضه الراتبه مالا يستطاع

الا بمعونته أداؤه ولا يستتب الا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتداؤه فهو المشكور عز وجهه على نعمته والمستعان على ما يدنى من رضاه ويقرب من رحمته وأن كل امرئ بشأنه مشغول وعن خويصة نفسه مسؤل ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون وعن الكبير والصغير مسؤلون وعلينا النصيحة لله فى عباده وبلاده والنظر لهم بمنتهى جد المجتهد واجتهاده ولا قوة الا بالله عليه توكلنا وبه اليه توسلنا فعيننا تسهر لتنام الرعية عيونهم وتحرّكنا يتصل ليحصل لهم سكونهم وأملنا أن لا نقر فيهم بحول الله تعالى ظلما ولا هضما ولا نخرم لهم فى اقامة حقوق الله ما استطعنا نظما وأنى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيته من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم فى بريته ولعل الله الذى حملنا ما حملنا واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا أن يهب لنا توفيقه ويسلك بنا الى هداه طريقه الا وان من ولّيناه أمرا من امور المسلمين فهو مطلوب به وموقوف عليه عند ربه فلينظر امرؤ فى جزئية ما نيط به وكليته وليراقب فيما لديه عالم خفيته وجليته الا وكلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فمن حفظ الله حفظه الله فى نفسه وماله وقضى له بالسعادة فى حاله ومآله وأنجاه يوم عرضه وسؤاله والخلق عيال الله فأحبهم اليه أحبهم لعياله العدل العدل فبه قامت السموات والارض وباقامته أقيمت السنة والفرض اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقوى ما تشتد به أركان الدين وتقوى أما ان الحق فى أن لا تتعدى أساليب الشرع وقوانينه وأن لا يتجاوز فى قضية من القضايا افصاحه وتبيينه وأن يجازى بحكمه المسيؤن والمحسنون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون الا واناقد عثرنا لبعض قواد الجهادية وحكامها على أمور أنكرنا معرّفاتها واستقبحنا مستوصفاتها وبرئنا الى الله تعالى من متغيراتها ومحرّفاتها وعلمنا أن منهم أقواما لا يتورّعون عن الاموال والدماء ولا يحذرون فيما يأتون ويذرون جبار الارض والسماء فازلنا بحمد الله ذلك ونحوه ومحلنا ابتغاء رضاه محقه ومحوه وابتعثنا النظر جديد واستئناف لاصلاح أحوال وتسديد وتغليظ فى المحرّمات وتشديد واستقبلنا ما يوسع الامور ربطا وضبطا ويفيض على الامة بعون الله تعالى عدلا وقسطا وتعين علينا فيما رأيناه انفاذ الخطاب الى كل من استكفيناه بالبلاد وولّيناه النظر عنا فى مصالح العباد بما يكون ان شاء الله تعالى الاعتماد على فصوله والاستناد الى محصوله والاجتهاد بحسب فروعه واصوله فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله فى كل حال ومراقبة اوامره ونواهيه عند كل انتعاء وانتحال والوقوف عند حدود الله التى حدّها وارصدها بازاء موجباته وعدّها فانه لا يتعداها الا من رام تعفى رسمها وطمسه ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والمحافظة على ما به تحفظ الشريعه والملاحظة لما يضم الرعايا من حوزة أولى الحياطة المنيعه والمثابرة على ما تكف به أكف الاعتداء والمبادرة الى الاهتمام بالسلف الصالح والاقتداء والطريقة المثلى وآيات الله التى تتلى وهداياته التى لابصار البصائر تجلى وخفض الجناح والاخذ بالرفق والانجاح وتوخى الحق الذى هو أوضح ابلاجا من فلق الاصباح والحلم والاناة والمذاهب المستحسنات والامور

البينات والله الله فى الدماء فانها اول مايقضى بين الناس يوم القيامة فيها ولا سبيل لاستحلالها الا بعد ثلاث كفر بعد ايمان أوزنى بعد احصان أوقتل المسلم لاخيه وقد قال مالك الامر والخلق ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فتثبتوا فيها فأمرها جليل وتحريمها الايد خله تحليل واياكم أن تجعلوا فيها لاحد من ولاة الجهاد حكما أونظرا أوتكلوا اليهم منها مستكثرا أومستنزرا فانه اذا استبد بالقضاء فيها كل والى ذهبت هدرا واستباحها الجاهل والجائر أشرا وبطرا وربما كان فيهم من فى طباعه سبعية فيقتل بها الناس قتلا ذريعا ويستسهل من ذلك بجوره صعبا ويرتكب بجهله شنيعا ويذهل عن قول الله تعالى من قتل نفسا بغير نفس أوفساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا فأنى تحل المسامحة فى هذا الشان أويحكم به كل انسان فى نفوس أهل الايمان معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه أوينصرف اليه نظرنا فلا نزيله ولا نصرفه فسدوا هذا الباب سدا وصدوا عنه من أمه صدا وكفوا كل ما كان من الايدى للدماء ممتدا ومن وجب عليه القتل شرعا وتعين واتضح موجب القصاص فيه وتبين فليس لكم الا القاعدة الكبرى تتحرى فيها الاحكام عليه بمحضر القاضى والشهود كما يجب أن يتحرى بعد أن يتثبت فى نازلته ويستحل ويستبرا فلا تحل القضية الا على بصيره وحقيقة مستنيره فقد يلوح فى اليوم ماخفى بالامس ويتعذر بعد الافادة اعادة النفس وملاك الامر فى انتقاء من يتصرف وتوليه من لا يضيم ولا يتحيف فتخيروا للانظار والجهات من ترتضى سيرته من الولاة ولا تستعملوا أهل الفظاظة والجهالة والمصرين على الراحة والبطالة فانهم اذا استرعوا أضاعوا واذا دعاهم شيطان الهوى أطاعوا واذا جاءهم أمر من الامن أوالخوف اذاعوا ومیلوا باختياركم الى المتسمين بالصلاح المرتسمين فى ديوان الكفاة النصاح وأطيلوا مع ذلك التنقير عنهم والتنقيب ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب ومن عثرتم له على منكر من استباحة دم أومال واضاعة للحقوق واهمال نخذوا على يده وجازوه بفاسد مقصده وأنزلوه بالمنزل الاقصى وعاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما استوصى واصرفوا نظركم الى القضاة فان مدار الشريعة انما هو على ما يستند اليهم ويقصر من الاحكام عليهم فاذا كانوا من أهل العلم والديانه وذوى النزاهة والصيانه أمسكهم الورع بزمامه وبلغ العهد بهم غاية تمامه واذا كانوا بضد هذا قبلوا الرشوه وأوطأوا العشوة وأطالوا النشوه وأحلوا من الدماء والفروج محرمها وطمسوا من السنة بالميل والمين معلمها وحكموا بالهوادة والهوى وطووا من الحق ما انتشر ونشروا من الباطل ما انطوى فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء وشرجا سرهم وجاهلهم أحق بالاتقاء ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ولكن قدموهم بتوريعهم فى القضايا وعلمهم بالمسائل ومما نؤكد عليهم فيه أمر الشهود فان شهادة الزور هى الداء العضال والظلمة التى يستتربها الظلمة والضلال والحجة الداحضة التى بها يحل الحرام ويحرم الحلال وقد كثر فى هذا الزمان أهل الشهادة الفاسده ونفقت بهم سوق الاباطيل الكاسده

فتقدموا الى القضاة وفقهم الله تعالى أن لا يقبلوا الا مشهورا بزكاء وعدل موفى حظه من رجاحة وعقل ومن كان مغموزا عليه فى أحواله منبوزا بالاسترابة فى شهادته وأقواله فلترد شهادته على أدراجها وليبطل ما يكون من حجاجها وأكدوا عليهم عند تعارض العقود فى الترجيح والنظر فى التعديل والتجريح لتجرى امور المسلمين على سنن الحق المستبين وتبدو المعدلة مشرقة الغرة مؤتلفة الجبين ومما أمركم به ان تبحثوا عن العمال ولا تولوا منهم الا الحسن الطريقة المرضى الاعمال ومن لم يكن منهم جاريا على القوانين المرعيه ناصحا لبيت المال رفيقا بالرعيه وكان فى أمانته حائدا عن الجادة السويه قائلا كما قال قبله ابن اللتبيه فليعوض منه غيره وليرفع عن الجانبين ضيره فانه ما كانت الخيانة قط فى شئ الا أهلكته ولا وضعت فى انسان طبيعة سوء الا ملكته وانما هو مال الله تعالى الذى يرزق منه الحماة وبه تسد الثغور المهمات فينبغى أن يختار له محتاط فى اقتضائه وقبضه حافظ لدينه ومروءته فى كله وبعضه فخذوا فى انتقاء هذه الاصناف المسمين واطلبوا بهذه الاوصاف المصرفين والمولين واجمعوا من الاجتهاد الجهد والقصد والاعتماد الاثر والعين وأنصفوا منهم ان تظلم من أحدهم متظلم واشفوا شكوى كل متشك وألم كل متألم واعلموا أن حرمة الاموال بحرمة الدماء لاحقته وان احدى القضيتين للاخرى مساوية ولاحقه ومن أكبر ما ورد فى ذلك وأعظمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وليكن الناس فى الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة ولا محاورة فى تغليب قوى على ضعيف ولا محاوله ان هذه أمتكم امة واحده وان دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى لشاهده ولا يؤخذن أحد بجريرة أحد ولا يجن ولد على والد ولا والد على ولد فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى لقول الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر أخرى اللهم الا من آوى محدثا فانه مأخوذ بما أجرم وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفعوا أعاننا الله تعالى واياكم للعدل بكل علم منارا واتخذوا الرفق بالامانة شعارا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرفق لا يكون فى شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وقد نص الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ونبها على منازع المقاربة والسداد فلا غضب لامر الا بما غضب له الله عز وجل ولا رضا به الا اذا استقر فيه رضا الله تعالى وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل عبدى لم جلدت فوق ما أمرتك به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول أكان ينبغى لغضبك أن يكون أشد من غضبى ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدى لم قصرت عما أمرتك به فيقول رب رحمته فيقول أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتى قال فيأمر فيهما بشئ قد ذكره لم يحفظه الراوى الا انه قال صيروهما الى النار أعاذنا الله تعالى منها بفضله ورحمته فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع ويحفظ الاصل من هذه الوصايا والفرع واحتاطوا فى الرعية فانه رأس المال والامانة التى لا ينبغى أن يكون فيها شئ من الاهمال ومع توفيقكم لما سطرناه فى هذا الكتاب وشرحناه من أبواب الخير المسعد فى المآب والمآل

فاستوفوا

فاستوفوا ضروب الصالحات واستقصوها واعملوا أعمال البر وخصوصها واذكروا آلاء الله وقصوها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واشتدوا في تغيير المنكرات كلها واحسموا أدواءها من أصلها ورغبوا الناس في الطاعات وندبوهم اليها ووضحوا لهم أعمالهم وعرضوهم عليها وانتهوا في كل سعي ناجح ورأي راجح الى أفضل ما ينتهي اليه المنتصحون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وخذوا بعمارة مساجد الله التي هي بيوت الاتقياء ومحل مناجاة ذي العظمة والكبرياء انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فان تعليمه للصغار يطفئ غضب الرب ونعم الشفيع هو يوم القيامة والمتوسل فيما يتوج القارئ وأباه تاج الكرامة وأرشدوا للخير ما استطعتم واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم والله ولي التوفيق والارشاد والملجي بالهداية الى طريق الفوز والسداد وهذه أوامر نا اليكم امتثلنا أمر الله تعالى فامتثلوها وأحضروها في خواطركم مع كل لحظة ومثلوها وانا لما يكون منكم فيها المستمعون ولآثاركم فيما يوفيها لمتطلعون وقد خرجنا لكم عن عهدة لزمتنا في التذكير ونهجنا لكم منها التقديم والتأخير والله تعالى يعلم أنا انما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الخطر والايجاب لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا ونسعى في صلاح الامة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا اللهم عبدك يضرع اليك ويخضع بين يديك في أن تلهمه الى ما يجمل قصدا ومعتقدا وتهب له من لدنك رحمة وتهيئ له من أمره رشدا اللهم منك المعونة على ما وليت ولك الشكر على ما أوليت فالمهدي من هديت والخير كله فيما قضيت اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا انك الولي النصير العلي الكبير واذا وصلكم كتابنا هذا فقصوه على الناس مفصلا ومجملا وأظهروا مضمونه لهم قولا وعملا واسلكوا بهم من مراشده سننا مستجملا ان شاء الله تعالى والله سبحانه يديم علاكم ويصل اعادتكم في كل مجد وابداكم ويجزل حظوظكم من السعادة وأنصباكم بمنه وكرمه لا رب سواه والسلام الأكرم الازكى يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب في الرابع والعشرين لجمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وستمائة انتهى * وهذا ابن الجيان له الباع المديد في النظم والنثر ومن شعره رحمه الله تعالى في مرضه الذي توفي فيه وهو آخر كلامه

جهل الطبيب شكايتي وشكايتي * ان الطبيب هو الذي هو ممرضي
فان ارتضى برئي تدارك فضله * وان ارتضى سقمي رضيت بما رضى
مالي اعتراض في الذي يقضي به * لكن لرحمته جعلت تعرضي

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملغزا في بطيخة

وحبلى بابناء لها قد تمخضوا * باحشائها من بعد ما ولدوها
كسوها غداة الطل برد امعصفرا * على يقق أزرارها عقدوها

ولما رأوها قد تكامل حسنها ٥ وأبدر منها طالع حسدوها
فقدوا قميص البدر بالبرق واجتلوا ٥ أهلتها من بعد ما فقدوها
ولو أنصفوا ما أنصفوا بدر تمها ٥ ولا أعدموا الحسناء اذ وجدوها

وقال أيضا ملغزا في الميل وهو المرود

مستر خص السوم غال ٥ عال له أي حظوه
ما جاوز الشبر قدرا ٥ لكنه ألف خطوه

وهذا استخدام ما به باس لانه اكتسى من الحسن خير لباس وكم لهذا الكاتب من محاسن ماؤها غير آسن وقد عرف لسان الدين في الاحاطة بابن الجيان وأطال في ترجمته ونشير الى بعض ذلك باختصار وهو محمد بن محمد بن أحمد الانصاري من أهل مرسية أبو عبد الله ابن الجيان كان محدثا راوية ضابطا كاتبا بليغا شاعرا بارعا راتق الخط دينا فاضلا خيرا زكيا استكتبه بعض أمراء الاندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه ثم خلصه الله تعالى منه وكان من أعاجيب الزمان في افراط القمأة حتى يظن راتبه الذي استدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها متناسب الخلقة لطيف الشمائل وقورا خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة ٦٤٠ فاستقر بباريولة الى أن دعاه الى سبتة الرئيس أبو علي بن خلاص فوفد عليه فأجل وفادته وأجزل افادته وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه الى افريقية فاستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته وروى ببلده وغيره عن أبي بكر بن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع بن سالم وأبي عيسى ابن أبي السداد وأبي علي الشلوبين وغيرهم وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ونظم في المواعظ للمذكرين كثيرا انتهى مختصرا والافترجمته في الاحاطة متسعة رحمه الله تعالى ولما كتب له أبو المطرف بن عميرة برسالته الشهيرة التي أولها تحييك الاقلام تحية كسرى وتقف دون مداك الحسرى وهي طويلة اجابه بما نصه ما هذه التحية الكسروية وما هذا الرأي وهذه الروية أتنكبت من الاقلام أو تنكبت من الاعلام أو كلا الامرين توجه القصد اليه وهو الحق مصدقا لما بين يديه والا فمهدي بالقلم يتسامى عن عكسه ويترامى للغاية البعيدة بنفسه فمتى لانت أنابيبه للعاجم ودانت اعاريبه للاعاجم واعجبا لقد استنوق الجمل واختلف القول والعمل لامر ما جدع أنفه قصير وارتد على عقبه الاعمى أبو بصير أمس أستسقي من سحابه فلا يسقيني وأستشفي بأسمائه فلا يشفيني واليوم يحلني محل أنوشروان ويشكو مني شكوى الزبدية من بني مروان ويزعم اني ابطلت سحره ببئر ذروان ويخفي في نفسه ما الله مبديه ويستجدي بالاشر ما عند مستجديه فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعه والشريعة المبتدعه أيظن أن معماه لا ينفك وانه لا ينجلي هذا الشك هل ذلك منه الا امحاض النصيحه واحماض تفتيه ونشوة من خمر الهزل ونخوة من ذي ولاية أمن من العزل تالله لولا محله من القسم وفضله في تعليم النسم لاسلمته ما يقطع به صلفه وأودعته ما ينصدع به صدفه واشرت بطرف المشرفي ومجده واشرت الى تعاليه عن

٣ قوله القماة في نسخة القوام وكلتاهما لا يلائم ما بعده غير أن الاول يفيد الصغر فيلتئم مع ما بعده ولكن عبارة القاموس تفيد انه الصغر في القدر لا في الجرم فليتأمل ويحرر اه منجمه

٤ قوله أجابه بما نصه الخ ينبغي مزيد التأمل في هذا الجواب والوقوف على ما انطوى عليه من الرموز والاشارات في مظانها لمن تيسر له ذلك فانها قوبلت على أصلها الذي بيدي وهو مشحون بالتحريف الفاحش بل والسقط ولم يكن مهيأ حينئذ من مظان ذلك شيء فحصل التصحيح على الاصل المذكور بحسب ما فتح به الفتاح ومع ذلك ففي النفس منه شيء فمن ثم حصل منا التنبيه هنا لقبل العذر من أنصف وان تحامل غيره وتعسف وكذلك كل ما في أواخر هذا الكتاب مما انخرط في سلك هذا الجواب حيث نسخة الاصل انفردت وبالغلط والتحريف امتلأت ولا مادة للمراجعة موجوده والظان مفقوده اه منجمه

اللعب بجدته ولكن هو القلم الاول فقوله على أحسن الوجوه يتأول ومعدود
فى تهذيبه كل ما لسانه يهذى به وما أنساني الا الشيطان أباديه أن اذكرها وانما
اقول ليت التحية كانت لى فاشكرها ولاعتب الا على الحياء المبرحة بالبرحاء فهى التى
أقامت قيامتى فى الانديه وقامت على قيام المتعديه يتظلم وهو عين الظالم ويلين القول
وتحته سم الاراقم ولعمر البراعة وما رضعت والبراعة وما صنعت ما خامر فى هواها
ولا كانت بهادون سواها ولقد عرضت نفسها على مرارا فاعرضت عنها ازورارا
ودفعتها عنى بكل وجه تارة بلطف وأخرى بنجه وخفت منها السآمه وقلت انكمى
أسامه فرضيت منى بابى جهل وسوء ملكته وابن أبى سفيان وصعلكته وكانت أسرع
من أم خارجة للخاطبه وأسمح من سجاح فى استنجاح تلك الخطبه ولقد كنت اخاف من
انتقال الطباع فى عشرتها واستثقال الاجتماع من عشرتها وأرى من الغبن والسفاه
أخذها وترك بنات الافواه والشفاه اذهى ايسر مؤنه واكبر معونه فغلطنى فيها أن
كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ومن نسوة خفرات لا ينطقن الا بالهمس ووجدتها
أطوع من البنان للكف والعنان للكف والمعنى للاسم والمغنى للرسم والظل للشخص
والمستدل للاص فما عرفت منها الا خير ارضاه وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ
الله فعجبت لها الآن كيف زالت نعلها ونشزت فنشرت ما استكتمها بعلها واضطربت
فى رأيها اضطراب المختار أبى عبيد وضربت فى الارض تسعى على بكل مكر وكيد
وزعمت أن الحليم خدعها وألان أخدعها واكبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور
وأحضرها الصاحبها كما أحضر بين يدى قيصر سابور فقد جاءت افكا وزورا وكثرت من
أمرها نزورا وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القميص والمراودة قالت ما جزاء وهى
التى قدت القميص وربما يظن بها الصدق وظن الغيب ترجيم ويقال لقد خفضت الحياء
بالمجاورة لهذا الجيم وتنتصر لها التى خيمت بين الترجمة والريحانه وختمت السورة باسم
جعلت ثانيه أكرم نبى على الله سبحانه فان امتعضت لهذه التكلمه تلك التى سبقت
بكلمتها بشارة الكلمه فانا ألوذ بعدلها وأعوذ بفضلها وأسألها أن تقضى قضاء مثلها
وتعمل بمقتضى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها على أن هذه التى قد أبدت مينها
ونسيت الفضل بينى وبينها ان قال الحكمان منها كان النشوز عادت سرورية العجوز
وقالت التحكيم فى دين الله تعالى لا يجوز فعند ذلك يمحص الحق ويعلم من الاولى
بالحكم والاحق ويصيبها ما أصاب اروى من دعوة سعديه حسين الدعوى وياويحها
ارادت أن تجنى على فجنت لى وانا خت لى مركب السعادة وما ابتغت الا خلى فاتى
شرها بالخير وجاء النفع من طريق ذلك الضير اتراها علمت بما يثيره اعوجاجها وينجلى
عنه عجاجها فقد أفادت عظيم الفوائد وتطيم الفرائد ونفس الفخر وتفيس الدر
وهى لا تشكر أن كانت من الاسباب ولا تذكر الا يوم الملاحاة والسباب وانما
يستوجب الشكر جسيما والثناء الذى يتضوع نسيما الذى شرف اذ أهدى أشرف
السجايا وعرف بما كان من انتحاء تلك الحياء المذمومة فى الحاآت فانه وان ألم

بالفكاهه بما أمل من البداهه وسمى باسم السابق السكيت وكان من أمر مداعبته كيت وكيت وتلاعب بالصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانه والصباء بالعاشق ذى اللبانه فقد أغرب بفنونه واغرى القلوب بفتونه ونفث بخفية الاطراف وعبث من الكلام المشفق بالاطراف وعلم كيف يمحض البيان ويخلص العقيان فمن الحق أشكره على اياديه البيض وان أخذ لفظه من معناه فى طرف النقيض تالله أيها الامام الاكبر والغمام المستمطر والحبر الذى يشفى سائله والبحر الذى لا يرى ساحله ما انا المراد بهذا المسلك ومن أين حصل ذلك النور لهذا الحلك وصح أن يقاس بين الحداد والملك انه لتواضع الاعزه وما يكون عند الكرام من الهزه وتحريض الشيخ للتلميذ وترخيص فى اجازة الوضوء بالنبيذ لو حضر الذى قضى له بجانب الغربى أمر البلاغه وارتضى ماله فى هذه الصناعة من حسن السبك لحليها والصياغه واطاعته فيما اطلعته طاعة القوافى الحسان واتبعته فيما جمعته لكن بغير احسان لاذعن كما اذعنت وظعن عن محل الاجادة كما ظعنت وأنى يضاهى الفرات بالنغبه ويباهى بالفلوس من أوتى من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبه وأى حظ للكلالة بالنشب وقد اتصل للورثة عمود النسب هيهات والله المطلب وشتان الدر والمخشلب وقد سيم الغلب ورجع الى قيادة السلب وان كنا ممن تقدم لشدة الظما الى المنهل وكمن اقدم الى عين تبوك بعد النهى للعلل والنهل فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا وملأ ما هنالك جيانا وما تعرضنا باساءة الادب واللوم ولكن علمنا أن آخر الشرب ساقى القوم وان اسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الايجاز وان اعرقنا فهو انا فى الحجاز فلكم قصيرات الحجال ولنا قصيرات الخطا فى هذا المجال واكثارنا فى قله وجارنا من الفقر فى فقر وذله ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ويخفى النجوم خجلها منها وحياؤها ان لم تطل فلانها للفروع كالاصل وفى الجموع كليلة الوصل فلو سطع نورها الزاهر ونورها الذى تطيب منه الانوار الازاهر لسجدت النيران ليوسف ذلك الجمال ووجدت نفحات رياها فى أعطاف الجنوب والشمال وأسرعت نحوها النفوس اسراع الحجيج يوم النفر وسار خبرها وسرى فصار حديث المقيمين والسفر وما أظن بتلك الساخرة فى تجليها الساحرة بتجنيها اذ كانت ربيبتها بل ربيتها هذه التى سبقتنى لما سقتنى بسيتها ووجدت ريحها لما فصلت من مصر عيرها وحين وصلت لم يدلنى على ساريها الا عبيرها وكم رامت أن تستترعنى بليل حبرها فى هذه المغانى فاغرانى بهاؤها وكل مغرم مغرى ببياض صبح الالفاظ والمعانى وهل كان ينفعها تلفحها بمرطها وتلفعها اذ نادتها المودة قد عرفناك يا سوده فأقبلت على شم نشرها وعرفها ولثم سطرها وحرفها وقزيتها الثناء الحافل وقرأتها فزينت بها المحافل ورمت أمر الجواب فعزنى فى الخطاب لكن رسمت هذه الرقعة التى هى لديكم بعجزى واشيه واليكم منى على استحياء ماشيه وان رق وجهها فما رقت لها حاشيه فمنوا بقبولها على عللها وانقعوا بماء سماحتكم حر غللها فانها وافدة من استقر قلبه عندكم وثوى وأقر بانه يلقط فى هذه الصناعة ما يلقى للمساكين من النوى بقيتم سيدى للفضل والاغضاء ودمتم

قوله وما أظن الخ هكذا فى الاصل ولا تخفى سقامته ولعل صحة العبارة هكذا وما ضر تلك الساخرة فى تجليها الساحرة بتجنيها أن كانت بمنزله ربيتها أو تربها كيف وهذه التى سبقتنى لما سقتنى بسيبها الخ والضمير فى ربيتها وتربها لرسالة المجيب المفهومة من السياق تأمل اه مصححه

غرة فى جبين السبحة البيضاء واقتضيم السعادة المتصلة مدة الاقتضاء بين الله سبحانه انتهى * ومن نثر ابن الجيان رحمه الله تعالى فى شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد خير الانام ولبنة التمام عليه أفضل الصلاة والسلام خيرت المفاخر يتضاءل لعظمتها المفاخر والمعالى يتصاغر لعزتها المعالى والمكارم يعجز عن مساجلتها المكارم والمناقب لاتضاهى سناها النجوم الثواقب والمحامد لايبلغ مداها الحامد والماجد لايتعاطى رتبهن الماجد والمناسب سمت بجلالهن المناصب والعناصر طيبها الشرف المتناصر والفضائل تفجرت فى أرجائهن الفواضل والشمائل تأرجت بعرفهن الجنائب والشمائل فلا مجارى لسيد البشر الآتى بالنذارات والبشر فيما حباه الله تعالى به وخصه وقصه علينا من خلقه العظيم ونصه عند رسم مدائحه يوجد المعول وفى الثناء عليه يستقصر الكلام المطول هو الآخر فى ديوان الرسالة والاول وله فى الفضيلة وقبول الوسيلة النص الذى لايؤول نوره صدع الظلم وظهوره رفع لدين الله تعالى العلم بدأ الوحى وهو بحراء واسرا اليه سرى تقدم الاسراء حتى اذا نصب له المعراج وتوقد فى منارة السماء ذلك السراج ناجى الحبيب حبيبه وجلا عن وجه الجلاء جلابيبه فتلقى ماتلقى لما علا وترقى ثم صدر عن حضرة القدس وجبين هدايته يبهر سنا الشمس فشق لمعجزاته القمر ونهى بأمر ربه وأمر وأزال الجهالة وأزاح الضلالة وكسر منصوب الاوثان ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان وبنى الملة على قواعدها الخمس وأحيا دين ابراهيم وكان رفاتا بالرمس فرفلت الحنيفية البيضاء فى بردة الجدة وبيضت بضياء غرتها أوجه الايام المسودة وانتشرت الرحمة بنبيها ومطرت المرحمة من سحب حيها وافتنت الآيات البينات فى مساقها واتساقها واشراقها فى آفاقها وائتلاقها وشهد الحجر والشجر والماء من بين البنان يتفجر والظبية والضب والجذع المشتاق الصب والشاة والبعير والليث اذا هدأ أو سمع منه الزئير والحصى والجماد والقصعة والزاد بأن محمدا رسول الملك الحق والمبلغ عنه بواسطة الملك الى الخلق وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود والقول المسموع والذكر المرفوع والصدر المشروح والفخر الباهر الوضوح والانوار المتناقله والآثار المتداوله والنبوة التى عهدها تقادم من قبل خلق آدم والمزية المعروف قدرها الجليل المقبول فيها ما دعا به الخليل والرتبة التى استشرف اليها الكليم حتى قال له وكن من الشاكرين ربه الكريم والبشارة التى كان بها يصيح حين يسيح روح الله تعالى وكلمته عيسى المسيح والشفاعة التى يرجوها الرسل والامم ويقرع بها الباب المرتج المبهم فالنبينا المختار من علو المقدار واصطفاء الجبار والاختصاص بالاثره والاستخلاص للحضره ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وحسب هذا الوجود من الفضل الربانى والجود الذى لم يزل عظيما أن بعث الله تعالى فيه رسولا رؤفا بالمؤمنين رحيما عزيزا على ربه الكريم كريما بسره سجدت الملائكة لآدم تعظيما وبذكره ينظم سلك المادح لحضرته العلية تنظيما صلى الله

قوله للحضره ذلك الخ هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا والاصل لايحصيه التعداد وينفدون معشار عشره المداد أونحو ذلك أو يجعل ذلك الفضل الخ هو الخبر تأمل اه مصححه

عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما صلاة تتصل ما دار كأس محبته على محبيه فكان مزاجه تسنيما وسلاما ينزل دارا دارين فيرسل بيضائعها الى روضة الرضى نسيما * (ومن خطبه المرتجلة قوله سامحه الله تعالى) الحمد لله الذى حمده من نعمائه وشكره على آلائه من آلائه أحمده حمد عارف بحق سنائه واقف عند غاية العجز عن احصاء ثنائه عاكف على رسم الاقرار بالافتقار اليه والاستغناء به فى كل آنائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه المتقدس عما يقوله الملحدون فى أسمائه وأصلى على سيد ولد آدم ونخبة أنبيائه محمد المفضل على العالمين باجتبائه واصطفائه المنتقى من صميم الصميم وصريح الصريح بجملة آبائه المرتضى الامانة والمكانة بابلاغ أمر الله وأدائه أرسله الله كافة للناس عموما لا يختص باستثنائه وفضله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين ونظرائه ورقاه الى الدرجات العلا وأنهاه الى سدرة المنتهى ليلة اسرائه وحباه بالخصائص التى لا يضاهى بها بهاء كماله وكمال بهائه وردّاه رداء العصمة فكانت عناية الله تكنفه عن يمينه وشماله وأمامه ووراءه ووفاه من حظوظ البأس والندى ما شهد بمزيته على الليث والغيث فى ابائه وانمائه صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الهدى ونجوم سمائه صلاة تتصل ما سجح البدر بائتلاق أنواره والقطر باندفاق أنوائه وسلم تسليما * (ومن نثره رحمه الله تعالى) * رسالة كتب بها من الاندلس الى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وهى السلام العميم الكريم والرحمة التى لا تبرح ولا تريم والبركة التى أولها الصلاة وآخرها التسليم على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة المؤيدة بالعصمة والايد والقوة ومثابة البر والتقوى فهى لقلوب الطيبين صفا ومروه مقام سيد العالمين طرّا وهاديهم عبدا وحرّا ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد طالما ألفوا العيش ضنكا والدهر مرّا ومقر الانوار المحمديه والبركات السرمديه أمتع الله تعالى الاسلام والمسلمين بحراسة أضوائها وكلاءة ظلالها العلية وافيائها وأقر عين عبدها بلثم ثراها والانخراط فى سلك من يراها السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا أبا القاسم سلام من يمد اليك يد الغريق ويرجو الانقاذ ببركتك من نكد المضيق ويتقطع أسفا ويتنفس صعدا كلما ازدلف اليك فريق وعمرت نحوك طريق ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يجف ريق كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدون واقت واستقام المستعدون وما استقمت وبقى وبين لثم ثراك النبوى ولمح سناك المحمدى مفاوز لا يفوز بقطعها الا من طهر دنس ثوبه بماء توبه وستر وصم عيبه بظهر غيبه فكلما رمت المتاب رددت وكلما يممت الباب صددت وقد امرنا الله تعالى بالمجىء اليك والوفادة عليك ومن لى بذلك يا رسول الله والايام تنتى وتبعد والايام لا تدنى ولا تسعد وبين جنبى أشواق لا يزال يهزنى منها المقيم المقعد ولئن كنت ممن خلفته عيوبه وأوبقته ذنوبه ولم يرض الوفادة وهو مدنس على ذلك المقام وهو المطهر المقدس فعندى من صدق محبتك وحب صحبتك والاعتلاق بذمتك ما يقدمنى وان كنت مبطئا ويقربنى وان كنت مخطئا فاشفع لى يا رسول الله فى زيارتك

فهى أفضل المنى وتوسل لى الى مولى بين فضيلتك وتقبل وسيلتك فى النقلة من هنالك الى هنا واقبالى وان كنت زائفا وأقبل على وان اصبحت الى الاثم متجانفا فأنت عماد أمتك جميعا وأشتاتا وشفيعهم أحياء وأمواتا ومن نأت به الدار وقعدت بعزمه الاقدار ثم زار خطه ولفظه فقد عظم نصيبه من الخير وحظه وان لم أكن سابقا فعسى أن أكون مصليا وان لم أعد مقبلا فلعلى أعد موليا ووحقك وهو الحق الاكيد والقسم الذى يبلغ به المقسم مايريد ماوخدت اليك ركاب الاولالقلب اثرها التهاب والدمع بعدها سح وانسكاب ويالبتنى ممن يزورك معها ولو على الوجنتين ويحييك بين ركبها ولو على المقلتين وما الغنى دونك الابؤس واقلال ولا الدنيا وان طالت الا سجون وأغلال والله تعالى يمن على كتابى بالوصول والقبول وعلى بلحاقى ببركتك ولو بعد طول ثم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته عليك ياسيد الخلق وأقربهم من الحق ولولاه ياحراز قصب السبق ومن طهر الله تعالى مثواه وقدسه وبنباه على التقوى والرضوان وأسسه وآتاه من كل فضل نبوى اعلاه واسناه وأنفسه وعلى ضجيعيك السابقين لمهاجريك وأنصارك الفائزين بصحبتك العلية وجوارك وعلى أهل بيتك المطهرين أوائل وأواخر الشهيرين مناقب ومفاخر وصحابتك الذين عزروك ووقروك وآووك ونصروك وقدموك على الانفس والاموال والاهل وآثروك وأقرئك سلاما تنال بركته من مضى من أمتك وغبر ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسطر ان شاء الله تعالى كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثقى اللائذ بحرمك الامنع الاوقى المتأخر جسما المتقدم نطقا فلان والسلام عليك يارسول الله صلى الله عليك وسلم تسليما كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته (وله من خطبة طويلة) ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الصفوة المجتبى الكريم أما طاهرة وأبا المختار من الطيبين مباركا طيبا المصطفى نبيا اذ كان آدم بين الماء والطين متقلبا المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين انتخبه الله واجتبه وأظهره على غيب عن غيره حجبه وشرفه فى الملا الاعلى وأعلى رتبه وخط اسمه على العرش سطرا وكتبه فهو وسيلة النبيين والمرشح أزلا لامامة المرسلين بعثه ربه لختم الرسالة ونعته بنعت الشرف والجلالة وأيده بالحجة البالغة والدلالة وجعله نورا صادعا لظلام الضلالة وأثنى فى ذكره الحكيم على خلقه العظيم فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المثنين بفضله الصريح واليه الاشارة وبه سبقت من ابراهيم الدعوة ومن عيسى البشارة وعليه راقت من صفة الرؤف الرحيم الحلية والشارة وهو المخير بين الملك والعبودية فاختار العبودية بعد الاستخارة والاستشارة فتواضعه حل بمكان عند ذى العرش مكين أسرى به ربه اليه ووفده أكرم وفادة عليه وأدناه قاب قوسين لديه ووضع امامة الرسالة العظمى فى يديه وقال له اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فصدع بأمر الله صدعا وأوتى من المثانى سبعا ومن الآيات البينات آلافا وان كان أوتى موسى تسعا فما مشى الشجر اليه يجر عروقه الا كرجوع العصا الحية تسعى وما تفجر الحجر بالماء بأعجب من بنانه نبعت بالعذب الفرات نبعا فارتوى منه خمسمائة وقد كان يكفى آلافا فكيف اثنين وكم له عليه الصلاة والسلام

من معجزة نبهر وآية هي من أختها أكبر رجعت له الشمس وانشق القمر وكلمه الضب وأخبر به الذئب وسلم عليه الشجر والحجر وكان للجذع عند فراقه اعلانا بوجده واشتياقه أنة وحنين أعطى من المعجزات ما مثله غبط عليه البشر وكانت له في الغار آيات بينات خفي بها على القوم الاثر وارتج لمولده ايوان كسرى وخمدت نار فارس وكان ضرمها يتسعر وأتته أخبار السماء فناعمى في الارض الخبر فحدث عن الغيوب وما هو على الغيب بضنين وجعل له القرآن معجزة تتلى يبلى الزمان وهي لا تبلى وتعلو كلماتها على الكلام ولا تعلى وتجلى آياتها في عين آيات الشمس حين تجلى فيتوارى منها بالحجاب حاجب وجبين بهر اعجاز التنزيل العلي وظهر به صدق النبي العربي فكم نادى لسان عزه في الندى يا أهل البديهة من الفصحاء والروى قل فأتوا بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين لقد خص نبينا عليه السلام بالآيات الكبر والدلالات الواضحة الغرر والمقامات السامية المظهر والكرامات المخلدة للمفخر فهو سيد الملا النبوي والمعشر وحامل لواء الحمد في المحشر وصاحب المقام المحمود والكوثر والشفيع المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وذريته المباركين وصحابته الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين صلاة موصولة تتردد الى يوم الدين وتصعد الى السموات العلا فتكون كتابا في علين وسلم تسليما * (ومن نثره في خطبة قوله) * أيها الناس رحمكم الله تعالى أصيخوا أسماعكم لمواعظ الايام واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والاحلام وأحضروا الفهم مواده أوعى القلوب وأصح الافهام وانظروا آثارها باعين المستيقظين ولا تنظروا باعين النوام ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الاباطيل وأضغاث الاحلام ولا تنسينكم خدعها الموهمة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الانام فهي دار انتياب النوائب ومصاب المصائب وحدوث الحوادث والمام الآلام دار صفوها اكدار وسلمها حرب تدار وامنها خوف وحذار وتطسمها تفرق وانتشار واتصالها انقطاع وانصرام ووجودها فناء وانعدام وبناؤها تضعضع وانهدام ينادي كل يوم بنادبها منادي الحمام فلا قرار بهذه الغرارة ولا مقام ولا بقاء لساكنيها ولا دوام فبئست الدار دارا لا تداري ولا تقيل لعاثرها عثارا ولا تقبل لمعتذرها اعتذارا ولا تفي من جورها حليفا ولا جارا وليس لها من عهد ولا ذمام كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام كم نازلت بنوازلها من قباب وخيام كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام كم رمت اغراض القلوب بصميات السهام كم جردت في البرايا للمنايا من حسام كم بتدت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلام لا تبقي على أحد ولا ترثي لوالد ولا ولد ولا تخلد سرورا في خلد ولا يمتد فيها الامل أمد ينا يقال قد وجد اذ قيل قد فقد بعدها قد طبعت على نكد وكد فالفرح فيها ترح والحبرة عبره والضحك والابتسام بكاء وأدمع سجام تفرق الاحبة بعد اجتماعهم وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم وتستبيح بالحمام حمى الاعزة فلا سبيل الى امتناعهم وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم الى

مصيرهم

مصيرهم الى الله عز وجل وارتجاعهم فيسيرون طوع الزمام ويلقون مقادة التذلل والاستسلام حتى يلجؤا بالرغام وينزلوا بطون الرجام ويحلوا الوهد بعد المقام السام فلا ناح من خطبها العظيم ولا سليم يتساوى فى حكم المنية الاغر والبهيم والاعز والمضيم ولو أنه ينجو من ذلك مجد صميم وجد كريم وحظ عظيم ومضاء وعزيمة وتقديم وحديث فى الفضل وقديم وشرف لسمك السموات مسام وعلاء على ساق العرش المجيد ذو ارتسام لنجا حبيب الملك العلام وسيد السادات الاعلام وصفوة الصفوة الكرام وخاتم الانبياء ولبنة التمام وصباح الهدى ومصباح الظلام والابيض المستسقى به غيث الغمام ثمال الارامل وعصمة الايتام عليه افضل الصلاة والسلام لكن مع قدره الجليل وفضله الجلى اقدم الموت على جانبه العلى وتقدم ملك الموت لقبض روحه القدسى وتغيب فى الثرى جمال ذلك الوجه البهى وتغيض ماء السماء والندى الملك السماحة النبوية والندى وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنبيهم العربى الهاشمى القرشى فياله للاسلام من مصاب اسلمنا للحزن أى اسلام وأسال مياه الدموع عن احتراق للضلوع واضطرام وأرانا أن الاسى فى رزية لخير البرية واجب وأن التأسى حرام وهل يسوغ الصبر الجميل فى فقيد بكته الملائكة وجبريل وكنزله فى السموات السبع النحيب والعويل انقطع به عن الارض الوحى الحكيم والتنزيل وعظمت الرزية به أن يؤدى حقيقتها الوصف والتمثيل غداة أقفر منه الربع المحيل وأوحش من أنسه السفح والنخيل وكان من ثلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل وقامت البتول تندب أباها بقلب قريح وجفن دام وتنادت الامة مات الرسول ففى كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام وحارت الالباب والعقول فلا صبر هنالك لقد زلت عن الصبر الاقدام ولما نعيت اليه صلى الله عليه وسلم نفسه وآن أن تأفل من تلك المطالع شمسه آذن أمته بالفراق وأعلمهم وناشدهم فى أخذ القصاص وكلمهم مخافة أن يمضى الى الملك الحق وعليه تباعة لاحد من الخلق وحاشاه عليه الصلاة والسلام من صفات جائر للامة ظلام ولكنه تعريف من نبى الرحمة بما يجب واعلام ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى وزاد به السقم المتناب وتهادى حتى وارا ملحده وخلا منه ربعه ومسجده فعم الحزن والاكتئاب وتوارى النور فأظلم الجناب وعاد الاصحاب وكأنما دموعهم السحاب فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فكان كلامها للقلوب المفجعة كلام وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام وفى مثل هذا الشهر شهر ربيع المشيد بذكر الاشجان المذيع كانت وفاة هذا النبى الهادى الشفيع وانتقاله الى الملا الاعلى والرفيق الرفيع حين ناداه ربه الى قربه فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع وحن الى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديع وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع وانجاز وعد الشفيع فى الجميع اذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام ووقف على الحوض ينادى هلموا الى أروكم

من العطش والاوام اللهم اسقنا من حوضه المورود وشرفنا بلوائه المعقود وشفعه فينا في اليوم المشهود وارحمنا به اذا صرنا تحت أطباق اللحود اللهم اجعله لنا تعزية من كل مفقود وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود وجازه عنا بما انت أهله من فضل واحسان وجود وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود واجعلنا معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام وصل عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أي استلام وتنظم له كرامات احسانك أي انتظام فصلوات الله عليه وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه وأجزل بركاته ما تجدد في ربيع ذكر وفاته وتمهد كهف القبول لطالبي فضله وعفاته وتعزى به كل مصاب في مصيباته وترجى شفاعته كل محب فيه متبع لهداياته وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنباته حظوظ من بر الله تعالى وأقسام ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل عليه من نبي لم يزل بالمؤمنين رؤفا رحيما اللهم صل عليه من نبي أوجبت حبه وعظمته تعظيما اللهم صل عليه من نبي صليت عليه تجلة وتكريما وأمرتنا بالصلاة عليه ارشادا وتعليما فلنا بأمرك اقتداء وائتماما وبحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ولوجهك وحده البقاء والدوام كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين انتهى * وترجمة ابن الجيان واسعة جدا وكلامه في النبويات نظما ونثرا جليل رحمه الله تعالى * وقال لسان الدين في الاحاطة بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ما صورته ومحاسنه عديده وآماده بعيده ثم قال انه انتقل الى بجاية فتوفي بها في عشر الخمسين وستمائة انتهى * وقال صاحب عنوان الدراية في حق ابن الجيان المذكور ما ملخصه الفقيه الخطيب الكاتب البارع الاديب أبو عبد الله بن الجيان من أهل الرواية والدراية والحفظ والاتقان وجودة الخط وحسن الضبط وهو في الكتابة من نظراء الفاضل أبي المطرف ابن عميرة المخزومي وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل اليه الا القليل من البلغاء ونثره ونظمه كله حسن ونظمه غزير وأدبه كثير ومن ذلك قصيدته الدالية التي مطلعها

يا حادي الركب قف بالله يا حادي * وارحم صبابة ذي نأي وابعاد

وله أيضا

ترك النزاهة عندنا * أدى الى وصف النزاهه
ماذاك الا انها * تدعو الوقور الى الفكاهه
واذا امرؤ نبذ الوقا * ر فقد تلبس بالسفاهه انتهى

ومن بديع نظم ابن الجيان رحمه الله تعالى هذا التخميس في مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

الله زاد محمدا تكريما * وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه فى المرسلين كريما * ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جلت معانى الهاشمى المرسل * وتجلت الانوار منه لمجتلى
وسمابه قدر الفخار المعتلى * فاحتل فى أفق السماء مقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاز المحامد والممادح أحمد * وزكت مناسبه وطاب المحتد
وتأثلت عليا ؤه والسؤدد * مجدا صميما حادثا وقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها الملتاح * قطب الجلالة نورها الوضاح
غيث السماحة للندى يرتاح * يروى بكوثره الظماء الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة خاتم الانباء * صفو الصريح خلاصة العلياء
بنجل الذبيح سلالة العلماء * بشرى المسيح دعاء ابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر لآدم قد تقادم عصره * من قبل أن يدرى ويجرى ذكره
سر طواه الطين فهم نشره * معنى السجود لآدم تفهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله فضل المصطفى المختار * ما ان له فى المكرمات مجارى
ولا مبار باختصاص البارى * بالحق قدم مجده تقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبى الهادى * ما نالها أحد من الامجاد
فالرسل فى هدى وفى ارشاد * قد سلموا لنبينا تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت سنا وسناه * وأفادت القمرين منه ضياه
وعلت باعلام الظهور لواه * فهدى به الله الصراط قويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته * ورأت حليمة آية لسيادته
وتحدثت سعد بذكر سعادته * فتفاءلوا نعم اليتيم يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لما ترعرع جاءه الملكان * بالطست فيها حكمة الرحمن
فاستخرجا القلب العظيم الشان * منه وطهر ثم عاد سليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كرمت مناشئ أحمد خير الورى * وجرى له القلم العلى بما جرى

ما كان ذلكم حديثا يفترى * لكنه الحق الجلى رسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

مازال برهان النبى يلوح * يغدو به الاعجاز ثم يروح
حتى أتاه بعد ذاك الروح * يوحى له وحى الاله حكيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شهدت له بمزية التفضيل * سور وآيات من التنزيل
وصلاة خالقه أدل دليل * فافهمه واسمع قوله تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ان الرسول المعتلى المقدار * لمؤيد من ربه القهار
بالمعجزات جلت عمى الابصار * وشفت من أدواء الضلال سقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كم شاهد لمحمد بنبوته * فى أيد تأييد الاله وقوته
فبذاك أعلى الله دعوة حجته * فغدت حساما صارما وعزيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له ليظهر صدقه * والشمس قد وقفت تعظم حقه
والمزن أرسل اذ توسل ودقه * فاخضر ما قد كان قبل هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والماء بين بنانه قد سالا * عذبا معينا سائغا سلسالا
كنداه يمنح رفده من سالا * ويفيل راجيه النوال جسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

بركاته أربت على التعداد * كم أطعمت من حاضرين وباد
من قصعة أو حشية من زاد * رزقا كريما للجيوش عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

سجد البعير له سجود تذلل * وشكا اليه بحرقة وتململ
والشاة قال ذراعها الا تاكل * منى فانى قد سممت سموما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والغصن جاء اليه يمشى مسرعا * والصخر أفصح بالتحية مسمعا
والطيبة الحسماء فيها شفعا * والضب كلم أحمدا تكليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والجذع حن له حنين الواله * يبدى الذى يخفيه من بلباله
أفلا يحن متيم بجماله * يشتاق وجه النبى وسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما بالنا نسلو وحب حبيبنا * يقضى بث غرامنا وتحيبنا

لوصح فى الاخلاص عقد قلوبنا * لم ننس عهدا للرسول كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أين الدموع نفيضها هتانا * أين الضلوع نفضها أشجانا
حتى نقيم على الاسى برهانا * لتتم ارشادنا تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

اوليس هادينا الى سبل الهدى * اوليس منقذنا من آثار الردى
أوليس أكرم من تعمم وارتدى * أولم يكن أزكى البرية شيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ذاك الشفيع مقامه محمود * ولواؤه بيد العلا معقود
فاذا توافت للحساب وفود * قالوا تقدم بالانام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فيقوم بالباب العلى ويسجد * ويقول يامولاى آن الموعد
فيجاب قل يسمع اليك محمد * ونريك منا نضرة ونعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم بعز محمد وبجاهه * أكرم به متوسلا لالهه
شربت كرام الرسل فضل مياهه * فغدت تعظم حقه تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ياسامعى أخباره ومفاخره * ومطالعى آثاره ومآثره
ومؤمّلى وافى الثواب ووافره * ان شئتموا فوزا بذاك عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وكثيرا ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب فى مجالس التدريس وأضيف اليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم فى منازل الامداح النبوية مقيل وتعريس وهى قصيدة ميلاده كانما لم ينظمها مؤلفها الا مقدمة لهذه القصيدة الفريدة وهى

اسمع حديثا قد تضمن شرحه * روضا من الانباس أينع دوحه
فيه الشفاء لمن تكاثر برحه * وافى ربيع قد تعطر نفحه
أزكى من المسك الفتيق نسيما

شهر حوى بوجود أحمد اسعدا * بالمصطفى بين الشهور تفردا
ياما أجل سناه علاه وأمجدا * لولادة المختار أحمد قد غدا
يزهو به فخرا تراه عظيما

يامن بأدمع مقلتيه يغتذى * كم ذا تنادى حسرة من منقذى
وتقول للزفرات هل من منفذ * بشرى بشهر فيه مولده الذى
سر الزمان علاوه تعظيما

ياليلة رفعت بأحمد حجبها * لما دنا بعد التباعد قربها

١١ ٢ ٢ ٢

وتطلعت للسعد فيناشهبها * ضاءت لها شرق البلاد وغربها
وتأنقت أرجاؤها تنعيما

اسدى اليك الدهر حسن صنيعه * وحباك من غض الجنى بديعه
وافى هلال محمد بربيعه * فاعتز أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الاله قويما

نظم الزمان بجيد عمرك درّه * فاشكر ما آثره وواصل بره
وافاك بالسر المصون فسره * واعرف لهذا الشهر حقا قدره
فلقد غدا بين الشهور كريما

ياصاح جاءت بالامانى أسعد * واطل بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد * شهر كريم جاء فيه محمد
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم قلت انا عند ختم درس الشفا موطئا القصيدة ابن الجيان المذكور ولعذب براعتها هر تشفا مانصه والاعمال بالنيات

انشق أزاهر عن فنون رياض * للعلم واكرع من عذاب حياض
واسق الرياض بذكره الفياض * واحفظ كلاما للامام عياض
قد تممت أقسامه تتميما

لله روض منه أينع دوحه * يجنى به من الكريم ومنحه
فهو الشفاء لمن تكاثر برحه * مسك الختام به تعطر نفحه
فشذاه فى الارجاء صار شميما

فاضت علينا من هداه عوارف * زهر وأنوار وظل وارف
ونمارق مصفوفة ومطارف * ياحسن ما أبداه فذ عارف
درّا باسلاك الحديث نظيما

لم لا وبالملك الشفيع تشرفا * خير البرية ركن أرباب الصفا
من أسعد الراجي وقصدا أسعفا * طه النبي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد رأيت بعد وصولى الى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة لابن الجيان المذكور فى روى تلك القصيدة غير مخمسة مستقلة بنفسها وهى قوله رحمه الله تعالى

صلوا على أسنى البرية خيما * وأجل من حاز الفخار صميما
صلوا على من شرفت بوجوده * أرجاء مكة زمزما وحطيما
صلوا على أعلى قريش منزلا * بذراه خيمت العلا تخييما
صلوا على نور تجلى صبحه * فجلا ظلاما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرانا هديه * نهجا من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبي فانه * من لم يزل بالمؤمنين رحيما

صلوا على الزاكى الكريم محمد * ما مثله فى المرسلين كريما
ذاك الذى حاز المكارم فاغتدت * قد نظمت فى سلكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة فى الوغى * ولدى الندى يحكى الحيا تجسيما
طلق المحيا ذو حياء زانه * وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل كل حكيمة * فى الوحى جاء بها الكتاب حكيما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت * بدر الدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت * وجها وسيما للنبى وسيما
كم آية نطقت تصدق أحمدا * حتى الجماد أجابه تكليما
والجذع حن حنين صب مغرم * أنحى للوعات الفراق غريما
جلت مناقب خاتم الرسل الذى * بالنور ختم والهدى تختيما
وسمت به فوق السماء مراتب * بمقام صدق عز فيه مقيما
فله لواء الحمد غير مدافع * وله الشفاعة اذ يكون كليما
نرجوه فى يوم الحساب وانما * نرجو لموقفه العظيم عظيما
ما ان لنا الا وسيلة حبه * وتحية تذكو شذى وشميما
وخير ما أهدى امرؤ لنبيه * أرج الصلاة مع السلام جسيما
يا أيها الراجون منه شفاعة * صلوا عليه وسلموا تسليما

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الاستاذ أبى العلا ادريس بن موسى القرطبى فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان المذكور وقرظها بما سنذكره قريبا بعدها وهى

أهلا بكم يا أهل هذا النادى * أهل اعتقاد الوعد والمعاد
أهدوا الصلاة الى النبى الهادى * وصلوا السلام له مع الآباد
يندى نسيما مذ كرا تسنيما

هو أول الشفعاء يوم المحشر * وسواه بين تقدم وتأخر
بهت الحضور لهول ذاك المحضر * والكل فى الخطب العميم الاكبر
قد هيمت ألبابهم تهييما

ذاك المقام الاشهر المحمود * هو للنبى محمد موعود
فيه الشفاعة ذخرها موجود * درك المراد وحوضه المورود
فضل الكليم به وابراهيما

عيسى وموسى والخليل مروع * من هول مطلع هنالك يفظع
فيقال أحمد قل فانك تسمع * فيقوم يحمد ربه فيشفع
فضلا من الرب العظيم عظيما

يا أمة المختار أنتم أمته * والهول قد عم البسيطة يمه
والانبياء سواه كل همه * تخليص مهجته وليس يهمه

من كان فى الدنيا عليه كريما

صلى الاله على الذى صلى عليه * عشرا بواحدة يزكيها لديه
وأراه فى الدارين قرة ناظريه * يا قاصدين الى وصولكم اليه
راجين من أريح القبول نسيما

لولا وصية صاحب التنزيل * أن لا يقال له غلو القيل
قول الغلاة لصاحب الانجيل * لغلوت فى التعظيم والتبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما

طوبى لقلب قد تلالا اذ صفا * بالسر منه قد تثبت اذ هفا
خطت به آيات حب المصطفى * فغدا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدى الى نهج النجاة قويما

فاقت علا ذكراه اذ راقت حلى * ملأ النبوة أمتهم حين اعتلى
فى ليلة الاسراء أعلى معتلى * كتب الاله له التقدم فى العلى
وعليهم التفويض والتسليما

وكذا التسلم فى الشفاعة كلهم * ومحلهم عند الاله محلهم
ظل النبى محمد هو ظلهم * يمشون تحت لوائه فيد لهم
يندى عليه بهجة ونعيما

أوصافه من كل حسن أبهج * العرف ينفح والسنا يتبلج
فتارج الارجاء منه وتبهج * فاق الزواهر نورها يتوهج
والزهر نفاح النسيم وسيما

طلق المحيا منهل للنائل * أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مثل الدنيا بظل زائل * لم ترضه حال النعيم الحائل
ما حاول الترفيه والتنعيما

ما ورث المختار مال مؤتل * الا جواهر فى الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمل * وأقر أعجابا لعين المجتلى
من كل قيمة مقتض تقويما

وفقت يا من لم يخالف نصه * حزت الكمال وليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبى اقتصه * بالوحى شرفه الاله وخصه
شرفا على شرف السناء صميما

سبحان موح لا يحد له الكلام * من قال ذات كلام خلاق الانام
خلق فذلك آثم كل الاثام * ذاك الذى فى الدين ليس له ذمام
الا ذمام لا يزال ذميما

ضل الذى يبغى الهدى مما سواه * وهوى به فى كل مهواة هواه
من فارق الفاروق قد تبت يداه * حيران لم يهد السبيل الى هداه

لا يعرف التحليل والتحريما

بالمدح مجد المصطفى بمدحه * من حلى أوصاف له نظمته
لم أبلغ المعشار اذ أحكمته * بعضا نسيت وبعضه ألهمته
قلدته جيد الزمان نظيما

لو فزت بالاحسان من حسان * وسحبت أذيالى على سحبان
أو أيدتنى لسن كل زمان * من كل ذى زعم عظيم الشان
ما كنت بالمعشار منه زعيما

ادريس حفتك الحقوق حفوفا * هلا خففت الى الرسول خفوفا
وقريت بالعزم الهموم ضيوفا * وشدوت ان هال الزمان صروفا
مهلا كفاك معلى التعليما

ثقة بفضل الواحد القهار * ملك الملوك مصرف الاعصار
جعل النبى مكرم الآثار * وامده بالنصر والانصار
وأتم نعمته له تتميما

هل أجلون بصرى بكحل سناه * يا سعد من كحلت به عيناه
ظفرت يداه وساعدته مناه * لله ذاك الافق ما اسناه
كرم المحل فيقتضى التكريما

ونص تقريظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله

مازال كل حليف * لله أضحى وليا
وللعلوم خليلا * وعن سواها خليا
يصوغ عقيان مدح * للهاشمى حليا
ويوجب الحق فيه * ايجابه الاوليا
ويقتفى فى رضاه * نهجا جليلا جليا
والكل أخطاه حظ * فالفوز يلفى مليا
لكن ادريس منهم * حاز المكان العليا

ولا يخفاك انه التزم فى هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولا فى البحر والروى والمنحى الذى لا يضل قاصده وكيف لا وهو مدح الجناب الرفيع العظيم النبوى (فمن ذلك) قول أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاشبيلى فان بعضا ذكر أنها من قوله لما اظهر الاسلام وهى لا تقتضى رفع الريبة فيه والاتهام

جعل المهيمن حب أحمد شيمة * وأتى به فى المرسلين كريمة
فغدا هواه على القلوب تميمة * وغدا هداه لهديهم تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أبدى جبين أبيه شاهد نوره * سجعت به الكهان قبل ظهوره

كالطير غرّد معربا بصفيره * عن وجه اصباح يطل نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنس الرسالة بعد شدّة نفرة * منجي البرية وهي في يد غمرة
محيي النبوّة والهدى عن فترة * فكانما كفل الرشاد يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الله اوضح فضله فتوضحا * والله بين حبه في والضحى
والجذع حنّ هوى له فترنحا * والماء فاض بكفه تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قوله رباه في نسخة علاه اه

فربى الرواية عن رباه زكية * نجواه ربانية ملكية
أوصافه علوية فلكية * فاخال شعرى عندها تنجيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

احتث في السمع الطباق براقه * والارض واجمة تخاف فراقه
سبحان من أدنى سراه فسابقه * شخصا على ملك الملوك كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاشمّ ريحان القلوب الطيبا * ودنا فاسمع يا محمد مرحبا
انى جعلتك جار عرشى الاقربا * ان كنت قبلك قد جعلت كليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ليلة يجرى الزمان فتسبق * الحجب فيها والارائج تفتق
ما كان مسك الليل قبلك يعبق * بشرى محمد استفاد نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى اذا اقتعد البراق لينزلا * نادته أسرار السموات العلا
يا راحلا ودّعته لا عن قلى * ما كان عهدك بالغيوب ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صعد النجود وسار في الاغوار * سمك السماطورا وبطن الغار
متقسما في طاعة الجبار * ما أشرف المقسوم والتقسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الشافع المتوسل المتقبل * القانت المتزمل المزمـــل
وافى وظهر الارض داج ممحل * فجلى البهيم به وأروى الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دفعت كرامته الزنوج عن الحرم * ودعاه جبريل المنزه في الحرم
وعزت له آيات نون والقلم * خلقا به شهد الاله عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاويفيض الزاد في أصحابه * غيث ولكن كان يستحي به

طابت ضمائر قلبه وترابه ● منه بسرّ لم يكن مكتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ياشوقى الحامى الى ذاك الحمى ● متى أقضيه غراما مغرما
ومتى أعانقه صعيدا مكرما ● بضمير كل موحد ملثوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول بعض الوعاظ وأظنه من أهل المشرق

جلّ الذى بعث الرسول رحيما ● ليردّ عنا فى المعاد جحيما
وبه نرجى جنة ونعيما ● أضحى على البارى الكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ماضلّ عن وحى الاله وماغوى ● حاشى رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الامين بما روى ● قد نال من رب السماء علوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى له الروح الامين مبشرا ● نادى به يا خير من وطئ الثرى
أجب المهيمن يا محمد كى ترى ● ملكا كريما فى السماء عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حين دعابه ● ربّ السموات العلا لخطابه
ركب البراق وقد أتى لجنابه ● أمسى له الروح الامين نديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

متى أرى الحادى يبشر باللقا ● ويضمه بان المحصب والنقا
وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا ● مولى حليما لن يزال رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار قد نلت المنى ● يهنيكم طيب المسرة والهنا
فاستبشروا من بعد فقر بالغنى ● فالله زادكم به تكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضى عن آله الكرماء ● وكذاك عن أصحابه الخلفاء
فهواهم دينى وعقد ولائى ● قوما تزاهم فى المعاد نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمه الله تعالى

ياأمة الهادى المبارك أحمد ● يهنيكم نيل الامانى فى غد
بمحمد فزتم ومن كمحمد ● ان شئتموا أن تدركوا التتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير الزاهر ● صلوا على المسك الفتيق العاطر
صلوا على الغصن البهى الناضر ● وتنعموا بصلاتكم تنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالنبوة زينا * صلوا على من بالكمال تمكنا
بمحمد فزنا بادراك المنى * فضلا منحنا حادثا وقديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير اللائح * صلوا على الهادى الحبيب الناصح
صلوا على المسك الفتيق الفائح * للرشد فهم والهدى تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا * والماء بين بنانه قد يجسا
وأتت اليه سرحة حتى اكتسى * بفروعها اذ خيمت تخييما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر من قفا * وعليه سلمت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى * وشكا اليه بازل قد ضيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق * عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق * اذ جف فيه العنبر المختوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا * وغدت تظلله الغمام اذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشا * ليكون سر حبيبه مكتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كل حين ترجعوا * وبهديه مهما اهتديتم تفلحوا
والاجر يشملكم فجدوا تنجحوا * واذا أردتم أن يكون عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بجمعكم على شمس الهدى * صلوا على بدر يزين المشهدا
صلوا عليه به الرشاد تمهدا * والذكر بين فضله تفخيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر * صلوا على من فاق حسنا واشتهر
ونمت فضائله وشق له القمر * ولكم دليل فى علاه أقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا * بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مقام كانا * فخذ الفوائد كى تفاد علوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كالكم لا تسأموا * وتبركوا بصلاته وتنعموا
فعليه صلى الانبيا وسلموا * شرفا لهم اذ أمتهم تقديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا حاضرين بلغتم كل المنى • عن جمعكم من فضله ذهب العنا
واليكم والله قد وجب الهنا • بمحمد كرمتم تكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قولوا برغم معاندين وحسد • كي ترغموا أنفا لكل مفند
صلى الاله على النبي محمد • أبدا وزاد لقدره تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يارب ياذا المن والاحسان • جد بالرضى والعفو والغفران
للوالدين ومنشد الاوزان • والسامعين أنلهم تنعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما اجتمع الملا • صلى عليه الله ما قطع الفلا
صلى عليه الله ما انتجع الكلا • أبدا ومارعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

• (ومن ذلك) قول الامام العالم الشهير الاديب مالك بن المرحل المالقي ثم السبتي وهي من غرر القصائد وفيها لزوم مالا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم بجعلها بدأ وروياً على اصطلاح المغرب

الف أجل الانبياء نبي • بضيائه شمس النهار تضيء
وبه يؤتمل محسن ومسيء • فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء بدا في أفق مكة كوكبا • ثم اعتلى فخلا سناه الغيهبا
حتى أنار الدهر منه واخصبا • اذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء تبينت الهدى لما أتى • فنفى الشريك عن القديم وأثبتا
أحدية من حاد عنها قد عتا • وتلا كلاما للكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء ثوى في الارض منه حديث • في كل افق طيبه مبثوث
داع بأنواع الهدى مبعوث • يتلو نجوما أو يهز نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم جلا بسراجه الوهاج • ماجن من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوب بمائه الثجاج • فأصارها بعد الغموم غميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء حمى دين الهدى بصفائح • وسما بشمم كالجبال أراجح
من كل أزهر هاشمي واضح • لولاه غدا النبات هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

خاء خبت نيران جهل شامخ * آيات علم للرسالة راسخ
من مثبت ماح ومنس ناسخ * قد خص بالذكر الحكيم حكيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دال دعا فأجاب كل سعيد * وأتى بوعد صادق ووعيد
حتى أقر الناس بالتوحيد * وتجنبوا الاشراك والتجسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال ذباب حسامه مشحوذ * للناكثين وعهدهم منبوذ
أما السعيد فبالنبي يلوذ * فيدال من ذل الشقاء نعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

راء رويناه عن ذوي الاخبار * ان الندى والبأس مع ايثار
بعض صفات المصطفى المختار * كم قد تقدم بالانام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

زاى زعيم بالنزال عزيز * وبليغ معنى في المقال وجيز
فلقوله من فعله تعزيز * ولربما عاد الكلام كلوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

سين سلام كالنفيس تنفسا * وقد اجتنى ورد اوصافح نرجسا
أهدى اليه في الصباح وفي المسا * بقصائد كادت تكون نسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شين شمائله الكريمة تعطش * من كان من سكر المحبة يرعش
لكن أضاع العمر فيما يوحش * فغدت ندامته عليه ندبما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صاد صفي للاله ومخلص * ومقرب ومفضل ومخصص
ذهب سبيك وزنه لا ينقص * قد طاب خيما في الورى وأروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ضاد ضمين نصه ممحوض * ضاق القراءة بالعلوم يفيض
ان غاض ماء البحر ليس يغيض * لما استمر زلاله تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء طويل السيف متسع الخطا * رحب الذراع ومن يمد لهم سطا
يردي العداو اذا ارتدى متخمطا * يبري عذابا اذ ألام أليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ظاء ظهير للعباد حفيظ * ظله ادب العباد حظيظ
حوله التابين والتقريظ * مبنا وحبا ظاعنا ومقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

عين عزيز ذكره مرفوع * في الانبياء وقوله مسموع
مشروح صدر حبه مشروع * من لا يدين بذاك كان ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

غين غزا من زاغ عنه ومن طغى * وغدا يشب لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عصى بعد الصفا * وتقوم النار العصا تقويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاء فواتح سورة الاعراف * وبراءة والرعد والاحقاف
احظيته بالاقسام والاوصاف * فحتى توفى حقه منظوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قاف قوافي النظم عنه تضيق * أيطيقه الانسان ليس يطيق
فالخلق في التقصير عنه خليق * ولو أنهم ملؤا الفضاء رقوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كاف كريم العنصرين مباركٌ * متفرد بالجاه ليس يشاركُ
فهو الذي بمقامه يتدارك * والهول يغدو مقعدا ومقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام له عقد اللواء الاحفل * وله الشفاعة في غد اذ تسأل
واذا دعا فدعاؤه متقبل * حق الرحيم بان يرى مرحوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ميم ملائكة الاله تسلم * فوجا عليه اذ بدا وتعظم
ويمر جبريل بها يتقدم * فيضاعف التعظيم والتكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

نون نبي جاء بالبيان * وبمعجزات أبرزت لعيان
وبحسبه أن جاء بالقرآن * يشفي قلوبا تشتكي وجسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

هاء هو الهادي الذي اقتدح النهى * فتفكرت في ملك من رفع السما
وقضى بحد للامور ومنتهى * فأفادها النظر السديد عموما
صلوا عليه وسلموا تسليما

واو وهى ركن التجلد بل هوى * لما ثوى في الترب من بعد النوى
فحوى الضريح الرحب نجما ما غوى * أجرى من الدمع السجوم سجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام لاجلك فاض دمعي جدولا * فاخضر آس اسالة اذ يبس الكلا
يا خير من كلأ المكارم والعلا * وحمى الحمى ورمى فأعمى الرواما

صلوا عليه وسلموا تسليما

باه يحييه ويسقيه الحيا • رب العباد مجازيا ومكافيا
ومشرفا ومسلما ومصليا • يا مسلمين ورتقوا التسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

• (ومن ذلك قول الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن عباس المغربي رحمه الله نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب منتهى السول في مدح الرسول للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الانصاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بقصده وهي أيضا مرتبة على حروف المعجم ما عدا الابتداء وبيوت الانتهاء غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الاشطار ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل رحمه الله تعالى

الله زاد المصطفى تعظيما • وقضى له التفضيل والتقديما
وأناله شرفا لديه جسيما • فهو المتمم فخره تتميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالانباء • وأبوه ما بين الثرى والماء
ثم استمرا نورين في الآباء • فتوارثوه كريمة وكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر بدا من يثرب • فأضاء بالانوار أقصى المغرب
وجلا عن الدنيا دياجي الغيهب • فبدا لنا نهج الرشاد قويما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أتى • وأباد أحزاب الطغاة وشتتا
وأبان أسباب النجاة ووقتا • للامة التحليل والتحريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالغيوب يحدث • وبروعه الروح المقدس ينفث
محبوبنا وشفيعنا اذ نبعث • في يوم لا يدري الحميم حميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على صبح الهدى المتبلج • صلوا على بحر الندى المتموج
صلوا على روض الجمال المبهج • كيما ننالوا الفوز والتنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على غيث الانام السافح • صلوا على المسك الزكي النافح
ازرت روائحه بكل روائح • فالارض طبقها شذاه نسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من عهده لا يفسخ • صلوا على من شرعه لا ينسخ
صلوا على من حزبه لا يمسخ • بأبيهم فضله تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من فخره لا يفقد • صلوا على من فضله لا يجحد
أتى وكتب الرسل طرا تشهد • تنبى اليهود بفضله والروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد حمى عنا الاذى • ومن الغواية والضلالة أنقذا
صلوا على من ذكره نم الغذا • ويمدحه نروى القلوب الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر • من قبل نشأته المباركة اشتهر
كم كاهن عنه أبان وكم خبر • وكم دليل فى علاه أقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من جل مولده وعز • ضاءت قصور الشام لما أن برز
وتدانت الشهب الثواقب كالخرز • أو كاللآلى نظمت تنظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا • والماء بين بنانه قد جيسا
وأتت اليه سرحة حتى اكتسى • بفروعها اذ خيمت تخييما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا • وغدت تظله الغمام اذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشا • ليكون سر حبيبه مكتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالتحية خصصا • والقلب منه حين شق تخلصا
من حظ ابليس اللعين ومحصا • وأعيد ما ان يشتكى تثليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من يوم مولده سطا • بجميع آلهة الضلالة والخطا
وهوى له عرش اللعين وأسقطا • والفرس هدم صرحهم تهديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من ليس قط غالطا • لاخيه فى الارضاع كان محافظا
فاعجب لذلك كيف كان ملاحظا • للعدل فينا مرضعا وفطيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كلمته ذراع • وبفضله كفت المثين الصاع
والجذع حن له وما الاجذاع • بأرق منا أنفسا وفهوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغ • ماذا عسى مداحه أن يبلغوا
فالهنا يثنى عليه ويبلغ • فاقرأ تجده محكما تحكيما

وليس فى الاصل دور لحرف الضاد ولا بأس أن يقال تسميما للادوار

صلوا على هذا النبى المرتضى من كوكب الارشاد منه لنا أضا
وغدت لنا أنواره ملء الفضا قد عممت كل الورى تعميما
صلوا عليه وسلموا تسليما اه مصححه

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر بالقفا * وعليه سلمت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى * وشكا اليه بازل قد ضيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق * عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق * اذ مج فيه العنبر المختوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من شأوه لا يدرك * صلوا على من شأوه لا يشرك
موسى وعيسى والخليل تبركوا * بلقائه وعنوانه تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خلقه صلى الرسل * شرف على تمكين عزته يدل
فاذن فقل هو سيد لهم ودل * لا تخش توبيخا ولا تحشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد سرى نحو السما * ليلا وعاد وما برحنا نوما
بالروح والجسم المطهر قد سما * قد لا وراغم من أبى ترغيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا * بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مكان كانا * فخذ الفوائد واحذر التجسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد حباه الهه * بالكوثر المروى لنا أمواهه
في يوم حشر الخلق يظهر جاهه * اذ يقدم الرسل الكرام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالحوض الروى * وكذاك خصص بالمقام وباللوا
نوحا وآدم والكليم قد احتوى * وابن البتول حوى وابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما قطع الفلا * صلى عليه الله ما اجتمع الملا
صلى عليه الله ما التجع الكلا * أبدا وما رعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ما هطل الحيا * صلى عليه الله ما القع الضيا
فلقد شفى الدنيا من الداء العيا * ولقد حمى عنا الظى وجحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله سيدنا النبي الاكمل * لله برق جبينه المتهلل
لله جود يمينه المتهطل * أحيا وأغنى بالنوال عديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه ذاته وحقيقته * لله منه خلقه وخليقته
لله منه شرعه وطريقته * فلقد جلت بشموسها التغييما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا امة الهادى النبى المصطفى * بالله لو كنا نعامل بالوفا
متنا عليه حسرة وتلهفا * حتى نؤدى حقه المحتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما كان أولانا بطول نحيبنا * ما كان أوجبنا بفرط وجيبنا
أفنستطيع الصبر عن محبوبنا * ما الصبر عن لقياه الا لوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لم لا نفيض على الدوام دموعنا * لم لا نقض من الغرام ضلوعنا
لم لا نخلى أهلنا وربوعنا * حتى نعاين من ذراه رسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أولم يكن يحنو علينا مشفقا * أولم يكن متعطفا متر فقا
أولم يعالجنا بأنواع الرقى * حتى اغتدى منا العليل سليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثله ما ان يضر وينفع * من مثله يدرا العذاب ويدفع
من مثله لذوى الكبائر يشفع * من مثله بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يا ويح نفسى كم أرى ذا صبوة * ومسامعى عن واعظى فى نبوة
فعسى الرسول يقيلنى من كبوة * فلكم رجاه عاثر فأقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يارب بالهادى الرفيع المحتد * اغفر لعبدك أحمد بن محمد
فلقد توسل اذ رجاك بسيد * ماردّ معتلق به محروما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ناشدتكم يا سامعى هذا الثنا * قولوا متى أسمعتموه تدينا
اغفر لقائله المقصر ماجنى * بمديحه خير الورى المعصوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قلت وانى لاسأل الله تعالى بلسان لم أعص به وهو لسان هذا المادح اذ قال يارب بالهادى فانى أحمد بن محمد بلغه الله أمله من غفرانه بمنه وكرمه آمين (رجع) ومن ذلك قول الفقيه الكاتب الاديب أبى العباس أحمد بن القاسم الاشبيلى الشهير بابن القصير وطريقه هذه مخالفة للطريق المتقدمة من بعض الوجوه رحم الله تعالى الجميع

الله أكرم أحدا تكريما * فغدا رسولا للعباد كريما

قوله ما الصبر الخ فيه اعمال ما مع انتقاض النفى تامل اه مصححه

فاشكر غفور الذنوب رحيما • أرضى النبي بقبوله تعليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله منه هدى نبي مرتضى • بالبعث منه لنا قضى لطف القضا
ملأت فضائله المهارق والفضا • ودجا الوجود فعند مبعثه أضا
صلوا عليه وسلموا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما • أن كان بالاسراء ليلا قد سما
ورقى البراق به وجبريل لما • قد سره سرا وجهرا سلما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم به من مرسل قد بشرا • بوجوده عيسى المسيح وقد سرى
ليسر فهو أجل مبعوث يرى • بهداه أمته زهت بين الورى
صلوا عليه وسلموا تسليما

من جاء بالقران معجزة له • أعيا الورى من بعده أو قبله
الله كرمه وفضل فضله • وأجل منه فرعه وأصله
صلوا عليه وسلموا تسليما

من سحت صم الحصا في كفه • والبدر شق نصفه عن نصفه
ليرى به الاعجاز من لم يصفه • حزنا بفخر ذكره أو وصفه
صلوا عليه وسلموا تسليما

يكفيه أن يتلى اسمه ويكرر • مع اسم خالقه اذا ما يذكر
هذا الذي بمقاله لا يفجر • أبدا ولا لخلافه يتصور
صلوا عليه وسلموا تسليما

العبد اسرف يا نبي الله • في الذنب ساء عن تقاه لاه
فاشفع له من مذنب أواه • يرجو كريما منك جم الجاه
صلوا عليه وسلموا تسليما

أنأى الزمان وصوله أو سوله • فاستصحب الابيات منه رسوله
فأنل بفضلك للمراد حصوله • حبي ثنا وازنت منه فصوله
صلوا عليه وسلموا تسليما

ابن القصير أطال فيك تظامه • ليرى بذاك مسلما اسلامه
وترى مطاوع أمره وكلامه • لازال يقرئ الاله سلامه
صلوا عليه وسلموا تسليما

(وما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى)

فضل النبيين النبي محمد • شرفا يزيد وزادهم تعظيما
درة يتيم في الفخار وانما • خير اللآلي ما يكون يتيما
ساد النبيين الكرام وكلهم • صلوا عليه وسلموا تسليما

قوله أن يتلى هي مخففة من الثقيلة كما أن همزة اسم تقطع للضرورة كما لا يخفى اه

والله قد صلى عليه كرامة * صلوا عليه وسلموا تسليما

(ومن ذلك هذا التسديس) البديع الذى هو من نظم الامام العارف بالله تعالى علاء الدين محمد بن العفيف الايجى الحسنى الصفوى الزينبى رحمه الله تعالى مما رتبه على حروف المعجم والتزم الحرف أول الاشطار الاربعة وآخرها

الله أحمد أحمدا اذ يبرأ * أوضى وضىء نوره يتلالأ
أنواره كل العوالم تملأ * أكوانه لولاه لم تك تنشأ
ان كنتم انقدتم له تسليما * صلوا عليه وسلموا تسليما

بدر بدا من نوره يتطلب * بحر بحور الجود منه ترکب
برّ وبرهان جلا يتقلب * بالمصطفى ممن صفا أتقرب
بادوا بما يجدى لكم تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

تالله مثل محمد لا يثبت * تمّ الكلام ببعثه ونبوّة
تاج العلا بالمصطفى يتثبت * تاهت عقول للذى هو ينعت
تحف الصلاة به عليه أديما * صلوا عليه وسلموا تسليما

ثق بالذى يوما يقوم ويبعث * ثبت البرية بالنبىّ تغوّث
ثبت الشفاعة للورى يتحدّث * ثرة الطوائف للذى يتشبث
ثبت لزام الباب فيه مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

جاء النبىّ عوالما يتبلج * جاه له من جاءه يتهيج
جاء ينجى من لظى تتوهج * جاءت له الاشجار ارضا تفرج
جاور نبىّ الله نلت نعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

حقا هو الحق المبين الاوضح * حبّ حياء حبه يترنح
حسنانه حشياته تسترجح * حتى القلوب بحبه تتزعج
حوت العلوم لذاته تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما

خير البرايا دينه هو ناسخ * خيرله خير الخيور رواسخ
خرّ الذى عن دينه هو بازخ * خال خلىّ عن نقائص باذخ
خذ باتباع فعاله ترسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

دل الانام على الاله محمد * دامت سعادة من بأحمد يسعد
دار له مأوى المحامد تحمد * دان الوجود به ومن هو أحمد
داوم على باب له تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما

ذكر الحبيب أحق ما يتاخذ * ذخرا ليوم بالنواصى يؤخذ
ذاك الشفيع لمن به يتعوذ * ذاك الذى بجنابه يستنقذ
ذلوا له ولبابه تغنيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

رب النبىّ محمد هو يذكر * رتب الحبيب كتابه متذكر

رائى محيا أحمد هو ينظر * روح القلوب ولاؤه هو ينصر
روح بذكراه المريح نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
زين البرايا بالوجود معزز * زان العوالم حسنه يتفوز
زن فضله عن كلهم يتميز * زد ذكره عن زلة يتحرز
زلفى الله بالمصفى تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
سبق الانام بفضله هو انفس * ساد الجميع بسودد يترأس
سبحان من أسرى به يتأنس * سر الحبيب بسره يتقدس
سمع الكلام من الاله كليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
شمس الهدى بدر الدجى يتبشش * شرف الحبيب من الوجوه يفتش
شكرا لمولانا عليه وأبهش * شوقى اليه وافر أتعطش
شغل للبث بالحبيب أديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة الكلام لذاته هو أخاص * صفة الكتاب كماله يتلخص
صفة القلوب بحبه تتخلص * صفه صفاصب وأنى يخاص
صل بالصلاة جنابه تكليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ضفت الفيوض من الحبيب تفيض * ضعفى اليه آملا يتعوض
ضرى وضيرى كله يتقوض * ضل الذى فى بابه لا ينهض
ضمن الحبيب لذاكريه زعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
طوبى لمن بحبيبه يتنشط * طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقى طيبة أتبسط * طال الاله على طولا يبسط
طوبى بمدحته يطيب نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ظل الهدى بهداه قد يتحفظ * ظلمات شرك قد جلت تتدلظ
ظلى لظل وداده يتحفظ * ظهرى ظهيرى حبه أتحفظ
ظنى به يغدو العقاب عديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
علت المعالى بالنبى وترفع * عز علاه للذى هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع * عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عرج الاله به اليه عليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
غوث الورى ذا المصطفى هو سابغ * غيث الندى هو فى البرايا سائغ
غمر الندى أقصى النهاية بالغ * غرر الحيا شمس وبدر بازغ
غنما نما بالمؤمنين رحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
فخر وذخر بالمفاخر يشرف * فرد وحيد فى العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف * فاز الفقير بلطفه يتلطف
فاح النسيم من الحبيب جسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

قسم الاله بعمره فيفوق * قسمت وجوه الحسن منه فيسبق
قمر وشمس نوره متالق * قمن بذكراه الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
كتب الاله ثناءه مايدرك * كتب اسمه قرب اسمه يتبرك
كل الكمال له به يستدرك * كنه الكمالات التى لاتدرك
كيف كفى درّ الثناء يتيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لمعات نور محمد هى تخجل * للشمس والبدر المنير فتخجل
لذات ذكر محمد هى اكمل * لذوى الحوائج لائذ متكفل
لذ خذ بجدّ منك تلف حكيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثله فى العالمين معظم * من مثله فى العالمين مكرّم
من للاله لدى اللقاء يكلم * منحا حباه منه قد يتعلم
منّ الاله لديه صار عميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
نور له فى آدم يتبين * نقلا الى آبائه يتعين
نأى العوالم اذ أتى متعين * نار المجوس تخمدت تتهوّن
نعماه جمت اذ تمّ كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
وجه به كل الوجوه اليه هو * وجه الوجاه بكله يتوجهوا
ووجاهه وجه المرام فوجهوا * وجه اليك نبينا فتوجهوا
وجه الينا نظرة تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
هو مصطفى عند الاله الاوجه * هادلنا وبوجهه من أوجه
هاانه وجهى لهذا أوجه * هيه هنيأ وجهه بالاوجه
هام الفؤاد بحبه تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لامثل للمختار اعلى من علا * لاجيه ناج قد نجا كل البلا
لاذ الصفىّ به يتوب فاقبلا * لاقى النبىّ محمد أن يقبلا
لازم محبا للحبيب نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
يا أكرم الخلق الذى هو ملجائى * يأتى محمد العفيفىّ الذى
يده يمدّ اليك مرتجيا وفى * يقن بصفوته الصفىّ ويكتفى
يمنا لذكرك يبتدى تختيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

(وله أيضا رضى الله تعالى عنه) قصيدة أخرى على طريقة هذه وقد نظمها بعدها نفع الله تعالى بنيته وبلغه غاية قصده وأمنيته وهى هذه

أحسن بطلعة أحمد هى أضوأ * أعلن بلمعته العوالم تملاء
أزين به لما أتى يتلألأ * أبين بآيات له فتنبأ
الله قدّمه بها تقديما * صلوا عليه وسلموا تسليما

بدأ الاله بنوره فيعقب * بدء الذى بالمصطفى يتقارب
فيه لذى الحاجات اذ يتطلب * بدء بذكراه به يستوهب
بل هو الى الارب انتفع تعميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
تلك العلامات التى هى تثبت * تب العدا تبا وعنه تثبت
تمت له الآيات فيك تبكت * توراة موسى ناطقا هى تنعت
توقيع حاجات صفوا تسليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ثبت الكمال له ومنه يورث * ثبت الورى لولم تكن لاتحدث
ثبت بذكرى المصطفى يتحنث * ثبت الذى بجنابه يتشبث
ثبت بذكر قد تراه قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
جاء العوالم نوره يتبلج * جاد العوالم بحره يتموج
جاز السموات العلا يتعرج * جاب الجميع بسامه يتفرج
جار له جارى له تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
حار العقول لمدحه اذ يمدح * حيا الحياء بريه يستروح
حى له فضل به يسترجح * حى له حامى حمى فترقوح
حى الحمى الحامى تصير سليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
خلق له كل به يتشمخ * خلق له بالنقص لايتلطخ
خلق به أحسن به هو ابذخ * خلق يحق له الثناء الارسخ
خلق الهى بذاك تميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يتعمد * دارت بها كل السعادة تسعد
دانت أهاليها بما هو يرشد * دار بحسنى طيبة لاتبعد
دارك سكونا بالسكون مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينفذ * ذكر لما ينسى رسولا ينفذ
ذكر الاله ثناؤه ويلذذ * ذكراه تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبى خذا عتصم تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
رب الورى سبحانه هو أكبر * رب النبى محمد فيكبر
رب الرؤف حبيبه فيدبر * ربى اصطفاه من الورى فاكبر
رب ارتجاه للمنى تدويما * صلوا عليه وسلموا تسليما
زان العوالم اذ أتاها يبرز * زاد الاله عروجه فيبرز
زادت معاليه عروجا ينشز * زاد لاخرى حبه يتحرز
زعم الشفاعة ذاكريه زعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ساد الجميع اذا أتى هو انفس * سار السموات العلا يستأنس
سأل الاله وزاد ما يتنافس * سامى ذراه للمحب تؤنس
سارع الى ذاك الذرى تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما

شرق لامتنه به يتغابش * شرق لاشرق شرقه يتفرش
شرفا وغربا فيه عقل يدهش * شوقا اليه قد اليه اجهش
شكرا على النعمى تزيد نعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة له ذات له هو أخلص * صفتا عن الشئ الذى يتنقص
صفة له حارت عقول تفحص * صفة شريعته النقائص تخلص
صفة له وبر به لتديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ضاع المديح لاحد يتروض * ضاع الذى عن ذكره هو يعرض
ضاف حباه كفه ليفضفض * ضاف بذكراه الذى يتعرض
ضاعف له الآمال صلة مديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
طال العوالم اذ أتى هو يقسط * طابت مدائحه فطاب المغبط
طابت به النعما وطاب المنشط * طام له بحر الالى يتنشط
طالب مطالب كلها تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ظهر النبى ورب * ظهر لامته ظهير ملحظ
ظهروا على الامم افتخار ملحظ * ظل له ظلوا به يتحفظوا
ظلت الظلال اذا ذكرت نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
عد المحاسن للنبى يستتبع * عد له آياته تتنوع
عداه مولاه اليه فيطلع * عده لذكراه غداة يشفع
عد باب من بالمؤمنين رحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
غزرت له الآيات هن نوابغ * غزر الحيا عز الورى هو سائغ
غمر الردى بحر الندى يترفغ * غمر البلاد بذكره يتفرع
غمر بذكراه الفؤاد وسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
فاض الجمال وفاض منه يوسف * فاز المحب بذكره لا يوسف
فاضت عليه فيوضه يتزلف * فاش له الآيات لا يتكلف
فاد له كل بهم تقديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
قرب دانى أفقه هو فائق * قرب يجاب بذكره ويعلق
قفام كل الانبياء وسائق * قفام جود عم كل يرفق
قم بابه مستنجحا ومقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
كلا به فتح الوجود ويدرك * كل الكمالات احتوى لا يشرك
كل اللسان عن البيان ويمسك * كلئ الذى بجنابه يتمسك
كل مرتجاك اليه ثق تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لمحمد هو مصطفى ومؤمل * لمحمد بن محمد ما يأمل
لمحت عليه بروقه يتحمل * لمعان نور وداده يستكمل
لم لا أصيب من الحبيب شميما * صلوا عليه وسلموا تسليما

٢ قوله ظهر النبى ورب هكذا بياض بالاصل ويمكن أن يقال ظهر النبى له العناية تلحظ اه

من مثل ذاك المصطفى يتعظم * من كل وجه للكمال ليعظم
من منّ علينا من اله اعظم * منه العروض اليه وهو يعظم
من كان للرب العظيم كليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
نور الاله حبيبه يتمكن * نادى الاله حبيبه يتمكن
نال نوالا شرحه لا يمكن * نادله طوبى لمن يتمكن
نادى الحبيب بذكره تكليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
والله مثل محمد لا يشبه * والله مولاه العوالم كيف هو
وجد الوجود بذاته وبه له * وجد علا وبوجهه فتوجهوا
وجدوا وجاد من النجاة مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
هو أكمل من كل وجه أوجه * هو ذا الحبيب القلب منه أوجه
فاولى طيبه واوجهو * هو من الارض المكثر أوجه
هانا بنار الشوق صرت سقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لاريب لا مثل له والله لا * لاحت له الآيات عرشا قد علا
لاقى ارتقاء ربه فتوصلا * لاج به نال المنى الى الالا
لازم لباب جنابه تقسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
يا أكرما كل اليه يلتجى * يأتى محمدك العفيفى الذى
يقنا توسل بالصفى ويحتذى * يده اليك فقرا ترتجى
يمن افتتاح باسمه تختيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وانما اثبت هاتين القصيدتين فى جملة ما سردته وان كان فيهما من التكلف ما لا يخفى لاوجه (أحدها) أن صاحبهما من الصالحين يسلم له ويتبرك بكلامه ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد السهام لملامه (الثانى) انهما مدح النبى صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أزكى صلاته وأتم سلامه (الثالث) أن المراد جمع ما وقفت عليه فى البحر والروى والمعنى لان بعضا من العلماء ذكر لى انه لم يطلع فى ذلك الاعلى قصيدة ابن الجيان فأحببت أن أتعرض لتعريفه بهذا العدد واعلامه على أن القصد الاعظم ما هو الا التلذذ بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم خصوصا المقتبس فيها قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما (وقد كنت) نويت أن أؤلف فى ذلك بالخصوص كتابا اسميه روضة التعليم فى ذكر الصلاة والتسليم على من خصه الله تعالى بالاسراء والمعاينة والتكليم والله تعالى المسؤل فى التيسير فلنزد عليه يسير (ومن ذلك) هذا التدبيس الذى وجدته فى كتاب درر الدرر للشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر العطار الجزائرى من جزائر بنى مرغنة وهى المشهورة الآن بالجزائر

أنوار أحمد حسنها يتلألأ * المصطفى بجلى الكمال يحلأ
الشمس تخجل وهو منها أضوأ * النور منه مقسم ومجزأ

٥ قوله لا يشبه وكذلك قوله فى الشطر الثالث وبه له مقتضى التزامه أن يرسم لا يشبهوا وبه لهو هكذا بالواو فتنبه اه
٦ قوله فاولى الخ هكذا بياض بالاصل وقوله واوجهوا ٢ مرسوم بالواو على خلاف ما التزمه ويمكن أن يقال بدلا ٥ عن هذا الشطر ٢ هو أفضل هو أجل هو أوجه وقوله هو من الارض الخ ٢ هكذا بالاصل ولا يخفى ما فيه ٦ ولا مانع أن يقال بدله هو من ترى فوق المعالى أوجه وقوله هانا يظهر أن أصلها أنا تأمل اه مصححه ٢
٧ قوله يده اليك الخ هكذا فى الاصل ولعل صوابه هكذا ٧ يده اليك يمد فقرا يرتجى الخ قوله وان كان فيهما من التكلف ما لا يخفى وقد زادت فيهما الركاكة والسقامة بما عرض لهما من تحريف النساخ كما أشرنا لذلك بالكتابة على البعض ووضع الارقام على البعض وبعض تغيير فى البعض رحم الله قائلهما ونفعنا به فى الدارين اه مصححه
قوله فلنزد عليه يسير هكذا فى الاصل ولعل فيه سقطا وتحريفا والاصل هكذا ولنزد عليه بعض شئ يسير الا أن يكون ذلك على لغة ربيعة تأمل اه مصححه

قد زان ذاك النور ابراهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المسك الفتيق الاطيب * صلوا على الورد المعين الاعذب
صلوا على نور ثوى فى يثرب * صلوا عليه بمشرق وبمغرب
مازال فى الرسل الكرام كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر الكمال النابت * صلوا على طود البهاء الثابت
صلوا على من فاق نعت الناعت * خير الورى من ناطق أوصامت
وأعزهم نفسا وأطهر خيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على طيب يفوح ويعبق * صلوا على من عهده لا ينكث
صلوا على من بالهدى يتحدث * عنه المعارف والحقائق تورث
أضحى يعلمنا الهدى تعليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره يتبلج * صلوا على من عرفه يتأرج
للحضرة العلياء ليلا يعرج * صلوا على من حاز مجدا يبهج
وبها على العرش المجيد مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير اللائح * صلوا على صبح الرشاد الواضح
صلوا على المسك الزكى الفائح * صلوا على الهادى النبى الناصح
الرشد فهم والهدى تفهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من شرعه لا ينسخ * صلوا على من عهده لا يفسخ
صلوا على من بالثناء يضمخ * علياؤه علیا الكمال توشخ
نال المفاخر والكمال قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى لاعذب مورد * صلوا على خير الانام الاوحد
صلوا على بدر التمام الاسعد * بمحمد فزنا ومن كمحمد
الله عظم قدره تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة ينفذ * صلوا عليه فللسعادة يجبذ
صلوا على من حبه لا ينبذ * أبصارنا طرا بأحمد لوذ
فى موقف ينسى الحميم حميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الزاهر * صلوا على الروض البهى الناضر
صلوا على مزن العلوم الماطر * صلوا على المسك الفتيق العاطر
وتنعموا بصلاتكم تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور يلوح ويبرز * صلوا على مسك يفوح ويحرز
بمحمد حلل الكمال تطرز * وبجده درر السيادة تفرز
قد نظمت لكماله تنظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الدر النفيس الانفس * صلوا عليه فهو روض الانفس
صلوا عليه فهو زين المجلس * ومغنى الجليس ونزهة المتأنس

راق النفوس شذا وطاب شميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المختار أفضل من مشى * صلوا على النور الذى قد أدهشا
بمحمد عرف القرنفل قد فشا * ورد لطما آن اليه تعطشا
يبرى الضنا أبدا ويروى الهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالكمال يخصص * صلوا على من نوره لا ينقص
صلوا عليه على الدوام وأخلصوا * ظل طفا بالامن لا يتقلص
شمل الورى طرا وطاب عميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على صبح تبلج بالرضى * وقضى على ليل الضلالة فانقضى
صلوا على من بالنجاة تعرضا * صبح تذهب نوره وتفضضا
وعلا وخيم ضوءه تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالبهاء يخطط * صلوا على ورد بمسك يخلط
للمصطفى بسط الكرامة تبسط * وله يواقيت السناء تقسط
وبنوره أضحى الزمان وسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالمهابة يلحظ * صلوا على من بالنبوة يلحظ
صلوا على من بالهداية يلفظ * لعصاته نار الجحيم تغيظ
ورضاه هب لنا وطاب نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الساطع * صلوا على الروض الانيق اليانع
صلوا على الصبح المنير اللامع * صلوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه فى وهج الهجير مغيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاعم السابغ * صلوا على البدر الاتم البازغ
صلوا على المسك الزكى البالغ * صلوا على الورد المعين السائغ
للواردين به غدا تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالتقرب يوصف * صلوا على من بالمحبة يعرف
صلوا على من بالعلا يتشرف * صلوا عليه به الكمال يرخرف
المجد نخم ذكره تفخيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يطيب لناشق * صلوا على الروض الانيق الرائق
اشراقه بمغارب ومشارق * صلوا على البدر الاتم الفائق
بادتنسم حسنه تنسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك * صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك * صلوا على من للهدى يتحرك
وبه تحلى ظاعنا ومقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الاكمل * صلوا على الروض البهى الاجمل
صلوا على الهادى النبى الاحفل * المصطفى الارقى لانزه محفل

فيه تقدم وحده تقديما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم • صلوا على عرف زكي ناسم
صلوا عليه فهو بدر مواسم • من جوده ظلنا بخير مقاسم
أنواره قد عمت تتميما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا • صلوا على من بالكمال تمكنا
صلوا على هاد أبان وبينا • بمحمد فزنا بادراك المنى
للخلق أرسل رحمة ورحيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادي النبي الانزه • بدر التمام وروضة المتنزه
في فضله كل الشهادة تنتهي • أبدا بانم ثراه فخر الاوجه
في حبه أضحى الغرام غريما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور بطيبة قد ثوى • فعلا وفاض على البسيطة واحتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى • صلوا عليه فهو ينجي من هوى
في موقف يذر السليم سليما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور تلالأ واعتلى • صلوا على صبح مبين يجتلى
صلوا على مسك يخالط مندلا • صلوا على درة تزان به الحلا
وبه المعالي خيمت تخييما • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نال مجدا عاليا • وسما وحاز مفاخرا ومعاليا
صلوا على نور تبدى حاليا • وبمدحه الرحمن زين حاليا
واذا سما المخدوم زان خديما • صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد توارد في بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التي أولها يا أمة الهادي المبارك أحمد حسبما يعرفه المتأمل والذي في ظني أن صاحب يا أمة الهادي متأخر عن ابن العطار فهو الذي اخذ منه والله سبحانه اعلم (وتوارد أيضا) في عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبي العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله الله زاد محمدا تعظيما وهما على منوال واحد غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخا فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين أو ذاك من توارد الخاطر (ورأيت) في هذا الكتاب تسديسا آخر لم يرتبه على حروف المعجم وجعل روي الشطرين الاخيرين حرف اللام فأحببت ذكره هنا زيادة في التبرك بمدح المصطفى عليه اجل الصلاة والسلام (وهو)

نور النبي المصطفى المختار • اربت محاسنه على الانوار
مرآه يجمل بهجة الابصار • نور ينجي من عذاب النار
قد زان ذاك النور اسمعيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير المشرق • صلوا عليه بمغرب وبمشرق
صلوا على غصن الكمال المورق • بالمصطفى المختار برق الابرق

قوله الشطرين الاخيرين هكذا في الاصل ولعل صوابه الشطر الاخير بالافراد أي ما قبل شطر الاقتباس اه مصححه

يهدى غراما للنفوس دخيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تناهى فخره ● صلوا على من قد تعاظم قدره
صلوا على من قد تارج نشره ● صلوا على من قد تناسق درّه
عقد الثناء لجده اكليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الانام المرسل ● صلوا على البدر المبين السلسل
صلوا على أسنى سنا المتوسل ● صلوا على نور الهدى المسترسل
ظل علينا لا يزال ظليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاتم الاكبر ● صلوا على من فاق عرف العنبر
صلوا عليه فهو أصدق مخبر ● كم زان ذكر المصطفى من منبر
وأزاح من داجي الضلال عليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الاتم الاكبر ● صلوا على من فاق كل بشير
صلوا عليه هديتم من معشر ● صلوا على بدر يرى فى المحشر
حاز الجمال فلا يزال جميلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور البهى المغرب ● صلوا عليه بمشرق وبمغرب
صلوا على الورد الشهى المشرب ● بالفكر يشرب ويح من لم يشرب
منه وينقع بالورود غليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من فخره لا ينكر ● صلوا على من فى النجاة يفكر
صلوا على من بالنبوة يذكر ● صلوا على من بالهداية يشكر
شكرا على مر الزمان جميلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالسيادة قد سما ● صلوا على من فى الكمال تقدما
صلوا على صبح بدا متبسما ● صلوا على طيب سرى وتنسما
وغدا وراح معطرا وبليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يخالط عنبرا ● صلوا عليه سرى وفاح وما انبرى
صلوا عليه حوى الكمال الاكبرا ● لبس الجمال معززا ومحبرا
وبذا قد خص الجليل جليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة توجا ● صلوا على صبح بدا وتبلجا
صلوا عليه لقد أضاء وأبهجا ● ومحا بروق نوره ظلم الدجا
نور يعود الطرف منه كليلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور تبلج لائحا ● صلوا على نور تبلج واضحا
صلوا على مسك تارج فائحا ● وبطيبه ملأ الوجود روائحا
وبحبه يستوجب التبجيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره ملأ الفضا ● صلوا عليه لقد أضاء وما انقضى
صلوا على من حف قابا رضى ● لنجا تناخير الانام تعرضا

قوله البدر هكذا فى الاصل واصله محرف عن الورد تأمل اه مصححه

قوله صلوا على النور الخ هو مكرر مع السابق ومخالف لاصطلاحه غالبا من التزام الحرف الذى قبل حرف الروى فلو قال بدله صلوا على محيى الصواب المنشر أو نحوه لسلم من التكرار والمخالفة تأمل اه مصححه

وهدى الى نيل الرشاد سبيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على بدر يدوم كماله ● باق على مر الزمان جماله
صلوا على من قد تعاظم حاله ● ودنا الى ورد الرضى ترحاله
والى الورود به أجد رحيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا بأجمعكم على شمس الهدى ● صلوا على بدر يزين المشهدا
صلوا عليه فمن رآه تشهدا ● صلوا عليه به الرشاد تمهدا
أرضى التنزل و بين التنزيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تأثل مجده ● فسمابه غور الحجاز ونجده
ما زهره لولاه أو ما ورده ● بالمصطفى المختار يعذب ورده
فى تربه ما أعذب التقبيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على محبوبنا مطلوبنا ● صلوا عليه فهو روض قلوبنا
صلوا عليه فهو عمار جيوبنا ● صلوا على مطلوبنا محبوبنا
لا ترتضى من حبه تبديلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الانام الاطهر ● صلوا على النور الاتم الابهر
صلوا على الصبح المنير الاشهر ● صلوا عليه باتصال الاشهر
الله فضلنا به تفضيلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تناهى فى العلا ● صلوا على من كان اكمل اجلا
صلوا على درّ تزان به الحلى ● المجد ألبسه الكمال فأجزلا
والله كمل مجده تكميلا ● صلوا عليه وسلموا تسليما

وأظن أنى رأيت بعض هذه القصيدة فى كتاب العروسى المغربى وهو متأخر انتهى ●

ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربى وهى

أهدت لنا طيب الروائح بثرب ● فهبوبها عند النسيم يطرب
رقت فرق من الصبابة والاسى ● قلب بنيران البعاد يعذب
شوقا الى أسنى نبى حبه ● كنز النجاة فنم هذا المطلب
المصطفى أعلى البرية منصبا ● قد جل فى العلياء ذا المنصب
فزنابه بين الانام بديمة ● أبدا علينا بالامانى تسكب
حاز السيادة والكمال محمد ● فاليه أشتات المحامد تنسب
محبوبنا ونبينا وشفيعنا ● يدنى الى روض الرضى ويقرب
بضيائه الملتاح أشرق مشرق ● وبنوره الوضاح أغرب مغرب
وبه وردنا الامن عذبا صافيا ● وبه ترقى فى المعالى يثعب
صبح الهدى أنواره بنبينا ● صبحا تروق الناظرين وتعجب
ان طابت الانفاس من زهر الربى ● وباه أزكى فى النفوس وأطيب
صيرت أمداح النبى المصطفى ● لى مذهبا يا حبذا المذهب

هذا الشطر زدناه تتميما للشطر قبله وهو ناقص فى الاصل اه مصححه

فعلى من أمداح أحمد خلعة ● موشية ولها طراز مذهب
ومجده شمس الرضى طلعت على ● أفق تضيء ونورها لا يغرب
أترى يبشرنى البشير بقربه ● وأبث أشواق الفؤاد وأندب
ويقال لى بشرا قد نلت المنى ● يا مغربى الى متى تتغرب
هذا مقر الوحى هذا المصطفى ● هذا الذى أنواره لا تحجب
ورد ورد طيبة واشف من ألم النوى ● قلبا على جمر الاسى يتقلب
كم ذا التسوانى عن زيارة مورد ● عذب المقام به ولذ المشرب
صلى السلام على النبى محمد ● ما اسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمى هذا الكتاب بنظم الدرر فى مدح سيد البشر والورد العذب المعين فى مولد سيد الخلق أجمعين وليس هو بابن العطار المشرقى الذى كان معاصرا لابن حجة الحموى فان ذلك متأخر عن هذا وهذا مغربى وذاك مشرقى فلم يتفقا لا فى زمان ولا فى مكان غير أنهما اشتركا فى الشهرة بابن العطار ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضى العدل الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن يوسف العطار رواية العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن أحمد بن الامين الاقشهرى قرأ ت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدتين غيرها على ناظمها القاضى المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع الحكم فى مدينة الجزائر من أقصى افريقية حرست فى دول متفرقة وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبع وسبعمائة ونص ما كتب على نص قرا ت فى عليه صحيح ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار والحمد لله رب العالمين انتهى ورأيت اثر ما تقدم بخط الاقشهرى ما صورته سمع من لفظى جميع نظم الدرر فى نسب سيد البشر لجامعه القاضى المذكور أعلاه القاضى شمس الدين محمد ابن المرحوم عبد المنعم الشيبى وولده أبو محمد عبد الدائم وابن أخيه أبو محمد عبد الباقى بن تاج الدين بن حفص ابن أبى بكر البورى وغيرهم نحو سماعى قراءتى على مؤلفه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر العطار سنة سبع وسبعمائة قاله راسمه الاقشهرى انتهى ● ومن قصائد هذا الكتاب قوله

أبدا تشوقك أو تروقك يثرب ● قالى متى يقصيك عنها المغرب
هى جنة فى النفس يعذب ذكرها ● والقرب منها والتدانى أعذب
المسك معترف بان نسيمها ● أسمى وأسرى فى النفوس وأطيب
والعنبر الوردى دان لطيبها ● منه التعطر والتأرج يطلب
جيش الصبابة شن غارات الاسى ● من بعدها فالصبر منها ينهب
والشوق يثنينا اليها كلما ● وقف الحمام على الاراكة يخطب
حتى النسيم اذا سرى من ربعها ● يثنى من الروض الغصون ويعرب
حيا فأحيا المستهام بطيبه ● فنفوسنا بهبوبه تستطيب

قوله دول كذا فى الاصل ولعله مرات أو أيام أو مجالس أو دفعات أو نحو ذلك تأمل ٢ اه مصححه

٣ قوله ابن محمد بن العطار نسبه لجده والاقتضى ما تقدم قريبا أن يقال ابن محمد بن أبى بكر بن يوسف العطار فتنبه اه مصححه

٣ قوله فى نسب سيد البشر الذى تقدم فى مدح سيد البشر فلا تغفل اه مصححه

٤ قوله على مؤلفه أبى عبد الله الخ فيه مخالفة لما سبق قريبا فى نسب المذكور فليراجع اه مصححه

ياحبذا فى ربع طيبة وقفة * بين الركائب والمدامع تسكب
حتى يرق الوعتى وصبابتى * ودموع عينى كل من يتغرب
شوقا لمن زان الوجود وحبه * يدنى الى رتب الرضى ويقرب
ساد الانام المصطفى بكماله * فاليه أجناس السيادة تنسب
بالنور زاد حلى على آبائه * وبحسن ذاك النور أعرب معرب
الشمس يغرب نورها وضياؤها * أبدا ونور المصطفى لايغرب
الله أرسله البنا رحمة * فبجاهه عنا الرضى لايحجب
بمحمد فزنا بادراك المنى * فالوقت طاب لنا وطاب المشرب
خير الورى محبو بنا ونبينا * حزنا به الجاه الذى لايسلب
روض النفوس محمد ونعيمها * وبه يفيض حليها ويذهب
شرف تقادم قبل آدم عهده * للنور أطناب عليه تطنب
منا عليه مدى الزمان تحية * يثنى عليها المندلى ويطنب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

طلعت وقارنها البهاء بدور * أبدا على قطب السعود تدور
من نور أحمد يستمد ضياؤها * وبهاؤها ياحبذا النور
ويزيد ذاك النور حسنا فائقا * يوم القيامة والانام حضور
محبو بنا أسمى البرية منصبا * يوم النشور لواؤه منشور
فزنا بخير العالمين محمد * وجرى بوفق مرادنا المقدور
لاحت لنا أنواره فزمانتا * نور وأنس دائم وسرور
بالمصطفى المختار قابلنا الرضى * بين الانام فسعينا مشكور
الله فضله على كل الورى * فهو الحبيب وفضله مشهور
القرب خصصه وعظم قدره * فسما ببهجة نوره ناحور
خير النبيين الكرام نبينا * بالنور فى العرش اسمه مسطور
ياصاحبى نداه صب مغرم * قلبى بحب المصطفى معمور
عوجا على بوقفة وبعطفة * انى على ألم الفراق صبور
ان لم أزر بالجسم قبر المصطفى * فالقلب من بعد المزار يزور
نيران قلبى بالبعاد توقدت * ومدامعى خدى بها ممطور
فمن الفراق الحدم نيران لها * لهب ومن فيض الدموع بحور
فمتى أفوز بوقفة فى طيبة * والقلب منى فارح مسرور
ويقال لى انزل بأكرم منزل * وابشر فانت على النوى منصور
ان جاد دهرى بالوصول لطيبة * بعد المطال فذنبه مغفور
هى جنة من حلها نال المنى * وسما وسادوصافقته الحور
حتى النسيم اذا سرى من نحوها * يصبو اليه المسك والكافور

قوله ناحور هكذا فى الاصل ولم أقف عليه ولعله الباحور أى القمر أو نحو ذلك مما يلائم المقام وليحرر اه مصححه

قوله أنزل بقطع الهمزة كما أن ابشر بوصلها لضرورة الوزن كما لايخفى اه مصححه

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أما النسيم فقد حياك عاطره * وبارق المنحنى أحياك ماطره
خاطر بروحك فى نيل الوصال فكم * من نازح نال طيب الوصل خاطره
زهر الربى باسم تندى كمائمه * رق النسيم بها اذراق ناظره
ماحل روض المنى الغض الجنى دنف * فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
والنهر أبرز للبدر الاتم حلى * والبدر طرز ماء النهر زاهره
والغصن تلعب أنفاس الرياح به * والطل قد نثرت منه أزاهره
والليل قد رقمت بالشهب حلته * والبرق يبسم فى الظلماء ساهره
والنور محض جنى فوق الندى درر * وعقدها زين الابصار دائره
وملبس الروض قد زانته خضرته * والليل بالفجر قد زالت غدائره
والصبح سل على جيش الظلام ظبا * وعند ما سلها ولت عساكره
للزهر سر وعرف الروض فاضحه * والمسك ان فض لاتخفى سرائره
هل زار طيبة ذاك العرف حين سرى * فتربها أبدا مسك يخامره
طابت بطيب رسول الله فهى به * سمت وفاقت بمن فاقت مفاخره
به معد تسامى للعلا وبه * حاز المكارم واعتزت عشائره
أسنى النبيين قدرا نوره أبدا * يزيد حسناء على الاقمار باهره
وأفضل الخلق من عرب ومن عجم * أربت على الرمل أضعافا مآثره
ان كان للرسل عقد وهو آخرهم * نظما فقد زان عقد الرسل آخره
روض من الحلم غض راق منظره * بحر من العلم عذب فاض زاخره
ان جاد صاح بلقياه الزمان خل * الى مقام حبيب أنت زائره
وصف له حال صب مغرم دنف * رام الدنو فأقصته جرائره
واذكر هنالك بعيد الدار غربته * غرب فما غائب من أنت ذاكره
أهدى السلام بلا حد ولا أمد * الى محل رسول الله عامره

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أمنزلنا جادت ثراك السحائب * والا فجادته الدموع السواكب
ووشاك وسمى الغمام بدره * وحلى محلا حل فيه الحبائب
وحيا نسيم الريح بالجزع آنسا * فما عاب ذاك الانس بالجزع عائب
فياعهدنا بالخيف هل أنت عائد * ويا أنسنا بالجزع هل أنت آيب
وهل راجع عصر الشباب الذى انقضى * وقد شيبت سود الشعور الشوائب
وهيهات أن تقضى لنا برجوعه * كما كان غضا مورقا وهو ذاهب
وقد سلب الدهر المفرق أنسنا * وأودى به والدهر للانس سالب
فما وهب الانفاس الا مغالطا * وأى بخيل للنفائس واهب
أطالب أيام العقيق بعودة * وقد عز مطلوب له أنا طالب

فيا صاحبي كن مسعدي في صبابتي * والا فما أنت الصديق المصاحب
اذا ما بدا برق الحجاز فأدمعي * تفيض الى الوراد منها المشارب
أعاتب أيام البعاد وقلما * يبرد حرّ الشوق بالعتب عاتب
وأبخل بالصبر الجميل وانه * لينهبه من وارد البين ناهب
ولما بدت أعلام طيبة قصرت * من الشوق ما قد طوّلته السباسب
وقفنا وسلمنا وفاضت دموعنا * وحنت الى ذاك الجناب الركائب
نزلنا وقبلنا من الشوق تربها * وطابت بذاك الترب منا الترائب
فللعين من تلك المعاهد نزهة * وللقلب في تلك الرسوم مآرب
حوت سيد الرسل الذي جلّ قدره * له في مقام القرب تقضى المطالب
به غالب حاز المفاخر سالفا * ولا شرف الا الذي حاز غالب
يهادي الورى طرّا مناصبه سمت * وراقت بخير الرسل تلك المناصب
محمد الهادي باشراق نوره * تمزق من ليل الضلال غياهب
ترقى الى السبع الطباق ومابدا * له في ترقيه من الحجب حاجب
وخاطبه في حضرة القدس ربه * وأدناه في حال الخطاب المخاطب
نبيّ بدت أنواره وتلألأت * فمنها تضيء النيرات الثواقب
لقد أشرقت شمس النهار بنوره * وبدر الدجى لما بدا والكواكب
أعلل قلبي بالوصول لقبره * وان غبت ما قلبي وحقك غائب
واني أناديه وان كنت نازحا * نداء غريب غربته المغارب
اذا كنت لي يا سيد الرسل شافعا * فما أنا من نيل السعادة خائب
بمدحك يا من جلّ قدرا وحظوة * وجاها وتمكينا تنال المواهب
فيا معشر الاحباب ان نبينا * الى فوزنا داع وساع وخاطب
الا فاذكروه كل حين وسلموا * عليه بذاك الذكر تسمو المراتب
وقوموا على أقدامكم عند ذكره * فذلك في شرع المحبة واجب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

شمس الهدى ونحت بأشرف مرسل * وزجت دجى ليل الضلال المسبل
من وجه عبد الله كان ظهورها * للخلق طرّا في ربيع الاوّل
خلعت على الآفاق أشرف ملبس * وبدت فأيّ دجنة لم تنجل
فالنيران المشرقان كلاهما * للمصطفى اعترفا بعجز مجمل
فالشمس لما أن بدت أنواره * أومت اليه بالسلام الاحفل
والبدر قابله بحسن كامل * فانشق للبدر التمّ الاكمل
وللبلة الاسراء أجمل منظر * بجمال اسراء الحبيب الاجمل
فضلت على الايام من شرف لما * حازته من شرف النبيّ الافضل
وبها بدا نور النبيّ المصطفى * وبدت لنا نار الكليم المصطلى

اذ جاءه الروح الامين مسلما * ومبشرا بورود أعذب منهل
فسرى الى أسنى محل وارتقى * والجفن منه بنومه لم يكحل
رفعت له حجب الجلال بأسرها * فرأى جلالا لم يكن بمثل
حتى انتهى الروح الامين لحده * وبحيث يذهل عقل من لم يذهل
فاداه لما أن ترقى وحده * لك يا محمد ذا التقرب ليس لى
ارقا الى الافق السنى مشاهدا * واترك حظوظك بالحضيض الاسفل
واسعد بزورة من تعاظم ملكه * واصعد الى عرش الحبيب الاول
فسما فشاهد حضرة القدس التى * سجفاتها تغشى حجا المتأمل
وبدا لكمال له ونودى مقبلا * أهلا وسهلا بالحبيب المقبل
أنت المراد لسرنا ولوحينا * أقبل الينا يا محمد تقبل
والبس بحضرة قدسنا خلع الرضى * منا وجز الذيل منها وارفل
ولك الوسيلة يا محمد عندنا * وبها نجيب وسيلة المتوسل
فاحكم بما يوحى اليك من الهدى * وانزل بأنوار الكتاب المنزل
فيه شفاء للصدور فبرؤها * بمفصل منه وغير مفصل
يا نفس هل تشفيك زورة طيبة * فرسومها برء لكل معضل
ولى زمانك فى التصابى والمنى * فدعى التصابى والامانى وارحلى
يا قلب روعات الجوى هل تنقضى * عنى ولوعات الجوى هل تنجلى
وأزور قبر الهاشمى محمد * قبل الرحيل وقبل عذل العذل
انى وان بخل الزمان بقربه * قبلوعتى وبدمعتى لم أبخل
اسقى الثرى تسكابها فعينها * بهمى ونار صبابتى ما تأتلى
لهفى على بعد المزار متى أرى * يقضى الزمان بقربذاك المنزل
ومتى أبشر بالمنى ويقال لى * هذا مقر الوحى دونك فانزل
وتهب تلقائى نواسم طيبة * انى أجود بها اليك وحق لى
فلقد بليت بلوعة وبدمعة * وهبوبك الازكى شفاء المبتلى
خيلت قربك برءداء صبابتى * ضن البعاد به فطال تخيلى
شوقا الى خير الانام بأسرهم * سؤلى وأسنى مقصدى ومؤملى
فبه أنا متوسل فى مقصدى * أسنى التوسل بالرسول المرسل
وبجاهه عند الانام ما آربى * ووسائلى تقضى وان لم أسأل
وبه الامانى قد حللن بساحتى * وحوادث الحدثان صرن بمعزل
بشراك نفسى فالامانى اعجلت * نحوى تبشرنى بخير معجل
بعديحه أضحى الزمان مسالمى * تندى اسرة وجهه المتهلل
فبه الهى قد رجوتك راغبا * دون الانام فباب جودك مؤملى
واليك ربى رغبتى وتوسلى * وعليك فى كل الامور توكلى

(وثبت

(وثبت فى آخر هذا الكتاب ما صورته) قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم كان الفراغ من اكمال هذا الفصل واتمامه حسب نثره ونظامه ضحوة يوم الجمعة الثانى من شعبان المكرم سنة ست وتسعين وستمائة ماعدا أربع قصائد اشتمل عليها فانها تقدمت على انشائه أودعتها فيه والله سبحانه المستعان وذلك بمدينة الجزائر جزائر بنى مرغنة من اقصى افريقية من ارض متيجة صانها الله تعالى انتهى (وثبت فى آخره بخط بعض الاكابر مانصه) تأليف الفقيه العالم الاديب البارع أبى عبد الله محمد بن العطار الجزائرى انتهى وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر فالله تعالى يجازى صاحبه أفضل الجزاء بمنه وكرمه * (ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الاندلس بعض الامداح النبوية زيادة على ماذكرهنا فنقول قال العارف بالله تعالى ابن العريف فى كتاب مطالع الانوار ومنابع الاسرار

وحقك يا محمد ان قلبى * يحبك قربة نحو الاله
جرت أمواه حبك فى فؤادى * فهام القلب فى طيب المياه
فصرت أرى الامور بعين حق * وكنت أرى الامور بعين ساهى
اذا شغف الفؤاد به وداد * فهل ينهاه عن ذكراه ناهى
يهيم بذكره ويحن شوقا * حنين المستهام الى الملاهى
يخامره ارتياح منه حتى * يقول أولوا الجهالة ذا الاهى
وماهو حق فضل قد رآه * فصار يجد فى طلب الملاهى
فسوف ينال فى الدنيا سرورا * وفى الدار الاخيرة كل جاه
ويعطى ماتمنى من أمان * كما قد حب محبوب الاله

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ياعاذلى فى طلابى * دعنى من العذل دعنى
سأعمل العيس شوقا * بالعزم دون التأنى
الى ضريح رسول * مصدق حسن ظنى
أشدو على كل فج * حنين الحمام يغنى
ياأطهر الخلق انى * بذلتى عبد قنى
فأعتق اليوم رقى * وانظر بعطفك منى
فأنت أنت ملاذى * اياك اياك أعنى
ان غبت عن عين جسمى * ماغبت عن عين ذهنى
لولاك كنا أناسا * أشر من كل جن
فاذ بعثت رسولا * بخير فضل ومن
لله خالص شكرى * عساه يصفح عنى
فانى عبد سوء * قلبت ظهر المجن

وقال فى خاتمة ذلك الكتاب

قوله قال محمد بن عبد الله الخ ينظر فى هذه النسبة مع ماتقدم قريبا اه مصححه

قوله جزائر بنى مرغنة كذا فى الاصل وتقدمت كذلك فى غير هذا الموضع والذى رأيته فى كتاب تقويم البلدان لابى الفداء جزائر بنى مزغنان ونصه فى الكلام على بجاية التى هى قاعدة الغرب الاوسط هكذا وغربى بجاية جزائر بنى مزغنان وهى فرضة مشهورة من عمل بجاية الى أن قال ومزغنان بفتح الميم وسكون الزاء وكسر الغين المعجمتين ثم نونين بينهما ألف الاولى مشددة عن الشيخ شعيب اه المقصود منه اه مصححه

صلى الاله على النبى الهادى * مالاذت الارواح بالاجساد
صلى عليه الله ما اسود الدجا * فكسا محيا الافق برد حداد
صلى عليه الله ما انبلج السنا * فابيض وجه الارض بعد سواد
صلى عليه الله ما هتم الحيا * فسقى البلاد برائح أوغادى
صلى عليه الله ما هتفت الصبا * وشدا على فنن الاراكة شادى
صلى عليه الله ما الف الكرى * جفن تخامره لذيذ رقاد
صلى على المختار أحمد ربه * ما استمسكت نار بطيء زناد
صلى على خير الانام محمد * من خصه بالنور والارشاد
صلى الاله على رسول حاشر * حشر الانام لديه فى الميعاد
صلى الاله على رسول عاقب * فى الدهر وهو بفضله كالهادى
صلى الاله على رسول خاتم * ختم النبوة بالكتاب الهادى
صلى الاله على المقفى ما اقتفى * بشر نبوته بغير عناد
صلى على ماحى الضلال الهه * ماغردت طير على الاعواد
صلى الاله على نبى طالع * بملاحم قصمت فؤاد العادى
صلى عليه الله فهو نبيه * ناداه بالارشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله * أعطاه راية عزمة ورشاد
صلى عليه الله فهو خليله * أسدى اليه منه كل سداد
صلى عليه الله فهو صفيه * صفى سريرته من الاحقاد
صلى عليه الله فهو وليه * والاه فى الاصدار والايراد
صلى عليه الله فهو المصطفى * من كل حضار العباد وبادى
صلى عليه الله فهو المجتبى * يجبى اليه الخير دون نفاد
صلى عليه الله فهو المنتقى * نور الزمان وواحد الآحاد
صلى عليه من براه مطهرا * واختاره طودا من الاطواد
صلى عليه من براه بفضله * وأعاده حيا لغير معاد
صلى عليه من أراه جلاله * وأناله من ذاك كل مراد
صلى عليه من أل فؤاده * فى ظل عرش ثابت الاوتاد
صلى عليه من غذاه بنعمة * فتضاعفت كتضاعف الاعداد
صلى عليه من كساه عوارفا * واختصه منه بخير اياد

(وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران ماد حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب كما تقدم

الف أيا خير البرية هذى * مدحى وما أنا فى مقامى هاذى
باء بها أظهرت صدق محبتى * وبذلك الجاه الكريم لياذى
تاء تحدث وسيلة ماحكته * وجعلته يوم المعاد عياذى

ثاء ثنائى ليس يحصر فضلك الـ ـزاهى ولا يحويه باستحواذ
جيم جلالك جلّ طور نخاره * عن شبهه مثل أو لحاق محاذى
حاء حميت بمعجزات ذكرها * يولى ذوى الايمان كل لذاذ
خاء خصصت بها بفضل عناية * منها لجأت الى أجلّ ملاذ
دال دحضت بحقها مستقريا * ابطال زور مشعر بملاذ
ذال ذراع الشاة أفصح مخبرا * عما يحاذر ضـ ـرّه بنفاذ
راء رميت عصائبا قد ألبوا * فعـ ـموا ولم ينصروا بلواذ
زاى زعيم بالوجاهة أنت اذ * كل بجاهك عاذ كل عياذ
سين سبقت بكل فضل يقتدى * جفن المعالى منه ليس بقاذ
شين شأوت مفاخرا كل الورى * وتركتهم غرقى بلجة آذى
صاد صعدت ذرى الموقف زلفة * ترك السعود مقطع الافلاذ
ضاد ضويت الى جلال كافل * لك بالرضى درّ الجلالة غاذى
طاء طلابيك لديك شفاعة * فيها بذذت الجمع أىّ بذاذ
ظاء ظماؤهم بحوضك سوّغوا * رياكان به مذاقة ماذى
عين علا ذكر افتخارك وارتقى * عن غمر مغتاب وزور الباذى
غين غمام قد علاك مظللا * يمشى بمشيك دائما ويحاذى
فاء فصاحتك البليغة أعجزت * للقوم من قربى ومن شذاذ
قاف قواعد صرح كسرى زلزلت * لولادة اوهت قوى ابن قباذ
كاف كفلت بما تلته والضحى * لجماعة الجارين باستنقاذ
لام لدعوتك المجابة اسبلت * ثروات هتان الحيا بهماذى
ميم معين يديك اذ غلب الظما * أروى الورى من توأم ونفاذ
نون نجارك أصله متخير * من بطن ذات علا واظهر حاذى
هاء هتفت على تناى شقتى * بعلاك هاذى مانجلتك هذى
واو ولوانى استطعت لسابقت * قلبى خطى قدمىّ بالاغذاذ
لا لا اكيف قدر شوق باعث * لعزائمى مستنهض شحاذ
ياء يمنا لو قدرت اذن لما * أخرت سعى مبادر حذاذ
دامت عليك صلاة ربك ماهمت * ديم بوبل هاطل ورذاذ

(رجع) الى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الاندلسى (قال تقبل الله تعالى منه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

يا من تقدس عن أن * يحيط وصف بذاته
ومن تعالى جلالا * عن مشبه فى صفاته
ومن قبول ثنائى * اليه أسنى هباته
صلّ على من تبدى * نور الهدى من سماته

قوله سين الخ ترتيب الحروف فى الاصل فى هذه القصيدة وفيما تقدم من التخاميس والتساديس مغاير لترتيبها المعتاد المعهود عند المشارقة فأجرينا الطبع على المعتاد عندنا لكونه المألوف المتعارف وليس فى ذلك اخلال بشئ اه مصححه

ومن علا الفخر لما * نمى الى معلواته
محمد خير هاد * بجملـــه وأناته
محمد خير داع * بالصدق من كلماته
محمد خـــير صبد * لنا سنا معجزاته
أكرم به من نبي * همت سما مكرماته
أعزز به من رسول * سمت علا درجاته
وخصه الله منه * بالفضل من تكرماته
لما حباه بأوفى * صلاته فى صلاته

وقال

يارب بلغ سلامى * لاحمد ذى الشفاعه
لخاتم الرسل أعنى * امام تلك الجماعه
لابهر الخلق مجدا * يحكى الصباح نصاعه
لمن صفات علاه * تعجز أهل البراعه
لسيد لسناه * يزهى السنا والبراعه
لمرشد بهداه * قد فاز عبد أطاعه
وناظم الحسن نظما * قد ضم منه ثعاعه
وسر سرك يامن * أرى العيون اطلاعه
ومن حبا بذكاه * خلاله وطباعه
ومد فى كل فضل * لصفوة الرسل باعه
فزده يارب فضلا * وزد محبيه طاعه

وقال أيضا غيره

لقد رفع الاله عن البرايا * ببعث محمد محن الصروف
اتى والناس فى الآفاق نهب * لسمر الخط أو بيض السيوف
فأنقذهم ولولاه لكانوا * لقى بين الضلالة والحتوف
نبي لا يغل عليه الا * خفيف العقل ذو رأى مؤوف
كأغمار اليهود أو النصارى * أو الفلكي أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعامى * وبعض للتحير والوقوف
زعانف لا يهلك لها رواء * فان الجهل مائحة الظروف
اذا جارى بمختل ضعيف * فان صحا حنا فوق الالوف
فبرهان النبوة مستفيض * تدل به على رغم الانوف
شفوف الرسل متضح ولكن * لاحمد الشفوف على شفوف
حروف الخط أصل للمعانى * وللالاف التقدم للحروف

وما أحسن قول القائل

لولا النبي محمد * هلك الورى فى سوء حاله
أعلى الورى قدرا وأكـ * ـرمهم واظهرهم دلاله
خـتم الاله به النبوة والطهارة والرسالة
واختصه دون البرية بالمكانة والجلالة
بدر الرسالة والضحا * بة حول ذاك البدر هالة
قذف الحصا فى أعين الـ * ـكفار فاعتنقوا الجداله
وتدرعوا ثوب الكآ * بة بعد اظهار الجذاله
فاصح الى أنبائه * تعلم بان المنتهى له
واذا ابتغيت وسيلة * ومدحته ومدحت آله
فاقطع بأنك آمن * يوم القيامة لامحاله

وقال أبو القاسم سعد بن محمد

اطلق لسانك بالصلاة على النبي الابطحي الهاشمي محمد
واجعل شعارك ذاك تنج به غدا * ان النجاة بذكر يوم للغد

ولابى اليمن بن عساكر

يارب صل على النبي وآله * صلواتنا مادامت الايام
واخصص ختوم سلامنا بجنابه * كالمسك يعبق فض عنه ختام
واحرس شريعته وأوضح سبلها * تبدو بها للسالك الاعلام
وأدم كرامته وأعل مناره * وأنله أعلى ماليك يرام
وارفع له الدرجات فى رتب العلا * فهو الذى للمرشدين امام
وأقمه بين يديك زلفى موقف * للحمد مالسواه فيه مقام
وأنل شفاعته وأورد حوضه * من لوأتاه يشتكى منه أوام
وأتح له مالايرام حصوله * الا بلقياه وعز مرام
وله عليه فى الاصائل والضحى * تهدى اليه تحية وسلام
وبه الى تقبيل موطئ نعله * وجدله بين الضلوع أوام

وله أيضا رحمه الله تعالى

ألا ان الصلاة على الرسول * شفاء للقلوب من الغليل
فصل عليه ان الله صلى * عليه ولاتكونن بالبخيل
وصل عليه قد صلت عليه * ملائكة السماء بجبرئيل
ألا ان الصلاة عليه نور * لدى الظلمات فى اليوم المهول
وتثقيل لميزان خفيف * وتخفيف من الوزر الثقيل
اذا صليت صلى الله عشرا * بواحدة عليك على الرسول
وتحظى بالشفاعة يوم تجنى * ومالك من مقيل أو مقيل
فأكثر أو أقل فأنت تجزى * بذلك من كثير أو قليل

قوله من لوأتاه الخ هكذا فى الاصل ولعل صوابه هكذا من لوأتاه يزول عنه أوام والشطر الاول من البيت بعده لاوجود له فى الاصل زدناه تتميما للابيات وقوله أوام لايطاء فيه مع السابق بحمله على معنى آخر غير معنى الاول بان يراد من الاول العطش أو حره ومن الثانى الدخان أو الحرارة فتدبر اه مصححه

فصل عليه تجز جزاء ضعف • وتجز مضاعف الاجر الجزيل
وأولى الناس أكثرهم صلاة • عليه به وأحرى بالقبول
وأنجاهم من الاهوال عبد • بها لهج بدل قال وقيل
فكن لهجا بذكراه حفيا • بلقياه ومنصبه الجليل
وصل مدى الزمان على رسول • كريم مصطفى بر وصول
وصل على حبيب حاز فضلا • مدى شأو الكلام مع الجليل
وآتاه الوسيلة مستجيبا • وبلغه نهاية كل سول
وأزلفه وشفعه ليأوى • اليه الناس فى ظل ظليل
وأظهر شرعه وحمى حماه • وأيده بواضحة الدليل
وشرفه ولم يبرح شريفا • فيجمع جله المجد الاثيل
وزاد محبه شرفا وفخرا • بتفضيل وتنويل جزيل
وزاد علاه منه بطول عمر • قضى من مواهبه طويل
وأوردنا عليه الحوض وفدا • لنروى بالروى من سلسبيل

قوله بدل هكذا فى الاصل ويقرأ بسكون اللام للضرورة كما لا يخفى ويمكن أن يقال عوضا عنه بلا تأمل اه مصححه

وله رحمه الله تعالى

أدم الصلاة على النبى المصطفى • تخلص بذا من الجحيم ونارها
وتول اقبالا عليها كلما • هتف المؤذن مشعرا بشعارها
فالفخر أجمعه له فتلقه • من نوبة الاعصار فوق مغارها

فهذه عدة قصائد فى مدحه صلى الله عليه وسلم أرجو من الله سبحانه أن تكون مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللهو فان ذلك والله قول لا فعل له وانما هو على نهج أهل الادب كالحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وغيره واحد ممن ألف فى الادب وجمعه (ولا بأس) أن نعززها بمقطوعات تكون للتكفير زياده وحق لمن توسل بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لا تضيع وسائله وكيف وهو صاحب المقام المحمود والشفاعة والسياده فمنها قول ابن الجيان المذكور آنفا رحمه الله تعالى

الى أحمد المختار نهدى تحيية • تفاوح روض المزن بلله المزن
اذا ناخت مغناه زاد تأرجا • وان لثمت يمناه قابله اليمن
أسير أشواقى رسولا بعرفها • لتسعدها منه العوارف والمنن
وأرجو اليه الفضل فهو منيله • وما خاب لى فيه الرجاء ولا الظن
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة • اليه استنادى حين ينبو بى الركن
به وثقت نفسى الضعيفة بعدما • أضر بها من ضعف قوتها الوهن
اليه صلاتى قد بعثت ومشفعا • بلا مابه الاحسان ينساق والحسن

قوله روض المزن هكذا فى الاصل ولعل الاوفق ربا الروض تأمل اه مصححه

وقوله رحمه الله تعالى

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه • بذكر شفيع بالذنوب مشفع
ولم أقض فى حق الصلاة فريضة • على ذى مقام فى الحساب مرفع

قوله بالذنوب هكذا فى الاصل ولعل الاصوب فى الانام تأمل اه مصححه

أرجى لديه النفع فى صدق حبه * ومن يرتج المختار لاشك ينفع
وأهدى الى مثواه منى تحيـة * اذا قصدت باب الرضى لم تدفع

وقوله رحمه الله تعالى

يا أرحم الخلق يوم الحشر والندم * ارحم عبيدك ياذا الطول والنعم
انى توسلت بالمختار سيدنا * الطاهر المجتبى من خيرة الامم
اليك من سيآتى انها عظمت * ياواحدا لم يزل فردا ولم ينم
عليه منك صلاة كلما طلعت * شمس وماخط فى الاوراق بالقلم
فهو الشفيع الذى أرجو النجاة به * من الجحيم اذا الكفار كالحمم

وقوله أيضا رحمه الله تعالى

بحبيب القلوب معتمد الخلـ * ـق أبى القاسم النبى الشفيع
قد تشفعت من ذنوبى الى ذى الـ * ـعزة الواحد العلى السميع
فاشفع اشفع ياخاتم الرسل يوم الحشر والمشهد العظيم الفظيع
لظلوم لنفسه قد تناهى * فى الخطايا وكل فعل شنيع
فاذا ماتذكر الذنب فاضت * مقلتاه واغرورقت بالدموع
لاتخيب رجاءه انه مـ * ـن * ربه خائف كثير الخشوع
وعليك الصلاة بدءا وعودا * ماأضاءت ذكا عند الطلوع

وقوله أيضا عفا الله تعالى عنه

يارب ان شفيعى من ذنوبى فى * يوم القيامة خير الخلق والنسم
محمد خاتم الرسل المبلغ لل * ـدين الحنيفى والاسلام للامم
عليه منى صلاة كلما سجع الحمام فوق غصون البان والسلم
وبعد ذلك أعداد الجبال ورمـ * ـل الارض والطير والحيتان والنعم
كذلك أيضا سلامى طيب عطر * عليه ماقام عبد فى دجى الظلم
لله وهو كئيب خائف وجل * من الذنوب حزين القلب ذو ألم

وقول الشيخ الامام أبى زيد الفازازى رحمه الله تعالى

كملت بنعت محمد خير الورى * غرر القصائد كلها وحجولها
واختص دون الانبياء بدعوة * وسع العباد عمومها وشمولها
فاضت على الثقلين منه أشعة * طلعت وماعقب الطلوع أفولها
فالانس تعلم أنه مقصودها * والجـ * ـن توقن انه مأمولها
كم آية بالصدق كان ظهورها * كم آية بالسبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحى فهو شهادة * لمحـ * ـمد لزم العباد قبولها
جمع الاله المكرمات لامة * هذا النبى الهاشمى رسولها

وقوله رحمه الله تعالى

أى نور كشف الله به * سدف الباطل عنا أجمعين

ختم الله به أنواره * عند ما أكمل سن الاربعين
وأتانا بدليل بين * عجزت عنه دواعي المدعين
فهو للناس جميعا مرشد * وهو بالله تعالى مستعين
تركت دعوته وهو الرضى * سائر الخلق اليها مهطعين
فأعد أنباءه فهو منى * أنفس القائل والمستمعين
والذي يهدي الى شرعته * فهو مزاح عن عذاب المعين
والذي يرغب عن سنته * فهو من شيعة ابليس اللعين

(وقوله وهو كما قاله لزومي)

أصح فخير العالمين مناقب * تدل على التمكين والشرف الاسرى
أتى والورى أسرى فكان غياثهم * بنور سماه يتلوه عن الاسرى
وعفى رسوم الكافرين وأهلها * فلا قيصر من بعد ذا ولا كسرى
تقدم كل العالمين الى مدى * تطل به الاوهام طالعة حسرى
وخص بتشريف على الناس كلهم * ومن لم يقل هذا تقوله قسرا
ترقى الى السبع الطباق ترقيا * حقيقا ولم يعبر سفينا ولا جسرا
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة * يحار بها من لا تيسر للسرى
فسبحان من أسرى اليه بعبده * وبورك في الساري وبورك في المسرى
وكم عجب أوحى الى عبده به * فدونك تجميلا ولا تطلب الفسرا

(وقوله رحمه الله تعالى)

هالك عن هذا النبي المصطفى * خبرا يقبله من سمعه
سبحت صم الحصا في كفه * ثم في كف الهداة الاربعه
واذا أبدى نبي عبرة * فهو لا ينكر فيمن تبعه
أي نطق قد روى اعجازه * عن سماع كل من كان معه
جميع الرسل التي قد سلفت * أصبحت في أحمد مجتمعه
فاعتقد صحتها واعمل بها * فدعاوى ضدها منقطعه
ممكنات العقل لا يجحدها * غير أهل الطبع والمبتدعه

(وقوله رحمه الله تعالى)

اذا أمّلت من مولاك قربا * فجدد ذكر خير الانبياء
وصل عليه أول كل قول * وآخره بصبح والمساء
فان محمدا أعلى البرايا * محلا في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمنى يديه * وكل الناس من دون اللواء
فحدث عن دلائله ففيها * شفاء للنهى من كل داء
ولست بناقل للعشر منها * وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا * محال ليس يحصر بانتهاء

قوله فهو مزاح الخ هكذا في الاصل ولا يخفى عدم موافقته للوزن وصوابه فمزاح الخ وقوله عذاب المعين لا يخفى أيضا ما فيه فلعل صوابه عذاب ٢ المبذعين أي المفزعين من أبذع كافزع وزنا ومعنى أو كلمة أخرى تلائم المعنى والوزن فتدبر اه مصححه

٢ قوله بنور سماه الخ هكذا في ٤ الاصل ولم يظهر لي معناه مع ما فيه من حذف نون يتلوه من غير ناصب ولا جازم وان كان لغة فلعل أصله هكذا (بنور سما بالمؤمنين عن الاسرى) وربما أيد ذلك قوله بعده وعفى رسوم الكافرين تأمل اه مصححه

٤ قوله دلالة لعل الاوضح جلالة ها

براهين البسيطة ليس تحصى * فدونكم براهين السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

أتما بين محمد * وبساره فهما سماء
كلتاهما ان صوّح الـ ـمرعى لنا طعم وماء
واذا اضرّ بنا السقا * م وغيره فهما شفاء
فاعجب لكف فى الورى * فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بان محمدا * فى الخلق ليس له كفاء
فاذا أصخت لآية * فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشمىّ بدا فليس له خفاء
فالارض قد فتحت بمبـ ـعثه وفتحت السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

بركات رسل الله غير خفية * ومحمد خير البرية أبرك
هذا النبىّ الهاشمىّ هو الذى * هدى الانام به وبان المسلك
كم آية لمحمد كم حجة * عز الولىّ بها وذلّ المشرك
دعواته مسموعة مرفوعة * والحس ليس يصح فيه تشكك
لاشئ أعجب من دليل واضح * يحيى به بعض ويعض يهلك
أمسك بحبل محمد خير الورى * تظفر بقصدك أيها المستمسك
واذا عجبت لغاية فى رفعة * فمحلّ أحمد غاية لا تدرك

(وقوله رحمه الله تعالى)

قبح الاله الملحدين فانهم جحدوا الضروره
والمعجزات تواترت * عن أحمد فى كل صوره
والله أعلى كعبه * فى خلقه وأتمّ نوره
كثر الطعام مع الشرا * ب بكفه عند الضروره
وتكنفته عناية * من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو * ب الى اجابته مصوره
وحمى الشريعة بالدليـ ـل فدع معاندها وزوره
قل للمشكك حين يبـ ـدى فى تشككه قصوره
بينى وبينكم الكتا * ب فدونكم فأتوا بسوره

(وقال رحمه الله تعالى)

اذا بهرت للهاشمىّ دلالة * فكم حجج فى طيها ودلائل
فكم مرّة آتى الغنى كف سائل * وكم مرّة اعطى المنى فكر سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة * معدّلة لم تبق قولا لقائل
يحدّث عما كان أو هو كائن * فتس آخرا من صدقه بالاوائل

اذا الصدق لم يعوزك فى غدواته * فلا شك فى تصديقه بالاصائل
وحسبك فى الانباء بالغيب أنه * ستسمعها بالنقل من قول قائل

(وقوله رحمه الله تعالى)

ياذا المعنى بهذا الذكر تسمعه * فى المدح تأثره فى سيد الناس
هذا النبى ومن آيات أثرته * فى الطيب والطول لا تجرى بمقياس
قد انقضت معجزات الغيب وافية * صحيحة باستفاضات واحساس
وهاك نوعا من الاعجاز منتزها * عن نقد منتقد أو صفح قرطاس
لا تعدم النقل عن آثار سيدنا * فانما نحن فيها بين أغراس
تنقل الانف فى النوار ينشقه * من ياسمين الى ورد الى آس
ان القلوب اذا اعتلت خواطرها * فذكر أحمد فيها المبرئ الآسى

(وقوله رحمه الله تعالى)

تأدب اذا ذكر المصطفى * بصمت اللسان وغض البصر
فان التأدب عند السما * ع يفهم فى النطق أو فى النظر
وردد أحاديثها انها * دليل على صدق خير البشر
وصل عليه مدى ذكره * فذلك أفضل ما يدخر
ولا تسترب فى براهينه * فتسلك مسلك قوم أخر
فكم آية ظهرت للنبى * وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك فى نور برهانه * على أن برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا * وقل فوق طورك هذا الخبر

(وقوله رحمه الله تعالى)

اعمل بآثار النبى فانها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين
واشدد يمينك بالشريعة انها السبب المتين
خير البرية أحمد * والحق يصحبه اليقين
ذو قوة عند الاله مقرب منه مكين
زان النبيون الورى * ومحمد لهم مزين
هاد الى طرق النجا * ة مؤيد فيها أمين
والهج بمدح الهاشمى فانه الحصن الحصين
ولئن فعلت فلن تفو * تك بعد ذا دنيا ودين

(وهذا تسديس جعلته للكتاب مسك الختام)

وللناس أعمال فخير وضده * وما يحسن الاعمال غير الخواتم

والافالامداح النبوية بحر لا ساحل له وفيها النثر والنظام زاده الله شرفا وحبباه أفضل الصلاة وأزكى السلام (وهذه القصيدة) من نظم الفقيه الاجل ابى الحجاج يوسف بن

موسى المنتشا فرى الاندلسى نفعه الله تعالى بنيته وبلغه غاية أمنيته وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروى فانه على حرف الميم وكذا آخر الشطر الذى قبله فانه ميم أيضا وهذا نصه بحروفه ماعدا حرف الواو فانى لم أجده وكملته على منواله

حل فى طيبة رسول كريم * فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الانبياء * مرشد الناس للطريق السواء
والعماد الملاذ فى اللأواء * وشفيع العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم * فعليه الصلاة والتسليم
أذهب الغى نوره والغياهب * فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالبا للاكاذب * وبدت منه للانام عجائب
صدق أقواله بها معلوم * فعليه الصلاة والتسليم
لبراهين صدقه معجزات * حيثما حل حلت البركات
وسمت أربع به وجهات * فبه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والحطيم * فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هاديا صدوق الحديث * ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيبا الدعوة المستغيث * وكريما نداه فوق الغيوث
ونداه بالجود جود سجوم * فعليه الصلاة والتسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج * سيد نوره أضاء الدياجى
خصه الله ليلة المعراج * باصطفاء ورفعة وتتاج
وبتكليمه له التكريم * فعليه الصلاة والتسليم
مصطفى مجتبى كريم صفوح * للنبيين جاهه ممنوح
فلاكرامه أجير الذبيح * ونجا آدم وخاص نوح
وكذاك الخليل ابراهيم * فعليه الصلاة والتسليم
بعثه كان رحمة للعباد * دلهم بالهدى طريق الرشاد
ونفى كل باطل وعناد * ودعا للاله دعوة هاد
فاذا الحق واضح مستقيم * فعليه الصلاة والتسليم
أمه بالشكاة ظبى أخيذ * مستجيرا بجاهه يستعيذ
وبه كانت الوحوش تلوذ * وله خاطب الذراع الحنيذ
لاتذقنى فانى مسموم * فعليه الصلاة والتسليم
أشبع الجيش والطعام يسير * ودعا نخلة فجاءت تسير
وهمى من يديه عذب نمير * وله البدر شق وهو منير
معجزات تحار فيها الفهوم * فعليه الصلاة والتسليم
حجب النور فى السموات جازا * فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
فبه فى غد تنال المفازا * وكفى أمة الرسول اعتزازا

قوله باصطلاح أهل المغرب الخ وقد أبقيناه هنا فى هذه القصيدة ليعلم لدينا ترتيب حروف المعجم عندهم وغيرناه فيما سبق الى ترتيبها عند المشارقة لكونه المتعارف لهم والمألوف عندهم وليس فى ذلك اخلال بشئ كما تقدم وقوله ماعدا حرف الواو الخ مثله حرف الخاء المعجمة أيضا فانه ساقط فى الاصل وقد أتيت به على المنوال الموصوف تتميما للحروف فقلت بعد الحاء المهملة

مجده دونه الجبال الشوامخ
شرف دون شأوه كل باذخ
شرعه جاء للشرائع ناسخ
وهو طود فى نصرة الدين راسخ
ذو أناة على السفيه حليم
فعليه الصلاة والتسليم

اه مصححه

أن تمنى يكون منها كليم * فعليه الصلاة والتسليم
انما حكمه عدل وقسط * لم يجر فى القضاء والحكم قط
حبه فى بلوغ قصدى شرط * وبامداحه ذنوبى تحط
ويزول العنا وتجلى الهموم * فعليه الصلاة والتسليم
قد حمى ديننا برعى ولحظ * ونفى روعنا بأمن وحفظ
وحبانا بما لدى الرب يحظى * هاديا راحما لنا غير فظ
مثل ما نصه الكتاب الكريم * فعليه الصلاة والتسليم
نور برهانه جلا كل شرك * وهداه أجار من كل هلك
خير العالمين من غير شك * فلكم رامه العداة بشك
وهو فى كل حالة معصوم * فعليه الصلاة والتسليم
ما لخير الانام منهم عديل * انه مجتبى نبى رسول
ما عسى مادح الشفيع يقول * وبامداحه أتى التنزيل
وثناه خلاله مرسوم * فعليه الصلاة والتسليم
نحن لولا اتباعه لشقينا * نور برهانه أرانا يقينا
وغدا ما نخاف منه يقينا * وكؤوسا بحوضه قد سقينا
من رحيق مزاجه مختوم * فعليه الصلاة والتسليم
أحمد عند ربه ذو اختصاص * جاهه كامل بغير انتقاص
عدة للمسىء يوم القصاص * وشفيع لكل جان وعاصى
يوم يجفو الحميم فيه الحميم * فعليه الصلاة والتسليم
بيديه حوايج الكل تقضى * ويجاز الذى أجاز وأمضى
وينادى الحبيب أنت المرضى * سوف نعطيك ما تحب وترضى
فتحكم يمضى لك التحكيم * فعليه الصلاة والتسليم
فاق بالمولد السعيد ربيع * ان فيه بدا الجلال الرفيع
من هو الذخر والعماد المنيع * فملاذ للمذنبين شفيع
ورؤف بالمؤمنين رحيم * فعليه الصلاة والتسليم
أفصح الناس فى حديث وأبلغ * بين الوحى للانام وبلغ
طيب الحل قد أباح وسوغ * ولكم نعمة من الله سوغ
فلاحسانه علينا عميم * فعليه الصلاة والتسليم
كان بالحق والهدى معروفا * أجود الناس بالندى موصوفا
شرف الله قدره تشريفا * هاديا مرشدا رسولا شريفا
مجده فى العلاء مجد صميم * فعليه الصلاة والتسليم
وجهه بالبها أضاء وأشرق * مجده فى صميمه الاصل أعرق
مس فى كفه قضيبا فأورق * باصبع قد أشار للبدر فانشق

قوله انما حكمه الخ هكذا فى الاصل والموافق للوزن أن يقال انما الحكم منه عدل الخ تأمل اه مصححه

قوله خير العالمين كذا فى الاصل ولعله أخير أو أفضل كما لا يخفى اه مصححه

ثم قد عاد وهو بدر سليم * فعليه الصلاة والتسليم
جاءه الوحي أنت خير الناس * بلغ الامر لا تخف من باس
وخذ العفو للانام وواس * واحمهم من مكايد الوسواس
فعليك البلاغ والتعليم * فعليه الصلاة والتسليم
كان في الله أثبت الناس جأشا * ليس من غيره يخاف ويخشى
فبكف من الحصا فل جيشا * وعيون العداة بالترب أعشى
فنجا المصطفى وخاب الظلوم * فعليه الصلاة والتسليم
قد سما قدره بغير تناهي * وعلا جاهه على كل جاه
آمر بالتقى عن الشر ناهي * من يطعه ينل ثواب الاله
وله عنده النعيم المقيم * فعليه الصلاة والتسليم
عمدة الخلق للمفاخر حاوى * بحماه يلوذ كل وياوى
مبلغ المعتفى الذى هو ناوى * كيف يحصى ثناء أحمد راوى
وعليه أثنى الكتاب الحكيم * فعليه الصلاة والتسليم
حسنه كالصباح بل هو أجلى * وندى كفه من الشهد أحلى
واعتلا قدره من السبع أعلى * مدحه في الكتاب ما زال يتلى
فله الفخر والثناء العظيم * فعليه الصلاة والتسليم
خصه الله من رسول نبي * في جميع الورى بقدر علي
وحباه منه بنور بهي * فهدى الخلق للصراط السوي
وصراط الهدى سوى قويم * فعليه الصلاة والتسليم

قال مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير أحمد بن محمد المقرى المالكي وفقه الله تعالى الى حسن المتاب وحباه الدخول في زمرة من رفع عنهم بشفاعة المصطفى الاصر والعتاب (هذا) آخر ما سمح به الخاطر الكليل من هذا المقصد الجليل الذي يكون الى ما وراءه من الطرف الادبية خير دليل ووضعته والقلب حليف شجن وغربه والفكر أليف حزن وكربه وأنا أسأل الله تعالى الذي لا يرجى سواه أن يجعل بناءه ثابتا بحسن النية حيث البناء الذي فيه حظ النفس واه وأن يكون ما طلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفرا وأن ينفع به من وجه اليه وجهته فاني قد جمعت فيه ما يدر جمعه في غيره وكل الصيد في جوف الفرا

يا من عليه اتكالي * ومن اليه متابي
جد لي بعفوك عني * اذا أخذت كتابي

(واعلم) أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر ولمن يعاني الانشاء والنثر من البيان السحر وفيه من الوعظ والاعتبار ما لم ينكره المنصف عند الاختبار وكفاه أنه لم ير مثله في فنه فيما علمت ولا أقوله تزكية له ويعلم الله تعالى أني تبرأت من هذا العارض ومنه سلمت ولو لم يحز من الشرف الا ختمه بهذه الامداح النبوية الشريفة ذات الظلال

الوريفه لكان كافيا شافيا وها أنا أجعل آخره تنبيها اللبيب قول ابن حبيب

يا خير مبعوث له طلعة * نور الهدى منها أقر العيون
جئت الى ناديك أرجو القرى * من غيث كفيك المغيث الهتون
كن لى شفيعا فارتكاب الهوى * أوقعنى بين الشجا والشجون
صلى عليك الله سبحانه * ما هزت الريح قدود الغصون

وقول النواجى

لقد أفرطت فى حسن ابتداء * ورمت تخلصى يوم الزحام
فبالمختار أرجو عفو ربى * ليرشدنى الى حسن الختام

(وكان) الفراغ منه عشية يوم الاحد المسفر صباحها عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين والف بالقاهرة المحروسة والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وألحقت فيه كثيرا فى السنة بعدها فيكون جميعه آخر الحجة تمة سنة تسع وثلاثين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم دائما أبدا الى يوم الدين

يقول مصححه الراجى من ربه المنان جزيل الفضل والامتنان وجميل الاحسان والامان محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن مصحح دار الطباعة المبريه بالديار المصريه بعد حمدا لله على ما أولاه والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم الذى غيث آدابه على الخلائق انسجم وزاخر مكارمه عم وجم وتقاعس عن مباراته كل مدع وأحجم أفصح من نطق بالضاد وألحم كل مضاد كيف لا وقد أوتى جوامع الكلم وسواه لم يكد بعشار عشر فصاحته بلم وعلى جميع آله وأصحابه وسائر أوليائه وأحبابه ان مما لا يحتاج الى بيان لشهادة الحس به والعيان أن حضرة الخديو الاكرم وجناب الداور الافخم من بنور عدله غيهب الجور تلاشى حضرة صاحب الديار المصرية افندينا محمد سعيد باشا لا تحصى مناقبه ولا تستقصى مواهبه ولا تحصر مفاخره ولا تضبط مآثره فكم له من آثار حسنه ومشروعات مستحسنه صادرة عن روية سليمه صائبة مستقيمه لا يخطئ سهمها الغرض متى لاح لها وعرض ولا غرو فقد غذى بدر المعارف وتضلع بالتالد منها والطارف وكسى من حللها بالمطارف وتفيأ من ظلالها بالمديد الوارف الى شجاعة حيدريه وعدالة عمريه وأمانة عامريه وابهة قيصريه وايالة كسرويه وأناة احنفيه وحكمة يمانيه ومحبة للعفو مأمونيه فهو جدير بما قلته فيه وان لم اكن ممن يحتذى هذا المنهج ويقتفيه لقلة البضاعه وعدم الاستطاعه غير أن نعمه التى بجلاها طوقتنى بقدر حالى من الشعر أنطقتنى فقلت من قصيدة

بشرى لنا جاء السرور وعيده * والدهر سالمنا وزال وعيده
وبشائر الاقبال أصبح طيرها * يشدو فيأخذ بالنهى تغريده
يزرى بألحان المثانى سجعه * ما الموصلى وزلزل ما عوده
حيث الهنا بالانس أضحى روضه * نضرا وأينع بالمسرة عوده

قوله وألحقت فيه الخ لعل هذا هو منشأ ما فيه من التكرار المنبه على بعضه بالهامش المرار اه مصححه

والبشر قد وافى وفاء حبوره * وتنجزت بعد المطال وعوده
لم لا وموئلنا العزيز محمد * الداوري فخر الزمان سعيده
كنز العطا غيث الندى بحر الوفا * ليث الشرى تصمى العداة جنوده
يعطى عطاء دونه جود الحيا * ماحاتم فى عصره ماجوده
فلطالما أحيا عديما فاغتدى * من بعد ضنك لاتعد نقوده
ولكم أغاث صريع فقر مدقع * فأتاه من بعد الشقاء سعوده
والنيل لولا انه يحكى عذو * بة نيله ما كان طاب وروده
انسى السموأل ذكر بعض وفائه * وكذا اياس فى الذكاء وليده
هو فى الوغى سفاحه منصوره * وكذا ئه فى الرأى السديد رشيده
حامى الحقيقة ذو حفاظ أمنه * سيان فيه قومه ووفوده
أما اللغات هو ابن بجدتها ومن * رام الدليل عيان ذاك شهيده
ذو حكمة لو ذاقت الحكماء منـ * ـها فطرة قالوا لنحن عبيده
ومعارف وعوارف تقضى بأن جنابه فرد الزمان وحيده
ومكارم ومراحم معشارها * من رام احصاه بدا تفنيده
وعدالة عمرية يعنو لها * كسرى لان الداوري يسوده
وشجاعة من باس حيدرة لها * ذل العدو قريبه وبعيده
شيم تنظم عقدها بفرائد * ألدهر منها قد تحلى جيده
شيم سمت فكانهن كواكب * سيارة يسرى بها تحميده
شيم تغار الزهر من لمعانها * فلذا استدام بطرفها تسهيده
شيم تمناها الغطارفة الالى * سلفوا وأقيال الزمان وصيده
فيه اجتمعن وما جمعن لغيره * والله يعطى من يشاء ويزيده
ياسعد من أدناه وهو وليه * وشقاء من اقصاه وهو طريده

وقلت فى آخرها

حسبى لديك من العناية نظرة * تحيى ارتياحى والعناء تبيده
والعبد محسوب على ساداته * وبهم يتاح لعبدهم مقصوده
ومتى توجهت العناية نحوه * يكفيه فهو بدهره مسعوده
لازال هذا الداورى يسمو على * أوج المعالى والاله يزيده
وعلى اريكة عزه مستتبعا * حسن الثناء مؤبدا تخليده

وحسبك شاهدا على ميله لترفيه العباد ومحبته لنشر المعارف على الحاضر منهم والبادى صدور أمره الشريف بطبع عدة كتب أدبية مختاره ليتسنى بذلك لكل طالب أن يستخرج شورها ويشتاره منها هذا الكتاب الذى جمع من الآداب مايزرى بالقلائد الدرية ويزدرى العقود الجوهرية من كل معنى لا ينال لكل اريب الا انه وان بعد شأوه فهو للاديب القريب قد أفرغ فى قالب من الالفاظ يفعل بالالباب مالا يفعله بها

سحر الالحاظ رقة وانسجاما وعذوبة تنسيك كاسا وجاما الى فوائد تاريخيه وتخطيطات جغرافيه ومسائل اصوليه وفروع نقلية وعقليه وسائر ما يتعلق بالبلاد الاندلسيه من فتحها بقوة الاسلام القدسيه وما أصيب فيها من الغرائب وما اشتملت عليه من العجائب واقمهات مدنها وقواعدها وبعض أخلاقها وعوائدها ومن تشرفت بدخوله من صالح السلف ومن تبعهم من الخلف وملوكها وسلاطينها وأركان دولتها وأساطينها ومن أعمل الرحلة اليها وعوّل في قصده عليها أو خرج منها وتحوّل عنها بقصد أداء فريضة الحج والقيام بشعيرة العج والثج والرواية والتحصيل والاخذ عن الائمة بالاجمال أو التفصيل والالماع بطرف من أخبارهم ومستملح نوادرهم في اقبالهم وادبارهم وما كابده أهلها لما اشتد عليهم هولها واضمحلت صولتهم وتغيرت دولتهم بتغلب العدو على بلادهم واستيلائه على طريفهم وتلادهم وما يتعلق بلسان الدين الذي هو موضوع هذا المؤلف والغرض الاصلي لمن له الف وغير ذلك مما هو فيه مقرر ومسطور ومحرر فتلقى أمره العالي بالامتثال وطبع ما تيسرت اصوله منها حتى ساح سيحه في الاقطار وانثال وحصل التشبث ايضا بطبع الكتاب المذكور حتى كمل وجاء بحمد الله تعالى وعونه على وفق الامل غير انه لم يكن يبدى من اصوله الكاملة الا نسخة ميرية واحده لكنها بالسقط والتحريف في مواضع عديدة تكاد تكون لحق الكتاب جاحده ولم يكن معي ما يعين على اثبات حقه ويساعد على تمييز كذبها في تلك المواضع من صدقه الا نسخة محترمة في الاثناء والاواخر فكنت بها عند الاجتياز بتلك المحال كاني بغلك في بحر التصحيح ماخر وكثيرا ما كانت تنعكس القضيه وتسلك الاخرى طريقة غير مرضيه فيصير المعين معانا ويبدى انقيادا واذعانا وربما اتفقا على الزلال فيوجبان السآمة والملل لانفراد الذهن حينئذ بالعاناه في الوقوف على اللفظ ومعناه والتزامه ملاحظة السياق ومراعاة اللحاق والسباق واستعمال التحريف وارتكاب التصحيف ومراجعة المظان ان تيسرت وسؤال من يتسنى من ارباب المعارف ان تعذرت أو تعسرت فتارة يحصل بفضل الله تعالى الوقوف على الحقيقه ويجزم بأن هذه الطريقة بالاعتبار هي الحقيقه وتارة تكون الاخرى فيكون الاعتراف بالعجز أحرى وانما نشير الى محل التوقف برقم أو تعليق على الحاشيه كما هي في كتب تصحيحنا العادة الحاشيه حتى جاء حديثه في فن التصحيح بمنه تعالى ما بين حسن وصحيح يقر عين الودود ويسخن عين الحسود ويسر المنصف ويسوء المتعسف ومن ارتاب في ذلك واتهمني فيما هنالك فليطلع على الاصل والمطبوع فانه يذعن للحق ويجزم بان ما قلته هو المقبول المتبوع على أني بين أبناء جنسي دائما اتلو وما أبرئ نفسي اذ لا بد من زال يوافق وقت ملل ولا بد من نسيان يعرض عند تشوش الاذهان وكيف يسلم غير المعصوم وهو بالعجز والنسيان موصوم

من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وقد ابى الله العصمة الا لكتابه المجيد فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد هذا وكاني بمتشدق متعنت متشقشق يحمله الحسد لنهجي الاسد على القدح بما هو شعاره والطعن بما هو دثاره والتشنيع بما هو ديدنه والخوض بما هو دأبه وسننه حسبما جرت به عادته الذميمه المشاكلة لرؤيته الدميمه واقتضاه لؤمه ونحسه وشؤمه غير ملتفت لعيوب نفسه المنادية بفضيحته وبخسه الفائتة حد التعداد التي لا يلوث بها الطرس المداد استقذارا لذكرها واكتفاء بشهرة أمرها فلا جواب لمثله الا الطرح في زوايا الاهمال وجعل كيده في نحره وكفى الله المؤمنين القتال

سكت عن السفيه فظن أني * عييت عن الجواب وما عييت

ولكني اقول

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا * لاصبح الصخر مثقالا بدينار

بل عذقته تشهد لي بالكمال جريا على قول من قال

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بانى كامل

وأفوض أمري الى مولاي اللطيف الخبير فهو نعم المولى ونعم النصير هذا ولما وافى طبع ذلك الكتاب حد التمام وفاح من تمثيله مسك الختام في الايام السعيدية التي هي في جبهة الدهر غرة وفي ثغره ابتسام قلت مؤرخا كمال طبعه في هذا العام وملوحا أيضا بمدح حضرة ولي النعم بما هو على قدري من النظام وان لم اكن أهلا لذلك المقام

رب قلب لم يرم عن ياسه * ما درى استنقاذه من باسه
خلط عن نفسه أدرانه * وليعذ بالله من وسواسه
وليذد عنه قنوطا طالما * أضرمت فيه لظى مقباسه
هل ليأس من علوم وجهة * والخديوى العلم من أغراسه
غرس العلم لنا في مصرنا * وهو الناجح من غراسه
أسس الآداب فيها واعتنى * فهي تستعلي على آساسه
فتحلى جيد مصر بحلى * من لآلي عقدها أو ماسه
وازال الجهل عن أبنائها * ومحا ما كان من أدرجاسه
أبدل الوحشة منها بالذي * اولاه من ايناسه
مدن القطر بتعليم وتر * بيه قد أثرت في ناسه
أدركوا في الحرب فنا طالما * حادر حمى الغير عن برجاسه
فتراهم في الوغى أسد الشرى * يرهبون الليث في أخياسه
ولكم أردوا شجاعا ذادها * يضرب الاخماس في أسداسه
ولكم من بطل قد تركوا * يخبط العشواء في ابلاسه
ولكم داروا بحصن شامخ * وسطوا فيه على حراسه
ولقد حازوا فنونا جمة * كسبوها من سنا أرغاسه
وحووا في ظله ما قد ثوى * من قديم العهد في أرماسه

أدبا لؤلؤه طول المدى * لم يزل يقذف من رجاسه
حيث أحييته بالطبع في * مصره فانثال في قرطاسه
وكتاب النفح أسنى كتبه * اذ هو الممتاز في أجناسه
صدر الامر لدار الطبع أن * يطبعوه الآن في أطراسه
يجري التصحيح والطبع له * وبذا أخرج من دياسه
مذ تناهى الطبع فيه وبدا * نور هذا الفن من نبراسه
وملا الكون عبيرا نشره * فاتحا من ورده أو آسه
قلت فيما أرخوه الداوري * نشر نفح الطيب من أنفاسه

٢٥٢ ٥٥٠ ١٣٨ ٥٢ ٩٠ ١٩٧

وكان اتمام طبعه واكمال تنميقه ووضعه في دار الطباعة الميرية بالديار المصرية في بولاق مصر القاهرة ذات الشهرة العامة والمحاسن الباهرة تحت ملاحظة مأمور تنجيز أشغالها ومباشرة أعمالها جناب حسين افندي حسني لازال لسان الصدق والاجتهاد عليه يثني موافقا ذلك اواسط شهر ربيع الاول شهر ميلاد من عليه في الدارين المعول سنة ١٢٧٩ تسع وسبعين بعد المائتين والالف من هجرة من كان بكابري من الامام يرى من الخلف صلى الله عليه وعلى آله وسائر الناسجين من أمته على منواله مالاح بدر تمام وعبقت روائح مسك الختام

هذا الكتاب خالص الكمرك



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0037120085

893.7M32
034
4

NOV 20 1964